

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي

الجزء الثالث

نبذة: صدر المؤلف كتابه بذكر فتح مصر على يد جيش المسلمين بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه ، ثم ذكر من ملك مصر قبل الإسلام ، ثم عقب بمن تولى خلافة مصر بعد الإسلام؛ ذاكراً أهم الأحداث التي وقعت في خلافته. فجمع المؤلف بذلك بين دفتي كتابه من تولوا إمارة مصر قبل الإسلام وبعد الإسلام إلى نهاية سنة إحدى وسبعين وثمانمائة.

الفهرس:

- [السنة الثانية من سلطنة الظاهر بيبرس](#)
- [السنة التاسعة من سلطنة الظاهر بيبرس](#)
- [السنة السابعة عشرة من سلطنة الظاهر بيبرس](#)
- [سلطنة الملك العادل سلامش](#)
- [جزيرة كبيرة ببحر النيل](#)
- [قال ابن كثير في حق الملك المنصور قلاوون المذكور](#)
- [السنة الثالثة من سلطنة المنصور قلاوون](#)
- [السنة السادسة من سلطنة المنصور قلاوون](#)
- [السنة الثانية عشرة من سلطنة المنصور قلاوون](#)
- [ومن شعر عز الدين صاحب الترجمة:](#)
- [سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون الأولى](#)
- [السنة الأولى من سلطنة الملك العادل كتبغا المنصوري على مصر](#)
- [سلطنة الملك المنصور لاحق](#)
- [أمر النيل في هذه السنة](#)
- [يوم الاثنين عشية النهار وصل السلطان والأمراء إلى الصالحية](#)
- [ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى سنة إحدى وسبعمائة في وقت السحر](#)
- [السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة سبع وسبعمائة](#)
- [السنة الثانية من سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون](#)
- [السنة السابعة من سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون](#)
- [مضمون الكتاب الذي من المظفر إلى قرا سنقر](#)
- [وأخذ الملك الناصر في تدبير أمره](#)
- [أمر النيل في هذه السنة](#)
- [ولما فرغ السلطان الملك الناصر](#)
- [سنة أربع عشرة وسبعمائة](#)
- [سنة تسع عشرة وسبعمائة](#)
- [وفي مستهل جمادى الأولى](#)
- [ثم أفرج السلطان عن الأمير طرنطاي المحمدي](#)
- [أرباب الرواتب السلطانية](#)
- [ثم وصل الأمير تنكر إلى الديار المصرية](#)
- [حكر الأمير طقزدمر الحموي الناصري بستائاً بجوار الخليج](#)
- [السنة الثانية من سلطنة الناصر الثالثة](#)
- [السنة التاسعة من سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر](#)
- [السنة السابعة عشرة من سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر](#)
- [وتوفي تاج الدين إسحاق بن عبد الكريم](#)
- [السنة التاسعة والعشرون من سلطنة الناصر الثالثة](#)
- [قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في تاريخه](#)
- [أصل قوصون](#)
- [سنة آنتين وأربعين وسبعمائة](#)

- ولما قتل طشتمر
- أمر النيل في هذه السنة
- السنة الأولى من سلطنة الكامل شعبان
- السنة التي حكم فيها الملك الكامل
- وفي يوم الجمعة سادس شهر رمضان نودي أن يجتمع الناس بالصناجق
- يوم الأربعاء سادس عشرين ذي القعدة
- ولما تسلطن الملك الصالح صالح
- وفي يوم الأحد حادي عشره وصل الأمراء من سجن الإسكندرية
- أمر الديار المصرية
- أمر السلطان حسن
- السنة الثالثة من سلطنة الناصر حسن الثانية
- السنة الثانية من سلطنة المنصور محمد ابن الملك المظفر
- ثامن عشر شهر ربيع الأول من سنة ثمان وستين
- سنة اثنتين وسبعين استقر الأمير طشتمر العلاني
- السنة الثانية من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر
- أمر النيل في هذه السنة
- أمر النيل في هذه السنة
- يوم الأحد ثامن عشر ذي القعدة قبضوا على جماعة من مباشري الدولة
- يوم الأربعاء سابع صفر من سنة اثنتين وثمانين وسبعائة
- أمر النيل في هذه السنة

السنة الثانية من سلطنة الظاهر بيبرس وهي سنة ستين وستمائة

فيها استولى الملك الظاهر بيبرس صاحب الترجمة على دمشق وبعلك والضبية وحلب وأعمالها خلا البيرة.

وفيها استولى التتار على الموصل وقتلوا الملك الصالح صاحبها الذي كان خرج مع الخليفة المستنصر من ديار مصر على ما يأتي ذكرهما في محله من هذه السنة.

وفيها توفي الخليفة أمير المؤمنين المستنصر بالله أبو القاسم أحمد ابن الخليفة الظاهر بأمر الله محمد ابن الناصر لدين الله أحمد الذي بويع بالقاهرة بالخلافة بعد شغور الخلافة نحو سنتين ونصف وخرج الملك الظاهر بيبرس معه إلى البلاد الشامية وقد مر ذكر قدومه القاهرة وبيعته وسفره وقتله ورفع نسبه إلى العباس رضي الله عنه في ترجمة الملك الظاهر هذا ولا حاجة للإعادة ومن أراد ذلك فلينظره هناك.

وفيها قتل الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل.

وقد ذكرنا وفوده على الملك وخروجه مع أخيه والخليفة المستنصر بالله المقدم ذكره فلا حاجة لذكره هنا ثانيًا قتل بأيدي التتار في ذي القعدة وكان عارقًا عادلًا حسن السيرة.

وفيها توفي الأمير سيف الدين بلبان الزردكاش كان من أعيان أمراء دمشق وكان الأمير طبرس الوزيري نائب الشام إذا خرج من الشام استنابه عليها وكان دينا خيرًا.

مات بدمشق في ذي الحجة.

وفيها توفي الحسن بن محمد بن أحمد بن نجا الشيخ الأديب أبو محمد الغنوي النصيبي الشافعي الإربلي المنشأ الضرب الملقب بالعز.

قال صاحب الذيل على مرآة الزمان: المشهور بعدم الدين والزندقة.

كان فاضلاً في العربية والنحو والأدب وعلوم الأوائل منقطعاً في منزله يتردد إليه من يقرأ عليه تلك العلوم وكان يتردد إليه جماعة من المسلمين واليهود والنصارى والسامرة يقرئ الجميع قال: وكان يصدر عنه من الأقوال ما يشعر بانحلال عقيدته.

ومات في شهر ربيع الآخر توهم واشينا بليل مزاره فهم ليسعى بيننا بالتباعد فعانقته حتى اتحدنا تعانقا فلما أتانا ما رأى غير واحد قال الشهاب محمود: ولما أنشدت هذين البيتين يعني قول العز: توهم واشينا بليل مزاره بين يحيى الملك الناصر صلاح الدين صاحب دمشق قال: لا تلمه فإنه لزمه لزوم أعمى فلما بلغ العز قول الملك الناصرة قال: والله هذا الكلام أحلى من شعري.

وفيها توفي الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن المهذب السلمي الدمشقي الشافعي المعروف بابن عبد السلام.

مولده سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسائة.

قال الذهبي: وتفقه على الإمام فخر الدين ابن عساكر وقرأ الأصول والعربية ودرس وأفتى وصنف وبرع في المذهب وبلغ رتبة الاجتهاد وقصده الطلبة من الآفاق وتخرج به

أئمة وله التصانيف المفيدة والفتاوى السديدة وكان إمامًا ناسكًا عابدًا وتولى قضاء مصر القديمة مدة ودرس بعدة بلاد.

ومات في عاشر جمادى الأولى.

وفيها توفي الشيخ الإمام الواعظ عز الدين أبو محمد عبد العزيز ابن الشيخ الإمام العلامة أبي المظفر شمس الدين يوسف بن قزأوغلي الدمشقي الحنفي وهو ابن صاحب مرآة الزمان.

كان عز الدين فقيهاً واعظاً فصيحاً مفتتاً درس بعد أبيه في المدرسة المعزبة ووعظ وثن لوعظه موقع في القلوب وكانت وفاته بدمشق في شوال ودفن عند أبيه بسفح قاسيون.

وفيها توفي الإمام العلامة كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن أبي جرادة عامر بن ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل العقيلي الحلبي الفقيه الحنفي الكاتب المعروف بابن العديم ورفع نسبه بعض المؤرخين إلى غيلان.

مولده بحلب في العشر الأول من ذي الحجة سنة ست وثمانين وخمسائة وسمع الحديث من أبيه وعمه أبي غانم محمد ومن غيرهما وحدث بالكثير في بلاد متعددة ودرس وأفتى وصنف وكان إماماً عالمًا فاضلاً مفتتاً في علوم كثيرة وهو أحد الرؤساء المشهورين والعلماء المذكورين.

وأما خطه ففي غاية الحسن يضاهاه ابن البواب الكاتب وقيل: إنه هو الذي اخترع قلم الحواشي وعرض بهذا في شعره القيسراني رحمه اله تعالى بقوله: الوافر بوجه معذبي آيات حسن فقل ما شئت فيه ولا تحاشي ونسخة حسنه قرئت وصحت وها خط الكمال على الحواشي قلت: وذيل عليه القاضي علاء الدين علي ابن خطيب الناصرية قاضي قضاة الشافعية بحلب ذيلًا إلا أنه قصير إلى الركبة وقفت عليه فلم أجده جال حول الحمي ولا سلك فيه مسلك المذيل عليه من الشروط إلا أنه أخذ علم التاريخ بقوة الفقه على أنه كان من الفضلاء العلماء ولكنه ليس من خيل هذا الميدان وكان يقال في الأمثال: من مدح بما ليس فيه فقد تعرض للضحكة.

انتهى.

ومحاسن ابن العديم كثيرة وعلومه غزيرة وهم بيت علم ورياسة وعراقة.

يأتي ذكر جماعة من ذريته وأقاربه في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

ومن شعر صاحب كمال الدين المذكور مما كتبه على ديوان الشيخ أيدير مولى وزير الجزيرة وهو: الطويل وكنت أظن الترك تختص أعين لهم إن رنت بالسحر منها وأجفان إلى أن أتاني من بديع قريضهم قواف هي السحر الحلال وديوان فأيقنت أن السحر راجعة لهم يقر لهم هاروت فيها وسحبان ومن شعره أيضًا رحمه الله وأجاد فيه إلى الغاية: الطويل فواعجبا من ريقها وهو طاهر حلال وقد أمسى علي محرما هو الخمر لكن أين للخمر طعمه ولذته مع أنني لم أذقهما الذين ذكر الذهبى وفاتهم في هذه السنة قال.

وفيها توفي العلامة عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمى الدمشقي بالقاهرة في جمادى الأولى عن ثلاث وثمانين سنة.

والصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن العديم العقيلي بعد ابن عبد السلام
بأيام وكان له اثنتان وسبعون سنة.

ونقيب الأشراف بهاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن أبي الحسن الحسيني في رجب
عن إحدى وثمانين سنة.

وضياء الدين عيسى بن سليمان التغلبي في رمضان وله تسعون سنة.

واستشهد في المصاف المستنصر بالله أحمد ابن الظاهر محمد ابن الناصر في أوائل
المحرم بالعراق وتفرق جمعه.

وقتل التتار في ذي القعدة الملك الصالح ركن الدين إسماعيل بن لؤلؤ صاحب الموصل
بعد الأمان.

وفي شهر ربيع الآخر العز الضرير الفيلسوف حسن بن محمد بن أحمد الإربلي وله أربع
وسبعون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وسبع أصابع.

مبلغ الزبادق ثمانى عشرة ذراعا سواء.

السنة الثالثة من سلطنة الظاهر بيبرس وهي سنة إحدى وستين وستمائة.

فيها بايع السلطان الملك الظاهر بيبرس المذكور الخليفة الحاكم بأمر الله أبا العباس
أحمد ابن الأمير أبي علي الحسن وقيل: ابن محمد بن الحسن بن علي القبي ابن الخليفة
الراشد وهو التاسع والثلاثون من خلفاء بني العباس وهو أول خليفة من بني العباس
سكن بمصر ومات بها وبويع يوم الخميس تاسع المحرم من سنة إحدى وستين وستمائة
وكان وصوله إلى الديار المصرية في السنة الحالية.

وفيها هلك ريدا فرنس واسمه يواش المعروف بالفرنسيس ملك الفرنج الذي كان ملك
دمياط في دولة الملك الصالح أيوب.

وفيها توفي المحدث الفاضل عز الدين أبو محمد عبد الرزاق بن رزق الله ابن أبي بكر بن
خلف الرسعني كان إمامًا فاضلاً شاعرًا محدثًا.

ومن شعره: ولو أن إنسانا يبلغ لوعتي وشوقي وأشجاني إلى ذلك الرشا لأسكنته عيني
ولم أرضها له فلولا لهيب القلب أسكنته الحشا وفيها توفي الأمير مجير الدين أبو الهيجاء
بن عيسى الأزكشي الكردي الأموي كان من أعيان الأمراء وشجعانهم ولما ولي الملك
المظفر قطز السلطنة وولى الأمير علم الدين سنجر الحلبي نيابة الشام جعله مشاركًا له
في الرأي والتدبير في نيابة الشام وكان الملك الأشرف موسى ابن العادل يا أحمد ما
زلت عماد الدين يا أشجع من أمسك رمحًا بيمين لا تبتسن إن حصلت في سجنهم ها
يوسف قد أقام في السجن سنين وكان مولده بمصر في سنة ثمان وستين وخمسائة
ومات في جمادى الأولى بمدينة إربل.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي عبد الغني بن سليمان بن بنين
البناني في شهر ربيع الأول وله ست وثمانون سنة وهو آخر من روى عن عمر.

والعلامة علم الدين القاسم بن أحمد الأندلسي في رجب بدمشق وله ست وثمانون سنة.

والإمام تقي الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن مرهف الناشري المصري المقرئ في شعبان وله إحدى وثمانون سنة.

والإمام كمال الدين علي بن شجاع بن سالم العباسي الضرير في ذي الحجة وله تسعون سنة إلا شهرًا.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وسبع أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا.

السنة الرابعة من سلطنة الظاهر بيبرس وهي سنة اثنتين وستين وستمائة.

فيها انتهت عمارة مدرسة السلطان الملك الظاهر بيبرس بين القصرين من القاهرة.

وقد تقدم ذكرها في ترجمته.

وفيها استدعى الملك الظاهر الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري إلى القاهرة وأمره أن يجعل نائبه بحلب بعد خروجه الأمير نور الدين علي بن مجلي ففعل ذلك وقدم القاهرة فلما وصل إليها عزله وأقام نور الدين عوضه في نيابة حلب.

وقد تقدم أن علاء الدين أيدكين هو أستاذ الملك الظاهر بيبرس الذي اشتراه منه الملك الصالح نجم الدين أيوب.

وفيها كان الغلاء بديار مصر فبلغ الإردب القمح مائة درهم وخمسة دراهم نقرة والشعير سبعين درهما الإردب وثلاثة أرطال خبز بالمصري بدرهم نقرة ورطل اللحم بالمصري - وهو مائة وأربعة وأربعون درهما - بدرهم وكان هذا الغلاء عظيمًا بديار مصر.

فلما وقع ذلك فرق الملك الظاهر الفقراء على الأغنياء والأمراء وألزمهم بإطعامهم ثم فرق من شونه القمح على الزوايا والأربطة ورتب للفقراء كل يوم مائة إردب مخبوزة تفرق بجامع ابن طولون.

ودام على ذلك إلى أن دخلت السنة الجديدة والمغل الجديدة وأبيع القمح في الإسكندرية في هذا الغلاء الإردب بثلاثمائة وعشرين درهماً.

وفيها أحضر بين يدي السلطان طفل ميت له رأسان وأربع أعين وأربع أيد وأربع أرجل فأمر وفيها توفي القاضي كمال الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الأسدي الحلبي الشافعي المعروف بابن الأستاذ قاضي حلب مولده سنة إحدى عشرة وستمائة سمع الكثير وحدث ودرس وكان فاضلاً عالمًا مشكور السيرة مات في شوال.

وفيها توفي شيخ الشيوخ صاحب شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن بن منصور الأنصاري الأوسي الدمشقي المولد الحموي الدار والوفاة الإمام الأديب العلامة مولده يوم الأربعاء ثاني عشرين جمادى الأولى سنة ست وثمانين وخمسمائة وسمع الحديث وتفقه وبرع في الفقه والحديث والأدب وأفتى ودرس وتقدم عند الملوك وترسل عنهم غير مرة.

وكانت له الوجاهة التامة وله اليد الطولى في الترسل والنظم وشعره في غاية الحسن.

ومن شعره - رحمه الله - قوله: الخفيف إن قومًا يلحون في حب سعدى لا يكادون يفقهون حديثًا سمعوا وصفها ولاموا عليها أخذوا طيبًا وأعطوا خبيثًا وله رحمه الله: السريع قلت وقد عقرب صدغًا له عن شقة الحاجب لم يحجب قدست يا رب الجمال الذي ألف بين النون والعقرب مرضت ولي جيرة كلهم عن الرشيد في صحبتي حائد فأصبحت في النقص مثل الذي ولا صلة لي ولا عائذ وله غفر الله له: الكامل ولقد عجت لعاذلي في حبه لما دجى ليل العذار المظلم أوما درى من سنتي وطريقتي أني أميل مع السواد الأعظم قلت: وقد استوعبنا ترجمة شيخ الشيوخ بأوسع من ذلك في تاريخنا المنهل الصافي وذكرنا من محاسنه وشعره نبذة كبيرة وكانت وفاته ليلة الجمعة ثامن شهر رمضان بحماة رحمه الله تعالى.

وفيهما توفي الملك المغيث فتح الدين أبو الفتح عمر صاحب الكرك ابن السلطان الملك العادل أبي بكر محمد ابن السلطان الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر محمد ابن الأمير نجم الدين أيوب الأيوبي المصري ثم الكركي.

وقد ذكرنا من أمره نبذة كبيرة في ترجمة عمه الملك الصالح ثم من بعده في عدة تراجم لا سيما لما توجه إليه الملك الظاهر بيبرس مع جماعة البحرية وأقام عنده وحرکه على ملك مصر حسب ما تقدم ذكر ذلك كله.

انتهى.

قلت: ومولد الملك المغيث هذا بالديار المصرية وربّي يتيمًا عند عماته القطيبات بنات الملك العادل - والقطيبات عرفن بالقطيبات لأنهن أشقاء الملك المفضل قطب الدين ابن الملك العادل - وبقي المغيث هذا عندهن إلى أن أخرج إلى الكرك واعتقل بها ثم ملكها بعد موت عمه الملك الصالح نجم الدين أيوب ووقع له بها أمور إلى أن قدم في العام الماضي على الملك الظاهر بيبرس بمصر فقبض عليه وقتله في محبسه رحمه الله تعالى لما كان في نفسه منه أيام كان بخدمته في الكرك مع البحرية.

وفيهما توفي الأمير حسام الدين لاجين بن عبد الله العزيزي الجوكندار كان من أكابر الأمراء وأعظمتهم وكان شجاعًا جوادًا دينًا له اليد البيضاء في غزو التتار وكان يجمع الفقراء ويصنع لهم الأوقات والسماعات وكان كبير القدر عظيم الشأن رحمه الله تعالى.

وفيهما توفي الشيخ محيي الدين أبو بكر محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسين بن سراقة الأنصاري الأندلسي الشاطبي كان فاضلاً محدثًا سمع الكثير وولي مشيخة دار الحديث بحلب ثم ولي مشيخة الحديث بمصر بالمدرسة الكاملية وحدث بها.

ومن شعره رحمه الله تعالى: مخلع البسيط وصاحب كالزالل يمحو صفاؤه الشك باليقين لم يحص إلا الجميل مني كأنه كاتب اليمين قلت: وهذا بعكس قول الأديب شهاب الدين المنازي رحمه الله تعالى: مخلع البسيط لم يحص إلا القبيح مني كأنه كاتب الشمال وفيها توفي الملك الأشرف مظفر الدين موسى ابن الملك المنصور إبراهيم ابن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد ابن الملك المنصور أسد الدين شيركوه الكبير ملك الأشرف هذا حمص بعد وفاة أبيه وطالت مدته به ووقع له أمور وكان فيه مداراة للتتار واستمر على ذلك إلى أن توفي بحمص في حادي عشر صفر قبل صلاة الجمعة ودفن ليلاً على جده الملك المجاهد أسد الدين شيركوه.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي المحدث ضياء الدين علي بن محمد البالسي في صفر وله سبع وخمسون سنة.

وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأنصاري الباشرقي في شهر ربيع الأول.

والحافظ رشيد الدين أبو الحسين يحيى بن علي الأموي العطار المالكي في جمادى الأولى وله ثمان وسبعون سنة.

وأبو الطاهر إسماعيل بن صارم الخياط بعده بأيام.

والخطيب عماد الدين عبد الكريم ابن جمال الدين أبي القاسم عبد الصمد بن محمد الأنصاري بن الحرستاني في جمادى الأولى.

والورع الزاهد أبو القاسم بن منصور في شعبان.

والإمام محيي الدين أبو بكر محمد بن محمد بن سراقه الشاطبي بمصر وله سبعون سنة.

وشيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصاري بحماة في رمضان.

والملك المغيث فتح الدين عمر ابن العادل أبي بكر ابن الكامل محمد صاحب الكرك أعدمه الملك الظاهر.

والأمير الكبير حسام الدين لاجين الجوكندار العزيمي في المحرم ودفن بقاسيون.

وصاحب حمص الملك الأشرف موسى ابن المنصور إبراهيم بن أسد الدين بحمص في صفر وله خمس وثلاثون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وأربع عشرة إصبعاً.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً واثنتا عشرة إصبعاً.

السنة الخامسة من سلطنة الظاهر بيبرس وهي سنة ثلاث وستين وستمائة.

فيها ولى الملك الظاهر بيبرس من كل مذهب قاضيًا وقد تقدم ذكر ذلك.

وفيها توفي الأديب البارع شرف الدين محاسن الصوري كان عالمًا فاضلاً أديبًا شاعرًا ومات في شهر رجب.

ومن شعره رحمه الله: الكامل عتبت على فقلت إن عاتبتها كان العتاب لوصلها استهلاكا وأردت أن تبقى المولدة بيننا موقوفة فتركت ذاك لذاك وفيها توفي الأمير جمال الدين موسى بن يغمور بن جلدك بن بليمان بن عبد الله أبو الفتح مولده في جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وخمسائة بالقوب من أعمال قوص بصعيد مصر وسمع الحديث وتنقل في الولايات الجليية مثل نيابة السلطنة بالقاهرة ونيابة دمشق ولم يكن في الأمراء من يضاويه في منزلته وشجاعته وقربه من الملوك وكان أميرًا جليلاً خبيرًا حازمًا سيوسًا مدبرًا جوادًا ممدحًا وكان الملك الظاهر إذا عمل مشورة وتكلم جمع خشداشيته من الأمراء فلا يصغي إلا إلى قول ابن يغمور هذا ويفعل ما أشار به عليه.

وكانت وفاته في مستهل شعبان بالقصير من أعمال الفاقوسية بين الغرابي والصالحية.

ومن شعره قوله: دوبيت ما أحسن ما جاء كتاب الحب ييدي حرقًا كأنه عن قلبي فازددت بما قرأت شوقًا وضما لا يبرده إلا نسيم القرب الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي المحدث معين الدين إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي الزكوي.

والحافظ زين الدين أبو البقاء خالد بن يوسف بن سعد النابلسي بدمشق وله ثمان وسبعون سنة في سلخ جمادى الأولى.

والأمير الكبير جمال الدين موسى بن يغمور.

والنجيب فراس بن علي بن زيد العسقلاني التاجر.

وقاضي الديار المصرية بدر الدين يوسف بن الحسن السنجاري في رجب.

والشيخ أبو القاسم الحواري الزاهد.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وإصبغان.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا السنة السادسة من سلطنة الظاهر بيبرس وهي سنة أربع وستين وستمائة.

فيها توفي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن صالح كان فاضلاً أديباً.

ومن شعره رحمه الله في مكار مليح: مجزوء الرجز علقته مكارياً شرد عن عيني الكرى قد أشبه البحر فلا يمل من طول السرى وفيها توفي طاغية التتار وملكهم هولوكو وقيل هولاوون وقيل هولاو بن تولي خان بن جنكز خان المغلي التركي ملك مكان أبيه بعد موته وكان من أعظم ملوك التتار وكان جازماً شجاعاً مديراً استولى على الممالك والأقاليم في أيسر مدة وفتح بلاد خراسان وأذربيجان وعراق العجم وعراق العرب والموصل والجزيرة وديار بكر والشام والروم والشرق وغير ذلك.

وهو الذي قتل الخليفة المستعصم المقدم ذكره وكان على قاعدة المغل لا يتدين بدين وإنما كانت زوجته طقز خاتون قد تنصرت فكانت تعضد النصارى وتقيم شعائرهم في تلك البلاد.

وكان هولوكو سعيداً في حروبه لا يروم أمراً إلا ويسهل عليه وكانت وفاته بعله الصرع وكان الصرع يعتريه من عدة سنين في كل وقت حتى إنه كان يعتريه في اليوم الواحد المرة والمرتين والثلاث ثم زاد به فمرض ولم يزل ضعيفا نحو شهرين وهلك فأخفوا موته وصبروه حتى حضر ولده أبغا وجلس مكانه في الملك وقيل: إنه لم يدفن وعلق بسلاسل ومات وله ستون سنة أو نحوها.

وخلف من الأولاد الذكور سبعة عشر ولدًا.

وهم أبغا الذي ملك بعده وأشموط وتمشين وتكشي وكان جباراً وأجاي وتستر ومنكوترم الذي التقى مع الملك المنصور قلاوون على حمص وإنهزم جريماً كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى وباكودر وأرغون وتغاي تمر والملك أحمد وجماعة آخر.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو الفضل إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى القرشي بن الدرجي في صفر.

والشيخ جمال الدين أحمد بن عبد الله بن شعيب التميمي في شهر ربيع الآخر وله اثنتان وسبعون سنة.

ورضي الدين إبراهيم بن البرهان عمر الواسطي التاجر بالإسكندرية في رجب وله إحدى وسبعون سنة وخلف أموالاً عظيمة.

والأمير الكبير جمال الدين أيدغدي العزيزي.

والشيخ أحمد بن سالم المصري النحوي في شوال بدمشق.

والطاغية هولاءكو بمراغة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وسبع وعشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة السنة السابعة من سلطنة الظاهر بيبرس وهي سنة خمس وستين وستمائة.

فيها توفي بركة خان بن جوجي بن جنكزخان ملك التتار هو ابن عم هولاءكو المقدم ذكره وكانت مملكته عظيمة متسعة جداً وهي بعيدة عن بلادنا وله عساكر وافرة العدد وكان بركة هذا يميل إلى المسلمين ميلاً زائداً ويعظم أهل العلم ويقصد الصلحاء ويتبرك بهم.

ووقع بينه وبين ابن عمه هولاءكو وقاتله بسبب قتله للخليفة المستعصم بالله وغيره من المسلمين وكان بينه وبين الملك الظاهر مودة ويعظم رسله وكان قد أسلم هو وكثير من جنده وبنى المساجد وأقيمت الجمعة ببلاده وكان جواداً عادلاً شجاعاً ومات ببلاده في هذه السنة وهو في عشر الستين وقام مقامه منكوتر.

وفيها توفي الأمير ناصر الدين أبو المعالي حسين بن عزيز بن أبي الفوارس القيمري كان من أكابر الأمراء وأجلهم قدراً وأكبرهم شأناً وكان شجاعاً كريماً عادلاً وكان الملك الظاهر قد جعله مقدم العساكر بالساحل فتوجه إليه فمات به مرابطاً في يوم الأحد ثالث عشر شهر ربيع الأول وهو صاحب المدرسة القيمرية بدمشق وكان عالي الهمة يضاهاى السلاطين في موكله وخيله ومماليكه وحواشيه.

وفيها توفي القاضي تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن محمود بن بحر أبو محمد العلامى الفقيه الشافعى المعروف بابن بنت الأعز كان إماماً عالماً فاضلاً وولى المناصب الجليلة كنظر الدواوين والوزارة وقضاء القضاة ودرس بالشافعى وكانت له مكانة عند الملك الظاهر ومولده سنة أربع عشرة وستمائة ومات ليلة السابع والعشرين من شهر رجب ودفن من الغد بسفح المقطم.

وفيها توفي الشيخ الإمام المحدث تاج الدين أبو الحسين علي بن أحمد بن علي بن محمد بن الحسين بن عبد الله بن أحمد بن ميمون القيسي المصرفى المالكي المعروف بابن القسطلاني ولد سنة ثمان وخمسائة بمصر وبها تفقه وسمع الحديث من جماعة كبيرة وحدث بالكثير ودرس وأفتى وتولى مشيخة دار الحديث الكاملة بالقاهرة إلى أن مات بكره السابع والعشرين من شوال ودفن من يومه بسفح المقطم.

وفيها توفي الشيخ الإمام الفقيه المحدث شمس الدين ملكشاه بن عبد الملك ابن يوسف بن إبراهيم المقدسى الأصل المصرى المولد الدمشقى دار الحنفى المعروف بقاضى

بيسان كان فقيهاً عالمًا فاضلاً مفتيًا في علوم ولد بحارة زويلة بالقاهرة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ومات في سادس عشر صفر بدمشق رحمه الله.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو الحجاج يوسف بن مكتوم السويدي الحبال.

والشيخ الصالح الأثري محمود بن أبي القاسم الدشتي بالقاهرة في رجب.

وقاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن خلف ابن بنت الأعز في رجب وله إحدى وستون سنة.

والعلامة شهاب الدين أبو شامة أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ثم الدمشقي في رمضان وله ست وستون سنة.

والإمام تاج الدين علي ابن الشيخ أبي العباس أحمد بن علي القسطلاني بمصر وله سبع وسبعون سنة.

والسلطان بركة خان بن جوجي بن جنكزخان.

والأمير الكبير ناصر الدين حسين بن عزيز بن أبي الفوارس القيمري صاحب القيمرية.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وأربع عشرة إصبغًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وأربع عشرة إصبغًا.

السنة الثامنة من سلطنة الظاهر بيبرس وهي سنة ست وستين وستمائة.

فيها توفي الرئيس كمال الدين أبو يوسف أحمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الله الحلبي المعروف بابن العجمي كان شاعرًا رئيسًا عالمًا فاضلاً حسن الخط والإنشاء كتب للملك الناصر صلاح الدين يوسف وكان من أعيان الكتاب وأماثلهم بلغ من العمر ستًا وأربعين سنة ومات بظاهر صور من بلاد الساحل في العشر الأول من ذي الحجة وحمل إلى ظاهر دمشق فدفن بها.

ومن شعره في خال مليح قال: الطويل وما خاله ذاك الذي خاله الوري على خده نقطًا من المسك في ورد ولكن نار الخد للقلب أحرقت فصار سواد القلب خالًا على الخد قلت: يعجبني قول ابن صابر المنجنيقي في هذا المعنى: مخلع البسيط أهلاً بوجه كالبدر حسناً صيرني حبه هلالاً قد رق حتى لحظت فيه سواد عيني فخلت خالا ومثل هذا أيضًا قول القائل في هذا المعنى ولم أدر لمن هو غير أنني أحفظه قديمًا وهو في خال تحت العذار: الوافر له خال تغشاه هلال يفوت العين إن نظرت إليه كسحرور تخبأ في سياج مخافة جرح من مقلتيه وفي هذا المعنى للعز الموصلي وأبدع إلى الغاية: السريع قالت قفوا واستمعوا ما جرى قد هام عمي الشيخ في خالي وفي هذا المعنى: مخلع البسيط تفاخر الحسن في انتساب لما بدا خاله الأنيق فقالت العين ذا ابن أختي وقال لي الخد ذا شقيق وقد استوعبنا هذا النوع وغيره في كتابنا حلية الصفات في الأسماء والصناعات فلينظر هناك.

وفيها توفي عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان بن حماد بن علي الموصلي النحوي المترجم كان إمامًا عالمًا أديبًا مفتيًا شاعرًا مات بمصر في يوم الجمعة تاسع شوال.

ومن شعره رحمه الله: البسيط لا تعجن إذا ما فاتك المطلب وعود النفس أن تشقى
وأن تتعب إن دام ذا الفقر في الدنيا فلا تعجب مات الكرام وما فيهم فتى أعقب وفيها
توفي السلطان ركن الدين كيقباد ابن السلطان غياث الدين كيخسرو ابن السلطان علاء
الدين كيقباد بن كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن
قطلمش بن أتسز بن إسرائيل بن سلجوق بن دقماق السلجوقي صاحب الروم كان ملكًا
جليلاً شجاعاً لكنه كان غير سديد الرأي كان جعل أمره بيد البرواناه فاستفحل أمر
البرواناه فأراد ركن الدين هذا قتله فعاجله البرواناه وعمل على قتله حتى قتل وكيقباد
بفتح الكاف وسكون الياء آخر الحروف وضم القاف وفتح الباء ثانية الحروف وبعد الألف
دال مهملة ساكنة.

وكيخسرو مثل ذلك غير أن الخاء المعجمة مضمومة وبعدها سين مهملة ساكنة وراء
مهملة مضمومة.

وقليج أرسلان بكسر القاف واللام وسكون الياء والجيم معًا.

وأرسلان معروف.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أيوب بن أبي بكر عمر
الحمامي ابن الفقاعي.

ومجد الدين أحمد بن عبد الله بن ميسرة الأزدي ابن الحلوانية في شهر ربيع الأول.

والشيخ القدوة إبراهيم بن عبد الله ابن الشيخ أبي عمر المقدسي في شهر ربيع الأول
وله ستون سنة.

وأبو بكر عبد الله بن أحمد بن ناصر النحاس في ذي القعدة.

وفيها قتلت التتار السلطان ركن الدين كيقباد ابن السلطان غياث الدين كيخسرو ابن
السلطان علاء الدين كيقباد صاحب الروم وله ثمان وعشرون سنة وأجلسوا ولده
كيخسرو على التخت وهو ابن عشر سنين.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعا سواء.

السنة التاسعة من سلطنة الظاهر بيبرس

فيها توفي الأمير عز الدين أيمن بن عبد الله الحلبي الصالحي النجمي كان من أكبر أمراء
الدولة وأعظمهم محلاً عند الملك الظاهر وكان نائب السلطنة عنه بالديار المصرية في
غيبته عنها لوثوقه به واعتماده عليه وكان قليل الخبرة لكن رزق السعادة.

قلت: له أسوة بأمثاله.

قال: وكان محظوظاً من الدنيا له الأموال الجمة والمتاجر الكثيرة والأموال الوفيرة.

وأما ما خلفه من الأموال والخيول والجمال والبغال والعدد فيقصر الوصف عنه.

ومات بقلعة دمشق في يوم الخميس سابع شعبان ودفن بترته بجوار مسجد الأمير موسى بن يغمور.

ومات وقد نيف على الستين.

وفيهما توفي الشيخ المحدث عماد الدين محمد بن محمد بن علي أبو عبد الله كان فاضلاً سمع الكثير وومات بدمشق في شهر ربيع الأول ولما كان بحلب كتب إليه أخوه سعد الدين سعد يقول: البسيط ما للنوى رقة ترثي لمكتئب حران في قلبه والدمع في حلب قد أصبحت حلب ذات العماد بكم وجلق إرمًا هذا من العجب الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي زين الدين إسماعيل بن عبد القوي بن عزون الأنصاري في المحرم.

والإمام مجد الدين علي بن وهب القشيري والد ابن دقيق العيد.

والحافظ زين الدين أبو الفتح محمد بن محمد الأبيوردي الصوفي في جمادى الأولى.

واللغوي مجد أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وست عشرة إصبغًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وسبع أصابع.

السنة العاشرة من سلطنة الظاهر بيبرس وهي سنة ثمان وستين وستمائة.

فيها توفي الشيخ موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة الحكيم الفاضل صاحب المصنفات منها طبقات الأطباء.

ومات بصرخد في جمادى الأولى وقد نيف على سبعين سنة وكان فاضلاً عالمًا في الطب والأدب والتاريخ وله شعر كثير من ذلك ما مدح به صاحب أمين الدولة وهي قصيدة طنانة أولها: الوافر فؤادي في محبتهم أسير وأنى سار ركبهم يسير يحن إلى العذيب وساكنيه حنينًا قد تضافنه سعيرو وبهوى نسمة هبت سحيرًا بها من طيب نشرهم عبير وإني قانع بعد التداني بطيف من خيالهم يزور ومعسول اللمي مر التجني يجور على المحب ولا يجير وقد وصلت جفوني فيه سهدي فما هذي القطيعة والنفور وهي طويلة كلها على هذا النمط.

وفيهما توفي الأمير عز الدين أيبك بن عبد الله الظاهري نائب حمص كان فيه صرامة مفرطة وكان موصوفًا بالعسف والظلم وسيرة قبيحة ومع هذه المساوئ كان أيضًا فيه رفض.

ومات بحمص وفرح بموته أهل بلده.

وفيهما توفي الأمير عز الدين أيبك بن عبد الله المعروف بالزراد كان نائب قلعة دمشق وكان من المماليك الصالحية النجمية وكانت حرمة واقرة وسيرته جميلة.

ومات في ذي القعدة.

وفيهما توفي موسى بن غانم بن علي بن إبراهيم بن عساكر بن حسين الأنصاري المقدسي كان كبير القدر صدرًا كبيرًا شجاعًا وافر الحرمة تولى مشيخة الحرم بالقدس الشريف وكان كريمًا وله سمعة وصيت.

مات بالقدس في المحرم وقد جاوز سبعين سنة.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي المحدث زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي في رجب وله ثلاث وتسعون سنة.

وقاضي القضاة محي الدين يحيى بن محمد بن الزكي القرشي في رجب وله اثنتان وسبعون سنة.

وأبو حفص عمر بن محمد بن أبي سعد الكرمانى الواعظ في شعبان وله ثمان وتسعون سنة.

وفيهما قتل في المصاف صاحب أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع واثنتان وعشرون إصبغًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا واثنتان وعشرون إصبغًا.

السنة الحادية عشرة من سلطنة الظاهر بيبرس البندقداري على مصر وهي سنة تسع وستين وستمائة.

ففيها توفي الشيخ شمس الدين أبو إسحاق إبراهيم بن المسلم بن هبة الله بن البارزي الفقيه الحموي الشافعي مولده سنة ثمانين وخمسائة وكان فقيهاً فاضلاً ورعاً وله شعر جيد وأفتى ودرس بمعرة النعمان وغيرها ومات في شعبان بحماة.

ومن شعره رحمه الله يصف دمشق: المتقارب دمشق لها منظر رائق وكل إلى وصلها تائق وأنى يقاس بها بلدة أبى الله والجامع الفارق وفيها توفي القاضي كمال الدين أبو السعادات أحمد بن مقدم بن أحمد بن شكر المعروف بابن القاضي الأعزة كان أحد الأكابر بالديار المصرية متأهلاً للوزارة وغيرها وتولى المناصب الجليلة وفيها توفي الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الصيرفي كان من أعيان الأمراء بالديار المصرية وممن يخشى جانبه فلما تمكن الملك الظاهر بيبرس أخرجه إلى دمشق ليأمن غائلته وأقطعه بها خبزاً جيداً فدام به إلى أن مات ببعلبك وهو في عشر الستين.

وفيهما توفي الأمير قطب الدين سنجر بن عبد الله المستنصري البغدادي المعروف بالياغز كان من مماليك الخليفة المستنصر بالله وكان محترماً في الدولة الظاهرية وعنده معرفة وحسن عشرة ومحاضرة بالأشعار والحكايات.

وفيهما توفي الملك الأمجد تقي الدين عباس ابن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب بن شادي وكنيته أبو الفضل كان محترماً عند الملك الظاهر لا يرتفع عليه أحد في المجالس وهو آخر من مات من أولاد الملك العادل لصلبه وكان دمث الأخلاق حسن العشرة لا تمل مجالسته.

ومات بدمشق في جمادى الآخرة ودفن بسفح قاسيون.

وفيهما توفي قطب الدين عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن نصر بن محمد بن سبعين أبو محمد المرسي الرقوطني الصوفي المعروف بابن سبعين.

قال الذهبي في تاريخ الإسلام: كان صوفياً على قاعدة زهاد الفلاسفة وتصوفهم وله كلائم كثير في العرفان على طريق الاتحاد والزندقة.

وقد ذكرنا محط هؤلاء الجنس في ترجمة ابن الفارض وابن العربي وغيرهما فيا حسرة على العباد! كيف لا يغضبون لله تعالى ولا يقومون في الذب عن معبودهم تبارك الله وتقديس في ذاته عن أن يمتزج بخلقه أو يحل فيهم وتعالى الله عن أن يكون هو عين السموات والأرض وما بينهما فإن هذا الكلام شر من مقالة من قال بقدم العالم.

ومن عرف هؤلاء الباطنية عذرنى أو هو زنديق مبطن للاتحاد يذب عن الاتحادية والحلوية ومن لم يعرفهم فالله يشبهه على حسن قصده.

ثم قال بعد كلام طويل: واشتهر عنه يعني عن ابن سبعين هذا أنه قال: لقد تحجر ابن أمنة واسعًا بقوله: لا نبي بعدي.

ثم ساق الذهبي أيضًا من جنس هذه المقولة أشياء أضربت عنها إجلالًا في حق الله ورسوله لا لأجل هذا النجس.

قلت: إن صح عنه ما نقله الحافظ الذهبي وهو حجة في نقله فهو كافر زنديق مارق من الدين مطرود من رحمة الله تعالى.

انتهى.

والرقوطي نسبة إلى حصن من عمل مرسية يقال له رقوطة.

وفيها توفي الأمير شرف الدين أبو محمد عيسى بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كامل الكردي الهكاري كان أحد أعيان الأمراء سمع الحديث وحدث ومولده سنة ثلاث وتسعين وخمسائة بالقدس وكان أحد الأمراء المشهورين بالشجاعة والإقدام وله وقائع معدودة ومواقف مشهورة مع العدو بأرض الساحل ولي الأعمال الجليلة وقدمه الملك الظاهر بيبرس على العساكر في الحروب غير مرة ومات بدمشق في شهر ربيع الآخر.

ومن شعره مما كتبه للوزير شرف الدين ابن المبارك وزير إربل: الطويل أ أحبنا إن غبت عنكم وكان لي إلى غير مغناكم مراح وإيسام فما عن رضا كانت سليمانى بديلة بليلى ولكن للضرورات أحكام وفيها توفي محمد بن عبد المنعم بن نصر الله بن جعفر بن أحمد بن حواري الفقيه الأديب أبو المكارم تاج الدين التنوخي المعري الأصل الحنفي الدمشقي المولد والدار والوفاة المعروف بابن شقير.

ولد سنة سبع وستمائة وسمع وحدث بدمشق والقاهرة وكان فقيهاً محدثاً فاضلاً بارعاً أديباً وعنده رياسة ومكارم ودمائة أخلاق وحسن محاضرة وهو معدود من شعراء الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن العزيز ومات في صفر.

ومن شعره: السريع قد أقبل الصيف وولى الشتا وعن قريب نشتكى الحرا أما ترى البان بأغصانه قد قلب الفرو إلى برا وقال رحمه الله: الكامل واحيرة القمرين منه إذا بدا وإذا انتنى واخجلة الأغصان كتب الجمال ويا له من كاتب سطرين في خديه بالريحان كأن خط عذار شق عارضه ميدان أس على ورد ونسرين وخط فوق حجاب الدر شاربه بنصف صاد ودار الصدغ كالنون ولمحمد بن يوسف الخياط الدمشقي في معنى العذار: مخلع البسيط عذار حبي دقيق معنى تجل عن حسنه الصفات حلا لرائيه وهو نبت هذا هو السكر النبات ولابن نباتة: الكامل وبمهجتي رشاً يميمس قوامه فكأنه نشوان من شفتيه شغف العذار بخده ورأه قد نعست لواظته فدب عليه وللصفاي: عيناه قد شهدت بانى مخطئ وأنت تخط عذاره تذكارا يا حاكم الحب اتئد في قتلتي فالخط زور والشهود سكارى الذين ذكر

الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الشيخ حسن بن أبي عبد الله بن صدقة الصقلي المقرئ في شهر ربيع الأول وقد نيف على سبعين.

وشيوخ السبعينية قطب الدين عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين المرسي بمكة في شوال وله خمس وخمسون سنة.

ومجد الدين محمد بن إسماعيل بن عثمان بن مظفر بن هبة الله بن عساكر في ذي القعدة.

وقاضي حماة شمس الدين إبراهيم بن المسلم بن البارزي في شعبان وله تسع وثمانون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وإحدى وعشرون إصبغًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا واثنتا عشرة إصبغًا.

السنة الثانية عشرة من سلطنة الظاهر بيبرس وهي سنة سبعين وستمئة.

فيها توفي الملك الأمجد مجد الدين أبو محمد الحسن ابن الملك الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب كان الملك الأمجد هذا من الفضلاء وعنده مشاركة جيدة في كثير من العلوم وله معرفة تامة بالأدب.

وفيها توفي الشيخ عماد الدين عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الرحمن بن طاهر بن محمد بن محمد بن الحسين الحلبي الشافعي المعروف بابن العجمي كان فاضلاً سمع الحديث وتفقه وحدث ودرس وتولى الحكم بمدينة الفيوم من أعمال مصر وغيرها وناب في الحكم بدمشق وكان مشكور السيرة.

ومات بحلب في رابع عشر شهر وفيها توفي الأديب أمين الدين علي بن عثمان بن علي بن سليمان بن علي بن سليمان بن علي أبو الحسن المعروف بأمين الدين السلیماني الصوفي الإربلي الشاعر المشهور ولد سنة اثنتين وستمئة.

ومات بمدينة الفيوم من أعمال مصر في جمادى الأولى وكان فاضلاً مقتدرًا علي النظم وهو من أعيان شعراء الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام وكان أولاً جنديًا ثم ترك ذلك وتزهّد.

ومن شعره وقد أرسل إلى بعض الرؤساء هدية فقال: الطويل هدية عبد مخلص في ولائه لها شاهد منها على عدم المال وليست على قدرتي ولا قدر مالكي ولكنها جاءت على قدر الحال وقال رحمه الله: الوافر ألا فاحفظ لسانك فهو خير وطرفك واستمع نصحي ووعظي فرب عداوة حصلت بلفظ ورب صباية حصلت بلحظ وفيها توفي الرئيس الصدر عماد الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن الحسن بن محمد بن الحسن بن أحمد بن الحسين بن صصرى التغلبي البلدي الأصل الدمشقي المولد والدار والوفاة العدل الكبير مولده سنة ثمان وتسعين وخمسمئة وسمع الكثير وحدث وكان شيخًا جليلًا من بيت العلم والحديث وقد حدث هو وأبوه وجدّه وجد أبيه الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي العلامة الكمال سلار بن الحسن الإربلي الشافعي في جمادى الآخرة ومعين الدين أحمد ابن القاضي زين الدين علي بن يوسف الدمشقي العدل بمصر في رجب.

والإمام جمال الدين عبد الرحمن بن سلمان الحراني البغدادي الحنبلي في شعبان وله خمس وثمانون سنة.

والقاضي عماد الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن الحسن بن هبة الله الدمشقي بن صصرى في ذي القعدة.

والملك الأمد السيد الجليل حسن ابن الناصر داود صاحب الكرك في جمادى الأولى كهلاً.

والصدر وجيه الدين محمد بن علي بن سويد التكريتي التاجر في ذي القعدة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وإصبعان.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وإحدى عشرة إصبعًا.

السنة الثالثة عشرة من سلطنة الظاهر بيبرس وهي سنة إحدى وسبعين وستمائة.

فيها توفي الأديب الفاضل مخلص الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن قرناص الخزاعي الحموي الشاعر المشهور كان أديبًا فاضلاً وله اليد الطولى في النظم ومات ليلي وليك يا سؤلي وبا أملي ضدان هذا به طول وذا قصر وذاك أن جفوني لا يلم بها نوم وجفئك لا يحظى به السهر قلت: وهذا يشبه قول القائل وما أدري أيهما أسبق إلى هذا المعنى وهو: البسيط ليلي وليلى نفي نومي اختلافهما بالطول والطول يا طوبى لو اعتدلا وجود بالطول ليلي كلما بخلت بالطول ليلي وإن جادت به بخلا وفيها توفي الشريف شرف الدين أبو عبد الله محمد بن رضوان بن علي بن أبي المظفر بن أبي العتاهية المعروف بالشريف الناسخ.

مات بدمشق في شهر ربيع الآخر وكان من الفضلاء وله مشاركة في كثير من العلوم وله اليد الطولى في النظم والنثر.

ومن شعره: الكامل عانقته عند الوداع وقد جرت عيني دموعًا كالنجيع القاني ورجعت عنه وطرفه في فترة يملي علي مقاتل الفرسان قلت: وما أحسن قول القاضي ناصح الدين الأرجاني في هذا المعنى: مخلص البسيط إذا رأيت الوداع فاصبر ولا يهمنك البعاد وانتظر العود عن قريب فإن قلب الوداع عادوا وأجاد أيضًا من قال في هذا المعنى: الطويل فكونوا عليه مشفقين فإنه رهين لديكم في الهوى وأسير وفيها توفي المحدث شرف الدين أبو المظفر يوسف بن الحسن بن بدر بن الحسن بن مفرج بن بكار النابلسي الأصل الدمشقي المولد والدار والمنشأ والوفاة المحدث المشهورة كان فاضلاً وسمع الكثير وحدث وكانت لديه فضيلة ومشاركة ومعرفة بالأدب.

ومن شعره: البسيط عرج بعيسك واحبس أيها الحادي عند الكتيب وعرس يمنة الوادي واقر السلام على سكان كاظمة مني وعرض بتهيامي وتسهادي وقل محب بنار الشوق محترق أودى به الوجد خلفناه بالنادي الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الحافظ شرف الدين أبو المظفر يوسف بن الحسن بن النابلسي الدمشقي في المحرم.

وخطيب المقياس أبو الفتح عبد الهادي بن عبد الكريم القيسي المقرئ وله أربع وتسعون سنة في شعبان.

والمحدث شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن عمار بن هامل الحراني في رمضان.

وأبو العباس أحمد بن هبة الله بن أحمد السلمي الكهفي في رجب.

وصاحب التعجيز الإمام تاج الدين أبو القاسم عبد الرحيم بن محمد بن محمد بن يونس الموصلي في جمادى الأولى ببغداد وله ثلاث وسبعون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وإحدى عشرة إصبغًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة السنة الرابعة عشرة من سلطنة الظاهر بيبرس وهي سنة اثنتين وسبعين وستمائة.

فيها ملك الملك الظاهر بيبرس برقة بعد حروب كثيرة.

وفيها توفي صاحب محيي الدين أحمد بن علي بن محمد بن سليم صاحب محيي الدين أبو العباس ابن صاحب بهاء الدين بن حنا في ثامن شعبان بمصر ودفن بسفح المقطم ووجد عليه والده وجدًا شديدًا وعملت له الأعزية والختم وكان فاضلاً وسمع من جماعة وحدث ودرس بمدرسة والده التي أنشأها بزقاق القناديل بمصر إلى حين وفاته.

وفيها توفي المحدث مؤيد الدين أبو المعالي أسعد بن المطفر بن أسعد بن حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي المعروف بابن القلانسي مولده بدمشق سنة ثمان أو تسع وتسعين وخمسائة وسمع الكثير وحدث بدمشق ومصر وهو من البيوتات المشهورة بالحديث والعدالة والتقدم.

ومات في ثالث عشر المحرم ببستانه ظاهر دمشق وكان وافر الحرمة متأهلاً للوزارة كثير الأملak واسع الصدر.

وفيها توفي الأمير فارس الدين أقطاي بن عبد الله الأتابكي المعروف بالمستعرب الصالحي النجمي كان من أكابر الأمراء وأعيانهم وكان الملك المطفر قطز قربه وجعله أتابكا وعلق جميع أمور المملكة به.

فلما تسلطن الملك الظاهر قام معه وحلف له وسلطنه فلم يسع الملك الظاهر إلا أن أبقاه على حاله وصار الظاهر في الباطن يتبرم منه ولا يسعه إلا تعظيمه لعدم وجود من يقوم مقامه فإنه كان من رجال الدهر حزمًا وعزمًا ورأيًا فلما أنشأ الملك الظاهر بيبيك الخازندار أمره بملازمته والاقتياس منه فلأزمه مدة فلما علم الظاهر منه الاستقلال جعله مشاركًا له في الجيش وقطع الرواتب التي كانت لأقطاي المذكورة فجمع أقطاي نفسه وتعلل قريب السنة وصار يتداوى إلى أن مات وكان أظهر أن به طرف جذام ولم يكن به شيء من ذلك رحمه الله تعالى.

وفيها توفي مجاهد بن سليمان بن مرهف بن أبي الفتح التميمي المصري الخياط الشاعر المشهور وكان يعرف بابن أبي الربيع.

ومات في جمادى الآخرة بالقرافة الكبرى وكان بها سكنه وبها دفن وكان فاضلاً أديبًا ومن شعره في أبي الحسين الجزار وكان بينهما مهاجاة: المجتث أبا الحسين تأدب ما الفخر بالشعر فخر وما ترشحت منه بقطرة وهو بحر وفيه يقول أيضا: مخلع البسيط إن تاه جزاركم عليكم بفظنة عنده وكيس ومن شعره قوله لغز في إبرة وكستبان: السريع ثلاثة في أمر خصمين إلفين لكن غير إلفين هما قريبان وإن فرقت بينهما الأيام فرقين فواحد

يعضده واحد ويعضد الآخر باثنين تراهما بينهما وقعة إذ تقع العين على العين وفيها توفي الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن سليمان بن عبد الملك بن علي المعافري الشاطبي المقرئ الزاهد نزيل الإسكندرية قرأ بالسبع في الأندلس وبرع في القراءات والتفسير وله تفسير صغير.

ومات في العشرين من شهر رمضان وله سبع وثمانون سنة.

وفيها توفي الشيخ الإمام العلامة فريد عصره جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك النحوي الجياني الشافعي الطائي العالم المشهور صاحب التصانيف في النحو والعربية نزيل دمشق.

مولده سنة إحدى وستمئة وسمع الحديث وتصحر بحلب لإقراء العربية وصرف همته إلى النحو حتى بلغ فيه الغاية وصنف التصانيف المفيدة وكان إمامًا في القراءات وصنف فيها أيضًا قصيدة مرموزة في مقدار الشاطبية وكان إمامًا في اللغة.

قلت: وشهرته تغني عن الإطناب في ذكره.

ومات في ثاني عشر شعبان وقد نيف على الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي مؤيد الدين أسعد ابن المظفر التميمي ابن القلانسي عن ثلاث وسبعين سنة في المحرم والسيد نجيب الدين عبد اللطيف بن أبي محمد عبد المنعم بن الصيقل الحراني في صفر وله خمس وثمانون سنة.

والمسند تقي الدين إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر التنوخي الكاتب في صفر وله ثلاث وثمانون سنة.

وأبو عيسى عبد الله بن عبد الواحد بن محمد بن علاق الأنصاري الرزاز في شهر ربيع الأول عن ست وثمانين سنة.

والقاضي كمال الدين عمر بن بندار التفليسي بمصر في شهر ربيع الأول وقد جاوز السبعين.

والمحدث نجم الدين علي بن عبد الكافي الربعي الشافعي في شهر ربيع الآخر شابًا.

والشيخ كمال الدين عبد العزيز بن عبد المنعم في شعبان عن ثلاث وثمانين سنة.

والعلامة جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني في شعبان عن نحو سبعين سنة.

والأمير الكبير أتابك المستعرب واسمه فارس الدين أقطاي الصالحي وقد ولي نيابة المظفر قطز توفي في جمادى الأولى.

والزاهد الكبير الشيخ محمد بن سليمان الشاطبي بالإسكندرية.

وخوaja نصير الدين الطوسي في ذي الحجة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وإحدى وعشرون إصبغًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وست أصابع.

وهي سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

فيها كانت أعجوبة في السابع والعشرين من شعبان وهو أنه وقع رمل بمدينة الموصل ظهر من القبلة وانتشر يمينًا وشمالًا حتى ملأ الآفاق وعميت الطرق فخرج العالم إلى ظاهر البلد ولم يزلوا يبتهلون إلى الله تعالى بالدعاء إلى أن كشف الله ذلك عنهم.

وفيها توفي الأمير شهاب الدين أبو العباس أحمد بن موسى بن يغمور بن جلدك.

وقد تقدم ذكر والده الأمير جمال الدين موسى.

كان شهاب الدين هذا معروفًا بالشجاعة والشهامة والصرامة والحرمة ولاه الملك الظاهر المحلة وأعمالها من الغربية من إقليم مصر فهذبها ومهد قواعدها وأباد المفسدين بها بحيث إنه قطع من الأيدي والأرجل ما لا يحصى كثرة وشنق ووسط فخافه البريء والسقيم.

ومات بالمحلة في الرابع والعشرين من جمادى الأولى وكان عنده رياسة وحشمة وبر لمن يقصده وله نظم وعنده فضيلة.

ومن شعره يخاطب الأمير علم الدين الدواداري: الخفيف إن صدتم عن منزلي فلکم في - - ه ثناء كنشر روض بهي أو رددتم فأننا المحب الذي من آل موسى في الجانب الغربي وله: مخلع البسيط خضد قلبي وعم غيري يا ليتني مت قبل هذا وله في مליح نحوي: الخفيف ومليح تعلم النحو يحكي مشكلات له بلفظ وجيز ما تميزت حسنه قط إلا قام أيري نصبًا على التمييز وفيها هلك بيمند الفرنجي متملك طرابلس بها في العشر الأول من شهر رمضان ودفن في كنيسة بها وتملك بعده ابنه وكان حسن الشكل مليح الصورة.

وفيها توفي الشيخ الإمام أبو محمد شمس الدين عبد الله ابن شرف الدين محمد بن عطاء الأفرعي الأصل الدمشقي الوفاة الحنفي كان إمامًا فقيهاً مفتيًا عالمًا مفتيًا أفتى ودرس بعدة مدارس وهو أول قاض ولي القضاء استقلالاً بدمشق من الحنفية في العصر الثاني.

وأما أول الزمان فوليها جماعة كثيرة من العلماء في أوائل الدولة العباسية.

وحسنت سيرته في القضاء إلى الغاية وقصته مع الملك الظاهر بيبرس مشهورة لما أوقع الظاهر الحوطة على الأملاك والبساتين بدمشق وقعد الظاهر في دار العمل بدمشق وجرى الحديث في هذا المعنى بحضور القضاة الأربعة والعلماء وغيرهم فكل من القضاة الآن له القول وخشي سطوة الملك الظاهر إلا شمس الدين هذا فإنه صدع بالحق وقال: ما يحل لمسلم أن يتعرض لهذه الأملاك والبساتين فإنها بيد أربابها ويدهم ثابتة عليها.

فغضب الملك الظاهر من هذا القول وقام من دار العدل وقال: إذا كنا ما نحن مسلمون إيش قعودنا فشرع الأمراء يتألفوه ولا زالوا به حتى سكن غضبه فلما رأى الظاهر الظاهر صلابة دينه حظي عنده وقال: أثبتوا كتبنا عند هذا القاضي الحنفي وعظم في عينه وهابه.

وكان من العلماء الأعيان تام الفضيلة وافر الديانة كريم الأخلاق حسن العشرة كثير التواضع عديم النظيرة وانتفع بعلمه جم غفير رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الشيخ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد بن محمد التكريتي الجد الموصلية الأب الدمشقي المولد المحلي الوفاة المعروف بابن

الطحان الشهير بالحافظ اليعموري كان فاضلاً سمع الكثير بعدة بلاد وكان له مشاركة في فنون وكان أديباً شاعراً.

ومن شعره: الرمل رجع الود على رغم الأعادي وأتى الوصل على وفق مرادي ما على الأيام ذنب بعد ما كفر القرب إساءات البعاد الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الحافظ وجيه الدين أبو المظفر منصور بن سليم الهمداني بالإسكندرية في شوال.

وقاضي القضاة شمس الدين عبد الله بن محمد بن عطاء الحنفي في جمادى الأولى وهو في عشر الثمانين.

وأبو الفتح عمر بن يعقوب الإربلي الصوفي أمر النيل في هذه السنة المباركة: الماء القديم خمس أذرع وأربع أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وثلاث أصابع.

السنة السادسة عشرة من سلطنة الظاهر بيبرس وهي سنة أربع وسبعين وستمائة.

فيها توفي الأمير عز الدين أبو محمد أيك بن عبد الله الإسكندراني الصالحي النجمي كان أستاذه الملك الصالح نجم الدين أيوب يثق به ويعتمد عليه وولاه الشوبك وجعل عنده جماعة كثيرة من خواصه: منهم الأمير عز الدين أيدير الحلبي والأمير سنجر الحصني والأمير أيك الزراد وكان عنده كفاية وخبرة تامة وصرامة شديدة ومهابة عظيمة يقيم الحدود على ما تجب ثم نقل في عدة وظائف إلى أن مات في شهر رمضان بقلعة الرحبة ودفن بظاهرها.

وفيها توفي الحسن بن علي بن الحسن بن ماهك بن طاهر أبو محمد فخر الدين الحسيني نقيب الأشراف وابن نقيبهم مولده سنة ثمانين وستمائة ومات يوم الأحد تاسع شهر ربيع الأول ببعلبك وكان عنده فضيلة ومعرفة بأنساب العلوي ونظم نظماً متوسطاً وكان مبدراً للأموال.

وفيها توفي الأمير الكبير ركن الدين خاص ترك بن عبد الله الصالحي النجمي وكان شجاعاً وفيها توفي الشيخ زين الدين أبو المظفر عبد الملك بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الرحمن بن طاهر الحلبي الشافعي المعروف بابن العجمي مولده بحلب سنة إحدى وتسعين وخمسمائة وسمع الحديث وحدث وكان شيخاً فاضلاً.

مات في ذي القعدة بالقاهرة ودفن بسفح المقطم وهو خال قاضي القضاة كمال الدين أحمد ابن الأستاذ.

وفيها توفي الشيخ بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن عبيد الله.

كان صدرًا كبيرًا عالمًا فاضلاً شاعراً.

مات بالقاهرة ودفن بالقرافة وهو في عشر الستين.

ومن شعره رحمه الله تعالى: مجزوء الكامل ولقد شكوت لمتلفي حالي ولطفت العبارة فكأنني أشكو إلى حجر وإن من الحجارة وله: الكامل يا راحلاً قد كدت أقضي بعده أسقاً وأحشائي عليه تقطع شط المزار فما القلوب سواكن لكن دمع العين بعدك ينبع وفيها

توفي الشيخ الإمام تاج الدين أبو الثناء محمود بن عابد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن جعفر بن عمارة بن عيسى بن علي بن عمارة التميمي الصرخدي الحنفي مولده سنة ثمان وسبعين وخمسائة بصرخدا.

ومات ليلة الجمعة السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر بدمشق ودفن بمقابر الصوفية عند قبر شيخه جمال الدين الحصري كان من الصلحاء العلماء العاملين كان كثير التواضع قنوعًا من الدنيا معرضًا عنها وكانت له وجهة عظيمة عند الملوك وانتفع به جم غفير من الطلبة وكانت له اليد الطولى في النظم والنثر.

ومن شعره قوله: مخلص البسيط ما نلت من حب من كلفت به إلا غرامًا عليه أو ولها ومحتتي في هواه دائرة آخرها ما يزال أولها قلت: وأرشق من هذا من قال: مجزوء الرجز محبتي ما تنقضي لجفوة تبطلها كأنها دائرة آخرها أولها الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي المحدث مكين الدين أبو الحسن بن عبد العظيم الحصري المصري في رجب وله أربع وسبعون سنة.

وسعد الدين أبو الفضل محمد بن مهلهل بن بحران الأنصاري الجبتي المصري سمع الأرتاحي.

وتوفي تاج الدين محمود بن عابد التميمي الصرخدي الحنفي الشاعر المشهور في شهر ربيع الآخر عن نيف وتسعين سنة.

وسعد الدين الخضر ابن شيخ الشيوخ تاج الدين عبد الله ابن شيخ الشيوخ أبي الفتح عمر بن حمويه الجويني في ذي الحجة عن ثلاث وثمانين سنة.

وأبو الفتح عثمان بن هبة الله بن عبد الرحمن بن مكى بن إسماعيل بن عوف الزهري آخر أصحاب ابن موقا في شهر ربيع الآخر بالإسكندرية.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم القاعدة لم تحرر لاختلاف المؤرخين.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وخمس عشرة إصبغًا.

السنة السابعة عشرة من سلطنة الظاهر بيبرس

وهي سنة خمس وسبعين وستمائة.

فيها توفي إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر أبو إسحاق الحموي الكناني المعروف بابن جماعة سمع الفخر بن عساكر وغيره وحدث.

ومولده يوم الاثنين منتصف رجب سنة ست وتسعين وخمسائة بحماة وهو والد القاضي بدر الدين بن جماعة.

ومات يوم عيد النحر.

وفيها توفي الأمير ناصر الدين محمد بن أيك الإسكندري وكان ممن جمع بين حسن الصورة وحسن السيرة ووفور العقل والرياسة ومكارم الأخلاق.

ومات غربقًا مر بفرسه على جسر حجر فزلق الفرس ووقع به في النهر وخرج الفرس سباحة ومات هو.

فكان الجلال بن الصفار يا أيها الرشأ المكحول ناظره بالسحر حسبك قد أحرقت أحشائي
إن انغماسك في التيار حقق أ - - ن الشمس تغرب في عين من الماء أو بقوله أيضًا.

وقيل إنهما لأبي إسحاق الشيرازي والله أعلم: الطويل غريق كان الموت رق لحسنه فلان
له في صفحة الماء جانبه أبي الله أن يسلوه قلبي فإنه توفاه في الماء الذي أنا شاربه
وفيها توفي الشيخ المعتقد الصالح أبو الفتيان أحمد بن علي بن إبراهيم بن أبي بكر
المقدسي الأصل البدوي المعروف بأبي اللثامين السطوحى.

مولده سنة ست وتسعين وخمسائة وتوفي في سنة خمس وسبعين في شهر ربيع الأول
ودفن بطندتا وقبره يقصد للزيارة هناك وكان من الأولياء المشهورين وسمي بأبي
اللثامين لملازمته اللثامين صيفًا وشتاءً وكان له كرامات ومناقب جمّة رحمه الله تعالى
ونفعنا ببركاته.

وفيها توفي العلامة بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد
الرحمن بن محمد بن حفاظ السلمى الحنفى المعروف بابن الفويرة.

مات بدمشق في يوم السبت حادي عشرين جمادى الأولى وقال الحافظ عبد القادر في
طبقاته: رأيت بخط الحافظ الدمياطى في مشيخته أنه توفي ليلة الجمعة فجأة منتصف
شهر ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وستمائة.

وكان إمامًا عالمًا متبحرًا في العلوم درس بالشبلية بجبل الصالحية وأفتى سنين وبرع في
الفقه والحربية وسمع الكثيرة وكان يكتب خطًا حسنًا وله معرفة أيضًا بالأصول والأدب
وله نظم رائع وكان رئيسًا وعنده ديانة ومروءة ومكارم أخلاق.

ومن شعره: السريع وشاعر يسحرني طرفه ورقة الألفاظ من شعره أنشدني نظمًا بديعًا
فما أحسن ذاك النظم من ثغره وله في معذر: مجزوء الكامل عانيت حبة خاله في روضة
من جنار فغدا فؤادي طائرًا فاصطاده شرك العذار وله: البسيط كانت دموعي حمرا يوم
بينهم فمد نأوا قصرتها لوعة الحرق قطفت باللحظ وردًا من خدودهم فاستقطر البعد ماء
الورد من حدقي وقيل إنه رئى في المنام بعد موته فسئل عما لقي بعد موته فكان
جوابه: السريع ما كان لي من شافع عنده إلا اعتقادي أنه واحد وفيها توفي الشيخ شمس
الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن منصور الحراني الحنبلى كان فقيهاً إمامًا
عالمًا عارفاً بعلم الأصول والخلاف والفقه ودرس وأفتى واشتغل أعلى الشيخ علم الدين
القاسم في الأصول والعربية ومات في جمادى الأولى.

ومن شعره قوله: الرمل طار قلبي يوم ساروا فرقا وسواء فاض دمعي أو رقا حار في
سقمي من بعدهم كل من في الحي داوى أو رقى بعدهم لا طل وادي المنحنى وكذا بان
الحمى لا أورقا وفيها توفي الأديب الشاعر شهاب الدين أبو المكارم محمد بن يوسف بن
مسعود بن بركة الشيباني التلعفري الشاعر المشهور مولده سنة ثلاث وتسعين
وخمسائة بالموصل ومات بحماة في شوال.

كان أديبًا فاضلاً حافظًا للأشعار وأيام العرب وأخبارها وكان يتشيع وكان من شعراء الملك
الأشرف موسى شاه أرمن وكان التلعفري هذا مع تقدمه في الأدب وبراعته ابتلي بالقمار
ووقع له بسبب القمار أمور منها: أنه نودي بحلب من قبل السلطان: من قامر مع
الشهاب التلعفري قطعنا يده فضاقت عليه الأرض فجاء إلى دمشق ولم يزل يستجدي
ويقامر حتى بقي في أتون من الفقر.

قلت: وديوان شعره لطيف في غاية الحسن وهو موجود بأيدي الناس.

ومن شعره قصيدته المشهورة: الخفيف حملته الرياح أسرار عرف أودعتها السحائب
الهطاله يا خليلي وللخليل حقوق واجبات الأحوال في كل حاله سل عقيق الحمى وقل إذ
تراه خاليًا من طبائه المختاله أين تلك المراشف العسلي - - ات وتلك المعاطف العساله
وليال قضيتها كلال بغزال تغار منه الغزاله بابلي الألحاط والريق والأل - - فاظ كل مدامة
سلساله من بني الترك كلما جذب القو - - س رأينا في برجه بدر هاله أوقع الوهم حين
يرمي فلم ند - - ر يده أم عينه النباله قلت لما لوى ديون وصالي وهو مثر وقادر لا محاله
بيننا الشرع قال سر بي فعندي من صفاتي لكل دعوى دلالة وشهودي من خال خدي ومن
قد - - ي شهود معروفة بالعداله أنا وكلت مقلتي في دم الخل - - ق فقالت: قبلت هذي
الوكاله وأثيلات النقا من لعلع يا خليلي قف على الدار معي وتأمل كم بها من مصرع
واحترز واحذر فأحداق الدمى كم أراقت في رباها من دم حظ قلبي في الغرام الوله
فعدولي فيه ما لي وله حسبي الليل فما أطوله لم يزل آخره أوله في هوى أهيف
معسول اللمى ريقه كم قد شفى من ألم وله في القمار: الرجز ينشرح الصدر لمن
لاعيني والأرض بي ضيقة فروجها كم شوشت شهوتها عقلي وكم عهدًا سقتني عامدًا
بنوجها الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي القاضي شمس الدين
علي بن محمود الشهرزوري مدرس القيمرية في شوال.

والشيخ قطب الدين أحمد بن عبد السلام بن أبي عصرون بحلب في جمادى الآخرة.

والإمام شمس الدين محمد بن عبد الوهاب بن منصور الحراني الحنبلي في جمادى
الأولى.

والشهاب محمد بن يوسف بن مسعود التلعفري الشاعر بحماة في شوال وله ثلاث
وثمانون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وثلاث عشرة إصبغًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وإحدى عشرة إصبغًا.

سلطنة الملك السعيد محمد ابن الملك الظاهر بيبرس على مصر هو السلطان الملك
السعيد ناصر الدين أبو المعالي محمد المدعو بركة خان ابن السلطان الملك الظاهر
بيبرس البندقداري الصالحي النجمي الخامس من ملوك الترك بمصر.

سمي بركة خان على اسم جده لأمه بركة خان بن دولة خان الخوارزمي.

تسلطن الملك السعيد هذا في حياة والده حسب ما ذكرناه في ترجمة والده في يوم
الخميس تاسع صفر سنة سبع وستين وستمئة.

وأقام على ذلك سنين وليس له من السلطنة إلا مجرد الاسم إلى أن توفي أبوه الملك
الظاهر بيبرس في يوم الخميس بعد صلاة الظهر التاسع والعشرين من المحرم من سنة
ست وسبعين وستمئة بدمشق.

اتفق رأي الأمراء على إخفاء موت الظاهر وكتب الأمير بيليك الخازندار عرف الملك
السعيد هذا بذلك على يد الأمير بدر الدين بكتوت الجوكندار الحموي وعلى يد الأمير علاء
الدين أيدغمش الحكيمي الجاشنكير.

فلما بلغ الملك السعيد موت والده الملك الظاهر أخفاه أيضا وخلع عليهما وأعطى كل
واحد منهما خمسين ألف درهم على أن ذلك بشارة بعود السلطان إلى الديار المصرية.

وسافرت العساكر من دمشق إلى جهة الديار المصرية فدخلوها يوم الخميس سادس
عشرين صفر من سنة ست وسبعين وستمائة ومقدمهم الأمير بدر الدين بيليك الخازندار
ودخلوا مصر وهم يخفون موت الملك الظاهر في الصورة الظاهرة وفي صدر الموكب
مكان تسيير السلطان تحت العصائب محفة وراءها السلحدارية والجمدارية وغيرهم من
أرباب الوظائف توهم أن السلطان في المحفة مريض هذا مع عمل جد في إظهار ناموس
السلطنة والحرمة للمحفة والتأدب مع من فيها حتى تم لهم ذلك.

قلت: لله درهم من أمراء وحاشية ولو كان ذلك في عصرنا هذا ما قدر الأمراء على إخفاء
ولما وصلوا إلى قلعة الجبل ترجل الأمراء والعساكر بين يدي المحفة كما كانت العادة في
الطريق في كل منزلة من حين خروجهم من دمشق إلى أن وصلوا إلى قلعة الجبل من
باب السر وعند دخولها إلى القلعة اجتمع الأمير بدر الدين بيليك الخازندار بالملك السعيد
هذا وكان الملك السعيد لم يركب لتلقيهم وقبل الأرض ورمى بعمامته ثم صرخ وقام
العزاء في جميع القلعة ولوقتهم جمعوا الأمراء والمقدمين والجند وحلفوهم بالإيوان
المجاور لجامع القلعة للملك السعيد واستثبت له الأمر على هذه الصورة وخطب له يوم
الجمعة سابع عشرين صفر بجوامع القاهرة ومصر وصلي على والده صلاة الغائب.

ومولد الملك السعيد هذا في صفر سنة ثمان وخمسين وستمائة وقيل: سنة سبع
وخمسين بالعش من ضواحي مصر ونشأ بديار مصر تحت كنف والده إلى أن سلطنه في
حياته كما تقدم ذكره.

وأما الأمير بدر الدين بيليك الخازندار فإنه لم تطل مدته ومات في ليلة الأحد سابع شهر
ربيع الأول.

وخلع الملك السعيد على الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقاني بناية السلطنة عوضًا
عن بيليك الخازندار المذكور.

وفي سادس عشر شهر ربيع الأول يوم الأربعاء ركب السلطان الملك السعيد من القلعة
تحت العصائب على عادة والده وسار إلى تحت الجبل الأحمر وهذا أول ركوبه بعد قدوم
العسكر ثم عاد وشق القاهرة وسر الناس به سرورًا زائدًا وكان عمره يومئذ تسع عشرة
سنة وطلع القلعة وأقام إلى يوم الجمعة خامس وعشرين شهر ربيع الأول المذكور قبض
على الأمير سنقر الأشقر وعلى الأمير بدر الدين بيسري وحبسهما بقلعة الجبل.

ثم في يوم السبت ثامن عشر شهر ربيع الآخر قبض الملك السعيد على الأمير آق سنقر
الفارقاني نائب السلطنة بديار مصر المقدم ذكره.

ثم في تاسع عشر الشهر المذكور أفرج الملك السعيد عن الأمير سنقر الأشقر وبيسري
وخلع عليهما وأعادهما إلى مكاتهما.

وفي يوم الاثنين رابع جمادى الأولى فتحت المدرسة التي أنشأها الأمير آق سنقر
الفارقاني المجاورة للوزيرية بالقاهرة وجعل شيخها على مذهب أبي حنيفة رضي الله
عنه.

وفي يوم الجمعة خامس عشره قبض الملك السعيد على خاله الأمير بدر الدين محمد
ابن الأمير حسام الدين بركة خان الخوارزمي وحبسه بقلعة الجبل لأمر نقمه عليه ثم
أفرج عنه في ليلة خامس عشره وخلع عليه وأعادته إلى منزلته.

وكان الملك السعيد هذا أمر ببناء مدرسة لدفن أبيه فيها حسب ما أوصى به والده فنقل تابوت الملك الظاهر بيبرس في ليلة الجمعة خامس شهر رجب من قلعة دمشق إلى التربة المذكورة بدمشق داخل باب الفرج قبالة المدرسة العادية والتربة المذكورة كانت دار الشريف العقيقي فاشترت وهدمت وبنى موضع بابها قبة الدفن وفتح لها شبابيك على الطريق وجعل بقبة الدار مدرسة على فريقين: حنفية وشافعية.

وكان دفنه بها في نصف الليل ولم يحضره سوى الأمير عز الدين أيدير الظاهري نائب الشام ومن الخواص دون العشرة لا غير.

ثم وقع الاهتمام إلى السفر للبلاد الشامية وتجهز السلطان والعساكر.

فلما كان يوم السبت سابع ذي القعدة برز الملك السعيد بالعساكر من قلعة الجبل إلى مسجد التبن خارج القاهرة فأقام به إلى يوم السبت حالي عشرينه انتقل بخواصه إلى الميدان الذي أنشأه بين مصر والقاهرة ودخلت العساكر إلى منازلهم وبطلت حركة السفر بعد أن أعاد قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان إلى قضاء دمشق وأعمالها من العريش إلى سلمية وتوجه ابن خلكان إلى الشام وطلع الملك السعيد إلى قلعة الجبل وأبطل حركة السفر بالكلية إلى وقت يريده حسب ما وقع الاتفاق عليه واستمر بالقلعة إلى أن أمر العساكر بالتأهب إلى السفر وتجهز هو أيضًا لأمر اقتضى ذلك.

وخرج من الديار المصرية في العشر الأوسط من ذي القعدة من سنة سبع وسبعين وستمئة وخرج من القاهرة بعساكره وأمرائه وسار حتى وصل إلى الشام في خامس ذي الحجة فخرج أهل دمشق إلى ملتقاه وزينوا له البلد وسرورًا بقدمه سرورًا زائدًا.

وعمل عيد النحر بقلعة وورد عليه الخبر بموت صاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن حنا بالقاهرة فقبض السلطان على حفيده صاحب تاج الدين محمد وضرب الحوطة على موجوده بسبب موت جده صاحب بهاء الدين المذكور.

ثم أرسل السلطان الملك السعيد إلى برهان الدين الخضر بن الحسن السنجاري باستقراره وزيرًا بالديار المصرية ثم خلع السلطان علي صاحب فتح الدين عبد الله بن القيسراني بوزارة دمشق وبسط يده في بلاد الشام وأمر القضاة وغيرهم بالركوب معه.

ثم جهز السلطان العساكر إلى بلاد سويس للنهب والإغارة ومقدمهم الأمير سيف الدين قلاوون الألفي.

وأقام الملك السعيد بدمشق في نفر يسير من الأمراء والخواص فصار في غيبة العسكر يكثر التردد إلى الربعية من قرى المرح يقيم فيها أيامًا ثم يعود.

ثم أسقط السلطان ما كان قرره والده الملك الظاهر على بساتين دمشق في كل سنة فسر الناس بذلك وتضاعفت أدعيتهم له واستمر السلطان بدمشق إلى أن وقع الخلف في العشر الأوسط من شهر ربيع الأول من سنة ثمان وسبعين بين المماليك الخاصكية الملازمين لخدمته وبين الأمراء لأمور يطول شرحها.

وعجز الملك السعيد عن تلافي ذلك وخرج عن طاعته الأمير سيف الدين كويدك الظاهري نائب السلطنة ومقدم العساكر مغاضبًا للسلطان الملك السعيد وخرج معه نحو أربعمئة مملوك من الظاهرية: منهم جماعة كثيرة مشهورة بالشجاعة ونزلوا بمنزلة القطيفة في انتظار العساكر التي ببلاد سويس ففي العشر الأخير من شهر ربيع الأول عادت العساكر

من بلاد سبب إلى جهة دمشق فنزلوا بمرج عذراء إلى القصير وكان قد اتصل بهم سيف الدين كوندك ومن معه واستمالوهم فلم يدخل العسكر دمشق وأرسلوا إلى الملك السعيد في معنى الخلف الذي حصل بين الطائفتين وكان كوندك مائلاً إلى الأمير بيسري.

ولما اجتمع بالأمير سيف الدين قلاوون الألفي والأمير بدر الدين بيسري والأمراء الكبار أوحى إليهم عن السلطان ما غلت صدورهم وخوفهم من الخاصكية وعرفهم أن نيتهم لهم غير جميلة وأن الملك السعيد موافق على ذلك وأكثر من القول المختلق فوقع الكلام بين الأمراء الكبار وبين السلطان الملك السعيد وترددت الرسل بينهم فكان من جملة ما اقترح الأمراء على الملك السعيد إبعاد الخاصكية عنه وألا يكون لهم في الدولة تدبير ولا حديث بل يكونوا على أخبارهم ووظائفهم مقيمين فلم يجب الملك السعيد إلى ذلك نرحل العسكر من مرج عذراء إلى ذيل عقبة الشحورة بأسرهم ولم يعبروا المدينة بل جعلوا طريقهم من المرج وأقاموا بهذه المنزلة ثلاثة أيام والرسل تتردد بينهم وبين الملك السعيد ثم رحلوا ونزلوا بمرج الصفر وعند رحيلهم رجع الأمير عز الدين أيدمر الظاهري نائب الشام وأكثر عسكر دمشق وقدموا مدينة دمشق ودخلوا في طاعة السلطان.

وفي يوم رحيلهم من مرج الصفر سير الملك السعيد والدته بنت بركة خان في محفة وفي خدمتها الأمير شمس الدين قراسنقر وكان من الذين لم يتوجهوا إلى بلاد سبب ولحقوا العسكر فلما سمعوا بوصولها خرج الأمراء الأكابر المقدمون لملتها وترجلوا بأجمعهم وقبلوا الأرض أمام المحفة وبسطوا الحرير العتابي وغيره تحت حوافر بغال المحفة ومشوا أمام المحفة حتى نزلت في المنزلة فلما استقرت بها تحدثت معهم في الصلح والانقياد واجتماع الكلمة فذكروا ما بلغهم من تغير السلطان عليهم وموافقته الخاصكية على ما يرومونه من إمساكلهم وإبعادهم فحلفت لهم على بطلان ما نقل إليهم فاشترطوا شروطاً كثيرة التزمت لهم بها وعادت إلى ولدها وعرفته الصورة فمنعه من حوله من الخاصكية من الدخول تحت تلك الشروط وقالوا: ما القصد إلا إبعادنا عنك حتى يتمكنوا منك وينزعوك من الملك فمال إلى كلامهم وأبى قبول تلك الشروط.

فلما بلغ العسكر ذلك رحل من مرج الصفر قاصداً الديار المصرية فخرج السلطان الملك السعيد بنفسه فيمن معه من الخاصكية جريدة وساق في طلبهم ليتلافى الأمر إلى أن بلغ رأس الماء فوجدهم قد عموه وأبعدوا فعاد من يومه ودخل قلعة دمشق في الليل وهي ليلة الخميس سلخ شهر ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وستمائة.

وأصبح في يوم الجمعة مستهل شهر ربيع الآخر خرج السلطان الملك السعيد بجميع من تخلف معه من العساكر المصرية والشامية إلى جهة الديار المصرية بعد أن صلى الجمعة بها وسار بمن معه في طلب العساكر المقدم ذكرهم وجهاز والدته وخزائنه إلى الكرك وسار حتى وصل إلى بلبس يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر المذكور فوجد العسكر قد سبقه إلى القاهرة فأمر بالرحيل من بلبس فلما أخذت العساكر في الرحيل من بلبس بعد العصر فارق الأمير عز الدين أيدمر الظاهري نائب الشام وصحبته أكثر أمراء دمشق السلطان الملك السعيد وانضاف إلى المصريين وبلغ الملك السعيد ذلك فلم يكثرث وركب بمن بقي معه من خواصه وعساكره وسار بهم حتى وصل ظاهر القاهرة وكان نائبه بالديار المصرية الأمير عز الدين أيبك الأفرم وهو بقلعة الجبل والعساكر محدقة بها فتقدم الملك السعيد بمن معه لقتال العساكر وكان الذي بقي مع السلطان الملك السعيد جماعة قليلة بالنسبة إلى من يقاتلونه ووقع المصاف بينهم وتقاتلوا فحمل الأمير سنجر الحلبي من جهة الملك السعيد وشق الأطلاب ودخل إلى قلعة الجبل بعد أن قتل من الفريقين نفر بيسير وملك القلعة وشال علم السلطان ثم نزل وفتح للملك السعيد طريقاً وطلع به إلى القلعة.

وأما سنقر الأشقر فإنه بقي في المطرية وحده وصار لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

ولما طلع السلطان إليها أحاطت العساكر بها وحاصروها وقاتلوا من بها قتالاً شديداً وضائقوها وقطعوا الماء الذي يطلع إليها وزحفوا عليها فجدوا في القتال ورأى الملك السعيد تخلي من كان معه وتخاذل من بقي من الخاصكية وعلم أنه لا طاقة له بهم وكان المشار إليه في العسكر المخامر الأمير سيف الدين قلاوون الألفي وهو حمو الملك السعيد فإن الملك السعيد كان تزوج ابنته قبل ذلك بمدة فجرت المراسلات بينهم وكثر الكلام وترددت الرسل غير مرة حتى استقر الحال على أن الملك السعيد يخلع من السلطنة وينضبون في السلطنة أخاه بدر الدين سلامش ابن الملك الظاهر بيبرس ويقطعون الملك السعيد هذا وأخاه نجم الدين خضرا الكرك والشوبك وأعمالهما فسير الملك السعيد الأمير علم الدين سنجر الحلبي والقاضي تاج الدين محمد بن الأثير إلى الأمير سيف الدين قلاوون وأعيان الأمراء ليستوثق لنفسه منهم فحلفوا على الوفاء بما التزموه من إعطاء الكرك والشوبك له ولأخيه.

وخرج من قلعة الجبل يوم الأحد سابع عشر شهر ربيع الآخر المذكور ونزل إلى دار العدل التي على باب القلعة وكانت مركز الأمير قلاوون في حال المصاف والقتال وكان الحصار ثلاثة أيام بيوم القدوم لا غير.

ولما حضر الملك السعيد إلى عند قلاوون أحضر أعيان القضاة والأمراء والمفتين وخلعوا الملك السعيد هذا من السلطنة وسلطنوا مكانه أخاه بدر الدين سلامش ولقبوه بالملك العادل سلامش وعمره يومئذ سبع سنين وجعلوا أتابكه الأمير سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي النجمي.

واستمرت بنت قلاوون عند زوجها الملك السعيد المذكور إلى ما سيأتي ذكره.

ثم أخذ قلاوون في تحليف الأمراء للملك العادل فحلفوا بأجمعهم على العادة وضربت السكة في أحد الوجهين: اسم الملك العادل والآخر اسم قلاوون وخطب لهما أيضا معاً على المنابر واستمر الأمر على ذلك وتصرف قلاوون في المملكة والخزائن وعامله الأمراء والجيوش بما يعاملون به السلطان.

ثم عمل قلاوون بخلع الملك السعيد محضراً بشرعياً ووضع الأمراء خطوطهم عليه وشهادتهم فيه وكتب فيه المفتون والقضاة وأعطوا الملك السعيد الكرك وعملها وأخاه نجم الدين خضراً الشوبك وعملها.

وخرج الملك السعيد من قلعة الجبل إلى بركة الحجاج متوجهاً إلى الكرك في يوم الاثنين ثامن عشر شهر ربيع الآخر المذكور من سنة ثمانين وسبعين - أعني ثاني يوم من خلعه - ومعه جماعة من العسكر صورة ترسيم ومقدمهم الأمير سيف الدين بيدغان الركني ثم بدا لهم أن يرجعوا به إلى القلعة فعادوا إليها في نهار الاثنين لأمر أرادوه وقرروه معه ثم أمره بالتوجه فخرج وسافر ليلة الثلاثاء إلى الكرك بمن معه فوصلها يوم الاثنين خامس عشرين شهر ربيع الآخر المذكور وتسلم أخوه نجم الدين خضر الشوبك وكان الأمير بيدغان ومن معه قد فارقوا الملك السعيد من غزة ورجعوا إلى الديار المصرية وأقام الملك السعيد بالكرك وزال ملكه فكانت مدة حكمه وسلطنته بعد موت أبيه الملك الظاهر بيبرس إلى يوم خلعه سنتين وشهرين وخمسة عشر يوماً واستمر بالكرك مع مماليكه وعياله وقصده الناس والأجناد فصار ثم رسم الأمير سيف الدين قلاوون بانتقال الملك خضر من الشوبك إلى عند أخيه الملك السعيد بالكرك وتسلم نواب قلاوون الشوبك ودام الملك السعيد على ذلك حتى خلع سلامش من السلطنة وتسلم قلاوون حسب ما يأتي ذكر ذلك كله في ترجمتهما.

فلما تسلطن قلاوون بلغه عن الملك السعيد أنه استكثر من استخدام المماليك وأنه ينعم على من يقصده فاستوحش منه وتأثر من ذلك.

فمرض الملك السعيد بعد ذلك بمدة يسيرة وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الجمعة حادي عشر ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وستمائة بالكرك ودفن من يومه بأرض مؤتة عند جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ثم نقل بعد ذلك إلى دمشق في سنة ثمانين وستمائة فدفن إلى جنب والده الملك الظاهر بيبرس بالتربة التي أنشأها قبالة المدرسة العادلية السيفية وألحده قاضي القضاة عز الدين محمد بن الصائغ.

وكانت مدة إقامته بالكرك بعد أن خلع من السلطنة ستة أشهر وخمسة وعشرين يومًا.

ووجد الناس عليه كثيرًا وعمل عزأؤه بسائر البلاد وخرجت الخوندات حاسرات بجواريهن يلطمن بالملاهي والدفوف أيامًا عديدة ويسمعن الملك المنصور قلاوون الكلام الخشن وأنواع السب وهو لا يتكلم فإنه نسب إليه أنه اغتاله بالسب لما سمع كثرة استخدامه للمماليك وغيرهم.

قلت: ولا يبعد ذلك عن الملك المنصور قلاوون لكثرة تخوفه عظم شوكته وكثرة ممالك والده وحواشيه.

وأبغض الناس الملك المنصور قلاوون سنيًا كثيرة إلى أن أراضهم بكثرة الجهاد والفتوحات وأبغض الملك المنصور قلاوون حتى ابنتته زوجة الملك السعيد المذكور فإنها وجدت على زوجها الملك السعيد وجدًا عظيمًا وتألمت لفقده ولم تزل باكية عليه حزينة لم لتزوج بعده إلى أن توفيت بعد زوجها الملك السعيد بمدة طويلة في مستهل شهر رجب سنة سبع وثمانين وستمائة.

وكانت شقيقة الملك الأشرف خليل بن قلاوون ودفنت في تربة معروفة بوالدها بين مصر والقاهرة.

وصلي على الملك السعيد بدمشق صلاة الغائب يوم الجمعة رابع وعشرين ذي الحجة.

ثم أنعم الملك المنصور بالكرك بعد موته على أخيه خضر ولقب بالملك المسعود خضر.

وكان الملك السعيد رحمه الله سلطانيًا جليلًا كريمًا سخي الكف كثير العدل في الرعية محسنًا للخاص والعام لا يرد سائلًا ولا يخيب أملًا وكان متواضعًا بشوشًا حسن الأخلاق ليس في طبيعه عسف ولا ظلم كثير الشفقة والرحمة على الناس لين الكلمة محبًا لفعل الخير قليل الحجاب على الناس يتصدى للأحكام بنفسه وكان لا يميل لسفك الدماء مع قدرته على ذلك وكان يوم دخوله إلى قلعة الجبل ولد له مولود ذكر من بعض حظاياها في شهر ربيع الآخر من هذه السنة.

وكان يحب التجميل ويكثر من الإنعام على الناس ويخلع حتى في الأعزبة.

ولما مات خاله الأمير بدر الدين محمد بن بركة خان بن دولة خان وكان من أعيان الأمراء بالديار المصرية في الدولة الظاهرية وكان حصل له عند إفضاء الملك لابن أخته الملك السعيد تقدم كبير ومكانة عالية وتوجه معه إلى دمشق فمرض بها إلى أن توفي ليلة الخميس تاسع شهر ربيع الأول ودفن بسفح قاسيون بالتربة المجاورة لرباط الملك الناصر صلاح الدين يوسف ومقدار عمره خمسون سنة عمل له عدة أعزبة وقرى بالتربة عدة ختمات حضر إحداها ابن أخته الملك السعيد ومد خوان فيه من عظيم فاخر الأطعمة

والحلوات فأكل من حضر وخلع الملك السعيد على الدولة ومماليكه وخواصه وهو في العزاء فلبسوا الخلع وقبلوا الأرض وكانت الخلع خارجة عن الحد.

فهذا أيضًا مما يدل على كرمه ووسع نفسه وكثرة إنعامه حتى في الأعزى رحمة الله تعالى.

انتهت ترجمة الملك السعيد.

وبأتي ذكر حوادث سنين سلطنته على عادة هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

السنة الأولى من سلطنة السعيد محمد بركة خان على مصر فيها توفي الشيخ كمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الإسكندري المقرئ كان عارقًا بالقراءات وانتفع به خلق كثير وتولى نظر حبس دمشق ونظر بيت المال بها مضافًا إلى نظر الحبس وياشر عدة وظائف دينية.

ومات في صفر.

وكان رئيسًا فاضلاً.

وفيهما توفي الأمير جمال الدين آقوش بن عبد الله المحمدي الصالحي النجمي كان من أعيان الأمراء ومن أكابره وكان الملك الظاهر بيبرس يخافه فحبسه مدة طويلة ثم أفرج عنه فمات في شهر ربيع الأول ودفن بتربيته بالقرافة الصغرى.

وفيهما توفي الأمير عز الدين أيبك بن عبد الله الموصللي الظاهري نائب السلطنة بحمص وكان ولي حمص مدة ثم عزله الملك الظاهر عنها ونفاه إلى حصن الأكراد وكان شجاعًا مقدامًا.

وفيهما توفي الأمير عز الدين أيبك بن عبد الله الدمياطي الصالحي النجمي أحد أكابر الأمراء المقدمين على الجيوش كان قديم الهجرة بينهم في علو المنزلة وسمو المكانة وكان الملك الظاهر أيضًا حبسه مدة طويلة ثم أطلقه وأعادته إلى مكانته.

ومات بالقاهرة في شعبان ودفن بتربيته التي أنشأها بين القاهرة ومصر في القبة المجاورة لحوض السبيل المعروف به.

وفيهما توفي الأمير عز الدين أيدير بن عبد الله العلاني نائب قلعة صفد حضر بعد موت الملك الظاهر إلى القاهرة ومات بها ودفن بالقرافة الصغرى وكان دينًا عفيفًا أمينًا وهو أخو الأمير وفيها توفي الأمير بدر الدين بيليك بن عبد الله الظاهري الخازندار نائب السلطنة بالديار المصرية بل بالممالك كلها.

قد تقدم من ذكره نبذة جيدة في عدة مواطن وهو الذي أخفى موت الملك الظاهر حتى قدم به إلى مصر حسب ما تقدم ذكره وكانت وفاته بالقاهرة في سادس شهر ربيع الأول بقلعة الجبل ودفن بتربيته التي أنشأها بالقرافة الصغرى وحزن الناس عليه خزنًا شديدًا حتى شمل مصابه الخاص والعام وعمل عزائه بالقاهرة ثلاثة أيام في الليل بالشموع وأنواع الملاهي: وصدع موته القلوب وأبكى العيون وقيل: إنه مات مسمومًا وكان عمره خمسًا وأربعين سنة ومحاسنه كثيرة يطول الشرح في ذكرها.

وفيها توفي الشيخ المعتقد خضر بن أبي بكر بن موسى أبو العباس المهراني العدوي كان أصله من قرية المحمدية من أعمال جزيرة ابن عمر وهو شيخ الملك الظاهر بيبرس وصاحب الزاوية التي بناها الملك الظاهر بالحسينية على الخليج بالقرب من جامع الظاهر.

وقد تقدم من ذكره في ترجمة الملك الظاهر ما يغني عن الإعادة هاهنا.

وكان الشيخ خضر بشر الملك الظاهر قبل سلطنته بالملك فلما تسلطن صار له فيه العقيمة العظيمة حتى إنه كان ينزل إليه في الجمعة المرة والمرتين وكان يطلعه على غوامض أسرارهِ ويستشيرهُ في أمورهِ ويستصحبهُ في أسفاره وفيه يقول الشريف محمد بن رضوان الناسخ: الكامل ولنا دليل واضح كالشمس في وسط السماء بكل عين تنظر لما رأينا الخضر يقدم جيشه أبدًا علمنا أنه الإسكندر وكان الشيخ يخبر الملك الظاهر بأمور قبل وقوعها فتقع على مما يخبره ثم تغير الملك الظاهر عليه لأمور بلغتْه عنه وأحضر السلطان من حاققه وذكروا عنه من القبايح ما لم يصدر عن مسلم والله أعلم بصحة ذلك فاستشار الملك الظاهر الأمراء في أمره فمنهم من أشار بقتله ومنهم من أشار بحبسه فمال الظاهر إلى قتله ففهم خضر فقال للظاهر: اسمع ما أقول لك إن أجلي قريب من أجلك وبينني وبينك مدة أيام يسيرة فمن مات منا لحقه صاحبه عن قريب فوجم الملك الظاهر وكف عن قتله فحبسه في مكان لا يسمع له فيه حديث وكان حبسه في شوال سنة إحدى وسبعين وستمئة وتوفي يوم الخميس أو في ليلة الجمعة سادس المحرم سنة ست وسبعين وستمئة ودفن بزاويته بالحسينية.

وكان الملك الظاهر بدمشق فلما بلغه موته اضطرب وخاف على نفسه من الموت لما كان قال له الشيخ خضر: إن أجله قريب فمرض الظاهر بعد أيام يسيرة ومات فكان بين الشيخ خضر وبين الملك الظاهر دون الشهر.

انتهى.

وفيها توفي شيخ الإسلام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن الحسن بن الحسين النووي الفقيه الشافعي الحافظ الزاهد صاحب المصنفات المشهورة.

ولد في العشر الأوسط من قلت: وفضله وعلمه وزهده أشهر من أن يذكر.

وقد ذكرنا من أمره نبذة كبيرة في تاريخنا لا المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي إذ هو كتاب تراجم يحسن الإطناب فيه.

انتهى.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الملك القاهر عبد الملك ابن المعظم عيسى ابن العادل أبي بكر بن أيوب في المحرم مسمومًا.

والسلطان الملك الظاهر ركن الدين الصالح بيبرس في أواخر المحرم بالقصر الأبلق وله بضع وخمسون سنة.

وكمال الدين إبراهيم بن الوزير نجيب الدين أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن فارس التميمي الكاتب المقرئ في صفر وله ثمانون سنة.

والواعظ نجم الدين علي بن علي بن إسفنديار بدمشق في رجب وله خمس وأربعون سنة وأشهر.

وبيليك الظاهري الخازندار نائب مصر.

والصاحب معين الدين سليمان بن علي البرواناه الرومي قتله أبغا في المحرم.

والشيخ خضر بن أبي بكر العدوي شيخ السلطان.

والشيخ الإمام شمس الدين محمد ابن إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور قاضي القضاة أبو بكر وأبو عبد الله المعروف بابن العماد الحنبلي في المحرم بمصر.

والقاضي تقي الدين محمد بن حياة الرقي قاضي حلب بتبوك في المحرم.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وثلاث عشرة إصبغًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وثمانى أصابع.

وهي سنة سبع وسبعين وستمائة.

فيها توفي الشيخ الإمام زين الدين أبو العباس إبراهيم بن أحمد بن أبي الفرج الدمشقي الحنفي المعروف بابن السيد إمام مقصورة الحنفية شمالي جامع دمشق وناظر وقفها.

كان إمامًا فقيهاً دينًا كثير الخير غزير المرودة.

مات في جمادى الأولى ببستانه بالمزة ودفن بسفح قاسيون.

وفيها توفي الأمير شمس الدين آق سنقر بن عبد الله الفارقاني كان أصله من ممالك الأمير نجم الدين حاجب الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام ثم انتقل إلى ملك السلطان الملك الظاهر بيبرس وتقدم عنده وجعله أستاذًا كبيرًا.

وكان للملك الظاهر عدة أستاذية وكان الملك الظاهر كثير الوثوق به في أموره ويستنيه في غيبته ويقدمه على عساكره ولما صار الأمر إلى الملك السعيد جعله نائبه لسائر الممالك بعد بيليك الخازندار فلما ثارت الخاصكية قبضوا عليه وقتلوه وقيل إنه بقي في هذه السنة والأصح أنهم قبضوا عليه وسجنوه إلى أن مات في جمادى الأولى من هذه السنة.

وكان أميرًا كبيرًا جسيمًا شجاعًا مقدمًا مهابةً ذا رأي وتديبر وعقل ودهاء كثير البر والصدقات عالي الهمة وله مدرسة عند داره داخل باب سعادة بالقاهرة.

وفيها توفي الأمير جمال الدين آقوش بن عبد الله النجيبى الصالحى النجمى الأيوبى كان مقرَّبًا عند أستاذه الملك الصالح وولاه أستاذًا وكان كثير الاعتماد عليه.

ثم ولاه الملك الظاهر بيبرس نيابة دمشق فأقام بها تسع سنين ثم عزله وتركه بطالًا بالقاهرة إلى أن مات بها في ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الآخر بداره بدرب ملوخيا من القاهرة ودفن يوم الجمعة بترته بالقرافة الصغرى.

وفيهما توفي الشيخ جمال الدين طه بن إبراهيم بن أبي بكر بن أحمد بن بختيار الهذباني
الإربلي كان عنده فضيلة وأدب ورياسة وله يد في النظم.

ومات في جمادى الأولى.

ومن شعره في النهي عن النظر في النجوم: البسيط دع النجوم لطريقي يعيش بها
وبالعزيمة فانهض أيها الملك إن النبي وأصحاب النبي نهوا عن النجوم وقد أبصرت ما
ملكوا وفيها توفي قاضي القضاة مجد الدين أبو المجد عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن
هبة الله العقيلي الحلبي الحنفي ابن الصاحب كمال الدين عمر بن العديم.

كان إمامًا عالمًا فاضلاً كبير الديانة والورع كان جمع بين العليم والعمل والرياسة وولي
قضاء دمشق مع عدة تداريس ولم يزل قاضيًا إلى أن توفي بظاهر دمشق بجوسقه الذي
على الشرف القبلي في يوم الثلاثاء سادس عشر شهر ربيع الآخر ودفن في تربة أنشأها
قبالة الجوسق المذكور.

ومن شعره ما كتبه لخاله عون الدين أمولاي عون الدين يا راوياً لنا حديث المعالي عن
عطاء ونافع بعيشك حدثني حديث ابن مالك فأنت له يا مالكي خير شافع وفيها توفي
الشيخ موفق الدين أبو محمد عبد الله بن عمر بن نصر الله الأنصاري كان أديبًا فاضلاً.

قال الشيخ قطب الدين اليونيني في الذيل على المرأة: صاحبنا كان أديبًا فاضلاً مقتدرًا
علي النظم وله مشاركة في علوم كثيرة منها: الكحل والطب وغير ذلك من الفقه والنحو
والأدب ويعظ الناس حلو النادرة حسن المحاضر.

انتهى كلام قطب الدين.

قلت: ومن شعره: السريع قلبي وطرفي في ديارهم هذا يهيم بها وذا يهدي رسم الهوى
لما وقفت بها للدمع أن يجري على الرسم وفيها توفي الأديب نجم الدين أبو المعالي
محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر بن إسرائيل الشيباني الدمشقي المولد والدار
والوفاة كان أديبًا فاضلاً قادرًا على النظم صوفيًا.

وقد ذكرنا حكايته مع الشهاب الخيمي لما ادعى كل منهما القصيدة البائية التي أولها:
البسيط يا مطلبًا ليس لي في غيره أرب وتداعيا عند الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض
فأمر ابن الفارض أن يعمل كل منهما قصيدة على الوزن والقافية فعمل ذلك فحكم ابن
الفارض بالقصيدة للشهاب الخيمي.

وقد ذكرنا القصائد الثلاث في المنهل الصافي في ترجمة شهاب الدين الخيمي.

وابن إسرائيل هذا ممن تكلموا فيه ورموه بالاتحاد.

والله أعلم بحاله.

ومن شعر ابن إسرائيل هذا على مذهب القوم: الطويل خلا منه طرفي وامتلا منه
خاطري فطرفي له شك وقلبي شاكر ولو أنني أنصفت لم تشك مقلتي بعادا ودارات
الوجود مظاهر وله أيضا: الرجز يا من تناءى وفؤادي داره مضناك قد أفلقه تذكاره صددت
عنه قبل ما وصلته وكان قبل سكره خماره وفيها توفي الشيخ الإمام العلامة مجد الدين
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن أبي شاكر الإربلي الأديب الفقيه الحنفي
المعروف بابن الظهير.

مولده بإربل في ثاني صفر سنة اثنتين وستمئة ونشأ بها وطلب العلم وتفقه وبرع في الفقه والأصول والعربية وقدم دمشق وتصدى بها للإقراء والتدريس ودرس بالقيامزية بدمشق وهو من أعيان شيوخ الأدب وفحول المتأخرين وله ديوان شعر وسمع الحديث ببغداد من أبي بكر بن الخازن والكاشغري وبدمشق من السخاوي وكريمة وتاج الدين ابن حمويه وروى عنه أبو شامة والقوصي والدمياطي والشهاب محمود وعليه تدرب في الأدب وأبو الحسين اليونيني والحافظ جمال الدين المزي.

ولما مات رثاه تلميذه الشهاب محمود بقصيدة أولها: الطويل تمكن ليلي واطمأنت كواكبه وسدت على صبحي الغداة مذاهبه بكته معاليه ولم ير قبله كريم مضى والمكرمات نوادبه ومن شعر ابن الظهير: الكامل: قلبي وطرفي ذا يسيل دمًا وذا دون الوري أنت العليم بقرحه وهما بحبك شاهدان وإنما تعديل كل منهما في جرحه والقلب منزلك القديم فإن تجد فيه سواك من الأنام فنحه الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال وفيها توفي الأديب نجم الدين محمد بن سوار بن إسرائيل الحريري الشاعر المشهور في شهر ربيع الآخر.

والإمام مجد الدين محمد بن أحمد بن عمر بن الظهير الحنفي الأديب في شهر ربيع الآخر أيضًا.

والأمير شمس الدين آق سنقر الفارقاني في الحبس في جمادى الأولى.

والأمير جمال الدين آقوش النجيبى بالقاهرة في شهر ربيع الآخر.

وشيخ الحنفية وقاضيهما الصدر سليمان بن أبي العز وهيب الحنفي في شعبان وله ثلاث وثمانون سنة.

والصاحب مجد الدين أبو المجد عبد الرحمن بن أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلي قاضي الحنفية في شهر ربيع الآخر وله ثلاث وستون سنة.

والوزير بهاء الدين علي بن محمد بن سليم المصري بن حنا في ذي القعدة.

والمحدث ناصر الدين محمد بن عربشاه الهمذاني في جمادى الأولى.

والمحدث شهاب الدين أحمد بن محمد بن عيسى الجزري.

وأبو المرجى المؤمل بن محمد بن علي البالسي في رجب.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وإحدى وعشرون إصبغًا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعًا وخمس أصابع.

سلطنة الملك العادل سلامش

هو السلطان الملك العادل بدر الدين سلامش ابن السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي النجمي السادس من ملوك الترك بمصر.

تسلطن بعد خلع أخيه الملك السعيد أبي المعالي ناصر الدين محمد بركة خان باتفاق الأمراء على سلطنته وجلس على سرير الملك في يوم الأحد سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وستمئة وعمره يوم تسلطن سبع سنين.

وجعلوا أتابكه ومدبر مملكته الأمير سيف الدين قلاوون الصالحي النجمي.

وضربت السكة على أحد الوجهين باسم الملك العادل سلامش هذا وعلى الوجه الآخر اسم الأمير قلاوون وخطب لهما أيضًا على المنابر.

واستمر الأمر على ذلك وصار الأمير قلاوون هو المتصرف في الممالك والعساكر والخزائن ولم يكن لسلامش في السلطنة مع قلاوون إلا مجرد الاسم فقط.

وأخذ قلاوون في الأمر لنفسه.

فلما استقام له الأمر دخل إليه الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ووافق على السلطنة وأخفى ذلك لكونه كان خشداشه وكان الأمير عز الدين أيدير نائب الشام عاد إلى الشام بمن معه بعد خلع الملك السعيد فوصل إلى دمشق يوم الأحد مستهل جمادى الأولى فخرج لتلقيه من كان تخلف بدمشق من الأمراء والجند والمقدم عليهم الأمير جمال الدين آقوش الشمسي.

وكان قلاوون قد كاتب آقوش في أمر أيدير هذا والقبض عليه فلما وصلوا إلى مصلى العيد بقصر حجاج احتاط الأمير جمال الدين آقوش الشمسي والأمراء الذين معه على الأمير أيدير نائب الشام وأخذوه بينهم وفرقوا بينه وبين عسكره الذين حضروا معه من الديار المصرية ودخلوا إلى دمشق من باب الجابية ورسموا عليه بدار في دمشق ثم نقلوه إلى قلعة دمشق واعتقلوه بها.

وكان الملك السعيد قبل أن يخرج من الشام سلم قلعة دمشق للأمير علم الدين سنجر الدويداري وجعله النائب عنه أيضًا في البلد.

ثم أرسل قلاوون جمال الدين آقوش الباخلي وشمس الدين سنقر جاه الكنجي إلى البلاد الشامية وعلى يدهم نسخة الأيمان بالصورة التي استقر الحال عليها بمصر وأحضروا الأمراء والجند والقضاة والعلماء وأكابر البلد للحلف وكان معهم نسخة بالمكتوب المتضمن خلع الملك السعيد وتولية الملك العادل سلامش فقرأ ذلك على الناس وحلفوا واستمر الحلف أيامًا.

ثم إن الأمير قلاوون ولى خشداشه الذي اتفق معه على السلطنة وهو الأمير شمس الدين سنقر الأشقر نيابة الشام وأعمالها فتوجه سنقر الأشقر إليها ودخلها يوم الأربعاء ثالث جمادى الآخرة من سنة ثمان وسبعين المذكورة بتحمل زائد فكان موكبه يضاهاى موكب السلطان وعند وصوله إلى دمشق أمر الأمير علم الدين سنجر الدويداري بالنزول من قلعة دمشق فنزل في الحال.

وصفا الوقت للأمير قلاوون بمسك أيدير نائب الشام وبخروج سنقر الأشقر من الديار المصرية وانبرم أمره مع الأمراء والخاصكية واتفقوا معه على خلع الملك العادل سلامش من السلطنة وتوليته إياها.

فلما كان يوم الثلاثاء حادي عشرين شهر رجب سنة ثمان وسبعين وستمئة اجتمع الأمراء والقضاة والأعيان بقلعة الجبل وخلعوا الملك العادل بدر الدين سلامش من السلطنة لصغر سنه وتسلمن عوضه أتابكه الأمير سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي النجمي ونعت بالملك المنصور على أنه كان هو المتصرف في المملكة منذ خلع الملك السعيد وتسلمن الملك العادل سلامش ولم يكن لسلامش في أيام سلطنته غير الاسم وقلاوون هو الكل وكان عم سلطنة قلاوون قبل سلامش أنه خاف ثورة المماليك الظاهرية عليه

فإنهم كانوا يوم ذاك هم معظم عسكر الديار المصرية وأيضًا كانت بعض القلاع في يد نواب الملك السعيد فلما مهد أمره تسلطن.

ولما بلغ سنقر الأشقر سلطنة قلاوون داخله الطمع في الملك وأظهر العصيان على ما سيأتي ذكره في ترجمة الملك المنصور قلاوون إن شاء الله تعالى.

وكانت مدة سلطنة الملك العادل بدر الدين سلامش على مصر ثلاثة أشهر تنقص ستة أيام.

ولزم الملك العادل سلامش داره عند أمه إلى أن أرسله الملك المنصور قلاوون إلى الكرك فأقام به عند أخيه الملك خضر مدة ثم رسم الملك المنصور بإحضاره إلى القاهرة فحضر إليها وبقي خاملًا إلى أن مات الملك المنصور قلاوون وتسلطن من بعده ولده الملك الأشرف خليل بن قلاوون جهزه وأخاه الملك خضرًا وأهله إلى مدينة اسطنبول بلاد الأشكري فأقام هناك إلى أن توفي بها في سنة تسعين وستمائة.

وكان شابًا مليحًا جميلًا تام الشكل رشيق القد طويل الشعر ذا حياء ووقار وعقل تام.

مات وله من العمر قريب من عشرين سنة قيل: إنه كان أحسن أهل زمانه وبه افتتن جماعة من الناس وشبب به الشعراء وصار يضرب به المثل في الحسن حتى يقول القائل: ثغر سلامشي.

انتهت ترجمة الملك العادل سلامش رحمه الله.

السنة التي حكم فيها الملك السعيد ثم حكم من سابع عشر شهر ربيع الآخر إلى حادي عشرين شهر رجب الملك العادل سلامش.

ثم في باقيها الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي وهي سنة ثمان وسبعين وستمائة.

فيها كان خلع ولدي الملك الظاهر بيبرس من السلطنة: الملك السعيد محمد بركة خان والملك العادل بدر الدين سلامش وتسلطن بعد سلامش الأمير قلاوون.

وقد تقدم ذكر ذلك كله.

وفيها توفي الفقيه المحدث صفي الدين أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن يحيى الشقراوي الحنبلي ولد بشقراء من ضياع برزة من عمل دمشق سنة خمس وستمائة.

ومات بدمشق في ذي الحجة وكان فاضلاً فقيهاً سمع الكثير وحدث.

وفيها توفي الأمير جمال الدين آقوش بن عبد الله الركني المعروف بالطباخ أحد أكابر أمراء دمشق عاد من تجريدة سيس مريضًا ومات بحلب ونقل إلى حمص فدفن عند قبر خالد بن الوليد رضي الله عنه.

والركني: نسبة إلى أستاذه الأمير ركن الدين بيبرس الصالحي النجمي الذي لقي الفرج بأرض غزة وكسرهم وهو غير الملك الظاهر بيبرس.

وفيها توفي الأمير جمال الدين آقوش بن عبد الله الشهابي السلحدار كان أيضًا في تجريدة سيس وعاد مريضًا وتوفي بحماة ثم نقل إلى دمشق ودفن عند خشداشه أيديكين الشهابي نسبة إلى الطواشي شهاب الدين رشيد الخادم الصالحي الكبير وهو أستاذهما.

وفيها توفي الأمير نور الدين أبو الحسن علي بن عمر بن مجلي الهكاري كان من أجل الأمراء وأعظمهم ولي نيابة حلب وكان حسن السيرة عالي الهمة كريم الأخلاق شجاعًا مقدامًا عارفًا مدبرًا معظمًا في الدول.

مات بعد عزله عن نيابة حلب في مرض موته باستغفائه عنها بها في شهر ربيع الآخر ودفن بها وقد نيف على السبعين سنة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي جمال الدين أبو زكريا يحيى بن أبي المنصور بن أبي الفتح ابن رافع بن علي الحراني الحنبلي المعروف بابن الصيرفي كان إمامًا فقيهاً عالمًا مفتيًا في الفقه متبحرًا فيه كثير الإفادة وأفتى ودرس وانتفع به الطلبة ومات في صفر.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي السلطان الملك السعيد ناصر الدين محمد ابن الظاهر بالكرك في ذي القعدة وله عشرون سنة وأشهر.

والمسند أبو العباس أحمد بن أبي الخير سلامة بن إبراهيم الحداد الحنبلي يوم عاشوراء.

والإمام جمال الدين يحيى بن أبي المنصور بن الصيرفي الحراني في صفر وله خمس وتسعون سنة.

وصفي الدين إسحاق بن إبراهيم الشقراوي.

وفاطمة بنت الملك المحسن بيزاعة.

واحدة.

سلطنة الملك المنصور سيف الدين قلاوون على مصر السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو المعالي وأبو الفتح قلاوون بن عبد الله الألفي التركي الصالحي النجمي السابع من ملوك الترك بالديار المصرية والرابع ممن مسه الرق.

ملك الديار المصرية بعد خلع الملك السعيد وصار مدبر مملكة الملك العادل بدر الدين سلامش إلى أن خلع سلامش وتسلطن الملك المنصور قلاوون هذا من بعده في حادي عشرين وقيل عشر شهر رجب سنة ثمان وسبعين وستمئة وجلس على سرير الملك بأبهة السلطنة وشعار الملك وتم أمره.

ولما استقل بالمملكة أمسك جماعة كثيرة من المماليك والأمراء الظاهرية وغيرهم واستعمل مماليكه على البلاد والقلاع فلم يبلغ ريقه حتى خرج عليه الأمير شمس الدين سنقر الأشقر نائب دمشق فإنه لما وصل إليه البريد إلى دمشق بسلطنة المنصور قلاوون في يوم الأحد سادس عشري رجب وعلى يده نسخة يمين التحليف للأمراء والجند وأرباب الدولة وأعيان الناس فأحضروا إلى دار السعادة بدمشق وحلفوا إلا الأمير سنقر الأشقر نائب الشام فإنه لم يحلف ولا رضي بما جرى من خلع سلامش وسلطنة قلاوون فلم يلتفت أهل دمشق إلى كلامه.

وخطب بجامع دمشق للملك المنصور قلاوون وجوامع الشام بأسرها خلا مواضع يسيرة توقفوا ثم خطبوا بعد ذلك.

وأما الملك المنصور قلاوون فإنه في شهر رمضان عزل صاحب برهان الدين السنجاري عن الوزارة بالديار المصرية وأمره بلزوم مدرسة أخيه قاضي القضاة بدر اللين السنجاري بالقرافة الصغرى واستقر مكانه في الوزارة صاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالديار المصرية وتولى عوضه صحابة الديوان القاضي فتح الدين محمد ابن القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر وهو أول كاتب سر كان في الدولة التركية وغيرها وإنما كانت هذه الوظيفة في ضمن الوزارة والوزير هو المتصرف في الديوان وتحت يده جماعة من الكتاب الموقعين وفيهم رجل كبير كتائب كاتب السر الآن سمي في الآخر صاحب ديوان الإنشاء.

ومن الناس من قال: إن هذه الوظيفة قديمة واستدل بقول صاحب صبح الأعشى وغيره ممن كتب للنبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده ورد على من قال ذلك جماعة آخر وقالوا: ليس في ذكر من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الخلفاء دلالة على وظيفة كتابة السر وإنما هو دليل لكل كاتب كتب لملك أو سلطان أو غيرهما كائناً من كان فكل كاتب كتب عند رجل يقول: هو أنا ذاك الكاتب وإذا الأمر احتمل واحتمل سقط الاحتجاج به.

ومن قال: إن هذه الوظيفة ما أحدثها إلا الملك المنصور قلاوون فهو الأصح ونبين ذلك إن شاء الله تعالى.

في أواخر هذه الترجمة وذكر من ذكره صاحب صبح الأعشى وغيره من الكتاب من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا على سبيل الاختصار.

انتهى.

وقد خرجنا عن المقصود.

وأما سنقر الأشقر فإنه في يوم الجمعة رابع عشرين ذي القعدة من السنة ركب من دار السعادة بدمشق بعد صلاة العصر ومعه جماعة من الأمراء والجند وهم رجالة وهو راكب وحده وقصد القلعة من الباب الذي يلي المدينة فهجمها بمن كان معه وطلعتها وجلس بها من ساعته وحلف الأمراء والجند ومن حضر وتسلمن وتلقب بالملك الكامل ونادت المنادية في المدينة بسلطنته واستقلاله بالمماليك الشامية وفي بكرة يوم السبت خامس عشرين ذي القعدة طلب القضاة والعلماء ورؤساء البلد وأكابرهم وأعيانهم إلى مسجد أبي الدرداء رضي الله عنه بقلعة دمشق وحلفهم وحلف بقية الناس على طاعته ثم وجه العساكر في يوم الأربعاء تاسع عشرينه إلى بلاد غزة الحفظ البلاد ومغلها ودفع من يأتي إليها من الديار المصرية.

وخرجت سنة ثمان واستهلكت سنة تسع وسبعين والملك المنصور سلطان مصر والملك الكامل شمس الدين سنقر الأشقر سلطان دمشق وما والاها وصاحب الكرك الملك المسعود خضر ابن الملك الظاهر بيبرس وصاحب حماة والمعرة الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك تقي الدين محمود الأيوبي والعراق والجزيرة والموصل وإربل وأذربيجان وديار بكر وخراسان والعجم وما وراء ذلك بيد التتار والروم وصاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن علي بن رسول وصاحب مكة شرفها الله تعالى الشريف نجم الدين أبو نمي الحسن بن وصاحب المدينة الشريفة على

ساكنها أفضل الصلاة والسلام الأمير عز الدين جماز بن شيحة الحسيني ذكرنا هؤلاء تبيينًا
للناظر في الحوادث الآتية ليكون فيما يأتي على بصيرة.
انتهى.

ثم إن السلطان الملك المنصور قلاوون في أول سنة تسع وسبعين وستمئة المذكورة
جهز عسكريًا لغزة فلما قاربوها لقيهم عسكر الملك الكامل سنقر الأشقر وقتلوهم حتى
نزحوا عنها وأنكسر العسكر المصري وقصد الرمل واطمان الشاميون بغزة ونزلوا بها
ساعة من النهار وكانوا في قلة فكر عليهم عساكر الديار المصرية ثانياً وكبسوهم ونالوا
منهم منالاً كبيراً ورجع عسكر الشام منهزمًا إلى مدينة الرملة.

وأما الملك الكامل سنقر الأشقر فإنه قدم عليه بدمشق الأمير شرف الدين عيسى بن
مهنا ملك العرب بالبلاد الشرقية والشمالية ودخل على الكامل وهو على السماط فقام له
الكامل فقبل عيسى الأرض وجلس عن يمينه فوق من حضر.

ثم وصل إلى الملك الكامل أيضًا الأمير شهاب الدين أحمد بن حجي بن يزيد ملك العرب
بالبلاد الحجازية فأكرمه الملك الكامل غاية الإكرام.

وأما الملك المنصور لما بلغه ما وقع لعسكره بغزة جهز عسكريًا آخر كثيرًا إلى دمشق
لقتال الملك الكامل سنقر الأشقر ومقدمهم الأمير علم الدين سنجر الحلبي وخرجوا من
مصر وساروا إلى جهة الشام فصار عسكر دمشق الذي بالرملة كلما تقدم العسكر
المصري منزلة إلى أن وصل أوائلهم إلى دمشق في أوائل صفر.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشر صفر المذكور خرج الملك الكامل من دمشق بنفسه بجميع
من عنده من العساكر وضرب دهليزه بالجسورة وخيم هناك بجميع الجيش واستخدم
المماليك وأنفق الأموال وجمع خلقًا عظيمًا وحضر عنده عرب الأميرين: ابن مهنا و ابن
حجي ونجدة حلب ونجدة حماة مقدمهما الملك الأفضل نور الدين علي أخو صاحب حماة
ورجاله كثيرة من جبال بعلبك ورتب العساكر والأطلاب بنفسه وصف العساكر ميمنة
وميسرة ووقف هو تحت عصائبه وسار العسكر المصري أيضًا بترتيب هائل وعساكر
كثيرة والأطلاب أيضًا مرتبة والتقى الجيشان في يوم الأحد سادس عشر صفر وقت
طلوع الشمس في المكان المذكور وتقاتلا أشد قتال وثبت كل من الطائفتين ثباتًا لم
يسمع بمثله إلا نادرًا لا سيما الملك الكامل سنقر الأشقر فإنه ثبت وقاتل بنفسه قتالًا
شديدًا واستمر المصاف بين الطائفتين إلى الرابعة من النهار ولم يقتل من الفريقين إلا
نفر يسير جدًا وأما الجراح فكثيرة.

فلما كانت الساعة الرابعة من النهار خامر أكثر عسكر دمشق على الملك الكامل سنقر
الأشقر وغمروا به وانضافوا إلى العسكر المصري وكان لما وقع العين على العين قبل أن
يلتحم القتال انهزم عساكر حماة وتخاذل عسكر الشام على الكامل فمنهم: من دخل
بساتين دمشق واختفى بها ومنهم من دخل دمشق راجعًا ومنهم من ذهب إلى طريق
بعلبك فلم يلتفت الملك الكامل لمن ذهب منه من العساكر وقتل فلما انهزم عنه من
ذكرنا في حال القتال ضعف أمره ومع هذا استمر يقاتل بنفسه ومماليكه إلى أن رأى
الأمير عيسى بن مهنا الهزيمة على الملك الكامل أخذه ومضى به إلى الرحبة وأنزله عنده
ونصب له بيوت الشعر.

وأما الأمير شهاب الدين أحمد بن حجي فإنه دخل إلى دمشق بالأمان ودخل في طاعة
الملك المنصور قلاوون.

وأما عساكر الشام فإنهم اجتمعوا على القصب من عمل حمص ثم عاد أكثر الأمراء إلى جهة دمشق وطلبوا الأمان من مقدم العساكر المصرية الأمير علم الدين سنجر الحلبي.

وأما العساكر المصرية فإنهم ساقوا من وقتهم إلى مدينة دمشق وأحاطوا بها ونزلوا بخيامهم ولم يتعرضوا للزحف وراسلوا من بالقلعة إلى العصر من ذلك النهار وفتح من المدينة باب الفرع ودخل منه إلى دمشق بعض مقدمي الجيش ثم طلب من بالقلعة الأمان فأمنهم سنجر الحلبي ففتحت القلعة فدخلوا إليها من الباب الذي داخل المدينة وتسلموها بالأمان وأفرجوا عن جماعة كثيرة من الأمراء وغيرهم كان اعتقالهم سنقر الأشقر منهم: الأمير ركن الدين بيبرس العجمي المعروف بالجالق والجالق: اسم للفرس الحاد المزاج باللغة التركية والأمير حسام الدين لاجين المنصوري والقاضي تقي الدين توبة التكريتي وغيرهم.

وكتب الأمير علم الدين سنجر الحلبي بالنصر إلى الملك المنصور قلاوون فسر المنصور بذلك ودقت البشائر لذلك أياما بالديار المصرية وزينت القاهرة ومصر.

وأما سنجر المصري فإنه لما ملك دمشق وقلعتها جهز في الحال قطعة جيدة من الجيش المصري تقارب ثلاثة آلاف فارس في طلب سنقر الأشقر ومن معه من الأمراء والجنود.

ثم حضر جواب الملك المنصور قلاوون بسرعة يتضمن: بأننا قد عفونا عن جميع الناس الخاص والعام أرباب السيوف والأقلام وأمناهم على أنفسهم وأهليهم وأموالهم وحضر التشريف للأمير حسام الدين لاجين المنصوري السلحدار بنبابة دمشق فليس الخلعة وقبل الأرض ثم أردف الأمير سنجر الحلبي العسكر الذي كان توجه لقتال سنقر الأشقر بعسكر آخر مقدمه الأمير عز الدين الأفرم فلحق بمن كان توجه قبله وسار الجميع في طلب سنقر الأشقر.

فلما بلغ سنقر ذلك رحل عن عيسى بن مهنا وتوجه في البرية إلى الحصون التي كانت بقيت في يد نوابه فتحصن هو ومن معه بها في أواخر الشهر المذكور وهي: صهيون كان بها أولاده وخزائنه ودخلها هو أيضًا وبلاطنس وحصن برزبه وحصن عكار وجيلة واللاذقية وغيرها ثم عادت العساكر إلى دمشق وترددت الرسل بينهم وبين سنقر الأشقر.

وبينما هم في ذلك وردت الأخبار في أوائل جمادى الآخرة أن التتار قصدوا البلاد الشامية فخرج من كان بدمشق من العساكر الشامية والمصرية ومقدمهم الأمير ركن الدين إياجي ولحقهم العساكر الذين كانوا في طلب سنقر الأشقر ونزل الجميع بظاهر حماة وكانوا كاتبوا الملك المنصور قلاوون بمجيء التتار.

فجهز إليهم في الحال عسكرًا عليه الأمير بدر الدين بكتاش النجمي فلحق بهم الأمير بكتاش المذكور بمن معه من العسكر المصري واجتمع الجميع على حماة وأرسلوا وأرسلوا كشافة في العشر الأوسط من جمادى الآخرة إلى بلاد التتار.

هذا وقد جفل غالب من بالبلاد الشامية وخرجوا عن دورهم ومنازلهم ولم يبق هناك إلا من عجز عن الحركة.

وكان سبب حركة التتار أنهم لما سمعوا اختلاف الكلمة ووطنوا أن سنقر الأشقر بمن معه يتفق معهم على قتال الملك المنصور قلاوون.

فأرسل أمراء العساكر المصرية إلى سنقر الأشقر يقولون له: هذا العدو قد دهمنا وما سببه إلا الخلف بيننا وما ينبغي هلاك الإسلام والمصلحة أننا نجمع على دفعه فامثل

سنقر ذلك وأنزل عسكره من صهيون وأمر رفيقه الحاج أزدمر أن يفعل كذلك من شيزر وخيمت كل طائفة تحت قلعته ولم يجتمعوا بالمصريين غير أنهم اتفقوا على اجتماع الكلمة ودفع العدو المخدول عن الشام.

واستمروا على ذلك إلى يوم الجمعة حادي عشرين جمادى الآخرة حيث وصل طائفة كبيرة من عساكر التتار إلى حلب بعد أن ملكوا عين تاب وبغراس والمربسك ودخلوها من غير مانع يمنعهم عنها وأحرقوا الجوامع والمساجد والمدارس المعتبرة ودار السلطنة ودور الأمراء وأفسدوا إفسادًا كبيرًا على عادة أفعالهم القبيحة وأقاموا بها يومين على هذه الصورة ثم رحلوا عنها في يوم الأحد ثالث عشرينه راجعين إلى بلادهم بعد أن تقدمتهم الغنائم التي كسبوها وكان شيئًا كثيرًا.

وكان سبب رجوعهم ما بلغهم أمن اتفاق الطائفتين على قتالهم ولما بلغهم من اهتمام الملك المنصور صاحب حلب وخروجه بالعساكر من الديار المصرية.

وقيل في رجوعهم وجه آخر وهو أن بعض من كان استتر بحلب يئس عن نفسه من الحياة فطلع منارة الجامع وكبر بأعلى صوته على التتار وقال: جاء النصر من عند الله وأشار بمنديل كان معه إلى ظاهر البلد وأوهم أنه أشار به إلى عسكر المسلمين وجعل يقول في خلال ذلك: اقبضوهم من البيوت وأما سنقر الأشقر فإن جماعة من الأمراء والأعيان الذين كانوا معه فروا إلى العسكر المصري ودخلوا تحت طاعة الملك المنصور قلاوون.

وأما الملك المنصور قلاوون فإنه لما طال عليه أمر سنقر الأشقر وأمر التتار جمع أعيان مملكته في هذا الشهر بقلعة الجبل وجعل ولده الأمير علاء الدين عليًا ولي عهده ولقبه الملك الصالح وخطب له على المنابر.

ثم تجهز السلطان وخرج من الديار المصرية بعساكره وسار حتى وصل إلى غزة بلغه رجوع العدو المخدول فأقام بالرملة وتوقف عن التوجه إلى دمشق لعدم الحاجة إلى ذلك وقصد تخفيف الوطأة عن البلاد وأهلها.

ثم رحل يوم الخميس عاشر شعبان راجعًا من الرملة إلى الديار المصرية فدخلها وأقام بها أقل من أربعة أشهر.

ثم بدا له التوجه إلى الشام ثانيا فتجهز وتجهزت عساكره وخرج بهم من مصر في يوم الأحد مستهل ذي الحجة قاصدًا الشام وترك ولده الملك الصالح عليًا يباشر الأمور عنه بالديار المصرية.

وسار الملك المنصور قلاوون حتى وصل إلى الروحاء من عمل الساحل ونزل عليها في يوم الثلاثاء سابع عشر ذي الحجة وأقام قبالة عكا فراسلته الفرنج من عكا في تجديد الهدنة فإنها كانت انقضت مدتها وأقام بهذه المنزلة حتى استهلّت سنة ثمانين وستمائة رحل عنها يوم الخميس عاشر المحرم.

ونزل اللجون وحضر رسل الفرنج بها بحضرة الأمراء وسمعوا رسالة الفرنج فاستشارهم السلطان فحصل الاتفاق على الهدنة وحلف لهم الملك المنصور على الصورة التي وقع الاتفاق عليها وانبرم الصلح وانعقدت الهدنة في يوم الأحد ثالث عشر المحرم.

ثم قبض الملك المنصور على الأمير كؤندك الظاهري وعلى جماعة من الأمراء الظاهريّة لمصلحة اقتضاها الحال.

وعند قَبْضِهِمْ هَرَبَ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ بَلْبَانَ الْهَارُونِيِّ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ وَقَصَدُوا صِهْيَوْنَ إِلَى عِنْدِ سِنْقَرِ الْأَشْقَرِ وَرُكِبَتِ الْخَيْلُ فِي طَلِبِهِمْ فَلَمْ يَدْرِكُوهُمْ ثُمَّ هَرَبَ الْأَمِيرُ أَيَّتَمُشَ السَّعْدِيُّ أَيْضًا وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ إِلَى صِهْيَوْنَ مِنْ مَنزِلَةِ حَرَبَةِ اللَّصُوصِ.

ثم سار الملك المنصور إلى دِمَشق فدخلها في يوم السبت تاسع عشره وأقام بِدِمَشق إلى أن قَدِمَ عَلَيْهِ فِي صَفَرِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ مُحَمَّدِ صَاحِبِ حَمَاةٍ فَخَرَجَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ قَلَاوُونَ لِتَلْقِيهِ وَأَكْرَمَهُ.

ثم ترددت الرسل بين السلطان الملك المنصور قلاوون وبين سُنْقَرِ الْأَشْقَرِ فِي تَقْرِيرِ قَوَاعِدِ الصَّلْحِ.

فلما كان يوم الأحد رابع شهر ربيع الأول من! شة ثمانين وستمائة وصل من جهة سنقر الأشقر الأمير علم الدين سَنَجَرِ الدَوَادَارِيِّ وَمَعَهُ خَازِنِدَارٌ سُنْقَرِ الْأَشْقَرِ فِي مَعْنَى الصَّلْحِ وَالْوُقُوفِ عَلَى الْيَمِينِ فَحَلَفَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ قَلَاوُونَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ خَامِسَهُ وَنَادَتِ الْمَنَادِيَةُ فِي دِمَشق بِأَنْتِظَامِ الصَّلْحِ وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ فَرَجَعَ رَسُلُ سُنْقَرِ الْأَشْقَرِ وَمَعَهُمُ الْأَمِيرُ فخر الدين إِيَّازُ الْمُقْرِيءُ لِيَحْضُرِيْمِينَ سُنْقَرِ الْأَشْقَرِ فَحَلَفَهُ وَعَادَ إِلَى دِمَشق يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ثَانِي عَشْرَهُ فَضُرِبَتِ الْبَشَائِرُ بِالْقَلْعَةِ وَسُرَّ النَّاسُ بِذَلِكَ غَايَةَ السَّرُورِ.

وصورة ما انتظم الصلح عليه أن سُنْقَرِ الْأَشْقَرِ يَرْفَعُ يَدَهُ عَنِ شَيْبَرٍ وَيَسْلَمُهَا إِلَى نَوَابِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ وَعَوَّضَهُ قَلَاوُونَ عَنْهَا فَامِيَّةً وَكَفَرَطَابَ وَأَنْطَاكِيَّةً وَالسُّوَيْدِيَّةَ وَبَكَّاسَ وَدَرْكُوشَ بِأَعْمَالِهَا كُلِّهَا وَعَدَّةٌ وَضِيَاعٌ مَعْرُوفَةٌ وَأَنْ يُقِيمَ عَلَى ذَلِكَ وَعَلَى مَا كَانَ أَسْتَقِرُّ بِيَدِهِ عِنْدَ الصَّلْحِ وَهُوَ صِهْيَوْنَ وَبِلَاطُسَ وَحِصْنَ بَرْزَةَ وَجَبَلَةَ وَاللَّذِقِيَّةَ بِسِتْمَاةٍ فَارِسَ الْنَصْرَةَ الْإِسْلَامَ وَأَنَّهُ يُسَلِّمُ الْأَمْرَ إِلَى الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ وَخَوِطِبَ سُنْقَرِ الْأَشْقَرِ فِي مَكَاتِبَاتِهِ بِالْمَقَرِّ الْعَالِيِّ الْمَوْلَوِيِّ السَّيِّدِيِّ الْعَالَمِيِّ الْعَادِلِيِّ الشَّمْسِيِّ وَلَمْ يُصْرَحْ فِي مَخَاطِبَاتِهِ بِالْمَلِكِ وَلَا بِالْأَمِيرِ وَكَانَ يُخَاطَبُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي مَكَاتِبَاتِهِ مِنَ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ: أِلَى الْجَنَابِ الْعَالِيِّ الْأَمِيرِيِّ الشَّمْسِيِّ إِنْتَهَى.

وبينما السلطان في ذلك وَرَدَ عَلَيْهِ مَجِيءُ التَّارِ إِلَى الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ وَهُوَ بِدِمَشق فَتَهَيَّأَ لِقِتَالِهِمْ وَأَرْسَلَ يَطْلُبُ الْعَسَاكِرَ الْمِصْرِيَّةَ وَبَعْدَ قَلِيلٍ حَضَرَتْ عَسَاكِرُ مِصْرَ إِلَى دِمَشق وَاجْتَمَعَتِ الْعَسَاكِرُ عِنْدَ السُّلْطَانِ وَلَمْ يَتَأَخَّرْ أَحَدٌ مِنَ التُّرْكَمَانَ وَالْعُرْبَانَ وَسَائِرِ الطَّوَائِفِ.

ووصل الخبر بوصول التتار إلى أطراف بلاد حلب فخلت حلب من أهلها وُجُنْدُهَا وَنَزَحُوا إِلَى جِهَةِ حَمَاةٍ وَحِمَصَ وَتَرَكَوا الْغَلَالَ وَالْحَوَاصِلَ وَالْأَمْتَعَةَ وَخَرَجُوا جَرَائِدَ عَلَى وَجْهِهِمْ ثُمَّ وَرَدَ الْخَبْرَ بِوَصُولِ مَنكُوتْمُرِ بْنِ هَوْلَاكُو مَلِكِ التتار إلى عين تاب وما جاورها في يوم الأحد سادس عشرين جمادى الآخرة فخرج الملك المنصور قلاوون بعساكره في يوم الأحد المذكور وخيم بالمرج ووصل التتار إلى بغراس فقدم الملك المنصور عسكره أمامه ثم سافر هو بنفسه في سلخ جمادى الآخرة المذكور وسار حتى نزل السلطان بعساكره على حمص في يوم الأحد ثالث عشرين شهر رجب وراسل سنقر الأشقر بالحضور إليه بمن معه من الأمراء والعساكر وكذلك الأمير أيتمش السعدي الذي كان هرب من عند السلطان لما قبض على الأمراء الظاهرية فامثل سنقر الأشقر أمر السلطان بالسمع والطاعة وركب من وقته بجماعته وحضر إلى عند الملك المنصور قلاوون واستحلفه لأيتمش السعدي يمينًا ثانية ليزداد طمأنينة ثم أحضره وتكامل حضورهم عند السلطان.

وعامل السلطان سنقر الأشقر بالاحترام التام والخدمة البالغة والإقامات العظيمة والرواتب الجليلة.

وشرعت التتار تتقدم قليلاً قليلاً بخلاف عاداتهم فلما وصلوا حماة أفسدوا بنواحيها وشغثوا وأحرقوا بستان الملك المنصور صاحب حماة وجوسقه وما به من الأبنية.

واستمر عسكر السلطان بظاهر حمص على حاله إلى أن وصلت التتار إليه في يوم الخميس رابع عشر شعبان فركب الملك المنصور بعساكره وصافى العدو والتقى الجمعان عيد طلوع الشمس وكان عدد التتار على ما قيل مائة ألف فارس أو يزيدون وعسكر المسلمين على مقدار النصف من ذلك أو أقل وتواقعوا من ضحوة النهار إلى آخره وعظم القتال بين الفريقين وثبت كل منهم.

قال الشيخ قطب الدين اليونيني: وكانت وقعة عظيمة لم يشهد مثلها في هذه الأزمان ولا من سنين كثيرة وكان الملتقى فيما بين مشهد خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى الرستن والعاصي واضطربت ميمنة المسلمين وحملت التتار على ميسرة المسلمين فكسروها وانهزم من كان بها وكذلك انكسر جناح القلب الأيسر وثبت الملك المنصور سيف الدين قلاوون رحمه الله تعالى في جمع قليل بالقلب ثباتاً عظيماً ووصل جماعة كثيرة من التتار خلف المنكسرين من المسلمين إلى بحيرة حمص وأحرق جماعة من التتار بحمص وهي مغلقة الأبواب وبذلوا نفوسهم وسيوفهم فيمن وجدوه من العوام والسوقة والغلمان والرجالة المجاهدين بظاهرها فقتلوا منهم جماعة كثيرة وأشرف الإسلام على خطة صعبة! ثم إن أعيان الأمراء ومشاهيرهم وشجعانهم: مثل سنقر الأشقر المقدم ذكره وبدر الدين بيسري وعلم الدين سنجر الدواداري وعلاء الدين طيرس الوزيري وبدر الدين بيليك أمير سلاح وسيف الدين أيتمش السعدي وحسام الدين لاجين المنصوري والأمير حسام الدين طرنطاي وأمثالهم لما رأوا ثبات السلطان ردوا على التتار وحملوا عليهم حملات حتى كسروهم كسرة عظيمة وجرح منكوتر مقدم التتار وجاءهم الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا في عربه عرضاً فتمت هزيمتهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة تجاوز الوصف وانفق أن ميسرة المسلمين كانت انكسرت كما ذكرنا والميمنة ساقت على العدو ولم يبق مع السلطان إلا النفر اليسير والأمير حسام الدين طرنطاي قدامه بالسناجق فعادت الميمنة الذين كسروا ميسرة المسلمين في خلق عظيم ومروا به وهو في ذلك النفر تحت السناجق - يعني الملك المنصور قلاوون - والكوسات تضرب.

قال: ولقد مررت به في ذلك الوقت وما حوله من المقاتلة ألف فارس إلا دون ذلك فلما مروا به - يعني ميمنة التتار التي كانت كسرت ميسرة المسلمين - ثبت لهم ثباتاً عظيماً ثم ساق عليهم بنفسه فانهمزوا أمامه لا يلوون على شيء وكان ذلك تمام النصر وكان انهزامهم عن آخرهم قبل الغروب وافترقوا فرقتين: فرقة أخذت جهة سلمية والبرية وفرقة أخذت جهة حلب والفرات.

ولما انقضى الحرب في ذلك النهار عاد السلطان إلى منزلته وأصبح بكرة يوم الجمعة سادس عشر رجب جهز السلطان وراءهم جماعة كثيرة من العسكر والعربان ومقدمهم الأمير بدر الدين بيليك الأيدمري وكان لما لاحت الكسرة على المسلمين نهب لهم من الأقمشة والأمتعة والخزائن والسلاح ما لا يحصى كثرة وذهب ذلك كله أخذته الحرافشة من المسلمين مثل الغلمان وغيرهم.

وكتبت البشائر بهذا النصر العظيم إلى سائر البلاد وحصل للناس السرور الذي لا مزيد عليه وعملت القلاع وزينت المدن.

وأما أهل دمشق فإنه كان ورد عليهم الخبر أولاً بكسرة المسلمين ووصل إليهم جماعة ممن كان انهزم فلما بلغهم النصر كان سرورهم أضعاف سرور غيرهم.

وكان أهل البلاد الشامية من يوم خرج السلطان من عندهم إلى ملتقى التتار وهم يدعون الله تعالى في كل يوم وبيتهلون إليه وخرج أهل البلاد بالنساء والأطفال إلى الصحارى والجوامع والمساجد وأكثروا من الابتهاج إلى الله عز وجل في تلك الأيام لا يفترون عن ذلك حتى ورد عليهم هذا النصر العظيم ولله الحمد وطابت قلوب الناس ورد من كان نرح عن بلاده وأوطانه واطمأن كل أحد وتضاعف شكر الناس لذلك.

وقتل في هذه الواقعة من التتار ما لا يحصى كثرة وكان من استشهد من عسكر المسلمين دون المائتين على ما قيل وممن قتل الأمير الحاج أزدمر وسيف الدين بلبان الرومي وشهاب الدين توتل الشهرزوري وعز الدين بن النصر من بيت الأتابك صاحب الموصل وكان أحد الشجعان المفرطين في الشجاعة رحمهم الله تعالى أجمعين.

ثم إن السلطان انتقل من منزلته بظاهر حمص إلى البحيرة التي بحمص ليعبد عن الجيف ثم توجه عائداً إلى دمشق فدخلها يوم الجمعة الثاني والعشرين من شعبان قبل الصلاة وخرج الناس إلى ظاهر البلد للقائه فدخل دمشق وبين يديه جماعة من أسرى التتار وبأيديهم رماح عليها رؤوس القتلى من التتار فكان يوماً مشهوداً.

ودخل السلطان الشام وفي خدمته جماعة من الأعيان منهم: سنقر الأشقر الذي كان تسلطن وتلقب بالملك الكامل وأيتمش السعدي والأمير علم الدين سنجر الدواداري ولبان الهاروني ثم قدم بعد ذلك الأمير بدر الدين الأيدمرى بمن معه من العسكر عائداً من تتبع التتار بعد ما أنكى فيهم نكاية عظيمة ووصل إلى حلب وأقام بها وسير أكثر من معه يتبعونهم فهلك من التتار خلق كثير غرقوا بالفرات عند عبورهم وعندما عدوه نزل إليهم أهل البيرة فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأسروا منهم جمعاً كثيراً وتفرق جمع التتار وأخذت أموالهم.

وأقام السلطان بدمشق إلى ثاني شهر رمضان خرج منه عائداً إلى الديار المصرية وخرج الناس لوداعه ميتهلين بالدعاء له وسار حتى دخل الديار المصرية يوم ثاني عشرين الشهر بعد أن احتفل أهل مصر لملاقاته وزينت الديار المصرية زينة لم ير مثلها من مدة سنين وعملت بها القلاع وشق القاهرة في مروره إلى قلعة الجبل حتى طلع إليها فكان هذا اليوم من الأيام المشهودة وتضاعف سرور الناس بسلامته وبنصر المسلمين على العدو المخدول.

ثم إن السلطان عقيب دخوله إلى مصر قبض على الأمير ركن الدين إياجي الحاجب وبهاء الدين يعقوب مقدم الشهرزورية بقلعة الجبل.

واستمر السلطان بمصر إلى خامس ذي القعدة من السنة قبض على الأمير أيتمش السعدي بقلعة الجبل وحبسه بها ثم أرسل إلى نائب دمشق بالقبض على الأمير بلبان الهاروني بدمشق فقبض عليه.

وفي هذه السنة - أعني سنة ثمانين وستمائة - تربت

▲ جزيرة كبيرة ببحر النيل

تجاه قرية بولاق واللوق وانقطع بسببها مجرى البحر ما بين قلعة المكس وساحل باب البحر والرملة وبين جزيرة الفيل وهو المار تحت منية السيرج وانسد هذا البحر ونشفت بالكلية واتصل ما بين المقس وجزيرة الفيل بالمشي ولم يعهد فيما تقدم وحصل لأهل القاهرة مشقة من نقل الماء الحلو لبعدهم البحر فأراد السلطان حفره فنهوه عن ذلك وقالوا له: هذا ينشف إلى الأبد فتأسف السلطان وغيره على ذلك.

قلت: وكذا وقع ونحن الآن لا نعرف أين كان جريان البحر المذكور إلا بالحدس لإنشاء الأملاك والبساتين والعمائر والحارات في محل مجرى البحر المذكور فسبحان القادر على كل شيء.

ثم في أول سنة إحدى وثمانين وستمئة ورد الخبر على السلطان أنه تسلطن في مملكة التتار مكان أبغا بن هولوكو أخوه لأبيه أحمد بن هولوكو وهو مسلم حسن الإسلام وعمره يومئذ مقدار ثلاثين سنة وأنه وصلت أوامره إلى بغداد تتضمن إظهار شعائر الإسلام وإقامة مناره وأنه أعلى كلمة الدين وبنى الجوامع والمساجد والأوقاف ورتب القضاة وأنه انقاد إلى الأحكام الشرعية وأنه ألزم أهل الفقه بلبس الغيار وضرب الجزية عليهم ويقال إن إسلامه كان في حياة والده هولوكو فسر السلطان بذلك سرورًا عظيمًا.

وبعد مدة قبض السلطان على الأمير بدر الدين بيسري وعلى علاء الدين كشتغدي الشمسي واعتقلهما بقلعة الجبل وذلك في يوم الأحد مستهل صفر من السنة.

واستمر السلطان على ذلك إلى يوم الأربعاء ثاني عشرين شعبان طافوا بكسوة البيت العتيق التي عملت برسم الكعبة عظمها الله تعالى بمصر والقاهرة على العادة ولعبت ممالك السلطان الملك المنصور قلاوون أمام الكسوة بالرمح والسلاح.

قلت: وأظن هذا هو أول ابتداء سوق المحمل المعهود الآن فإننا لم نقف فيما مضى على شيء من ذلك مع كثرة التفاتنا إلى هذا المعنى ولهذا غلب على ظني من يوم ذاك بدأ السوق المعهود الآن ولم يكن إذ ذاك على هيئة يومنا هذا وإنما ازداد بحسب اجتهاد المعلمين كما وقع ذلك في غيره من الفنون والملاعب والعلوم فإن مبدأ كل أمر ليس كنهائته وإنما شرع كل معلم في اقتراح نوع من أنواع السوق إلى أن انتهى إلى ما نحن عليه الآن ولا سبيل إلى غير ذلك.

يعرف ما قلته من له إمام بالفنون والعلوم إذا كان له فوق وعقل.

وعلى هذه الصيغة أيضًا اللعب بالرمح فإن ممالك قلاوون هم أيضًا أحدثوه وإن كانت الأوائل كانت تلعبه فليس كان لعبهم على هذه الطريقة وأنا أضرب لك مثلًا لمصداق قولي في هذا الفن وهو أن ممالك الملك الظاهر برقوق كان أكثرهم قد حاز من هذا الفن طرقًا جيدًا وصار فيهم من يضرب بلعبه المثل وهم جماعة كثيرة يطول الشرح في ذكرهم ومع هذا أحدث معلمو زماننا أشياء لم يعهدوها أولئك من تغيير القبض على الرمح في مواطن كثيرة في اللعب حتى إن لعب زماننا هذا يكاد أنه يخالف لعب أولئك في غالب قبوضاتهم وحركاتهم.

وهذا أكبر شاهد لي على ما نقلته من أمر المحمل وتعداد فنونه وكثرة ميادينه واختلاف أسمائها لتغيير لعب الرمح في هذه المدة اليسيرة من صفة إلى أخرى فكيف وهذا الذي ذكرناه من ابتداء السوق من سنة إحدى وثمانين وستمئة! فمن باب أولى تكون زيادات أنواع سوق المحمل أحق بهذا لطول السنين ولكثرة من باشره من المعلمين الأستاذين ولتغير الدول ولمحبة الملوك وتعظيمهم لهذا الفن ولإنفاق سوق من كان حاذقًا في هذا الفن.

وقد صنعت أنا ثمانية ميادين كل واحد يخالف الآخر في نوعه لم أسبق إلى مثلها قديمًا ولا حديثًا لكنني لم أظهرها لكساد هذا الفن وغيره في زماننا هذا ولعدم الإنصاف فيه وكثرة حساده ممن يدعي فيه المعرفة وهو أجنبي عنها لا يعرف اسم نوع من أندابه على جليته بل أيها المدعي سليمي كفاً لست منها ولا قلامة ظفر إنما أنت من سليمي كواو ألحقت في الهجاء ظلمًا بعمر وشاهدي أيضًا قول العلامة جار الله محمود الزمخشري

وأجاد رحمه الله تعالى: الطويل وأخربي دهري وقدم معشرًا على أنهم لا يعلمون وأعلم
ومذ أفلح الجهال أيقنت أنني أنا الميم والأيام أفلح اعلم قلت: وتفسير الأفلح هو مشقوق
الشفة العليا والأعلم مشقوق الشفة السفلى وفائدة ذلك أن مشقوق الشفتين العليا
والسفلى لا يقدر أن يتلفظ بالميم ولا ينطق بها.

فانظر إلى حسن هذا التخيل والغوص على المعاني.

وما أحسن قول الإمام العلامة القاضي الفاضل عبد الرحيم وزير السلطان صلاح الدين
وهو: مجزوء الكامل ما ضر جهل الجاهل - - ين ولا انتفعت أنا بحذقي وزيادة في الحذق
فه - - ي زيادة في نقص رزقي وقول الشريف الرضي في المعنى: البسيط ما قدر
فضلك ما أصبحت ترزقه ليس الحظوظ على الأقدار والمهن وفي المعنى: البسيط كم
فاضل فاضل أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا هذا الذي ترك الألياب حائرة وصير
العالم التحرير زنديقا قلت: وبعبني المقالة السادسة عشرة من كتاب أطباق الذهب
للعلامة شرف الدين عبد المؤمن الأصفهاني المعروف بشوروة وهي: طبع الكريم لا
يحتمل حمة الضيم وهواء الصيف لا يقبل غمة الغيم والنيل يرضى النبال والحسام ويأبى
أن يسام ولأن يقتل صبرًا ويودع قبرًا أحب إليه من أن يصيبه نشاب الجفاء من جفير
الأكفاء يهوى المنية ولا يرضى الدنية يستقبل السيف ولا يقبل الحيف إن سيم أخذته الهزة
وإن ضيم أخذته العزة إن عاشرته سال عذبًا وإن عاسرته سل عضبًا إن شاربته تخمر
وإن حاربه تنفر يرى العز مغنمًا والذل مغرمًا وكان كأنف الليث لا يشتم مرغمًا.

فيا هذا كن في الدنيا حمي الأنف منيع الجناب أبي النفس طرير الناب ولا تصحب الدنيا
صحبة بعال ولا تنظر إلى أبنائها إلا من عال ولا تخفض جناحك لبنيتها ولا تضع ركنك
لبانيها ولا تمدن عينيك إلى زخارفها ولا تبسط يدك إلى مخارفها وكن من الأكياس واتل
على قلت: وقد خرجنا عن المقصود غير أننا وجدنا المقال فقلنا.

ولنعد إلى ما نحن فيه من ترجمة الملك المنصور قلاوون.

ودام السلطان الملك المنصور بديار مصر إلى سنة ثلاث وثمانين وستمائة وتوفي صاحب
حماة الملك المنصور محمد الأيوبي فأنعم السلطان الملك المنصور على ولده بسلطنة
حماة وولاه مكان والده المنصور.

ثم تجهز السلطان في السنة المذكورة وخرج من الديار المصرية بعسكره متوجهًا إلى
الشام في أواخر جمادى الأولى وسار حتى دخل دمشق في ثاني عشر جمادى الآخرة
وأقام بدمشق إلى أن عاد إلى جهة الديار المصرية في الثالث الأخير من ليلة السبت ثالث
عشرين شعبان وسار حتى دخل مصر في النصف من شهر رمضان وأقام بديار مصر إلى
أول سنة أربع وثمانين وستمائة فتجهز وخرج منها بعساكره إلى جهة الشام وسافر حتى
دخل دمشق يوم السبت ثاني عشر من السنة المذكورة وعرض العسكر
الشامي عدة أيام وخرجوا جميعًا قاصدين المرقب في يوم الاثنين ثاني صفر.

وكان قد بقي في يد سنقر الأشقر قطعة من البلاد منها: بلاطنس وصهيون وبرزيه وغير
ذلك وكان عمل السلطان في الباطن انتزاع ما يمكن انتزاعه من يد سنقر الأشقر
المذكور وإفساد نوابه.

فاتفق الحال بين نواب السلطان وبين نواب سنقر الأشقر على تسليم بلاطنس فسلمت
في أول صفر.

ووافق السلطان البشري بتسليمها وهو على عيون القصب في توجهه إلى حصار المرقب فسر بذلك واستبشر بنيل مقصوده من المرقب.

وكان في نفس السلطان من أهل المرقب لما فعلوا مع عسكره ما فعلوا في السنين الماضية فنازل السلطان حصن المرقب في يوم الأربعاء عاشر صفر وشرع العسكر في عمل الستائر والمجانيق.

فلما انتهت الستائر التي للمجانيق حملتها المقاتلة لباب الحصن فسقطت الستارة إلى بركة كبيرة كان عليها جماعة من أصحاب الأمير علم الدين سنجر الدويداري منهم شمس الدين سنقر أستاذاره وعدة من مماليكه فاستشهدوا جميعهم رحمهم الله تعالى.

ثم في يوم الأحد رابع عشره حضر رسل الفرنج من عند ملكهم الإيبطار وسألوا السلطان الصلح والأمان لأهل المرقب على نفوسهم وأموالهم ويسلمون الحصن المذكور فلم يجبهم السلطان إلى ذلك وكمل نصب المجانيق ورمى بها وشعث الحصن وهدم معظم أبراجه واستمر الحال إلى سادس عشر شهر ربيع الأول زحف السلطان على الحصن فأذعن من فيه بالتسليم وحصلت المراسلة في معنى ذلك.

فلما كان يوم الجمعة ثامن عشر شهر ربيع الأول المذكور سلم ورفعت عليه الأعلام الإسلامية ونزل من به بالأمان على أرواحهم فركبوا وجهاز معهم من أوصلهم إلى وبالقرب من هذا الحصن مرقية وهي بلدة صغيرة على البحر وكان صاحبها قد بنى في البحر برجًا عظيمًا لا يرام ولا تصله النشاب ولا حجر المنجنيق وحصنه واتفق حضور رسل صاحب طرابلس إلى السلطان بطلب مرضيه فاقترح عليه خراب هذا البرج وإحضار من كان فيه أسيرًا من الجيبيين الذين كانوا مع صاحب جبيل فأحضر من بقي منهم في قيد الحياة واعتذر عن هدم البرج بأنه ليس له ولا هو تحت حكمه فلم يقبل السلطان اعتذاره وصمم على طلبه منه فقيل: إنه اشتراه من صاحبه بعدة قرى وذهب كثير ودفعه إلى السلطان فأمر بهدمه فهدم واستراح الناس منه.

وحصل الاستيلاء في هذه الغزوة على المرقب وأعماله ومرقية.

والمرقب هو من الحصون المشهورة بالمنعة والحصانة وهو كبير جدًا ولم يفتحه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فيما فتح فأبقاه السلطان الملك المنصور بعد أن أشير عليه بهدمه ورمم شعثه واستتاب فيه بعض أمرائه ورتب أحواله.

وكتبت البشائر بهذا الفتح إلى الأقطار.

ولما كان السلطان الملك المنصور على حصار المرقب جاءته البشرية بولادة ولده الملك الناصر محمد بن قلاوون فمولد الملك الناصر محمد هذه السنة فيحفظ إلى ما يأتي ذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى فإنه أعظم ملوك الترك بلا مدافعة.

ولما فتح السلطان الملك المنصور المرقب عملت الشعراء في ذلك عدة قصائد فمن ذلك ما قاله العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود وهي قصيدة طنانة أولها: البسيط

الله أكبر هذا النصر والظفر ** هذا هو الفتح لا ما تزعم السير

هذا الذي كانت الآمال إن طمحت ** إلى الكواكب ترجوه وتنتظر

فانهض وسر واملك الدنيا فقد نحلت ** شوقًا منابرها وارتاحت السرر

كم رام قبلك هذا الحصن من ملك ** فطال عنه وما في باعه قصر
وكيف تمنحه الأيام مملكة ** كانت لدولتك الغراء تدخر
وكيف يسمو إليها من تأخر ** عن إسعاده منجداك القمر والقدر
غر العدا منك حلم تحته همم ** لأشقر البرق من تحجيلها غرر
لها وإن أشبهت لطف النسيم سرى ** معنى العواصف لا تبقي ولا تذر
أوردتها المرقب العالي وليس سوى ** ماء المجرة في أرجائها نهر
كأنه وكأن الجو يكنفه ** وهم تمثله في طيها الفكر
يختال كالغادة العذراء قد نظمت ** منه مكان اللاكي الأنجم الزهر
ويومض البرق يهفو نحوه ** ليرى أدنى رباه ويأتي وهو معتذر
وليس يروى بماء السحب مصعدة ** إليه من فيه إلا وهو منحدر
ومنها:

وأضرمت حوله نار لها لهب ** من السيوف ومن نبل الوغى شرر
ومنها:

كأنها ومجانيق الفرنج لها ** فرائس الأسد في أظفارها الظفر
وكم شكا الحصن ما يلقي فما ** اكرثت يا قلبها أحديد أنت أم حجر
وللنقوب ديب في مفاصله ** تثير سقمًا ولا يبدو له أثر
أضحى به مثل صب لا تبين به ** نار الهوى وهي في الأحشاء تستعر
ومنها:

ركبت في جندك الأولى إليه ضحًا ** والنصر يتلوك منه جندك الآخر
قد زال تجلى قواه عن قواعده وخر ** أعلاه نحو الأرض يبتدر
وساخ وانكشفت أقبأؤه وبدا لديك ** من مضمرات النصر ما ستروا
إن لم يوف الورى بالشكر ما فتحت ** يداك فالله والأملأك قد شكروا

ثم سار الملك المنصور قلاوون من المرقب إلى دمشق وأقام بها أيامًا ثم خرج منها عائدًا
إلى نحو الديار المصرية في بكرة الاثنين ثاني عشر جمادى الأولى فدخل الديار المصرية
في أوائل شهر رجب.

ولما دخل القاهرة وأقام بها أخذ في عمل أخذ الكرك من الملك المسعود نجم الدين خضر ابن السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري حتى أخذت وورد عليه الخبر بأخذها في ليلة الجمعة سابع صفر سنة خمس وثمانين وستمئة ودقت البشائر بالديار المصرية ثلاثة أيام.

ثم في سنة ست وثمانين وستمئة جهز السلطان طائفة من العسكر بالديار المصرية صحبة الأمير حسام الدين طرنطاي إلى الشام لحصار صهيون وبرزيه وانتزاعهما من يد سنقر الأشقر فسار حسام الدين المذكور بمن معه حتى وصل دمشق في أثناء المحرم واستصحب معه الأمير حسام الدين لاجين نائب الشام وتوجه الجميع إلى صهيون بالمجانيق فوصلوها وشرعوا في حصارها وكان سنقر الأشقر قد استعد لهم وجمع إلى القلعة خلقًا كثيرًا فحاصروه أيامًا ثم بعد ذلك توجه الأمير حسام الدين إلى برزيه وحصرها واستولى عليها وهي مما يضرب المثل بحصانتها.

ولما فتحها وجد فيها خيولا لسنقر الأشقر.

ولما فتحت برزيه لانت عريكة سنقر الأشقر وأجاب إلى تسليم صهيون على شروط اشترطها فأجابه طرنطاي إليها وحلف له بما وثق به من الأيمان ونزل من قلعة صهيون بعد حصرها شهرًا واحدًا وأعين على نقل أثقاله بجمال كثيرة وحضر بنفسه وأولاده وأثقاله وأتباعه إلى دمشق.

ثم توجه إلى الديار المصرية صحبة طرنطاي المذكور ووفى له بجميع ما حلف عليه ولم يزل يذب عنه أيام حياته أشد ذب.

وأعطى السلطان لسنقر الأشقر بالديار المصرية خبز مائة فارس وبقي وافر الحرمة إلى آخر أيام الملك المنصور قلاوون.

وانتظمت صهيون وبرزيه في سلك الممالك المنصورية.

ثم خرج الملك المنصور من الديار المصرية قاصدًا الشام في يوم سابع عشرين شهر رجب سنة ست وثمانين وسار حتى وصل غزة أقام بتل العجول أيامًا إلى شوال ثم رجع إلى الديار المصرية فدخلها يوم الاثنين ثالث عشرين شوال ولم يعلم أحد ما كان غرضه في هذه السفارة.

وفي شوال هذا سلطن الملك المنصور ولده الملك الأشرف صلاح الدين خليلًا وجعله مكان أخيه الملك الصالح علاء الدين علي بعد موته ودقت البشائر لذلك سبعة أيام بالديار المصرية وغيرها وحلف الناس له والعساكر وخطب له بولاية العهد.

ثم في سنة ثمان وثمانين وستمئة فتحت طرابلس وهو أن صاحب طرابلس كان وقع بينه وبين سير تلميه الفرنجي وكان من أصحاب صاحب الحصن الذي أخربه صاحب طرابلس رضاء للملك المنصور قلاوون حسب ما تقدم ذكره.

فحصلت بينه وبين صاحب طرابلس وحشة بسبب ذلك واتفق موت صاحب الحصن وسأل سير تلميه من السلطان الملك المنصور المساعدة وأن يتقدم للأمير بلبان الطباخي السلحدار أن يساعده على تملك طرابلس على أن تكون مناصفة وبذل في ذلك بذولًا كثيرة فسوعد إلى أن تم له مراده ورأى أن الذي بذله للسلطان لا يوافق الفرنج عليه فشرع في باب التسوية والمغالطة ومدافعه الأوقات فلما علم السلطان باطن أمره عزم على قتاله قبل استحكام أمره فتجهز وخرج من الديار المصرية بعساكره لحصار

طرابلس وسار حتى وصل دمشق وأقام بها ثم تهيأ وخرج منها ونازل طرابلس في مستهل شهر ربيع الأول ونصب عليها المجانيق وضايقها مضايقة شديدة إلى أن ملكها بالسيف في الرابعة من نهار الثلاثاء رابع شهر ربيع الآخر وشمل القتل والأسر لسائر من كان بها وغرق منهم في الماء جماعة كثيرة ونهب من الأموال والذخائر والمتاجر وغير ذلك ما لا يوصف ثم أحرقت وخرب سورها وكان من أعظم الأسوار وأمنعها.

ثم تسلم حصن أنفة وكان أيضًا لصاحب طرابلس فأمر السلطان بتخريبه ثم تسلم السلطان البترون وجميع ما هناك من الحصون.

وكان لطرابلس مدة طويلة بأيدي الفرنج من سنة ثلاث وخمسمائة إلى الآن.

قلت: وكان فتح طرابلس الأول في زمن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وتنقلت في أيدي الملوك وعظمت في زمن بني عمار قضاة طرابلس وحكامها.

فلما كان في آخر المائة الخامسة ظهرت طوائف الفرنج في الشام واستولوا على البلاد فامتنعت عليهم طرابلس مدة حتى ملكوها بعد أمور في سنة ثلاث وخمسمائة واستمرت في أيديهم إلى أن فتحها الملك المنصور قلاوون في هذه السنة.

وقال شرف الدين محمد بن موسى المقدسي الكاتب في السيرة المنصورية: إن طرابلس كانت عبارة عن ثلاثة حصون مجتمعة باللسان الرومي وكان فتحها على يد سفيان بن مجيب الأزدي بعثه لحصارها معاوية بن أبي سفيان في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه انتهى كلام شرف الدين باختصار.

قلت: وأما طرابلس القديمة كانت من أحسن المدن وأطيبها ثم بعد ذلك اتخذوا مكانًا على ميل من البلدة وبنوه مدينة صغيرة بلا سور فجاء مكانًا رديء الهوى والمزاج من الوخم.

انتهى.

ولما فتحت طرابلس كتبت البشائر إلى الآفاق بهذا النصر العظيم ودقت البشائر والتهاني وزينت المدن وعملت القلاع في الشوارع وسر الناس بهذا النصر غاية السرور.

وأنشأ في هذا المعنى القاضي تاج الدين ابن الأثير كتابًا إلى صاحب اليمن بأمر الملك المنصور يعرفه بهذا الفتح العظيم وبالبشارة به.

وأوله: بسم الله الرحمن الرحيم أعز الله نصر المقام العالي السلطاني الملكي المظفري الشمسي.

ثم استطرد وحكى أمر الفتح وغيره إلى أن قال فأحسن فيما قال: وكانت الخلفاء والملوك في ذلك الوقت ما فيهم إلا من هو مشغول بنفسه مكب على مجلس أنسه يرى السلامة غنيمة وإذا عن له وصف الحرب لم يسأل منها إلا عن طرق الهزيمة قد بلغ أمله من الرتبة وقنع أمن ملكه كما يقال بالسكة والخطبة أموال تنهب وممالك تذهب لا يبالون بما سلبوا وهم كما قيل: البسيط إن قاتلوا قتلوا أو طاردوا طردوا أو حاربوا حاربوا أو غالبوا غلبوا إلى أن أوجد الله من نصر دينه وأذل الكفر وشياطينه.

انتهى.

قلت: والكتاب هذا خلاصته والذي أعجبنى منه.

وعمل الشعراء في هذا الفتح عدة قصائد فمن ذلك ما قاله العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود كاتب الدرج المقدم ذكره يمدح الملك المنصور قلاوون ويذكر فتحه طرابلس والقصيدة أولها: الطويل علينا لمن أولك نعمته الشكر لأنك للإسلام يا سيفه ذخر ولله في إعلاء ملكك في الورى مراد وفي التأييد يوم الوغى سر ألا هكذا يا وارث الملك فليكن جهاد العدا لا ما توالى به الدهر ومنها: نهضت إلى عليا طرابلس التي أقل عنها أن خندقها البحر والقصيدة طويلة كلها على هذا المنوال أضربت عنها خوف الإطالة.

انتهى.

ثم عاد الملك المنصور إلى الديار المصرية في جمادى الآخرة من السنة واستمر بالقاهرة إلى أول سنة تسع وثمانين وستمئة جهز الأمير حسام الدين طرنطاي كافل الممالك الشامية إلى بلاد الصعيد ومعه عسكر جيد من الأمراء والجند فسكن تلك النواحي وأباد المفسدين وأخذ خلقًا عظيمًا من أعيانهم رهائن وأخذ جميع أسلحتهم وخيولهم وكان معظم سلاحهم السيوف والحجف والرماح وأحضروا إلى السلطان من ذلك عدة أحمال ففرق السلطان من الخيول والسلاح فيمن أراد من الأمراء والجند وأودع الرهائن الحبوس.

وفي هذه السنة أيضًا عاد الأمير عز الدين أيبك الأفرم من غزو بلاد السودان بمغانم كثيرة ورفيق كثير من النساء والرجال وقيل صغير.

ثم في هذه السنة أيضًا رسم السلطان ألا يستخدم أحد من الأمراء وغيرهم في دواوينهم أحدًا وفي هذه السنة عزم السلطان الملك المنصور على الحج لبلعه خبر فرنج عكا ففتر عزمه وتهيأ للخروج إلى البلاد الشامية ورأى أن يقدم غزوهم والانتقام على الحج وأخذ في تجهيز العساكر والبعوث وضرب دهليزه خارج القاهرة وباب الدهليز إلى جهة عكا.

وخرج من القاهرة إلى مخيمه وهو متوعك لأيام خلت من شوال ولا زال متمرصًا بمخيمه عند مسجد التبن خارج القاهرة إلى أن توفي به في يوم السبت سادس ذي القعدة من سنة تسع وثمانين وستمئة وحمل إلى القلعة ليلة الأحد.

وتسلطن من بعده ولده الملك الأشرف صلاح الدين خليل الذي كان عهد له بالسلطنة قبل تاريخه حسب ما ذكرناه.

وكثر أسف الناس عليه.

قال الحافظ أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي في تاريخ الإسلام بعدما سماه ولقبه قال: اشترى بألف دينار ولهذا كان في حال إمرته يسمى بالألفي وكان من أحسن الناس صورة في صباه وأبهاهم وأهيبهم في رجوليته كان تام الشكل مستدير اللحية قد وخطه الشيب على وجهه هيبة الملك وعلى أكتافه حشمة السلطنة وعليه سكينه ووقار رأيته مرات آخرها منصرفه من فتح طرابلس.

وكان من أبناء الستين.

ثم قال: وحدثني أبي أنه كان معجم اللسان لا يكاد يفصح بالعربية وذلك لأنه أتى به من بلاد الترك وهو كبير.

ثم قال بعد كلام آخر: وعمل بالقاهرة بين القصرين تربة عظيمة ومدرسة كبيرة قال: وبیمارستانًا للمرضى.

قلت: ومن عمارته الییمارستان المذكور وعظم أوقافه تعرف همته ونذكر عمارة الییمارستان إن شاء الله تعالى بعد ذلك.

انتهى.

وقال غيره: وكان يعرف أيضًا قلاوون الآفسنقري الكاملی الصالحی النجمی لأن الأمير آق سنقر الكاملی كان اشتراه من تاجرہ بألف دينار ثم مات الأمير آق سنقر المذكور بعد مدة يسيرة فارتجع هو وخشداشيتہ إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب في سنة سبع وأربعين وستمئة وهي السنة التي مات فيها الملك الصالح أيوب وهذا القول هو الصحيح في أصل مشتراه.

قلت: ولما طلع الملك المنصور قلاوون إلى قلعة الجبل ميئًا أخذوا في تجهيزه وغسله وتكفينه إلى أن تم أمره وحملوه وأنزلوه إلى تربته بين القصرين فدفن بها.

وكانت مدة ملكه إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر رحمه الله تعالى وكان سلاطناً كريماً حليماً شجاعاً مقداماً عادلاً عفيفاً عن سفك الدماء مائلاً إلى فعل الخير والأمر بالمعروف وله مآثر كثيرة: منها الییمارستان الذي أنشأه بين القصرين وتمم عمارته في مدة يسيرة وكان مشد عمارته الأمير علم الدين سنجر الشجاعی المنصوری وزیر الدیار المصرية ومشد دواوينها ثم ولي نيابة دمشق ونهض بهذا العمل العظيم وفرغ منه في أيام قلائل ولما كمل عمارة الجميع امتدحه معين الدين ابن تولوا بقصيدة أولها: الكامل قلت: وهذا الییمارستان وأوقافه وما شرطه فيه لم يسبقه إلى ذلك أحد قديماً ولا حديثاً شرقاً ولا غرباً.

وجدد عمارة قلعة حلب وقلعة كركر وغير موضع.

وأما غزواته فقد ذكرناها في وقتها.

وجمع من الممالیک خلقاً عظيماً لم يجمعهم أحد قبله فبلغت عدتهم اثني عشر ألفاً وصار منهم الأمراء الكبار والنواب ومنهم من تسلطن من بعده على ما يأتي ذكره.

وتسلطن أيضًا من ذريته سلاطين كثيرة آخرهم الملك المنصور حاجي الذي خلعه الملك الظاهر برقوق.

وأعظم من هذا أنه من تسلطن من بعده من يوم مات إلى يومنا هذا إما من ذريته وإما من ممالیکه أو ممالیک أولاده وذريته لأن يلبغا مملوك السلطان حسن وحسن بن محمد بن قلاوون وبرقوق مملوك يلبغا والسلاطين بأجمعهم ممالیک برقوق وأولاده.

انتهى.

وكان من محاسن الملك المنصور قلاوون أنه لا يميل إلى جنس بعينه بل كان ميله يتخيل فيه النجاة كائنًا من كان.

قلت: ولهذا طال مدة مماليكه وذريته باختلاف أجناس مماليكه وكانت حرمة عظيمة على مماليكه لا يستطيع الواحد منهم أن ينهر غلامه ولا خادمه خوفاً منه ولا يتجاهر أحد منهم بفاحشة ولا يتزوج إلا إن زوجه هو بعض جواربه هذا مع كثرة عددهم.

قلت رحمه الله تعالى: لو لم يكن من محاسنه إلا تربية مماليكه وكف شرهم عن الناس لكفاه ذلك عند الله تعالى فإنه كان بهم منفعة للمسلمين ومضرة للمشركين وقيامهم في الغزوات معروف وشرهم عن الرعية مكفوف بخلاف زماننا هذا فإنه مع قتلهم وضعف بنيتهم وعدم شجاعتهم شرهم في الرعية معروف ونفعهم عن الناس مكفوف هذا مع عدم التجاريد والتقاء الخوارج وقلة الغزوات فإنه لم يقع في هذا القرن وهو القرن التاسع لقاء مع خارجي غير وقعة تيمور وافترضوا منه غاية الفضيحة وسلموا البلاد والعباد وتسحب أكثرهم من غير قتال.

وأما الغزوات فأعظم ما وقع في هذا القرن فتح قبرس وكان النصر فيها من الله سبحانه وتعالى انكسر صاحبها وأخذ من جماعة يسيرة تلقاهم بعض عساكره.

خذلان من الله تعالى وقع ذلك كله قبل وصول غالب عسكر المسلمين.

وأما غير ذلك من الغزوات فسفر في البحر ذهاباً فكيف لو كان هؤلاء أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب عندما غزا الساحل وغاب عن الديار المصرية نحو العشر سنين لا يفارق فيها الخيم والتشتت عن الأوطان واتصال الغزوة بالغزوة أو لو كانوا أيام الملك الكامل محمد لما قاتل الفرنج على دمياط نحو الثلاث سنين لم يدخل فيها مصر إلى أن فتح الله عليه أو لو كانوا أيام الملك الظاهر بيبرس وهو يتجرد ويغزو في السنة الواحدة المرة والمرتين والثلاث وهلم جرا إلى أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين لما أخذت الإسكندرية.

وهذا شيء معروف لا يشاح فيه أحد.

وأعجب من هذا كله أن أولئك كانوا على حظ وافر من الأدب والحشمة والتواضع مع الأكابر وإظهار الناموس وعدم الازدراء بمن هو دونهم وهؤلاء آست في الماء وأنف في السماء لا يهتدي أحدهم لمسك لجام الفرس وإن تكلم بنفس ليس لهم صناعة إلا نهب البضاعة يتقوون على الضعيف ويشرهون حتى في الرغيف جهادهم الإخراق بالرئيس وغزوه في التبن والدريس وحظهم منقاص ولا مروءة لهم والسلام.

انتهى.

▲ قال ابن كثير في حق الملك المنصور قلاوون المذكور

: اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب من الملك الكامل محمد ابن العادل أبي بكر بن أيوب بألف دينار فلذلك سمي بالألفي.

قلت: وهذا بخلاف ما نقله الشيخ صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي في أن الذي اشتراه بألف دينار إنما هو الأمير آق سنقر الكامل والأرجح عنده ما قاله الصفدي في أن الذي اشتراه بألف دينار إنما هو الأمير آق سنقر من وجوه عديدة.

قال ابن كثير أيضاً: وكان الملك المنصور قد أفرد من مماليكه ثلاثة آلاف وسبعمائة مملوك من الأمراء والجراكسة وجعلهم بالقلعة وسماهم البرجية وأقام نوابه في البلدان من مماليكه وهم الذين غيروا ملابس الدولة الماضية.

قال الصلاح الصفدي: ولبسوا أحسن الملابس لأن في الدولة الماضية الصلاحية كان الجميع يلبسون كلونات صفر مضرية بكلبندات بغير شاشات وشعورهم مضفورة دبايق في أكياس حرير ملونة وكان في خواصرهم موضع الحوائص بنود ملونة أو بعلبكية وأكمام أقبينهم ضيقة على زي ملابس الفرنج وأخفافهم برغالي أو سقامين ومن فوق قماشهم كمرات بحلق وإبزيم وصوالقهم كبار يسع كل صولق نصف وبة أو أكثر ومنديلهم كبير طوله ثلاث أذرع فأبطل المنصور ذلك كله بأحسن منه.

وكانت الخلع للأمراء المقدمين المروزي فخصص الملك المنصور من الأمراء بلبس الطرد وحش أربعة من خشداشيته وهم: سنقر الأشقر الذي كان تسلطن ولقب بالملك الكامل والبيسري والأيدمري والأفرم.

وباقي الأمراء والخاصكية والبرانية تلبس المروزي والطيلخاتات بالملون والعشرات بالعتابي.

قلت: وهذا أيضًا بخلاف زماننا فإنه لبس فيه أوباش الناس الخلع السنينة وأعجب من هذا أنه لما لبس هؤلاء الخلع السنينة تلك الأبهة والحشمة عن الخلع المذكورة وصارت كمن دونها من الخلع في أعين الناس لمعرفتهم بمقام اللابس.

انتهى.

قلت: والآن نذكر ما وعدنا بذكره في أوائل ترجمة الملك المنصور قلاوون من أمر كتاب السر لأنه هو الذي أحدث هذه الوظيفة وسمى صاحبها بكتاب السر على ما نبينه من أقوال كثيرة: منها أنه لما كان أيام الملك الظاهر بيبرس كان الدوادر يوم ذاك بلبان بن عبد الله الرومي.

قال الشيخ صلاح الدين خليل الصفدي: كان من أعيان الأمراء - يعني عن بلبان المذكور - ومن نجباؤهم وكان الملك الظاهر بيبرس يعتمد عليه ويحمله أسراره إلى القصاد.

ولم يؤمره إلا الملك السعيد ابن الملك الظاهر بيبرس.

واستشهد بمصاف حمص سنة ثمانين وستمائة وكان يباشر وظيفة الدوادرية ولم يكن معه كاتب سر فاتفق أنه قال يومًا لمحيي الدين بن عبد الظاهر: اكتب إلى فلان مرسومًا أن يطلق له من الخزانة العالية بدمشق عشرة آلاف درهم نصفها عشرون ألفًا فكتب المرسوم كما قال له وجهه إلى دمشق فأنكروه وأعادوه إلى السلطان وقالوا: ما نعلم هل هذا المرسوم بعشرين نصفها عشرة أو بعشرة نصفها خمسة فطلب السلطان محيي الدين وأنكر عليه ذلك فقال: يا خوند هكذا قال لي الأمير سيف الدين بلبان الدوادر فقال السلطان: ينبغي أن يكون للملك كاتب سر يتلقى المرسوم منه شفاهًا.

وكان الملك المنصور قلاوون حاضرًا من جملة الأمراء فسمع هذا الكلام.

وخرج الملك الظاهر عقيب ذلك إلى نوبة أبلستين فلما توفي الملك الظاهر وملك المنصور قلاوون اتخذ كاتب سر.

انتهى.

كلام الصفدي باختصار.

قلت: وفي هذه الحكاية دلالة على أن وظيفة كتابة السر لم تكن قبل ذلك أبدًا لقوله: ينبغي للملك أن يكون له كاتب سر يتلقى المرسوم منه شفاهًا.

وأيضًا تحقيق ما قلناه: إن وظيفة كتابة السر لم تكن قديمًا وإنما كانت الملوك لا يتلقى الأمور عنهم إلا الوزراء.

قضية فخر الدين بن لقمان مع القاضي فتح الدين محمد بن عبد الظاهر في الدولة الأشرفية خليل بن قلاوون وهو أنه لما توزر فخر الدين بن لقمان قال له الملك المنصور: من يكون عوضك في الإنشاء قال: فتح الدين ابن عبد الظاهر فولى فتح الدين وتمكن عند السلطان وحظي عنده وفتح الدين هذا هو الذي قلنا عنه في أول الكتاب إنه أول كاتب سر كان وظهر اسم هذه الوظيفة من ثم.

انتهى.

وحظي فتح الدين عند السلطان إلى الغاية.

فلما كان بعض الأيام دخل فخر الدين بن لقمان على السلطان فأعطاه السلطان كتابًا يقرؤه فلما دخل فتح الدين أخذ السلطان الكتاب منه وأعطاه لفتح الدين وقال لفخر الدين: تأخر فعظم ذلك على فخر الدين بن لقمان.

قلت: ولولا أن هذه الواقعة خرق للعادة ما غضب ابن لقمان من ذلك لأن العادة كانت يوم ذاك لا يقرأ أحد على السلطان كتابًا بحضرة الوزير.

انتهى.

ومنها واقعة القاضي فتح الدين المذكور مع شمس الدين ابن السلعوس لما ولي الوزارة للملك الأشرف خليل بن قلاوون فإنه قال لفتح الدين: اعرض علي كل ما تكتبه عن السلطان كما هي العادة فقال فتح الدين: لا سبيل إلى ذلك فلما بلغ الملك الأشرف هذا الخبر من الوزير المذكور قال: صدق فتح الدين فغضب من ذلك الوزير ابن السلعوس.

قلت: وعندني دليل آخر أقوى من جميع ما ذكرته أنه لم أقف على ترجمة رجل في الإسلام شرقًا ولا غربًا نعت بكاتب السر قبل فتح الدين هذا وفي هذا كفايته.

وما ذكره صاحب صبح الأعشى وغيره ممن كتبوا للنبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده ليس في ذلك دليل على أنهم كتاب السر بل ذلك دليل لكل كاتب كتب عن مخدومه كائنا من كان.

ونحن أيضًا نذكر الذين ذكرهم صاحب صبح الأعشى وغيره من الكتاب ونذكر أيضًا من ألحقناه بهم من كتاب السر إلى يومنا هذا ليعلم بذلك صدق مقالتي بذكرهم وألقابهم وزمانهم.

انتهى.

قال: اعلم أن كتاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا نيقًا على ستة وثلاثين كاتبًا لكن المشهور منهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية بن أبي سفيان ومروان بن الحكم.

قلت: وفي مروان خلاف لأن الحافظ أبا عبد الله الذهبي قال في ترجمة مروان بن الحكم: له رؤية إن شاء الله ولم يعده من الصحابة فكيف يكون من الكتاب وأيضًا حذف جماعة من كبار الصحابة كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وأثبت مروان هذا وفي صحبته خلاف.

ولولا خشية الإطالة لذكرنا من ذكره الحافظ العلامة مغلطاي ممن كتب للنبي صلى الله عليه وسلم ليعلم بذلك غلط من عد مروان من الكتاب.
انتهى.

قال: ولما توفى النبي صلى الله عليه وسلم وصارت الخلافة إلى أبي بكر كتب عنه عمر بن الخطاب وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

فلما استخلف عمر كتب عنه عثمان وعلي ومعاوية وعبد الله بن خلف الخزاعي وكان زيد بن ثابت وزيد بن أرقم يكتبان على بيت المال.

فلما استخلف عثمان كتب عنه مروان بن الحكم.

فلما استخلف علي كتب عنه عبد الله بن رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم وسعيد بن نمران.

فلما استخلف الحسن كتب عنه كتاب أبيه.

فلما بايعوا معاوية كتب عنه عبد الله بن أوس وكتب عبد الله المذكور عن ابنه يزيد أيضًا وابن ابنه معاوية بن يزيد.

فلما خلع معاوية بن يزيد نفسه وتولى مروان بن الحكم كتب عنه سفيان الأحول وقيل عبيد الله بن أوس.

فلما استخلف عبد الملك بن مروان كتب عنه روح بن زنباع الجذامي.

فلما استخلف الوليد كتب عنه قررة بن شريك ثم قبيصة بن ذؤيب ثم الضحاك بن زمل.

فلما استخلف سليمان كتب عنه يزيد بن المهلب ثم عبد العزيز بن الحارث.

فلما استخلف الإمام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كتب عنه رجاء بن حيوة الكندي ثم الليث بن أبي رقية فلما استخلف يزيد بن عبد الملك كتب عنه سعيد بن الوليد الأبرش ثم محمد بن عبد الله بن حارثة الأنصاري.

فلما استخلف هشام بن عبد الملك أبقاهما على عادتهما واستكتب معهما سالمًا مولاه.

فلما استخلف الوليد بن يزيد كتب عنه العباس بن مسلم.

فلما استخلف يزيد بن الوليد كتب عنه ثابت بن سليمان.

فلما استخلف إبراهيم بن الوليد كتب عنه أيضًا ثابت على عادته.

فلما صارت الخلافة إلى مروان بن محمد بن مروان كتب عنه عبد الحميد بن يحيى مولى بني عامر إلى ثم صارت الخلافة لبني العباس فاتخذوا كتابهم وزراء وكان أول خلفاء بني العباس أبو العباس عبد الله بن محمد السفاح فاتخذ أبا سلمة حفص بن سليمان الخلال وهو أول وزير وزر في الإسلام ثم استوزر معه خالد بن برمك وسليمان بن مخلد والبربيع بن يونس فتراكمت عليهم الأشغال واتسعت عليهم الأمور فأفردوا للمكاتبات ديوانًا وكانوا يعبرون عنه تارة بصاحب ديوان الرسائل وتارة بصاحب ديوان المكاتبات وتفرقت دواوين الإنشاء في الأقطار فكان بكل مملكة ديوان إنشاء.

وكانت الديار المصرية من حين الفتح الإسلامي وإلى الدولة الطولونية إمارة ولم يكن لديوان الإنشاء فيها كبير أمر.

فلما استولى أحمد بن طولون عظمت مملكتها وقوي أمرها فكتب عنه أبو جعفر محمد بن أحمد بن مودود.

وكتب لولده خمارويه إسحاق بن نصر العبادي النصراني وتوالت دواوين الإنشاء بذلك إلى حين انقراض الدولة الإخشيدية.

ثم كانت الدولة الفاطمية فعظم ديوان الإنشاء بها ووقع الاعتناء به واختيار بلغاء الكتاب ما بين مسلم وذمي فكتب للعزیز بن المعز في الدولة الفاطمية أبو المنصور بن سورين النصراني ثم كتب لابنه الحاكم ومات في أيامه وكتب للحاكم بعده القاضي أبو الطاهر النهركي.

ثم تولى الظاهر بن الحاكم فكتب عنه أبو الطاهر المذكور.

ثم تولى المستنصر فكتب عنه القاضي ولي الدين بن خيران وولي الدولة موسى بن الحسن بعد انتقاله إلى الوزارة وأبو سعيد العميدي.

ثم تولى الأمر والحافظ فكتب عنهما الشيخ أبو الحسن علي ابن أحمد بن الحسن بن أبي أسامة الحلبي إلى أن توفي في أيام الحافظ فكتب بعده ولده أبو المكارم هبة الله إلى أن توفي ومعه الشيخ أمين الدين تاج الرياسة أبو القاسم علي بن سليمان بن منجب المعروف بابن الصيرفي والقاضي كافي الكفاة محمود ابن القاضي الموفق أسعد بن قادوس وابن أبي الدم اليهودي ثم كتب بعد أبي المكارم القاضي الموفق بن الخلال بقية أيام الحافظ إلى آخر أيام العاضد آخر خلفائهم وبه تخرج القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني.

ثم أشرك العاضد مع الموفق بن الخلال في ديوان الإنشاء القاضي جلال الدين محمودًا الأنصاري.

ثم كتب القاضي الفاضل بين يدي الموفق بن الخلال في وزارة صلاح الدين يوسف بن أيوب.

ثم كانت الدولة الأيوبية فكتب للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب القاضي الفاضل المذكور ثم أضيفت إليه الوزارة.

ثم كتب بعد الناصر لابنه العزيز ولأخيه العادل أبي بكر ثم مات العادل والفاضل.

قلت: هنا مجازفة لم يكتب القاضي الفاضل للعدل وكان بينهما مشاحنة ومات الفاضل قبل وصول العدل إلى مصر وقيل وقت دخول العدل من باب النصر إلى القاهرة كانت جنازة القاضي الفاضل خارجة.

وقد ذكرنا ذلك كله في هذا الكتاب وإنما كتب الفاضل للعزير عثمان ولولده الملك المنصور محمد فالتبس المنصور على الناقل بالعدل.

انتهى.

قال: ثم تولى الكامل بن العدل فكتب له أمين الدين سليمان المعروف بكاتب الدرج إلى أن توفي فكتب له بعده الشيخ أمين الدين عبد المحسن بن حمود الحلبي مدة قليلة ثم كتب للصالح نجم الدين أيوب ثم ولي ديوان الإنشاء صاحب بهاء الدين زهير ثم صرف وولي بعده صاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان الإسعدي فبقي إلى انقراض الدولة الأيوبية.

فلما كانت الدولة التركية كتب للمعز أيك صاحب فخر الدين المذكور ثم بعده للمظفر قطز ثم للظاهر بيبرس ثم للمنصور قلاوون ثم نقله قلاوون من ديوان الإنشاء للوزارة وولي ديوان الإنشاء مكانه القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر فكتب عنه بقية أيامه ثم كتب لابنه الأشرف خليل إلى أن توفي فولى مكانه القاضي تاج الدين أحمد بن الأثير فكتب إلى أن توفي فكتب بعده الماضي شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمري فكتب بقية أيام الأشرف.

فلما تولى أخوه الناصر محمد كتب عنه القاضي شرف الدين المذكور في سلطنته الأولى ثم في أيام العدل كتبغا ثم أيام المنصور لاجين ثم في أيام سلطنة الناصر محمد الثانية ثم نقله إلى كتابة السر بدمشق عوضًا عن أخيه القاضي محيي الدين بن فضل الله العمري وتولى مكانه بمصر القاضي علاء الدين بن تاج الدين بن الأثير فبقي حتى مرض بالفالج فاستدعى الملك الناصر محي الدين بن فضل الله من دمشق وولده شهاب الدين أحمد وولاهما ديوان الإنشاء بمصر.

ثم ولي بعدهما القاضي شمس الدين ابن الشهاب محمود فبقي إلى عود السلطان من الحج فأعاد القاضي محيي الدين وولده القاضي شهاب الدين إلى ديوان الإنشاء بمصر فبقيا مدة.

ثم تغير السلطان على القاضي شهاب الدين وصرفه عن المباشرة وأقام أخاه القاضي علاء الدين علي وكلاهما معين لوالده لكبر سنه ثم سأل القاضي محيي الدين السلطان في العود إلى دمشق فأعاده وصحبه ولده شهاب الدين واستمر ولده القاضي علاء الدين بالديار المصرية فباشير بقية أيام الناصر ثم أيام ولده الملك المنصور ثم أيام الأشرف كجك ثم أيام الناصر أحمد إلى أن خلع نفسه وتوجه إلى الكرك وتوجه معه القاضي علاء الدين فلما تولى الملك الصالح إسماعيل السلطنة بمصر بعد أخيه الناصر أحمد قرر القاضي بدر الدين محمد ابن القاضي محيي الدين بن فضل الله عوضًا عن أخيه علاء الدين.

قلت: لم يل بدر الدين محمد بعد أخيه علاء الدين الوظيفة استقلالاً وإنما ناب عنه إلى حين حضوره.

انتهى.

قال: ثم أعيد علاء الدين أيام الصالح إسماعيل وأيام الكامل شعبان ثم أيام المظفر حاجي ثم أيام الناصر حسن في سلطنته الأولى ثم في أيام الصالح صالح ثم في أيام الناصر حسن في سلطنته الثانية ثم أيام المنصور محمد ابن المظفر حاجي ثم في أيام الأشرف شعبان وتوفي في أيامه.

قلت: وكانت وفاته في شهر رمضان سنة تسع وستين وسبعمائة بعد أن باشر كتابة السر نيفًا وثلاثين سنة لأحد عشر سلطانًا.

قال: ثم ولي الوظيفة بعده ولده بدر الدين محمد ابن القاضي علاء الدين فباشر بقية أيام الأشرف شعبان ثم ولده المنصور علي ثم أخيه الملك الصالح حاجي بن شعبان إلى أن خلع بالظاهر برقوق فاستقر برقوق بالقاضي أوحد الدين عبد الواحد بن إسماعيل التركماني إلى أن توفي.

قلت: وكانت وفاته في ذي الحجة سنة ست وثمانين وسبعمائة.

قال: ثم أعيد بدر الدين فباشر حتى خلع الظاهر برقوق بالمنصور حاجي فاستمر بدر الدين إلى أن عاد برقوق إلى سلطنته الثانية صرفه بالقاضي علاء الدين علي بن عيسى الكركي ثم صرف الكركي.

قلت: ومات معزولاً في شهر ربيع الأول في سنة أربع وتسعين وسبعمائة.

قال: ثم أعيد القاضي بدر الدين من بعد عزل القاضي علاء الدين فاستمر بدر الدين إلى أن عاد برقوق فتوفي بدمشق.

قلت: ووفاته في شوال سنة ست وتسعين وسبعمائة.

قال: وولي بعده القاضي بدر الدين محمود الكليستاني فباشر إلى أن توفي.

قلت: وكانت وفاته في عاشر جمادى الأولى سنة إحدى وثمانمائة.

قال: فتولى بعده القاضي فتح الدين فتح الله التبريزي فباشر بقية أيام الظاهر ومدة من أيام الناصر إلى أن صرفه الناصر فرج بالقاضي سعد الدين إبراهيم بن غراب مدة يسيرة ثم صرف ابن غراب وأعيد القاضي فتح الله ثانيًا فباشر إلى أن صرف بالقاضي فخر الدين بن المزوق فباشر مدة يسيرة ثم صرف وأعيد فتح الله فباشر إلى أن صرفه الملك المؤيد شيخ وقبض عليه وصادره.

قلت: ومات تحت العقوبة خنقًا في ليلة الأحد خامس عشر شهر ربيع الأول سنة ست عشرة وثمانمائة وهو فتح الله بن مستعصم بن نفيس التبريزي الحنفي الداودي يأتي ذكره هو وغيره من كتاب السر في محلهم من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

قال: وتولى بعده القاضي ناصر الدين محمد بن البارزي فباشر إلى أن توفي.

قلت: وكانت وفاته يوم الأربعاء ثامن شوال سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ومولده بحماة في يوم الاثنين رابع شوال سنة تسع وستين وسبعمائة.

وتولى بعده ولده القاضي كمال الدين محمد بن البارزي فباشر إلى أن صرفه الملك الظاهر ططر وولى علم الدين داود بن عبد الرحمن بن الكوبز فباشر إلى أن توفي سنة ست وعشرين وثمانمائة في دولة الملك الأشرف برسباي.

وولى بعده جمال الدين يوسف بن الصفي الكركي فباشر قليلاً إلى أن صرف بقاضي القضاة شمس الدين محمد الهروي ودام الكركي بعد ذلك وباشر عدة وظائف بالبلاد الشامية إلى أن توفي في حدود سنة خمس وخمسين وثمانمائة وباشر الهروي إلى أن عزل بقاضي القضاة نجم الدين عمر بن حجي فباشر ابن حجي إلى أن عزل وتوجه إلى دمشق على قضائها ودام إلى أن قتل بها في ذي القعدة سنة ثلاثين وثمانمائة وولى بعده القاضي بدر الدين محمد بن محمد بن أحمد بن مزهر واستمر إلى أن مات في ليلة الأحد سابع عشرين جمادى الآخرة من سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة.

وولى بعده ابنه جلال الدين وقيل بدر الدين محمد مدة يسيرة.

وصرف بالشريف شهاب الدين أحمد بن علي بن إبراهيم بن عدنان الحسيني الدمشقي فباشر مدة يسيرة وتوفي بالطاعون في سنة ثلاث وثلاثين وولى بعده أخوه نحو الجمعة بغير خلعة وتوفي بالطاعون أيضاً.

وولى بعدهما شهاب الدين أحمد بن صالح بن أحمد بن عمر المعروف بابن السفاح الحلبي فباشر إلى أن مات في سنة خمس وثلاثين.

وولى بعده الوزير كريم الدين عبد الكريم بن عبد الرزاق بن عبد الله المعروف بابن كاتب المناخ مضاعفاً للوزارة فباشر أشهراً وصرف وأعيد القاضي كمال الدين محمد بن البارزي في يوم السبت العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين فباشر إلى أن صرف يوم الخميس سابع شهر رجب سنة تسع وثلاثين وولى مكانه الشيخ محب الدين محمد بن الأشقر فباشر إلى أن صرف وولى صلاح الدين محمد ابن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله فباشر إلى أن توفي بالطاعون في سنة إحدى وأربعين وولى مكانه والده الصاحب بدر الدين حسن فباشر إلى أن صرف وأعيد القاضي كمال الدين بن البارزي في يوم الثلاثاء سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة وهي ولايته الثالثة فباشر إلى أن توفي بكرة يوم الأحد سادس عشرين صفر سنة ست وخمسين وثمانمائة ولم يخلف بعده مثله وولى بعده القاضي محب الدين محمد بن الأشقر المقدم ذكره وباشر إلى أن صرفه الملك الأشرف إينال بالقاضي محب الدين محمد بن الشحنة الحلبي فباشر ابن الشحنة أشهراً ثم صرف وأعيد القاضي محب الدين محمد بن الأشقر وهي ولايته الثالثة.

انتهى.

قلت: وغالب من ذكرناه من هؤلاء الكتاب قد تقدم ذكر أكثرهم ويأتي ذكر باقيهم في محلهم من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وقد استطرنا من ترجمة الملك المنصور إلى غيرها ولكن لا بأس بالتطويل في تحصيل الفوائد.

انتهى.

وقد تقدم ذكرها في ترجمة الملك السعيد والملك العادل سلامش ولدي الملك الظاهر بيبرس وهي سنة ثمان وسبعين وستمائة فإنه حكم فيها من شهر رجب.

إلى آخرها.

السنة الثانية من سلطنة المنصور قلاوون وهي سنة تسع وسبعين وستمائة.

فيها توفي الشيخ محيي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الواحد بن السابق الحلبي العدل الكبير كان من أكابر بيوت حلب وكان عنده فضيلة ورياسة ومات بدمشق في ذي الحجة.

وفيها توفي الأمير سيف الدين وقيل صارم الدين أزيك بن عبد الله الحلبي العدل الكبير كان من أعيان أمراء دمشق وهو منسوب إلى أستاذه الأمير عز الدين أيبك الحلبي وكان قد تجرد إلى بعلبك فتمرض بها فحمل في محفة إلى دمشق فمات بها في شوال.

وفيها توفي الأمير جمال الدين آقوش بن عبد الله الشمسي كان من أعيان الأمراء وأماثلهم وشجعانهم وهو الذي أمسك الأمير عز الدين أيدمر الظاهري وهو الذي باشر قتل كتبغا نوبن مقدم التتار يوم عين جالوت وكان ولي نيابة حلب في السنة الخالية ومات بها في يوم الاثنين خامس المحرم ودفن بحلب وهو في عشر الخميسين.

وفيها توفي الشيخ الإمام كمال الدين أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الحنفي الفقيه العدل كان من أعيان الفقهاء العدول وكان كثير الديانة والتعبد وهو أخو قاضي القضاة شمس الدين الحنفي.

وفيها توفي الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أيوب بن أبي رحلة الحمصي المولد والدار البعلبكي الوفاة كان فاضلاً ظريفاً أدبياً شاعراً ومما ينسب إليه من الشعر قوله: البسيط والدهر كالطيف بؤسائه وأنعمه عن غير قصد فلا تحمد ولا تلم لا تسأل الدهر في البأساء يكشفها فلو سألت دوام البؤس لم يدم وفيها توفي الأديب الفاضل الشاعر المفتن جمال الدين أبو الحسين بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن علي المصري المولد والوفاة المعروف بالجزار الشاعر المشهور أحد فحول الشعراء في زمانه.

مولده سنة إحدى وستمائة.

ومات يوم الثلاثاء ثاني عشر شوال ودفن بالقرافة وكان من محاسن الدنيا وله نوادر مستظرفة ومفاوضات ومفاعلات مع شعراء عصره وله ديوان شعر كبير.

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي: لم يكن في عصره من يقاربه في جودة النظم غير السراج الوراق وهو كان فارس تلك الحلبة ومنه أخذوا وعلى نمطه نسجوا ومن مادته استمدوا.

انتهى كلام الصفدي.

أكلف نفسي كل يوم وليلة شرورًا على من لا أفوز بخيره كما سود القصار بالشمس وجهه ليجهد في تبييض أثواب غيره وقيل: إنه بات ليلة في رمضان عند الصاحب بهاء الدين بن حنا فصلى عنده التراويح وقرأ الإمام في تلك الليلة سورة الأنعام في ركعة واحدة فقال أبو الحسين: السريع مالي على الأنعام من قدرة لا سيما في ركعة واحمه فلا تسوموني حضوراً سوى في ليلة الأنفال والمائدة ومن شعره: الكامل طرف المحب فم يذاع به الجوى والدمع إن صمت اللسان لسان تبكي الجفون على الكرى فاعجب لمن

تبكي عليه إذا نأى الأوطان وفيها توفي الشيخ الإمام عماد الدين أبو بكر بن هلال بن عباد الجيلي الحنفي معيد المدرسة الشبلية.

كان إمامًا عالمًا صالحًا منقطعًا عن الناس مشغولًا بنفسه وكان معدودًا من العلماء أفتى وأعاد ودرس وانتفع به الناس ومات في تاسع عشر شهر رجب وقد كمل له مائة سنة وأربع سنين.

وروى عنه ابن الزبيدي وروى بالإجازة العامة عن السلفي.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الفقيه شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن النن.

والأديب البارع أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم الجزار بمصر.

وشاخ الرافضة النجيب أبو القاسم بن الحسين ابن العود الحلي بجزين في شعبان.

والشيخ الزاهد يوسف بن نجاح بن موهوب الفقاعي بزأوته بقاسيون.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وخمس أصابع.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعًا وثلاث وعشرون إصبغًا.

السنة الثالثة من سلطنة المنصور قلاوون

وهي سنة ثمانين وستمائة.

فيها تربت جزيرة كبيرة ببحر النيل تجاه قرية بولاق والقوق وانقطع بسببها مجرى البحر ما بين قلعة المقمس وساحل باب البحر والرملة وبين جزيرة الفيل ولم يعهد هذا فيما تقدم وحصل لأهل القاهرة مشقة يسيرة من نقل الماء لبعدها البحر عنهم وأراد السلطان حفره فمنعوه وقالوا له: هذا نشف إلى الأبد.

قلت: وكذا وقع وغالب أملاك باب البحر والبساتين خارج باب البحر وداخله هي مكان البحر الذي نشف والتصقت المباني والبساتين بجزيرة الفيل وصارت غير جزيرة فسبحان وفيها توفي الشيخ الصالح الموله المعتمد إبراهيم بن سعيد الشاغوري المعروف بجيعانة في يوم الأحد سابع جمادى الأولى بدمشق ودفن بمقبرة المولهيين بسفح قاسيون وله من العمر نحو سبعين سنة وكانت له جنازة عظيمة وكان له أحوال ومكاشفات رحمه الله.

وفيها توفي ملك التتار أبغا بن هولكو بن تولى خان بن جنكزخان ملك التتار وطاغيتهم كان ملكا جليل الوفيها توفي الأمير سيف الدين بلبان الرومي الدوادار المقدم ذكره في قضية كتاب السر كان الملك الظاهر بيبرس يعتمد عليه وولاه دوادارًا وكان المطلع على أسرارهم وتدير أمور القصاد والجواسيس والمكاتبات لا يشاركه في ذلك وزير ولا نائب سلطنة بل كان هو والأمير حسام الدين لاجين الأيدمرى المعروف بالدرفيل فلما توفي لاجين المذكور انفرد بلبان بذلك وحده وكان مع هذه الخصوصية عند الملك الظاهر أمير عشرة وقيل جنديًا.

قال الصفدي: لم يؤمره طبلخاناه إلى أن مات الملك الظاهر أنعم عليه ولده الملك السعيد بأمره ستين فارسًا بالشام وبقي بعد ذلك إلى أن استشهد بظاهر حمص رحمه الله وقد نيف على ستين سنة.

وفيها توفي الأمير شمس الدين سنقر بن عبد الله الألفي كان من أعيان الأمراء الظاهرية وولي نيابة السلطنة بمصر للملك السعيد بعد موت الأمير بدر الدين بيليك الخازندار وياشر النيابة أحسن مباشرة إلى أن استعفى فاعفى وولي النيابة عوضه الأمير كوندك فكان ذهاب الدولة على يده.

ثم قبض الملك المنصور على سنقر هذا واعتقله بالإسكندرية وقيل بقلعة الجبل إلى أن مات وله من العمر نحو أربعين سنة.

وفيها توفي الشيخ علاء الدين أبو الحسن علي بن محمود بن الحسن بن نيهان اليشكري ثم الربيعي وفيها توفي الأمير سيف الدين بلبان الرومي الدوادار المقدم ذكره في قضية كتاب السر كان الملك الظاهر بيبرس يعتمد عليه وولاه دوا دارًا وكان المطلع على أسراره وتدير أمور القصاد والجواسيس والمكاتبات لا يشاركه في ذلك وزير ولا نائب سلطنة بل كان هو والأمير حسام الدين لاجين الأيدمرى المعروف بالدرفيل فلما توفي لاجين المذكور انفرد بلبان بذلك وحده وكان مع هذه الخصوصية عند الملك الظاهر أمير عشرة وقيل جنديًا.

قال الصفدي: لم يؤمره طبلخاناه إلى أن مات الملك الظاهر أنعم عليه ولده الملك السعيد بأمره ستين فارسًا بالشام وبقي بعد ذلك إلى أن استشهد بظاهر حمص رحمه الله وقد نيف على ستين سنة.

وفيها توفي الأمير شمس الدين سنقر بن عبد الله الألفي كان من أعيان الأمراء الظاهرية وولي نيابة السلطنة بمصر للملك السعيد بعد موت الأمير بدر الدين بيليك الخازندار وياشر النيابة أحسن مباشرة إلى أن استعفى فاعفى وولي النيابة عوضه الأمير كوندك فكان ذهاب الدولة على يده.

ثم قبض الملك المنصور على سنقر هذا واعتقله بالإسكندرية وقيل بقلعة الجبل إلى أن مات وله من العمر نحو أربعين سنة.

وفيها توفي الشيخ علاء الدين أبو الحسن علي بن محمود بن الحسن بن نيهان اليشكري ثم الربيعي وفيها توفي الأمير سيف الدين بلبان الرومي الدوادار المقدم ذكره في قضية كتاب السر كان الملك الظاهر بيبرس يعتمد عليه وولاه دوا دارًا وكان المطلع على أسراره وتدير أمور القصاد والجواسيس والمكاتبات لا يشاركه في ذلك وزير ولا نائب سلطنة بل كان هو والأمير حسام الدين لاجين الأيدمرى المعروف بالدرفيل فلما توفي لاجين المذكور انفرد بلبان بذلك وحده وكان مع هذه الخصوصية عند الملك الظاهر أمير عشرة وقيل جنديًا.

قال الصفدي: لم يؤمره طبلخاناه إلى أن مات الملك الظاهر أنعم عليه ولده الملك السعيد بأمره ستين فارسًا بالشام وبقي بعد ذلك إلى أن استشهد بظاهر حمص رحمه الله وقد نيف على ستين سنة.

وفيها توفي الأمير شمس الدين سنقر بن عبد الله الألفي كان من أعيان الأمراء الظاهرية وولي نيابة السلطنة بمصر للملك السعيد بعد موت الأمير بدر الدين بيليك الخازندار

وباشر النيابة أحسن مباشرة إلى أن استعفى فاعفى وولي النيابة عوضه الأمير كوندك فكان ذهاب الدولة على يده.

ثم قبض الملك المنصور على سنقر هذا واعتقله بالإسكندرية وقيل بقلعة الجبل إلى أن مات وله من العمر نحو أربعين سنة.

وفيها توفي الشيخ علاء الدين أبو الحسن علي بن محمود بن الحسن بن نيهان اليشكري ثم الربعي وفيها توفي الأمير سيف الدين بلبان الرومي الدوادار المقدم ذكره في قضية كتاب السر كان الملك الظاهر بيبرس يعتمد عليه وولاه دوادارًا وكان المطلع على أسرارهِ وتديير أمور القصاد والجواسيس والمكاتبات لا يشاركه في ذلك وزير ولا نائب سلطنة بل كان هو والأمير حسام الدين لاجين الأيدمرى المعروف بالدرفيل فلما توفي لاجين المذكور انفرد بلبان بذلك وحده وكان مع هذه الخصوصية عند الملك الظاهر أمير عشرة وقيل جنديًا.

قال الصفدي: لم يؤمره طبلخاناه إلى أن مات الملك الظاهر أنعم عليه ولده الملك السعيد بأمره ستين فارسًا بالشام وبقي بعد ذلك إلى أن استشهد بظاهر حمص رحمه الله وقد نيف على ستين سنة.

وفيها توفي الأمير شمس الدين سنقر بن عبد الله الألفي كان من أعيان الأمراء الظاهرية وولي نيابة السلطنة بمصر للملك السعيد بعد موت الأمير بدر الدين بيليك الخازندار وباشر النيابة أحسن مباشرة إلى أن استعفى فاعفى وولي النيابة عوضه الأمير كوندك فكان ذهاب الدولة على يده.

ثم قبض الملك المنصور على سنقر هذا واعتقله بالإسكندرية وقيل بقلعة الجبل إلى أن مات وله من العمر نحو أربعين سنة.

وفيها توفي الشيخ علاء الدين أبو الحسن علي بن محمود بن الحسن بن نيهان اليشكري ثم الربعي وفيها توفي الأمير سيف الدين بلبان الرومي الدوادار المقدم ذكره في قضية كتاب السر كان الملك الظاهر بيبرس يعتمد عليه وولاه دوادارًا وكان المطلع على أسرارهِ وتديير أمور القصاد والجواسيس والمكاتبات لا يشاركه في ذلك وزير ولا نائب سلطنة بل كان هو والأمير حسام الدين لاجين الأيدمرى المعروف بالدرفيل فلما توفي لاجين المذكور انفرد بلبان بذلك وحده وكان مع هذه الخصوصية عند الملك الظاهر أمير عشرة وقيل جنديًا.

قال الصفدي: لم يؤمره طبلخاناه إلى أن مات الملك الظاهر أنعم عليه ولده الملك السعيد بأمره ستين فارسًا بالشام وبقي بعد ذلك إلى أن استشهد بظاهر حمص رحمه الله وقد نيف على ستين سنة.

وفيها توفي الأمير شمس الدين سنقر بن عبد الله الألفي كان من أعيان الأمراء الظاهرية وولي نيابة السلطنة بمصر للملك السعيد بعد موت الأمير بدر الدين بيليك الخازندار وباشر النيابة أحسن مباشرة إلى أن استعفى فاعفى وولي النيابة عوضه الأمير كوندك فكان ذهاب الدولة على يده.

ثم قبض الملك المنصور على سنقر هذا واعتقله بالإسكندرية وقيل بقلعة الجبل إلى أن مات وله من العمر نحو أربعين سنة.

وفيها توفي الشيخ علاء الدين أبو الحسن علي بن محمود بن الحسن بن نيهان اليشكري ثم الربيعي وفيها توفي الأمير سيف الدين بلبان الرومي الدوادار المقدم ذكره في قضية كتاب السر كان الملك الظاهر بيبرس يعتمد عليه وولاه دوادارًا وكان المطلع على أسراره وتديبر أمور القصاد والجواسيس والمكاتبات لا يشاركه في ذلك وزير ولا نائب سلطنة بل كان هو والأمير حسام الدين لاجين الأيدمرى المعروف بالدرفيل فلما توفي لاجين المذكور انفرد بلبان بذلك وحده وكان مع هذه الخصوصية عند الملك الظاهر أمير عشرة وقيل جنديًا.

قال الصفدي: لم يؤمره طبلخاناه إلى أن مات الملك الظاهر أنعم عليه ولده الملك السعيد بأمره ستين فارسًا بالشام وبقي بعد ذلك إلى أن استشهد بظاهر حمص رحمه الله وقد نيف على ستين سنة.

وفيها توفي الأمير شمس الدين سنقر بن عبد الله الألفي كان من أعيان الأمراء الظاهرية وولي نيابة السلطنة بمصر للملك السعيد بعد موت الأمير بدر الدين بيليك الخازندار وياشر النيابة أحسن مباشرة إلى أن استعفى فاعفى وولي النيابة عوضه الأمير كوندك فكان ذهاب الدولة على يده.

ثم قبض الملك المنصور على سنقر هذا واعتقله بالإسكندرية وقيل بقلعة الجبل إلى أن مات وله من العمر نحو أربعين سنة.

وفيها توفي الشيخ علاء الدين أبو الحسن علي بن محمود بن الحسن بن نيهان اليشكري ثم الربيعي قدر عالي الهمة شجاعًا مقدامًا خبيرًا بالحروب لم يكن بعد والده مثله وكان على مذهب التتار واعتقادهم ومملكته متسعة جدًا وعساكره كثيرة وكان مع ذلك كلمته مسموعة في جنده مع كثرتهم.

ولما توجه أخوه منكوتر بالعساكر إلى جهة الشام لم يكن ذلك عن رأيه بل أشير عليه فوافق ونزل في ذلك الوقت الرحبة أو بالقرب منها فلما بلغ أبغا كسرة منكوتر رجع إلى همدان فمات غمًا وكمدًا.

ومات منكوتر بعد أخيه أبغا بمدة يسيرة بين العيدين وله من العمر نحو خمسين سنة وقيل: ثلاثين سنة والثاني أرجح.

ومات بعده بيومين أخوه آجاي على ما يأتي ذكر منكوتر في القابلة.

وفيها توفي التاجر نجم الدين أبو العباس أحمد بن علي بن المظفر بن الحلبي كان ذا نعمة ضخمة وثروة ظاهرة وأموال جمّة وله التقدم في الدولة.

وفيها توفي الشيخ موفق الدين أبو العباس أحمد بن يوسف المعروف بالكواشي الإمام العالم المفسر صاحب التفسير الكبير والتفسير الصغير وهما من أحسن التفاسير وكانت له اليد الطولى في القراءات ومشاركة في غير ذلك من العلوم وكان مقيمًا بالجامع العتيق بالموصل منقطعًا عن الناس مجتهدًا في العبادة لا يقبل لأحد شيئًا وكان يزوره الملك ومن دونه فلا يقوم لهم ولا يعبأ بهم وكان له مجاهدات وكشوف وكرامات ولأهل تلك البلاد فيه عقيدة.

ومات وله تسعون سنة تقريبًا وكانت وفاته في سابع عشر جمادى الآخرة بالموصل ودفن بها.

وفيها توفي الأمير عز الدين المعروف بالحاج أزدمر بن عبد الله الجمدار كان من أعيان الأمراء وكان ممن انضاف إلى سنقر الأشقر لما تسلطن وكان سنقر جعله نائباً بدمشق ووقع له أمور ذكرنا بعضها في أول ترجمة الملك المنصور قلاوون إلى أن استشهد في واقعة التتار مع المنصور قلاوون بظاهر حمص مقبلاً غير مدبر رحمه الله وتقبل منه.

وفيها توفي الأمير عز الدين أبيك بن عبد الله الشجاع الصالحي العمادي والي الولاية بالجهات القبلية كان ديناً خيراً لين الجانب شديداً على أهل الريب وجيهاً عند الملوك وكان الملك الظاهر بيبرس يعتمد عليه في أموره ثم إنه ترك الأمر باختياره ولزم داره إلى أن مات بدمشق في جمادى الآخرة وقد بلغ خمسا وثمانين سنة.

وفيها توفي الأمير بدر الدين بكتوت بن عبد الله الخازندار استشهد أيضاً في واقعة التتار وفيها توفي الأمير سيف الدين بلبان الرومي الدوادار المقدم ذكره في قضية كتاب السر كان الملك الظاهر بيبرس يعتمد عليه وولاه دواداراً وكان المطلع على أسراره وتدير أمور القصاد والجواسيس والمكاتبات لا يشاركه في ذلك وزير ولا نائب سلطنة بل كان هو والأمير حسام الدين لاجين الأيدمرى المعروف بالدر فيل فلما توفي لاجين المذكور انفرد بلبان بذلك وحده وكان مع هذه الخصوصية عند الملك الظاهر أمير عشرة وقيل جندياً.

قال الصفدي: لم يؤمره طبلخاناه إلى أن مات الملك الظاهر أنعم عليه ولده الملك السعيد بأمره ستين فارساً بالشام وبقي بعد ذلك إلى أن استشهد بظاهر حمص رحمه الله وقد نيف على ستين سنة.

وفيها توفي الأمير شمس الدين سنقر بن عبد الله الألفي كان من أعيان الأمراء الظاهرية وولي نيابة السلطنة بمصر للملك السعيد بعد موت الأمير بدر الدين بليك الخازندار وياشر النيابة أحسن مباشرة إلى أن استعفى فاعفى وولي النيابة عوضه الأمير كوندك فكان ذهاب الدولة على يده.

ثم قبض الملك المنصور على سنقر هذا واعتقله بالإسكندرية وقيل بقلعة الجبل إلى أن مات وله من العمر نحو أربعين سنة.

وفيها توفي الشيخ علاء الدين أبو الحسن علي بن محمود بن الحسن بن نيهان اليشكري ثم الربيعي كان له اليد الطولى في علم الفلك وتفرد بحل الأزياج وعمل التقاويم وغلب ذلك عليه مع فضلية تامة في علم الأدب وجودة النظم.

ومن شعره: الطويل ولما أتاني العاذلون عدمتهم وما منهم إلا للحمي قارض وقد بهتوا لما رأوني شاحباً وقالوا: به عين فقلت: وعارض وله: الكامل إني أغار من النسيم إذا سرى بأريج عرفك خيفة من ناشق وأود لو سفرت لا من علة حذرًا عليك من الخيال الطارق قلت: وأجاد الصاحب جماد الدين يحيى بن مطروح في هذا المعنى حيث قال: الوافر فلو أمسى على تلفي مصرًا لقلت: معذبي بالله زدني ولا تسمح بوصلك لي فإني أغار عليك منك فكيف مني ومثل هذا أيضًا قول حفصة المغربية رحمها الله: الوافر أغار عليك من غيري ومني ومنك ومن مكانك والزمان ولو أني خبأتك في جفوني إلى يوم القيامة ما كفاني وفيها توفي الشيخ الإمام الأديب البارع بدر الدين يوسف بن لؤلؤ بن عبد الله الذهبي الشاعر المشهور كان أبوه لؤلؤ عتيق الأمير بدر الدين صاحب تل باشر.

وكان بدر الدين هذا فاضلاً شاعراً ماهراً.

ومن شعره مما كتبه للشيخ نجم الدين محمد بن إسرائيل وله صاحب يميل إليه يسمى بالجرح: مجزوء الخفيف قلبك اليوم طائر عنك في الجوائح كيف يرجى خلاصه وهو في كف جرح ومن شعره في دولاب: مجزوء الرجز وروضة دولابها إلى الغصون قد شكنا من حين ضاع زهرها دار عليه وبكى وله: المجتث يا عاذلي فيه قل لي إذا بدا كيف أسلو يمر بي كل حين وكلما مر يحلو وله: السريع حلا نبات الشعر يا عاذلي لما بدا في خده الأحمر فشاقتني ذاك العذار الذي نباته أحلى من السكر تعشقت له لمن القوام مهفهاً شهى للمى أحوى المراشف أشنبا وقالوا بدا حب الشباب بوجهه فيا حسنه وجهًا إلي محببا وله: مجزوء الكامل رفقا بصب مغرم أبليته صدا وهجرا وافاك سائل دمعته فرددته في الحال نهرا الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي العلامة الزاهد موفق الدين أحمد بن يوسف الكواشي المفسر بالموصل في جمادى الآخرة وقد جاوز التسعين.

والقاضي نجم الدين محمد ابن القاضي صدر الدين ابن سني الدولة بدمشق في المحرم. والعلامة قاضي القضاة تقي الدين محمد بن الحسين بن رزين العامري بالقاهرة في رجب وله سبع وسبعون سنة.

والحافظ المسند جمال الدين أبو حامد محمد بن علي بن محمود بن الصابوني في ذي القعدة.

والمسند شمس الدين أبو الغمائم المسلم بن محمد بن المسلم بن علان في ذي الحجة وله سبع وثمانون سنة.

والعدل أمين القاسم بن أبي بكر بن القاسم الإربلي في جمادى الأولى.

والعارف الزاهد ولي الدين علي بن أحمد بن بدر الجزري المقيم بجامع بيت لهيا في شوال.

وأبغا بن هولوكو ملك التتار ببلاد همذان.

والحاج أزدمر الأمير بمصاف حمص شهيدًا.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمسة أذرع وثلاث أصابع.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وأربع أصابع.

السنة الرابعة من سلطنة المنصور قلاوون وهي سنة إحدى وثمانين وستمائة.

فيها توفي قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان بن باول بن عبد الله بن شاكل بن الحسين بن مالك بن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي الإربلي الشافعي قاضي قضاة دمشق وعالمها ومؤرخها.

مولده في ليلة الأحد حادي عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وستمائة بإربل وبها نشأ.

ذكره ابن العديم في تاريخه فقال: من بيت معروف بالفقه والمناصب الدينية.

وقال غيره: كان إمامًا عالمًا فقيهاً أديبًا شاعرًا مفتيًا مجموع الفضائل معدوم النظير في علوم شتى حجة فيما ينقله محققا لما يورده منفردًا في علم الأدب والتاريخ وكانت وفاته في شهر رجب وله ثلاث وسبعون سنة.

قلت: وهو صاحب التاريخ المشهور وقد استوعبنا من حاله نبذة جيدة في تاريخنا المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي.

انتهى.

وكان ولي قضاء دمشق مرتين: الأولى في حدود الستين وستمئة وعزل وقدم القاهرة وناب في الحكم بها عن قاضي القضاة بدر الدين السنجاري وأفتى بها ودرس ودام بها نحو سبع سنين ثم أعيد إلى قضاء دمشق بعد عز الدين بن الصائغ وسر الناس بعوده.

ومدحته الشعراء بعدة قصائد من ذلك مما أنشده الشيخ رشيد الدين عمر بن إسماعيل الفارقي فقال: الخفيف أنت في الشام مثل يوسف في مصر - - روعندي أن الكرام جناس ولكل سبع شداد وبعد السب - - ع عام فيه يغاث الناس وقال فيه أيضا نور الدين علي بن مصعب: مخلع البسيط رأيت أهل الشام طرًا ما فيهم قط غير راض أناهم الخير بعد شر فالوقت بسط بلا انقباض وعوضوا فرحة بحزن قد أنصف الدهر في التقاضي وسرهم بعد طول غم قدوم قاض وعزل قاض فكفهم شاكر وشاك لحال مستقبل وماض ومن شعر ابن خلكان المذكور قوله: الطويل تمثلتم لي والبلاد بعيدة فخيّل لي أن الفؤاد لكم مغنى وله دوبيت: قاسوك ببدر التم قوم ظلموا لا ذنب لهم لأنهم ما علموا من أين لبدر التم يا وبجهم جيد وعيون وقوائم وفم وله: الكامل يا رب إن العبد يخفي عيبه فاستر بحلمك ما بدا من عيبه ولقد أتاك وما له من شافع لذنوبه فاقبل شفاعة شبيهه قلت ويعجبني في هذا المعنى قول القائل: الكامل إن كانت الأعضاء خالفت الذي أمرت به في سالف الأزمان فسلوا الفؤاد عن الذي أودعتم فيه من التوحيد والإيمان تجدوه قد أدى الأمانة فيهما فهبوا له ما حل في الأركان وفيها توفي ملك التتار منكوتمر بن هولكو خان بن تولي خان بن جنكز خان هو أخو أبغا ملك التتار ومنكوتمر هذا هو الذي ضرب المصاف مع السلطان الملك المنصور قلاوون على حمص حسب ما تقدم ذكره وانكسرت عساكره فلما وقع ذلك عظم عليه وحصل عنده غم شديد وكمد زائد وحدثته نفسه بجمع العساكر من سائر ممالك بيت هولكو واستنجد بأخيه أبغا على غزو الشام فقدر الله سبحانه وتعالى موت أبغا ثم مات هو بعده في محرم هذه السنة وأراح الله المسلمين من شرهما.

وكان منكوتمر شجاعًا مقدامًا وعنده بطيش وجبروت وسفك للدماء وكان نصرانيًا وكان جرح يوم مصاف حمص والذي جرحه الأمير علم الدين سنجر الدويداري.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الإمام زين الدين عبد السلام بن علي الزواوي المالكي شيخ القراء في رجب عن اثنتين وتسعين سنة.

وقاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان الإربلي في رجب وله ثلاث وسبعون سنة.

ونجيب الدين المقداد بن هبة الله القيسي العدل في شعبان.

وأبو الطاهر إسماعيل بن هبة الله المليجي آخر من قرأ القرآن على أبي الجود في رمضان بالقرافة.

والبرهان إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى بن علوي المعروف بابن الدرجي إمام المدرسة المعزية في صفر وله اثنتان وثمانون سنة.

والعماد إسماعيل بن إسماعيل بن جوسلين البعلبكي.

والعلامة برهان الدين محمود بن عبد الله المراغي في شهر ربيع الآخر وله ست وسبعون سنة.

والإمام أمين الدين أحمد بن عبد الله بن عبد الجبار بن طلحة بن عمر بن الأشتر المعروف بالأشتري الشافعي في شهر ربيع الأول.

والشيخ الزاهد عبد الله بن أبي بكر ويعرف بكتيلة ببغداد.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وثمانية عشر إصبعًا.

السنة الخامسة من سلطنة المنصور قلاوون وهي سنة اثنتين وثمانين وستمائة.

فيها توفي الأمير شهاب الدين أحمد بن حجي بن يزيد البرمكي أمير آل مري كان من فرسان العرب المشهورين كانت سراياه تغير إلى أقصى نجد وبلاد الحجاز ويؤدون له الخفر وكذلك صاحب المدينة الشريفة وكانت له المنزلة العالية عند الظاهر والمنصور قلاوون وغيرهما من الملوك كانوا يدارونه ويتقون شره وكان يزعم أنه من نسل الوزير جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي من أخت الخليفة هارون الرشيد الذي امتحن جعفر بسببها وقتل.

وكان بين شهاب الدين هذا وبين عيسى بن مهنا أمير آل فضل منافسة فكتب إليه شهاب الدين هذا مرة كتابًا وأغلظ فيه وكان عند عيسى الشيخ شهاب الدين أحمد بن غانم فسأله عيسى بن مهنا المجاوبة فكتب عنه يقول: مجزوء الرمل زعموا أنا هجونا جمعهم بالافتراء إنما قلنا مقالًا لا كقول السفهاء آل فضل آل فضل وانتم آل مرء وفيها توفي شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد النواوي والد الشيخ محيي الدين النواوي كان مقتنعًا بالحلال يزرع أرضًا يقتات منها هو وأهله وكان يمون ولده الشيخ محيي الدين منها ومات في صفر.

وفيها توفي الشيخ الإمام شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي المقدسي كان إمامًا فقيهاً ورعًا زاهدًا كبير القدر جم الفضائل انتهت إليه رئاسة مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه في زمانه وشرح كتاب المقنع في الفقه تأليف عمه شيخ الإسلام موفق الدين رحمه الله.

وفيها توفي الأمير علاء الدين كشتغدي بن عبد الله الشرفي الظاهر في المعروف بأمر مجلس كان من أعيان الأمراء وأكابرهم بالديار المصرية وكان بطلاً شجاعًا وله مواقف مشهورة ونكايات في العدو المخدول.

ومات بقلعة الجبل وقد نيف على خمسين سنة وحضر الملك المنصور قلاوون جنازته.

وفيها توفي الكاتب المجود عماد الدين أبو عبد الله وقيل أبو الفضل محمد ابن محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله الشيرازي الدمشقي صاحب الخط المنسوب.

انتهت إليه الرياسة في براعة الخط لاسيما في المحقق والنسخ.

سمع الكثير وروى عنه الحافظ جمال الدين المزي وغيره وتصدى للكتابة وانتفع به الناس.

وقدم القاهرة واتفق أنه ركب النيل مرة مع الصاحب بهاء الدين بن حنا وكان معه جماعة من أصحابه وفيهم شخص معروف بابن الفقاعي ممن له عناية بالكتابة فسأل الصاحب بهاء الدين وقال: عندي لمولانا الصاحب وهؤلاء الجماعة يوم كامل الدعوة ومولانا يدعو المولى عماد الدين يفيدني قطة القلم فقال الصاحب: والله ما في هذا شيء مولانا يتفضل عليه بذلك فأطرق عماد الدين مغضبًا ثم رفع رأسه وقال: أو خير لك من ذلك قال: وما هو قال: أحمل إليك ربة بخطي ويعفيني من هذا فقال الصاحب: لا والله الربة بخط مولانا تساوي ألفي درهم وأنا ما أكل من هذه الضيافة شيئًا يساوي عشرة دراهم.

وفيها توفي الشيخ أبو محمد وقيل أبو المحاسن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني أحد علماء الحنابلة ووالد الشيخ تقي الدين بن تيمية.

مولده بحران في ثاني عشر شوال سنة سبع وعشرين وستمائة وسمع الكثير وتفقه وبرع في الفقه وتميز في عدة فنون ودرس ببلده وأفتى وخطب ووعظ وفسر وولى هذه الوظائف عقيب موت والده مجد الدين وعمره خمس وعشرون سنة وكان أبوه أيضًا من العلماء.

ومات في سلخ ذي الحجة ودفن بمقابر الصوفية بدمشق.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الإمام عماد الدين علي بن يعقوب بن أبي زهران الموصلي الشافعي شيخ القراء بدمشق في صفر وقد قارب الستين.

وشيخ الإسلام الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن أبي عمر المقدسي في شهر ربيع الآخر وله خمس وثمانون سنة.

والإمام شهاب الدين عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني والد شيخنا في سلخ السنة وله ست وخمسون سنة.

والشيخ محيي الدين عمر بن محمد بن أبي سعد بن أبي عصرون التميمي في ذي القعدة عن ثلاث وثمانين سنة.

والإمام شمس الدين محمد ابن أحمد بن نعمة المقدسي مدرس الشامية في ذي القعدة.

وخطيب دمشق محيي الدين محمد بن الخطيب عماد الدين عبد الكريم بن الحرستاني في جمادى الآخرة وله ثمان وستون سنة.

والحافظ شمس الدين محمد بن محمد بن عباس بن جعوان الأديب في جمادى الأولى.

والرئيس محيي الدين يحيى بن علي بن القلانسي في شوال.

والرئيس عماد الدين أبو الفضل محمد بن محمد ابن القاضي شمس الدين هبة الله بن الشيرازي في صفر.

وشرف الدين محمد بن عبد المنعم بن القواس في شهر ربيع الآخر.

والمحدث جمال الدين عبد الله بن يحيى الجزائري في شوال.

والرشيد محمد بن أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وخمس أصابع.

مبلغ الزيارة سبع عشرة ذراعًا وثمانى أصابع.

السنة السادسة من سلطنة المنصور قلاوون

وهي سنة ثلاث وثمانين وستمئة.

فيها توفي قاضي القضاة ناصر الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن منصور الجذامي المالكي المعروف بابن المنير قاضي الإسكندرية مولده في ذي القعدة سنة عشرين وستمئة ومات بالإسكندرية ليلة الخميس مستهل شهر ربيع الأول ودفن عند تربة والده عند الجامع المغربي وكان إمامًا فاضلاً متبحرًا في العلوم وله اليد الطولى في علم الأدب والنظم والنثر.

ومن شعره ما كتبه لقاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان في صدر كتاب: الخفيف ليس شمس الضحا كأوصاف شمس الد - - ين قاضي القضاة حاشا وكلا تلك مهما علت محلا ثنت ظلا وهذا مهما علا مد ظلا وله يهجو القاضي زين الدين بن أبي الفرج لما نازعه في الحكم: الخفيف قل لمن يدعي المناصب بالجه - - ل تنح عنها لمن هو أعلم وله في صدر كتاب كتبه إلى الفائزي يسأله رفع التصقيع عن ثغر الإسكندرية: الوافر إذا اعتل الزمان فمناك يرجو بنو الأيام عاقبة الشفاء وإن ينزل بساحتهم قضاء فأنت اللطف في ذاك القضاء وفيها توفي ملك التتار أحمد بن هولاكو قان بن تولي قان بن جنكزخان كان ملكًا شهيمًا خبيرًا بأمور الرعية سالكًا أحسن المسالك أسلم وحسن إسلامه وبنى بممالكه الجوامع والمساجد وكان متبعًا دين الإسلام لا يصدر عنه إلا ما يوافق الشريعة وكان لما حسن إسلامه صالح السلطان الملك المنصور قلاوون وفرح السلطان بذلك فمات أحمد بعد مدة يسيرة وملك بعده أرغون بن أبا.

وفيها توفي القاضي نجم الدين أبو محمد عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة الله بن المسلم بن هبة الله بن حسان بن محمد بن منصور بن أحمد الجهني الشافعي المعروف بابن البارزي ولد بحماة سنة ثمان وستمئة وروى الحديث وبرع في الفقه والحديث والنحو والأدب والكلام والحكمة وصنف في كثير من العلوم وتولى القضاء بحماة نيابة عن والده ثم استقل بعده ولم يأخذ على القضاء رزقًا وصرف قبل موته بسنين.

ومن شعره تضييًّا لأول قصيدة البهاء زهير البائية: الطويل وناديت أهلاً بالحبيب ولم أقل رسول الرضا أهلاً وسهلاً ومرحبًا وفيها توفي الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا أمير آل فضل وملك العرب في وقته وكان له منزلة عظيمة عند الملوك لاسيما عند الملك الظاهر بيبرس البندقداري ثم تضاغت عند الملك المنصور قلاوون وكان كريم الأخلاق حسن الجوار مكفوف الشر مبذول الخير لم يكن في العرب وملوكها من يضاويه وكان عنده ديانة وصدق.

ولما مات ولى الملك المنصور قلاوون ولده مهنا عوضه وكان بين وفاته ووفاة عدوه الأمير أحمد بن حجي أمير آل مري دون السنة.

وفيها توفي الشيخ الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان التلمساني سمع الكثير بعدة بلاد وحدث ومولده بتلمسان في سنة ست أو سبع وستمئة ومات بمصر ودفن بالقرافة الكبرى وهو غير شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني.

وفيها توفي الملك المنصور ناصر الدين أبو المعالي محمد ابن الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة والمعرة

وابن صاحبهما ملكهما بعد وفاة أبيه سنة اثنتين وأربعين وستمئة ووالدته صاحبة غازية خاتون بنت الملك الكامل محمد صاحب مصر ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب.

وكان مولده سنة اثنتين وثلاثين وستمئة وولي الملك المنصور قلاوون ابنه بعد وفاته.

الذين ذكر الذهبى وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي القاضي ناصر الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن منصور الجذامي بن المنير بالإسكندرية في شهر ربيع الآخر وله ثلاث وستون سنة.

والملك أحمد بن هولكو ملك التتار.

وقاضي حماة نجم الدين عبد الرحيم بن إبراهيم بن البارزي الشافعي في ذي القعدة وحمل ودفن بالبقيع وله خمس وسبعون سنة.

وقاضي دمشق عز الدين أبو المفاخر محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق الأنصاري بن الصائغ في شهر ربيع الآخر في آخر الكهولية.

وصاحب حماة الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن المظفر محمود عن إحدى وخمسين سنة.

والشيخ العارف أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان التلمساني بمصر في رمضان وله سبع وسبعون سنة.

وملك العرب عيسى بن مهنا في شهر ربيع الأول.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وعدة أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وثلاث أصابع.

السنة السابعة من سلطنة المنصور قلاوون وهي سنة أربع وثمانين وستمئة.

فيها كان فتوح المرقب وغيره من القلاع بالساحل حسب ما ذكرناه في أول الترجمة.

وفيها ولد الملك الناصر محمد بن قلاوون ووالده على حصار المرقب وقد تقدم ذكر ذلك أيضًا.

وفيها توفي الشيخ زين الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الأندلسي الإشبيلي الأصل المعروف بكتاكت المصري الواعظ المقرئ الأديب الشاعر مولده سنة خمس وستمئة وقيل غير ذلك ومات بالقاهرة في شهر ربيع الأول.

وكان إمامًا في الوعظ ولديه فضيلة ومشاركة.

وله شعر جيد.

من ذلك قوله: البسيط من أنت محبوبه ماذا يغيره ومن صفوت له ماذا يكدره هيهات عنك ملاح الكون تشغلني والكل أعراض حسن أنت جوهره وله القصيدة المشهورة عند الفقراء التي أولها: الكامل حضروا فمذ نظروا جمالك غابوا والكل مذ سمعوا خطابك طابوا وفيها توفي الأمير علاء الدين أيديكين بن عبد الله البندقداري الصالحي النجمي

أستاذ الملك الظاهر بيبرس البندقداري كان أصل أيديكين هذا من ممالك الأمير جمال الدين موسى بن يغفور ثم انتقل عنه للملك الصالح نجم الدين أيوب وجعله بندقداره وأمره ثم نكبه وأخذ منه الملك الظاهر بيبرس ثم أعاده.

ثم ترقى بعد موت أستاذه وولي نيابة الشام من قبل مملوكه الملك الظاهر بيبرس وكان الملك الظاهر بيبرس يعظمه ويقول له: أنت أستاذي ويعرف له حق التربية وكان هو أيضًا يبالغ في خدمة الملك الظاهر والنصح له وهو الذي أنتزع له دمشق من يد الأمير سنجر الحلبي كما تقدم ذكره.

وعاش أيديكين إلى دولة الملك المنصور قلاوون وهو من أكابر الأمراء وأعيانهم إلى أن مات في القاهرة في شهر ربيع الآخر ودفن بترته قريب بركة الفيل وقد ناهز السبعين.

قلت: وما العجب أن أيديكين هذا كان من جملة أمراء مملوكه الملك الظاهر بيبرس والعجب أن أستاذ أيديكين هذا الأمير جمال الدين بن يغمور كان أيضًا من جملة أمراء الظاهر بيبرس فكان الظاهر أستاذ أستاذه في خدمته ومن جملة أمرائه فانظر إلى تقلبات الدهر بالملوك وغيرها.

وفيها توفي الشيخ الإمام رشيد الدين أبو محمد سعيد بن علي بن سعيد البصراوي الحنفي مدرس الشبلية كان إمامًا عالمًا فاضلًا مدرسًا في الديانة والورع عرض عليه القضاء غير مرة فامتنع وكانت له اليد الطولى في العربية والنظم وكانت وفاته في شعبان ودفن بقاسيون.

ومن شعره: البسيط أرى عناصر طيب العيش أربعة ما زال منها فطيب العيش قد زال أمنا وصحة جسم لا يخالطها مغاير والشباب الغض والمالا كيف اعتمدت على الدنيا وتجريك أراك فلك تراها كيف تجري بك ما زالت الخادعة تدنو فتغري بك حتى رمتك بإبعادك وتغريك وفيها توفي الأديب البارع مجير الدين أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن علي المعروف بابن تميم الشاعر المشهور وهو سبط ابن تميم كان أصله دمشقيًا وانتقل إلى حماة وخدم صاحبها الملك المنصور جنديًا وكان له به اختصاص وكان فاضلًا شجاعًا عاقلاً وكان من الشعراء المعدودين.

ومن شعره في الشجاعة والإقدام قوله: الكامل دعني أخطر في الحروب بمهجتي إما أموت بها وإما أرزق فسواد عيشي لا أراه أبيضًا إلا إذا احمر السنان الأزرق وله: الرجز لم لا أهيم إلى الرياض وزهرها وأقيم منها تحت ظل ضاقي والغصن يلقاني بثغر باسم والماء يلقاني بقلب صافي وله: الكامل عاينت ورد الروض يلطم خده ويقول وهو على البنفسج محنق لا تقربوه وإن توضع نشره ما بينكم فهو العدو الأزرق بنفسج الروض تاه عجبًا وقال: طيبي للجو ضمخ فأقبل الزهر في احتفال والبان من غيظه تنفخ الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفيت أم الخير ست العرب بنت يحيى بن قيمار الكندية في المحرم.

والمحدث أبو القاسم علي بن بلبان الناصري في رمضان.

وأبو بكر محمد بن إسماعيل بن عبد الله الانماطي في ذي الحجة.

والقدوة الشيخ محمد بن الحسن الإخميمي بقاسيون في جمادى الأولى.

والشيخ الزاهد شرف الدين محمد ابن الشيخ عثمان الرومي.

والإمام الرشيد سعيد بن علي الحنفي في رمضان.

والعلامة رضي الدين محمد بن علي بن يوسف الشاطبي اللغوي بمصر وله نيف وثمانون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم لم يحرر.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وعشرون إصبغًا.

السنة الثامنة من سلطنة المنصور قلاوون وهي سنة خمس وثمانين وستمائة.

فيها استولى الملك المنصور قلاوون على الكرك وانتزعها من يد الملك المسعود خضر ابن الملك وفيها توفي الشيخ معين الدين أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن تولوا الفهري مولده بتيس سنة خمس وستمائة ومات بمصر في شهر ربيع الأول ودفن بالقرافة الصغرى وسمع الحديث وتفقه وكان له معرفة بالأدب وله يد طولى في النظم وشعره في غاية الجودة.

ومن شعره وقد أمر قاضي مصر بقطع أرزاق الشعراء من الصدقات سوى أبي الحسين الجزار فقال: السريع تقدم القاضي لنوابه بقطع رزق البر والفاجر ووفر الجزار من بينهم فاعجب للطف التيس بالجازر وفيها توفي الشيخ شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن محمد الأنصاري الصوفي الفقيه الشافعي الشاعر المشهور المعروف بابن الخيمي كان إمام عصره في الأدب ونظم الشعر مع مشاركة في كثير من العلوم.

ومولده سنة اثنتين وستمائة وتوفي بمشهد الحسين بالقاهرة في شهر رجب وقد أوضحنا أمره مع نجم الدين بن إسرائيل لما تداعيا القصيدة التي أولها: البسيط يا مطلبًا ليس لي في غيره أرب إليك آل التقصي وانتهى الطلب في تاريخنا المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي وذكرنا أمرهما لما أمرهما ابن الفارض بنظم قصيدتين في الروي والقافية وذكرنا القصيدتين أيضا بكماهما ثم حكم ابن الفارض بالقصيدة لشهاب الدين هذا.

والقصيدة التي نظمها شهاب الدين ابن الخيمي هذا لما أمره ابن الفارض بالنظم أولها: البسيط لله قوم بجرعاء الحمى غيب جنوا علي ولما أن جنوا عتبوا والتي نظمها ابن إسرائيل: البسيط لم يقض من حبكم بعض الذي يجب قلب متى ما جرى تذكركم يجب الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي المسند أبو العباس أحمد بن شيبان الصالحي في صفر وقد قارب التسعين.

والعلامة جمال الدين محمد بن أحمد بن محمد البكري.

والشهاب محمد بن عبد المنعم بن محمد الأنصاري ابن الخيمي الشاعر في رجب وله ثلاث وثمانون سنة.

والشيخ عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن فارس العثي بن الزجاج في المحرم.

وأمة الحق شامية ابنة صدر الدين الحسن بن محمد بن محمد البكري في رمضان.

والإمام صفي الدين خليل بن أبي بكر بن محمد المراغي في ذي القعدة.

وقاضي القضاة بهاء الدين يوسف ابن القاضي محيي الدين بن الزكي في ذي الحجة وله ست وأربعون سنة.

والمقرئ برهان الدين إبراهيم بن إسحاق بن المطفر الوزيري في ذي الحجة قافلاً من الحج.

وخطيب كفرطنا جمال الدين محمد بن عمر الدينوري في رجب وله اثنتان وسبعون سنة.

والمقرئ الشيخ حسن بن عبد الله بن ويحيان الراشدي في صفر.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وقيل خمس وست أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وأربع أصابع.

السنة التاسعة من سلطنة المنصور قلاوون وهي سنة ست وثمانين وستمائة.

فيها توفي الشيخ الإمام العارف بالله تعالى قطب زمانه شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد المرسي الأنصاري الإسكندري المالكي الصالح المشهورة كان علامة زمانه في العلوم الإسلامية وله القدم الراسخة في علم التحقيق وله الكرامات الباهرة وكان يقول: شاركنا الفقهاء فيما هم فيه ولم يشاركونا فيما نحن فيه.

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي: أبو العباس بطرق السماء أعلم منه بطرق الأرض.

انتهى.

قلت: وكان لديه فضيلة ومشاركة وله كرامات وأحوال مشهورة عنه وللناس فيه اعتماد كبير لاسيما أهل الإسكندرية وقد شاع ذكره وبعد صيته بالصلاح والزهد وكان من جملة الشهود وفيها توفي الشيخ شرف الدين أبو الربيع سليمان بن بليمان بن أبي الجيش ابن عبد الجبار بن بليمان الهمذاني الأصل الرعباني المولد الإربلي المنشأ الشاعر المشهور صاحب النوادر كان من شعراء الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن محمد صاحب الشام وكان أبوه صائغاً وتعانى هو أيضاً الصياغة قيل إنه جاء إليه مملوك مليح من مماليك الملك الأشرف موسى وقال له: عندك خاتم لإصبعي فقال له: لا إنما عندي إصبع مليح لخاتمك.

ومات بدمشق في ليلة عاشر صفر.

ومن شعره: الطويل وما زالت الركبان تخبر عنكم أحاديث كالمسك الذكي بلا مين إلى أن تلاقينا فكان الذي وعت من القول أذني دون ما أبصرت عيني ولما قامر التلعفري بشيابه وأخفاه قال فيه شرف الدين هذا قصيدة وأنشدها للملك الناصر بحضرة التلعفري.

فلما فرغ من إنشادها قال له التلعفري: ما أنا جندي حتى أقامر بأخفافي.

فقال له شرف الدين: بخفاف امرأتك.

فقال: ما لي امرأة فقال له: لك مقامرة من بين الحجرين إما بالخفاف أو بالنعال.

انتهى.

قلت: وأنا مسامح التلعفري على القمار لحسن ما قاله من رائق الأشعار: الطويل فمن كان ذا عذر قبلت اعتذاره ومن لا له عذر فعندي له عذر وفيها توفي الشيخ الإمام المحدث قطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن الحسن بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القيسي الشاطبي المحدث الإمام العلامة كان شيخ الكاملية بالقاهرة وهو المعروف بابن القسطلاني التوزري الأصل المصري المولد المكي المنشأ الشافعي المذهب مولده سنة أربع عشرة وستمائة ومات يوم السبت ثامن عشر المحرم ودفن بالقرافة الصغرى وكان مجموع الفضائل رحمه الله.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الإمام النحوي بدر الدين محمد ابن الشيخ جمال الدين بن مالك في المحرم.

والإمام قطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن علي القسطلاني بالقاهرة في المحرم.

وقاضي القضاة برهان الدين الخضر بن الحسن بن علي السنجاري بمصر في صفر.

والحكيم عماد الدين محمد بن عباس الربيعي الدنيسري وله إحدى وثمانون سنة.

وشرف الدين سليمان بن بليمان الإربلي الشاعر.

والمحدث وجيه الدين عبد الرحمن بن حسن السبتي في جمادى الأولى.

والمسند عز الدين أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم بن الصيقل الحراني في شهر رجب.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وأصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وعشر أصابع.

وهي سنة سبع وثمانين وستمائة.

فيها توفي الشيخ المعتقد الصالح برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن معضاد بن شداد الجعبري الأصل والمولد المصري الدار والوفاة الصالح المشهور نشأ بجعبر ثم انتقل إلى الديار المصرية واستوطنها ولزم مسجده وكان يعظ به ويجتمع عنده خلق كثير ولأصحابه فيه عقيمة حسنة وله مقالات كثيرة وكان زاهدًا عابدًا سمع الحديث وروى عن السخاوي وغيره وكان غزير الفضيحة حلو العبارة.

قال الصلاح الصفدي: أخبرني الشيخ الإمام العلامة أثير الدين أبو حيان من لفظه قال: رأيت المذكور بالقاهرة وحضرت مجلسه أنا والشيخ نجم الدين بن مكي وجرت لنا معه حكاية وكان يجلس للعوام يذكرهم ولهم فيه اعتقاد وكان يدري شيئًا من الحديث وله مشاركة في أشياء من العلوم وفي الطب وله شعر جيد.

وأنشد له قصيدة أذكر منها القليل: الكامل عشقوا الجمال مجردًا بمجرد الر - - وح الزكية عشق من زكاها متجردين عن الطباع ولؤمها متلبسين عفافها وتقافها انتهى كلام الصفدي.

وقال القطب اليونيني: وأظنه نيف على الثمانين من العمر ولما مرض مرض الموت أمر أن يخرج به إلى مكان مدفنه فلما رآه قال له: قبير جاك دبير.

ومات بعد ذلك بيوم في يوم السبت رابع عشرين المحرم بالقاهرة ودفن من يومه بالحسينية خارج باب النصر وقبره معروف هناك يقصد للزيارة.

قلت: ويعجبني في هذا المعنى المقالة السابعة الزهدية من مقالات الشيخ العارف الرباني شرف الدين عبد المؤمن بن هبة الله الأصفهاني المعروف بشوروة من كتابه أطباق الذهب وهي: طوبى للتقي الخامل الذي سلم عن إشارة الأنامل وتعسًا لمن قعد في الصوامع ليعرف بالأصابع خزائن الأمناء مكتومة وكنوز الأولياء مختومة والكامل كامن يتضاءل والناقص قصير يتناول والعافل قبعة والجاهل طلعة فاقع قبوع الحيات وإكمن في الظلمات كمون ماء الحياة وصن كنزك في التراب وسيفك في القراب وعف أثارك بالذيل المسحوب واستر رواءك بسفعة الشحوب فالنباهة فتنة والوجهة محنة فكن كنزا مستورًا ولا تكن سيقًا مشهورًا إن الظالم جدير أن يقبر ولا يحشر والبالى خليك أن يطوى ولا ينشر ولو عرف الجذل صولة التجار وعضة المنشار لما تناول شبرًا ولا تخايل كبرًا وسيقول الليل المعتقل: يا ليتني كنت غرابا ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابًا. انتهى.

وفيها توفي الشيخ ناصر الدين أبو محمد حسن بن شاور بن طرخان الكناني ويعرف بابن الفقيسي وبابن النقيب الشاعر المشهور كان من الفضلاء الأدباء ومات ليلة الأحد منتصف شهر ربيع الأول ودفن بسفح المقطم وله تسع وسبعون سنة وكان بينه وبين العلامة شهاب الدين محمود الحلبي صحبة ومجالسة ومذاكرة في القريض.

ومن شعره: الطويل نهيناه عن فعل القبيح فما انتهى ولا رده وعاد وعادى وقلنا له رز بالصلاح فقلما رأينا فتى عانى الفساد فسادا وله: الطويل وجردت مع فقري وشيخوختي التي تراها فنومي عن جفوني مشرد فلا يدعي غيري مقامي فإنني أنا ذلك الشيخ الفقير المجرد وله: مخلع البسيط حدثت عن ثغره المحلى فمل إلى خده المورد خد وثغر فجل رب بمبدع الحسن قد تفرد وله: الكامل يا من أدار سلافة من ريقه وحبابها الثغر الشنيب الأشنب تفاح خدك بالعدار ممسك لكنه بدم القلوب مخضب أنا العذري فاعذرنى وسامح وجر علي بالإحسان ذيلا ولما صرت كالمجنون عشقا كتمت زيارتي وأتيت ليلا وفيها توفي الملك الصالح علي ابن السلطان الملك المنصور قلاوون كان والده المنصور قلاوون قد جعله ولي عهده وسلطنه في حياته حسب ما تقدم ذكره في سنة تسع وسبعين وستمائة فدام في ولاية العهد إلى هذه السنة: مرض ومات بعد أيام في رابع شعبان بقلعة الجبل ووجد عليه أبوه الملك المنصور قلاوون كثيرًا فإنه كان نجيبًا عاقلا خليقًا للملك.

وفيها توفي الشيخ الطيب علاء الدين علي بن أبي الحرم القرشي الدمشقي المعروف بابن النفيس الحكيم الفاضل العلامة في فنه لم يكن في عصره من يضايه في الطب والعلاج والعلم اشتغل على المهذب الدخوار حتى برع وانتهت إليه رياسة فنه في زمانه وهو صاحب التصانيف المفيدة منها: الشامل في الطب والمهذب في الكحل والموجز وشرح القانون لابن سينا.

ومات في ذي القعدة بعد أن أوقف داره وأملاكه وجميع ما يتعلق به على البيمارستان المنصوري بالقاهرة.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الشيخ إبراهيم بن معضاد الجعبري بالقاهرة في المحرم عن نيف وثمانين سنة.

والإمام أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله المقدسي الفرضي.

وخطيب القدس قطب الدين أبو الزكاء عبد المنعم بن يحيى الزهري في رمضان.
والجمال أحمد بن أبي بكر بن سليمان الحموي.

والشيخ الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن عبد العزيز اللوري شيخ المالكية في صفر.
أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وأربع أصابع.
مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وأربع أصابع.

السنة الحادية عشرة من سلطنة المنصور قلاوون وهي سنة ثمان وثمانين وستمائة.
فيها فتحت طرابلس وما أضيف إليها بعد أمور ووقائع حسب ما ذكرناه في أصل هذه
الترجمة مفصلاً.

وفيها توفي الشيخ علم الدين أحمد ابن الصاحب صفي الدين يوسف بن عبد الله بن شكر
المعروف بابن الصاحب كان نادرة زمانه في المجون والهزل وإنشاد الأشعار والبليقات
وكان بقي في آخر عمره فقيرًا مجردًا وكان يشتغل في صباه وحصل ودرس وكان لديه
فضيلة وذكاء وحسن تصور إلا أنه تمفقر في آخر عمره وأطلق طباعه على التكدي وصار
يجارد الرؤساء ويركب في قفص حمال ويتضارب الحمالون على حمله لأنه كان مهما فتح
له من الرؤساء كان للذي يحمله فكان يستمر راكبًا في القفص والحمال يمهر به في
أماكن الفرج والنزه وكان يتعمم بشرطوط طويل جدًا رقيق العرض ويعاشر الحرافيش
وكان له أولاد رؤساء ويقال: إن الصاحب بهاء الدين بن حنا هو الذي أحوجه إلى أن ظهر
بذلك المظهر وأخمله وجننه لكونه كان من بيت وزارة فكان ابن الصاحب هذا إذا رأى
الصاحب بهاء الدين بن حنا ينشد: المجتث اشرب كل وتهنا لا بد أن تتعنى محمد وعلي
من أين لك يا ابن حنا قال الشيخ صلاح الدين الصفدي: أخبرني من لفظه الحافظ نجم
الدين أبو محمد الحسن خطيب صفد قال: رأيت يعني ابن الصاحب أشقر أزرق العينين
عليه قميص أزرق وبيده عكاز حديد.

قال: وأخبرني من لفظه الحافظ فتح الدين ابن سيد الناس قال: كان ابن الصاحب يعاشر
الفراس أقطاي فاتفق أنهم كانوا يومًا على ظهر النيل في شختور وكان الملك الظاهر
بيبرس مع الفراس أقطاي وجرى بينهم أمر ثم ضرب الدهر ضربانه حتى تسلطن الملك
الظاهر بيبرس وركب يومًا إلى الميدان ولم يكن عمر قنطرة السباع وكان التوجه إلى
الميدان من على باب زويلة على باب الخرق وكان ابن الصاحب هذا نائمًا على قفص
صيرفي من تلك الصيارف برا باب زويلة ولم يكن أحد يتعرض لابن الصاحب فمر به
الملك الظاهر فلم يشعر إلا و ابن الصاحب يضرب بمفتاح في يده على خشب الصيرفي
قوتًا فالتفت الظاهر فراه فقال: هاه علم الدين فقال: إيش علم الدين أنا جيعان فقال:
أعطوه ثلاثة آلاف درهم.

وكان ابن الصاحب أشار بتلك الدقة إلى دقة مثلها يوم المركب.
انتهى.

قلت: ومن نوادره اللطيفة أنه كان بالقااهرة إنسان يجرد الناس فسموه زحل فلما كان
في بعض الأيام وقف ابن الصاحب على دكان حلوى يزن دراهم يشتري بها حلوى وإذا
بزحل قد أقبل من بعيد فقال ابن الصاحب للحلاوي: أعطني الدراهم ما بقي لي حاجة

بالحلوى فقال: لم قال: أما ترى زحل قارن المشتري في الميزان وله من هذا أشياء كثيرة ذكرنا منها نبذة في ترجمته في تاريخنا المنهل الصافي.

ومن شعره: مخلع البسيط يا نفس ميلي إلى التصابي فاللهو منه الفتى يعيش ولا تملي من سكر يوم إن أعوز الخمر فالحشيش وله في المعنى: الخفيف في خمار الحشيش معنى مرامي يا أهيل العقول والأفهام حرموها من غير عقل ونقل وحرام تحريم غير الحرام وخضراء ما الحمراء تفعل فعلها لها وثبات في الحشى وثبات توجب نارًا في الحشى وهي جنة وتروي مريير الطعم وهي نبات وفيها توفي الشيخ الأديب البارع المفتن شمس الدين محمد ابن عفيف الدين سليمان بن علي التلمساني الشاعر المشهور كان شابًا فاضلاً ظريفًا وشعره في غاية الحسن والجودة.

وديون شعره مشهور بأيدي الناس ومن شعره: مخلع البسيط يا ساكنًا قلبي المعنى وليس فيه سواك ثاني لأي معنى كسرت قلبي وما التقى فيه ساكنان وله في ذم الحشيش: البسيط ما للحشيشة فضل عند أكلها لكنه غير مصروف إلى رشده صفراء في وجهه خضراء في فمه حمراء في عينه سوداء في كبده وله أيضًا: الكامل لي من هواك بعيده وقريبه ولك الجمال بديعه وغريبه يا من أعيد جماله بجلاله حذرًا عليه من العيون تصيبه إن لم تكن عيني فإنك نورها أو لم تكن قلبي فأنت حبيبه ألف القصائد في هواك تغزلًا حتى كان بك النسب نسيبه لم تبق لي سرًا أقول تذييعه عني ولا قلب أقول تذييعه كم ليلة قضيتها متسهّدًا والدمع يجرح مقلتي مسكوبه والنجم أقرب من لقاك مناله عندي وأبعد من رضاك مغيبه والجو قد رقت علي شماله وجفونه وشماله وجنوبه هي مقلة سهم الفراق يصيبها ويسح وابل دمعها فيصوبه وجوى تضرم جمره لولا ندى قاضي القضاة قضى علي لهيبه وله: السريع أخرجت بالثغر ثنايا الأقاح يا طرة الليل ووجه الصباح وأعجمت أعينك السحر مذ أعربت منهن صفاً فصاح فيا لها سودًا مرأصًا غدت تسل للعاشق بيضًا صحاح يا للهوى من مسعد مغرمًا رأى حمام الأيك غنى فناح الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي كمال الدين أحمد ابن يوسف بن نصر الفاضلي.

والمفتي فخر الدين عبد الرحمن بن يوسف البعلبكي الحنبلي في رجب.

ورئيس الشهود زين الدين المهذب ابن أبي الغنائم التنوخي.

والعلامة شمس الدين الأصبهاني الأصولي محمد بن محمود بالقاهرة في رجب.

والمقرئ تقي الدين.

يعقوب بن بدران الجرائدي بالقاهرة في شعبان.

والمسندة العابدة زينب بنت مكي في شوال ولها أربع وتسعون سنة.

والعماد أحمد ابن الشيخ العماد إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي.

والإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن الكمال عبد الرحيم بن عبد الواحد المقدسي في جمادى الأولى.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وعشر أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وعشر أصابع.

السنة الثانية عشرة من سلطنة المنصور قلاوون

وهي سنة تسع وثمانين وستمائة.

فيها كانت وفاة صاحب الترجمة الملك المنصور قلاوون في ذي القعدة حسب ما تقدم ذكره وتسلطن بعده ابنه الملك الأشرف خليل.

وفيها توفي الشيخ الإمام أبو المعالي برهان الدين أحمد بن ناصر بن طاهر الحسيني الحنفي إمام المقصورة الحنفية الشمالية بجامع دمشق كان إمامًا عالمًا فاضلاً زاهدًا صالحًا متعبدًا مفتيًا مشتغلًا بما هو فيه من الاشغال بالعلم والأوراد والقراءة إلى أن مات في يوم السبت ثاني عشرين شوال وتولى بعده الإمامة الشيخ نجم الدين يعقوب البروكاري الحنفي وسلك مسلكه.

وفيها توفي الأمير حسام الدين أبو سعيد طرنطاي بن عبد الله المنصور في الأمير الكبير كان أوحد أهل عصره كان عظيم دولة أستاذه الملك المنصور قلاوون وكان المنصور قد جعله نائبه بسائر الممالك وكان هو المتصرف في مملكته.

فلما مات الملك المنصور قلاوون وتسلطن ولده الملك الأشرف خليل استنابه أيامًا إلى أن رتب أموره ودبره ودبر أحواله وكان عظيم التنفيذ سديد الرأي مفرط الذكاء عزيز العقل فلما رسخت قدم الأشرف في السلطنة أمسكه وكان في نفسه منه أيام والده وبسط عليه العذاب إلى أن مات شهيدًا وصبر على العذاب صبرًا لم يعهد مثله عصره إلى أن هلك ولما غسلوه وجدوه قد تهرأ لحمه وتزايلت أعضاؤه وأن جوفه كان مشقوقًا كل ذلك ولم يسمع منه كلمة.

وكان بينه وبين الأمير علم الدين سنجر الشجاعى عداوة على الرتبة فسلمه الأشرف إلى الشجاعى وأمره بتعذيبه فبسط الشجاعى عليه العذاب أنواعًا إلى أن مات فحمل إلى زاوية الشيخ عمر السعودي فغسلوه وكفنوه ودفنوه بظاهر الزاوية .

وكان له مواقف مع العدو وغزوات مشهورة وفتوحات.

وبنى مدرسة حسنة بقرب داره بخط البندقانيين بالقاهرة وقبة برسم الدفن وله أوقاف على الأسرى وغيرها.

وكان فيه محاسن لولا شحه وبذاءة لسانه لكان أوحد أهل زمانه وخلف أموالاً جمّة.

قال الشيخ قطب الدين اليونيني: قال الشيخ تاج الدين الفزاري: حدثني تاج الدين ابن الشيرازي المحتسب: أنهم وجدوا في خزانة طرنطاي من الذهب العين ألفي دينار وأربعمائة ألف دينار وألفي حياصة ذهب وألف وسبعمائة كلوته مزركشة ومن الدراهم ما لا يحصى فاستولى الأشرف خليل على ذلك كله وفرقه على الأمراء والمماليك في أيسر مدة واحتاج أولاد طرنطاي هذا وعياله من بعده إلى الطلب من الناس من الفقر.

وقال غيره: وجد لطرنتاي ألف دينار وستمائة ألف دينار.

ثم ذكر أنواع الأقمشة والخيول والجمال والبغال والمتاجر ما يستحى من ذكره كثرة.

ومات طرنطاي المذكور ولم يبلغ خمسين سنة من العمر.

وفيها توفي الأمير علاء الدين طيبرس بن عبد الله الصالحي المعروف بالوزير كان أحد الأمراء المشهورين بالشجاعة والإقدام وكان من المبرزين وله التقدم في الدول والوجاهة ولم يزل على ذلك إلى أن مات رحمه الله تعالى.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي العلامة رشيد الدين عمر بن إسماعيل الفارقي: خنق في المحرم وقد كمل التسعين.

والإمام نور الدين علي بن ظهير بن شهاب بن الكفتي المقرئ الزاهد في شهر ربيع الآخر.

وقاضي الحنابلة نجم الدين أحمد ابن الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن أبي عمر في جمادى الأولى وله ثمان وثلاثون سنة.

وخطيب دمشق جمال الدين عبد الكافي بن عبد الملك بن عبد الكافي الربيعي في سلخ جمادى الأولى.

والزاهد فخر الدين أبو طاهر إسماعيل عز القضاة بن علي بن محمود الصوفي في رمضان.

والشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن الزين أحمد بن عبد الملك المقدسي في ذي القعدة.

والسلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي في ذي القعدة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وإصبعان.

مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعًا وسبع عشرة إصبعًا ولم يوف في هذه السنة.

سلطنة الملك الأشرف خليل هو السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي النجمي جلس على تخت الملك يوم وفاة أبيه في يوم الأحد سابع ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمئة.

وكان والده قلاوون قد سلطنه في حياته بعد موت أخيه الملك الصالح علي بن قلاوون في سنة سبع وثمانين وستمئة والمعتد به جلوسه الآن على تخت الملك بعد موت أبيه.

وجد له الأمراء والجند الحلف في يوم الاثنين ثامن في القعدة المذكور.

وطلب من القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر تقليده فأخرجه إليه مكتوبًا بغير علامة الملك المنصور وكان ابن عبد الظاهر قد قدمه إليه ليعلم عليه فلم يرض وتقدم طلب الأشرف وتكرر وابن عبد الظاهر يقدمه إلى الملك المنصور والمنصور يمتنع إلى أن قال له: " يا فتح الدين أنا ما أولي خليلًا على المسلمين! " ومعنى ذلك أن الملك المنصور قلاوون كان قد ندم على توليته السلطنة من بعده.

فلما رأى الأشرف التقليد بلا علامة قال: " لا فتح الدين السلطان امتنع أن يعطيني وقد أعطاني الله! " ورمى التقليد من يده وتم أمره ورتب أمور الديار المصرية وكتب بسلطنته إلى الأقطار وأرسل الخلع إلى النواب بالبلاد الشامية.

وهو السلطان الثامن من ملوك الترك وأولاهم.

ثم خلع على أرباب وظائفه بمصر والذين خلع عليهم من الأعيان: الأمير بدر الدين بيدرا المنصوري نائب السلطنة بالديار المصرية ووزيره ومدبر مملكته شمس الدين محمد بن السلعوس الدمشقي وهو في الحجاز الشريف وعلى بقية أرباب وظائفه على العادة والنواب بالبلاد الشامية يوم ذاك فكان نائبه بدمشق وما أضيف إليها من الشام الأمير حسام الدين لاجين المنصوري ونائب السلطنة بالممالك الحلبية وما أضيف إليها الأمير شمس الدين قرا سنقر المنصوري ونائب الفتوحات الساحلية والأعمال الطرابلسية والقلع الإسماعيلية الأمير سيف الدين بلبان السلحدار المعروف بالطباخي ونائبه بالكرك والشوبك وما أضيف إلى ذلك الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار المنصوري صاحب التاريخ المعروف " بتاريخ بيبرس الدوادار " وصاحب حماة والمعرة الملك المظفر تقي الدين محمود ابن الملك المنصور محمد الأيوبي.

والذين هم تحت طاعته من الملوك صاحب مكة المشرفة الشريف نجم الدين أبو نمي محمد بن إدريس بن علي بن قتادة الحسني وصاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر فهؤلاء الذين أرسل إليهم بالخلع والتقليد.

انتهى.

ولما رسخت قدم الملك الأشرف هذا في الملك أخذ وأعطى وأمر ونهى وفرق الأموال وقبض على جماعة من حواشي والده وصادرهم على ما يأتي ذكره.

ولما استهلّت سنة تسعين وستمائة أخذ الملك الأشرف في التجهز للسفر للبلاد الشامية وإتمام ما كان قصده والده من حصار عكا وأرسل إلى البلاد الشامية وجمع العساكر وعمل آلات الحصار وجمع الصناع إلى أن تم أمره خرج بعساكره من الديار المصرية في ثالث شهر ربيع الأول من سنة تسعين المذكورة وسار حتى نازل عكا في يوم الخميس رابع شهر ربيع الآخر وبواقفه خامس نيسان فاجتمع عنده على عكا من الأمم ما لا يحصى كثرة.

وكان المطوعة أكثر من الجند ومن في الخدمة.

ونصب عليها المجانيق الكبار الفرنجية خمسة عشر منجنيقًا منها ما يرمي بقنطار دمشقي وأكبر ومنها دونه.

وأما المجانيق الشيطانية وغيرها فكثيرة ونقب عدة نقوب وأنجد أهل عكا صاحب قبرس بنفسه وفي ليلة قدومه عليهم أشعلوا نيرانًا عظيمة لم ير مثلها فرحًا به وأقام عندهم قريب ثلاثة أيام ثم عاد عندما شاهد انحلال أمرهم وعظم ما دهمهم ولم يزل الحصار عليها والجد في أمر قتالها إلى أن انحلت عزائم من بها وضعف أمرهم واختلفت كلمتهم.

هذا والحصار عمال في كل يوم واستشهد عليها جماعة من المسلمين.

فلما كان سحر يوم الجمعة سابع جمادى الأولى ركب السلطان والعساكر وزحفوا عليها قبل طلوع الشمس وضربوا الكوسات فكان لها أصوات مهولة وحس عظيم مزعج فحال ملاصقة العسكر لها وللأسوار هرب الفرنج وملكت المدينة بالسيف ولم تمض ثلاث ساعات من النهار المذكور إلا وقد استولى المسلمون عليها ودخلوها وطلب الفرنج البحر فتبعتهم العساكر الإسلامية تقتل وتأسر فلم ينج منهم إلا القليل ونهب ما وجد من الأموال والذخائر والسلاح وعمل الأسر والقتل في جميع أهلها وعصى الديوية والإسبتار واستتر الأرمن في أربعة أبراج شواهدق في وسط البلد فحصرها فيها.

فلما كان يوم السبت ثامن عشر الشهر وهو ثاني يوم فتح المدينة قصد جماعة من الجند وغيرهم الدار والبرج الذي فيه الديوبة فطلبوا الأمان فأمنهم السلطان وسير لهم صنجًا فأخذوه ورفعوه على برجهم وفتحوا الباب فطلع إليهم جماعة كثيرة من الجند وغيرهم.

فلما صاروا عندهم تعرض بعض الجند والعوام للنهب ومدوا أيديهم إلى من عندهم من النساء والأصاغر فغلق الفرنج الأبواب ووضعوا فيهم السيف فقتلوا جماعة من المسلمين ورموا الصنجق وتمسكوا بالعصيان وعاد الحصار عليهم.

وفي اليوم المذكور نزل من كان ببرج الإسيبار الأرمن بالأمان فأمنهم السلطان على أنفسهم وحریمهم علي يد الأمير زين الدين كتبغا المنصوري وتم القتال على برج الديوبة ومن عنده إلى يوم الأحد التاسع عشر من جمادى الأولى طلب الديوبة ومن بقي في الأبراج الأمان فأمنهم السلطان على أنفسهم وحریمهم على أن يتوجهوا حيث شاؤوا.

فلما خرجوا قتلوا منهم فوق الألفين وأسروا مثلهم وساقوا إلى باب الدهليز النساء والصبيان وكان من جملة حنق السلطان عليهم مع ما صدر منهم أن الأمير أقبغا المنصوري أحد أمراء الشام كان طلع إليهم في جملة من طلع فأمسكوه وقتلوه وعرقبوا ما عندهم من الخيول وأذهبوا ما أمكنهم أذهابه فتزايد الحنق عليهم وأخذ الجند وغيرهم من السبي والمكاسب ما لا يحصى.

ولما علم من بقي منهم ما جرى على إخوانهم تمسكوا بالعصيان وامتنعوا من قبول الأمان وقاتلوا أشد قتال واختطفوا خمسة نفر من المسلمين ورموهم من أعلى البرج فسلم منهم نفر واحد ومات الأربعة.

ثم في يوم الثلاثاء ثامن عشرين جمادى المذكورة أخذ البرج الذي تأخر بعكا وأنزل من فيه بالأمان وكان قد غلق من سائر جهاته.

فلما نزلوا منه وحولوا معظم ما فيه سقط على جماعة من المسلمين المتفرجين ومضن قصد النهب فهلكوا عن آخرهم.

ثم بعد ذلك عزل السلطان النساء والصبيان ناحية وضرب رقاب الرجال أجمعين وكانوا خلائق كثيرة.

والعجب أن الله سبحانه وتعالى قدر فتح عكا في مثل اليوم الذي أخذها الفرنج فيه ومثل الساعة التي أخذوها فيها فإن الفرنج كانوا استولوا على عكا في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وخمسمائة في الساعة الثالثة من النهار وأمنوا من كان بها من المسلمين ثم قتلوهم غدًا وقدر الله تعالى أن المسلمين استرجعوها منهم في هذه المرة يوم الجمعة في الساعة الثالثة من النهار ووافق السابع عشر من جمادى الأولى وأمنهم السلطان ثم قتلهم كما فعل الفرنج بالمسلمين فانتقم الله تعالى من عاقبتهم.

وكان السلطان عند منازلته عكا قد جهز جماعة من الجند مقدمهم الأمير علم الدين سنجر الصوابي الجاشنكير إلى صور لحفظ الطرق وتعرف الأخبار وأمره بمضايقة صور.

فبينما هو في ذلك لم يشعر إلا بمراكب المنهزمين من عكا قد وافت الميناء التي لصور فحال بينها وبين الميناء فطلب أهل صور الأمان فأمنهم على أنفسهم وأموالهم ويسلموا صور فأجيبوا إلى ذلك فتسلمها.

وصور من أجل الأماكن ومن الحصون المنيعة ولم يفتحها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فيما فتح من الساحل بل كان صلاح الدين كلما فتح مكانًا وأمنهم أوصلهم إلى صور هذه لحصانتها ومنعتها فألقى الله تعالى في قلوب أهلها الرعب حتى سلموها من غير قتال ولا منازلة ولا كان الملك الأشرف في نفسه شيء من أمرها البتة.

وعندما تسلمها جهز إليها من أخرجها وهدم أسوارها وأبنيتها ونقل من رخمها وأنقاضها شيء كثير.

ولما تيسر أخذ صور على هذه الصورة قوي عزم الملك الأشرف على أخذ غيرها.

ولما كان الملك الأشرف محاصرًا لعكا استدعى الأمير حسام الدين لاجين المنصوري نائب الشام وهو الذي تسلطن بعد ذلك حسب ما يأتي ذكره والأمير ركن الدين بيبرس المعروف بطقصو في ليلة الاثنين ثالث عشر جمادى الأولى إلى المخيم وأمسكهما وقيدهما وجهزهما في بكره نهار الاثنين إلى قلعة صفد ومنها إلى قلعة الجبل.

وكان تقدم قبل ذلك بستة أيام مسك الأمير سنجر المعروف بأبي خرص وجهزه إلى الديار المصرية محتاطًا عليه.

ثم استقر الملك الأشرف بالأمير علم الدين سنجر الشجاعى المنصوري في نيابة الشام عوضًا عن الأمير لاجين المذكور.

وعندما أمسك الأشرف هذين الأميرين الكبيرين حصل للناس قلق شديد وخشوا من حدوث أمر يكون سببًا لتنفيس الخناق عن أهل عكا فكفى الله تعالى ذلك.

ثم أمسك الأشرف الأمير علم الدين أيدغدي الإلذكزي نائب صفد وما معها لأمر نقمه عليه وصادره وجعل مكانه الأمير علاء الدين أيدكين الصالحي العمادي وأضاف إليه مع ولاية صفد عكا وما استجد من الفتوحات الأشرفية.

ثم لما فرغ الأشرف من مصادرة أيدكين المذكور ولاء بر صفد عوضًا عن علم الدين سنجر الصوابي ثم استدعى الملك الأشرف الأمير بيبرس الدوادار المنصوري الخطائي المؤرخ نائب الكرك وعزله وولى عوضه الأمير أقوش الأشرفي.

ثم رحل الملك الأشرف عن عكا في بكرة نهار الاثنين خامس جمادى الآخرة ودخل دمشق يوم الاثنين ثاني عشره بعد أن زينت له دمشق غاية الزينة وعملت القباب بالشوارع من قريب المصلى إلى الباب الجديد وحصل من الاحتفال لقدمه ما لا يوصف ودخل وبين يديه الأسرى من الفرنج تحتهم الخيول وفي أرجلهم القيود ومنهم الحامل من سناجق الفرنج المنكسة وفيهم من حمل رمحًا علمه من رؤوس قتلى الفرنج فكان لقدمه يوم عظيم.

وأقام الأشرف بدمشق إلى فجر نهار الأربعاء تاسع عشر شهر رجب.

وعاد إلى الديار المصرية فدخلها يوم الاثنين تاسع شعبان فاحتفل أيضًا أهل مصر لملاقاته احتفالًا عظيمًا أضعاف احتفال أهل دمشق وعند دخوله إلى مصر أطلق رسل صاحب عكا الذين كانوا معوقين بالقاهرة.

ثم إن الأمير علم الدين سنجر الشجاعى نائب الشام فتح صيدا بعد حصار كبير بالأمان في يوم السبت خامس عشر شهر رجب.

ولما أخذت هذه البلاد في هذه السنة أمر السلطان أن تخرب قلعة جيبيل وأسوارها بحيث يلحقها بالأرض فخربت أصلًا ثم أخذت عثليت بعد شهر.

وأما أهل أنطربطوس لما بلغهم أخذ هذه القلاع عزموا على الهرب فجرد الأمير سيف الدين بلبان الطباخي عسكريًا فلما أحاطوا بها ليلة الخميس خامس شعبان ركبوا البحر وهربوا إلى جزيرة أرواد وهي بالقرب منها فندب إليها السعدي بما كان أحضره من المراكب والشواني فأخلوها.

وكان فتح هذه المدن الست في ستة شهور.

ثم رسم الملك الأشرف بالقبض على الأمير علم الدين سنجر الدوادار فقبض عليه في شهر رمضان وجهر إلى الديار المصرية بعد أن أحيط على جميع موجوده ثم أفرج الملك الأشرف على جماعة من الأمراء ممن كان قبض عليهم وحبسهم وهم: الأمير لاجين المنصوري الذي تسلطن بعد ذلك وبيبرس طقصو الناصري وسنقر الأشقر الصالحي وبدر الدين بيسري الشمسي وسنقر الطويل المنصوري وبدر الدين خضر بن جودي القيمري وفي شهر رمضان سنة تسعين وستمئة المذكورة أنعم السلطان الملك الأشرف على علم الدين سنجر المنصوري المعروف بأرجواش خبّرًا وخلع عليه وأعيد إلى ولاية قلعة دمشق ثم طلب الملك الأشرف قاضي القدس بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة إلى الديار المصرية وولاه قضاءها بعد عزل قاضي القضاة تقي الدين ابن بنت الأعز.

واستمر الملك الأشرف بالديار المصرية إلى أن تجهز وخرج منها قاصدًا البلاد الشامية في يوم السبت ثامن شهر ربيع الآخر من مدة إحدى وتسعين وستمئة وسار حتى دخل دمشق في يوم السبت سادس جمادى الأولى.

وفي ثامن جمادى الأولى أحضر السلطان الأموال وأنفق في جميع العساكر المصرية والشامية.

ووصل الملك المظفر تقي الدين صاحب حماة لتلقي الملك الأشرف فالتقاه فزاد السلطان في إكرامه واستعرض الجيوش عليه وأمر بتسفيرهم قدام الملك المظفر المذكور.

ثم توجه الملك الأشرف من دمشق بجميع العساكر قاصدًا حلب فوصلها في ثامن عشرين جمادى الأولى ثم خرج منها ونزل على قلعة الروم بعساكره وحاصرها إلى أن افتتحها بالسيف عنوة في يوم السبت حادي عشر شهر رجب وكتب البشائر إلى الأقطار بأخذها ثم عاد السلطان إلى دمشق وترك بقلعة الروم الشجاعى وعساكر الشام ليعمروا ما انهدم منها في الحصار.

وكان دخول السلطان إلى دمشق في يوم الثلاثاء تاسع عشر شعبان بعد أن عزل الأمير فرا سنقر المنصوري عن نيابة حلب بالأمير بلبان الطباخي وولى عوضًا عن الطباخي في الفتوحات طغريل الإيغاني.

ولما كان السلطان بدمشق عمل عسكره النوروز كعادتهم بالديار المصرية وعظم ذلك على أهل دمشق لعدم عادتهم بذلك.

وفي يوم الجمعة ثامن عشرين رمضان قبض السلطان على الأمير شمس الدين سنقر الأشقر وعلى الأمير ركن الدين طقصو وهرب الأمير حسام الدين لاجين المنصوري ونادوا عليه بدمشق من أحضره فله ألف دينار ومن أخفاه شنق.

ثم ركب الملك الأشرف ومماليكه في طلب لاجين المذكور وأصبح يوم العيد والسلطان في البرية مهجج وكانوا عملوا السماط كجاري العادة في الأعياد وأطلعوا المنبر إلى الميدان الأخضر وطلع الخطيب موفق الدين فصلى في الميدان بالعوام وعاد السلطان بعد صلاة العصر إلى دمشق ولم يقع للاجين على خبر.

ثم سير الملك الأشرف طقصو وسنقر الأشقر تحت الحوطة إلى الديار المصرية.

وأما لاجين فإن العرب أمسكوه وأحضره إلى الملك الأشرف فأرسله الملك الأشرف مقيداً إلى مصر.

وفي سادس شوال ولى السلطان الأمير عز الدين أيبك الحموي نيابة دمشق عوضاً عن الشجاعى.

ثم خرج الأشرف من دمشق قاصداً الديار المصرية في ليلة الثلاثاء عاشر شوال وكان قد رسم الأشرف لأهل الأسواق بدمشق وظاهرها أن كل صاحب حانوت يأخذ بيده شمعة ويخرج إلى ظاهر البلد وعند ركوب السلطان يشعلها فبات أكثر أهل البلد بظاهر دمشق لأجل الفرجة! فلما كان الثلث الأخير من الليل ركب السلطان وأشعلت الناس الشموع فكان أول الشمع من باب النصر وآخر الوقيد عند مسجد القدم لأن والى دمشق كان قد رتبهم من أول الليل فكانت ليلة عظيمة لم ير مثلها.

وسافر السلطان حتى دخل الديار المصرية يوم الأربعاء ثاني ذي القعدة من باب النصر وخرج من باب زويلة واحتفل أهل مصر لدخوله احتفالاً عظيماً وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً.

ولما أن طلع السلطان إلى قلعة الجبل أنعم على الأمير قرا سنقر المنصوري المعزول عن نيابة حلب بإمرة مائة فارس بديار مصر.

ثم أفرج عن الأمير حسام الدين لاجين المنصوري وأعطاه أيضاً خبز مائة فارس بديار مصر وسببه أن السلطان عاقب سنقر الأشقر وركن الدين طقصو فاعترفوا أنهم كانوا يريدون قتله وأن لاجين لم يكن معهم ولا كان له اطلاع على الباطن فخنقهم وأفرج عن لاجين بعد ما كان وضع الوتر في حلقه لخنقه فضمنه خشداشه الأمير بدر الدين بيدرا المنصوري نائب السلطان وعلم الدين سنجر الشجاعى وغيرهما.

قلت وسنقر الأشقر هو الذي كان تسلطن بدمشق في أوائل سلطنة الملك المنصور قلاوون ووقع له معه تلك الأمور المذكورة في عدة أماكن.

وأما لاجين هذا فهو الذي تسلطن بعد ذلك وتلقب بالملك المنصور حسب ما يأتي ذكره.

وكلما ذكرنا من حينئذ لاجين فهو المنصور ولا حاجة للتعريف به بعد ذلك.

ثم إنهم أخرجوا الأمراء المخنقين وسلموهم إلى أهاليهم وكان السلطان خنق معهما ثلاثة أمراء آخر فأخرجوا الجميع ودفنوا ثم غرق السلطان جماعة أخرى وقيل إن ذلك كان في مستهل سنة اثنتين وتسعين وستمائة.

واستمر السلطان بمصر إلى أن تجهز وخرج منها إلى الشام في جمادى الأولى من سنة اثنتين وتسعين وستمائة المذكورة وسار حتى دخل دمشق في يوم الأحد تاسع جمادى الآخرة ونزل بالقصر الأبلق من الميدان الأخضر.

ولما استقر ركابه بدمشق شرع في تجهيز العساكر إلى بلاد سيبس والغارة عليها فوصل رسل صاحب سيبس بطلب الصلح ورضا السلطان عليه ومهما طلب منه من القلاع والمال أعطاه وشفع الأمراء في صاحب سيبس واتفق الحال على أن يتسلم نواب السلطان من صاحب سيبس ثلاث قلاع وهي: بهسنا ومرعش وتل حمدون وفرح الناس بذلك لأنه كان على المسلمين من بهسنا أذى عظيم.

وأقام السلطان بدمشق إلى مستهل شهر رجب توجه منها وصحبته عسكر الشام والأمراء وبعض عساكر مصر.

وأما الضعفاء من عسكر مصر فأعطاهم السلطان دستورًا بعودتهم إلى الديار المصرية.

وسار السلطان حتى وصل إلى حمص ثم توجه منها إلى سلمية مظهرًا أنه متوجه إلى ضيافة الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى بن مهنا أمير آل فضل وكان خروج السلطان من دمشق في ثاني شهر رجب فلما كان بكرة يوم الأحد سابع شهر رجب وصل الأمير لاجين وصحبته مهنا إلى دمشق وهو مقبوض عليه أمسكه السلطان لما انقضت الضيافة وولى عوضه شخصًا من أولاد عمه وهو الأمير محمد بن علي بن حذيفة.

وفي بقية النهار وصل السلطان إلى دمشق ورسم للأمير بيدرا أن يأخذ بقية العساكر ويتوجه إلى مصر وأن يركب تحت الصناجق عوض السلطان وبقي السلطان مع خواصه بدمشق بعدهم ثلاثة أيام ثم خرج من دمشق في يوم السبت ثالث عشر رجب وعاد إلى جهة الديار المصرية في العشر الأخير من شهر رجب من سنة اثنتين وتسعين وستمئة.

ثم إن السلطان أمر الأمير عز الدين أيبك الحموي الأقرم أمير جاندار نائب الشام أن يسافر إلى الشوبك ويخرب قلعتها فكلمه الأقرم في بقائها فانتهره وسافر من يومه وتوجه الأقرم إلى الشوبك وأخربها غير القلعة.

وكان ذلك غاية ما يكون من الخطأ وسوء التدبير وكان أخرب قبل ذلك أيضًا عدة أماكن بقلعة الجبل وبقلعة دمشق أيضًا أخرب عدة قاعات ومباني هائلة.

وأما قلاع السواحل فأخرب غالبها وكان يقصد ذلك لمعنى يخطر بباله.

ثم في العشرين من ذي الحجة نصب السلطان ظاهر القاهرة خارج باب النصر القبق وصفة ذلك أن ينصب صار طويل ويعمل على رأسه قرعة من ذهب أو فضة ويجعل في القرعة طير حمام ثم يأتي الرامي بالنشاب وهو سائق فرسه ويرمي عليه فمن أصاب القرعة وطير الحمام خلع عليه خلعة تليق به ثم يأخذ القرعة وكان ذلك بسبب ظهور أخي الملك الأشرف وهو الملك الناصر محمد بن قلاوون وظهر ابن أخيه الأمير مظفر الدين موسى ابن الملك الصالح علاء الدين علي بن قلاوون فاحتفل السلطان لظهورهما وعمل مهمًا عظيمًا.

وكان الطهور في يوم الاثنين ثاني عشرين ذي الحجة.

وعندما طهروهم رموا الأمراء الذهب لأجل النقوظ فإن كان الأمير أمير مائة فارس رمى مائة دينار وإن كان أمير خمسين فارسًا رمى خمسين دينارًا وقس على ذلك سائر الأمراء ورمى حتى مقدمو الحلقة والأجناد فجمع من ذلك شيء كثيرة ثم بعد فراغ المهم بمدة يسيرة نزل السلطان الملك الأشرف المذكور من قلعة الجبل متوجهًا إلى الصيد في ثاني المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمئة وصحبته وزيره صاحب شمس الدين بن السلغوس

ونائب سلطنته الأمير بدر الدين بيدرا وجميع الأمراء فلما وصل إلى الطرانة فارقه وزيره ابن السلعوس المذكور وتوجه إلى الإسكندرية.

وأما السلطان فإنه نزل بالحمامات لأجل الصيد وأقام إلى يوم السبت ثاني عشر المحرم فلما كان قرب العصر وهو بأرض تروجة حضر إليه الأمير بدر الدين بيدرا نائب السلطنة ومعه جماعة كثيرة من الأمراء وكان السلطان بكرة النهار قد أمره أن يأخذ العسكر والدهليز ويمشي عوضه تحت الصاجق وأن يتقدمه ويبقى السلطان يتصيد وحده بقية يومه ويعود العشية إلى الدهليز فتوجه بيدرا على ذلك وأخذ السلطان الملك الأشرف يتصيد ومعه شخص واحد يقال له شهاب الدين الأشل أمير شكار وبينما السلطان في ذلك أتاه هؤلاء: بيدرا ورفقته فأنكر السلطان مجيئهم وكان في وسط السلطان بند حرير وليس معه نمجة لأجل الصيد وكان أول من ابتدره الأمير بيدرا فضربه بالسيف ضربة قطع بها يده مع كتفه فجاء الأمير حسام الدين لاجين وهو الذي تسلطن بعد ذلك بمدة وقال لبيدرا: يا نحس من يريد ملك مصر والشام تكون هذه ضربته ثم ضربه على كتفه فحلها ووقع السلطان على الأرض جاء بعدهما الأمير بهادر رأس نوبة وأخذ السيف ودسه في دبره وأطلعه من حلقه وبقي يجيء واحد من الأمراء بعد واحد ويظهرون ما في أنفسهم منه ثم تركوه في مكانه وانضموا على الأمير بيدرا وحلفوا له وأخذوه تحت الصناجق وركبوا سائرين بين يديه طالبين القاهرة.

وقيل في قتله وجه آخر.

قال القطب اليونيني: " ومما حكى لي الأمير سيف الدين بن المحفدار كيف كان قتل السلطان الملك الأشرف خليل قال: سألت الأمير شهاب الدين أحمد بن الأشل أمير شكار السلطان كيف كان قتل السلطان الأشرف فقال ابن الأشل: بعد رحيل الدهليز يعني مدورة السلطان والعساكر جاء إليه الخبر أن بتروجة طيرًا كثيرًا فقال السلطان: امش بنا نسبق الخاصكية فركبنا وسبرنا فرأينا طيرًا كثيرًا فرماه السلطان بالبندق فأصرع شيئًا كثيرًا ثم إنه التفت إلي وقال: أنا جيعان فهل معك شيء تطعمني فقلت: والله ما معي سوى فروجة ورغيف خبز قد ادخرته لنفسي في صولقي فقال لي: ناولني إياه فأخذه وأكله جميعه ثم قال لي: أمسك لي فرسي حتى أنزل وأريق الماء فقلت له: ما فيها حيلة! أنت راكب حصانًا وأنا راكب حجرة وما يتفقوا فقال لي: انزل أنت واركب خلفي وأركب أنا الحجرة التي لك والحجرة مع الحصان تقف قال: فنزلت وناولته لجام الحجرة ثم أنني ركبت خلفه ثم إن السلطان نزل وقعد يريق الماء وشرع يولغ بذكره وبمازحني ثم قام وركب حصانه ومسك لي الحجرة ثم إنني ركبت.

فبينما أنا وإياه نتحدث وإذا بغيار عظيم قد ثار وهو قاصد نحونا فقال لي السلطان: سبق واكتشف لي خبر هذا الغبار قال: فسقت وإذا الأمير بدر الدين بيدرا والأمراء معه فسألتهم عن سبب مجيئهم فلم يردوا علي جوابًا ولا التفتوا إلى كلامي وساقوا على حالهم حتى قربوا من السلطان فكان أول من ابتدره بيدرا بالضربة قطع بها يده وتمم الباقي قتله " انتهى.

وأما أمر بيدرا فإنه لما قتل السلطان بايع الأمراء بيدرا بالسلطنة ولقبوه بالملك الأوحد وبات تلك الليلة فإن قتل الأشرف كان بين الظهر والعصر وأصبح ثاني يومه سار بيدرا بالعساكر إلى نحو الديار المصرية وبينما بيدرا سائر بعساكره وإذا بغيار عظيم قد علا وملأ الجو وقرب منه وإذا بالطلب عظيم فيه نحو ألف وخمسمائة فارس من الخاصكية الأشرفية ومعهم الأمير زين الدين كنبغا - وهو الذي تسلطن بعد ذلك بمدة على ما يأتي ذكره - والأمير حسام الدين الأستاذار طالبين بيدرا بدم أستاذهم السلطان الملك الأشرف خليل المذكور وأخذ الثأر منه ومن أصحابه وكان ذلك بالطرانة في يوم الأحد أول النهار

فما كان غير ساعة إلا والتقوا وكان بيدرا لما رأهم صف من معه من أصحابه للقتال فصدموه الأشرفية صدمة صادقة وحملوا عليه حملة واحدة فرقوا شمله وهرب أكثر من كان معه فحينئذ أحاطوا ببيدرا وقبضوا عليه وحزوا رأسه وقيل: إنهم قطعوا يده قبل أن يحزوا رأسه كما قطعت يد أستاذهم الملك الأشرف بضربة السيف ولما حزوا رأسه حملوه على رمح وسيروه إلى القاهرة فطافوا به ثم عادوا نحو القاهرة حتى وصلوا بر الجيزة فلم يمكنهم الأمير علم الدين سنجر الشجاعي من التعدي إلى بر مصر لأن السلطان الملك الأشرف كان قد تركه في القلعة عند سفره نائب السلطنة بها فلم يلتفتوا إليه وأرادوا التعدي فأمر الشجاعي المراكب والشواني فعدت إلى بر القاهرة وبقي العسكر والأمراء على جانب البحر مقيمين حتى مشيت بينهم الرسل على أن يمكنهم الشجاعي من العبور حتى يقيموا عوض السلطان أخاه الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو صغير تسكينًا لما وقع وإخمادًا للفتنة فأجلسوه على تخت الملك بقلعة الجبل في رابع عشر المحرم من سنة ثلاث وتسعين وستمئة المذكورة وأن يكون نائب السلطنة الأمير زين الدين كتبغا والوزير الأمير علم الدين سنجر الشجاعي وحسام الدين أستاذ الدار أتاك العساكر.

قلت: وساق الشيخ قطب الدين اليونيني واقعة الملك الأشرف هذا وقتله وقتل بيدرا بأطول من هذا قال الشيخ قطب الدين: " وحكى لي الأمير سيف الدين بن المحفدار أمير جاندار قال: كان السلطان الملك الأشرف قد أنفذني في أول النهار إلى الأمير بدر الدين بيدرا يأمره أن يأخذ العساكر ويسير بهم فلما جئت إليه وقتلت له: السلطان يأمر أن تسير الساعة تحت الصناجق بالأمراء والعسكر قال: فنفر في بيدرا ثم قال: السمع والطاعة قال: ورأيت في وجهه أثر الغيظ والحنق وقال: ولم يستعجلني! فظهر في وجهه شيء ما كنت أعده منه ثم إنني تركته ومشيت حملت الزردخاناه والثقل الذي لي وسرت فبينما أنا سائر أنا ورفيقي الأمير صارم الدين الفخري وركن الدين أمير جاندار عند المساء وإذا بنجاب سائر فسألت عن السلطان أين تركته فقال: طول الله أعماركم فيه فبينما نحن متحIRON في أمره وإذا بالسناجق التي للسلطان قد لاحت وقربت والأمراء تحتها والأمير بدر الدين بيدرا بينهم وهم محدقون به قال: فجتنا وسلمنا عليه فقال له الأمير ركن الدين بيبرس أمير جاندار: يا خوند هذا الذي فعلته كان بمشورة الأمراء قال: نعم إنما قتلته بمشورتهم وحضورهم وها هم كلهم حاضرون وكان من جملة من هو حاضر الأمير حسام الدين لاجين المنصوري والأمير شمس الدين قرا سنقر المنصوري والأمير بدر الدين بيسري وأكثر الأمراء سائقون معه قال: ثم إن بيدرا شرع يعدد سيئات السلطان ومخازيه ومناحسه وإهماله أمور المسلمين واستهزائه بالأمراء ومماليك أبيه ووزارته لابن السلعوس قال: ثم إنه سألنا هل رأيت الأمير زين الدين كتبغا.

فقلنا له: لا فقال بعض الأمراء: يا خوند هل كان عنده علم بالقضية فقال: نعم وهو أول من أشار بهذا الأمر.

فلما كان ثاني يوم وإذا بالأميرين: زين الدين كتبغا وحسام الدين أستاذ الدار قد جاؤوا في طلب كبير فيه مماليك السلطان الملك الأشرف نحو من الذي فارس وفيهم جماعة من العسكر والحلقة فالتقوه بالطرانة يوم الأحد أول النهار ثم ساق قطب الدين في أمر الواقعة نحوًا ممًا ذكرناه من أمر بيدرا وغيره إلى أن قال: وتفرق جمع الأمير بيدرا.

قال ابن المحفدار: فلما رأينا ما لنا بهم طاقة التجأنا إلى جبل هناك شمالي واختلطنا بذلك الطلب الذي فيه كتبغا ورأينا بعض أصحابنا فقال: شدوا بالعجلة مناديلكم في رقابكم إلى تحت أباطكم فهي الإشارة بيننا وإلا قتلوكم أو شلحوكم فعملنا مناديلنا في رقابنا إلى تحت أباطنا وكان ذلك سبب سلامتنا فحصل لنا به نفع كثير من جهة الأمير زين

الدين كتبنا ومن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وسلمت بذلك أنفسنا وأثقالنا وأموالنا ثم ظهر لهم أننا لم يكن لنا في باطن القضية علم.

قال: وسرنا إلى قمة الجبل.

وذكر سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون حسب ما نذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى فيما يأتي.

قال: ولما كان يوم خامس عشرين المحرم أحضر إلى قلعة الجبل أميران وهما سيف الدين بهادر رأس نوبة وجمال الدين آقوش الموصلي الحاجب فحين حضروا اجتمعوا الأشرافية عليهم فضربوا رقابهم وعلقوا رأس بهادر على باب داره الملاصقة لمشهد الحسين بالقاهرة.

وبهادر هذا هو الذي حط السيف في دبر الملك الأشرف بعد قتله وأخرجه من حلقة.

ثم أخذوا جثته وجثة آقوش وأحرقوهما في قمين جير وأما الأمير حسام الدلن لاجين المنصوري والأمير شمس الدين قرا سنقر فإنهما اختفيا ولم يظهر لهما خبر ولا وقع لهما على أثر.

ثم أحضر المماليك الأشرافية سبعة أمراء وهم: سيف الدين نوحيه وسيف الدين ألتاق وعلاء الدين ألتبغا الجمدار وشمس الدين سنقر مملوك لاجين وحسام الدين طرنطاي الساقبي ومحمد خوجا وسيف الدين أروس في يوم الاثنين خامس صفر إلى قلعة الجبل فلما رأهم السلطان الملك الناصر محمد أمر بقطع أيديهم أولاً وبعد ذلك يسمرون على الجمال وأن تعلق أيديهم في حلوقهم ففعل ذلك ورأس بيدرا أيضاً على رمح يطاف به معهم بمصر والقاهرة ويقوا على هذه الحالة إلى أن ماتوا وكل من مات منهم سلم إلى أهله والجميع دفنوهم بالقرافة.

قلت: وقريب مما وقع لبيدرا هذا وأصحابه أوائل ألفاظ المقالة الخامسة عشرة من " كتاب أطباق الذهب " للشيخ الإمام الرباني شرف الدين عبد المؤمن الأصفهاني المعروف بشوروة وهي قوله: " من الناس من يستطيب ركوب الأخطار وورود التيار ولحوق العار والشنار ويستحب وقد النار وعقد الزنار لأجل الدينار ويستلذ سف الرماد ونقل السماد وطى البلاد لأجل الأولاد وبصبر على نسف الجبال وتنف السبال لشهوة المال ويبدل الإيمان بالكفر ويحفر الجبال بالظفر للدنانير الضفر ويلج ماضغي الأسود للمراهم السود لا يكره صداعاً إذا نال كراعاً ويلقى النوائب بقلب صابر في هوى الشيخ أبي جابر ويأبى العز طبيعة ويرى الذل شريعة وإن رزق لعيعة يراها صنعة يؤم راسه وترض أضراسه وإن أعطي درهماً يراه مرهماً.

ومن الناس من يختار العفاف ويعلف الإسفاف يدع الطعام طاوياً ويذر الشراب صادياً ويرى المال رائحاً غادياً يترك الدنيا لطلابها ويطرح الجيفة لكلابها لا يسترزق لئام الناس ويقنع بالخبز الناس يكره المن والأذى ويعاف الماء على القذى إن أثرى جعل موجوده معدوماً وإن أقوى حسب قفاره مأدوماً جوف خال وثوب بال ومجد عال ووجه مصفر عليه قره وثوب أسمال وراءه عز وجمال وعقب مشقوق وذيل مفتوق يجره فتى مغبوق شعر: لله تحت قباب العز طائفة أخفاهم في رداء الفقر إجلالاً هم السلاطين في أطمار مسكنة استعبدوا من ملوك الأرض أقبالا غير ملاسبهم شم معاطسهم جروا على فلك الخضراء أذبالاً هذي المناقب لا ثوبان من عدن خيطاً قميصاً فصارا بعد أسمالاً هذي المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا هم الذين جبلوا برآء من التكلف يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف انتهى ما ذكرناه من المقالة الخامسة عشرة وإن كنا

خرجنا عن المقصود من كون غالبها من غير ما نحن فيه غير أنني لم أذكرها بتمامها هنا إلا لغرابتها.

انتهى.

ولما مات الملك الأشرف خليل هذا وتم أمر أخيه الملك الناصر محمد في السلطنة استقر الأمير زين الدين كتيغا المنصوري نائب السلطنة وسنجر الشجاعي مدير المملكة وأتابك العساكر وبقية الأمور تأتي في أول سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون بأوضح من هذا.

ولما قتل الملك الأشرف خليل المذكور بقي ملقى إلى أن خرج والي تروجة من بعد قتله بيومين ومعه أهل تروجة وأخذه وغسلوه وكفنوه وجعلوه في تابوت في دار الوالي إلى أن سيروا من القاهرة الأمير سعد الدين كوجبا الناصري إلى مصرعه فأخذه في تابوت ووصل به إلى القاهرة سحر يوم الخميس ثاني عشرين صفر فدفن في تربة والدته بجوار أخيه الملك الصالح علي بن قلاوون - رحمهما الله تعالى - ورتاه ابن حبيب بقصيدة أولها: الكامل تبا لأقوام بمالك رفهم فتكوا وما رقوا لحالة مترف وافوه غدرا ثم صالوا جملة بالمشرفي على المليك الأشرف وافى شهيدا نحو روضات الرضا يختال بين مزهر ومزخرف وقال النويري في تاريخه: كان ملكا مهيبا شجاعا مقداما جسورا جوادا كريما بالمال أنفق على الجيش في هذه الثلاث سنين ثلاث نفقات: الأولى في أول جلوسه في السلطنة في مال طرنتاي والثانية عند توجهه إلى عكا والثالثة عند توجهه إلى قلعة الروم انتهى كلام النويري باختصار.

وقال الشيخ صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي في تاريخه: " وكان قبل ولاية الملك الأشرف يؤخذ عند باب الجابية بدمشق عن كل حمل خمسة دراهم مكسا فأول ما تسلطن وردت إلى دمشق مسامحة بإسقاط هذا وبين سطور المرسوم بقلم العلامة بخطه: لتسقط عن رعايانا هذه الظلامة ويستجلب لنا الدعاء من الخاصة والعامة " انتهى كلام الصفدي.

وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبي في تاريخه بعد أن ساق من أحواله قطعة جيدة فقال: " ولو طالت أيامه أو حياته لأخذ العراق وغيرها فإنه كان بطلا شجاعا مقداما مهيبا عالي الهمة يملأ العين وبرجف القلب رأيته مرات وكان ضخما سمينا كبير الوجه بديع الجمال مستدير اللحية على وجهه رونق الحسن وهيبة السلطنة وكان إلى جوده وبذله الأموال في أغراضه المنتهى.

وكان مخوف السطوة شديد الوطأة قوي البطش تخافه الملوك في أمصارها والوحوش العادية في أجامها.

أباد جماعة من كبار الدولة.

وكان منهمكا في اللذات لا يعبا بالتحرز لنفسه لفرط شجاعته ولم أحسبه بلغ ثلاثين سنة ولعل الله عز وجل قد عفا عنه وأوجب له الجنة لكثرة جهاده وإنكائه في الكفار " انتهى كلام الذهبي باختصار.

قلت: وكان الأشرف مفرط الشجاعة والإقدام وجمهور الناس على أنه أشجع ملوك الترك قديما وحديثا بلا مدافعة ثم من بعده الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق وشهرتهما في ذلك تغني عن الإطناب في ذكرهما.

وكانت مدة مملكة الأشرف هذا على مصر ثلاث سنين وشهرين وخمسة أيام لأن وفاة والده كانت في يوم السبت سادس ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة.

وجلس الأشرف المذكور على تخت الملك في صبيحة دفن والده في يوم الاثنين ثامن ذي القعدة.

وقتل في يوم السبت ثاني عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة.
انتهى.

وقال الشيخ قطب الدين اليونيني: ومات يعني الملك الأشرف شهيدًا مظلومًا فإن جميع من وافق على قتله كان قد أحسن إليه ومناه وأعطاه وخوله وأعطاهم ضياءً بالشام ولم تتجدد في زمانه مظلمة ولا استجد ضمان مكس وكان يحب الشام وأهله وكذلك أهل الشام كانوا يحبونه - رحمه الله تعالى وعفا عنه -.

السنة الأولى من سلطنة الملك الأشرف صلاح الدين خليل على مصر وهي سنة تسعين ستمائة.

على أنه حكم من الماضية من يوم الاثنين ثامن ذي القعدة إلى آخرها.
انتهى.

فيها أعني سنة تسعين وستمائة توفي الشيخ عز الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن طرخان الأنصاري السويدي الطبيب المشهور وهو من ولد سعد بن معاذ الأوسي - رضي الله عنه - كان قد تفرد في آخر عمره بمعرفة الطب وكان له مشاركة جيدة في العربية والتاريخ واجتمع بأكابر الأطباء وأفاضل الحكماء مثل المهذب عبد الرحيم بن علي الدخوار وغيره وقرأ علم الأدب على جماعة من العلماء وكان له نظم جيد.

من ذلك قوله في خضاب اللحية: مخلع البسيط

لو أن تغيير لون شيبني ** يعيد ما فات من شبابي

لما وفى لي بما تلاقي ** روعي من كلفة الخضاب

قلت: ويعجبني قول الشيخ صفي الدين عبد العزيز الحلبي في هذا المعنى:

قالوا اخضب الشيب فقلت اقصروا ** فإن قصد الصدق من شيمتي

فكيف أرضى بعد ذا أنني ** أول ما أكذب في لحيتي

غيره في المعنى: السريع

أقبح شيء قيل بين الورى ** أن يكذب الإنسان في لحيته

▲ ومن شعر عز الدين صاحب الترجمة:

البدر والسعد ذا شبهك وذا نجمك ** والقدر واللحظ ذا رمحك وذا سهمك

والبغض والحب ذا قسمي وذا قسمك * * والمسك والحسن ذا خالك وذا عمك

وفيها توفي ملك التتار أرغون بن أبغا بن هولكو عظيم التتار وملكهم قيل: إنه اغتيل بالسم وقيل: إنه مات حتف أنفه واتهم الترك اليهود بقتله فمالوا عليهم بالسيوف فقتلوهم ونهبوا أموالهم واختلفت كلمة التتار فيمن يقيمونه بعده في الملك فمالت طائفة إلى بيدو ولم يوافقوا على كيختو فرحل كيختو إلى الروم وكان أرغون هذا قد عظم أمره عند التتار بعد قتل عمه أحمد تكودار ورسخت قدمه في الملك وكان شهماً شجاعاً مقداماً حسن الصورة سفاكاً للدماء شديد الوطأة.

وفيها توفي الشيخ عفيف الدين أبو الربيع سليمان بن علي بن عبد الله بن علي بن يس العابدي ثم الكوفي ثم التلمساني المعروف بالعفيف التلمساني الصوفي الشاعر المشهور كان فاضلاً ويدعي العرفان ويتكلم في ذلك على اصطلاح القوم.

قال الشيخ قطب الدين: " ورأيت جماعة ينسبونه إلى رقة الدين وتوفي وقد جاوز الثمانين سنة قلت: وقد تقدم ذكر ولده الأديب الظريف شمس الدين محمد أنه مات في حياة والده العفيف هذا انتهى.

وكان العفيف المذكور من الشعراء المجيدين وله ديوان شعر كبير ومن شعره: السريع يشكو إلى أردافه خصره لو تسمع الأمواج شكوى الغريق يا ردفه رق على خصره فإنه حمل ما لا يطيق وله: الكامل إن كان قتلي في الهوى يتعين يا قاتلي فبسيف جفك أهون حسبي وحسبك أن تكون مدامعي غسلي وفي ثوب السقام أكفن عجباً لخدك وردة في بأنه والبان فوق الغصن ما لا يمكن أدنته لي سنة الكرى فليتمته حتى تبدل بالشقيق السوسن ووردت كوثر ثغره فحسبنتي في جنة من وجنيته أسكن ما راعني إلا بلال الخال فو - - ق الخد في صبح الجبين يؤذن قلت: وهذا مأخوذ من قول الحاجر من قصيدة: أقام بلال الخال في صحن خده يراقب من لآء غرته الفجرا وانظر إلى الخال فوق الثغر دون لى تجد بلالاً يراعي الصبح في السحر قلت: وقد سبق إلى هذا المعنى أمير المؤمنين عبد الله بن المعتز بقوله: السريع أسفر ضوء الصبح من وجهه فقام خال الخد فيه بلال كأنما الخال على خده ساعة هجر في زمان الوصال قلت وقد استوعبنا من ذكر العفيف هذا في ترجمته في تاريخنا " المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي " نبذة كبيرة فليُنظر هناك.

وفيها توفي الشيخ الإمام العلامة فقيه الشام تاج الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع بن ضياء الفزاري البدرى المصرى " الأصل الدمشقى الشافعى المعروف بالفركاح.

ولد في شهر ربيع الأول سنة أربع وعشرين وستمائة.

قال الصفدي: تفقه في صغره على الشيخ عز الدين بن عبد السلام والشيخ تقي الدين بن الصلاح وبرع في المذهب وهو شاب وجلس للاشتغال وله بضع وعشرون سنة ودرس في سنة ثمان وأربعين وكتب في الفتاوى وقد أكمل الثلاثين.

ولما قدم النووي من بلده أحضره ليشغل عليه فحمل همه وبعث به إلى مدرس الرواحية ليصح له بها بيت ويرتفق بمعلومها وكانت الفتاوى تأتيه من الأقطار وإذا سافر لزبارة القدس يتراعى أهل البر على ضيافته وكان أكبر من الشيخ محيي الدين النووي بسبع سنين وهو أفتح نفساً وأذكى وأقوى مناظرة من الشيخ محيي الدين بكثير وقيل إنه كان يقول: أيش قال النووي في منزلته! يعني عن الروضة قال: وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يسميه " الدويك " لحسن بحثه.

انتهى كلام الصفدي باختصار.

ومن شعره ما كتبه لزين الدين عبد الملك بن العجمي ملغراً في اسم بيدرا: البسيط

يا سيدًا ملأ الآفاق قاطبة ** بكل فن من الألغاز مبتكر

ما اسم مسماه بدر وهو مشتمل ** عليه في اللفظ إن حققت في النظر

وإن تكن مسقطاً ثانيه مقتصرًا ** عليه في الحذف أضحى واحد البدر

وله أيضًا دو بيت.

ما أطيب ما كنت من الوجد لقيت إذ أصبح بالحبيب صبًا وأبيت واليوم صحا قلبي من
سكرته ما أعرف في الغرام من أين أتيت الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال:
وفيها توفي مسند العالم فخر الدين علي بن البخاري المقدسي في ربيع الآخر وله خمس
وتسعون سنة.

والمعمر شهاب الدين غازي بن أبي الفضل الحلوي في صفر وفخر الدين عمر بن يحيى
الكرخي في شهر ربيع الآخر وله إحدى وتسعون سنة.

والعلامة تاج الدين عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزاري الشافعي في جمادى الآخرة
وله ست وستون سنة.

والشيخ العفيف التلمساني الشاعر سليمان بن علي في رجب وله ثمانون سنة.

والمقرئ شهاب الدين محمد بن عبد الخالق بن مزهر في رجب.

والقاضي شمس الدين عبد الواسع بن عبد الكافي الأبهري في شوال.

والمسند نجم الدين يوسف بن يعقوب بن محمد بن المجاور في ذي القعدة.

والمسند شمس الدين محمد بن عبد المؤمن بن أبي الفتح الصالحي في ذي الحجة وهو
آخر من سمع من الكندي والإمام شمس الدين أحمد بن عبد الله بن الزبير الخابوري
خطيب حلب في المحرم.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وثلاث أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وسبع أصابع.

السنة الثانية من سلطنة الملك الأشرف خليل وهي سنة إحدى وتسعين وستمائة.

فيها في يوم الجمعة رابع عشرين صفر ظهر بقلعة الجبل حريق عظيم في بعض خزائن
الخاص وأتلف شيئًا عظيمًا من الذخائر والنقائس والكتب وغيرها.

وفيها توفي صاحب تاج الدين أحمد ابن شرف الدين سعيد ابن شمس الدين محمد بن
الأثير الحلبي الكاتب المنشئ.

وأولاد ابن الأثير هؤلاء غير بني الأثير الموصليين.

وكان تاج الدين هذا بارعًا فاضلاً معظماً في الدول.

باشق الإنشاء بدمشق ثم بمصر للملك الظاهر بيبرس ثم للملك المنصور قلاوون وكان له نظم ونثر ولكلامه رونق وطلاوة.

ومن عجيب ما اتفق أن الأمير عز الدين أيدمر السناني النجيبى الدوادر أنشد تاج الدين المذكور عند قدومه إلى القاهرة في الأيام الظاهرية أول اجتماعه به ولم يكن يعلم اسمه ولا اسم أبيه قول الشاعر: البسيط كانت مساءلة الركبان تخبرني عن أحمد بن سعيد أحسن الخبر حتى التقينا فلا والله ما سمعت أذني بأحسن مما قد رأى بصري فقال له تاج الدين: يا مولانا أتعرف أحمد بن سعيد فقال: لا فقال: المملوك أحمد بن سعيد.

ولم يزل تاج الدين هذا يترقى إلى أن ولي كتابة السر بمصر بعد موت فتح الدين محمد بن عبد الظاهر الآتي ذكره.

ولما ولي كتابة السر سافر مع السلطان إلى الديار المصرية فأدركه أجله فمات بغزة ودفن هناك وولي بعده كتابة السر ابنه عماد الدين إسماعيل مدة إلى أن عزل بشرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمري.

وكان تاج الدين فاضلاً نبيلًا وله يد في النظم والنثر.

ومن شعره القصيدة التي أولها: الطويل أتتني أياديك التي لو تصورت محاسنها كانت من الأنجم الزهر وفيها توفي القاضي فتح الدين محمد ابن القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر الجذامي الروحي المصري المعروف بابن عبد الظاهر صاحب ديوان الإنشاء ومؤتمن المملكة بالديار المصرية.

مولده بالقاهرة في سنة ثمان وثلاثين وستمائة وسمع الحديث وتفقه ومهر في الإنشاء وساد في الدولة المنصورية قلاوون برأيه وعقله وحسن سياسته وتقدم على والده فكان والده من جملة الجماعة الذين يصرفهم أمره ونهيه وقد تقدم ذكره في ترجمة الملك المنصور قلاوون والتعريف بحاله.

ومن شعر فتح الدين المذكور لما توجه إلى دمشق في صحبة السلطان وحصل له توعك فكتب إلى والده يقول: الكامل إن شئت تبصرني وتبصر حالتي قابل إذا هب النسيم قبولاً تلقاه مثلي رقة ونحافة ولأجل قلبك لا أقول عليلاً فهو الرسول إليك مني ليتني كنت اتخذت مع الرسول سبيلاً وله: الخفيف ذو قوام يجور منه اعتدال كم طعين به من العشاق سلب القصب لينها فهي غيظاً واقفات تشكوه بالأوراق قلت: وأجاد شمس الدين محمد بن العفيف في هذا المعنى حيث قال: سلب الأغصان ليئاً فهي بالأوراق تشكو الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي سيف الدين عبد الرحمن بن محفوظ الرسعني في المحرم.

وخطيب دمشق زين الدين عمر بن مكى الوكيل في ربيع الأول.

والمقرئ رضي الدين جعفر بن القاسم المعروف بابن دبوqa الربيعي في رجب.

والعدل علاء الدين علي بن أبي بكر بن أبي الفتح بن محفوظ بن الحسن بن صصرى الضرير في شعبان.

والموقعان: سعد الدين سعد الله بن مروان الفارقي وفتح الدين محمد بن محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وست عشرة إصبغًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا سواء.

السنة الثالثة من سلطنة الملك الأشرف خليل وهي سنة اثنتين وتسعين وستمائة.

فيها حصل ببلاد غزة والرملة وقاقون والكرك زلزلة عظيمة وكان معظم تأثيرها بالكرك بحيث انهدم ثلاثة أبراج من قلعتها وبنيان كثير من دورها وأماكنها وكانت الزلزلة المذكورة في صفر.

وفيها كانت وفاة الأمير الكبير شمس الدين سنقر بن عبد الله العلاني ثم الصالحي النجمي المعروف بالأشقر كان من كبار الأمراء ممن تملك الشام في أوائل سلطنة الملك المنصور قلاوون ودعا لنفسه وتلقب " بالملك الكامل " وخطب له على منابر الشام وضرب الدرهم والدينار باسمه وقد أوضحنا من أمره نبذة كبيرة في عدة مواضع من ترجمة الملك المنصور قلاوون وغيره.

ووقع له مع الملك المنصور أمور أسفرت بعد سنين على أنه دخل تحت طاعته وصار من جملة أكابر أمراءه.

واستمر سنقر على ذلك إلى أن مات الملك المنصور قلاوون وملك بعده ابنه الملك الأشرف خليل صاحب الترجمة قبض عليه في هذه السنة وخنقه وخنق معه جماعة من الأمراء لأمر اقتضاه رأيه.

والأمراء الذين قتلوا معه مثل: الأمير ركن الدين طقصور الناصري وجرمك الناصري ولبان الهاروني وكان معهم الأمير حسام الدين لاجين المنصوري الذي تسلطن بعد ذلك فوضع السلطان الوتر في رقبتة لخنقه فانقطع الوتر فقال لاجين: يا خوند أيش ذنبي! ما لي ذنب إلا أن طقصور حموي وأنا أطلق بنته فرقوا له خشداشيته لأمر سبق في علم الله وقبلوا الأرض وسألوا السلطان فيه وضمنه خشداشه الأمير بدر الدين بيدرا نائب السلطنة فأطلقه السلطان وأعادته إلى رتبته وأخذ سنقر الأشقر هذا ودفن بالقرافة.

وكان سنقر المذكور أميرًا شجاعًا مقدامًا كريمًا حسن السياسة مهابًا جليلاً معظمًا في الدول وخطب بالسلطنة سنين عديدة إلى أن ضعف أمره ونزل من قلعة صهيون بالأمان وقدم على الملك المنصور قلاوون فأكرمه قلاوون ودام على ذلك إلى أن مات.

وكان سنقر شجاعًا أشقر عبل البدن جهوري الصوت مليح الشكل.

رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الشيخ الصالح القدوة المعتقد شيخ الشام أبو إسحاق إبراهيم ابن الشيخ السيد العارف أبي محمد عبد الله الأرموي بزاولته بجبل قاسيون بعد الظهر وكانت جنازته مشهودة رحمه الله.

وفيها توفي صاحب محيي الدين عبد الله بن رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر السعدي الموقع كاتب الإنشاء بالديار المصرية.

وقد تقدم ذكر ولده القاضي فتح الدين في السنة الماضية.

كان محيي الدين هذا من سادات.

الكتاب ورؤسائهم وفضلائهم.

ومولده في سنة عشرين وستمئة بالقااهرة ومات يوم الأربعاء ثالث شهر رجب ودفن بالقرافة بترتبه التي أنشأها.

وهو صاحب النظم الرائق والنثر الفائق.

ومن شعره قوله: يا قاتلي بجفون قتيلها ليس يقبر إن صبروا عنك قلبي فهو القتل
المصبر وله وأجاد إلى الغاية: الخفيف نسب الناس للحمامة حزناً وأراها في الشجو
ليست هنالك وله مضمناً: الطويل لقد قال كعب في النبي قصيدة وقلنا عسى في مدحه
نتشارك فإن شملتنا بالجوائز رحمة كرحمة كعب فهو كعب مبارك وله: الخفيف سلفتنا
على العقول السلافه فتقاضت ديونها بلطافه ضيفتنا بالنشر والبشر واليس - - ر ألا هكذا
تكون الضيافه وقد سقنا من ترجمته في تاريخنا " المنهل الصافي " عدة آخر غير هؤلاء
المقطعات.

وفيها توفي الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الحلبي الأمير الكبير أحد الموصوفين
بالشجاعة والإقدام وقد شهد عدة حروب وله مواقف مشهورة مع العدو.

وكان أبيض الرأس واللحية من أبناء الثمانين وكان ولي نيابة دمشق في آخر سنة ثمان
وخمسين وستمئة.

ولما تسلطن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس لم يبايعه سنجر هذا ودعا لنفسه وحلف
الأمراء وتسلطن بدمشق ولقب " بالملك المجاهد " فلم يتم له ذلك حسب ما تقدم ذكره
في أول ترجمة الملك الظاهر بيبرس وقبض الظاهر عليه وحبسه مدة سنين إلى أن
مات.

وتسلطن بعده ولده الملك السعيد فأفرج عنه وأمره فدام على ذلك إلى أن تسلطن
الملك المنصور قلاوون ولما خرج عليه الأمير سنقر الأشقر المقدم ذكره وتسلطن
بدمشق ندب المنصور لحربه علم الدين سنجر هذا وأضاف إليه العساكر المصرية فخرج
إليه وقاتله وكسره وأخرجه من دمشق ثم عاد إلى الديار المصرية فأنعم عليه المنصور
قلاوون بأشياء كثيرة ثم خانه وقبض عليه وحبسه إلى أن مات.

فلما تسلطن ولده الملك الأشرف خليل أفرج عنه وأكرمه ورفع منزلته.

وكان سبب مسك قلاوون له أنه لما كسر سنقر الأشقر عظم في أعين الناس ولهج بعض
الناس بتسميته " بالملك المجاهد " كما كان تلقب أولاً لما ادعى السلطنة فبادره قلاوون
وقبض عليه.

وكان سنجر هذا من بقايا الأمراء الصالحة النجمية رحمه الله تعالى.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الشيخ الزاهد إبراهيم ابن
العارف الشيخ عبد الله الأرموي في المحرم وكمال الدين أحمد بن محمد النصيبي الحلبي
في المحرم.

والمقرئ جمال الدين إبراهيم بن داود الفاضلي في أول جمادى الأولى والإمام القدوة تقي الدين إبراهيم بن علي بن الواسطي الحنبلي في جمادى الآخرة وله تسعون سنة.

والسيف علي ابن الرضي عبد الرحمن المقدسي في شوال.

والمحدث التقي عبيد بن محمد بن عباس الإسعدي.

وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن ترجم المصري راوي الترمذي.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وعشر أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا واثنًا عشرة إصبعًا.

انتهت ترجمة الملك الأشرف خليل.

سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون الأولى على مصر

هو السلطان الملك الناصر أبو الفتوح ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي النجمي الألفي سلطان الديار المصرية وابن سلطانها مولده بالقاهرة في سنة أربع وثمانين وستمئة بقلعة الجبل ووالده الملك المنصور قلاوون يحاصر حصن المرقب وجلس على تخت الملك بعد قتل أخيه الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون في يوم الاثنين رابع عشر المحرم وقيل يوم الثلاثاء خامس عشر المحرم من سنة ثلاث وتسعين وستمئة لأن الملك الأشرف قتل بتروجة في يوم السبت ثاني عشر المحرم وقتل قاتله الأمير بدر الدين بيدرا في يوم الأحد ثالث عشر المحرم ثم اتفقوا على سلطنة الملك الناصر محمد هذا عوضًا عن أخيه فتم له ذلك.

فتكون سلطنته في أحد اليومين المذكورين تخمينًا لما وقع في ذلك من الاختلاف بين المؤرخين.

انتهى.

والملك الناصر هذا هو السلطان التاسع من ملوك الترك بالديار المصرية ولما استقر في السلطنة رتبوا الأمير زين الدين كتبغا المنصوري نائب السلطنة بالديار المصرية عوضًا عن بيدرا والأمير علم الدين سنجر الشجاعي وزيرًا ومدبرًا للمملكة وأتابك العساكر ثم قبضوا على جماعة من قتلة الملك الأشرف خليل حسب ما تقدم ذكره وتم ذلك ودام إلى العشرين من صفر.

فبلغ الأمير زين الدين كتبغا أن الأمير علم الدين سنجر الشجاعي يريد الوثوب عليه وقبضه وقتله.

وكان الذي أخبره بذلك سيف الدين قنق التتاري وأعلمه بما في باطن الشجاعي والسبب في اطلاعه على ما في باطن الشجاعي أن هذا قنق هاجر من بلاد التتار في زمن الملك الظاهر بيبرس وأقام بمصر وأقطع في الحلقة فرزقه الله تعالى اثني عشر ولدًا كلهم ذكور منهم: ستة أولاد في خدمة الملك الأشرف وخمسة في خدمة الشجاعي وواحد منهم صغير وجميع أولاده شباب ملاح من أجمل الناس صورة.

وكان لفتح هذا منزلة عظيمة عند الشجاعي وكلمته مسموعة وشفاعته مقبولة وله طلاع على أمور الدولة بسبب أولاده فعلم بما دبره الشجاعي فحملته الجنسية حتى أعلم الأمير كتبغا على ما في باطن الشجاعي فاحترز كتبغا على نفسه وأعلم الأمراء بالخبر وكان الأمراء كارهين للشجاعي.

فلما كان يوم الخميس ثاني عشرين صفر ركب الأمير كتبغا إلى سوق الخيل فنزل إليه من القلعة أمير يقال له علم الدين سنجر البندقاري وقال له من قبل الشجاعي: أين حسام الدين لاجين المنصوري أحضره الساعة فقال له كتبغا: ما هو عندي وكان لاجين من يوم قتل الأشرف قد اختفى والمماليك الأشرفية قد أعياهم أمره من كثرة التفتيش عليه فقال له البندقاري: بلى لاجين عندك ثم مد يده إلى سيفه ليضربه به ف جذب سيف الدين بلبان الأزرق مملوك كتبغا بسيفه وعلا به البندقاري من ورائه وضربه ضربة حل بها كتفه ويده ثم إنهم تكاثروا عليه وأنزلوه عن فرسه وذبحوه وهم مماليك كتبغا وذلك في وسط سوق الخيل ومال غالب العسكر من الأمراء والمقدمين وأجناد الحلقة والتتار والأكراد إلى كتبغا وانضموا عليه ومالت البرجية وبعض الخاصكية إلى سنجر الشجاعي لأن الشجاعي كان أنفق فيهم في الباطن في يوم واحد ثمانين ألف دينار واتفق معهم أيضًا أن كل من جاء برأس أمير كان له إقطاعه وكان الاتفاق معهم أنه في يوم الخميس وقت الموكب لما يطلع الأمير كتبغا إلى القلعة ويمدوا السماط يمسك هو ومن اتفق معه من الأمراء يقبضون عليهم.

فأسرع البندقاري ونزل إلى سوق الخيل وفعل ما ذكرناه.

ولما وقع ذلك تحقق الأمراء صحة ما نقل إليهم الأمير زين الدين كتبغا عن الشجاعي فاجتمع في الحال الأمراء عند كتبغا بسوق الخيل وركبت التتار جميعهم وجماعة من الشهر زورية والأكراد وجماعة من الحلقة كراهية منهم في الشجاعي وخرج الشجاعي بمن معه إلى باب القلعة فإن إقامته كانت بالقلعة وأمر بضرب الكوسات فضربت وبقي يطلب أن يطلع إليه أحد من الأمراء والمقدمين فلم يجبه أحد وكان قد أخرج صحبته الذهب في الصرر وبقي كل من جاء إليه يعطيه صرة فلم يجيء إليه إلا أناس قليلون ما لهم مرتبة.

وشرع كتبغا ومن معه في حصار القلعة وقطعوا عنها الماء وبقوا ذلك اليوم محاصرين.

فلما كان ثاني يوم نزلت البرجية من القلعة على حمية وتلاقوا مع كتبغا وعساكره وصدموه صدمة كسروه فيها كسرة شنيعة وهزموه إلى بئر البيضاء وتوجه كتبغا إلى جهة بلبيس فلما سمعوا باقي الأمراء بذلك ركب الأمير بدر الدين بيسري المنصوري والأمير بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح بقية العساكر المصرية وتوجهت الجميع إلى نصره الأمير كتبغا وأصحابه وقتلوا المماليك البرجية حتى كسروهم وردوهم إلى أن أدخلوهم إلى قلعة الجبل ثم جدوا في حصار القلعة ومن فيها وعاد الأمير كتبغا وقد قوي عضده بخشداشيتة والأمراء ودام الحصار على القلعة إلى أن طلعت الست خوند والدة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى أعلى السور وكلمتهم بأن قالت لهم: أيش هو غرضكم حتى إننا نفعله لكم فقالوا: ما لنا غرض إلا مسك الشجاعي وإخماد الفتنة ونحن لو بقيت بنت عمياء من بنات أستاذنا الملك المنصور قلاوون كنا مماليكها لا سيما وولده الناصر محمد حاضر وفيه كفاية فلما علمت ذلك رجعت واتفقت مع الأمير حسام الدين لاجين أستاذ الدار وغلقوا باب القلعة من القلعة وهي التي عليها المعتمد وبقي الشجاعي بداره بالقلعة محصورًا.

فلما رآه أصحابه أنه في أنحس حال شرعوا في النزول إلى عند الأمير كتبغا فبقي جمع الشجاعي يقل وجمع كتبغا يكثر إلى يوم السبت رابع عشرين صفر ضجر الشجاعي

وطلب الأمان فلم يوافقوه الأمراء وطلع وقت صلاة الظهر بعض الأمراء وجماعة من الخاصكية وفيهم أقوش المنصوري إلى عند الشجاعي يطلبونه إلى عند السلطان وإلى والدته في صورة أنهم يريدون يستشيرونه فيما يعملون فمشى معهم قليلاً وتكاثروا عليه المماليك وجاء أقوش من ورائه وضربه بالسيف ضربة قطع بها يده ثم بادره بضربة ثانية أبرى بها رأسه عن جسده وأخذوا رأسه في الحال ورفعوه على سور القلعة ثم عادوا ونزلوا به إلى كتبغا ودقوا البشائر وفتحوا باب القلعة وأخذوا رأس الشجاعي وجعلوه على رمح وأعطوه للمشاعلية فحبوا عليه مصر والقاهرة فحصل المشاعلية مالا كثيرا لبغض الناس قاطبة في الشجاعي فقيل: إنهم كانوا يأخذون الرأس من المشاعلية ويدخلونه بيتهم فتضربه النسوة بالمداسات لما في نفوسهم منه وسبب ذلك ما كان اشتمل عليه من الظلم ومصادراته للعالم وتنوعه في الظلم والعسف حسب ما يأتي ذكره في الوفيات بأوسع من هذا وأغلقت القاهرة خمسة أيام إلى أن طلع كتبغا إلى القلعة في يوم الثلاثاء سابع عشرين صفر ودقت البشائر وفتحت الأبواب وجددت الأيمان والعهود للملك الناصر محمد ولما تم ذلك قبض كتبغا على جماعة من الخاصكية والبرجية المتفقيين مع الشجاعي ثم أفرج عن جماعة من الأمراء كان قبض عليهم في المخيم وهم: الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير الذي تسلطن بعد ذلك على ما يأتي ذكره والأمير سيف الدين برلغي والأمير القمامي وسيف الدين قبجق المنصوري والأمير بدر الدين عبد الله وحامل الجتر والأمير سيف الدين بوري السلاح دار والأمير زين الدين عمر والأمير سيف الدين قرمشي والأمير علاء الدين مغلطاي المسعودي وغيرهم وأخذ أمير زين الدين كتبغا وأعطى في الملك وانفرد بتدبير الأمر ومشى مع الملك الناصر محمد مشى المملوك مع أستاذه.

ثم بعث بتقليد نائب الشام على عادته وهو الأمير أيك الحموي.

ثم بعد ذلك نزل السلطان الملك الناصر محمد من قلعة الجبل في موكب هائل بأبهة السلطنة وتوجه إلى ظاهر القاهرة ثم عاد وشق القاهرة ودخل من باب النصر وخرج من باب زويلة عائداً إلى القلعة والأمراء مشاة بين يديه حتى الأمير كتبغا وكان ذلك في يوم الأحد رابع عشرين شهر رجب ولما كان سابع عشرين شهر رمضان ظهر الأمير حسام الدين لاجين المنصوري من اختفائه واجتمع بالأمير كتبغا خفية فتكلم كتبغا في أمره مع الأمراء فاتفقوا على إظهار أمره لما رأوا في ذلك من إصلاح الحال فطيب كتبغا خاطر الأمير حسام الدين لاجين ووعد أنه يتكلم في أمره مع السلطان والمماليك الأشرفية.

ولا زال كتبغا بالسلطان والحاشية حتى رضاهم عليه وطيب قلوبهم إلى أن كان يوم عيد الفطر ظهر حسام الدين لاجين من دار كتبغا وحضر السماط وقبل الأرض بين يدي السلطان الملك الناصر محمد فخلع عليه السلطان وطيب قلبه ولم يعاتبه بما فعل مع أخيه الملك الأشرف خليل مراعاة لخاطر كتبغا ثم خلع عليه الأمير كتبغا أيضاً وحملت إليه الهدايا والتحف من الأمراء وغيرهم وكل ذلك لأجل خاطر كتبغا.

اصطلحت أيضاً معه المماليك الأشرفية على ما في نفوسهم منه من قتل أستاذهم بأمر كتبغا لهم وإلحاحه عليهم في ذلك حتى قبلوا كلامه.

وكانت مكافأة لاجين لكتبغا بعد هذا الإحسان كله بأن دبر عليه حتى أخذ الملك منه وتسلطن عوضه على ما يأتي ذكره وبيانه إن شاء الله تعالى.

ثم خلع السلطان على صاحب تاج الدين محمد ابن محمد ابن صاحب فخر الدين محمد ابن صاحب بهاء الدين علي بن حنا باستقراره في الوزارة بالديار المصرية.

ثم استهلكت سنة أربع وتسعين وستمائة والخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد وسلطان مصر والشام الملك الناصر محمد بن قلاوون ومدبر مملكته الأمير كتبغا المنصوري.

ولما كان عاشر المحرم ثار جماعة من المماليك الأشرفية خليل في الليل بمصر والقاهرة وعملوا عملاً قبيحاً وفتحوا أسواق السلاح بالقاهرة بعد حريق باب السعادة وأخذوا خيل السلطان وخرقوا ناموس الملك وذلك كله بسبب ظهور الأمير حسام الدين لاجين وعدم قتله فإنه كان ممن يشرقتل أستاذهم الملك الأشرف خليل فحماه الأمير كتبغا ورعاه وأيضاً قد بلغهم خلع أخي أستاذهم الملك الناصر محمد بن قلاوون من السلطنة وسلطنة كتبغا فتزايدت وحشتهم وترادفت عليهم الأمور فاتفقوا ووثبوا فلم ينتج أمرهم.

فلما أصبح الصباح قبض عليهم الأمير كتبغا وقطع أيدي بعضهم وأرجلهم وكحل البعض وقطع السنة آخرين وصلب جماعة منهم على باب زويلة ثم فرق بقية المماليك على الأمراء والمقدمين وكانوا فوق الثلاثمائة نفر وهرب الباقيون فطلب الأمير زين الدين كتبغا الخليفة والقضاة والأمراء وتكلم معهم في عدم أهلية الملك الناصر محمد للسلطنة لصغر سنه وأن الأمور لا بد لها من رجل كامل تخافه الجند والرعية وتقف عند أوامره ونواهيها.

كل ذلك كان بتدبير لاجين فإنه لما خرج من إخفائه علم أن المماليك الأشرفية لا بد لهم من أخذ ثار أستاذهم منه وأيضاً أنه علم أن الملك الناصر محمد متى ترعرع وكبر لا يبقى له لكونه كان ممن قتل أخاه الملك الأشرف خليلًا فلما تحقق ذلك أخذ يحسن للأمير كتبغا السلطنة وخلع ابن أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون وسلطنته وكتبغا يمتنع من ذلك فلا زال به لاجين حتى حذره وأخافه عاقبة ذلك وقال له: متى كبر الملك الناصر لا يبقى لك البتة ولا يبقى أحدًا ممن تعامل على قتل أخيه الملك الأشرف وأن هؤلاء الأشرفية ما دام الملك الناصر محمد في الملك شوكتهم قائمة والمصلحة خلعه وسلطنتك.

فمال كتبغا إلى كلامه غير أنه أهمل الأمر وأخذ في تدبير ذلك على مهل.

فلما وقع من الأشرفية ما وقع وثب وطلب الخليفة والقضاة حسب ما ذكرناه ولما حضر الخليفة والقضاة اتفق رأي الأمراء والجند على خلع السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من الملك وسلطنة كتبغا هذا عوضه فوقع ذلك وخلع الملك الناصر محمد من السلطنة وتسلطن كتبغا وجلس على تخت الملك في يوم خلع الملك الناصر وهو يوم الخميس ثاني عشر المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة بعد واقعة المماليك الأشرفية بيومين وأدخل الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى الدور بالقلعة وأمره كتبغا ألا يركب ولا يظهر وكان عمره يوم خلع نحو العشر سنين.

وكانت مدة سلطنته في هذه المرة الأولى سنة واحدة إلا ثلاثة أيام أو أقل ويأتي بقية ترجمته في سلطنته الثانية والثالثة إن شاء الله تعالى.

السنة الأولى من سلطنة الملك الناصر محمد الأولى على أنه لم يكن له من السلطنة فيها إلا مجرد الاسم فقط وإنما كان الأمر أولاً للأمير علم الدين سنجر الشجاعي ثم للأمير كتبغا المنصوري وهي سنة ثلاث وتسعين وستمائة على أن الأشرف قتل في أوائلها في المحرم حسب ما تقدم ذكره.

فيها توفي صاحب فخر الدين أبو العباس إبراهيم بن لقمان بن أحمد بن محمد الشيباني الإسعدي ثم المصري رئيس الموقعين بالديار المصرية ثم الوزير بها.

ولي الوزارة مرتين وكان مشكور السيرة قليل الظلم كثير العدل والإحسان للرعية وفي أيام وزارته سعى في إبطال مظالم كثيرة وكان يتولى الوزارة بجامكية الإنشاء وعندما يعزله من الوزارة يصبح يأخذ غلامه الحرمدان خلفه ويروح يقعد في ديوان الإنشاء وكأنه ما تغير عليه شيء وكان أصله من المعدن من بلاد إسعرد وتدرج في الإنشاء بالصاحب بهاء الدين زهير حتى برع في الإنشاء وغيره.

قال الذهبي: رأيت شيخًا بعمامة صغيرة وقد حدث عن ابن رواج وكتب عنه البرزالي والطلبة انتهى.

وكان ابن لقمان المذكور فاضلاً ناظماً ناثرًا مترسلاً ومات بالقاهرة في جمادى الآخرة ودفن بالقرافة ومن شعره: الكامل كن كيف شئت فإنني بك مغرم راض بما فعل الهوى المتحكم ولئن كتمت عن الوشاة صابتي بك فالجوانح بالهوى تتكلم أشياق من أهوى وأعجب أنني أشياق من هو في الفؤاد مخيم يا من يصد عن المحب تدلاً وإذا بكى وجدًا غداً يتبسم أسكنتك القلب الذي أحرقته فحذار من نار به تتضرم وفيها قتل الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الشجاعى المنصورى كان من مماليك الملك المنصور قلاوون وترقى حتى ولي شد الدواوين ثم الوزارة بالديار المصرية في أوائل دولة الناصر وساءت سيرته وكثر ظلمه ثم ولي نيابة دمشق فتلف بأهلها وقل شره ودام بها سنين إلى أن عزل بالأمير عز الدين أيبك الحموي وقدم إلى القاهرة وكان مركبه يضاهاى موكب السلطان من التجمل ومع ظلمه كان له ميل لأهل العلم وتعظيم الإسلام وهو الذي كان مشد عمارة البيمارستان المنصورى بين القصرين فتممه في مدة يسيرة ونهض بهذا العمل العظيم وفرغ منه في أيام قليلة وكان يستعمل فيه الصنائع والفعول بالبندق حتى لا يفوته من هو بعيد عنه في أعلى سقالة كان ويقال إنه يوماً وقع بعض الفعول من أعلى السقالة بجنبه فمات فما اكرث سنجر هذا ولا تغير من مكانه وأمر بدفنه ثم عمل الوزارة أيضاً في أوائل دولة الناصر محمد بن قلاوون أكثر من شهر حسب ما تقدم ذكره وحدثه نفسه بما فوق الوزارة فكان في ذلك حتفه وقتله حسب ما ذكرناه في أول ترجمة الملك الناصر هذا وفرح أهل مصر بقتله فرحاً زائداً حتى إنه لما طافت المشاعلية برأسه على بيوت الكتاب القبط بلغت اللطمة على وجهه بالمداس نصفاً والبولة عليه درهماً وحصلوا المشاعلية جملاً من ذلك.

قلت: وهذا غلط فاحش من المشاعلية قاتلهم الله! لو كان من الظلم ما كان هو خير من الأقباط النصارى.

ولما كان على نيابة دمشق وسع ميدانها أيام الملك الأشرف فقال الأديب علاء الدين الوداعى في ذلك: الكامل علم الأمير بأن سلطان الورى يأتى دمشق ويطلق الأموال فلاجل ذا قد زاد في ميدانها لتكون أوسع للجواد مجالا قال الصلاح الصفدى: أخبرني من لفظه شهاب الدين بن فضل الله قال: أخبرني والدى عن قاضى القضاة نجم الدين ابن الشيخ شمس الدين شيخ الجبل قال: كنت ليلة نائماً فاستيقظت وكان من أنبهني وأنا أحفظ كأنما قد أنشدت ذلك: البسيط عند الشجاعى أنواع منوعة من العذاب فلا ترجمه بالله لم تغن عنه ذنوب قد تحملها من العباد ولا مال ولا جاه قال: ثم جاءنا الخبر بقتله بعد أيام قلائل فكانت قتلته في تلك الليلة التي أنشدت فيها الشعر.

انتهى.

قلت: وهذا من الغرائب.

وقد ذكرنا من أحوال سنجر هذا في تاريخنا المنهل الصافى في نبذة كبيرة كونه كتاب تراجم وليس للإطناى لهؤلاء هنا محل.

انتهى.

وفيهما توفي قتيلاً الملك كيختو ملك التتار قتله ابن أخيه بيدو.

قلت: وهنا نكتة غريبة لم يفطن إليها أحد من مؤرخي تلك الأيام وهي أن سلطان الديار المصرية الملك الأشرف خليل بن قلاوون قتله نائبه الأمير بيدرا وملك التتار كيختو هذا أيضاً قتله ابن أخيه بيدو وكلاهما في سنة واحدة وذاك في الشرق وهذا في الغرب.

انتهى.

وملك بعد كيختو بيدو المذكور الذي قتله.

قلت: وكذلك وقع للأشرف خليل فإن بيدراً ملك بعمره يوماً واحداً وتلقب بالملك الأوحده.

وعلى كل حال فإنهما تشابها أيضاً وكان بيدو الذي ولي أمر التتار يميل إلى دين النصرانية وقيل إنه تنصر لعنه الله ووقع له مع الملك غازان أمور يطول شرحها.

وفيهما قتل الوزير صاحب شمس الدين محمد بن عثمان بن أبي الرجاء التنوخي الدمشقي التاجر المعروف بابن السلعوس قال الشيخ صلاح الدين الصفدي: كان في شببته يسافر بالتجارة وكان أشقر سميئاً أبيض معتدل القامة فصيح العبارة حلو المنطق وافر الهيئة كامل الأدوات خليفاً للوزارة تام الخبرة زائد الإعجاب عظيم التيه وكان جاراً للصاحب تقي الدين البيه فصاحبه ورأى فيه الكفاءة فأخذ له حسبة دمشقى ثم توجه إلى مصر وتوكل للملك الأشرف خليل في دولة أبيه فجرى عليه نكبة من السلطان فشجع فيه مخدومه الأشرف خليل وأطلقه من الاعتقاد وحج فتملك الأشرف في غيبته وكان محباً له فكتب إليه بين الأسطر: يا شقير يا وجه الخير قدم السير.

فلما قدم وزره وكان إذا ركب تمشي الأمراء الكبار في خدمته انتهى.

قلت: وكان في أيام وزارته يقف الشجاعي المقدم ذكره في خدمته فلما قتل مخدومه الملك الأشرف وهو بالإسكندرية قدم القاهرة فطلب إلى القلعة فأنزله الشجاعي من القلعة ماشياً ثم سلمه من الغد إلى عدوه الأمير بهاء الدين قراقوش مشد الصحة قيل: إنه ضربه ألفاً ومائة مقرعة ثم تداوله المسعودي وغيره وأخذ منه أموالاً كثيرة ولا زال تحت العقوبة حتى مات في صفر.

ولما تولى الوزارة كتب إليه بعض أحبائه من الشام يحذره من الشجاعي: الوافر تنبه يا وزير الأرض واعلم بأنك قد وطئت على الأفاعي وكن بالله معتصماً فإنني أخاف عليك من نهش الشجاعي فبلغ الشجاعي فلما جرى ما جرى طلب أقاربه وأصحابه وصادرهم فقبل له عن الناظم فقال: لا أؤذيه فإنه نصحه في وما انتصح وقد أوضحنا أمره في المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي بأطول من هذا.

انتهى.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي المقرئ شمس الدين محمد بن عبد العزيز الدمياطي بدمشق في صفر وقاضي القضاة شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خليل الخويي.

والسلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون فتكوا به في المحرم.

ونائبه بيدرا قتل من الغد ووزيره صاحب شمس الدين محمد بن عثمان بن السلعوس هلك تحت العذاب.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعًا وسبع أصابع.

وثبت إلى سادس عشر توت.

سلطنة الملك العادل زين الدين كتبغا هو السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا بن عبد الله المنصوري التركي المغلي سلطان الديار المصرية جلس على تخت الملك بعد أن خلع ابن أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون في يوم الخميس ثاني عشر المحرم سنة أربع وتسعين وستمئة باتفاق الأمراء على سلطنته وهو السلطان العاشر من ملوك الترك بالديار المصرية وأصله من التتار من سبي وقعة حمص الأولى التي كانت في سنة تسع وخمسين وستمئة فأخذ الملك المنصور قلاوون وأدبه ثم أعتقه وجعله من جملة مماليكه ورقاة حتى صار من أكابر أمرائه واستمر على ذلك في الدولة الأشرفية خليل بن قلاوون إلى أن قتل وتسلطن أخوه الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ثلاث وتسعين وأقام الناصر في الملك إلى سنة أربع وتسعين ووقع الاتفاق على خلع وسلطنة كتبغا هذا فتسلطن وتلقب بالملك العادل وسنه يوم ذاك نحو الأربعين سنة وقيل خمسين سنة.

وقد تقدم سبب خلع الملك الناصر محمد وسلطنة كتبغا هذا في آخر ترجمه الملك الناصر محمد فلا حاجة في الإعادة وقال الشيخ شمس الدين بن الجزري قال: حكى لي الشيخ أبو الكرم النصراني الكاتب قال: لما فتح هولاء حلب بالسيف ودمشق بالأمان طلب هولاء نصير الدين الطوسي وكان في صحبته وقال له: اكتب أسماء مقدمي عسكري وأبصر أيهم يملك مصر ويقعد على تخت الملك بها حتى أقدمه قال: فحسب نصير الدين أسماء المقدمين فما ظهر له من الأسماء اسم من يملك الديار المصرية غير اسم كتبغا.

وكان كتبغا صهر هولاء فقدمه على العساكر فتوجه بهم كتبغا فانكسر على عين جالوت فتعجب هولاء من هذه الواقعة وظن أن نصير الدين قد غلط في حسابه.

وكان كتبغا هذا من جملة من كان في عسكر هولاء من التتار ممن لا يؤبه إليه من الأصاغر وكسبه قلاوون في الواقعة فكان بين المدة نحو من خمس وثلاثين سنة حتى قدر الله تعالى بما قدر من سلطنة كتبغا هذا.

انتهى.

ولما تم أمر كتبغا في الملك وتسلطن مد سماطًا عظيمًا وأحضر جميع الأمراء والمقدمين والعسكر وأكلوا السماط ثم تقدموا وقبلوا الأرض ثم قبلوا يده وهنأوه بالسلطنة وخلع على الأمير حسام الدين لاجين وولاه نيابة السلطنة بالديار المصرية وولى عز الدين الأفرم أمير جاندار والأمير سيف الدين بهادر حاجب الحجاب ثم خلع على جميع الأمراء والمقدمين ومن له عادة بلبس الخلع وفي يوم الخميس تاسع عشر المحرم ركب جميع الأمراء والمقدمين وجميع من خلع عليه وأتوا إلى سوق الخيل وترجلوا وقبلوا الأرض ثم كتب بسلطنة الملك العادل إلى البلاد الشامية وغيرها.

وزينت مصر والقاهرة لسلطنته.

ولما كان يوم الأربعاء مستهل شهر ربيع الأول ركب السلطان الملك العادل كتبغا بأبهة السلطنة وشعار الملك من قلعة الجبل ونزل وسار إلى ظاهر القاهرة نحو قبة النصر

وعاد من باب النصر وشق القاهرة حتى خرج من باب زويلة عائداً إلى قلعة الجبل كما جرت العادة بركوب الملوك.

ولم تطل مدة سلطنته حتى وقع الغلاء والفناء بالديار المصرية وأعمالها ثم انتشر ذلك بالبلاد الشامية جميعها في شوال من هذه السنة وارتفع سعر القمح حتى بيع كل إردب بمائة وعشرين درهماً بعد أن كان بخمسة وعشرين درهماً الإردب وهذا في هذه السنة وأما في السنة الآتية التي هي سنة خمس وتسعين وستمئة فوصل سعر القمح إلى مائة وستين درهماً الإردب وأما الموت فإنه فشا بالقاهرة وكثر فأحصي من مات بها وثبت اسمه في ديوان المواريث في ذي الحجة فبلغوا سبعة عشر ألفاً وخمسمائة وهذا سوى من لم يرد اسمه في ديوان المواريث من الغرياء والفقراء ومن لم يطلق من الديوان ورحل جماعة كثيرة من أهل مصر عنها إلى الأقطار من عظم الغلاء وتخلخل أمر الديار المصرية.

وفي هذه السنة حج الأمير أنس ابن الملك العادل كتبغا صاحب الترجمة وحجت معه والدته وأكثر حرم السلطان وحج بسببهم خلق كثير من نساء الأمراء بتجمل زائد وحصل بهم رفق كبير لأهل مكة والمدينة والمجاورين وشكرت سيرة ولد السلطان أنس المذكور وبذل شيئاً كثيراً لصاحب مكة.

ثم استهلقت سنة خمس وتسعين وستمئة وخليفة المسلمين الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد الهاشمي البغدادي العباسي وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والشمالية والفراتية والساحلية الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري.

ووزيره صاحب فخر الدين عمر ابن الشيخ مجد الدين بن الخليلي.

ونائب السلطنة بالديار المصرية الأمير حسام الدين لاجين المنصوري.

وصاحب مكة شرفها الله تعالى الشريف نجم الدين أبو نمي محمد الحسيني المكي وصاحب المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام عز الدين جماز بن شيحة الحسيني.

وصاحب اليمن ممهد الدين عمر ابن الملك المظفر شمس الدين يوسف ابن الملك المنصور عمر ابن علي بن رسول.

وصاحب حماة بالبلاد الشامية الملك المظفر تقي الدين محمود ابن الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقي الدين محمود ابن الملك المنصور محمد ابن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب.

وصاحب ماردن الملك السعيد شمس الدين داود ابن الملك المظفر فخر الدين ألبى أرسلان ابن الملك السعيد شمس الدين قرا أرسلان بن أرتق الأرتقي وصاحب الروم السلطان غياث الدين مسعود ابن السلطان عز الدين كيكافوس ابن السلطان غياث الدين كيخسرو بن سلجوق السلجوقي.

وملك التتار غازان ويقال قازان وكلاهما يصح معناه واسمه الحقيقي محمود بن أرغون بن أبغا بن هولوكو وهو مظهر الإسلام وشعائر الإيمان.

ونائب دمشق الأمير عز الدين أيبك الحموي المنصوري وكان الموافق لأول هذه السنة عاشر بابه أحد شهور القبط المسمى بالرومي تشرين الأول.

وقال الشيخ قطب الدين اليونيني: وفي العشر الأول من المحرم حكى جماعة كثيرة من أهل دمشق واستفاض ذلك في دمشق وكثر الحديث فيه عن قاضي جبة أعسال وهي قرية من قرى دمشق أنه تكلم ثور بقرية من قرى جبة أعسال وملخصها: أن الثور خرج مع صبي يشرب ماء من هناك فلما فرغ حمد الله تعالى فتعجب صبي وحكى لسيده مالك الثور فشك في قوله وحضر في اليوم الثاني بنفسه فلما شرب الثور حمد الله تعالى ثم في اليوم الثالث حضر جماعة وسمعوه يحمد الله تعالى فكلمه بعضهم فقال الثور: " إن الله كان كتب على الأمة سبع سنين جدبًا ولكن بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم أبدلها بالخصب وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بتبليغ ذلك وقال الثور: يا رسول الله ما علامة صدقي عندهم قال: أن تموت عقب الإخبار قال الحاكي لذلك: ثم تقدم الثور على مكان عال فسقط ميتًا فأخذ الناس من شعره للتبرك وكفن ودفن انتهى.

قلت: وهذه الحكاية غريبة الوقوع والحاكي لها ثقة حجة وقد قال: إنه استفاض ذلك بدمشق انتهى.

وأما أمر الديار المصرية فإنه عظم أمر الغلاء بها حتى أكل بعضهم الميتات والكلاب ومات خلق كثير بالجوع.

والحكايات في ذلك كثيرة وانتشر الغلاء شرقًا وغربًا.

وبينما السلطان الملك العادل كتبغا فيما هو فيه من أمر الغلاء ورد عليه الخبر في صفر بأنه قد وصل إلى الرحبة عسكر كثير نحو عشرة آلاف بيت من عسكر بيدو ملك التتار طالبين الدخول في الإسلام خوفًا من السلطان غازان ومقدمهم أمير اسمه طرغاي وهو زوج بنت هولاکو فرسم الملك العادل إلى الأمير علم الدين سنجر الدواداري بأن يسافر من دمشق إلى الرحبة حتى يتلقاهم فخرج إليهم ثم خرج بعده الأمير سنقر الأعسر شاد دواوين دمشق ثم ندب الملك العادل أيضًا الأمير قراسنقر المنصوري بالخروج من القاهرة فخرج حتى وصل إلى دمشق لتلقي المذكورين ورسم له أن يحضر معه في عودته إلى مصر جماعة من أعيانهم فوصل قراسنقر إلى دمشق وخرج لتلقيهم ثم عاد إلى دمشق في يوم الاثنين ثالث عشرين شهر ربيع الأول ومعه من أعيانهم مائة فارس وثلاثة عشر فارسًا وفرح الناس بهم وبإسلامهم وأنزلوهم بالقصر الأبلق من الميدان.

وأما الأمير علم الدين سنجر لدواداري فبقي مع الباقيين وهم فوق عشرة آلاف ما بين رجل كبير وكهل وصغير وامرأة ومعهم ماشية كثيرة ورخت عظيم وأقام قراسنقر بهم أيامًا ثم سافر بهم إلى جهة الديار المصرية وقدموا القاهرة في آخر شهر ربيع الآخر فأكرمهم السلطان الملك العادل كتبغا ورتب لهم الرواتب ثم بدا للملك العادل كتبغا السفر إلى البلاد الشامية لأمر مقدر اقتضاه رأيه وأخذ في تجهيز عساكره وتهيأ للسفر وخرج بجميع عساكره وأمرائه وخاصكيته في يوم السبت سابع عشر شوال وسار حتى دخل دمشق في يوم السبت خامس عشر ذي القعدة وخامس ساعة من النهار المذكور ودخل دمشق والأمير بدر الدين بيسري حامل الجتر على رأسه ونائب سلطنته الأمير حسام الدين لاجين المنصوري ماشيًا بين يديه ووزيره الصاحب فخر الدين بن الخليلي واحتفل أهل دمشق لقدمه وزينت المدينة وفرح الناس به.

ولما دخل الملك العادل إلى دمشق وأقام بها أيامًا عزل عنها نائبها الأمير عز الدين أيبك الحموي وولى عوضه في نيابة دمشق مملوكه الأمير سيف الدين أغزلو العادلي وعمره نحو من اثنتين وثلاثين سنة وأنعم على الأمير عز الدين أيبك الحموي بخبز أغزلو بمصر وخرجا من عند السلطان وعليهما الخلع هذا متول وهذا منفصل.

ثم سافر السلطان الملك العادل من دمشق في ثاني عشر ذي الحجة بأكثر العسكر المصري وبقية جيش الشام إلى جهة قرية جوسية وهي ضيعة اشتراها له صاحب شهاب الدين الحنفي فتوجه إليها ثم سافر منها في تاسع عشر ذي الحجة إلى حمص ونزل عند البحرة بالمرج بعدما أقام في البرية أيامًا لأجل الصيد وحضر إليه نواب البلاد الحلبية جميعها ثم عاد إلى دمشق ودخلها بمن معه من العساكر ضحى نهار الأربعاء ثاني المحرم من سنة ست وتسعين وستمائة.

وأقام بدمشق إلى يوم الجمعة رابع المحرم ركب السلطان الملك العادل المذكور بخواصه وأمرائه إلى الجامع لصلاة الجمعة فحضر وصلى بالمقصورة وأخذ من الناس قصصهم حتى إنه رأى شخصًا بيده قصة فتقدم إليه بنفسه خطوات وأخذها منه ولما جلس الملك العادل للصلاة بالمقصورة جلس عن يمينه الملك المظفر تقي الدين محمود صاحب حماة وتحتة بدر الدين أمير سلاح ثم من تحتة نائب دمشق أغزولو العادلي وعن يسار السلطان الشيخ حسن بن الحريري وأخواه ثم نائب السلطنة لاجين المنصوري ثم تحتة نائب دمشق الأمير عز الدين أيبك الحموي أعني الذي عزل عن نيابة دمشق ثم من تحتة الأمير بدر الدين بيسري ثم قراسنقر المنصوري ثم الحاج بهادر حاجب الحجاب ثم الأمراء على مراتبهم ميمنة وميسرة.

فلما انقضت الصلاة خرج من الجامع والأمراء بين يديه والناس يبتهلون بالدعاء له وأحبه أهل دمشق وشكرت سيرته وحمدت طريقته.

ثم في يوم الخميس سابع عشر المحرم أمسك السلطان الأمير أسندمر وقيده وحبسه بالقلعة وفي يوم الاثنين حادي عشرين المحرم عزل السلطان الأمير شمس الدين سنقر الأعسر عن شد دواوين دمشق ورسم له بالسفر صحبة السلطان إلى مصر وولى عوضه فتح الدين عمر بن محمد بن صبرة.

ولما كان بكرة يوم الاثنين المذكور خرج السلطان الملك العادل من دمشق بعساكره وجيوشه نحو الديار المصرية وسار حتى نزل باللجون بالقرب من وادي فحمة في بكرة يوم الاثنين ثامن عشرين المحرم من سنة ست وتسعين وكان الأمير حسام الدين لاجين المنصوري نائب السلطنة قد اتفق مع الأمراء على الوثوب على السلطان الملك العادل كتبغا هذا والفتك به فلم يقدر عليه لعظم شوكته فدبر أمرًا آخر وهو أنه ابتداءً أولاً بالقبض على الأميرين: بتخاص وبكتوت الأزرق العادليين وكانا شهمين شجاعين عزيزين عند أستاذهما الملك العادل المذكور فركب لاجين بمن وافقه من الأمراء على حين غفلة وقبض على الأميرين المذكورين وقتلتهما في الحال وقصد مخيم السلطان فمنعه بعض مماليك السلطان قليلاً وعوقوه عن الوصول إلى الملك العادل وكان العادل لما بلغه هذا الأمر علم أنه لا قبل له على قتال لاجين لعلمه بمن وافقه من الأمراء وغيرهم وخاف على نفسه وركب من خيل النوبة فرسًا تسمى حمامة وساق لقلعة سعده ولزوال ملكه راجعًا إلى الشام ولو أقام بمخيمه لم يقدر لاجين على قتاله وأخذه فما شاء الله كان وساق حتى وصل إلى دمشق يوم الأربعاء آخر المحرم قرب العصر ومعه أربعة أو خمسة من خواصه.

وكان وصل إلى دمشق يوم الأربعاء آخر المحرم أول النهار أمير شكار السلطان وأخير نائب الشام بصورة الحال وهو مجروح فتهيأ نائب الشام الأمير أغزولو العادلي واستعد وأحضر أمراء الشام عند السلطان ورسم بالاحتياط على نواب الأمير حسام الدين لاجين وعلى حواصله بدمشق وندم الملك العادل على ما فعله مع لاجين هذا من الخير والمدافعة عنه من كونه كان أحد من أعانه على قتل الأشرف وعلى أنه ولاه نيابة السلطنة وفي الجملة أنه ندم حيث لا ينفعه الندم! وعلى رأي من قال: " أشبعتهم سبًا

وفازوا بالإبل " ومثله أيضًا قول القائل: مخلع البسيط من راقب الناس مات غمًا وفاز باللذة الجسور ثم إن الملك العادل طلب قاضي قضاة دمشق بدر الدين بن جماعة فحضر بين يدي السلطان هو وقاضي القضاة حسام الدين الحنفي وحضرا عند الملك العادل تحليف الأمراء والمقدمين وتجديد المواثيق منهم ووعدهم وطيب قلوبهم.

وأما الأمير حسام الدين لاجين فإنه استولى على دهليز السلطان والخزائن والحراس والعساكر من غير ممانع وتسلطن في الطريق ولقب بالملك المنصور حسام الدين لاجين وتوجه إلى نحو الديار المصرية وملكها وتم أمره وخطب له مصر وأعمالها والقدس والساحل جميعه وأما الملك العادل فإنه أقام بقلعة دمشق هذه الأيام كلها لا يخرج منها وأمر جماعة بدمشق وأطلق بعض المكوس بها وقرىء بذلك توقيع يوم الجمعة سادس عشر صفر بعد صلاة الجمعة بالجامع.

وبينما هو في ذلك ورد الخبر على أهل دمشق بأن مدينة صفد زينت لسلطنة لاجين ودق بها البشائر وكذلك نابلس والكرك.

فلما بلغ الملك العادل ذلك جهز جماعة من عسكر دمشق مقدمهم الأمير طقصبا الناصري بكشف هذا الأمر وتحقيق الخبر فتوجهوا يوم الخميس ثاني عشرين صفر فعلموا بعد خروجهم في النهار المذكور بدخول الملك المنصور لاجين إلى مصر وسلطنته فرجعوا وعلموا عدم الفائدة في توجههم.

ثم في الغد من يوم الجمعة ثالث عشرين صفر ظهر الأمر بدمشق وانكشف الحال وجوهر الملك العادل كتبغا بذلك وبلغه أنه لما وصل العسكر إلى غزة ركب الأمير حسام الدين لاجين في دست السلطنة وحمل البيسري على رأسه ثم في يوم السبت رابع عشرين صفر وصل إلى دمشق الأمير كجكن ومعه جماعة من الأمراء كانوا مجردين إلى الرحبة فلم يدخلوا دمشق بل توجهوا إلى جهة ميدان الحصار قريبًا من مسجد القدم وأعلن الأمير كجكن أمر الملك المنصور لاجين وعلم جيش دمشق بذلك فخرج إليه طائفة بعد طائفة وكان قبل ذلك قد توجه أميران من أكابر أمراء دمشق إلى جهة الديار المصرية.

فلما تحقق الملك العادل كتبغا بذلك وعلم انحلال أمره وزوال دولته بالكلية أذعن بالطاعة للأمراء دمشق وقال لهم: الملك المنصور لاجين خشداشي وأنا في خدمته وطاعته وحضر الأمير سيف الدين جاغان الحسامي إلى قلعة دمشق إلى عند الملك العادل كتبغا فقال له كتبغا: أنا أجلس في مكان بالقلعة حتى نكاتب السلطان ونعتمد على ما يرسم به.

فلما رأى الأمراء منه ذلك تفرقوا وتوجهوا إلى باب الميدان وحلفوا للملك المنصور لاجين وأرسلوا البريد إلى القاهرة بذلك ثم احتفظوا بالقلعة وبالملك العادل كتبغا ولبس عسكر دمشق آلة الحرب وسيروا عامة نهار السبت بظاهر دمشق وحول القلعة والناس في هرج واختباط وأقوال مختلفة وأبواب دمشق مغلقة سوى باب النصر وباب القلعة مغلق فتح منه خوخته واجتمع العامة والناس من باب القلعة إلى باب النصر وظاهر البلد حتى سقط منهم جماعة كثيرة في الخندق فسلم جماعة وهلك دون العشرة وأمسى الناس يوم السبت وقد أعلن باسم الملك المنصور لاجين لا يخفي أحد ذلك وشرع دق البشائر بالقلعة ثم في سحر يوم الأحد ذكره المؤذنون بجامع دمشق وتلوا قوله تعالى: " **قل اللهم مالك الملك** " إلى آخرها وأظهروا اسم المنصور والدعاء له ثم ذكره قارىء المصحف بعد صلاة الصبح بمقصورة جامع دمشق ودقت البشائر على أبواب جميع أمراء دمشق دقًا مزعجًا وأظهروا الفرح والسرور وأمر بتزيين أسواق البلد جميعها فزينت مدينة دمشق وفتحت دكاكين دمشق وأسواقها واشتغلوا بمعاشيتهم وتعجب الناس من تسليم الملك العادل كتبغا الأمر إلى الملك المنصور لاجين على هذا الوجه الهين من غير

قتال ولا حرب مع ما كان معه من الأمراء والجنود ولو لم يكن معه إلا مملوكه الأمير أغزلو العادلي نائب الشام لكفاه ذلك.

على أن الملك المنصور لاجين كان أرسل في الباطن عدة مطالعات للأمراء دمشق وأهلها واستمال غالب أهل دمشق فما أحوجه الملك العادل كتبغا لشيء من ذلك بل سلم له الأمر على هذا الوجه الذي ذكرناه خذلان من الله تعالى.

وأما الأمير سيف الدين أغزلو العادلي مملوك الملك العادل كتبغا نائب الشام لما رأى ما وقع من أستاذه لم يسعه إلا الإذعان للملك المنصور وأظهر الفرح به وحلف له.

قال: الملك المنصور لاجين - نصره الله - هو الذي كان عينني لنيابة دمشق وأستاذي الملك العادل كتبغا استصغرنى فأنا نائبه ثم سافر هو والأمير جاغان إلى نحو الديار المصرية.

وأما لاجين فإنه تسلطن يوم الجمعة عاشر صفر وركب يوم الخميس سادس عشر صفر وشق القاهرة وتم أمره وأما الملك العادل كتبغا هذا فإنه استمر بقلعة دمشق إلى أن عاد الأمير جاغان المنصوري الحسامي إلى دمشق في يوم الاثنين حادي عشر شهر ربيع الأول وطلع من الغد إلى قلعة دمشق ومعه الأمير الكبير حسام الدين الظاهري أستاذ الدار في الدولة المنصورية والأشرفية والأمير سيف الدين كجكن وحضر قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة قاضي دمشق ودخلوا الجميع إلى الملك العادل كتبغا فتكلم معهم كلامًا كثيرًا بحيث إنه طال المجلس كالعابث عليهم ثم إنه حلف يمينًا طويلة يقول في أولها: أقول وأنا كتبغا المنصوري ويكرر اسم الله تعالى في الحلف مرة بعد مرة أنه يرضى بالمكان الذي عينه له السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين ولا يكاتب ولا يسارر وأنه تحت الطاعة وأنه خلع نفسه من الملك وأشياء كثيرة من هذا النموذج ثم خرجوا من عنده.

وكان المكان الذي عينه له الملك المنصور لاجين قلعة صرخد ولم يعين المكان المذكور في اليمين.

ثم ولى الملك المنصور نيابة الشام للأمير قبجق المنصوري وعزل أغزلو العادلي فدخل قبجق إلى دمشق في يوم السبت سادس عشر شهر ربيع الأول وتجهز الملك العادل كتبغا وخرج من قلعة دمشق بأولاده ووعيله ومماليكه وتوجه إلى صرخد في ليلة الثلاثاء تاسع عشر شهر ربيع الأول المذكور وجردها معه جماعة من الجيش نحو مائتي فارس إلى أن أوصلوه إلى صرخد.

فكانت مدة سلطنة الملك العادل كتبغا هذا على مصر سنتين وثمانية وعشرين يومًا وقيل سبعة عشر يومًا وتسلطن من بعده الملك المنصور حسام الدين لاجين حسب ما تقدم ذكره.

ثم كتب له الملك المنصور حسام الدين لاجين تقليدًا بنيابة صرخد فقبل الملك العادل ذلك وباشر نيابة صرخد سنين إلى أن نقله السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في سلطنته الثانية من نيابة صرخد إلى نيابة حماة وصار من جملة نواب السلطنة وكتب له عن السلطان كما يكتب لأمثاله من النواب وسافر في التجاريد في خدمة نواب دمشق وحضر الجهاد ولم يزل على نيابة حماة حتى مات بها في ليلة الجمعة يوم عيد الأضحى وهو في سن الكهولية ودفن بحماة ثم نقل منها ودفن بتربته التي أنشأها بسفح جبل قاسيون دمشق غربي الرباط الناصري وله عليها أوقاف.

وكان ملكًا خيرًا دينًا عاقلًا عادلاً سليم الباطن شجاعًا متواضعًا وكان يحب الفقهاء والعلماء والصلحاء وبكرمهم إكرامًا زائدًا وكان أسمر اللون قصيرًا دقيق الصدر قصير العنق وكان له لحية صغيرة في حنكه.

أسر صغيرًا من عسكر هولوكو.

وكان لما ولي سلطنة مصر والشام تشاءم الناس به وهو أن النيل قد بلغ في تلك السنة ست عشرة ذراعًا ثم هبط من ليلته فشرقت البلاد وأعقبه غلاء عظيم حتى أكل الناس الميتة.

وقد تقدم ذكر ذلك في أول ترجمته ومات الملك العادل كتبغا المذكور بعد أن طال مرضه واسترخی حتى لم يبق له حركة وترك عدة أولاد وتولى نيابة حماة بعده الأمير بتخاص المنصوري نقل إليها من نيابة الشوبك.

وقد تقدم التعريف بأحوال كتبغا هذا في أوائل ترجمته وفي غيرها فيما مر ذكره.

وأمر كتبغا هذا هو خرق العادة من كونه كان ولي سلطنة مصر أكثر من سنتين وصار له شوكة ومماليك وحاشية ثم يخلع ويصير من جملة نواب السلطان بالبلاد الشامية فهذا شيء لم يقع لغيره من الملوك.

وأعجب من هذا أنه لما قتل الملك المنصور لاجين وتحير أمراء مصر فيمن يولونه السلطنة من بعده لم يتعرض أحد لذكره ولا رشح للعود البتة حتى احتاجوا الأمراء وبعثوا خلف الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك وأتوا به وسلطنوه.

قلت: وما أظن أن القلوب نفرت منه إلا لما رأوه من دنيء همته عندما خلع من السلطنة وتسليمه للأمر من غير قتال ولا ممانعة وكان يمكنه أن يدافع بكل ما تصل القدرة إليه ولو ذهب روحه عزيزة غير ذليلة وما أحسن قول عبد المطلب جد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لنا نفوس لنيل المجد عاشقة وإن تسلت أسلناها على الأسل لا ينزل المجد إلا في منازلنا كالنوم ليس له مأوى سوى المقل وقول عنترة أيضًا: الوافر أروم من المعالي منتهاها ولا أرضى بمنزلة دنيء فإما أن أشال على العوالي وإما أن توسدني المنية ويعجبني المقالة الثامنة عشرة من تأليف العلامة شرف الدين عبد المؤمن بن هبة الله الأصفهاني المعروف بشوروة فإن أوائلها تقارب ما نحن فيه وهي: رتبة الشرف لا تنال بالترف والسعادة أمر لا يدرك إلا بعيش يفرك وطيب يترك ونوم يطرد وصوم يسرد وسرور عازب وهم لازب ومن عشق المعالي ألف الغم ومن طلب اللآلئ ركب اليم ومن قنص الحيتان ورد النهر ومن خطب الحصان نقد المهر كلا أين أنت من المعالي! إن السحوق جبار وأنت قاعد والفيلق جرار وأنت واحد العقل يناديك وأنت أصلخ ويدنيك وبحول بينكما البرزخ لقد أرف الرحيل فاستنفذ جهدك وأكتب الصيد فضمم فهدك فالحذر يترصد الانتهاز والحازم يهيب أسباب الجهاز تجرع مرارة النوائب في أيام معدودة لحلاوة معهودة غير معدودة وإنما هي محنة بائدة تتلوها فائدة وكربة نافذة بعدها نعمة خالدة وغنيمة باردة فلا تكرهن صبرًا أو صابا يغسل عنك أو صابا ولا تشربن وردًا يعقبك سقاما ولا تشمن وردًا يورثك زكاما ما ألين الريحان لو لا وخز البهيمى وما أطيب الماذي لولا حمة الحمى! فلا تهولنك مرارات ذاقها عصبة إنما يريد الله ليهدبهم بها ولا تروقنك حلاوات نالها فرقة إنما يريد الله ليعذبهم بها.

انتهى.

▲ السنة الأولى من سلطنة الملك العادل كتبغا المنصوري على مصر

وهي سنة أربع وتسعين وستمائة.

كان فيها الغلاء العظيم بسائر البلاد ولا سيما مصر والشام وكان بمصر مع الغلاء وباء عظيم أيضًا وقاسى الناس شدائد في هذه السنة واستسقى الناس بمصر من عظم الغلاء والفناء.

وفيها أسلم ملك التتار غازان وأسلم غالب جنده وعساكره على ما حكى الشيخ علم الدين البرزالي.

وفيها توفي السلطان الملك المظفر شمس الدين أبو المحاسن يوسف ابن السلطان الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول التركماني الأصل الغساني صاحب بلاد اليمن مات في شهر رجب بقلعة تعز من بلاد اليمن وقيل: اسم رسول محمد بن هارون بن أبي الفتح بن يوحى بن رستم من ذرية جبلة بن الأيهم قيل: إن رسولاً جد هؤلاء ملوك اليمن كان انضم لبعض الخلفاء العباسية فاخصه بالرسالة إلى الشام وغيرها فعرف برسول وغلب عليه ذلك ثم انتقل من العراق إلى الشام ثم إلى مصر وخدم هو وأولاده بعض بني أيوب وهو مع ذلك له حاشية وخدم ولما أرسل السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أخاه الملك المعظم توران شاه إلى اليمن أرسل الملك المنصور عمر والد صاحب الترجمة معه كالوزير له واستحلفه على المناصحة فسار معه إلى اليمن.

فلما ملك الملك المسعود أقيس ابن الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب اليمن بعد توران شاه قرب عمر المذكور وزاد في تعظيمه وولاه الحصون ثم ولاه مكة المشرفة ورتب معه ثلاثمائة فارس وحصل بينه وبين صاحب مكة حسن بن قتادة وقعة انكسر فيها حسن ودخل المنصور مكة واستولى عليها وعمر بها المسجد الذي اعتمرت منه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في سنة تسع عشرة وستمائة ثم عمر في ولايته لمكة أيضًا دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه في زقاق الحجر في سنة ثلاث وعشرين وستمائة ثم استنابه الملك المسعود على اليمن لما توجه إلى الديار المصرية واستناب على صنعاء أخاه بدر الدين حسن بن علي بن رسول.

ولما عاد الملك المسعود إلى اليمن قبض على نور الدين هذا وعلى أخيه بدر الدين حسن المذكور وعلى أخيه فخر الدين وعلى شرف الدين موسى تخوفًا منهم لما ظهر من نجابتهم في غيبته وأرسلهم إلى الديار المصرية محتفظًا بهم خلا نور الدين عمر أعني الملك المنصور فإنه أطلقه من يومه لأنه كان يأنس إليه ثم استحلفه وجعله أتاك عسكره ثم استنابه الملك المسعود ثانيًا لما توجه إلى مصر وقال له: إن مت فأنت أولى بالملك من إخوتي لخدمتك لي وإن عشت فأنت على حالك وإياك أن تترك أحدًا من أهلي يدخل اليمن ولوجاءك الملك الكامل.

ثم سار الملك المسعود إلى مكة فمات بها فلما بلغ الملك المنصور ذلك استولى على ممالك اليمن بعد أمور وخطوب واستوسق له الأمر فكانت مدة مملكته باليمن نيفًا على عشرين سنة.

ومات بها في ليلة السبت تاسع ذي القعدة سنة سبع وأربعين وستمائة وملك بعده ابنه الملك المظفر يوسف هذا وهو ثاني سلطان من بني رسول باليمن وأقام الملك المظفر هذا في الملك نحوًا من ست وأربعين سنة وكان ملكًا عادلًا عفيفًا عن أموال الرعية حسن السيرة كثير العدل وملك بعده ولده الأكبر الملك الأشرف ممهد الدين عمر فلم يمكث الأشرف بعد أبيه إلا سنة ومات وملك أخوه الملك المؤيد هزبر الدين داود.

ومات الملك المظفر هذا مسمومًا؛ سمته بعض جواريه ومات وقد جاوز الثمانين وخلف من الأولاد: الملك الأشرف الذي ولي بعده والمؤيد داود والوائق إبراهيم والمسعود أحسن والمنصور أيوب انتهى.

وفيها توفي العلامة جمال الدين أبو غانم محمد ابن الصاحب كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أحمد بن أبي جرادة الحلبي الحنفي المعروف بابن العديم مات بمدينة حماة وكان إمامًا فاضلاً بارعًا من بيت علم ورياسة.

وفيها قتل الأمير عساف ابن الأمير أحمد بن حجي أمير العرب من آل مري وكان أبوه أكبر عربان آل برمك وكان يدعي أنه من نسل البرامكة من العباسة أخت هارون الرشيد. وقد ذكرنا ذلك في وفاة أبيه الأمير شهاب الدين أحمد.

وفيها توفي الأمير بدر الدين بكتوت بن عبد الله الفارسي الأتابكي كان من خيار الأمراء وأكابرهم وأحسنهم سيرة.

وفيها توفي شيخ الحجاز وعالمه الشيخ محب الدين أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبري الملكي الشافعي فقيه الحرم بمكة - شرفها الله تعالى - ومفتيه ومولده في سنة أربع عشرة وستمئة بمكة.

وكانت وفاته في ذي القعدة.

وقال البرزالي: ولد بمكة في يوم الخميس السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمئة.

قلت: ونشأ بمكة وطلب العلم وسمع الكثير ورحل البلاد.

وقال جمال الدين الإسنائي: إنه تفقه بقوص على الشيخ مجد الدين القشيري انتهى.

وذكر نحو ذلك القطب الحلبي في تاريخ مصر وحدث وخرج لنفسه أحاديث عوالي.

قال أبو حيان: إنه وقع له وهم فاحش في القسم الأول وهو التساعي وهو إسقاط رجل من الإسناد حتى صار له الحديث تساعيًا في ظنه.

انتهى.

قلت: وقد استوعبنا سماعاته ومصنفاته ومشايخه في ترجمته من تاريخنا المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي مستوفاة في الكتاب المذكور.

وكان له يد في النظم فمن ذلك قصيدته الحائية: الخفيف ما لطرفي عن الجمال براح ولقبي به غدا ورواح كل معنى يلوح في كل حسن لي إليه تقلب وارتياح ومنها: فيهم يعشق الجمال ويهوى ويشوق الحمى وتهوى الملاح وبهم يعذب الغرام ويحلو ويطيب الثناء والإمتداح لا تلم يا خلي قلبي فيهم ما على من هوى الملاح جناح ويح قلبي وويح طرفي إلى كم يكتم الحب والهوى فضاح صاح عرج على العقيق وبلغ وقباب فيها الوجوه الصباح والقصيدة طويلة كلها على هذا المنوال.

وفيها توفي سلطان إفريقية وابن سلطانها وأخو سلطانها عمر بن أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن عمر الهنتاني الملقب بالمستنصر بالله والمؤيد به وولي سلطنة تونس بعد

وفاة أخيه إبراهيم فيما أظن وقتل الدعي الذي غلب عليها وملك البلاد ودام في الملك إلى أن مات في ذي الحجة.

وكان عهد لولده عبد الله بالملك فلما اختصر أشار عليه الشيخ أبو محمد المرجاني بأن يخلعه لصغر سنه فخلعه وولى ولد الواثق محمد بن يحيى بن محمد الملقب بأبي عصيدة الآتي ذكر وفاته في سنة تسع وسبعمائة.

وكان المستنصر هذا ملكًا عادلاً حسن السيرة وفيه خبرة ونهضة وكفاية ودين وشجاعة وإقدام.

رحمه الله تعالى.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الزاهد القدوة أبو الرجال بن مري بمنين في المحرم.

وعز الدين أبو بكر محفوظ بن معتوق التاجر ابن البزوري في صفر.

والإمام عز الدين أحمد بن إبراهيم بن الفاروثي في ذي الحجة.

وصاحب اليمن الملك المظفر يوسف بن عمر في رجب وكانت دولته بضغاً وأربعين سنة. وشيخ الحجاز محب الدين الطبري.

وأبو الفهم أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسيني النقيب في المحرم.

والعلامة تاج الدين أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن المطهر بن أبي عصرون التميمي مدرس الشامية الصغرى في ربيع الأول.

ومحيي الدين عبد الرحيم بن عبد المنعم بن الدميري في المحرم وله تسعون سنة.

والزاهد القدوة شرف الدين محمد بن عبد الملك اليونيني المعروف بالأرزوني.

والزاهد المقرئ شرف الدين محمود بن محمد التاذفي بقاسيون في رجب.

والعلامة زين الدين المنجا بن عثمان بن أسعد ابن المنجا الحنبلي في شعبان وله خمس وستون سنة.

وقاضي القضاة شرف الدين الحسن بن عبد الله ابن الشيخ أبي عمر المقدسي الحنبلي.

وناصر الدين نصر الله بن محمد بن عياش الحداد في شوال والعدل كمال الدين عبد الله بن محمد بن قوام في ذي القعدة.

وأبو الغنائم بن محاسن الكفراني.

والمقرئ موفق الدين محمد بن أبي العلاء محمد بن علي ببعليك في ذي الحجة.

والمقرئ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الحلیم سحنون المالكي في شوال بالإسكندرية.

والعلامة صاحب محيي الدين محمد بن يعقوب بن النحاس الحلبي الحنفي في آخر السنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ذراع وأصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وسبع عشرة إصبغًا.

وكان الوفاء في سادس أيام النسيء.

السنة الثانية من سلطنة الملك العادل كتبغا وهي سنة خمس وتسعين وستمائة.

فيها كان الغلاء العظيم بسائر البلاد ولا سيما مصر والشام وكان بمصر مع الغلاء وباء عظيم أيضًا وقاسى الناس شدائد في هذه السنة والماضية.

وفيها ولي قضاء الديار المصرية الشيخ تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن دقيق العيد بعد وفاة قاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز.

وفيها توفي الملك السعيد شمس الدين إيلغازي ابن الملك المظفر فخر الدين قرا أرسلان ابن الملك السعيد صاحب ماردين الأرتقي ودفن بتربة جده أرتق وتولى بعده سلطنة ماردين أخوه الملك المنصور نجم الدين غازي.

وكان مدة مملكة الملك السعيد هذا على ماردين دون الثلاث سنين.

وكان جوادًا عادلًا حسن السيرة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الأمير بدر الدين بيليك بن عبد الله المحسني المعروف بأبي شامة بالقاهرة وكان من أعيان الأمراء وأكابرهم رحمه الله.

وفيها توفي الأسعد بن السديد القبطي الأسلمي الكاتب مستوفي الديار المصرية والبلاد الشامية والجيوش جميعها المعروف بالماعز الديواني المشهور وكان معروفًا بالأمانة والخير وكان نصرانيًا ثم أسلم في دولة السلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون.

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي - رحمه الله -: حكى لي القاضي شهاب الدين محمود رحمه الله قال: لما مرض المذكور توجهنا إليه نعوذ فوجدناه ضعيفًا إلى الغاية وقد وضعوا عنده أنواعًا من الحلبي والمصاغ المجوهر والعقود وفيها العنبر الفائق وأنواع من الطيب.

ثم إنه قال: ارفعوا هذا عني وأسير إلى خادم كلاً فمضى وأتى بحق ففتحه وأقبل يشمه وقمنا من عنده ثم إنه مات فسالنا ذلك الخادم فيما بعد: ما كان في ذلك الحق قال: شعرة من است الراهب الفلاني الذي كان له كذا كذا سنة ما لمس الماء ولا قربه.

قال: فأنشدت: ما يقبض الموت نفسًا من نفوسهم إلا وفي يده من تنتها عود وفيها توفي الأمير عز الدين أيك بن عبد الله الأفرم الكبير أمير جاندار الملك الظاهر والملك السعيد والملك المنصور قلاوون.

فلما تسلطن الملك الأشرف خليل ابن قلاوون حبسه وبعد قتل الأشرف خليل أخرجه أخوه الملك الناصر محمد بن قلاوون وأعادته إلى مكانته ثم استقر في أيام الملك العادل كتبغا على حاله إلى أن مات بالقاهرة في يوم السبت سابع شهر ربيع الأول.

قال القطب اليونيني: حكى لي الأمير سيف الدين بن المحفدار قال: أوصى الأفرم عند موته أنه إذا توفي يأخذون خيله يلبسونها أفخر ما لها من العدة وكذلك جميع ممتلكاته وغلمانه يلبسونهم عدة الحرب وأن تضرب نوبة الطبلخاناه خلف جنازته كما كان يطلع إلى الغزاة وألا يقلب له سنجق ولا يكسر له رمح ففعلوا أولاده ما أمر به ما خلا الطبلخاناه فإن نائب السلطنة حسام الدين لاجين منعهم من ذلك وكانت جنازته حفلة حضرها السلطان ومن دونه.

وكان دينا من وسائط الأخيار وأرباب المعروف.

وكان يقال: إنه يدخل عليه من أملاكه وضمائنه وإقطاعاته كل يوم ألف دينار خارج عن الغلال.

قلت: وهذا مستفاض بين الناس.

وقصة أولاده لما احتاجوا مع كثرة هذا المال إلى السؤال مشهورة.

يقال إنه كان له ثمن الديار المصرية وهو صاحب الرباط والجسر على بركة الحبش خارج القاهرة.

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي: " كنت بالقاهرة وقد وقف أولاده وشكا عليهم أرباب الديون إلى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فقال السلطان: يا بشتك هؤلاء أولاد الأفرم الكبير صاحب الأملاك والأموال أبصر كيف حالهم! وما سببه إلا أن أباهم وكلهم على أملاكهم فما بقيت وأنا لأجل ذلك لا أدخر لأولادي ملكاً ولا مالاً " انتهى كلام الصفدي.

قلت: والعجيب أنه كان قليل الظلم كثير الخير وغالب ما حصله من نوع المتاجر والمزروعات والمستأجرات ومع هذا احتاج أولاده وذريته إلى السؤال.

وفيها توفي قاضي القضاة بالديار المصرية ورئيسها تقي الدين أبو القاسم عبد الرحمن ابن قاضي القضاة تاج الدين أبي محمد عبد الوهاب ابن القاضي الأعز أبي القاسم خلف بن محمود بن بدر العلامي الشافعي المصري المعروف: بابن بنت الأعز.

مات يوم الخميس سادس عشر جمادى الأولى ودفن عند والده بالقرافة في تربتهم وهو في الكهولية.

وكان فقيهاً بارعاً شاعراً خيراً ديناً متواضعاً كريماً تفقه على والده وعلى ابن عبد السلام تولى الوزارة والقضاء ومشيخة الشيوخ وأضيف إليه تدريس الصلاحية والشريفة بالقاهرة والمشهد الحسيني وخطابة الجامع الأزهر وامتحان محنة شديدة في أول الدولة الأشرفية وعمل على إتلافه بالكلية وذلك بسعاية الوزير ابن السلغوس الدمشقي.

وقد استوعبنا أمره في المنهل الصافي ثم أعيد إلى القضاء بعد وفاة الأشرف فلم تطل أيامه ومات.

ولما حج القاضي تقي الدين هذا وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم أنشد عند الحجرة النبوية قصيدته التي مطلعها: الناس بين مرجز ومقصد ومطول في مدحه ومجود ومخبر عمن روى ومعبّر عما رآه من العلا والسؤدد وفيها توفي الشيخ الإمام الأديب البارع المفتن سراج الدين أبو حفص عمر بن محمد بن الحسين المصري المعروف بالسراج

الوراق الشاعر المشهور مولده في العشر الأخير من شوال سنة خمس عشرة وستمائة ومات في جمادى الأولى من هذه السنة ودفن بالقرافة.

وكان إماما فاضلاً أديباً مكثراً متصرفاً في فنون البلاغة وهو شاعر مصر في زمانه بلا مدافعة.

ومن شعره: البسيط في خده ضل علم الناس واختلفوا أللشقائق أم للورد نسبته فذاك بالخال يقضي للشقيق وذا دليله أن ماء الورد ريقته وله: مخلع البسيط كم قطع الجود من لسان قلد من نظمته النحورا فهأنا شاعر سراج فاقطع لساني أزدك نورا وله: لا تحجب الطيف إنني عنه محجوب لم يبق مني لفرط السقم مطلوب ولا تثق بأنيبي إن موعدة بأن أعيش للقا الطيف مكذوب هذا وخذك مخضوب يشاكلة دمع يفيض على خدي مخضوب وليس للورد في التشبيه رتبته وإنما ذاك من معناه تقريب وما عذارك ربحاً كما زعموا فات الرياحين ذاك الحسن والطيب يا قاسي القلب لو أعداه رفته جسم من الماء بالأحاط مشروب أرحت سمعي وفي حبيك من عذلي إذ أنت حب إلى العذال محبوب وكان السراج أشقر أزرق العين.

وفي ذلك يقول عن نفسه: الرجز ومن رأني والحمار مركبي وزرقتي للروم عرق قد ضرب قال وقد أبصر وجهي مقبلاً لا فارس الخيل ولا وجه العرب أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وأربع أصابع.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وإصبع.

وكان الوفاء في رابع عشرين توت.

سلطنة الملك المنصور لاجين

هو السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين بن عبد الله المنصوري سلطان الديار المصرية تسلطن بعد خلع الملك العادل كتبغا المنصوري كما تقدم ذكره في يوم الجمعة عاشر صفر من سنة ست وتسعين وستمائة.

وأصل لاجين هذا مملوك للملك المنصور قلاوون اشتراه ورباه وأعتقه ورقاه إلى أن جعله من جملة مماليكه فلما تسلطن أمره وجعله نائباً بقلعة دمشق.

فلما خرج الأمير سيف الدين سنقر الأشقر عن طاعة الملك المنصور قلاوون وتسلطن بدمشق وتلقب بالملك الكامل وملك قلعة دمشق قبض على لاجين هذا وحبسه مدة إلى أن انكسر سنقر الأشقر وملك الأمير علم الدين سنجر الحلبي دمشق أخرجه من محبسه ودام لاجين بدمشق إلى أن ورد مرسوم الملك المنصور قلاوون باستقرار لاجين هذا في نيابة دمشق دفعة واحدة فوليها ودام بها إحدى عشرة سنة إلى أن عزله الملك الأشرف خليل بن قلاوون بالشجاعى ثم قبض عليه ثم أطلقه بعد أشهر ثم قبض عليه ثانياً مع جماعة أمراء وهم: الأمير سنقر الأشقر المقدم ذكره الذي كان تسلطن بدمشق وتلقب بالملك الكامل والأمير ركن الدين طقصور الناصري حمو لاجين هذا والأمير سيف الدين جرمك الناصري والأمير بلبان الهاروني وغيرهم فخنقوا الجميع وما بقي غير لاجين هذا فقدموه ووضعوا الوتر في حلقه وجذب الوتر فانقطع وكان الملك الأشرف حاضراً فقال لاجين: يا خوند آيش لي ذنب! ما لي ذنب إلا أن صهري طقصورها هو قد هلك وأنا أطلق ابنته فرق له خشداشيته وقبلوا الأرض وسألوا السلطان فيه وضمنوه فأطلقه وخلع عليه وأعطاه إمرة مائة فارس بالديار المصرية وجعله سلاح دار.

قلت: يعني جعله أمير سلاح فإن أمير سلاح هو الذي يناول السلطان السلاح وغيره.

قلت: لله در المتنبي حيث يقول: الكامل لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم وذلك أن لاجين لما خرج من الحبس وصار من جملة الأمراء خاف على نفسه واتفق مع الأمير بيدرا نائب السلطنة وغيره على قتل الأشرف حتى تم لهم ذلك حسب ما تقدم ذكره في ترجمة الملك الأشرف.

ثم اختفى لاجين أشهرًا إلى أن أصلح أمره الأمير كتبغا وأخرجه وخلع عليه الملك الناصر محمد بن قلاوون كما تقدم وجعله على عادته.

كل ذلك بسفارة الأمير كتبغا.

ثم لما تسلطن كتبغا جعله نائب سلطنته بل قسيم مملكته واستمر لاجين على ذلك حتى سافر الملك العادل كتبغا إلى البلاد الشامية وأصلح أمورها وعاد إلى نحو الديار المصرية وسار حتى نزل بمنزلة اللجون اتفق لاجين هذا مع جماعة من أكابر الأمراء على قتل الملك العادل كتبغا ووثبوا عليه بالمنزلة المذكورة وقتلوا الأميرين: بتخاص وبكتوت الأزرق العادليين وكانا من أكابر ممالك الملك العادل كتبغا وأمرائه واختبئ العسكر وبلغ الملك العادل كتبغا ذلك ففاز بنفسه وركب في خمسة من خواصه وتوجه إلى دمشق.

وقد حكينا ذلك كله في ترجمة كتبغا.

فاستولى عند ذلك لاجين على الخزائن والدهليز وبرك السلطنة وساق الجميع أمامه إلى مدينة غزة.

وبايعوه الأمراء بالسلطنة بعد شروط اشترطوها الأمراء عليه حسب ما يأتي ذكرها في محله.

وسار الجميع إلى نحو الديار المصرية حتى دخلوها وملكوا القلعة بغير مدافع وجلس لاجين هذا على كرسي المملكة في يوم الجمعة المقدم ذكره.

وتم أمره وخلع على الأمراء بعدة وظائف وهم: الأمير شمس الدين قرا سنقر المنصوري بنبابة السلطنة بالديار المصرية عوضًا عن نفسه وخلع على الأمير قبجق المنصوري بنبابة الشام عوضًا عن الأمير أغزلو العادلي وعلى عدة أمراء آخر.

ثم ركب الملك المنصور لاجين بعد ذلك من قلعة الجبل في يوم الاثنين العشرين من صفر بأبهة السلطنة وعليه الخلة الخليفية وخرج إلى ظاهر القاهرة إلى جهة قبة النصر ثم عاد من باب النصر وشق القاهرة إلى أن خرج من باب زويلة والأمراء والعساكر بين يديه وحمل الأمير بدر الدين بيسري الجتر على رأسه وطلع إلى القلعة.

وخلع أيضًا على الأمراء وأرباب الوظائف على العادة.

واستمر في السلطنة وحسنت سيرته وباشر الأمور بنفسه وأحبه الناس لولا مملوكه منكوتر فإنه كان صبيًا مذموم السيرة.

ولما كان يوم الثلاثاء منتصف ذي القعدة من سنة ست وتسعين وستمائة قبض السلطان الملك المنصور لاجين على الأمير شمس الدين قرا سنقر المنصوري نائب السلطنة

وحبسه وولى مملوكه منكوتر المذكور نيابة السلطنة عوضه فعظم ذلك على أكابر الأمراء في الباطن.

ثم بعد أيام ركب السلطان الملك المنصور لاجين ولعب الكرة بالميدان فتقنطر به الفرس فوقع من عليه وتهشم جميع بدنه وانكسرت يده وبعض أضلاعه ووهن عظمه وضعفت حركته وبقي يعلم عنه مملوكه ونائبه سيف الدين منكوتر وأيس من نفسه.

كل ذلك والأمراء راضون بما يفعله منكوتر لأجل خاطره إلى أن من الله تعالى عليه بالعافية وركب ولما ركب زينت له القاهرة ومصر والبلاد الشامية لعافيته وفرح الناس بعافيته فرحًا شديدًا خصوصًا الحرافيش فإنه لما ركب بعد عافيته قال له واحد من الحرافشة: يا قضيب الذهب بالله أرني يدك فرفع إليه يده وهو ماسك المقرعة وضرب بها رقبة الحصان الذي تحته.

وكان ركوبه في حادي عشرين صفر من سنة سبع وتسعين وستمائة.

ولما كان لعب الكرة وكبا به فرسه ووقع وانكسرت يده قال فيه الأديب شمس الدين محمد المعروف بابن البياعة البسيط حويت بطشًا وإحسانًا ومعرفة وليس يحمل هذا كله الفرس ولما تعافى الملك المنصور لاجين قال فيه شمس الدين المذكور نثرًا وهو: " أسفر ثغر صباحه عن محيا القمر الزاهر وبطش الأسد الكاسر وجود البحر الزاخر فيا له يومًا نال به الإسلام على شرفه شرقًا وأخذ كل مسلم من السرور العام طرفًا فملئت كل النفوس سرورًا وزيدت قلوب المؤمنين وأبصارهم ثباتًا ونورًا " ثم أنشد أبياتًا منها: البسيط فمصر والشام كل الخير عمهما وكل قطر علت فيه التباشير فالكون مبتهج والخلق مبتسم والخير متصل والدين مجبور وكيف لا وعدو الدين منكسر بالله والملك المنصور منصور والشرك قد مات رعياً حيث صاح به التوحيد هذا حسام الدين مشهور ثم بعد ذلك بمدة قبض السلطان على الأمير بدر الدين بيسري وأحتاط على جميع موجوده! في سادس شهر ربيع الآخر.

ثم جهز السلطان الملك المنصور العساكر إلى البلاد الشامية لغزو سيس وغيرها وعليهم الأمير علم الدين سنجر الدواداري وغيره من الأمراء وسارت العساكر من الديار المصرية إلى البلاد الشامية وفتحت تل حمدون وتل باشر وقلعة مرعش وجاء الأمير علم الدين سنجر الدواداري حجر في رجله عطله عن الركوب في أيام الحصار.

وأستشهد الأمير علم الدين سنجر المعروف بطقصبا وجرح جماعة كثيرة من العسكر والأمراء.

ثم إن الملك المنصور قبض على الأمير عز الدين أيبك الحموي المعزول عن نيابة دمشق قبل تاريخه بمدة سنين وعلى الأمير سنقر شاه الظاهري لأمر بلغه عنهما.

ثم في أواخر صفر أخرج السلطان الملك المنصور لاجين الملك الناصر محمد بن قلاوون من الديار المصرية إلى الكرك ليقم بها وفي خدمته الأمير جمال الدين أقوش أستاذ دار الملك المنصور فنزل الملك الناصر محمد بحواشيه من قلعة الجبل وسافر حتى وصل إلى الكرك ثم بدا للسلطان الملك المنصور هذا أن يعمل الروك بالديار المصرية وهو الروك الحسامي فلما كان يوم سادس جمادى الأولى من سنة سبع وتسعين وستمائة ابتداء عمل الروك والشروع فيه في إقطاعات الأمراء وأخبار الحلقة والأجناد وجميع عساكر الديار المصرية واستمروا في عمله إلى يوم الاثنين ثامن شهر رجب من سنة سبع وتسعين وستمائة وفرقت المثالات على الأمراء والمقدمين.

وفي اليوم العاشر ضرع نائب السلطنة الأمير سيف الدين منكوتر في تفرقة المثالات على الحلقة والبحرية ومماليك السلطان وغير ذلك فكان كل من وقع له مثال لا سبيل له إلى المراجعة فيه فمن الجند من سعد ومنهم من شقي وأُفرد للخاص أعمال الجيزية بتمامها وكمالها ونواحي الصفقة الإتيحية وثمر دمياط والإسكندرية ونواحي معينة من البلاد القبلية والبحرية وعين لمنكوتر من النواحي ما اختاره لنفسه وأصحابه وكان الحكم في التعيين لداوين منكوتر والاختيار لهم في التفرقة وكان الذي باشر هذا الروك وعمله من الأمراء الأمير بدر الدين بيليك الفارسي الحاجب والأمير بهاء الدين قراقوش الطواشي الظاهري.

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي: وكان مدة عمل الروك ثمانية أشهر إلا أيامًا قلائل.

ثم تقنطر السلطان الملك المنصور لاجين عن فرسه في لعب الكرة انتهى كلام الصفدي.

وقال القطب اليونيني: حكى بعض كتاب الجيش بالديار المصرية في سنة سبعمائة قال لي: أخدم في ديوان الجيش بالديار المصرية أربعين سنة قال: والديار المصرية أربعة وعشرون قيراطًا منها: أربعة قراريط للسلطان ولما يطلقه وللكلف والرواتب وغير ذلك ومنها عشرة للأمراء والإطلاقات والزيادات ومنها عشرة قراريط للحلقة قال: وذكروا للسلطان ولمنكوتر أنهم يكفون الأمراء والجند بأحد عشر قيراطًا يستخدم عليها حلقة بمقدار الجيش فشرعوا في ذلك وطلبونا وطلبوا الكتاب الجياد في هذه الصناعة فكفينا الأمراء والجند بعشرة قراريط وزدنا الذين تضرروا قيراطًا فبقي تسعة فاتفق قتل السلطان ومنكوتر.

وكان في قلوب الأمراء من ذلك هم عظيم فأنعم على كل أمير ببلد وبلدين من تلك التسعة قراريط وبقي الجيش ضعيفًا ليس له قوة وكانت التسعة قراريط التي بقيت خيرًا من الأحد عشر قيراطًا المقطعة.

قلت: يعني أن هذا خارج عن الأربعة قراريط التي هي برسم السلطان خاصة.

انتهى.

وقيل في الروك وجه آخر قال: لما كان في ذي الحجة سنة سبع وتسعين وستمائة قصد السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري أن يروك البلاد المصرية وينظر في أمور عساكر مصر فتقدم التاج الطويل مستوفي الدولة بجمع الدواوين لعمل أوراق بعيرة إقطاع الأمراء والجند وقانون البلاد وندب الأمير بهاء الدين قراقوش الظاهري والأمير بدرالدين بيليك الفارسي الحاجب فجمع سائر الكتاب لذلك وأخذوا في عمله فلم يحكموا العمل وذلك أنهم عمدوا إلى الإقطاعات الثقيلة المتحصلة من إقطاعات الأمراء والجند وأبدلوها بإقطاعات دونها في العبرة والمتحصل وأصلحوا ما كان من الإقطاعات ضعيفًا وأفرد للعسكر بأجمعه أربعة عشر قيراطًا وللسلطان أربعة قراريط وأرصد لمن عساه يتضرر من الأمراء والجند ويشكو قلة المتحصل قيراطان فتم بذلك عشرون قيراطًا وقتل الملك المنصور لاجين ولم يستخدم أحدًا وأوقف برسم عسكر آخر يستجد أربعة قراريط وأفرد لخاص السلطان الجيزية والإتيحية ومنفلوط وهو والكوم الأحمر ومرج بني هميم وحرجة سمطا وأتفو أدفو بأعمال قوص وإسكندرية ودمياط وأفرد لمنكوتر مملوكه نائب السلطنة من الجهات ما لم يكن لنائب قبله وهو عبدة نيف عن مائة ألف دينار.

فلما فرغت الأوراق على ما ذكرنا جلس السلطان الملك المنصور لاجين لتفرقة المثالات على الأمراء والمقدمين فأخذوها وهم غير راضين بذلك وتبين للسلطان من وجوه الأمراء

الكراهة فأراد زيادة العبرة في الإقطاعات فمنعه نائبه منكوتر من ذلك وحذره فتح هذا الباب فإنه يخشى أن يعجز السلطان عن سده وتكفل له منكوتر بإتمام العرض فيما قد عمل برسم السلطان ولمن كان له تعلق في هذا العمل من الأمراء وغيرهم أن يرفعوا شكايتهم إلى النائب وتصدى منكوتر لتفرقة إقطاعات أجناد الحلقة فجلس في شباك النيابة بالقلعة ووقف الحجاب بين يديه وأعطى لكل مقدمة مثالاتها فتناولوها على كره منهم وخافوا أن يكلموا منكوتر لسوء خلقه وسرعة بطشه وتمادى الحال على ذلك عدة أيام.

وكانت أجناد الحلقة قد تناقصت أحوالهم عن أيام الملك المنصور قلاوون فإنهم كانوا على أن أقل عبرة الإقطاعات وأضعف متحصلاتها عشرة آلاف درهم وما فوق ذلك إلى ثلاثين ألف درهم وهي أعلاها فرجع الأمر في هذا الروك إلى أن استقر أكثر الإقطاعات عشرين ألفًا إلى ما دونها فقل لذلك رزق الأجناد فإنه صار من كان متحصله عشرين ألفًا رجع إلى عشرة آلاف ومن كان عبرة إقطاعه عشرة آلاف بقيت خمسة آلاف فشق ذلك على الجند ولم يرضوه إلا أنهم خشوا التنكيل من منكوتر وكانت فيهم بقية من أهل القوة والشجاعة فتقدموا إلى النائب منكوتر وألقوا مثالاتهم وقالوا: إنا لا نعتد قط بمثل هذه الإقطاعات ونحن إما أن نخدم الأمراء وإلا بطلنا فعظم قولهم على النائب وأغضبه وأمر الحجاب بضربهم وساقهم إلى السجن فشجع فيهم الأمراء فلم يقبل شفاعتهم وأقبل منكوتر على من حضر من الأمراء والمقدمين وغيرهم فأوسعهم سبًا وملاهم تقريعًا وتعنيفًا حتى وعر صدورهم وغير نياتهم فانصرفوا وقد عولوا على عمل الفتنة وبلغ السلطان ذلك فعنف منكوتر ولامه وأخرج الأجناد من السجن بعد أيام.

وكان عمل هذا الروك وتفرقته من أكبر الأسباب وأعظمها في فتك الأمراء بالسلطان الملك المنصور لاجين وقتله وقتل نائبه منكوتر المذكور.

على ما سيأتي ذكره.

وكان هذا الروك أيضًا سببًا كبيرًا في إضعاف الجند بديار مصر وإتلافهم فإنه لم يعمل فيه عمل طائل ولا حصل لأحد منهم زيادة يرضاها وإنما توفر من البلاد جزء كبير.

فلما قتل الملك المنصور لاجين تقسمها الأمراء زيادة على ما كان بيدهم انتهى.

ثم إن السلطان الملك المنصور لاجين جهز الأمير جمال الدين آقوش الأفرم الصغير والأمير سيف الدين حمدان بن صلغاي إلى البلاد الشامية وعلى أيديهم مراسيم شريفة بخروج العساكر الشامية وخروج نائب الشام الأمير قبجق المنصوري بجميع أمراء دمشق حتى حواشي الأمير أرجواش نائب قلعة دمشق فوصلوا إلى دمشق وألحوا في خروج العسكر ونوهوا بأن التتار قاصدون البلاد فخرج نائب الشام بعساكر دمشق في ليلة الخميس رابع عشر المحرم من سنة ثمان وتسعين وستمائة.

ووقع لقبجق نائب الشام المذكور في هذه السفارة أمور أوجبت عصيانه وخروجه من البلاد الحلبية بمن معه من الأمراء ومماليكه إلى غازان ملك التتار.

وكان الذي توجه معه من أكابر الأمراء: بكتمر السلاح دار وألبكي وبيغار وغيرهم في جمع كثير وكان خروجهم في ليلة الثلاثاء ثامن شهر ربيع الآخر.

وسبب خروج قبجق عن الطاعة وتوجهه أنه كان ورد عليه مرسوم السلطان بالقبض على هؤلاء الأمراء المذكورين وغيرهم ففطن الأمراء بذلك فهرب منهم من هرب وبقي هؤلاء فجاؤوا إلى قبجق وهو نازل على حمص فطلبوا منه أمانيًا فأمنهم وحلف لهم وبعث قبجق

إلى السلطان يطلب منه أمانًا لهم فأبطأ عليه الأمان ثم خشن عليه بعض كبار أمراء دمشق في القول بسببهم فعلم قبجق أن ذلك الكلام من قبل السلطان فغضب وخرج على حمية وتبعه الأمير عز الدين بن صبرا والملك الأوحى وجماعة من مشايخ الأمراء يسترضونه فلم يرجع وركب هو ومن معه من حواشيه ومن الأمراء المذكورين وسار حتى وصل ماردين والتقى مع مقدم التتار فخدمهم مقدم التتار وأخذهم وتوجه بأطلاب التتار وعساكره إلى أن وصلوا إلى غازان ملك التتار وهو نازل بأرض السيب من أعمال واسط.

فلما قدم قبجق ومن معه على غازان سر بهم وأكرمهم ووعدهم ومناهم وأعطى لكل أمير عشرة آلاف دينار ولكل مملوك مائة دينار وللمماليك الصغار مع الركبدارية خمسين دينارًا وكل دينار من هذه الدنانير صرفه باثني عشر درهمًا ثم أقطع الأمير قبجق المذكور مدينة همذان وأعمالها فلم يقبل قبجق واعتذر أن ليس له قصد إلا أن يكون في صحبة السلطان الملك غازان ليرى وجهه في كل وقت! فأجابه غازان إلى ما سأله وأعجبه ذلك منه.

وكان لما خرج قبجق من حمص إلى جهة التتار وبلغ أمراء دمشق ذلك خرج في طلبه الأمير كجكن والأمير أيدغدي شقير بمماليكهم ومعهم أيضًا جماعة من عسكر الشام فوجدوه قد قطع الفرات ولحقوا بعض ثقله.

وعند وصول قبجق ومن معه إلى غازان بلغه قتل السلطان الملك المنصور لاجين بالديار المصرية وكان خبر قتل السلطان أيضًا بلغ الأمير كجكن والأمير أيدغدي لما خرجوا في أثر قبجق فانحلت عزائمهم عن اللحوق بقبجق ورجعوا عنه وإلا كانوا لحقوه وقتلوه.

وأما أمر السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين صاحب الترجمة فإنه لما أخذ في قبض من استوحش منهم من الأمراء وغيرهم وزاد في ذلك بإشارة مملوكه منكوتر استوحش الناس منه ونفرت قلوبهم وأجمعوا على عمل فتنة.

ثم فوض لمملوكه منكوتر جميع أمور المملكة فاستبد منكوتر بوظائف الملك ومهامه.

وانتهى حال أستاذه الملك المنصور معه إلى أن صار إذا رسم الملك المنصور لاجين مرسومًا أو كتب لأحد توقيعًا وليس هو بإشارة منكوتر يأخذه منكوتر من يد المعطى له وبمزقه في الملاء ويرده ويمنع أستاذه منه فعند ذلك استنقل الأمراء وطأة منكوتر وعلموا أن أستاذه الملك المنصور لا يسمع فيه كلام متكلم فعملوا على قتل أستاذه الملك المنصور لاجين.

قلت: الولد الخبيث يكون سببًا لاستجلاب اللعنة لوالده! انتهى.

وقال الأمير بيبرس الدوادار في تاريخه: وكان سبب قتل لاجين أمور منها: أنه لما أراد أن يتسلطن جاءه جماعة من الأمراء واشترطوا عليه شروطًا فالتزمها لاجين منها أنه يكون كأحدهم ولا ينفرد برأي عنهم ولا يسلط يد أحد من مماليكه فيهم وكان الأعيان الحاضرون في هذه المشورة والمتفقون على هذه الصورة: الأمير بدر الدين بيبرسي الشمسي والأمير قرا سنقر المنصوري والأمير سيف الدين قبجق والأمير الحاج بهادر أمير حاجب الحجاب والأمير كرت والأمير حسام الدين لاجين السلاح دار الرومي الأستاذ دار والأمير بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح والأمير عز الدين أيبك الخازندار والأمير جمال الدين أقوش الموصلي والأمير مبارز الدين أمير شكار والأمير بكتمر السلاح دار والأمير سيف الدين سلار والأمير طغجي والأمير كرجي والأمير طقطاي والأمير برلطاوي وغيرهم ولما حلف لهم الملك المنصور لاجين على ما شرطوا قال الأمير سيف الدين قبجق: نخشى أنك إذا جلست في المنصب تنسى هذا التقرير وتقدم الصغير من مماليكك على الكبير

وتفوض لمملوكك منكوتمر في التحكم والتدبير فتتصل لاجين من ذلك وكرر لاجين الحلف أنه لا يفعل فعند ذلك حلفوا له.

ورحلوا نحو الديار المصرية يعني أن ذلك كان بعد هروب الملك العادل كتبغا وعند دخول لاجين إلى غزة فوقع هذه الشروط كلها بمدينة غزة انتهى.

قال بيبرس: فلما تسلطن رتب الأمير شمس الدين قرا سنقر المنصوري نائبًا والأمير الحاج بهادر حاجبًا على عادته والأمير سلار أستاذًا والأمير بكتمر السلاح دار أمير اخور واستقر بالصاحب فخر الدين بن الخليلي في الوزارة ورتب الأمير قبجق نائب الشام ثم بعد مدة أفرج عن الأمير برلغي فأعطاه إقطاعًا بدمشق ثم أفرج عن الأمير بيبرس الجاشنكير وجماعة من الأمراء وأعطى بيبرس الجاشنكير إمرة بالقاهرة.

قلت: وبيبرس هذا هو الذي تسلطن فيما بعد حسب ما يأتي ذكره.

ثم برز مرسومه باستقرار الملك العادل كتبغا في نيابة صرخد وكتب له بها منشورًا.

انتهى كلام بيبرس باختصار لأنه خرج في سياق الكلام إلى غير ما نحن بصدده.

وقال غيره: ولما تسلطن لاجين وثبتت قدمه ورسخت نسي الشروط وقبض على أكابر خشداشيتته من أعيان أمراء مصر وأماثلهم مثل: الأمير قرا سنقر والبيبرسي وبكتمر السلاح دار وغيرهم وولى مملوكه منكوتمر نيابة السلطنة بل صار منكوتمر هو المتصرف في الممالك.

فعند ذلك نفرت قلوب الأمراء والجنود من الملك المنصور لاجين ودبروا عليه واستوحش هو أيضًا منهم واحترز على نفسه وقلل من الركوب ولزم القعاد بقلعة الجبل متخوفًا وكان كرجي خصيصًا به وهو أحد من كان أعانه على السلطنة فقدمه لاجين لما تسلطن على الممالك السلطانية فكان يتحدث في أشغالهم ويدخل للسلطان من أراد لا يحجبه عنه حاجب فحسده منكوتمر مع ما هو فيه من الحل والعقد في المملكة وسعى في إبعاد كرجي عن السلطان الملك المنصور لاجين.

فلما ورد البريد يخبر بأمر القلاع التي فتحها عسكر السلطان ببلاد الأرمن حسن منكوتمر إلى السلطان أن يرسل كرجي المذكور إليها نائبًا ليقم فيها فوافقه السلطان على ذلك وكلم كرجي فاستغفى كرجي من ذلك فأعفاه السلطان بعد أمور فكمن كرجي في نفسه.

ثم أخذ مع هذا منكوتمر يغلظ على الممالك السلطانية وعلى الأمراء الكبار في الكلام فعظم ذلك عليهم وتشاكوا فيما بينهم من منكوتمر وقالوا: هذا متى طالت مدته أخذنا واحدًا بعد واحد وأستاذه مرتبط به ولا يمكن الوثوب عليه أيام أستاذه فلم يجدوا بدًا من قتل أستاذه الملك المنصور لاجين قبله ثم يقتلونه بعده واتفقوا على ذلك.

قال الشيخ مجد الدين الحرمي وكيل بيت المال: كان الملك المنصور لاجين متزوجًا بنت الملك الظاهر بيبرس وكانت دينة عفيفة فحكت أنها رأت في المنام ليلة الخميس قبل قتل السلطان بليلة واحدة كان السلطان جالس في المكان الذي قتل فيه وكان عدة غربان سود على أعلى المكان وقد نزل منهم غراب فضرب عمامة السلطان فرماها عن رأسه وهو يقول: كرج كرج فلما ذكرت ذلك للسلطان قالت له: أقم الليلة عندنا فقال السلطان: ما ثم إلا ما قدره الله! وخرج من عندها إلى القصر بعد أن ركب في أول النهار

على العادة وكان صائمًا وهو يوم الخميس عاشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وستمئة فأفطر بالقصر.

ثم دخل إلى القصر الجواني بعد العشاء الآخرة وأخذ في لعب الشطرنج وعنده خواصه وهم: قاضي القضاة حسام الدين الحنفي والأمير عبد الله وبريد البدوي وإمامه محب الدين بن العسال فأول من دخل عليه كرجي وكان نوعيه السلاح دار من جملة المتفقين وهو في نوبته عند السلطان وكان كرجي مقدم البرجية والسلطان مكب على لعب الشطرنج فأوهم كرجي أنه يصلح الشمعة فرمى الفوطة على النيمجة ثم قال السلطان لكرجي: رحى بيت البرجية وغلقت عليهم والبرجية هم الآن مماليك الأطباق فقال كرجي: نعم يا خوند وقد كان أوقف كرجي أكثرهم في دهليز القصر فشكره السلطان وأثنى عليه من حضر فقال السلطان القاضي القضاة: لولا الأمير سيف الدين كرجي ما وصلت أنا إلى السلطنة فقبل كرجي الأرض وقال: يا خوند ما تصلي العشاء فقال السلطان: نعم وقام حتى يصلي فضربه كرجي بالسيف على كتفه فطلب السلطان النيمجة فلم يجدها فقام من هول الضربة ومسك كرجي ورماه تحته وأخذ نوعيه السلاح دار النيمجة وضرب بها رجل السلطان فقطعها فانقلب السلطان على قفاه يخور في دمه.

انتهى ما ذكره وكيل بيت المال.

وقال القاضي حسام الدين الحنفي: كنت عند السلطان فما شعرت إلا وستة أو سبعة أسياف نازلة على السلطان وهو مكب على لعب الشطرنج فقتلوه ثم تركوه وأنا عنده وغلقوا علينا الباب وكان سيف الدين طغجي قد قصد بقية البرجية المتفقين معه ومع كرجي في الدركاه فقال لهم: قضيتم الشغل فقالوا: نعم.

ثم إنهم توجهوا جميعًا إلى دار سيف الدين منكوتر وهو بدار النيابة من قلعة الجبل فدقوا عليه الباب وقالوا له: السلطان يطلبك فأنكر حالهم وقال لهم: قتلتم السلطان فقال له كرجي: نعم يا مابون وقد جئناك نقتلك فقال: أنا ما أسلم نفسي إليكم إنما أنا في حيرة الأمير سيف الدين طغجي فأجاره طغجي وحلف له أنه لا يؤذيه ولا يمكن أحدًا من أذيته ففتح داره فتسلموه وراحوا به إلى الجب فأنزلوه إلى عند الأمراء المحبوسين فلما دخل إلى الجب قام إليه الأمير شمس الدين سنقر الأعسر وتلقاه متهمًا عليه ثم قام إليه الأمير عز الدين أيبك الحموي وشتمه وأراد قتله لأن منكوتر هذا كان هو السبب في مسك هؤلاء الأمراء وإقلاب الدولة من حرصه على أن الأمر يفضي إليه ويتسلطن بعد أستاذه فأقام منكوتر نحو ساعة في الجب وراح الأمير طغجي إلى داره حتى يقضي شغلًا له فاغتنم كرجي غيبته وأخذ معه جماعة وتوجه إلى باب الحبس وأطلع منكوتر صورة أنهم يريدون تقيمه كما جرت العادة في أمر المحتبسين فامتنع من الطلوع فألحوا عليه وأطلعوه وذبحوه على باب الجب ونهبوا داره وأمواله.

ثم اتفقوا كما هم في الليل على سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون وعوده إلى ملكه كونه ابن أستاذهم وأن يكون سيف الدين طغجي نائب السلطنة ومهما عملوه يكون باتفاق الأمراء وأصبح نهار الجمعة حلفوا الأمراء والمقدمين والعسكر جميعه للملك الناصر محمد بن قلاوون ونائب السلطنة طغجي.

وسيروا في الحال خلف الملك الناصر محمد يطلبونه من الكرك وركب الأمير طغجي يوم السبت في الموكب والتف عليه العسكر وطلع إلى قلعة الجبل وحضر الأمراء الموكب ومد السماط كما جرت العادة به من غير هرج ولا غوغاء وكأنه لم يجر شيء وسكنت الفتنة وفرح غالب الناس بزوال الدولة لأجل منكوتر.

ودام ذلك إلى أن كان يوم الاثنين رابع عشر شهر ربيع الآخر من سنة ثمان وتسعين المذكورة وصل الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح عائداً من الشام من فتوح سييس وصحبته العساكر المتوجهة معه وكان قد راح إليه جماعة من أمراء مصر لتلقيه إلى بلييس وأعلموه بصورة الحال وقالوا له بأن الذي وقع من قتل الملك المنصور ليس هو عن رضاهم ولا علموا به وأغروه على قتل طغجي واتفقوا معه على ذلك وكانوا الأمراء المذكورون قد أشاروا قبل خروجهم على طغجي أن يخرج يلتقي الأمير بكتاش أمير سلاح فركب طغجي بكرة يوم الاثنين وتوجه نحوه حتى التقاه وتعانقا وتكارشا.

ثم قال أمير سلاح لطغجي: كان لنا عادة من السلطان إذا قدمنا من السفر يتلقانا وما أعلم ذنبي الآن ما هو كونه ما يلقاني اليوم! فقال له طغجي: وما علمت بما جري على السلطان السلطان قتل! فقال أمير سلاح: ومن قتله قال له بعض الأمراء وهو الأمير سيف الدين كرت أمير حاجب: قتله سيف الدين طغجي وكرجي فأنكر عليه وقال: كلما قام للمسلمين ملك تقتلونه! تقدم عني لا تلتصق بي وساق عنه أمير سلاح فتيقن طغجي أنه مقتول فحرك فرسه وساق فانقض عليه بعض الأمراء وقبض عليه بشعر دبوقة ثم علاه بالسيف وساعده على قتله جماعة من الأمراء فقتل وقتل معه ثلاثة نفر ومروا سائقين إلى تحت القلعة.

وكان كرجي قد قعد في القلعة لأجل حفظها فبلغه قتل رفيقة طغجي فألبس البرجية السلاح وركب في مقدار الذي فارس حتى يدفع عن نفسه فركبت جميع أجناد الحلقة والأمراء والمقدمين في خدمة أمير سلاح إلى الرابعة من النهار ثم حملوا العساكر على جماعة كرجي فهزموهم وساق كرجي وحده واعتقد أن أصحابه يتوجهون حيث توجه فلم يتبعه غير تبعه ونوغيه الكرموني أمير سلاح دار الذي كان أعانه على قتل الملك المنصور لاجين.

فلما أبعدهوا والقوم في أثرهم لحقه بعض خشداشيته وضربه بالسيف حل كتفه ثم ساعده بعض الأمراء حتى قتل وقتل معه نوغيه الكرموني السلاح دار الذي كان أعانه على قتل لاجين المقدم ذكره واثنًا عشر نفرًا من مماليكهما وأصحابهما وبطلت الغوغاء وسكنت الفتنة في الحال.

واستقر الأمر أيضًا على تولية السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون كما كان دبره طغجي وكرجي وسيروا بطلبه وحثوا الطلب في قدومه من الكرك إلى الديار المصرية وبقي يدبر الأمور ويعلم على الكتب المسيرة إلى البلاد ثمانية أمراء إلى أن حضر السلطان وهم: الأمير سيف الدين سبار والأمير سيف الدين كرت والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير والأمير عز الدين أبيك الخازندار والأمير جمال الدين أقوش الأفرم الصغير والأمير حسام الدين لاجين أستاذ الدار والأمير سيف الدين بكتمر أمير جاندار والأمير جمال الدين عبد الله السلاح دار وجميعهم منصورية قلاونية وغالبهم قد أخرج من السجن بعد قتل لاجين.

يأتي ذلك كله في ترجمة الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية عند عوده إلى السلطنة إن شاء الله تعالى.

وأما السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين فإنه أخذ بعد قتله وغسل وكفن بترته بالقرافة الصغرى بالقرب من سفح المقطم ودفن مملوكه منكوتر تحت رجليه.

قتل الملك المنصور لاجين وهو في عشر الخمسين أو جاوزها بقليل وقد تقدم التعريف به في عدة تراجم مما تقدم ونذكر هنا أيضًا من أحواله ما يتضح التعريف به ثانيًا.

كان لاجين ملكًا شجاعًا مقدمًا عارقًا عاقلاً حسيماً وقورًا معظمًا في الدول.

طالت أيامه في نيابة دمشق أيام أستاذه في السعادة وهو الذي أبطل الثلج الذي كان ينقل في البحر من الشام إلى مصر وقال: أنا كنت نائب الشام وأعلم ما يقاسي الناس في وسقه من المشقة وكان - رحمه الله - تام القامة أشقر في لحيته طول يسير وخفة ووجه رقيق معرق وعليه هيبة ووقار وفي قده رشاقة وكان ذكيًا نبهًا شجاعًا حذورًا ولما قتل الملك الأشرف خليل بن قلاوون هرب هو وقراسنقر فإنهما كانا أغانا الأمير بيدرا على قتله حسب ما ذكرناه ترجمة الملك الأشرف المذكور بل كان لاجين هذا هو الذي تمم قتله ولما هرب جاء هو وقراسنقر إلى جامع أحمد بن طولون وطلعا إلى المئذنة واستترا فيها وقال لاجين: لئن نجانا الله من هذه الشدة وصرت شيئًا عمرت هذا الجامع.

قلت: وكذا فعل رحمه الله تعالى فإنه لما تسلطن أمر بتجديد جامع أحمد ابن طولون المذكور ورتب في شد عمارته وعمارة أوقافه الأمير علم الدين أبا موسى سنجر بن عبد الله الصالحي النجمي الدواداري المعروف بالبرنلي وكان من أكابر أمراء الألوفا بالديار المصرية وفوض السلطان الملك المنصور لاجين أمر الجامع المذكور وأوقافه إليه فعمره وعمر وقفه وأوقف عليه عدة قرى وقرر فيه دروس الفقه والحديث والتفسير والطب وغير ذلك وجعل من جملة ذلك وقفًا يختص بالديكة التي تكون في سطح الجامع المذكور في مكان مخصوص بها وزعم أن الديكة تعين الموقتين وتوقظ المؤذنين في السحر وضمن ذلك كتاب الوقف فلما قرىء كتاب الوقف على السلطان وما شرطه أعجبه جميعه فلما انتهى إلى ذكر الديكة أنكر السلطان ذلك وقال: أبطلوا هذا لئلا يضحك الناس علينا وأمضى ما عدا ذلك من الشروط والجامع المذكور عامر بالأوقاف المذكورة إلى يومنا هذا ولولاه لكان دثر وخرب فإن غالب ما كان أوقفه صاحبه أحمد بن طولون خرب وذهب أثره فجدده لاجين هذا وأوقف عليه هذه الأوقاف الجمدة فعمر وبقي إلى الآن. انتهى.

وكان المنصور لاجين فهمًا كريم الأخلاق متواضعًا.

يحكى أن القاضي شهاب الدين محمود كان يكتب بين يديه فوقع من الحبر على ثيابه فأعلمه السلطان بذلك فنظم في الحال بيتين وهما: السريع ثياب مملوكك يا سيدي قد بيضت حالي بتسويدها ما وقع الحبر عليها بلى وقع لي منك بتجديدها فأمر له المنصور بتفصيلتين وخمسائة درهم فقال الشهاب محمود: يا خوند ممالكك الجماعة رفاقي يبقى ذلك في قلوبهم فأمر لكل منهم بمثل ذلك وصارت راتبًا لهم في كل سنة.

وقال الشيخ صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي في تاريخه: حكى لي الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس: لما دخل عليه لم يدعه يبوس الأرض وقال: أهل العلم منزهون عن هذا وأجلسه عنده وأظنه قال: على المقعد ورتبه موقعًا فباشر ذلك أيامًا واستعفى فأعفاه وجعل المعلوم له راتبًا فتناوله إلى أن مات.

ولما تسلطن مدحه القاضي شهاب الدين محمود بقصيدة أولها: البسيط ولما تسلطن الملك المنصور لاجين تفاعل الناس واستبشروا بسلطنته وجاء في تلك السنة غيث عظيم بعدما كان تأخر فقال في ذلك الشيخ علاء الدين الوداعي: السريع يا أيها العالم بشراكم بدولة المنصور رب الفخار فالله قد بارك فيها لكم فأمطر الليل وأضحى النهار وكانت مدة سلطنة المنصور لاجين على الديار المصرية سنتين وثلاثة شهور.

قال الأديب صلاح الدين الصفدي: وكان دينًا متقشفًا كثير الصوم قليل الأذى.

قطع أكثر المكوس وقال: إن عشت ما تركت مكسًا واحدًا.

قلت: كان فيه كل الخصال الحسنة لولا توليته مملوكه منكوتر الأمور ومحبتة له وهو السبب في هلاكه حسب ما تقدم.

وتسلطن من بعده ابن أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون: طلب من الكرك وأعيد إلى السلطنة انتهت ترجمة الملك المنصور لاجين.

رحمه الله تعالى.

السنة الأولى من سلطنة الملك المنصور لاجين وهي سنة ست وتسعين وستمائة.

على أن الملك العادل كتبها حكم منها المحرم وأيامًا من صفر.

فيها كان خلع الملك العادل كتبها المنصوري من السلطنة وتوليته نيابة صرخد وسلطنة الملك المنصور لاجين هذا من بعده حسب ما تقدم ذكره.

وفيها في ذي القعدة مسك الملك المنصور لاجين الأمير شمس الدين قرا سنقر المنصوري نائب السلطنة بديار مصر وحبس وولى عوضه مملوكه منكوتر.

وفيها ولي قضاء دمشق قاضي القضاة إمام الدين القزويني عوضًا عن القاضي بدر الدين بن جماعة واستمر ابن جماعة المذكور على خطابة جامع دمشق.

وفيها تولى سلطنة اليمن الملك المؤيد هزبر الدين داود ابن الملك المظفر شمس الدين يوسف ابن الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول بعد موت أخيه الأشرف.

وفيها توفي الشيخ الإمام العلامة مفتي المسلمين محيي الدين أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن هبة الله بن طارق بن سالم بن النحاس الحلبي الأسدي الحنفي في ليلة سلخ المحرم ببستانه بالمزة ودفن بترتته بالمزة وحضر جنازته نائب الشام ومن دونه وكان إمامًا مفتيًا في علوم وتولى عدة تداريس ووظائف دينية ووزر بالشام للملك المنصور قلاوون وحسنت سيرته ثم عزل ولازم الأشغال والإقراء وانتفع به عامة أهل دمشق ومات ولم يخلف بعده مثله.

وفيها توفي الملك الأشرف ممهد الدين عمر ابن الملك المظفر يوسف ابن الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول ملك اليمن وتولى بعده أخوه هزبر الدين داود المقدم ذكره وكانت مدة ملكه دون السنتين.

وفيها توفي القاضي تاج الدين عبد القادر ابن القاضي عز الدين محمد السنجاري الحنفي قاضي قضاة الحنفية بحلب في يوم الخميس ثامن عشرين شعبان كان إمامًا فقيها عالمًا مفتيًا.

ولي القضاء بعدة بلاد وحمدت سيرته.

وفيها توفي الأمير عز الدين أزدمر بن عبد الله العلاني في ذي القعدة بدمشق وكان أميرًا كبيرًا معظما إلا أنه شرس الأخلاق قليل الفهم رسم له الملك الظاهر بيبرس أنه لا يركب بسيف فبقي أكثر من عشرين سنة لا يركب بسيف وهو أخو الأمير علاء الدين طيبرس الوزيري.

وفيهما توفي شيخ الحرم وفقهه الحجاز رضي الدين محمد بن أبي بكر عبد الله بن خليل بن إبراهيم القسطلاني المكي المعروف بابن خليل.

مولده سنة ثلاث وثلاثين وستمائة وكان فقيهاً عالمًا مفتيًا وله عبادة وصلاح وحسن أخلاق.

مات بمكة بعد خروج الحاج بشهر ودفن بالمعلاة بالقرب من سفیان الثوري.

ومن شعره رحمه الله: الخفيف أيها النازح المقيم بقلبي في أمان أنى حللت ورحب جمع الله بيننا عن قريب فهو أقصى مناي منك وحسبي الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي القاضي تاج الدين عبد الخالق بن عبد السلام بن سعيد ببعليك في المحرم وله ثلاث وتسعون سنة.

وقاضي القضاة عز الدين عمر بن عبد الله بن عمر بن عرض الحنبلي بالقاهرة والحافظ الزاهد جمال الدين أحمد بن محمد بن عبد الله الظاهري بمصر.

والمحدث ضياء الدين عيسى بن يحيى السبتى بالقاهرة في رجب.

وَالزاهد شمس الدين محمد بن حامد المقدسي في ذي الحجة وأبو العباس أحمد بن عبد الكريم في صفر.

▲ أمر النيل في هذه السنة

: الماء القديم كان قليلاً جدًا مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعًا وثمانية عشرة إصبعًا ثم نقص ولم يوف في تلك السنة.

السنة الثانية من سلطنة الملك المنصور لاجين وهي سنة سبع وتسعين وستمائة.

فيها مسك الملك المنصور لاجين الأمير بدر الدين بيسري الشمسي وحبسه واحتاط على وجوده وفيها أخذت العساكر المصرية تل حمدون وقلعتها بعد حصار ومرعش وغيرهما وفيها قدم الملك المسعود نجم الدين خضر ابن السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقاري من بلاد الأشكري إلى مصر فتلقيه السلطان الملك المنصور لاجين في الموكب وأكرمه.

وطلب الملك المسعود الحج فأذن له بذلك وكان الملك الأشرف خليل بن قلاوون أرسله إلى هناك وسكن الملك المسعود بالقاهرة إلى أن مات بها حسب ما يأتي ذكره وكان خضر هذا من أحسن الناس شكلاً ولما ختنه أبوه قال فيه القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر يهنىء والده الملك الظاهر ركن الدين بيبرس: هنأت بالعيد وما على الهناء اقتصر بل إنها بشارة لها الوجود مفتقر بفرحة قد جمعت ما بين موسى والخضر قد هيات لوردكم ماء الحياة المنهمر قلت: وأحسن من هذا قول من قال في مليح حليق: الرمل مرت موسى على عارضه فكان الماء بالأس غمر مجمع البحرين أضحى خده إذ تلاقى فيه موسى والخضر وفيها توفي الشيخ الصالح الزاهد بقية المشايخ بدر الدين حسن ابن الشيخ الكبير القدوة العارف نور الدين أبي الحسن علي بن منصور الحريري في يوم السبت عاشر شهر ربيع الآخر بزأوته بقربة بسر من أعمال زرع وكان هو المتعين بعد أبيه في الزاوية وعلى الطائفة الحيريرية المنسوبين إلى والده ومات وقد جاوز الثمانين.

وفيها توفي قاضي القضاة صدر الدين إبراهيم بن أحمد بن عقبة البصراوي الفقيه الحنفي المدرس أحد أعيان فقهاء الحنفية ولي قضاء حلب ثم عزل ثم أعيد فمات قبل دخوله حلب وكان عالمًا مفتيًا وله اليد الطولى في الجبر والمقابلة والفرائض وغير ذلك.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر الفارسي الأبي في رمضان وعائشة ابنة المجد عيسى بن الموفق المقدسي في شعبان ولها ست وثمانون سنة.

وقاضي حماة جمال الدين محمد بن سالم بن واصل في شوال.

وشهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن النابلسي الحنبلي العابر والشيخ كمال الدين عبد الرحمن بن عبد اللطيف البغدادي بن المكبر في ذي الحجة وله ثمان وتسعون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وعشر أصابع.

وكان الوفاء آخر أيام النسيء.

على مصر السلطان الملك الناصر ناصر الدين أبو المعالي محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون تقدم ذكر مولده في ترجمته الأولى من هذا الكتاب أعيد إلى السلطنة بعد قتل الملك المنصور لاجين فإنه كان لما خلع من الملك بالملك العادل كتبغا المنصوري أقام عند والدته بالدور من قلعة الجبل إلى أن أخرجه الملك المنصور لاجين لما تسلطن إلى الكرك فأقام الملك الناصر بالكرك إلى أن قتل الملك المنصور لاجين حسب ما ذكرناه أجمع رأي الأمراء على سلطنته ثانيًا وخرج إليه الطلب من الديار المصرية صبيحة الحادي عشر من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وستمئة وهو ثاني يوم قتل لاجين وسار الطلب إليه فلما قتل طعجي وكرجي في يوم الاثنين رابع عشره استحثوا الأمراء في طلبه وتكرر سفر القصاد له من الديار المصرية إلى الكرك حتى إذا حضر إلى الديار المصرية في ليلة السبت رابع جمادى الأولى من السنة وبات تلك الليلة بالإسطنبول السلطاني ودام به إلى أن طلع إلى القلعة في بكرة يوم الاثنين سادس جمادى الأولى المذكور.

وحضر الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد والقضاة وأعيد إلى السلطنة وجلس على تخت الملك وكان الذي توجه من القاهرة بطلبه الأمير الحاج آل ملك والأمير سنجر الجاولي.

فلما قدما إلى الكرك كان الملك الناصر بالغور يتصيد فتوجهها إليه ودخل أقوش نائب الكرك إلى أم السلطان وبشرها فخافت أن تكون مكيدة من لاجين فتوقفت في المسير فما زال بها حتى أجابت.

ووصل الأميران إلى الملك الناصر بالغور وقبلوا الأرض بين يديه وأعلماه بالخبر فرحب بهما وعاد إلى البلد وتهيأ وأخذ في تجهيز أمره والبريد يترادف باستحثائه إلى أن قدم القاهرة فخرج الأمراء وجميع الناس قاطبة للقاءه وكادت القاهرة ومصر ألا يتأخر بهما أحد فرحًا بقدومه وكان خروجهم في يوم السبت وأظهر الناس لعوده إلى الملك من السرور ما لا يوصف ولا يحد وزينت القاهرة ومصر بأفخر زينة وأبطل الناس معايشهم وضجوا له بالدعاء والشكر لله على عوده إلى الملك وأسمعوا حواشي الملك العادل كتبغا

والملك المنصور لاجين من المكروه والاستهزاء ما لا مزيد عليه واستمروا في الفرح والسرور إلى يوم الاثنين وهو يوم جلوسه على تخت الملك.

وجلس على تخت الملك في هذه المرة الثانية وعمره يومئذ نحو أربع عشرة سنة.

ثم جدد للملك الناصر العهد وخلع على الأمير سيف الدين سلار بنبابة السلطنة وعلى الأمير حسام الدين لاجين بالاستادارية على عادته واستمر الأمير أقوش الأفرم الصغير بنبابة دمشق على عادته وخلع عليه وسفر بعد أيام.

وفي معنى سلطنة الملك الناصر محمد يقول الشيخ علاء الدين الوداي الملك الناصر قد أقبلت دولته مشرقة الشمس عاد إلى كرسيه مثلما عاد سليمان إلى الكرسي وفي تاسع جمادى الأولى فرقت الخلع على جميع من له عادة بالخلع من أعيان الدولة.

وفي ثاني عشره لبس الناس الخلع وركب السلطان الملك الناصر بالخلعة الخليفية وأبهة السلطنة وشعار الملك ونزل من قلعة الجبل إلى سوق الخيل ثم عاد إلى القلعة وترجل في خدمته جميع الأمراء والأكابر وقبلوا الأرض بين يديه.

واستقرت سلطنته وتم أمره وكتبت البشائر بذلك إلى الأقطار وسر الناس بعوده إلى الملك سرورًا زائدًا بسائر الممالك.

وبعد أيام ورد الخبر عن غازان ملك التتار أنه قد عزم على قصد البلاد الشامية لما قدم عليه الأمير قبجق المنصوري نائب الشام ورفقته ثم رأى غازان أن يجهز سلامش بن أباجو من خمسة وعشرين ألفًا من الفرسان إلى بلاد الروم على أنه يأخذ بلاد الروم ويتوجه بعد ذلك بسائر عساكره إلى الشام من جهة بلاد سيبس ويجيء غازان من ديار بكر وينزلون على الفرات ويغيرون على البيرة والرحبة وقلعة الروم ويكون اجتماعهم على مدينة حلب فإن اتقاهم أحد من العساكر المصرية والشامية التقوه وإلا دخلوا بلاد الشام فاتفق أن سلامش لما توجه من عند قازان ودخل إلى الروم أطمعته نفسه بالملك وملك الروم وخلع طاعة غازان واستخدم الجند وأنفق عليهم وخلع على أكابر الأمراء ببلاد الروم وكانوا أولاد قرمان قد أطاعوه ونزلوا إلى خدمته وهم فوق عشرة آلاف فارس.

وهذا الخبر أرسله سلامش المذكور إلى مصر وأرسل في ضمن ذلك يطلب من المصريين النجدة والمساعدة على غازان.

قلت: غازان وقازان كلاهما اسم لملك التتار.

انتهى.

وكان وصول رسول سلامش بهذا الخبر إلى مصر في شعبان من السنة.

وأما قازان فإنه وصل إلى بغداد وكانوا متولين بغداد من قبله شكوا إليه من أهل السيب والعربان أنهم ينهبون التجار القادمين من البحر وأنهم قد قطعوا السابلة فسار قازان بنفسه إليهم ونهبهم وأقام بأرض دقوقا مشتيًا.

ولما بلغه خبر سلامش انثنى عزمه عن قصد الشام وشرع في تجهيز العساكر مع ثلاثة مقدمين ومعهم خمسة وثلاثون ألف فارس: منها خمسة عشر مع الأمير سوتاي وعشرة مع هندوجاغان وعشرة مع بولاي وهو المشار إليه من المقدمين مع العساكر وسفرهم إلى الروم لقتال سلامش.

ثم رحل قازان إلى جهة تبريز ومعه الأمير قبجق المنصوري نائب الشام وبكتمر السلاح دار والألبكي وبزلار هؤلاء هم الذين خرجوا من دمشق مغاضبين للملك المنصور لاجين.

وسار التتار الذين أرسلهم غازان حتى وصلوا إلى الروم في أواخر شهر رجب والتقوا مع سلامش وكان سلامش قد عصى عليه أهل سيواس وهو يحاصرهم فتركهم سلامش وتجهز وجهز عساكره لملتقى التتار وكان قد جمع فوق ستين ألف فارس.

فلما قارب التتار فر من عسكر سلامش التتار والروم ولحقوا بولاي مقدم عساكر غازان.

وأما التركمان فإنهم تركوه وصعدوا إلى الجبال على عادتهم وبقي سلامش في جمع قليل دون خمسمائة فارس فتوجه بهم من سيواس إلى جهة سيس وسار منها فوصل إلى بهسنا في أواخر شهر رجب.

وكان السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون قد برز مرسومه إلى نائب الشام بأن يجرد خمسة أمراء من حمص وخمسة من حماة وخمسة من حلب لتكملة خمسة عشر أميرًا وبيعهم نجدة إلى سلامش فلما وصل الخبر بقدم سلامش إلى بهسنا منهزمًا توقف العسكر عن المسير ثم وصل سلامش إلى دمشق.

وسلامش هذا هو من أولاد عم غازان وهو سلامش بن أباجو بن هولوكو.

وكان وصوله إلى دمشق في يوم الخميس ثاني عشر شعبان فتلقاه نائب الشام واحتفل لملاقاته احتفالًا عظيمًا وأكرمه وقدم في خدمته نائب بهسنا الأمير بدر الدين بكتاش الزردكاش ثم سار سلامش من دمشق إلى جهة الديار المصرية إلى أن وصلها فأكرمه السلطان غاية الإكرام وأقام بمصر أيامًا قليلة ثم عاد إلى حلب بعد أن اتفق معه أكابر دولة الملك الناصر محمد علي أمر يفعلونه إذا قدم غازان إلى البلاد الشامية ثم بعد خروجه جهز السلطان خلفه أربعة آلاف فارس من العسكر المصري نجدة له لقتال التتار وأيضًا كالمقدمة للسلطان وعلى كل ألف فارس أمير مائة ومقدم ألف فارس وهم: الأمير جمال الدين أقوش قتال السبع والمبارز أمير شكار والأمير جمال الدين عبد الله والأمير سيف الدين بلبان الحبشي وهو المقدم على الجميع وساروا الجميع إلى بلاد حلب وتهيا السلطان للسفر وتجهزت أمراؤه وعساكره.

وخرج من الديار المصرية بأمرائه وعساكره في يوم الخميس سادس عشرين ذي الحجة الموافق لسادس عشرين توت أحد شهور القبط.

هذا والعساكر الشامية في التهيؤ لقتال التتار وقد دخلهم من الرعب والخوف أمر لا مزيد عليه وسار السلطان بعساكره إلى البلاد الشامية بعد أن تقدمه أيضًا جماعة من أكابر أمراء الديار المصرية غير أولئك كالجاليش على العادة وهم: الأمير قطلوبك والأمير سيف الدين كزناي وهو من كبار الأمراء: كان حما الملكين الصالح والأشرف أولاد قلاوون وجماعة أمراء آخر ودخلوا هؤلاء الأمراء قبل السلطان إلى الشام بأيام فاطمان خواطر أهل دمشق بهم.

وسافر السلطان بالعساكر على مهل وأقام بغزة وعسقلان أيامًا كثيرة ثم دخل إلى دمشق يوم الجمعة ثامن شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وستمائة واحتفل أهل دمشق لدخوله احتفالًا عظيمًا ودخل السلطان بتجمل عظيم زائد عن الوصف حتى لعله زاد على الملوك الذين كانوا قبله ونزل بقلعة دمشق بعد أن أقام بغزة وغيرها نحو الشهرين في الطريق إلى أن ترادفت عليه الأخبار بقرب التتار إلى البلاد الشامية فقدم دمشق وتعين حضوره إليها ليجتمع بعساكره السابقة له وأقام السلطان بدمشق وجهز عساكرها إلى

جهة البلاد الحلبية أمامه ثم خرج هو بأمرائه وعساكره بعدهم في يوم الأحد السابع عشر من شهر ربيع الأول من سنة تسع وتسعين المذكورة في وسط النهار وسار من دمشق إلى حمص وابتهل الناس له بالدعاء وعظم خوف الناس وصياحهم وبكاؤهم على الإسلام وأهله.

ووصل السلطان إلى حمص وأقام لابس السلاح ثلاثة أيام بلياليها إلى أن حصل الملل والضجر وغلت الأسعار بالعسكر وقلت العلوفات.

وبلغ السلطان أن التتار قد نزلوا بالقرب من سلمية وأنهم يريدون الرجوع إلى بلادهم لما بلغهم من كثرة الجيوش واجتماعهم على قتالهم - وكان هذا الخبر مكيدة من التتار - فركب السلطان بعساكره من حمص بكرة يوم الأربعاء وقت الصبح السابع والعشرين من شهر ربيع الأول وساقوا الخيل إلى أن وصلوا إليهم وهم بالقرب من سلمية بمكان يسمى وادي الخازندار فركب التتار للقائهم وكانوا تهيؤوا لذلك وكان الملتقى في ذلك المكان في الساعة الخامسة من نهار الأربعاء المذكور وتصادما وقد كلت خيول السلطان وعساكره من السوق والتحم القتال بين الفريقين وحملت ميسرة المسلمين عليهم فكسرتهم أقبح كسرة وقتلوا منهم جماعة كثيرة نحو خمسة آلاف أو أكثر ولم يقتل من المسلمين إلا اليسير.

ثم حملت القلب أيضًا حملة هائلة وصدمت العدو أعظم صدمة وثبت كل من الفريقين ثباتًا عظيمًا ثم حصل تخاذل في عسكر الإسلام بعضهم في بعض - بلاء من الله تعالى - فانهمزمت ميمنة السلطان بعد أن كان لاح لهم النصر فلا قوة إلا بالله.

ولما انهزمت الميمنة انهزم أيضًا من كان وراء السناجق السلطانية من غير قتال وألقى الله تعالى الهزيمة عليهم فانهمز جميع عساكر الإسلام بعد النصر وساق السلطان في طائفة يسيرة من أمرائه ومدبري مملكته إلى نحو بعلبك وتركوا جميع الأثقال ملقاة فبقيت العدد والسلاح والغنائم والأثقال ملأت تلك الأراضي حتى بقيت الرماح في الطرق كأنها القصب لا ينظر إليها أحد ورمى الجند خوذهم عن رؤوسهم وجواشئهم وسلاحهم تخفيًا عن الخيل لتنجيهم بأنفسهم وقصدوا الجميع دمشق.

وكان أكثر من وصل إلى دمشق من المنهزمين من طريق بعلبك.

ولما بلغ أهل دمشق وغيرها كسرة السلطان عظم الضجيج والبكاء وخرجت المخدرات حاسرات لا يعرفن أين يذهبن والأطفال بأيديهن وصار كل واحد في شغل عن صاحبه إلى أن ورد عليهم الخبر أن ملك التتار قازان مسلم وأن غالب جيشه على ملة الإسلام وأنهم لم يتبعوا المنهزمين وبعد انفصال الوقعة لم يقتلوا أحدًا ممن وجدوه وإنما يأخذون سلاحه ومركوبه ويطلقونه فسكن بذلك روع أهل دمشق قليلًا.

ثم صار من وصل إلى دمشق أخذ أهله وحواصله بحيث الإمكان وتوجه إلى جهة مصر وبقي من بقي بدمشق في خمدة وحيرة لا يدرون ما عاقبة أمرهم فطائفة تغلب عليهم الخوف وطائفة يترجون حقن الدماء وطائفة يترجون أكثر من ذلك من عدل وحسن سيرة واجتمعوا في يوم الأحد بمشهد علي من الجامع الأموي واشتوروا في أمر الخروج إلى ملك التتار غازان وأخذهم أمانًا لأهل البلد فحضر من الفقهاء قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة وهو يومئذ خطيب جامع أهل دمشق والشيخ زين الدين الفارقي والشيخ تقي الدين بن تيمية وقاضي قضاة دمشق نجم الدين ابن صصرى والصاحب فخر الدين بن الشيرجي والقاضي عز الدين بن الزكي والشيخ وجيه الدين بن المنجا والشيخ عز الدين بن القلانسي وابن عمه شرف الدين وأمين الدين بن شقير الحراني والشريف زين الدين بن عدنان والصاحب شهاب الدين الحنفي والقاضي شمس الدين بن الحريري والشيخ

محمد بن قوام النابلسي وجلال الدين أخو القاضي إمام الدين القزويني - وقد خرج أخوه إمام الدين قبل ذلك مع جماعة جافلا إلى مصر - وجلال الدين ابن القاضي حسام الدين الحنفي وجماعة كثيرة من العدول والفقهاء والقراء.

وأما السلطان الملك الناصر وعساكره فإنه سار هو بخواصه بعد الواقعة إلى جهة الكسوة.

وأما العساكر المصرية والشامية فلا يمكن أن يعبر عن حالهم: فإنه كان أكبر الأمراء يرى وهو وحده وقد عجز عن الهرب ليس معه من يقوم بخدمته وهو مسرع في السير خائف متوجه إلى جهة الكسوة لا يلوي على أحد قد دخل قلوبهم الرعب والخوف تشتمهم العامة وتوبخهم بسبب الهزيمة من التتار وكونهم كانوا قبل ذلك يحكمون في الناس ويتعاضمون عليهم وقد صار أحدهم الآن أضعف من الهزيل وأمعنوا العامة في ذلك وهم لا يلتفتون إلى قولهم ولا ينتقمون من أحد منهم.

قلت: وكذا وقع في زماننا هذا في وقعة تيمورلنك وأعظم فإن هؤلاء قاتلوا وكسروا ميمنة التتار إلا أصحابنا فإنهم سلموا البلاد والعباد من غير قتال! حسب ما يأتي ذكره في محله من ترجمة السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق.

انتهى.

قال: وعجز أكثر الأمراء والجنود عن التوجه إلى جهة مصر خلف السلطان بسبب ضعف فرسه فصار الجندي يغير زيه حتى يقيم بدمشق خيفة من توبيخ العامة له حتى إن بعضهم حلق شعره وصار بغير دبوقة.

قال الشيخ قطب الدين اليونيني: مع أن الله تعالى لطف بهم لطفًا عظيمًا إذ لم يسق عدوهم خلفهم ولا تبعهم إلا حول المعركة وما قاربها وكان ذلك لطفًا من الله تعالى بهم وبقي الأمر على ذلك إلى آخر يوم الخميس سادس شهر ربيع الآخر فوصل أربعة من التتار ومعهم الشريف القمي وتكلموا مع أهل دمشق فلم ينبرم أمر.

ثم قدم من الغد آخر ومعه فرمان يعني مرسومًا من غازان بالأمان وقرىء بالمدرسة البادرانية ثم وقع بعد ذلك أمور يطول شرحها من أن قازان أرسل إلى أهل دمشق وعرفهم أنه يحب العدل والإحسان للرعية وإنصاف المظلوم من الظالم وأشياء من هذا النمط فحصل للناس بذلك سكون وطمأنينة.

ثم دخل الأمير قبجق المنصوري الذي كان نائب دمشق قبل تاريخه وهرب من الملك المنصور لاجين إلى غازان ومعه رفقته الأمير بكتمر السلاح دار وغيره إلى دمشق وكلموا الأمير أرجواش المنصوري خشداشهم نائب قلعة دمشق في تسليمها إلى غازان وقالوا له: دم المسلمين في عنقك إن لم تسلمها فأجابهم: دم المسلمين في أعناقكم أنتم الذين خرجتم من دمشق وتوجهتم إلى غازان وحسنتم له المجيء إلى دمشق وغيرها ثم وبخهم ولم يسلم قلعة دمشق وتهيا للقتال والحصار واستمر على حفظ القلعة.

ثم ترادفت قصاد غازان إلى أرجواش هذا وطال الكلام بينهم في تسليم القلعة فثبته الله تعالى ومنع ذلك بالكلية وملك قازان دمشق وخطب له بها في يوم الجمعة رابع عشر شهر ربيع الآخر.

وصورة الدعاء لغازان أن قال الخطيب: " مولانا السلطان الأعظم سلطان الإسلام والمسلمين مظفر الدنيا والدين محمود غازان " وصلى الأمير قبجق المنصوري وجماعة

من المغل بالمقصورة من جامع دمشق ثم أخذ التتار في نهب قرى دمشق والفساد بها ثم بجبل الصالحية وغيرها وفعلوا تلك الأفعال القبيحة ثم قرروا على البلد تقارير تضاعفت غير مرة وحصل على أهل دمشق الذل والهوان وطال ذلك عليهم وكان متولي الطلب من أهل دمشق الصفي السنجاري وعلاء الدين أستاذار قبجق وابنا الشيخ الحريري الحن والبن وعمل الشيخ كمال الدين الزملكاني في ذلك قوله: لهفي على جلق يا شرما لقيت من كل عالج له في كفره فن بالطم والرم جاؤوا لا عديد لهم فالجن بعضهم والحن والبن وللشيخ عز الدين عبد الغني الجوزي في المعنى: بلينا بقوم كالكلاب أخسة علينا بغارات المخاوف قد شنوا هم الجن حقًا ليس في ذاك ريبة ومع ذا فقد والاهم الحن والبن ولابن قاضي شهبه: الطويل رمتنا صروف الدهر حقًا بسبعة فما أخذ منا من السبع سالم غلاء وغازان وغزو وغارة وغدر وإغبان وعم ملازم وفي المعنى يقول أيضًا الشيخ علاء الدين الوداي وأجاد: الطويل أتى الشام مع غازان شيخ مسلك على يده تاب الورى وتزهّدوا فخلوا عن الأموال والأهل جملة فما منهم إلا فقير مجرد ودامت هذه الشدة على أهل دمشق والحصار عمال في كل يوم على قلعة دمشق حتى عجزوا عن أخذها من يد أرجواش المذكور قلت: على أن أرجواش كان عنده سلامة باطن إلى الغاية يأتي ذكره بعض أحواله في الوفيات من سنين الملك الناصر محمد بن قلاوون.

انتهى.

قال: وتم جبي المال وأخذه غازان وسافر من دمشق في يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الأولى بعد أن ولى الأمير قبجق المنصوري نيابة الشام على عادته أولًا وقرر بدمشق جماعة آخر يطول الشرح في ذكرهم.

وأقام الأمير قطلوشاه مقدم عساكر التتار بعد غازان بدمشق بجماعة كثيرة من التتار لأخذ ما بقي من الأموال ولحصار قلعة دمشق ودام على ذلك حتى سافر من دمشق ببقية التتار في يوم الثلاثاء ثالث عشرين جمادى الأولى وخرج الأمير قبجق نائب الشام لتوديعه ثم عاد يوم الخميس خامس عشرينه وانقطع أمر المغل من دمشق بعد أن قاسى أهلها شدائد وذهبت أموالهم.

قال ابن المنجا: إن الذي حمل إلى خزانة قازان خاصة نفسه ثلاثة آلاف وستمائة ألف سوى ما محق عليهم من التراسيم والبراطيل والاستخراج لغيره من الأمراء والوزراء وغير ذلك بحيث إن الصفي السنجاري استخرج لنفسه أكثر من ثمانين ألف درهم وللأمير إسماعيل مائتي ألف درهم وللوزير نحو أربعمائة ألف وقس على هذا.

واستمر بدمشق ورسم أن ينادى في دمشق بأن أهل القرى والحواضر يخرجون إلى أماكنهم: رسم بذلك سلطان الشام حاج الحرمين سيف الدين قبجق.

وصار قبجق يركب بالعصاة والشاوبشية بين يديه وأجتمع الناس عليه.

كل ذلك والقتال والمباينة واقعة بين الأمير أرجواش نائب قلعة دمشق وبين قبجق المذكور ونواب قازان والرسيل تمشي بينهم في الصلح وأرجواش يأبى تسليم القلعة له فله در هذا الرجل! ما كان أثبت جنانه مع تغفل كان فيه حسب ما يأتي ذكره.

هذا وقبجق غير مستبد بأمر الشام بل غالب الأمر بها لنواب قازان مثل بولاي وغيره.

ثم سافر بولاي من دمشق بمن كان بقي معه من التتار في عشية يوم السبت الرابع من شهر رجب ومعه قبجق وقد أشبع أن قبجق يريد الانفصال عن التتار.

وبعد خروجهما استبد أرجواش نائب قلعة دمشق بتدبير أمور البلد.

وفي يوم الجمعة سابع عشر شهر رجب أعيدت الخطبة بدمشق إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون وللخليفة الحاكم بأمر الله على العادة ففرح الناس بذلك.

وكان أسقط اسم الملك الناصر محمد من الخطبة بدمشق من سابع شهر ربيع الآخر فالمدة مائة يوم.

ثم نادى أرجواش بكرة يوم السبت بالزينة في البلد فزينت.

وأما الملك الناصر محمد بن قلاوون فإن عوده إلى الديار المصرية كان يوم الأربعاء ثاني عشر شهر ربيع الآخر وتبعته العساكر المصرية والشامية متفرقين وأكثرهم عراة مشاة ضعفاء وذلك الذي أوجب تأخرهم عن الدخول مع السلطان إلى مصر وأقاموا بعد ذلك أشهرًا حتى استقام أمرهم ولولا حصول البركة بالديار المصرية وعظمتها ما وسعت مثل هذه الخلائق والجيوش التي دخلوها في جفلة التتار وبعدها فمن الله تعالى بالخيول والعدد والرزق إلا أن جميع الأسعار غلت لا سيما السلاح وآلات الجندية من القماش والبرك وحوائج الخيل وغير ذلك حتى زادت عن الحد.

ومما زاد سعر العمائم فإن الجند كان على رؤوسهم في المصاف الخوذ فلما أنكسروا رموا الخوذ تخفيًا ووضعوا على رؤوسهم المناديل فأحتاجوا لما حضروا إلى مصر إلى شراء العمائم مع أن الملك الناصر أنفق في الجيش بعد عوده واستخدم جمعًا كثيرًا من الجند خوفًا من قدوم غازان إلى الديار المصرية.

وتهيأ السلطان إلى لقاء غازان ثانيًا وجهز العساكر وقام بكلفهم أتم قيام على صغر سنه.

فلما ورد عليه الخبر بعدم مجيء قازان إلى الديار المصرية تجهز وخرج بعساكره وأمراءه من الديار المصرية إلى جهة البلاد الشامية إلى ملتي قازان ثانيًا بعد أن خلع على الأمير أقوش الأفرم الصغير بناية الشام على عادته وعلى الأمير قرا سنقر المنصوري بناية حماة وحلب وكان خروج السلطان من مصر بعساكره في تاسع شهر رجب من سنة تسع وتسعين وستمائة.

وسار حتى نزل بمنزلة الصالحية فبلغه عود قازان بعساكره إلى بلاده فكلم الأمراء السلطان في عدم سفره ورجوعه إلى مصر فأبى عن رجوع العسكر وسمع لهم في عدم سفره وأقام بمنزلة الصالحية.

وسافر الأمير سلار المنصوري نائب السلطنة بالديار المصرية والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير بالعساكر إلى الشام.

ولما سار سلار وبيبرس الجاشنكير إلى جهة الشام تلاقوا في الطريق مع الأمير سيف الدين قبجق والأمير يكتمر السلاح دار والأليكي وهم قاصدون السلطان فعتب الأمراء قبجق ورفقته عتبًا هيئًا على عبور قازان إلى البلاد الشامية فاعتذروا أن ذلك كان خوفًا من الملك المنصور لاجين وحنفًا من مملوكه منكوتر وأنهم لما بلغهم قتل الملك المنصور لاجين كانوا قد تكلموا مع قازان في دخول الشام ولا بقي يمكنهم الرجوع عما قالوه ولا سبيل إلى الهروب من عنده فقبلوا عذرهم وبعثوهم إلى الملك الناصر.

فقدموا عليه بالصالحية وقبلوا الأرض بين يديه فعتبهم أيضًا على ما وقع منهم فذكروا له العذر السابق ذكره فقبله منهم وخلع عليهم وعاد السلطان إلى القاهرة وصحبته خواصه والأمير قبجق ورفقته فطلع القلعة في يوم الخميس رابع عشر شعبان.

ودخل الأمراء إلى دمشق ومعهم الأمير آقوش الأفرم الصغير نائب الشام وغالب أمراء دمشق وفي العسكر أيضًا الأمير قرا سنقر المنصوري متولي نيابة حماة وحلب ودخل الجميع دمشق بتجمل زائد ودخلوها على دفعات كل أمير بطلبه على حدة وسر الناس بهم غاية السرور وعلموا أن في عسكر الإسلام القوة والمنعة ولله الحمد.

وكان آخر من دخل إلى الشام الأمير سلار نائب السلطنة وغالب الأمراء في خدمته حتى الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري نائب صرخد ونزل جميع الجيش بالمرج.

وخلع على الأمير أرجواش المنصوري نائب قلعة دمشق باستمراره على عاداته وشكروا له الأمراء ما فعله من حفظ القلعة ودخلوا الأمراء إلى دمشق وقلعة دمشق مغلقة وعليها الستائر والطوارف فكلموه الأمراء في ترك ذلك.

فلما كان يوم السبت مستهل شهر رمضان أزال أرجواش الطوارف والستائر من على القلعة فأقام العسكر بدمشق أيامًا حتى أصلحوا أمرها ثم عاد الأمير سلار إلى نحو الديار المصرية بجميع أمراء مصر وعساكره في يوم السبت ثامن شهر رمضان وتفرق باقي الجيش كل واحد إلى محل ولايته ودخل سلار إلى مصر بمن معه في ثالث شوال بعد أن احتفل الناس لملاقاتهم وخرج أمراء مصر إلى بلييس وخلع السلطان على جميع من قدم من الأمراء رفقة سلار وكانت خلعة سلار أعظم من الجميع.

ودام السلطان بقية سنته بالديار المصرية.

فلما آسنته سنة سبعمائة كثرت الأراجيف بالشام ومصر بحركة قازان وكان قازان قد تسمى محمودًا وصار يقال له السلطان محمود غازان.

ثم وصلت في أول المحرم من سنة سبعمائة الأخبار والقصاد من الشرق وأخبروا أن قازان قد جمع جموعًا كثيرة وقد ناس في جميع بلاده الغزاة إلى مصر وأنه قاصد الشام فجفل أهل الشام من دمشق وتفرقوا في السواحل وقصدوا الحصون وتشنت غالب أهل الشام إلى البلاد من الفرات إلى غزة فعند ذلك تجهز الملك الناصر وجهاز عساكره وتهبأ وخرج بجميع عساكره وأمرائه من القاهرة إلى مسجد التبن في يوم السبت ثالث عشر صفر وسافر حتى قارب دمشق أقام بمنزلته إلى سلخ شهر ربيع الآخر وتوجه هو وعساكره عائدين إلى جهة الديار المصرية بعد أن لاقوا شدة ومشقة عظيمة من كثرة الأمطار والثلوج والأحوال وعدم المأكل بحيث إنه انقطعت الطريق من البرد والمطر وعدم جلب المأكل لهم ولدوابهم حتى إنهم لم يقدروا على الوصول إلى دمشق وكان طلوع السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى قلعه الجبل يوم الاثنين حادي عشر جمادى الأولى.

وقبل عود السلطان إلى مصر كان جهز السلطان الأمير بكتمر السلاح دار والأمير بهاء الدين يعقوبا إلى دمشق أمامه فدخلوا دمشق.

ثم أشيع بدمشق عود السلطان إلى القاهرة فجفل غالب أهل دمشق منها ونائب الشام لم يمنعهم بل يحسن لهم ذلك.

وقيل إن والي دمشق بقي يجفل الناس بنفسه و صار يمر بالأسواق ويقول: في أي شيء أنتم قعود! ولما كان يوم السبت تاسع جمادى الأولى نادى المناداة بدمشق: من قعد قدمه في رقبته ومن لم يقدر على السفر فليطلع إلى القلعة فسافر في ذلك اليوم معظم الناس.

وأما قازان فإنه وصل إلى حلب ووصل عساكره إلى قرون حماة وإلى بلاد سرمين وسير معظم جيشه إلى بلاد أنطاكية وغيرها فنهبوا من الدواب والأغنام والأبقار ما جاوز حد الكثرة وسبوا عالمًا كثيرًا من الرجال والنساء والصبيان.

ثم أرسل الله تعالى على غازان وعساكره الأمطار والثلوج بحيث إنه أمطر عليهم واحدًا وأربعين يومًا وقت مطر ووقت ثلج فهلك منهم عالم كثير ورجع غازان بعساكره إلى بلادهم أقيح من المكسورين وقد تلفت خيولهم وهلك أكثرها وعجزهم الله تعالى وخذلهم وردهم خائبين عما كانوا عزموا عليه.

" [ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرًا وكفى الله المؤمنين القتال](#) ."

ووصل الخبر برجوعهم في جمادى الآخرة وقد خلت دمشق وجميع بلاد الشام من سكانها.

ثم في شهر رجب من السنة وصل إلى القاهرة وزير ملك الغرب بسبب الحج واجتمع بالسلطان وبالأمر سلاار نائب السلطنة وبالأمر ركن الدين بيبرس الجاشنكير فقابلوه بالإكرام وأنعموا عليه واحترموا فلما كان في بعض الأيام جلس الوزير المغربي المذكور بباب القلعة عند بيبرس الجاشنكير وسلاار فحضر بعض كتاب النصارى فقام إليه المغربي يتوهم أنه مسلم ثم ظهر له أنه نصراني فقامت قيامته وقام من وقته ودخل إلى السلطان بحضرة الأمير سلاار وبيبرس مديري مملكة الناصر محمد وتحدث معهم في أمر النصارى واليهود وأنهم عندهم في بلادهم في غاية الذل والهوان وأنهم لا يمكنونهم من ركوب الخيل ولا من استخدامهم في الجهات السلطانية والديوانية وأنكر على نصارى ديار مصر ويهودها كونهم يلبسون أفر الثياب ويركبون البغال والخيل وأنهم يستخدمونهم في أجل الجهات ويحكمونهم في رقاب المسلمين ثم إنه ذكر أن عهد ذمتهم قد انقضى من الهجرة النبوية وذكر كلاً كثيراً من هذا النوع فأثر كلامه عند القلوب النيرة من أهل الدولة وحصل له قبول من الخاص والعام بسبب هذا الكلام وقام بنصرته الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وجماعة كثيرة من الأمراء وافقوه على ذلك ورأوا أن في هذا الأمر مصلحة كبيرة لإظهار شعائر الإسلام.

فلما كان شهر رجب جمعوا النصارى واليهود ورسموا لهم ألا يستخدموا في الجهات السلطانية ولا عند الأمراء وأن يغيروا عمائمهم فيلبس النصارى عمائم زرقاً وزنابيرهم مشدودة في أوساطهم وأن اليهود يلبسون عمائم صفراً فسعوا الملتان عند جميع أمراء الدولة وأعيانها وساعدهم أعيان القبط وبذلوا الأموال الكثيرة الخارجة عن الحد للسلطان والأمراء على أن يعفوا من ذلك فلم يقبل منهم شيئاً.

وشدد عليهم الأمير بيبرس الجاشنكير الأستاذار - رحمه الله - غاية التشديد فإنه هو الذي كان القائم في هذا الأمر عفا الله تعالى عنه وأسكنه الجنة بما فعله فإنه رفع الإسلام بهذه الفعلة وخفض أهل الملتين بعد أن وعد بأموال جمة فلم يفعل.

قلت: رحم الله ذلك الزمان وأهله ما كان أعلى همهم وأشيع نفوسهم! وما أحسن قول المتنبى: # أتى الزمان بنوه في شبيته* فسرهم وأتينا على الهرم

ثم رسم السلطان الملك الناصر محمد بغلق الكنائس بمصر والقاهرة فضرب على كل باب منها دفوف ومسامير وأصبح يوم الثاني والعشرين من شهر رجب المبارك من سنة سبعمائة وقد لبسوا اليهود عمائم صفراء والنصارى عمائم زرقاً وإذا ركب أحد منهم بهيمة يكف إحدى رجليه وبطلوا من الخدم السلطانية وكذلك من عند الأمراء وأسلم لذلك جماعة كثيرة من النصارى منهم: أمين الملك أعبد الله بن الغنام مستوفي الصحة وغيره.

ثم رسم السلطان أن يكتب بذلك في جميع بلاده من دنقلة إلى الفرات.

فأما أهل الإسكندرية لما وصل إليهم المرسوم سارعوا إلى خراب كنيسة عندهم وذكروا أنهما مستجدتان في عهد الإسلام ثم داروا إلى دورهم فما وجدوه أعلى على من جاورها من دور المسلمين هدموه وكل من كان جاور مسلماً في حانوت أنزلوا مصطبة حانوته بحيث يكون المسلم أرفع منه وفعلوا أشياء كثيرة من هذا وأقاموا شعار الإسلام كما ينبغي على العادة القديمة ووقع ذلك بسائر الأقطار لا سيما أهل دمشق فإنهم أيضاً أمعنوا في ذلك.

وعملت الشعراء في هذا المعنى عدة مقاطع شعر ومما قاله الشيخ شمس الدين الطيبي: تعجبوا للنصارى واليهود معاً والسامريين لما عمموا الخرقا كأنما بات بالأصباغ منسهلا نسر السماء فأضحى فوقهم ذرقا ومما قاله الشيخ علاء الدين كاتب ابن وداعة المعروف بالوداعي في المعنى وأجاد: لقد ألزموا الكفار شاشات ذلة تزيدهم من لعنة الله تشويشا فقلت لهم ما ألبسوكم عمائمًا ولكنهم قد ألبسوكم براطيشا وفيها في تاسع ذي القعدة وصل إلي القاهرة من حلب الأمير أنس يخبر بحركة التتار وأن التتار قد أرسلوا أمامهم رسلاً وأن رسلهم قد قاربت الفرات ثم وصلت الرسل المذكورة بعد ذلك بمدة إلى الديار المصرية في ليلة الاثنين خامس عشر ذي الحجة وأعيان القصاد ثلاثة نفر: قاضي الموصل وخطيبها كمال الدين بن بهاء الدين بن كمال الدين بن يونس الشافعي وآخر عجمي وآخر تركي.

ولما كان عصر يوم الثلاثاء جمعوا الأمراء والمقدمين إلى القلعة وعملت الخدمة ولبسوا المماليك أفخر الثياب والملابس وبعد العشاء الأخيرة أوقدوا الشموع نحوًا من ألف شمعة ثم أظهروا زينة عظيمة بالقصر ثم أحضروا الرسل وحضر القاضي بجملتهم وعلى رأسه طرحة فقام وخطب خطبة بليغة وجيزة وذكر آيات كثيرة في معنى الصلح واتفاق الكلمة ورغب فيه ثم إنه دعا للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ومن بعده للسلطان محمود غازان ودعا للمسلمين والأمراء وأدى الرسالة.

ومضمونها: إنما قصدتهم الصلح ودفعوا إليهم كتابًا مختومًا من السلطان غازان فأخذ منهم الكتاب ولم يقرؤوه تلك الليلة وأعيد الرسل إلى مكانهم.

فلما كان ليلة الخميس فتح الكتاب وقرئ على السلطان وهو مكتوب بالمغلي وكتب الأمر.

فلما كان يوم الخميس ثامن عشر ذي الحجة حضر جميع الأمراء والمقدمين وأكثر العسكر وأخرج إليهم الكتاب وقرئ عليهم وهو مكتوب بخط غليظ في نصف قطع البغدادي ومضمونه: " **بسم الله الرحمن الرحيم** وننهي بعد السلام إليه أن الله عز وجل جعلنا وإياكم أهل ملة واحدة وشرفنا بدين الإسلام وأيدنا وندبنا لإقامة مناره وسددنا وكان بيننا وبينكم ما كان بقضاء الله وقدره وما كان ذلك إلا بما كسبت أيديكم وما الله بظلام للعبيد.

وسبب ذلك أن بعض عساكركم أغاروا على ماردين وبلادها في شهر رمضان المعظم قدره الذي لم تنزل الأمم يعظموه في سائر الأقطار وفيه تغل الشياطين وتغلق أبواب النيران فطرقوا البلاد على حين غفلة من أهلها وقتلوا وسبوا وفسقوا وهتكوا محارم الله بسرعة من غير مهلة وأكلوا الحرام وارتكبوا الآثام وفعلوا ما لم تفعله عباد الأصنام فاتونا أهل ماردين صارخين مسارعين ملهوفين مستغيثين بالأطفال والحريم وقد آستولى عليهم الشقاء بعد النعيم فلاذوا بجنابنا وتعلقوا بأسبابنا ووقفوا موقف المستجير الخائف يابنا فهزتنا نخوة الكرام وحركتنا حمية الإسلام فركبنا على الفور بمن كان معنا ولم يسعنا بعد هذا المقام ودخلنا البلاد وقدمنا النية وعاهدنا الله تعالى على ما يرضيه عند بلوغ الأمانة وعلمنا أن الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر بأن يسعوا في الأرض فسادًا والله لا يحب الفساد وأنه يغضب لهتك الحريم وسبي الأهل فما كان إلا أن لقيناكم بنية صادقة وقلوب على الحمية للدين موافقة فمزقناكم كل ممزق والذي ساقنا إليكم هو الذي نصرنا عليكم وما كان مثلكم إلا كمثل قرية كانت أمنة مطمئنة - الآية - فوليتم الأدبار واعتصمتم من سيوفنا بالفرار فعفونا عنكم بعد اقتدار ورفعنا عنكم حكم السيف البتار وتقدمنا إلى جيوشنا ألا يسعوا في الأرض كما سعيتم وأن ينشروا من العفو والعفاف ما طويتم ولو قدرتم ما عفوتم ولا عففتم ولم نقلدكم منة بذلك بل حكم الإسلام في قتال البغاة كذلك وكان جميع ما جرى في سالف القدم ومن قبل كونه جرى به في اللوح القلم ثم لما رأينا الرعية تضرروا بمقامنا في الشام لمشاركنا لهم في الشراب والطعام وما حصل في قلوب الرعية من الرعب عند معاينة جيوشنا التي هي كمطبات السحب فأردنا أن نسكن تخوفهم بعودتنا من أرضهم بالنصر والتأييد والعلو والمزيد فتركنا عندهم بعض جيوشنا بحيث تتونس بهم وتعود في أمرها إليهم ويحرسونهم من تعدي بعضهم على بعض بحيث إنكم ضاقت بكم الأرض إلى أن يستقر جاشكم وتبصروا رشدكم وتسيروا إلى الشام من يحفظه من أعدائكم المتقدمين وأكرادكم المتمردين وتقدمنا إلى مقدمي طوامين جيوشنا أنهم متى سمعوا بقدم أحد منكم إلى الشام أن يعودوا إلينا بسلام فعادوا إلينا بالنصر المبين والحمد لله رب العالمين.

والآن فإننا وإياكم لم نزل على كلمة الإسلام مجتمعين وما بيننا ما يفرق كلمتنا إلا ما كان من فعلكم بأهل ماردين وقد أخذنا منكم القصاص وهو جزاء كل عاص فنرجع الآن في إصلاح الرعايا ونجتهد نحن وإياكم على العدل في سائر القضايا فقد أنصرت بيننا وبينكم حال البلاد وسكانها ومنعها الخوف من القرار في أوطانها وتعذر سفر التجار وتوقف حال المعاش لانقطاع البضائع والأسفار ونحن نعلم أننا نسأل عن ذلك ونحاسب عليه وأن الله عز وجل لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وأن جميع ما كان وما يكون في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

وأنت تعلم أيها الملك الجليل أنني وأنت مطالبون بالحقير والجليل وأنا مسؤولون عما جناه أقل من وليناه وأن مصيرنا إلى الله وإنا معتقدون الإسلام قولاً وعملاً ونية عاملون بفروضه في كل وصية.

وقد حملنا قاضي القضاة علامة الوقت حجة الإسلام بقية السلف كمال الدين موسى بن محمد أبا عبد الله أعزه الله تعالى مشافهة يعيدها على سمع الملك والعمدة عليها فإذا عاد من الملك الجواب فليسير لنا هدية الديار المصرية لنعلم بإرسالها أن قد حصل منكم في إجابتنا للصلح صدق النية ونهدي إليكم من بلادنا ما يليق أن نهديه إليكم والسلام الطيب منا عليكم.

إن شاء الله تعالى.

فلما سمع الملك الناصر الكتاب استشار الأمراء في ذلك وبعد أيام طلبوا قاضي الموصل أعني الرسول المقدم ذكره من عند قازان وقالوا له: أنت من أكابر العلماء وخيار المسلمين وتعلم ما يجب عليك من حقوق الإسلام والنصيحة للدين فنحن ما نتقاتل إلا لقيام الدين فإن كان هذا الأمر قد فعلوه حيلة ودهاء فنحن نحلف لك أن ما يطلع على هذا القول أحد من خلق الله تعالى ورغبوه غاية الرغبة فحلف لهم بما يعتقدونه أنه ما يعلم من قازان وخواصه غير الصلح وحقق الدماء ورواج التجار ومجيئهم وإصلاح الرعية.

ثم إنه قال لهم: والمصلحة أنكم تتفقون وتيقون على ما أنتم عليه من الاهتمام بعدوكم وأنتم فلکم عادة في كل سنة تخرجون إلى أطراف بلادكم لأجل حفظها فتخرجون على عادتكم فإن كان هذا الأمر خديعة فيظهر لكم فتكونون مستيقظين وإن كان الأمر صحيحًا فتكونون قريبين منهم فينتظم الصلح وتحقق الدماء فيما بينكم.

فلما سمعوا كلامه رأوه ما فيه غرض وهو مصلحة فشرعوا ليعينوا من يروح في الرسالة فعينوا جماعة منهم الأمير شمس الدين محمد بن التيتي والخطيب شمس الدين الجوزي خطيب جامع ابن طولون فتشفع ابن الجوزي حتى تركوه وعينوا القاضي عماد الدين بن السكري خطيب جامع الحاكم وهو ناظر دار العدل بالديار المصرية وشخصًا أمير آخور من البرجية.

ثم إن السلطان أخذ في تجهير أمرهم إلى ما يأتي ذكره.

ثم استقر السلطان في سنة إحدى وسبعمئة بالأمير عز الدين أيبك البغدادي المنصوري أحد الأمراء البرجية في الوزارة عوضًا عن شمس الدين سنقر الأعسر وجلس في قلعة الجبل بخلعة الوزارة وطلع إليه جميع أرباب الدولة وأعيان الناس.

وأيبك هذا هو الرابع من الوزراء الأمراء الأتراك بالديار المصرية الذين كان تضرب على أبوابهم الطيلخاناه على قاعدة الوزراء بالعراق زمن الخلفاء فأولهم الأمير علم الدين سنجر الشجاع المنصوري ثم ولي بعده الأمير بدر الدين بيدرا ولما ولي بيدرا نيابة السلطنة أعيد الشجاعى وبعده ابن السلعوس وليس هما من العدد ثم الخليلي وليس هو من العدد ثم بعد الخليلي ولي الأمير سنقر الأعسر الوزر وهو الثالث.

ثم بعده أيبك هذا وهو الرابع.

وكان الوزير يوم ذاك في رتبة النيابة بالديار المصرية ونيابة السلطنة كانت يوم ذاك دون السلطنة.

انتهى.

وفي يوم الأحد تاسع عشر المحرم من سنة إحدى وسبعمئة رسم السلطان لجميع الأمراء والمقدمين بمصر والقاهرة أن يخرجوا صحبة السلطان إلى الصيد نحو العباسية وأن يستصحبوا معهم عقيق عشرة أيام وسافر السلطان بأكثر العسكر والجميع بعدتهم في بكرة يوم الاثنين في العشرين من المحرم.

ونزل إلى بركة الحجاج وتبعه جميع الأمراء والمقدمين والعساكر وبعد سفره سيروا طلبوا القضاة الأربعة فتوجهوا إليه واجتمعوا بالسلطان في بركة الحجاج وعادوا إلى القاهرة ثم شرعوا في تجهيز رسل قازان وتقدم دهليز السلطان إلى الصالحية ودخل السلطان والأمراء إلى البرية بسبب الصيد.

فلما كان

▲ يوم الاثنين عشية النهار وصل السلطان والأمراء إلى الصالحية

فخلع على جميع الأمراء والمقدمين وكان عدة ما خلع أربعمئة وعشرين خلعة وكان الرسل قد سفروهم من القاهرة وأنزلوهم بالصالحية حتى إنهم يجتمعون بالسلطان عند حضوره من الصيد.

فلما حضر الأمراء قدام السلطان بالخلع السنية وتلك الهيئة الجميلة الحسنة أذهل عقول الرسل مما رأوا من حسن زي عسكر الديار المصرية بخلاف زي التتار وأحضروا الرسل في الليل إلى الدهليز إلى بين يدي السلطان وقد أوقدوا شموعًا كثيرة ومشاعل عديدة وفوانيس وأشياء كثيرة من ذلك تتجاوز عن الحد بحيث إن البرية بقيت حمراء تتلهب نورًا ونارًا فتحدثوا معهم ساعة ثم أعطوهم جواب الكتاب وخلعوا عليهم خلع السفر وأعطوا لكل واحد من الرسل عشرة آلاف درهم وقماشًا وغير ذلك.

ونسخة الكتاب المسير إليهم صورته: " بسم الله الرحمن الرحيم: علمنا ما أشار الملك إليه وعول في قوله وفعله عليه فاما قول الملك: قد جمعنا وإياكم كلمة الإسلام! وإنه لم يطرق بلادنا ولا قصدنا إلا لما سبق به القضاء المحتوم فهذا الأمر غير مجهول بل هو عندنا معلوم وأن السبب في ذلك غارة بعض جيوشنا على ماردین وأنهم قتلوا وسبوا وهتكوا الحريم وفعلوا فعل من لا له دين فالملك يعلم أن غارتنا ما برحت في بلادكم مستمرة من عهد آبائكم وأجدادكم وأن من فعل ما فعل من الفساد لم يكن برأينا ولا من أمرائنا ولا الأجناد بل من الأطراف الطامعة ممن لا يؤبه إليه ولا يعول في فعل ولا قول عليه وأن معظم جيشنا كان في تلك الغارة إذا لم يجدوا ما يشترونه للقوت صاموا لئلا يأكلوا ما فيه شبهة أو حرام وأنهم أكثر ليلهم سجد ونهارهم صيام.

وأما قول الملك ابن الملك الذي هو من أعظم القان فيقول قولًا يقع عليه الرد من قريب ويزعم أن جميع ما هو عليه من علمنا ساعة واحدة يغيب ولو يعلم أنه لو تقلب في مضجعه من جانب إلى جانب أو خرج من منزله راجلًا أو راكبًا كان عندنا علم من ذلك في الوقت القريب أو يتحقق أن أقرب بطائنه إليه هو العين لنا عليه وإن كثر ذلك لديه.

ونحن تحققنا أن الملك بقي عامين يجمع الجموع وينتصر بالتابع والمتبوع وحشد وجمع من كل بلد وأعتضد بالنصارى والكرج والأرمن واستنجد بكل من ركب فرسًا من فصيح وألكن وطلب من المسومات خيولًا وركاب وكثر سوادًا وعدد أطلاب ثم إنه لما رأى أنه ليس له بجيشنا قبل في المجال عاد إلى قول الزور والمحال والخديعة والاحتيال وتظاهر بدين الإسلام وأشتهر به في الخاص والعام والباطن بخلاف ذلك حتى ظن جيوشنا وأبطالنا أن الأمر كذلك فلما التقينا معه كان معظم جيشنا يمتنع من قتاله ويبعد عن نزاله ويقول: لا يجوز لنا قتال المسلمين ولا يحل قتل من يتظاهر بهذا الدين! فلهذا حصل منهم الفشل وبتأخرهم عن قتالكم حصل ما حصل وأنت تعلم أن الدائرة كانت عليك.

وليس يرى من أصحابك إلا من هو نادم أو باكي أو فاقد عزيز عنده أو شاكي والحرب سجال يوم لك ويوم عليك وليس ذلك مما تعاب به الجيوش ولا تقهر وهذا بقضاء الله وقدره المقدر.

وأما قول الملك إنه لما آلتقى بجيشنا مزقهم كل ممزق فمثل هذا القول ما كان يليق بالملك أن يقوله أو يتكلم به وهو يعلم وإن كان ما رأى بل يسأل كبراء دولته وأمراء عساكره عن وقائع جيوشنا ومراتع سيوفنا من رقاب آبائه وأجداده وهي إلى الآن تقطر

من دمائهم وإن كنت نصرت مرة فقد كسرت آباؤك مرارًا وإن كان جيشك قد داس أرضنا مرة فبلادكم لغارتنا مقام ولجيوشنا قرار وكما تدين تدان.

وأما قول الملك: إنه ومن معه آعتقدوا الإسلام قولًا وفعلاً وعملاً ونية فهذا الذي فعلته ما فعله من هو متوجه إلى هذه البنية أعني الكعبة المضية فإن الذي جرى بظاهر دمشق وجبل الصالحية ليس بخفي عنك ولا مكتوم وليس هذا هو فعل المسلمين ولا من هو متمسك بهذا الدين فأين وكيف وما الحجة! وحرمة البيت المقدس تشرب فيه الخمر وتهتك الستور وتفتض البكور ويقتل فيه المجاورون ويستأسر خطباؤه أو المؤذنون ثم على رأس خليل الرحمن تعلق الصلبان وتهتك النسوان ويدخل فيه الكافر سكران فإن كان هذا عن علمك ورضاك فواخيبتك في دنياك وأخرأك ويا ويلك في مبدئك ومعادك وعن قليل يؤذن بخراب عمرك وبلادك وهلاك جيشك وأجنادك وإن كنت لم تعلم بذلك فقد أعلمناك فاستدرك ما فات فليس مطلوبًا به سواك وإن كنت كما زعمت أنك على دين الإسلام وأنت في قولك صادق في الكلام وفي عقدك صحيح النظام فأقتل الطوامين الذين فعلوا هذه الفعال وأوقع بهم أعظم النكال لنعلم أنك على بيضاء المحجة وكان فعلك وقولك أبلغ حجة ولما وصلت جيوشنا إلى القاهرة المحروسة وتحققوا أنكم تظاهرتم بكلمة الإخلاص وخدمتم باليمين والإيمان وانتصرتم على قتالهم بعدة الصلبان أجمعوا وتأهبوا وخرجوا بعزمت محمدية وقلوب بدرية وهمم عالية عند الله مرضية وجدوا السير في البلاد ليتشفوا منكم غليل الصدور والأكباد فما وسع جيشكم إلا الفرار وما كان لهم على اللقاء صبر ولا قرار فاندفعت عساكرنا المنصورة مثل أمواج البحر الزخار إلى الشام يقصدون دخول بلادكم ليظفروا بنيل المرام فخشينا على رعيتكم تهلك وأنتم تهربون ولا تجدون إلي النجاة مسلئ فأمرناهم بالمقام ولزوم الأهبة والاهتمام ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

وأما ما تحمله قاضي القضاة من المشافهة فإننا سمعناه ووعيناه وتحققنا تضمنته مشافهة ونحن نعلم علمه ونسكه ودينه وفضله المشهور وزهده في دار الغرور ولكن قاضي القضاة غريب عنكم بعيد منكم لم يطلع على بواطن قضاياكم وأموركم ولا يكاد يظهر له خفي مستوركم فإن كنتم تريدون الصلح والإصلاح وبواطنكم كظواهركم متتابعة في الصلح وأنت أيها الملك طالب الصلح على التحقيق وليس في قولك مين ولا يشوبه تنميق نقلدك سيف البغي ومن سل سيف البغي قتل به ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فيرسل إلينا من خواص دولتك رجل يكون منكم ممن إذا قطع بأمر وقفتم عنده أو فصل حكما انتهيتم إليه أو جزم أمرًا عولتم عليه يكون له في أول دولتكم حكم وتمكين وهو فيما يعول عليه ثقة أمين لتكلم معه فيما فيه الصلح لذات البين وإن لم يكن كذلك عاد بخفي حين.

وأما ما طلبه الملك من الهدية من الديار المصرية فليس نبخل عليه ومقداره عندنا أجل مقدار وجميع ما يهدى إليه دون قدره وإنما الواجب أن يهدي أولًا من أستهدى لتقابل هديته بأضعافها وتتحقق صدق نيته وإخلاص سريرته ونفعل ما يكون فيه رضا الله عز وجل ورضا رسوله في الدنيا والآخرة لعل صفقتنا رابحة في معادنا غير خاسرة.

والله تعالى الموفق للصواب ."

انتهى.

ثم سافر القصاد المذكورون وعاد السلطان من الصيد في ثالث صفر إلى بركة الحجاج والتقى أمير الحج وهو الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار أمير جاندار وصحبته ركب الحج والمحمل السلطاني فنزل عنده السلطان وخلع عليه ثم ركب وتوجه حتى صعد قلعة الجبل عصر النهار ودخل عقيب دخوله المحمل والحجاج وشكر الحج من حسن

سيرة بكتمر المذكور مع سرعة مجيئه بخلاف العادة فإن العادة كانت يوم ذاك دخول المحمل في سابع صفر وقبل ذلك وبعد ذلك.

وعمل بكتمر في هذه السفرة من الخيرات والبر والخلع على أمراء الحجاز وغيرهم شيئاً كثيراً قيل: إن جملة ما أنفقه في هذه السفرة خمسة وثمانون ألف دينار مصرية تقبل الله تعالى منه.

ثم في صفر هذا وصل الخبر إلى السلطان بأن قازان على عزم الركوب وقصد الشام وأن مقدم عساكره الأمير بولاي قد قارب الفرات وأن الذي أرسله من الرسل خديعة.

فعند ذلك شرع السلطان في تجهيز العساكر وتهيأ للخروج إلى البلاد الشامية ثم في أثناء ذلك ورد على السلطان قاصد الأمير كتبغا المنصوري نائب صرخد - وكتبغا هذا هو الملك العادل المخلوع بالملك المنصور لاجين المقدم ذكرهما - وأخبر أنه وقع بين حماة وحمص وحصن الأكراد برد وفيه شيء على صورة بني آدم من الذكور والإناث وصور قرود وغير ذلك فتعجب السلطان وغيره من ذلك.

ثم في

▲ ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى سنة إحدى وسبعمائة في وقت السحر

توفي الخليفة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن علي الهاشمي العباسي بمسكنه بالكبش ظاهر القاهرة ومصر المطل على بركة الفيل وخطب له في ذلك اليوم بجوامع القاهرة ومصر فإنهم أخفوا موته إلى بعد صلاة الجمعة فلما أنقضت الصلاة سير الأمير سلار نائب السلطنة خلف جماعة الصوفية ومشايخ الزوايا والربط والقضاة والعلماء والأعيان من الأمراء وغيرهم للصلاة عليه وتولى غسله وتكفينه الشيخ كريم الدين عبد الكريم الأبلي شيخ الشيوخ بخانقاه سعيد السعداء ورئيس المغسلين بين يديه وهو عمر بن عبد العزيز الطوخي وحمل من الكبش إلى جامع أحمد بن طولون ونزل نائب السلطنة الأمير سلار والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير الأستاذار وجميع الأمراء من القلعة إلى الكبش وحضروا تغسيله ومشوا أمام جنازته إلى الجامع المذكور وتقدم للصلاة عليه الشيخ كريم الدين المذكور وحمل إلى تربته بجوار السيدة نفيسة ودفن بها بعد أن أوصى بولاية العهد إلى ولده أبي الربيع سليمان وتقدير عمره فوق العشرين سنة.

وكان السلطان طلبه في أول نهار الجمعة قبل الإشاعة بموت والده وأشهد عليه أنه ولي الملك الناصر محمد بن قلاوون جميع ما ولاه والده وفوضه إليه ثم عاد إلى الكبش.

فلما فرغت الصلاة على الخليفة رد ولده المذكور وأولاد أخيه من جامع آبن طولون إلى دورهم ونزل من القلعة خمسة خدام من خدام السلطان وقعدوا على باب الكبش صفة الترسيم عليهم وسير السلطان يستشير قاضي القضاة تقي الدين ابن دقيق العيد الشافعي في أمر سليمان المذكور: هل يصلح للخلافة أم لا فقال: نعم يصلح وأثنى عليه.

وبقي الأمر موقوفًا إلى يوم يوم الخميس رابع عشرين جمادى الأولى المذكور.

فلما كان بكرة النهار المذكور طلب سليمان إلى القلعة فطلع هو وأولاد أخيه بسبب المبايعة فأمضى السلطان ما عهد إليه والده المذكور بعد فصول وأمور يطول شرحها بينه وبين أولاد أخيه وجلس السلطان وخلع على أبي الربيع سليمان هذا خلعة الخلافة

ونعت بالمستكفي وهي جبة سوداء وطرحة سوداء وخلع على أولاد أخيه خلع الأمراء الأكبر خلعًا ملونة.

وبعد ذلك بايعه السلطان والأمراء والقضاة والمقدمون وأعيان الدولة ومدوا السماط على العادة ثم رسم له السلطان بنزوله إلى الكيش وأجرى راتبه الذي كان مقرّرًا لوالده وزيادة ونزلوا إلى الكيش وأقاموا به إلى يوم الخميس مستهل جمادى الآخرة إذ حضر من عند السلطان المهندار ومعه جماعة وصحبتهم جمال كثيرة فنقلوا الخليفة وأولاد أخيه ونساءهم وجميع من يلوذ بهم إلى قلعة الجبل وأنزلوهم بالقلعة في دارين: الواحدة تسمى بالصالحية والأخرى بالظاهرة وأجروا عليهم الرواتب المقررة لهم وكان في يوم الجمعة ثاني يوم المبايعه خطب بمصر والقاهرة للمستكفي هذا ورسم بضرب اسمه على سكة الدينار والدرهم.

انتهى.

وكان السلطان قبل ذلك أمر بخروج تجريدة إلى الوجه القبلي لكثرة فساد العربان وتعدى شرهم في قطع الطريق إلى أن فرضوا على التجار وأرباب المعاييش بأسيوط ومنفلوط فرائض جبوها شبه الجالية واستخفوا بالولاة ومنعوا الخراج وتسموا بأسماء الأمراء وجعلوا لهم كبيرين: أحدهما سموه سلار والآخر بيبرس ولبسوا الأسلحة وأخرجوا أهل السجون بأيديهم فأحضر السلطان الأمراء والقضاة وأستفتوهم في قتالهم فأفتوهم بجواز ذلك فاتفق الأمراء على الخروج لقتالهم وأخذت الطرق عليهم لئلا يمتنعوا بالجمال والمنافذ فيفوت الغرض فيهم واستدعوا الأمير ناصر الدين ناصر الدين محمد بن الشخي متولي الجيزة وندبوه لمنع الناس بأسرهم من السفر إلى الصعيد في البر والبحر ومن ظهر أنه سافر كانت أرواح الولاة قبالة ذلك وما ملك وأشاع الأمراء أنهم يريدون السفر إلى الشام وتجهزوا وكتبت أوراق الأمراء المسافرين وهم عشرون مقدمًا بمضافيهم وعينوا أربعة أقسام: قسم يتوجه في البر الغربي وقسم يتوجه في البر الشرقي وقسم يركب النيل وقسم يمضي في الطريق السالكة.

وتوجه الأمير شمس الدين سنقر الأعسر وكان قد قدم من الشام إلى الواح في خمسة أمراء وقرروا أن يتأخر مع السلطان أربعة أمراء من المقدمين ورسم إلى كل من تعين من الأمراء لجهة أن يضع السيف في الكبير والصغير والجليل والحقير ولا يبقوا شيخًا ولا صبيًا ويحتاطوا على سائر الأموال.

وسار الأمير سلار نائب السلطنة في رابع جمادى الآخرة ومعه جماعة من الأمراء في البر الغربي وسار الأمير بيبرس الجاشنكير بمن معه من الحاجر في البر الغربي أيضًا من طريق الواحات وسار الأمير بكتاش أمير سلاح بمن معه في البر الشرقي وسار الأمير قتال السبع وبيبرس الدوادر وبلبان الغلمشي وغيره من الشرقية إلى السويس والطور وسار الأمير قبجق المنصوري نائب الشام بمن كان معه إلى عقبة السيل وسار طقصبا والي قوص بعرب الطاعة وأخذ عليهم المفازات وقد عميت أخبار الديار المصرية على أهل الصعيد لمنع المسافرين إليها فطرقوا الأمراء البلاد على حين غفلة من أهلها ووضعوا السيف من الجيزة بالبر الغربي والإطفيحية من الشرقي فلم يتركوا أحدًا إلا قتلوه ووسطوا نحو عشرة آلاف رجل وما منهم إلا من أخذوا ماله وسبوا حريمه فكان إذا ادعى أحد منهم أنه حضري قيل له: قل " دقيق " فإن قال: دقيق - بالكاف لغات العرب - قتل وإن قال: بالقاف المعهودة أطلق.

ووقع الرعب في قلوب العربان حتى طبق عليهم الأمراء وأخذوهم من كل جهة فروا إليها وأخرجوهم من مخابنهم حتى قتلوا من بجانبني النيل إلى قوص وجافت الأرض بالقتلى واختفى كثير منهم بمغاوير الجبال فأوقدت عليهم النيران حتى هلكوا بأجمعهم وأسر منهم

نحو ألف وستمائة لهم فلاحات وزروع وحصل من أموالهم شيء عظيم جدًا تفرقت الأيدي وأحضر منه إلى الديوان السلطاني ستة عشرة ألف رأس من الغنم وذلك من جملة ثمانين ألف رأس ما بين ضأن وماعز ومن السلاح نحو مائتين وستين حملًا من السيوف والسلاح والرماح ومن الأموال على بغال محملة مائتين وثمانين بغلاً ونحو أربعة آلاف فرس واثنين وثلاثين ألف جمل وثمانية آلاف رأس من البقر غير ما أرصد في المعاصر وصار لكثرة ما حصل للأجناد والغلمان والفقراء الذين أتبعوا العسكر يباع الكباش السمين من ثلاثة دراهم إلى درهم والمعز بدرهم الرأس والجزء الصوف بنصف درهم والكساء بخمسة دراهم والرطل السمن بربع درهم ولم يوجد من يشتري الغلال لكثرتها فإن البلاد طرقت وأهلها آمنون وقد كسروا الخراج سنتين.

ثم عاد العسكر في سادس عشر شهر رجب من سنة إحدى وسبعمائة وقد خلت بلاد الصعيد من أهلها بحيث صار الرجل يمشي فلا يجد في طريقه أحدًا وينزل القرية فلا يرى إلا النساء والصبيان ثم أفرج السلطان عن المأسورين وأعادهم إلى بلادهم لحفظ وعند عود الأمراء المذكورين من بلاد الصعيد ورد الخبر من حلب أن تكفور متملك سيس منع الحمل وخرج عن الطاعة وانتمى لغازان فرسم بخروج العساكر لمحاربتة وخرج الأمير بدر الدين بكناش الفخري أمير سلاح والأمير عز الدين أيبك الخازندار بمضافيهما من الأمراء وغيرهم في شهر رمضان فساروا إلى حماة فتوجه معهم نائبها الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري في خامس عشرين شوال.

وتوجهوا إلى بلاد سيس وأحرقوا الزروع وآنهتوا ما قدروا عليه وحاصروا مدينة سيس وغنموا من سفح قلعتها شيئًا كثيرًا من جفال الأرمن وعادوا من الدربند إلى مرج أنطاكية.

ثم قدموا في تاسع عشر ذي القعدة.

ثم ورد الخبر على السلطان من طرابلس بأن الفرنج أنشأوا جزيرة تجاه طرابلس تعرف بجزيرة أرواد وعمروها بالعدد والآلات وكثر فيها جمعهم وصاروا يركبون البحر ويأخذون المراكب.

فرسم السلطان للوزير بعمارة أربعة شوان حربية في محرم سنة اثنتين وسبعمائة ففعل ذلك ونجزت عمارة الشواني وجهزت بالمقاتلة وآلات الحرب مع الأمير جمال الدين أقوش القاريء العلاني وإلى البيهنا واجتمع الناس لمشاهدة لعب الشواني في يوم السبت ثاني عشر المحرم ونزل السلطان والأمراء لمشاهدة ذلك واجتمع من العالم ما لا يحصيه إلا الله تعالى حتى بلغ كراء المركب التي تحمل عشرة أنفس إلى مائة درهم وأمتلأ البر من بولاق إلى الصناعة حتى لم يوجد موضع قدم ووقف العسكر على برستان الخشاب وركب الأمراء الحراريق إلى الروضة وبرزت الشواني تجاه المقياس تلعب كأنها في الحرب فلعب الشيني الأول والثاني والثالث وأعجب الناس إعجابًا زائدًا لكثرة ما كان فيها من المقاتلة والنفوط وآلات الحرب وتقدم الرابع وفيه الأمير أقوش فما هو إلا أنه خرج من الصناعة بمصر وتوسط في النيل إذا بالريح حركته فمال به ميلة واحدة أنقلب وصار أعلاه أسفله فصرخ الناس صرخة واحدة كادت تسقط منها الحبالى وتكدر ما كانوا فيه من الصفو فتلاحق الناس بالشيني وأخرجوا ما سقط منه في الماء فلم يعد منه سوى الأمير أقوش وسلم الجميع فتكدر السلطان والأمراء بسببه وعاد السلطان بأمرائه إلى القلعة وانفض الجمع.

وبعد ثلاثة أيام أخرج الشيني فإذا امرأة الريس وابنها وهي ترضعه في قيد الحياة فاشتد عجب الناس من سلامتها طول هذه الأيام! قاله المقرئ وغيره والعهد عليهم في هذا النقل.

ثم شرع العمل في إعادة الشيني الذي غرق حتى نجز وندب السلطان الأمير سيف الدين كهرداش الزراق المنصوري إلى السفر فيه عوضًا عن أقوش الذي غرق رحمه الله تعالى وتوجه الجميع إلى طرابلس ثم إلى جزيرة أرواد المذكورة وهي بالقرب من أنطربوس فأخربوها وسبوا وغنموا وكان الأسرى منها مائتين وثمانين نفرًا وقدم الخبر بذلك إلى السلطان فسر وسر الناس قاطبة ودقت البشائر لذلك أيامًا وأتفق في ذلك اليوم أيضًا حضور الأمير ثم بعد ذلك بأيام ورد الخبر من حلب بأن قازان على عزم الحركة إلى الشام فوقع الاتفاق على خروج العساكر من الديار المصرية إلى الشام وعين من الأمراء الأمير بيبرس الجاشنكير وطغرل الإيغاني وكراي المنصوري وحسام الدين لاجين أستاذار بمضافيهم وثلاثة آلاف من الأجناد وساروا من مصر في ثامن عشر شهر رجب وتواترت الأخبار بنزول قازان على الفرات ووصل عسكره إلى الرحبة وبعث أمامه قطلوشاه من أصحابه على عساكر عظيمة إلى الشام تبلغ ثمانين ألفًا وكتب إلى الأمير عز الدين أيبك الأفرم نائب الشام يرغبه في طاعته.

ودخل الأمير بيبرس الجاشنكير بمن معه إلى دمشق في نصف شعبان ولبت يستحث السلطان على الخروج.

وأقبل الناس من حلب وحماة إلى دمشق جافلين من التتار فاستعد أهل دمشق للفرار ولم يبق إلا خروجهم فنودي بدمشق: من خرج منها حل ماله وعمه.

وخرج الأمير بهادر آص والأمير قطلوبك المنصوري وأنس الجمدار في عسكر إلى حماة ولحق بهم عساكر طرابلس وحمص فاجتمعوا على حماة عند نائبها الملك العادل كتبغا المنصوري وبلغ التتار ذلك فبعثوا طائفة كثيرة إلى القرينتين فأوقعوا بالتركمان فتوجه إليهم أسندمر كرجي نائب طرابلس وبهادر آص وكجكن وغرلوا العادلي وتمر الساقى وأنص الجمدار ومحمد بن قرا سنقر في ألف وخمسمائة فارس فطرقوهم بمنزلة عرض في حادي عشر شعبان.

على غفلة فافترقوا عليهما أربع فرق وقاتلوهم قتالًا شديدًا من نصف النهار إلى العصر حتى كسروهم وأفنوهم - وكانوا التتار فيما يقال أربعة آلاف - وأستنقذوا التركمان وحريمهم وأولادهم من أيدي التتار وهم نحو ستة آلاف أسير ولم يفقد من العسكر الإسلامي إلا الأمير أنص الجمدار المنصوري ومحمد بن باشقرد الناصري وستة وخمسون من الأجناد وعاد من أنهزم من التتار إلى قطلوشاه وأسر العسكر المصري مائة وثمانين من التتار وكتب إلى السلطان بذلك ودقت البشائر بدمشق.

وكان السلطان الملك الناصر محمد قد خرج بعساكره وأمرائه من الديار المصرية إلى جهة البلاد الشامية في ثالث شعبان وخرج بعده الخليفة المستكفي بالله واستتاب السلطان بديار مصر الأمير عز الدين أيبك البغدادي.

وجد قطلوشاه مقدم التتار بالعساكر في المسير حتى نزل قرون حماة في ثالث عشر شعبان فأندفعت العساكر المصرية التي كانت بحماة بين يديه إلى دمشق وركب نائب حماة الأمير كتبغا الذي كان تسلطن وتلقب بالملك العادل في محفة لضعفه واجتمع الجميع بدمشق وأختلف رأيهم في الخروج إلى لقاء العدو أو أنتظار قدوم السلطان ثم خشوا من مفاجأة العدو فنادوا بالرحيل وركبوا في أول شهر رمضان من دمشق فاضطربت دمشق بأهلها وأخذوا في الرحيل منها على وجوههم واشتروا الحمار بستمائة درهم والجمل بألف درهم وترك كثير منهم حريمه وأولاده ونجا بنفسه إلى القلعة فلم يأت الليل إلا وبواد التتار في سائر نواحي المدينة.

وسار العسكر مخفًا وبات الناس بدمشق في الجامع يضجون بالدعاء إلى الله تعالى فلما أصبحوا رحل التتار عن دمشق بعد أن نزلوا بالغوطة.

وبلغ الأمراء قدوم السلطان فتوجهوا إليه من مرج راهط فلقوه على عقبة الشحورا في يوم السبت ثاني عشر رمضان وقبلوا له الأرض.

ثم ورد عند لقائهم به الخبر بوصول التتار في خمسين ألفًا مع قطلوشاه نائب غازان فلبس العسكر بأجمعه السلاح واتفقوا على قتال التتار بشقح تحت جبل غباغب وكان قطلوشاه قد وقف على أعلى النهر فصفت العساكر الإسلامية: فوقف السلطان في القلب وبجانبه الخليفة والأمير سلار النائب والأمير بيبرس الجاشنكير وعز الدين أبيك الخازندار وبكتمر الجوكندار وأقوش الأفرم نائب الشام والأمير برلغي والأمير أبيك الحموي وبكتمر أبو بكر وقطلوبك ونوغاي السلاح دار ومبارز الدين أمير شكار ويعقوبا الشهرزوري ومبارز الدين أوليا بن قرمان ووقف في الجناح الأيمن الأمير قبجق بعساكر حماة والعربان وجماعة كثيرة من الأمراء ووقف في الميسرة الأمير بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح والأمير قرا سنقر نائب حلب بعساكرها والأمير بتخاص نائب صفد بعساكرها والأمير طغريل الإيغاني وبكتمر السلاح دار وبيبرس الدوادار بمضافيهم.

ومشى السلطان على التتار والخليفة بجانبه ومعهما القراء يتلون القرآن ويحثون على الجهاد ويشوقون إلى الجنة وصار الخليفة يقول: " يا مجاهدون لا تنظروا لسلطانكم.

قاتلوا عن دين نبيكم صلى الله عليه وسلم وعن حريمكم! " والناس في بكاء شديد ومنهم من سقط عن فرسه إلى الأرض! وتواصى بيبرس وسلار على الثبات في الجهاد.

وكل ذلك والسلطان والخليفة يكر في العساكر يمينًا وشمالًا.

ثم عاد السلطان والخليفة إلى مواقفهما ووقف خلفه الغلمان والأحمال والعساكر صفًا واحدًا وقال لهم: من خرج من الأجناد عن المصاف فاقتلوه ولكم سلبه.

فلما تم الترتيب زحفت كراديس التتار كقطع الليل وكان ذلك وقت الظهر من يوم السبت ثاني رمضان المذكور.

وأقبل قطلوشاه بمن معه من الطوامين وحملوا على الميمنة فثبتت لهم الميمنة وقتلوهم أشد قتال حتى قتل من أعيان الميمنة الأمير حسام الدين لاجين الأستادار وأوليا بن قرمان والأمير سنقر الكافوري والأمير أيدير الشمسي القشاش والأمير أقوش الشمسي الحاجب وحسام الدين علي بن باخل ونحو الألف فارس كل ذلك وهم في مقابلة العدو والقتال عمال بينهم.

فلما وقع ذلك أدركتهم الأمراء من القلب ومن الميسرة وصاح سلار: " هلك والله أهل الإسلام! " وصرخ في بيبرس الجاشنكير وفي البرجية فأتوه دفعة واحدة فأخذهم وصدّم بهم العدو وقصد مقدم التتار قطلوشاه وتقدم عن الميمنة حتى أخذت الميمنة راحة وأبلى سلار في ذلك اليوم هو وبيبرس الجاشنكير بلاء حسنًا وسلموا نفوسهم إلى الموت.

فلما رأى باقي الأمراء منهم ذلك ألقوا نفوسهم إلى الموت واقتحموا القتال وكانت لسلار والجاشنكير في ذلك اليوم اليد البيضاء على المسلمين - رحمهما الله تعالى - واستمروا في القتال إلى أن كشفوا التتار عن المسلمين.

وكان جوبان وقرمجي وهما من طوامين التتار قد ساقا تقوية لبولاي وهو خلف المسلمين فلما عاينوا الكسرة على قطلوشاه أتوه نجدة ووقفوا في وجه سلار وبيبرس فخرج من عسكر السلطان أسندمر والأمير قطلوبك والأمير قبجق والمماليك السلطانية وأردفوا سلار وبيبرس وقاتلوا أشد قتال حتى أزاحوهم عن مواقعهم فمالت التتار على الأمير برلغي في موقفه فتوجهوا الجماعة المذكورون إلى برلغي واستمر القتال بينهم.

وأما سلار فإنه قصد قطلوشاه مقدم التتار وصدمه بمن معه وتقاتلا وثبت كل منهما.

وكانت الميمنة لما قتل الأمراء منها أنهزم من كان معهم ومرت التتار خلفهم فجفل الناس ووطنوا أنها كسرة وأقبل السواد الأعظم على الخزائن السلطانية فكسروها ونهبوا ما فيها من الأموال وجفل النساء والأطفال وكانوا قد خرجوا من دمشق عند خروج الأمراء منها وكشف النساء عن وجوههن وأسبلن الشعور.

وضح ذلك الجمع العظيم بالدعاء وقد كادت العقول أن تطيش وتذهب عند مشاهدة الهزيمة! واستمر القتال بين التتار والمسلمين إلى أن وقف كل من الطائفتين ومال قطلوشاه بمن معه إلى جبل قريب منه وصعد عليه وفي نفسه أنه انتصر وأن بولاي في أثر المنهزمين من المسلمين فلما صعد الجبل رأى السهل والوعر كله عساكر والميسرة السلطانية ثابتة وأعلامها تخفق فبهت قطلوشاه وتحير واستمر بموضعه حتى كمل معه جمعه وأتاه من كان خلف المنهزمين من الميمنة السلطانية ومعهم عدة من المسلمين قد أسروهم منهم: الأمير عز الدين أيدير نقيب المماليك السلطانية فأحضره قطلوشاه وسأله: " من أين أنت " فقال: " من أمراء مصر " وأخبره بقدم السلطان وكان قطلوشاه ليس له علم بقدم السلطان بعساكر مصر إلا ذلك الوقت فعند ذلك جمع قطلوشاه أصحابه وشاورهم فيما يفعل وإذا بكوسات السلطان والبوقات قد زحفت وأزعجت الأرض وأرجفت القلوب بحسها فلم يثبت بولاي وخرج من تجاه قطلوشاه في نحو العشرين ألفاً من التتار ونزل من الجبل بعد المغرب ومر هارباً.

وبات السلطان وسائر عساكره على ظهور الخيل والطبول تضرب وتلاحق بهم من كان أنهزم شيئاً بعد شيء وهم يقصدون ضرب الطبول السلطانية والكوسات وأحاط عسكر السلطان بالجبل الذي بات عليه التتار وصار بيبرس وسلار وقبجق والأمراء والأكابر في طول الليل دائرين على الأمراء والأجناد يوصونهم ويرتبونهم ويؤكدون عليهم في التيقظ ووقف كل أمير في مصافه مع أصحابه والحمل والأثقال قد وقف على بعد وثبتوا على ذلك حتى أرتفعت الشمس.

وشرع قطلوشاه في ترتيب من معه ونزلوا مشاة وفرساناً وقاتلوا العساكر.

فبرزت المماليك السلطانية بمقدميها إلى قطلوشاه وجوبان وعملوا في قتالهم عملاً عظيماً فصاروا تارة يرمونهم بالسهم وتارة يواجهونهم بالرمح واشتغل الأمراء أيضاً بقتال من في جهتهم وصاروا يتناوبون في القتال أميراً بعد أمير.

وألحت المماليك السلطانية في القتال وأظهروا في ذلك اليوم من الشجاعة والفروسية ما لا يوصف حتى إن بعضهم قتل تحته الثلاثة من الخيل.

وما زال الأمراء على ذلك حشى انتصف نهار الأحد صعد قطلوشاه الجبل وقد قتل من عسكره نحو ثمانين رجلاً وجرح الكثير واشتد عطشهم.

واتفق أن بعض من كان أسره التتار هرب ونزل إلى السلطان وعرفه أن التتار قد أجمعوا على النزول في السحر لمصادمة العساكر السلطانية وأنهم في شدة من العطش فاقتضى الرأي أن يفرج لهم عند نزولهم ويركب الجيش أقيمتهم.

فلما باتوا على ذلك وأصبحوا نهار الاثنين ركب التتار في الرابعة من النهار ونزلوا من الجبل فلم يتعرض لهم أحد وساروا إلى النهر فاقتحموه فعند ذلك ركبهم بلاء الله من المسلمين وأيدهم الله تعالى بنصره حتى حصدوا رؤوس التتار عن أبدانهم ووضعوا فيهم السيف ومروا في أثرهم قتلاً وأسراً إلى وقت العصر.

وعادوا إلى السلطان وعرفوه بهذا النصر العظيم فكتبت البشائر في البطائق وسرحت الطيور بهذا النصر العظيم إلى غزة.

وكتب إلى غزة بمنع المنهزمين من عساكر السلطان من الدخول إلى مصر وتتبع من نهب الخزائن السلطانية والاحتفاظ بمن يمسك منهم وعين السلطان الأمير بدر الدين بكتوت الفتح للمسير بالبشارة إلى مصر ثم كتب بهذا الفتح العظيم إلى سائر الأقطار.

ثم ركب السلطان في يوم الاثنين من مكان الواقعة وبات ليلته بالكسوة وأصبح يوم الثلاثاء وقد خرج إليه أهل دمشق فسار إليها ومعه الخليفة في عالم عظيم من الفرسان والأعيان والعامّة والنساء والصبيان لا يحصيهم إلا الله تعالى وهم يضجون بالدعاء والهناء والشكر لله سبحانه وتعالى على هذه المنّة! وتساقطت عبرات الناس فرحاً ودقت البشائر بسائر الممالك وكان هذا اليوم يومًا لم يشاهد مثله.

وسار السلطان حتى نزل بالقصر الأبلق وقد زينت المدينة.

وآستمرت الأمراء وبقيت العساكر في طلب التتار إلى القريتين وقد كلت خيول التتار وضعفت نفوسهم وألقوا أسلحتهم وأستسلموا للقتل والعساكر تقتلهم بغير مدافعة حتى إن أراذل العامة والغلمان قتلوا منهم خلقًا كثيرًا وغنموا عذ غنائم وقتل الواحد من العسكر العشرين من التتار فما فوقها ثم أدركت عربان البلاد التتار وأخذوا في كيدهم: فيجيء منهم الاثنان والثلاثة إلى العدة الكثير من التتار كأنهم يهدونهم إلى طريق قريبة مفازة فيوصلونهم إلى البرية ويتركونهم بها فيموتوا عطشًا ومنهم من دار بهم وأوصلوهم إلى غوطة دمشق فخرجت إليهم عامة دمشق فقتلوا منهم خلقًا كثيرًا.

ثم تتبعت الحكام النهبة وعاقبوا منهم جماعة كثيرة حتى تحصل أكثر ما نهب من الخزائن ولم يفقد منه إلا القليل.

ثم خلع السلطان على الأمراء جميعهم ثم حضر الأمير برلعي وقد كان آنهزم فلم يأذن له السلطان في الدخول عليه وقال: بأي وجه تدخل علي أو تنظر في وجهي! فما زال به الأمراء حتى رضي عنه.

ثم قبض على رجل من أمراء حلب كان قد انتمى إلى التتار وصار يدلهم على الطرقات فسمر على جمل وشهر بدمشق وضواحيها.

وآستمر الناس في شهر رمضان كله في مسرات تتجدد ثم صلى السلطان صلاة عيد الفطر وخرج في ثالث شوال من دمشق يريد الديار المصرية.

وأما التتار فإنه لما قتل أكثرهم ودخل قتلوشاه الفرات في قليل من أصحابه.

ووصل خبر كسرتة إلى همذان ووقعت الصرخات في بلادهم وخرج أهل تبريز وغيرها إلى لقائهم واستعلام خبر من فقد منهم حتى علموا ذلك فقامت النياحة في مدينة تبريز شهرين على القتلى.

ثم بلغ الخبر غازان فاغتم غمًا عظيمًا وخرج من منخرية دم كثير حتى أشفى على الموت واحتجب عن حواشيه فإنه لم يصل إليه من عساكره من كل عشرة واحد ممن كان أنتخبهم من خيار جيشه.

ثم بعد ذلك بمدة جلس غازان وأوقف قطلوشاه مقدم عساكره وجوبان وسوتاي ومن كان معهم من الأمراء وأنكر على قطلوشاه وأمر بقتله فما زالوا به حتى عفا عنه وأبعده من قدامه حتى صار على مسافة بعيدة بحيث يراه وقام إليه وقد مسكه الحجاب سائر من حضر - وهم خلق كثير جدًا - وصار كل منهم يبصق في وجهه حتى بصق الجميع! ثم أبعده عنه إلى كيلان ثم ضرب بولاي عدة عصي وأهانته.

وفي الجملة فإنه حصل على غازان بهذه الكسرة من القهر والههم ما لا مزيد عليه ولله الحمد.

وسار السلطان الملك الناصر بعساكره وأمرائه حتى وصل إلى القاهرة ودخلها في يوم ثالث عشرين شوال حسب ما يأتي ذكره.

وكان نائب الغيبة رسم بزينة القاهرة من باب النصر إلى باب السلسلة من القلعة وكتب بإحضار سائر مغاني العرب بأعمال الديار المصرية كلها.

وتفاخر الناس في الزينة ونصبوا القلاع واقتسمت أستاذارية الأمراء شوارع القاهرة إلى القلعة وزينوا ما يخص كل واحد منهم وعملوا به قلعة بحيث نودي: من أستعمل صانعًا في غير صنعة القلاع كانت عليه جناية للسلطان.

وتحسن سعر الخشب والقصب وآلات النجارة وتفاخروا في تزيين القلاع المذكورة وأقبل أهل الريف إلى القاهرة للفرجة على قدوم السلطان وعلى الزينة فإن الناس كانوا أخرجوا الحلبي والجواهر واللالى وأنواع الحرير فزينوا بها.

ولم ينسلخ شهر رمضان حتى تهيأ أمر القلاع وعمل ناصر الدين محمد بن الشبخي والي القاهرة قلعة بباب النصر فيها سائر أنواع الخد والهزل ونصب عدة أحواض مלאها بالسكر والليمون وأوقف مماليكه بشربات حتى يسقوا العسكر.

قلت: لو فعل هذا في زماننا والي القاهرة لكان حصل عليه الإنكار بسبب إضاعة المال وقيل له: لم لا حملت إلينا ما صرفته فإنه كان أنفع وخيرًا من هذا الفشار وإنما كانت نفوس أولئك غنية وهمهم عليه وما كان جل قصدهم إلا إظهار النعمة والتفاخر في الحشم والأسمطة والإنعامات حتى يشاع عنهم ذلك ويذكر إلى الأبد فرحم الله تلك الأيام وأهلها!!

وقدم السلطان إلى القاهرة في يوم الثلاثاء ثالث عشرين شوال وقد خرج الناس إلى لقائه وللفرجة عليه وبلغ كراء البيت الذي يمر عليه السلطان من خمسين درهمًا إلى مائة درهم.

فلما وصل السلطان إلى باب النصر ترجل الأمراء كلهم وأول من ترجل منهم الأمير بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح وأخذ يحمل سلاح السلطان فأمره السلطان أن يركب لكبر سنه ويحمل السلاح خلفه فامتنع ومشى.

وحمل الأمير مبارز الدين سوار الرومي أمير شكار القبة والطير على رأس السلطان وحمل الأمير بكتمر أمير جاندار العصا والأمير سنجر الجمقدار الدبوس ومشى كل أمير في منزلته وفرش كل منهم الشقق من قلعتة إلى قلعة غيره التي أنشأوها بالشوارع.

وكان السلطان إذا تجاوز قلعة فرشت القلعة المجاورة لها الشقق حتى يمشي عليها بفرسه مشياً هيناً من غير هرج بسكون ووقار لأجل مشي الأمراء بين يديه.

وكان السلطان كلما رأى قلعة أمير أمسك عن المشي ووقف حتى يعاينها ويعرف ما أشتملت عليه هو والأمراء حتى يجبر خاطر فاعلها بذلك.

هذا والأمراء من التتار بين يديه مقيدون ورؤوس من قتل منهم معلقة في رقابهم وألف رأس على ألف رمح وعدة الأسرى ألف وستمئة وفي أعناقهم أيضاً ألف وستمئة رأس وطبولهم قدامهم مخرقة.

وكانت القلاع التي نصبت أولها قلعة الأمير ناصر الدين ابن الشخي والي القاهرة باب النصر ويليها قلعة الأمير علاء الدين مغلطاي أمير مجلس ويليها قلعة آين أيتمش السعدي ثم يليها قلعة الأمير سنجر الجاولي وبعده قلعة الأمير طغريل الإيغاني ثم قلعة بهادر اليوسفي ثم قلعة سودي ثم قلعة بيليك الخطيري ثم قلعة برلغي ثم قلعة مبارز الدين أمير شكار ثم قلعة أيبك الخازندار ثم قلعة سنقر الأعسر ثم قلعة بييرس الدوادر ثم قلعة سنقر الكاملي ثم قلعة موسى ابن الملك الصالح ثم قلعة الأمير آل ملك ثم قلعة علم الدين الصوابي ثم قلعة الأمير جمال الدين الطشلاقي ثم قلعة الأمير سيف الدين آدم ثم قلعة الأمير سلال النائب ثم قلعة الأمير بييرس الجاشنكير ثم قلعة بكتاش أمير سلاح ثم قلعة الطواشي مرشد الخازندار - وكانت قلعتة على باب المدرسة المنصورية - ثم بعده قلعة بكتمر أمير جاندار ثم قلعة أيبك البغدادي نائب الغيبة ثم قلعة آين أمير سلاح ثم قلعة بكتوت الفتاح ثم قلعة تباكر الطغريلي ثم قلعة قلي السلاح دار ثم قلعة لاجين زيرباج الجاشنكير ثم قلعة طيبرس الخازنداري نقيب الجيش ثم قلعة بلبان طرنا ثم قلعة سنقر العلاني ثم قلعة بهاء الدين يعقوبا ثم قلعة الأبوبكري ثم قلعة بهادر العزي ثم قلعة كوكاي ثم قلعة قرا لاجين ثم قلعة كراي المنصوري ثم قلعة جمال الدين أقوش قتال السبع وقلعتة كانت على باب زويلة وكان عدتها سبعين قلعة.

وعندما وصل السلطان إلى باب البيمارستان المنصوري بين القصرين نزل ودخل وزار قبر والده الملك المنصور قلاوون وقرأ القراء أمامه ثم ركب إلى باب زويلة ووقف حتى أركب الأمير بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح.

ثم سار السلطان على شقق الحرير إلى داخل قلعة الجبل.

هذا والتهاني في دور السلطان والأمراء وغيرهم قد امتلأت منهم البيوت والشوارع بحيث إن الرجل كان لا يسمع كلام من هو بجانبه إلا بعد جهد وكان يوماً عظيماً عظم فيه سرور الناس قاطبة لا سيما أهل مصر فإنهم فرحوا بالنصر وأيضاً بسلامة سلطانهم الملك الناصر وأقام الملك الناصر بالديار المصرية إلى سنة ثلاث وسبعمئة فورد عليه الخبر بموت غازان بمدينة الري وقام بعده أخوه خريندا بن أرغون بن أبغا بن هولكو في ثالث عشر شوال وجلس خريندا على تخت الملك في ثالث عشر ذي الحجة وتلقب غياث الدين محمداً وكتب إلى السلطان بجلوسه وطلب الصلح وإخماد الفتنة.

ثم في السنة آستأذن الأمير سلار نائب السلطنة في الحج فأذن له فحج كما حج الأمير بيبرس الجاشنكير في السنة الماضية اثنتين وسبعمئة إلا أن سلار صنع من المعروف في هذه السنة والإحسان إلى أهل مكة والمجاورين وغيرهم وعاد ثم حج الأمير بيبرس الجاشنكير ثانيًا في سنة أربع وسبعمئة.

وورد الخبر على السلطان الملك الناصر بقدم رجل من بلاد التتار إلى دمشق يقال له الشيخ براق في تاسع جمادى الأولى ومعه جماعة من الفقراء نحو المائة لهم هيئة عجبية على رأسهم كلاوت لباد مقصص بعمائم فوقها وفيها قرون من لباد يشبه قرون الجواميس وفيها أجراس ولحاهم محلقة دون شواربهم ولبسهم لبايد بيض وقد تقلدوا بحبال منظومة بكعاب البقر وكل منهم مكسور الثنية العليا وشيخهم من أبناء الأربعة سنة وفيه إقدام وجرأة وقوة نفس وله صولة ومعه طبلخاناه تدق له نوبة وله محتسب على جماعته يؤدب كل من يترك شيئًا من سنته بضرب عشرين عصا تحت رجليه وهو ومن معه ملازمون التعبد والصلاة وأنه قيل له عن زيه فقال: أردت أن أكون مسخرة الفقراء.

وذكر أن غازان لما بلغه خبره استدعاه وألقى عليه سبغًا ضاربًا فركب على ظهر السبع ومشى به فجل في عين قازان ونثر عليه عشرة آلاف دينار وأنه عندما قدم دمشق كان النائب بالميدان الأخضر فدخل عليه وكان هناك نعامه قد تفاقم ضررها وشورها ولم يقدر أحد على الدنو منها فأمر النائب بإرسالها عليه فتوجهت نحوه فوثب عليها وركبها فطارت به في الميدان قدر خمسين ذراعًا في الهواء حتى دنا من النائب وقال له: أطيّر بها إلى فوق شيئًا آخر فقال له النائب: لا وأنعم عليه وهاداه الناس فكتب السلطان بمنعه من القدوم إلى الديار المصرية فسار إلى القدس ثم رجع إلى بلاده.

وفي فقرائه يقول سراج الدين عمر الوراق من موشحة طويلة أولها: جتنا عجم من جوا الروم صور تحير فيها الأفكار لها قرون مثل التيران إبليس يصيح منهم زهار وقد ترجمنا براق هذا في تاريخنا المنهل الصافي بأوسع من هذا انتهى.

ثم إن

▲ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة سبع وسبعمئة

ضجر من الحجر عليه من تحكم الأميرين سلار وبيبرش الجاشنكير ومنعه من التصرف وضيق يده وشكا ذلك لخاصته وأستدعى الأمير بكتمر الجوكندار وهو أمير جاندار يوم ذاك في خفية وأعلمه بما عزم عليه من القيام على الأميرين سلار وبيبرس فقرر معه بكتمر أن القلعة إذا أغلقت في الليل وحملت مفاتيحها إلى السلطان على العادة لبست ممالك السلطان السلاح وركبت الخيول من الإسطبل وسارت إلى إسطبلات الأمراء ودقت كوسات السلطان بالقلعة دقًا حربيًا ليجتمع الممالك تحت القلعة ممن هو في طاعة السلطان قال بكتمر: وأنا أهجم على بيتي سلار وبيبرس بالقلعة أيضًا.

قلت: أعني أن بكتمر كان سكنه بالقلعة فيهجم هو أيضًا على بيتي سلار وبيبرس بالقلعة أيضًا وبأخذهما قبضًا باليد.

وكان لكل من بيبرس وسلار أعين عند السلطان فبلغوهما ذلك فاحتزرا على أنفسهما وأمر الأمير سيف الدين بلبان الدمشقي والي القلعة وكان خصيصًا بهما أن يوهم أنه أغلق باب القلعة ويطرف أفعالها ويعبر بالمفاتيح إلى السلطان على العادة ففعل ذلك.

وظن السلطان ومماليكه أنهم قد حصلوا على غرضهم وآنظروا بكتمر الجوكندار أن يحضر إليهم فلم يحضر فبعثوا إليه فإذا هو مع بيبرس وسلار وقد حلف لهما على القيام معهما.

فلما طلع النهار ظن السلطان أن بكتمر قد غدر به وترقب المكروه من الأمراء وليس الأمر كذلك وما هو إلا أن سلار وبيبرس لما بلغهما الخبر خرجوا إلى دار النيابة بالقلعة وعزم بيبرس أن يهجم على بكتمر ويقتله فمنعه سلار لما كان عنده من التثبيت والتؤدة وأشار بالإرسال إليه ويحضره حتى تبطل حركة السلطان فلما أتى بكتمر الرسول تحير في أمره وقصد الامتناع وألبس مماليكه السلاح ومنعهم وخرج إليهم فعنفه سلار ولامه على ما قصد فأنكر وحلف لهم على أنه معهم وأقام عندهم إلى الصباح ودخل مع الأمراء إلى الخدمة عند الأمير سلار النائب ووقف أزام سلار وبيبرس على خيولهم بباب الإسطبل مترقبين خروج المماليك السلطانية ولم يدخل أحد من الأمراء إلى خدمة السلطان وتشاوروا.

وقد أشيع في القاهرة أن الأمراء يريدون قتل السلطان الملك وخرج العامة والأجناد إلى تحت القلعة وبقي الأمراء نهارهم مجتمعين وبعثوا بالاحتراس على السلطان خوفًا من نزوله من باب السر وألبسوا عدة مماليك وأوقفوهم مع الأمير سيف الدين سمك أخي سلار على باب الإسطبل.

فلما كان نصف الليل وقع بداخل الإسطبل حس وحركة من قيام المماليك السلطانية ولبسهم السلاح لينزلوا بالسلطان على حمية من الإسطبل وتوقعوا الحرب فمنعهم السلطان من ذلك وأراد الأمير سمك إقامة الحرمة فرمى بالنشاب ودق الطبل فوق سهم من النشاب بالرئف السلطاني وأستمر الحال على ذلك إلى أذان العصر من الغد فبعث السلطان إلى الأمراء يقول: " ما سبب هذا الركوب على باب إسطيلي إن كان غرضكم في الملك فما أنا متطلع إليه فخذوه وابعثوني أي موضع أردتم! " فردوا إليه الجواب مع الأمير بيبرس الدوادار والأمير عز الدين أيبك الخازندار والأمير برلغي الأشرفي بأن السبب هو من عند السلطان من المماليك الذين يحرضونه على الأمراء فأنكر أن يكون أحد من مماليكه ذكر له شيئًا عن الأمراء وفي عود الجواب من عند السلطان وقعت صيحة بالقلعة سببها أن العامة كان جمعهم قد كثر وكان عادتهم أنهم لا يريدون أن يلي الملك أحد من المماليك بل إن كان ولا بد يكون الذي يلي الملك من بني قلاوون.

وكانوا مع ذلك شديدي المحبة للملك الناصر محمد بن قلاوون.

فلما رأوا العامة أن الملك الناصر قد وقف بالرئف من القلعة وحواشي بيبرس وسلار قد وقفوا على باب الإسطبل محاصرينه حنقوا من ذلك وصرخوا ثم حملوا يدًا واحدة على الأمراء بباب الإسطبل وهم يقولون: " يا ناصر! يا منصور! " فأراد سمك قتالهم فمنعه من كان معه من الأمراء وخوفه الكسرة من العوام فتقهقروا عن باب الإسطبل السلطاني وسطا عليهم العامة وأفحشوا في حقهم.

وبلغ ذلك بيبرس وسلار فأركبا الأمير بتخاص المنصوري في عدة مماليك فنزلوا إلى العامة ينحونهم ويضربونهم بالدبابيس ليتفرقوا فأشدت صياحهم: يا ناصر! يا منصور! وتكاثر جمعهم وصاروا يدعون للسلطان ويقولون: الله يخون الخائن الله يخون من يخون ابن قلاوون! ثم حملت طائفة منهم على بتخاص ورجمته طائفة أخرى فجرد السيف ليضعه فيهم فخشى تكاثرهم عليه فأخذ يلاطفهم وقال لهم: طيبوا خاطركم فإن السلطان قد طاب خاطره على أمرائه وما زال يحلف لهم حتى تفرقوا.

وعاد بتخاص إلى سلار وبيبرس وعرفهم شدة تعصب العامة للسلطان فبعث الأمراء عند ذلك ثانيًا إلى السلطان بأنهم مماليكه وفي طاعته ولا بد من إخراج الشباب الذين يرمون الفتنة بين السلطان والأمراء فامتنع السلطان من ذلك وأشتد فما زال به بيبرس الدوادر وبرلغي حتى أخرج منهم جماعة وهم: يلغا التركماني وأيدمر المرقبي وخاص ترك فهدهم بيبرس وسلار وويخاهم وقصد سلار أن يقيدهم فلم توافق الأمراء على ذلك رعاية لخاطر السلطان فأخرجوا إلى القدس من وقتهم على البريد.

ودخل جميع الأمراء على السلطان وقبلوا الأرض ثم قبلوا يده فخلع على الأمير بيبرس وسلار.

ثم سأل الأمراء السلطان أن يركب في أمرائه إلى الجبل الأحمر حتى تطمئن قلوب العامة عليه ويعلموا أن الفتنة قد خمدت فأجاب لذلك.

وبات ليلته في قلق زائد وكرب عظيم لإخراج مماليكه المذكورين إلى القدس.

ثم ركب بالأمراء من الغد إلى قبة النصر تحت الجبل الأحمر وعاد بعد ما قال لبيبرس وسلار: إن سبب الفتنة إنما كان من بكتمر الجوكندار وذلك أنه رآه قد ركب بجانب الأمير بيبرس الجاشنكير وحادثه فتذكر غدره به فشق عليه ذلك.

فتلطفوا به في أمره فقال: " والله ما بقيت لي عين تنظر إليه ومتى أقام في مصر لا جلست على كرسي الملك أبدًا " فأخرج من وقته إلى قلعة الصبية واستقر عوضه أمير جاندار الأمير بدر الدين بكتوب الفتاح.

فلما مات سنقرشاه بعد ذلك آستقر بكتمر الجوكندار في نيابة صغد عوضه فنقل إليها من الصبية.

وأجتاز السلطان بخانقاه الأمير بيبرس الجاشنكير داخل باب النصر فرآها في ممره وكان قد نجز العمل منها في هذه الأيام وطلع السلطان إلى القلعة وسكن الحال والأمراء في حصر من جهة العامة من تعصبهم للسلطان والسلطان في حصر بسبب حجر الأمراء عليه وإخراج مماليكه من عنده.

وآستمر ذلك إلى أن كان العاشر من جمادى الآخرة من سنة ثمان وسبعمئة عدى السلطان الجيزة وأقام حول الأهرام يتصيد عشرين يومًا وعاد وقد ضاق صدره وصار في غاية الحصر من تحكم بيبرس الجاشنكير وسلار عليه وعدم تصرفه في الدولة من كل ما يريد حتى إنه لا يصل إلى ما تشتهي نفسه من المأكّل لقلّة المرتب له! فلولا ما كان يتحصل له من أملاكه وأوقاف أبيه لما وجد سبيلًا لبلوغ بعض أغراضه وطال الأمر عليه سنين فأخذ في عمل مصلحة نفسه وأظهر أنه يريد الحج بعياله وحدث بيبرس وسلار في ذلك يوم النصف من شهر رمضان فوافقاه عليه وأعجب البرجية خشداشية بيبرس سفره لينالوا أغراضهم وشرعوا في تجهيزه وكتب إلى دمشق والكرك وغزة برمي الإقامة وألزم عرب الشرقية بحمل الشعير فتحيا ذلك.

وأحضر الأمراء تقادمهم له من الخيل والجمال في العشرين من شهر رمضان فقبلها منهم وشكرهم على ذلك.

وركب في خامس عشرين شهر رمضان من القلعة يريد السفر إلى الحج ونزل من القلعة ومعه جميع الأمراء وخرج العامة حوله وحاذوا بينه وبين الأمراء وهم يتباكون حوله ويتأسفون على فراقه ويدعون له إلى أن نزل بركة الحجاج.

وتعين للسفر مع السلطان من الأمراء: عز الدين أيدمر الخطيري الأستاذار وسيف الدين آل ملك الجوكندار وحسام الدين قرا لاجين أمير مجلس وسيف الدين بلبان أمير جاندار وعز الدين أيبك الرومي السلاح دار وركن الدين بيبرس الأحمدى وعلم الدين سنجر الجمقدار وسيف الدين تقطاي الساقى وشمس الدين سنقر السعدى النقيب ومن المماليك خمسة وسبعون نفرًا.

وودعه سلار وبيبرس بمن معهم من الأمراء وهم على خيولهم من غير أن يترجلوا له وعاد الأمراء.

ورحل السلطان من ليلته وخرج إلى جهة الصالحية وتصيد بها ثم سار إلى الكرك ومعه من الخيل مائة وخمسون فرسًا فوصل إلى الكرك في يوم الأحد عاشر شوال بمن معه من الأمراء ومماليكه.

واحتفل الأمير جمال الدين آقوش الأشرفى نائب الكرك بقدومه وقام له بما يليق به وزين له القلعة والمدينة وفتح له باب السر من قلعة الكرك ومد الجسر على الخندق وكان له مدة سنين لم يمد وقد ساس خشبه لطول مكثه.

فلما عبرت الدواب عليه وأتى السلطان في آخرهم آنكسر الجسر تحت رجلى فرس السلطان بعدما تعدى يدا الفرس الجسر فكاد فرس السلطان أن يسقط لولا أنهم جبدوا عنان الفرس حتى خرج من الجسر وهو سالم وسقط الأمير بلبان طرنا أمير جاندار وجماعة كثيرة ولم يمت منهم سوى رجل واحد وسقط أكثر خاصكية السلطان فى الخندق وسلموا كلهم إلا اثنين وهم: الحاج عز الدين أزدمر رأس نوبة الجمدارية أنقطع نخاعه وبطل وعاش كذلك لسنة ست عشرة وسبعمئة والآخر مات لوقته.

قال ابن كثير فى تاريخه: ولما توسط السلطان الجسر آنكسر فسلم من كان قدامه وقفز به فرسه فسلم وسقط من كان وراءه وكانوا خمسين فمات أربعة وتهشم أكثرهم فى الوادى تحته.

انتهى.

وقال غيره: لما انقطعت سلسلة الجسر وتمزق الخشب صرخ السلطان على فرسه وكان قد نزلت رجله فى الخشب فوثب الفرس إلى داخل الباب ووقع كل من كان على الجسر وكانوا أكثر من مائة مملوك فوقعوا فى الخندق فمات منهم سبعة وأنهشم منهم خلق كثير وضاق صدر السلطان فقليل له: هذه شدة يأتى من بعدها فرج.

وجلس السلطان بقلعة الكرك ووقف نائبها الأمير آقوش خجلًا وجلاً خائفًا أن يتوهم السلطان أن يكون ذلك مكيدة منه فى حقه وكان النائب المذكور قد عمل ضيافة عظيمة للسلطان غرم عليها جملة مستكثرة فلم تقع الموقع لاشتغال السلطان بهمه وبما جرى على مماليكه وخاصكيته.

ثم إن السلطان سأل الأمير آقوش عن الجسر المذكور فقال: ما سبب انقطاعه فقال آقوش بعد أن قبل الأرض: أيد الله مولانا السلطان هذا الجسر عتيق وثقل بالرجال فما حمل فقال السلطان: صدقت ثم خلع عليه وأمره بالانصراف.

وعندما استقر السلطان بقلعة الكرك عرف الأمراء أنه قد انثنى عزمه عن الحج وأختار الإقامة بالكرك وترك السلطنة وخلع نفسه ليستريح خاطره.

وقال آبن كثير: لما جرى على السلطان ما جرى واستقر في قلعة الكرك خلع على النائب وأذن له في التوجه إلى مصر فسافر.

وقال صاحب النزهة: لما بات السلطان تلك الليلة في القلعة وأصبح طلب نائب الكرك وقال له: يا جمال الدين سافر إلى مصر وأجتمع بخشداشيتك فباس الأرض وقال: السمع والطاعة.

ثم إنه خرج في تلك الساعة بمماليكه وكل من يلوذ به.

ثم بعد ثلاثة أيام نادى السلطان بالقلعة والكرك: لا يبقى هنا أحد لا كبير ولا صغير حتى يخرج فيجيب ثلاثة أحجار من خارج البلد فخرج كل من بالقلعة والبلد.

ثم إن السلطان أغلق باب الكرك ورجعت الناس ومعهم الأحجار فرأوا الباب مغلقًا فقيل لهم: كل من له أولاد أو حريم يخرج إليه ولا يبقى أحد بالكرك فخرج الناس بمتاعهم وأولادهم وأموالهم وما أمسى المساء وبقي في الكرك أحد من أهلها غيره ومماليكه.

ثم طلب مملوكه أرغون الدوادر وقال له: سر إلى عقبة أيلة وأحضر بيتي وأولادي فسار إليهم أرغون وأقدمهم عليه.

ووجد الملك الناصر من الأموال بالكرك سبعة وعشرين ألف دينار عيّنًا وألف ألف درهم وسبعمائة ألف درهم.

ثم إن السلطان طلب الأمراء الذين قدموا معه وعرفهم أنه اختار الإقامة بالكرك كما كان أولًا وأنه ترك السلطنة فشق عليهم ذلك وبكوا وقبلوا الأرض يتضرعون إليه في ترك هذا الخاطر وكشفوا رؤوسهم فلم يقبل ولا رجع إلى قولهم.

ثم استدعى القاضي علاء الدين علي بن أحمد بن سعيد بن الأثير كاتب السر وكان قد توجه معه وأمره أن يكتب للأمراء بالسلام عليهم ويعرفهم أنه قد رجع عن الحج وأقام بالكرك ونزل عن السلطنة وسألهم الإنعام عليه بالكرك والشوبك وأعطى الكتب للأمراء وأمرهم بالعودة إلى الديار المصرية وأعطاهم الهجن التي كانت معه برسم الحج وعدتها خمسمائة هجين والجمال والمال الذي قدمه له الأمراء برسم التقدمة قبل خروجه من القاهرة فساروا الجميع إلى القاهرة.

وأما إخراج السلطان أهل قلعة الكرك منها لأنه قال: أنا أعلم كيف باعوا الملك السعيد بركة خان آبن الملك الظاهر بيبرس بالمال لطرنتاي! فلا يجاورونني فخرج كل من كان فيها بأموالهم وحريمهم من غير أن يتعرض إليهم أحد البتة.

وأما النائب آقوش فإنه أخذ حريمه وسافر إلى مصر بعد أن قدم ما كان له من الغلال إلى السلطان وهو شيء كثير فقبله السلطان منه.

فلما قدم آقوش إلى مصر قال له سلاو وبيبرس: من أمرك بتمكين السلطان من الطلوع إلى القلعة يعني قلعة الكرك فقال: كتابكم وصل إلي يأمرني بأن أنزل إليه وأطلعه إلى القلعة فقال: وأين الكتاب فأخرجه فقال: هذا غير الكتاب الذي كتبناه فأطلبوا الطنبغا فطلبوه فوجدوه قد هرب إلى الكرك عند السلطان فسكتوا عنه.

انتهى.

وأما الكتاب الذي كتبه الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك إلى بيبرس وسلاار
مضمونه: " بسم الله الرحمن الرحيم .

حرس الله تعالى نعمة الجنابيين العالبيين الكبيرين الغازيين المجاهدين وفقهما الله تعالى
توفيق العارفين! أما بعد فقد طلعت إلى قلعة الكرك وهي من بعض قلاعي وملكلي وقد
عولت على الإقامة فيها فإن كنتم ممالئكي وممالئك أبي فأطيعوا نائبي يعني نائبي سلاار
ولا تخالفوه في أمر من الأمور ولا تعملوا شيئاً حتى تشاوروني فأنا ما أريد لكم إلا الخير
وما طلعت إلى هذا المكان إلا لأنه أروح لي وأقل كلفة وإن كنتم ما تسمعون مني فأنا
متوكل على الله والسلام ."

فلما وصل الكتاب إلى الأمراء قرأوه وتشاوروا ساعة ثم قاموا من باب القلعة وذهبوا إلى
دار بيبرس وأتفقوا على أن يرسلوا إلى الملك الناصر كتاباً فكتبوه وأرسلوه مع البرواني
على البريد فصار البرواني إلى أن وصل إلى الكرك واجتمع بالملك الناصر وقبل الأرض
بين يديه وناوله الكتاب فأعطاه الملك الناصر لأرغون الدوادر فقرأه فتبسم السلطان
وقال: لا إله إلا الله! وكان في الكتاب: " ما علمنا ما عولت عليه وطلوعك إلى قلعة
الكرك وإخراج أهلها وتشبيعك نائبيها وهذا أمل بعيد فحل عنك شغل الصبي وقم وأحضر
إلينا وإلا بعد ذلك تطلب الحضور ولا يصح لك وتندم ولا ينفعلك الندم .

فيا ليت لو علمنا ما كان .

وقع في خاطرک وما عولت عليه غير أن لكل ملك آنصرام ولانقضاء الدولة أحكام
ولحلول الأقدار سهام ولأجل هذا أمرک غيک بالتطويل وحسن لك زخرف الأقاويل فالله
الله حال وقوفک على هذا الكتاب يكون الجواب حضورک بنفسک ومعک ممالئکک وإلا
تعلم أنا ما نخليک في الكرك ولو كثر شاکروک ويخرج الملك من يدک والسلام ."

فقال الملك الناصر: لا إله إلا الله كيف أظهروا ما في صدورهم! ثم أمر بإحضار آلة مثل
العصائب والسناجق والكوسات وكل ما كان معه من آلة الملك وسلمها إلى البرواني
وقال له: قل لسلاار " ما أخذت لكم شيئاً من بيت المال وهذا الذي أخذته قد سيرته لكم
وأنظروا في حالکم فأنا ما بقيت أعمل سلطاناً وأنتم على هذه الصورة! فدعوني أنا في
هذه القلعة منعزلاً عنکم إلى أن يفرج الله تعالى إما بالموت وإما بغيره ."

فأخذ البرواني الكتاب وجميع ما أعطاه السلطان وسار إلى أن وصل إلى الديار المصرية
ودفع الكتاب لسلاار وبيبرس فلما قرأ الكتاب قالوا: " ولو كان هذا الصبي يجيء ما بقي
يفلح ولا يصلح للسلطنة وأي وقت عاد إلى السلطنة لا نأمن غدره ."

فلما سمعت الأمراء ذلك اجتمعت على سلطنة الأمير سلاار فخاف سلاار من ذلك وخشي
العاقبة فامتنع فأختار الأمراء رکن الدين بيبرس الجاشنكير وأكثرهم البرجية فإنهم
خشدأشيتيه .

وبوع له بعد أن أثبت كتاب الملك الناصر محمد بن قلاوون على القضاة بالديار المصرية
بأنه خلع نفسه وكانت البيعة لبيبرس في الثالث والعشرين من شوال من سنة ثمان
وسبعمئة في يوم السبت بعد العصر في دار سلاار .

يأتي ذكر ذلك كله في أول ترجمة بيبرس إن شاء الله تعالى .

وكانت مدة سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون في هذه المرة الثانية عشر سنين
وخمسة أشهر وتسعة عشر يوماً .

وتأتي بقية ترجمته في سلطنته الثالثة بعد أن نذكر سلطنة بيبرس وأيامه كما نذكر أيام الملك الناصر هذا قبل ترجمة بيبرس المذكور على عادة هذا الكتاب إن شاء الله تعالى. والحمد لله وحده.

على مصر وهي سنة ثمان وتسعين وستمائة على أن الملك المنصور لاجين كان حكم منها مائة يوم.

فيها كان قتل الملك المنصور حسام الدين لاجين المذكور ومملوكه منكوتر حسب ما تقدم.

وفيها في العشر الأوسط من المحرم ظهر كوكب ذو ذؤابة في السماء ما بين أواخر برج الثور إلى أول برج الجوزاء وكانت ذؤابته إلى ناحية الشمال وكان في العشر الأخير من كانون الثاني وهو شهر طوبة.

وفيها توفي القاضي نظام الدين أحمد ابن الشيخ الإمام العلامة جمال الدين محمود بن أحمد بن عبد السلام الحصري الحنفي في يوم الخميس ثامن المحرم ودفن يوم الجمعة بمقابر الصوفية بدمشق عند والده وكان إمامًا عالمًا بارعًا ذكيًا وله ذهن جيد وعبارة طليقة مفيدة ودرس بالنورية وغيرها وأفتى سنين وأقرأ وناب في الحكم بدمشق عن قاضي القضاة حسام الدين الحنفي وحسنت سيرته رحمه الله.

وفيها توفي الأمير عز الدين أيبك الموصلني نائب طرابلس والفتوحات الطرابلسية في أول صفر مسمومًا.

وكان من أجل الأمراء وله مواقف مشهورة.

وفيها توفي قتيلاً الأمير سيف الدين طغجي بن عبد الله الأشرفي.

أصله من مماليك الملك الأشرف خليل بن قلاوون.

وقتل أيضًا الأمير سيف الدين كرجي والأمير نوغاي الكرموني السلاح دار وهؤلاء الذين قتلوا السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين ومملوكه منكوتر ثم قتلوا بعده بثلاثة أيام حسب ما تقدم ذكر ذلك كله في آخر ترجمة الملك المنصور لاجين مفصلاً وقتل معهم تمام اثني عشر نفرًا من الأمراء والخاصكية ممن تألبوا على قتل لاجين.

وفيها توفي الأمير بدر الدين بدر الصوابي أحد أمراء الألوف بدمشق في ليلة الخميس تاسع جمادى الأولى بقرية الخيارة.

كان خرج إليها فمرض بها ومات وقيل بل مات فجأة - وهو الأصح - فحمل منها إلى جبل قاسيون ودفن بترتبه التي أعدها لنفسه.

وكان أميرًا مباركًا صالحًا دينًا خيرًا.

قال عز الدين بن عبد الدائم: أقام أمير مائة ومقدم ألف أكثر من أربعين سنة وولي إمرة الحاج بدمشق غير مرة.

رحمه الله.

وفيهما توفي العلامة حجة العرب الإمام الأستاذ بهاء الدين أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحلبي النحوي المعروف بابن النحاس.

مات بالقاهرة في يوم الثلاثاء سابع جمادى الأولى وأخرج من الغد ودفن بالقرافة بالقرب من تربة الملك المنصور لاجين ومولده في سنة سبع وعشرين وستمئة بحلب وكان إمامًا عالمًا علامة بارعًا في العربية نادرة عصره في فنون كثيرة.

وله نظم ونثر.

قال العلامة أثير الدين أبو حيان: حدثنا الشيخ بهاء الدين ابن النحاس قال: اجتمعت أنا والشهاب مسعود السنبل والضياء المناوي فأنشد كل منا له بيتين فكان الذي أنشده السنبل في مליح مكارى: علقته مكاريًا شرد عن عيني الكرى قد أشبه البدر فلا يمل من طول السرى وأنشد المناوي في مليح اسمه جمري: أفدي الذي يكبت بدر الدجى لحسنه الباهر من عبده سموه جمريًا وما أنصفوا ما فيه جمري سوى خده وأنشد الشيخ بهاء الدين هذا في مليح مشروط: قلت لما شرطوه وجرى لحمه القاني على الوجه اليقق غير بدع ما أتوا في فعلهم هو بدر ستروه بالشفق قلت: ونظم الثلاثة نظم متوسط ليس بالطبقة العليا.

وأحسن من الأول قول من قال: أفدي مكاريًا تراه إذا سعى كالبرق ينتهب العيون ويخطف أخذ الكرا مني وأحرمني الكرى بيني وبينك يا مكارى الموقف وأحسن من الأخير قول من قال وهو نجم الدين عبد المجيد بن محمد التنوخي: ملك الفؤاد بغير شر - - ط حسنه والشرط أملك غيره في المعنى: شرطوه فبكى من ألم فغدا ما بين دمع ودم نائراً من ذا ومن ذا لؤلؤًا وعقيقًا ليس بالمنتظم وفيها توفي الصاحب تقي الدين أبو البقاء توبة بن علي بن مهاجر بن شجاع بن توبة التكريتي في ليلة الخميس ثامن جمادى الآخرة ودفن بقاسيون.

وكان رئيسًا فاضلاً ولي الوزر بدمشق لخمسة سلاطين: أولهم المنصور قلاوون ثانيهم آبنه الأشرف خليل ثم لأخيه الناصر محمد ثم للعادل كتبغا ثم للمنصور لاجين.

انتهى.

وكان مولده سنة عشرين وستمئة.

وفيهما في أول ذي القعدة وقيل في شوال توفي بالقاهرة الأمير الكبير بدر الدين بيسري بن عبد الله الشمسي الصالحي النجمي بالسجن بقلعة الجبل ودفن بتربته بالقاهرة.

كان أميرًا جليلًا معظمًا في الدول كان الظاهر بيبرس يقول: هذا ابن سلطاننا في بلادنا! وعرضت عليه السلطنة لما قتل الملك الأشرف خليل ابن قلاوون فامتنع وكانت قد عرضت عليه قبل ذلك بعد الملك السعيد بن الظاهر فلم يقبل وهو آخر من بقي من أكابر مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب وترقى حتى صار أميراً مائة ومقدم ألف وعظم في الدول حتى قبض عليه خشداشه المنصور قلاوون وحبسه تسع سنين إلى أن أطلقه آبنه الأشرف خليل وأعادته إلى رتبته فاستمر إلى أن قبض عليه المنصور لاجين وحبسه إلى أن قتل لاجين وأعيد الناصر محمد بن قلاوون فكلموه في إطلاقه فأبى إلا حبسه إلى أن مات في الجب.

وكانت له دار عظيمة بين القصرين وقد تغيرت رسومها الآن.

وكان عالي الهمة كثير الصدقات والمعروف كان عليه في أيام إمرته رواتب لجماعة من مماليكه وحواشيه وخدمه فكان يرتب لبعضهم في اليوم من اللحم سبعين رطلاً وما تحتاج إليه من التوابل وسبعين عليقة ولأقلهم خمسة أرطال وخمس علائق وما بين ذلك وكان ما يحتاج إليه في كل يوم لسماطه ولدوره والمرتب عليه ثلاثة آلاف رطل لحم وثلاثة آلاف عليقة في كل يوم وكانت صدقته على الفقير ما فوق الخمسمائة ولا يعطي أقل من ذلك وكان إنعامه ألف إردب غلة وألف قنطار غسل وألف دينار وأشياء يطول شرحها.

وفي الجملة أنه كان من أعظم أمراء مصر بلا مدافعة.

وبيسري: أسم مركب من لفظتين: تركية وعجمية وصوابه في الكتابة باي سري فباي في اللغة التركية بالتفخيم هو السعيد وسري بالعجمي الرأس فمعنى الاسم سعيد الرأس.

قلت: وكان سعيد الرأس كما قيل وهذا بخلاف مذهب النحاة فإن هذا الاسم عين المسمى.

انتهى.

وفيها توفي الأستاذ جمال الدين أبو المجد ياقوت بن عبد الله المستعصي الرومي الطواشي صاحب الخط البديع الذي شاع ذكره شرقاً وغرباً.

كان خصيصاً عند أستاذه الخليفة المستعصم بالله العباسي آخر خلفاء بني العباس ببغداد.

رباه وأدبه وتعهده حتى برع في الأدب ونظم ونثر وانتهت إليه الرياسة في الخط المنسوب.

وقد سمي بهذا الاسم جماعة كثيرة قد ذكر غالبهم في هذا التاريخ منهم كتاب وغير كتاب وهم: ياقوت أبو الدر الكاتب مولى أبي المعالي أحمد بن علي بن النجار التاجر الرومي وفاته بدمشق سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وياقوت الصقلي الجمالي أبو الحسن مولى الخليفة المسترشد العباسي وفاته سنة ثلاث وستين وخمسمائة وياقوت أبو سعيد مولى أبي عبد الله عيسى بن هبة الله بن النقاش وفاته سنة أربع وسبعين وخمسمائة وياقوت بن عبد الله الموصل الكاتب أمين الدين المعروف بالملكي نسبة إلى أستاذه السلطان ملكشاه السلجوقي وياقوت هذا أيضاً ممن أنتشر خطه في الآفاق ووفاته بالموصل سنة ثمانى عشرة وستمائة وياقوت بن عبد الله الحموي الرومي شهاب الدين أبو الدر: كان من خدام بعض التجار ببغداد يعرف بعسكر الحموي وياقوت هذا هو صاحب التصانيف والخط أيضاً ووفاته سنة ست وعشرين وستمائة وياقوت بن عبد الله مهذب الدين الرومي مولى أبي منصور التاجر الجيلي وياقوت هذا كان شاعراً ماهراً وهو صاحب القصيدة التي أولها: ووفاته سنة اثنتين وعشرين وستمائة.

فهؤلاء الذين تقدموا ياقوت المستعصي صاحب الترجمة بالوفاة وكل منهم له ترجمة وفضيلة وخط وشعر.

وقد تقدم ذكر غالبهم في هذا الكتاب وإنما ذكرناهم هنا جملة لكون جماعات كثيرة من الناس مهما رأوه من الخطوط والتصانيف يقرأوه لياقوت المستعصي وليس الأمر كذلك بل فيهم من رجح خطه ابن خلكان على ياقوت هذا.

قلت: وقد خرجنا عن المقصود لكثرة الفائدة ولنعد إلى بقية ترجمة ياقوت المستعصي.

فمن شعره قوله: تجدد الشمس شوقي كلما طلعت إلى محياك يا سمعي ويا بصري
وأسهر الليل ذا أنس بوحشته إذ طيب ذكرك في ظلماته سمري وكل يوم مضى لي لا
أراك به فلست محتسبًا ماضيه من عمري ليلي نهاري إذا ما درت في خلدي لأن ذكرك
نور القلب والبصر وله أيضًا: صدقتم في الوشاة وقد مضى في حبكم عمري وفي تكذيبها
وزعمتم أني مللت حديثكم من ذا يمل من الحياة وطبيها الذين ذكر الذهبي وفاتهم في
هذه السنة قال: وفيها توفي السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري
ومن الغد قتل نائبه منكوتر ثم قتلوا الأميرين كرجي وطغجي الأشرفيين.

وأحضر السلطان الملك الناصر وعاد إلى السلطنة.

وفيها توفي الإمام جمال الدين محمد بن سليمان بن النقيب الحنفي صاحب التفسير
بالقدس في المحرم.

والعلامة بهاء الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم أبو عبد الله الحلبي آبن
النحاس في جمادى الأولى.

والصاحب تقي الدين توبة بن علي بن مهاجر التكريتي في جمادى الآخرة.

والزاهد الملقن علي بن محمد بن علي بن بقاء الصالحي في شوال.

والمسند ناصر الدين عمر بن عبد المنعم بن عمر بن القواس في ذي القعدة.

وصاحب حماة الملك المظفر تقي الدين محمود ابن المنصور محمد بن محمود بن محمد
بن عمر بن شاهنشاه.

والملك الأوحى يوسف ابن الملك الناصر داود بن المعظم عيسى.

والعماد عبد الحافظ بن بدران بن شبل النابلسي في ذي الحجة وقد قارب التسعين.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وأصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وست عشرة إصبعًا.

السنة الثانية من سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون

الثانية على مصر فيها كانت وقعة السلطان الملك الناصر محمد المذكور مع قازان على
حمص وقد تقدم ذكرها.

وفيها توفي القاضي علاء الدين أحمد بن عبد الوهاب بن خلف بن محمود ابن بدر العلامي
المعروف بابن بنت الأعز.

كان لطيف العبارة جميل الصورة لطيف المزاج.

تولى حسبة القاهرة ونظر الأحباس ودرس بعدة مدارس وحج ودخل اليمن ثم عاد إلى
القاهرة ومات بها في شهر ربيع الآخر وكان له نظم ونثر.

ومن شعره قصيدة أولها: إن أومض البرق في ليل بذى سلم فإنه ثغر سلمى لاح في
الظلم وفيها توفي الشيخ المسند المعمر شرف الدين أحمد بن هبة الله ابن تاج الأمناء

أحمد بن محمد بن عساكر بدمشق وبها دفن بمقابر الصوفية بترية الشيخ فخر الدين بن عساكر وكان من بقايا المسنين تفرد سماعًا وإجازة.

من عدم هذه السنة من وقعة حمص مع التتار قاضي القضاة حسام الدين الحنفي والشيخ عماد الدين إسماعيل ابن تاج الدين أحمد بن سعيد بن الأثير الكاتب والأمير جمال الدين المطروحي والأمير سيف الدين كرت والأمير ركن الدين الجمالي نائب غزة ولم يظهر للجميع خبر غير أنهم ذكروا أن قاضي القضاة حسام الدين المذكور أسروه التتار وباعوه للفرنج ووصل قبرص وصار بها حكيمًا وداوي صاحب قبرص من مرض مخيف فشفي فأوعده أن يطلقه فمرض القاضي حسام الدين المذكور ومات.

كذا حكى بعض أجناد الإسكندرية.

وفيها توفي الشيخ الصالح الحافظ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فرج بن أحمد بن اللخمي الإشبيلي بدمشق ودفن بمقابر الصوفية وكان حافظًا دينًا خيرًا زاهدًا متورعًا.

عرض عليه جهات كثيرة فأعرض عنها وهو صاحب القصيدة المشتملة على صفات الحديث: غرامي صحيح والرجا فيك معضل وحزني ودمعي مرسل ومسلسل وصبري عنكم يشهد العقل أنه ضعيف ومتروك وذلي أجمل فلا حسن إلا سماع حديثكم مشافهة تملى علي فأنقل وأمرني موقوف عليك وليس لي على أحد إلا عليك المعول ولو كان مرفوعًا إليك لكنك لي على رغم عدالي ترق وتعدل وعذل عذول منكر لا أسيفه وزور وتديس يرد ويهمل أقضي زمانني فيك متصل الأسى ومنقطعًا عما به أتوصل وها أنا في أكفان هجرتك مدرج تكلفني ما لا أطيق فأحمل وهي أطول من ذلك.

وفيها توفي قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز ابن قاضي القضاة محيي الدين يحيى بن محمد بن علي بن الزكي في يوم الأحد حادي عشر ذي الحجة.

وكان من أعيان الدمشقيين ودرس بعدة مدارس وأنتفع به الناس.

رحمه الله.

وفيها توفي الشيخ الإمام العالم مفتي المسلمين شمس الدين محمد ابن الشيخ الإمام العلامة شيخ المواهب قاضي القضاة صدر الدين أبي الربيع سليمان ابن أبي العز وهيب الحنفي الدمشقي في يوم الجمعة سادس عشر ذي الحجة بالمدرسة النورية بدمشق ودفن بترية والده بقاسيون وكان فقيها عالمًا مفتيًا بصيرًا بالأحكام متصدبًا للفتوى والتدريس.

أفتى مدة أربع وثلاثين سنة وقرأ عليه جماعة كثيرة وانتفع الناس به وكان نائبًا في القضاء عن والده وسئل بالمناصب الجليلة فأمتنع من قبولها.

رحمه الله.

قلت: وبنو العز بيت كبير بدمشق مشهورون بالعلم والرياسة.

وفيها توفي صاحب الأندلس أمير المسلمين أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف المعروف بابن الأحمر.

ملك الأندلس وما والاها بعد موت والده سنة إحدى وسبعين وستمائة وامتدت أيامه وقوي سلطانه ومات في عشر الثمانين رحمه الله تعالى.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: فيها توفي الإمام شمس الدين محمد بن عبد القوي المقدسي النحوي.

وعماد الدين يوسف بن أبي نصر الشقاري وقاضي القضاة إمام الدين عمر بن عبد الرحمن القزويني بمصر في ربيع الآخر.

وعبد الدائم بن أحمد المحجي الوزان.

وعلي بن أحمد بن عبد الدائم وأخوه عمر.

وأحمد بن زيد بن أبي الفضل الصالحي الفقير المعروف بالجمال.

وشرف الدين أبو الفضل أحمد بن هبة الله بن أحمد بن عساكر في جمادى الأولى.

وعيسى بن بركة بن والي.

ومحمد بن أحمد بن نوال الرصافي.

وعلي بن مطر المحجي البقال.

وصفية بنت عبد الرحمن بن عمرو الفراء وابن عمها إبراهيم بن أبي الحسن بن عمرو بن موسى أبو إسحاق الفراء.

وأحمد بن محمد الحداد.

وخديجة بنت التقي محمد بن محمود بن عبد المنعم المرابطي.

والحافظ شهاب الدين أحمد بن فرج اللخمي الإشبيلي في جمادى الآخرة.

وأبو العباس أحمد بن سليمان بن أحمد المقدسي الحراني.

والشيخ عز الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد الحق.

والخطيب موفق الدين محمد بن محمد المعروف بابن حبيش في جمادى الآخرة بدمشق.

والمعمرة زينب بنت عمر بن كندي ببلبك.

والأمير علم الدين سنجر البرنلي الدواداري في رجب بحصن الأكراد.

والمؤيد علي بن إبراهيم بن يحيى ابن خطيب عقرباء.

وشمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن الفضل الواسطي في رجب وله أربع وثمانون سنة.

والعلامة نجم الدين أحمد بن مكّي في جمادى الآخرة.

والإمام شمس الدين محمد بن سلمان بن حمائل سبط غانم.
والشيخ بدر الدين حسن بن علي بن يوسف بن هود المرسي في رجب.
والإمام شمس الدين محمد آبن الفخر عبد الرحمن بن يوسف البعلبكي في رمضان.
والشريف شمس الدين محمد بن هاشم بن عبد القاهر العباسي العدل في رمضان وله
أربع وتسعون سنة.
والشيخ بهاء الدين أيوب بن أبي بكر بن إبراهيم بن هبة الله أبو صابر بن النحاس مدرس
القليجية في شوال.

والمفتي جمال الدين عبد الرحيم بن عمر الباجري.
والعدل بهاء الدين محمد بن يوسف البرزالي عن اثنتين وستين سنة.
والأديب جمال الدين عمر بن إبراهيم بن العقيمي الرسعني وله أربع وتسعون سنة.
أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وعدة أصابع.
مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وست أصابع وكان الوفاء ثالث عشر توت.
السنة الثالثة من سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية على مصر وهي سنة
سبعمئة من الهجرة.

فيها توفي الأمير سيف الدين بليان الطباخي بالعسكر المنصور على الساحل وكان من
أعيان الأمراء وأحشمهم وأشجعهم وأكثرهم عدة ومماليك وحاشية.
وولي نيابة حلب قبل ذلك بمدة ثم ولي الفتوحات بالساحل ودام عليها سنين.
وكان جميل السيرة والطريقة وله المواقف المشهورة والنكاية في العدو.
رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الأديب البارع شهاب الدين أبو جلنك الحلبي الشاعر المشهور صاحب النوادر
الطريفة كان بارعًا ماهرًا وفيه همة وشجاعة.

ولما كانت وقعة التتار في هذه السنة نزل أبو جلنك المذكور من قلعة حلب لقتال التتار
وكان ضخمًا سميرًا فوق عن فرسه من سهم أصاب الفرس فبقي راجلاً فأسروه
وأحضره بين يدي مقدم التتار فسأله عن عسكر المسلمين فرفع شأنهم فغضب مقدم
التتار عليه اللعنة من ذلك فضرب عنقه.

رحمه الله تعالى.

ومن شعر أبي جلنك المذكور قوله: وشادن يصفع مغرى به براحة أندى من الواابل
فصحت في الناس ألا فأعجبوا بحر غدا يلطم في الساحل قال الشيخ صلاح الدين
الصفدي رحمه الله: وكان أبو جلنك قد مدح قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان
فوقع له برطلي خبز فكتب أبو جلنك على بستانه: والبان تحسبه سنانيرًا رأت قاضي

القضاة فنفسشت أذناها قلت: لعل الصلاح الصفدي وهم في ابن خلكان والصواب أن
القصة كانت مع قاضي القضاة كمال الدين ابن الزملاكي.

انتهى.

ومن شعر أبي جليلك في أقطع: وبني أقطع ما زال يسخو بماله ومن جوده ما رد في
الناس سائل تناهت يده فاستطال عطاؤها وعند التناهي يقصر المتناول قلت: ووقع في
هذا المعنى عدة مقاطيع جيدة في كتابي المسمى بـ " حلية الصفات في الأسماء
والصناعات " فمن ذلك: أفديه أقطع يشدو ساروا ولا ودعوني ما أنصفوا أهل ودي
وأصلتهم قطعوني ولشمس الدين ابن الصائغ الحنفي: وأقطع قلت له هل أنت لص أوجد
فقال هذي صنعة لم يبق لي فيها يد وفي المعنى هجو: وما قطعوه بعد الوصل لكن أرادوا
كفه عن ذي الصنعة غيره في المعنى: من يكن في الأصل لصًا لم يكن قط أمينًا فثقوا
منه برهن أو خذوا منه يمينا وفيها توفي الشيخ الصالح المسند عز الدين أبو الفدى
إسماعيل بن عبد الرحمن بن عمر بن موسى بن عميرة المعروف بابن الفراء المرادوي
ثم الصالح الحنبلي.

مولده سنة عشر وستمئة وسمع الكثير وحدث وخرج له الحافظ شمس الدين الذهبي
مشيخة وكان دينا خيرا وله نظم.

عن ذلك قوله: أين من عهد آدم وإلى الآ - - ن ملوك وساعة وصدور مزقتهم أيدي
الحوادث وأستو - - لت عليهم رحي المنون تدور وله في المعنى وقيل هما لغيره: ثم
أنقضت تلك السنون وأهلها فكانها وكأنهم أحلام وكذاك من يأتي وحقك بعدهم أمضاه رب
قادر غلام الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي عز الدين أحمد ابن
العماد عبد الحميد بن عبد الهادي في المحرم وله ثمان وثمانون سنة.

وعمداد الدين أحمد بن محمد بن سعد المقدسي وله ثلاث وثمانون سنة.

وعز الدين إسماعيل بن عبد الرحمن بن عمر الفراء في جمادى الآخرة وله تسعون سنة.

وأبو علي يوسف بن أحمد بن أبي بكر الغسولي في الشهر وله نحو من تسعين سنة.

والحافظ شمس الدين أبو العلاء محمود بن أبي بكر البخاري الفرضي بماردين في ربيع
الأول وله ست وخمسون سنة.

وشمس الدين أبو القاسم الخضر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبدان الأزدي في ذي
الحجة.

والمقرئ شمس الدين محمد بن منصور الحاضري في صفر.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم والحديث أعني مجموع النيل في هذه السنة ست
عشرة ذراعًا وثمانية عشرة إصبعًا.

السنة الرابعة من سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية على مصر وهي سنة
إحدى وسبعمئة.

فيها في ثالث عشر من شهر ربيع الأول سافر الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير إلى
الإسكندرية وصحبته جماعة كثيرة من الأمراء بسبب الصيد ورسم له السلطان أن مدة

مقامه بالإسكندرية يكون دخلها له ثم أعطى السلطان لجميع الأمراء دستورًا لمن أراد السفر لإقطاعه لعمل مصالح بلاده وكان إذ ذاك يربعون خيولهم شهرًا واحدًا لأجل العدو المخدول.

وفيها توفي مسند العصر شهاب الدين أحمد ابن رفيع الدين إسحاق بن محمد ابن المؤيد الأبرقوهي بمكة في العشرين من ذي الحجة.

ومولده سنة خمس عشرة وستمئة بأبرقوه من أعمال شيراز وكان سمع الكثير وحدث وطال عمره وتفرد بأشياء.

وفيها توفي الحافظ شرف الدين أبو الحسين علي بن الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي الحسين أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن محمد بن محمد اليونيني في يوم الخميس حادي عشر شهر رمضان ببعلبك.

ومولده في حادي عشر شهر رجب سنة إحدى وعشرين وستمئة ببعلبك.

وفيها توفي الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله المعروف بأرجواش المنصوري نائب قلعة دمشق في ليلة السبت ثاني عشرين ذي الحجة وكان شجاعًا.

وهو الذي حفظ قلعة دمشق في نوبة غازان وأظهر من الشجاعة ما لا يوصف على تغفل كان فيه حسب ما قدمنا من ذكره في أصل ترجمة الملك الناصر محمد بن قلاوون ما فعله وكيف كان حفظه لقلعة دمشق.

وأما أمر التغفل الذي كان به: قال الشيخ صلاح الدين خليل بن أيك في تاريخه: حكى لي عنه عبد الغني الفقير المعروف قال: لما مات الملك المنصور قلاوون أعني أستاذه قال لي: أحضر لي مقرئين يقرأون ختمة للسلطان فأحضرت إليه جماعة فجعلوا يقرأون على العادة فأحضر دبويسًا وقال: كيف تقرأون للسلطان هذه القراءة! تقرأون عاليًا فضجوا بالقراءة جهدهم فلما فرغوا منها قلت: يا خوند فرغت الختمة فقال: يقرأون أخرى فقرأوها وقفزوا ما أرادوا فلما فرغوا أعلمته قال: ويلك! السماء ثلاثة والأرض ثلاثة والأيام ثلاثة والمعادن ثلاثة وكل ما في الدنيا ثلاثة يقرأون أخرى! فقلت: اقرأوها واحمدوا الله تعالى على أنه ما علم أن هذه الأشياء سبعة سبعة فلما فرغوا من الثلاثة وقد هلكوا من صراخهم قال: دعهم عندك في الترسيم إلى بكرة ورح آكتب عليهم حجة بالقسامة الشريفة بالله تعالى وبنعمة السلطان أن ثواب هذه الختمات لمولانا السلطان الملك المنصور قلاوون ففعلت ذلك وجئت إليه بالحجة فقال: هذا جيد أصلح الله أبدانكم وصرف لهم أجرتهم.

وحكى عنه عدة حكايات من هذا تدل على تغفل كبير.

قلت: ويلحق أرجواش هذا بعقلاء المجانين فإن تديبره في أمر قلعة دمشق وقيامه في قتال غازان له المنتهى في الشجاعة وحسن التدبير.

انتهى.

وفيها توفي شمس الدين سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير في سابع عشر ذي القعدة بدمشق وفيها توفي الشريف نجم الدين أبو نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله المحض بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن

الحسن بن علي بن أبي طالب الحسيني المكي صاحب مكة المشرفة في يوم الأحد رابع صفر بعد أن أقام في إمرة مكة أربعين سنة و قدم القاهرة مرارًا وكان يقال: لولا أنه زيدي لصلح للخلافة لحسن صفاته.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وأصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعاً.

السنة الخامسة من سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية على مصر وهي سنة اثنتين وسبعمئة.

فيها في أول المحرم قدم الأمير بيبرس الجاشنكير من الحجاز ومعه الشريفان حميضة ورميثة في الحديد فسجنا بقلعة الجبل.

وفيها في رابع جمادى الآخرة ظهر بالنيل دابة كلون الجاموس بغير شعر واذناها كآذن الجمل وعيناها وفرجها مثل الناقة وبغطي فرجها ذنب طوله شبر ونصف طرفه كذنب السمك ورقبتها مثل ثخن التليس المحشو تبنًا وفمها وشفتاها مثل الكريال ولها أربع أنياب اثنتان فوق اثنتين في طول نحو شبر وعرض إصبعين وفي فمها ثمانية وأربعون ضرسًا وستًا مثل بيادق الشطرنج وطول يدها من باطنها شبران ونصف ومن ركبتها إلى حافرها مثل أظافير الجمل وعرض ظهرها قدر ذراعين ونصف ومن فمها إلى ذنبها خمس عشرة قدمًا وفي بطنها ثلاثة كروش ولحمها أحمر له ذفرة السمك وطعمه مثل لحم الجمل وثخانة جلدها أربع أصابع لا تعمل فيه السيوف وحمل جلدها على خمسة جمال في مقدار ساعة من ثقله وكان ينقل من جمل إلى جمل وقد حشي تبنًا حتى وصل إلى قلعة الجبل.

وفيها كان بمصر والقاهرة زلزلة عظيمة أخرجت عدة منائر ومبان كثيرة من الجوامع والبيوت حتى أقامت الأمراء ومباشرو الأوقاف مدة طويلة ترم وتجدد ما تشعث فيها من المدارس والجوامع حتى منارة الإسكندرية.

وفيها أبطل الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير عيد الشهيد بمصر وهو أن النصراني كان عندهم تابوت فيه إصبع يزعمون أنها من أصابع بعض شهدائهم وأن النيل لا يزيد ما لم يرم فيه هذا التابوت فكان يجتمع النصراني من سائر النواحي إلى شبرا ويقع هناك أمور يطول الشرح في ذكرها حتى إن بعض النصراني باع في أيام هذا العيد باثني عشر ألف درهم خمرا من كثرة الناس التي تتوجه إليه للفرجة وكان تثور في هذا العيد فتن وتقتل خلائق.

فأمر الأمير بيبرس رحمه الله بإبطال ذلك وقام في ذلك قومة عظيمة فشقق ذلك على النصراني واجتمعوا بالأقباط الذين أظهروا الإسلام فتوجه الجميع إلى التاج ابن سعيد الدولة كاتب بيبرس وكان خصيصًا به وأوعدوا بيبرس بأموال عظيمة وخوفوه من عدم طلوع النيل ومن كسر الخراج فلم يلتفت إلى ذلك وأبطله إلى يومنا هذا.

وفيها توفي الشيخ كمال الدين أحمد بن أبي الفتح محمود بن أبي الوحش أسد بن سلامة بن سليمان بن فتيان المعروف بآبن العطار أحد كتاب الدرج بدمشق في رابع عشر ذي القعدة.

ومولده سنة ست وعشرين وستمئة وكان كثير التلاوة مجبًا لسماع الحديث وسمع وحدث وكان صدرًا كبيرًا فاضلاً وله نظم ونثر وأقام يكتب الدرج أربعين سنة.

وفيهما توفي الشيخ شهاب الدين أحمد ابن الشيخ القدوة برهان الدين إبراهيم ابن معضاد الجعبري بالقاهرة وقد تقدم ذكر وفاة والده ودفن بزاويته خارج باب النصر من القاهرة.

وفيهما توفي الأمير فارس الدين ألبكي الساقي أحد مماليك الملك الظاهر بيبرس.

كان من أكابر أمراء الديار المصرية ثم اعتقل إلى أن أفرج عنه الملك المنصور قلاوون وأنعم عليه بإمرة ثم نقله إلى نياحة صغد فأقام بها عشر سنين وفر مع الأمير قبجق إلى غازان وتزوج بأخته ثم قدم مع غازان ولحق بالسلطان فولاه نياحة حمص حتى مات بها في يوم الثلاثاء ثامن ذي القعدة.

وكان مليح الشكل كثير الأدب ما جلس قط بلا خوف وإذا ركب ونزل حمل جمداره شاشه فإذا أراد الركوب لفه مرة واحدة بيده كيف كانت.

وفيهما استشهد بوقعة شقحب الأمير عز الدين أيدير العزي نقيب المماليك السلطانية وأصله من مماليك الأمير عز الدين أيدير الظاهري نائب الشام وكان كثير الهزل وإليه تنسب سوقة العزي خارج القاهرة بالقرب من جامع ألباي اليوسفي.

وفيهما استشهد الأمير يوسف الدين أيدير الشمسي القشاش وكان قد ولي كشف الغربية والشرقية جميعًا وأشدت مهابته وكان يعذب أهل الفساد بأنواع قبيحة من العذاب منها: أنه كان يغرس خازوقًا بالأرض ويجعل عوده قائمًا ويرفع الرجل ويسقطه عليه! وأشياء كثيرة ذكرناها في ترجمته في تاريخنا المنهل الصافي ولم يجسر أحد من الفلاحين في أيامه أن يلبس منزرًا أسود ولا يركب فرسًا ولا يتقلد بسيف ولا يحمل عصا مجلبة بحديد حتى ولا أرباب الأدراك ثم استعفى من الولاية ولزم داره وخرج لغزوة شقحب في محفة إلى وقت القتال: لبس سلاحه وركب فرسه وهو في غاية الألم فقبل له: أنت لا تقدر تقاتل فقال: والله لمثل هذا اليوم أنتظر وإلا بأي شيء يتخلص القشاش من ربه بغير هذا! وحمل على العدو وقاتل حتى قتل ورثي فيه - بعد أن مات - ستة جراحات.

وفيهما أيضًا استشهد الأمير أوليا بن قرمان أحد أمراء الظاهرية وهو ابن أخت قرمان وكان شجاعًا مقدامًا.

وفيهما استشهد أيضًا الأمير عز الدين أيبك الأستادار وكان من كبار الأمراء المنصورية.

وآستشهد الأمير جمال الدين آقوش الشمسي الحاجب والأمير سيف الدين بهادر أحد الأمراء بحماة والأمير صلاح الدين ابن الكامل والأمير علاء الدين ابن الجاكي والشيخ نجم الدين أيوب الكردي والأمير شمس الدين سنقر الشمسي الحاجب والأمير شمس الدين سنقر الكافري والأمير سنقرشاه أستادار بيبرس الجالق والأمير حسام الدين علي بن باخل والأمير لاجين الرومي المنصوري أستادار الملك المنصور قلاوون ويعرف بالحسام.

قلت: ورأيت أنا من ذريته الصارمي إبراهيم بن الحسام.

وكل هؤلاء استشهدوا في نوبة غازان بشقحب بيد التتار.

وفيهما توفي الملك العادل كتبغا المنصوري نائب حماة بها وهو في الكهولية في ليلة الجمعة يوم عيد الأضحى.

وقد تقدم ذكره في ترجمته من هذا الكتاب عند ذكر سلطنته بالديار المصرية وما وفيها توفي قاضي القضاة تقي الدين محمد ابن الشيخ مجد الدين علي بن وهب بن مطيع بن

أبي الطاعة القشيري المنفلوطي الفقيه المالكي ثم الشافعي المعروف بابن دقيق العيد قاضي قضاة الشافعية بالديار المصرية.

كان إمامًا عالمًا.

كان مالكياً ثم أنتقل إلى مذهب الشافعي ومولده في عشرين شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة ومات في يوم الجمعة حادي عشر صفر وكان تفقه بأبيه ثم بالشيخ عز الدين ابن عبد السلام وغيره وسمع من ابن المقير وابن رواج وابن عبد الدائم وغيرهم وخرج لنفسه تساعيات وصار من أئمة العلماء في مذهبي مالك والشافعي مع جودة المعرفة بالأصول والنحو والأدب إلا أنه كان قهره الوسواس في أمر المياه والنجاسات وله في ذلك حكايات ووقائع عجيبة.

وروى عنه الحافظ فتح الدين ابن سيد الناس وقاضي القضاة علاء الدين القونوي وقاضي القضاة علم الدين الإخنائي وغيرهم.

وكان أبو حيان النحوي يطلق لسانه في حق قاضي القضاة المذكور وقد أوضحنا ذلك في ترجمته في المنهل الصافي باستيعاب.

ومن نظمه قصيدته المشهورة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم التي أولها: يا سائراً نحو الحجاز مشمراً اجهد فديتك في المسير وفي السرى وإذا سهرت الليل في طلب العلا فحذار ثم حذار من خدع الكرى وله أيضاً: قد أتعبتني همتي وفطنتي فليتنى كنت مهيناً جاهلاً أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم لم يحرر.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً سواء وكان الوفاء في سابع عشرين مسري.

السنة السادسة من سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية على مصر وهي سنة ثلاث وسبعمائة.

فيها آتتدب الأمراء لعمارة ما خرب من الجوامع بالزلزلة في السنة الماضية وأنفقوا فيها مالا جزيلًا.

وفيها كملت عمارة المدرسة الناصرية بين القصرين ونقل الملك الناصر محمد بن قلاوون أمه من التربة المجاورة للمشهد النفيسي إليها.

وموضع هذه المدرسة الناصرية كان دارًا تعرف بدار سيف الدين بلبان الرشيدي فأشترها الملك العادل زين الدين كتبغا وشرع في بنائها مدرسة وعمل بوابتها من أنقاض مدينة عكا وهي بوابة كنيسة بها ثم خلع كتبغا فأشترها الملك الناصر محمد هذا على يد قاضي القضاة زين الدين علي بن مخلوف وأتمها وعمل لها أوقافًا جليلة من جملتها: قيسارية أمير علي بالشرابشين والربع المعروف بالدهيشة قريبًا من باب زويلة وحوانيت بباب الزهومة والحمام المعروفة بالفخرية بجوار المدرسة الفخرية وعدة أوقاف أخرى في مصر والشام.

وفيها توفي الأمير عز الدين أيبك الحموي.

كان أصله من مماليك الملك المنصور صاحب حماة فطلبه منه الملك الظاهر بيبرس هو وأبو خرص علم الدين سنجر من الملك المنصور فسيرهما إليه فرقاها ثم أمرهما ثم ولى الملك الأشرف خليل أيبك هذا نيابة دمشق بعد سنجر الشجاعى حتى عزله الملك

العدل كتيغا بمملوكه إغزلوا العادلي وولي بعد ذلك نيابة صرخد ثم حمص وبها مات في
تاسع عشر ربيع الآخر.

وفيها توفي الأمير ركن الدين بيبرس التلاوي.

وكان يلي شد دمشق وكان فيه ظلم وعسف وتولى عوضه شد دمشق الأمير قيران
الدواداري.

وفيها توفي القاضي شمس الدين سليمان بن إبراهيم بن إسماعيل الملطي ثم الدمشقي
الحنفي أحد نواب الحكم بدمشق ومصر.

كان فقيهاً عالمًا دينًا مباركًا حسن السيرة.

وفيها توفي القان إيل خان معز الدين قازان وقيل كازان وكلاهما يصح معناه ابن أرغون
بن أبغا بن هولوكو بن تولى بن جنكز خان بيلاد قزوين في ثاني عشر شوال وحمل إلى
تربيته وقبته التي أنشأها خارج تبريز.

وكان جلوسه على تخت الملك في سنة ثلاث وتسعين وستمئة وأسلم في سنة أربع
وتسعين ونثر الذهب والفضة واللؤلؤ على رؤوس الناس وفشا الإسلام بإسلامه في
ممالك التتار وأظهر العدل وتسمى محمودًا وكان أجل ملوك المغل من بيت هولوكو وهو
صاحب الوقعات مع الملك الناصر محمد بن قلاوون والذي ملك الشام.

وقد تقدم ذكر ذلك كله في أصل هذه الترجمة.

وفيها توفي القاضي فتح الدين أبو محمد عبد الله ابن الصاحب عز الدين محمد بن أحمد
بن خالد بن محمد القيسراني في يوم الجمعة خامس عشرين شهر ربيع الآخر بالقاهرة
وقد وزر جده موفق الدين خالد للملك العادل نور الدين محمود بن زنكي المعروف
بالشهيد.

وكانت لديه فضيلة وعني بالحديث وجمع وألف كتابًا في معرفة الصحابة وكان له نظم
ونثر وخرج لنفسه أربعين حديثًا وروى عنه الدمياطي من شعره وأخذ عنه الحافظ فتح
الدين ابن سيد الناس والبرزالي والذهبي.

ومن شعره: بوجه معذبي آيات حسن فقل ما شئت فيه ولا تحاشي ونسخة حسنه قرئت
فصحت وها خط الكمال على الجواشي وفيها توفي القاضي كمال الدين أبو الفتح موسى
ابن قاضي القضاة شمس الدين أحمد ابن شهاب الدين محمد بن خلكان.

كان فاضلاً آشتغل في حياة والده ودرس وكانت سيرته غير مشكورة وهو كان أكبر
الأسباب في عزل والده ومات في شهر ربيع الأول.

وفيها توفي الشريف أبو فارس عبد العزيز بن عبد الغني بن سرور بن سلامة المنوفي
أحد أصحاب أبي الحجاج الأقصري.

مات في ليلة الاثنين خامس عشر ذي الحجة بمصر عن مائة وعشرين سنة.

وفيها توفي الشريف جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا أمير المدينة النبوية
مصروقًا عن ولايتها والأصح وفاته في القابلة.

وفيها توفي الإمام المحدث تاج الدين علي بن أحمد بن عبد المحسن الحسيني الغرافي الإسكندراني في سابع ذي الحجة.

وفيها توفي الأمير الوزير ناصر الدين محمد ويقال ذبيان الشخي تحت العقوبة في سابع ذي القعدة.

وفيها توفي الشريف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد الأرموي نقيب الأشراف في تاسع عشر شوال وكان فاضلاً رئيساً.

وقيل وفاته في الآتية وهو الأقوى.

الماء القديم ثلاث أذرع وعدة أصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وست عشرة إصبغاً.

وكان الوفاء أول أيام النسيء.

السنة السابعة من سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون

الثانية على مصر وهي سنة أربع وسبعمائة.

فيها توجه الأمير بيبرس الجاشنكير إلى الحجاز مرة ثانية ومعه علاء الدين أيدغدي الشهرزوري رسول ملك الغرب والأمير بيبرس المنصوري الدوادار والأمير بهاء الدين يعقوباً وجماعة كثيرة من الأمراء وخرج ركب الحاج في عالم كثير من الناس مع الأمير عز الدين أيك الخازندار زوج بنت الملك الظاهر بيبرس.

وفيها ظهر في معدن الزمرد قطعة زنتها مائة وخمسة وسبعون مثقالاً فأخفاها الضامن ثم حملها إلى بعض الملوك فدفع فيها مائة ألف وعشرين ألف درهم فأبى أن يبيعها فأخذها الملك منه غصباً وبعث بها إلى السلطان فمات الضامن غمّاً.

وفيها توفي القاضي فتح الدين أحمد بن محمد بن سلطان القوصي الشافعي وكيل بيت المال بقوص وأحد أعيانها.

كان من الرؤساء ومات بها في حادي عشر المحرم.

وفيها توفي القاضي زين الدين أحمد ابن الصاحب فخر الدين محمد ابن الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن حنا في ليلة الخميس ثامن صفر وكان فقيهاً فاضلاً متديباً وافر الحرمة.

وفيها توفي شمس الدين أحمد بن علي بن هبة الله بن السيد الإنساني خطيب إسنا ونائب الحكم بها وبأدفو وقوص في شهر رجب وكانت قد أنتهت إليه رياسة الصعيد وبنى بقوص مدرسة وكان قوي النفس كثير العطاء مهاباً ممدوحاً يبذل في بقاء رياسته الآلاف الكثيرة يقال إنه بذل في نيابة الحكم بالصعيد مائتي ألف وصادره الأمير كراي المنصوري وأخذ منه مائة وستين ألف درهم فقدم القاهرة ومات بها.

وفيها توفي الأمير بيبرس الموفق المنصوري أحد الأمراء بدمشق بها في يوم الأربعاء ثالث عشر جمادى الآخرة مخنوقاً وهو سكران.

نسأل الله حسن الخاتمة بمنه وكرمه.

وفيها توفي الأمير الشريف عز الدين جماز بن شيحة أمير المدينة وقد تقدم في الماضية.

والأصح أنه في هذه السنة.

وفيها توفي الأمير شمس الدين محمد ابن الصاحب شرف الدين إسماعيل بن أبي سعيد بن التيتي الأمدي أحد الأمراء ونائب دار العدل بقلعة الجبل كان رئيسًا فاضلاً.

وفيها توفي الأمير مبارز الدين سوار الرومي المنصوري أمير شكار وكان من أعيان الأمراء وفيه شجاعة وحشمة ورياسة وكان معظمًا في الدول.

وفيها توفي الأمير سيف الدين بهادر بن عبد الله المنصوري المعروف بسمز أعني سميًا مقتولًا بأيدي عرب الشام بعد أن قتل منهم مقتلة كبيرة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وأصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا واثنتا عشرة إصبغًا وكان الوفاء رابع توت.

السنة الثامنة من سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية على مصر وهي سنة خمس وسبعمئة.

فيها قدمت هدية الملك المؤيد هزبر الدين داود صاحب اليمن فوجدت قيمتها أقل من العادة فكتب بالإنكار عليه والتهديد.

وفيها آستسقى أهل دمشق لقلة الغيث فسقوا بعد ذلك ولله الحمد.

وفيها توفي خطيب دمشق شرف الدين أحمد بن إبراهيم بن سباع الفزاري الفقيه المقرئ النحوي المحدث الشافعي في شوال عن خمس وسبعين سنة.

وفيها توفي الحافظ شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف بن الخضر بن موسى الدمياطي الشافعي أحد الأئمة الأعلام والحفاظ والثقات.

مولده في سنة ثلاث عشرة وستمئة بتونة وهي بلدة في بحيرة تينيس من عمل دمياط وقيل في سنة عشر وستمئة وأشتغل بدمياط وحفظ التنبيه في الفقه وسمع بها وبالقاهرة من الحافظ عبد العظيم المنذري وأخذ عنه علم الحديث وقرأ القرآن بالروايات وبرع في عدة فنون وسمع من خلائق آستوعبنا أسماء غالبهم في ترجمته في المنهل الصافي.

ورحل إلى الحجاز ودمشق وحلب وحماة وبغداد وحدث وسمع منه خلائق مثل اليوبيني والقونوي والمزي وأبي حيان والبرزالي والذهبي وابن سيد الناس وخلق سواهم وصنف مصنفات كثيرة ذكرنا غالبها في المنهل الصافي وله كتاب فضل الخيل وقد سمعت أنا هذا الكتاب بقراءة الحافظ قطب الدين الخيضر في أربعة مجالس آخرها في سلخ شعبان سنة خمس وأربعين وثمانمئة بالقاهرة في منزل المسمع بحارة برجوان على الشيخ الإمام العلامة مؤرخ الديار المصرية تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريري بسماعه جميعه على الشيخ ناصر الدين محمد بن علي بن الطبردار الحراوي بسماعه جميعه على الشيخ مؤلفه الحافظ شرف الدين الدمياطي صاحب الترجمة - رحمه الله -

وكانت وفاته فجأة بالقاهرة: بعد أن صلى العصر غشي عليه في موضعه فحمل إلى منزله فمات من ساعته في يوم الأحد خامس عشر ذي القعدة.

ومن شعره: روينا بإسناد عن ابن مغفل حديثًا شهيرًا صح من علة القدح بأن رسول الله حين مسيره لثامنة وافته من ليلة الفتح وفيها توفي الملك الأوحى وقيل الزاهر تقي الدين شادي ابن الملك الزاهر مجير الدين داود ابن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه الصغير ابن الأمير ناصر الدين محمد ابن الملك المنصور أسد الدين شيركوه الكبير ابن شادي بن مروان الأيوبي في ثالث صفر وهو يوم ذاك أحد أمراء دمشق.

وفيها توفي المسند أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الحراني الحنبلي.

مولده بحران سنة ثمانى عشرة وستمائة وسمع من ابن روية والمؤمن بن قميرة وسمع بمصر من ابن الجميزي وغيره وتفرد بأشياء وكان فيه دعابة ودين وتلا بمكة ألف ختمة.

وفيها توفي قاضي قضاة الشافعية بحلب شمس الدين محمد بن محمد بن بهرام بها في أول جمادى وفيها توفي الشيخ الإمام شرف الدين أبو زكريا يحيى بن أحمد بن عبد العزيز الجذامي الإسكندراني المالكي شيخ القراءات بها في هذه السنة وكان إمامًا عالمًا بالقراءات وله مشاركة في فنون.

رحمه الله.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم لم يحرر وزاد البحر حتى بلغ ثمانى أذرع ونصفًا ثم توقف إلى ثامن مسري ثم زاد حتى أوفى في رابع توت.

وبلغ ست عشرة ذراعًا وخمس عشرة إصبغًا.

السنة التاسعة من سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية على مصر وهي سنة ست وسبعمائة.

فيها وقع بين الأميرين: علم الدين سنجر البرواني وسيف الدين الطشلاقي على باب قلعة الجبل مخاصمة بحضرة الأمراء لأجل استحقاقهما في الإقطاعات لأن الطشلاقي نزل على إقطاع البرواني وكان كل منهما في ظلم وعسف.

والبرواني من خواص بيبرس الجاشنكير والطشلاقي من ألام سلار لأنه خشداشه كلاهما مملوك الملك الصالح علي ابن الملك المنصور قلاوون - ومات في حياة والده قلاوون - فسطا الطشلاقي على البرواني وسفه عليه فقام البرواني إلى بيبرس وأشتكى منه فطلبه بيبرس وعنفه فأساء الطشلاقي في رد الجواب وأفحش في حق البرواني وقال: أنت واحد منفي تجعل نفسك مثل ممالك السلطان! فاستشاط بيبرس غضبًا وقام ليضربه فجرد الطشلاقي سيفه يريد ضرب بيبرس فقامت قيامة بيبرس وأخذ سيفه ليضربه فترامى عليه من حضر من الأمراء وأمسكوه عنه وأخرجوا الطشلاقي من وجهه بعدما كادت ممالك بيبرس وحواشيه تقتله بالسيف وفي الوقت طلب بيبرس الأمير سنقر الكمالي الحاجب وأمر بنفي الطشلاقي إلى دمشق فخشى سنقر من النائب سلار ودخل عليه وأخبره فأرسل سلار جماعة من أعيان الأمراء إلى بيبرس وأمرهم بملاطفته حتى يرضى عن الطشلاقي وأن الطشلاقي يلزم داره فلما سمع بيبرس ذلك من الذين حضروا صرخ فيهم وحلف إن بات الطشلاقي الليلة بالقاهرة عملت فتنة كبيرة فعاد الحاجب وبلغ سلار ذلك فلم يسعه إلا السكوت لأنهما أعني بيبرس وسلار كانا غضبا على

الملك الناصر محمد وتحقق كل منهما متى وقع بينهما الخلف وجد الملك الناصر طريقًا لأخذهما واحدًا بعد واحد فكان كل من بيبرس وسلار يراعي الآخر وقد اقتسما مملكة مصر وليس للناصر معهما إلا مجرد الاسم في السلطنة فقط.

انتهى.

وأخرج الطشلاقي من وقته وأمر سلار الحاجب بتأخيره في بلبس حتى يراجع بيبرس في أمره فعندما اجتمع سلار مع بيبرس في الخدمة السلطانية من الغد بدأ بيبرس سلار بما كان من الطشلاقي في حقه من الإساءة وسلار يسكنه ولا يسكن بل يشتد فأمسك سلار عن الكلام على حقد في الباطن وصار السلطان يريد إثارة الفتنة بينهما فلم يتم له ذلك.

وتوجه الطشلاقي إلى الشام منفيًا.

وفيها قدم البريد على الملك الناصر من حماة بمحضر ثابت على القاضي بأن ضيعة تعرف ببارين بين جبلين فسمع للجبلين في الليل قعقة عظيمة فتسارع الناس في الصباح إليهما وإذا أحد الجبلين قد قطع الوادي وأنتقل منه قدر نصفه إلى الجبل الآخر والمياه فيما بين الجبلين تجري في الوادي فلم يسقط من الجبل المنتقل شيء من الحجارة ومقدار النصف المنتقل من الجبل مائة ذراع وعشر أذرع ومسافة الوادي الذي قطعه هذا الجبل مائة ذراع وأن قاضي حماة خرج بالشهود حتى عاين ذلك وكتب به محضرًا.

فكان هذا من الغرائب.

وفيها وقعت الوحشة بين بيبرس الجاشنكير وسلار بسبب كاتب بيبرس التاج ابن سعيد الدولة فإنه كان أساء السيرة ووقع بين هذا الكاتب المذكور وبين الأمير سنجر الجاولي وكان الجاولي صديقًا لسلار إلى الغاية فقام بيبرس في نصرة كاتبه وقام سلار في نصرة صاحبه الجاولي ووقع بينهما بسبب ذلك أمور وكان بيبرس من عادته أنه يركب لسلار عند ركوبه وينزل عند نزوله فمن يومئذ لم يركب معه وكادت الفتنة أن تقع بينهما ثم استدركا أمرها خوفًا من الملك الناصر وأصطلحا بعد أمور يطول شرحها وتكلمنا في أمر الوزير ومن يصلح لها فعين سلار كاتب بيبرس التاج ابن سعيد الدولة المقدم ذكره تقريبًا لخاطر بيبرس بذلك فقال بيبرس: ما يرضى فقال سلار: دعني وإياه فقال بيبرس: دونك وتفارقا.

فبعث سلار للتاج المذكور وأحضره فلما دخل عليه عبس وجهه وصاح بإزعاج: هاتوا خلعة الوزارة فأحضرها وأشار إلى تاج الدولة المذكور بلبسها فتمنع فصرخ فيه وحلف لئن لم يلبسها ضرب عنقه فخاف الإخراق به لما يعلمه بغض سلار له فلبس التشريف وكان ذلك يوم الخميس خامس عشر المحرم من السنة وقبل يد سلار فبش في وجهه ووصاه وخرج تاج الدولة بخلعة الوزارة من دار النيابة بقلعة الجبل إلى قاعة الصاحب بها وبين يديه النقباء والحجاب وأخرجت له دواة الوزارة والبقلة فعلم على الأوراق وصرف الأمور إلى بعد العصر ثم نزل إلى داره.

وهذا كله بعد أن أمسك بيبرس سنجر الجاولي وصادره ثم نفاه إلى دمشق على إمرة طبلخاناه وولى مكانه أستاذًا الأمير أيدير الخطيري صاحب الجامع ببولاق.

وفيها توفي الصاحب شهاب الدين أحمد بن أحمد بن عطاء الله الأزرعي الدمشقي الحنفي محتسب دمشق ووزيرها وكان رئيسًا فاضلاً حسن السيرة.

وفيهما توفي الأمير عز الدين أبيك بن عبد الله الطويل الخازندار المنصوري في حادي عشر شهر ربيع الأول بدمشق وكان دينًا كثير البر والصدقات والمعروف.

وفيهما توفي الأمير بدر الدين بكتاش بن عبد الله الفخري الصالحي النجمي أمير سلاح.

أصله من مماليك الأمير فخر الدين يوسف ابن نجم الدين أيوب فترقى في الخدم حتى صار من أكابر الأمراء وغزا غير مرة وعرف بالخير وعلو الهمة وسداد الرأي وكثرة المعروف.

ولما قتل الملك المنصور لاجين أجمعوا على سلطنته فامتنع وأشار بعود السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وبعدها ترك الإمرة في حال مرضه الذي مات فيه.

رحمه الله تعالى.

وفيهما توفي الأمير سيف الدين كاوركا المنصوري أحد أعيان الأمراء بالديار المصرية.

وفيهما توفي الأمير سيف الدين بلبان الجوكندار المنصوري وكان ولي نيابة قلعة صفد وشد دواوين دمشق ثم نيابة قلعتها ثم نقل إلى نيابة حمص فمات بها وكان مشكور السيرة.

وفيهما توفي القاضي بدر الدين محمد بن فضل الله بن مجلي العمري الدمشقي أخو كاتب السر القاضي شرف الدين عبد الوهاب ومحبي الدين يحيى وقد جاوز سبعين سنة.

وهذا أول بدر الدين من بني فضل الله ويأتي ذكر ثان وثالث والثالث هو كاتب السر بمصر.

وفيهما توفي الأمير فارس الدين أصلم الراددي في نصف ذي القعدة وكان رئيسًا حشيمًا من وفيها توفي الأمير بهاء الدين يعقوبا الشهرزوري بالقاهرة في سابع عشر ذي الحجة وكان أميرًا حشيمًا شجاعًا وهو من حواشي ببيرس الجاشنكير.

وفيهما توفي الطواشي عز الدين دينار العزيزي الخازندار الظاهري في يوم الثلاثاء سابع شهر ربيع الأول وكان دينًا خيرًا كثير الصدقات والمعروف.

وفيهما توفي ملك الغرب الناصر أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني وثب عليه سعادة الخصي أحد مواليه في بعض حجره وقد خضب رجله بالحناء وهو مستلق على قفاه قطعها طعنات قطع بها أمعاءه وخرج فادرك وقتل ومات السلطان من جراحه في آخر يوم الأربعاء سابع ذي القعدة وأقيم بعده في الملك أبو ثابت عامر ابن الأمير أبي عامر عبد الله ابن السلطان أبي يعقوب - هذا أعني حفيده.

وكان مدة ملكه إحدى وعشرين سنة.

وفيهما توفي الطواشي شمس الدين صواب السهيلي بالكرك عن مائة سنة وكان مشكور السيرة.

وفيهما توفي الشيخ ضياء الدين عبد العزيز بن محمد بن علي الطوسي الفقيه الشافعي بدمشق في تاسع عشرين جمادى الأولى وكان فقيهاً نحوياً مصنفاً.

شرح " الحاوي " في الفقه و " مختصر ابن الحاجب " وغير ذلك.

الماء القديم أربع أذرع وعدة أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وسبع أصابع وكان الوفاء في رابع عشر مسري.

السنة العاشرة من سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية على مصر وهي سنة سبع وسبعمئة.

فيها ورد الخبر عن ملك اليمن هزبر الدين داود بأمور تدل على عصيانه فكتب السلطان والخليفة بالإنداز ثم رسم السلطان للأمراء أن يعمل كل أمير مركبًا يقال لها: جلية وعمارة قياسية يقال لها: فلوة برسم حمل الأزواد وغيرها لغزو بلاد اليمن.

وفيها عمر الأمير بيبرس الجاشنكير الخانقاه الركنية داخل باب النصر موضع دار الوزارة برحبة باب العيد من القاهرة ووقف عليها أوقافًا جليلة ومات قبل فتحها فأغلقها الملك الناصر في سلطنته الثالثة مدة ثم أمر بفتحها ففتحت.

وفيها عمر الأمير عز الدين أيك الأفرم الصغير نائب دمشق جامعًا بالصالحية وبعث يسأل في أرض يوقفها عليه فأجيب إلى ذلك.

وفيها وقع الاهتمام على سفر اليمن وعول الأمير سلار أن يتوجه إليها بنفسه خشية من السلطان الملك الناصر وذلك بعد أن أراد السلطان القبض عليه وعلى بيبرس الجاشنكير عندما اتفق السلطان مع بكتمر الجوكندار وقد تقدم ذكر ذلك كله في أصل هذه الترجمة وأيضًا أنه شق عليه ما صار إليه بيبرس الجاشنكير من القوة والاستظهار عليه بكثرة خشداشيته البرجية والبرجية كانت يوم ذاك مثل مماليك الأطباق الآن وصار غالب البرجية أمراء فأشتدت شوكة بيبرس بهم بحيث إنه أخرج الأمير سنجر الجاولي وصادره بغير اختيار سلار وعظمت مهابته وأنبسطت يده بالتحكم وانفرد بالركوب في جمع عظيم وقصد البرجية في نوبة بكتمر الجوكندار إخراج الملك الناصر محمد إلى الكرك وسلطنة بيبرس لولا ما كان من منع سلار لسياسة وتديبر كانا فيه.

فلما وقع ذلك كله خاف سلار عواقب الأمور من السلطان ومن بيبرس وتحيل في الخلاص من ذلك بأنه يحج في جماعته ثم يسير إلى اليمن فيملكها ويمتنع بها ففطن بيبرس لهذا فدس عليه جماعة من الأمراء من أثنى عزمه عن ذلك ثم اقتضى الرأي تأخير السفر حتى يعود جواب صاحب اليمن.

وفيها حبس تقي الدين بن تيمية بعد أمور وقعت له.

وفيها توفي الأمير عز الدين أيك السنانى بدمشق وكان فاضلاً وله شعر وخبرة بتفسير المنامات.

ومن شعره: تجد النسيم إلى الحبيب رسولا دنف حكاه رقة ونحولا تجري العيون من العيون صباية فتسيل في إثر الغريق سيولا وتقول من حسد له: يا ليتني كنت اتخذت مع الرسول سبيلا وفيها توفي الأمير ركن الدين بيبرس العجمي الصالحى المعروف بالجالق والجالق باللغة التركية: أسم للفرس الحاد المزاج الكثير اللعب وكان أحد البحرية وكبير الأمراء بدمشق ومات في نصف جمادى الأولى بمدينة الرملة عن نحو الثمانين سنة وكان ديناً فيه مروءة وخير.

وجالق بفتح الجيم وبعد الألف لام مكسورة وقاف ساكنة.

وفيهما توفي الأمير الطواشي شهاب الدين فاخر المنصوري مقدم المماليك السلطانية وكانت له سطوة ومهابة على المماليك السلطانية بحيث إنه كان لا يستجرىء أحد منهم أن يمر من بين يديه كائنًا من كان بحاجة أو بغير حاجة وحيثما وقع بصره عليه أمر بضربه.

قلت: لله در ذلك الزمان وأهله! ما كان أحسن تديبرهم وأصوب حدسهم من جودة تربية صغيرهم وتعظيم كبيرهم! حتى ملكوا البلاد ودانت لهم العباد وأستجلبوا خواطر الرعية فنالوا الرتب السنية.

وأما زماننا هذا فهو بخلاف ذلك كله فالمقدم مؤخر والصغير متمم والقلوب متنافرة والشور متظاهرة وإن شئت تعلم صدق مقالتي حرك تر.

انتهى.

وفيهما توفي المعتقد عمر بن يعقوب بن أحمد السعودي في جمادى الآخرة.

وفيهما توفي الشيخ فخر الدين عثمان بن جوشن السعودي في يوم الأربعاء من شهر رجب وكان رجلًا صالحًا معتقدًا.

وفيهما توفي صاحب تاج الدين محمد آبن صاحب فخر الدين محمد آبن صاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن حنا ومولده في تاسع شعبان سنة أربعين وستمئة ووجهه لأمه الوزير شرف الدين صاعد الفائزي.

وكانت له رياسة ضخمة وفضيلة ومات بالقاهرة في يوم السبت خامس جمادى الآخرة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وست أصابع.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعًا وإصبع واحدة.

السنة الحادية عشرة من سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية على مصر وهي سنة ثمان وسبعمائة وهي التي خلع فيها الملك الناصر المذكور من ملك مصر وأقام فيها أفرج عن الملك المسعود خضر ابن الملك الظاهر بيبرس البندقداري من البرج بقلعة الجبل وأسكن بدار الأمير عز الدين الأفرم الكبير بمصر وذلك في شهر ربيع الأول.

وفيهما كان خروج الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الترجمة من القاهرة قاصدًا الحج وسار إلى الكرك وخلع نفسه.

وفيهما توفي الشيخ علم الدين إبراهيم بن الرشيد بن أبي الوحش رئيس الأطباء بالديار المصرية والبلاد الشامية وكان بارعًا في الطب محظوظًا عند الملوك ونالته السعادة من ذلك حتى إنه لما مات خلف ثلاثمائة ألف دينار غير القماش والأثاث.

وفيهما توفي الأمير عز الدين أيبك الشجاعى الأشقر شاد الدواوين بالقاهرة في المحرم.

وفيهما توفي الأمير علاء الدين الطبرس المنصوري والى باب القلعة والملقب بالمجنون المنسوب إليه العمارة فوق قنطرة المجنونة على الخليج الكبير خارج القاهرة عمرها للشيخ شهاب الدين العابر ولفقرائه وعقدها قبوا.

وفي ذلك يقول علم الدين ابن صاحب: ولقد عجت من الطبرس وصحبه وعقولهم بعقوده مفتونه عقوده عقدًا لا يصح لأنهم عقدوا لمجنون على مجنونه وكان الطبرس

المذكور عفيفًا دينًا غير أنه كان له أحكام قراقوشية من تسلطه على النساء ومنعهن من الخروج إلى الأسواق وغيرها وكان يخرج أيام الموسم إلى القرافة وينكل بهن فامتنعن من الخروج في زمانه إلا لأمر مهم مثل الحمام وغيره.

وفيها توفي الأمير عز الدين أبيدمر الرشيدِي أستاذار الأمير سلار نائب السلطنة بالديار المصرية في تاسع عشر شوال وكان عاقلاً رئيسًا وله ثروة واسعة وجاه عريض.

وفيها توفي الشيخ المعتقد عبد الغفار بن أحمد بن عبد المجيد بن نوح القوصي القائم بخراب الكنائس بقوص وغيرها في ليلة الجمعة سابع ذي القعدة وكان له أتباع ومريدون وللناس فيه اعتقاد.

وفيها توفي ظهير الدين أبو نصر بن الرشيد بن أبي السرور بن أبي النصر السامري الدمشقي الكاتب في حادي عشرين شهر رمضان بدمشق ومولده سنة اثنتين وعشرين وستمئة كان أولًا سامريًا ثم أسلم في أيام الملك المنصور قلاوون وتنقل في الخدم حتى ولي نظر جيش دمشق إلى أن مات.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وإصبع واحدة مثل السنة الماضية.

السلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصوري الجاشنكير أصله من مماليك الملك المنصور قلاوون البرجية وكان جركسي الجنس ولم نعلم أحدًا ملك مصر من الجراكسة قبله إن صح أنه كان جركسيًا.

وتأمر في أيام أستاذه المنصور قلاوون وبقي على ذلك إلى أن صار من أكابر الأمراء في دولة الملك الأشرف خليل بن قلاوون.

ولما تسلطن الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد قتل أخيه الأشرف خليل صار بيبرس هذا أستاذًا إلى أن تسلطن الملك العادل زين الدين كتبغا عزله عن الأستادارية بالأمير بتخاص وقيل: إنه قبض على بيبرس هذا وحبسه مدة ثم أفرج عنه وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية.

واستمر على ذلك حتى قتل الملك المنصور حسام الدين لاجين فكان بيبرس هذا أحد من أشار بعود الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى الملك.

فلما عاد الناصر إلى ملكه تقرر بيبرس هذا أستاذًا على عادته وسلار نائبًا فأقاما على ذلك سنين إلى أن صار هو وسلار كقبلي الممالك الشريفة الناصرية والملك الناصر محمد معهما آلة في السلطنة إلى أن ضجر الملك الناصر منهما وخرج إلى الحج فسار إلى الكرك وخلع نفسه من الملك.

وقد ذكرنا ذلك كله في ترجمة الملك الناصر محمد.

فعند ذلك وقع الاتفاق على سلطنة بيبرس هذا بعد أمور نذكرها فتسلطن وجلس على تخت الملك في يوم السبت الثالث والعشرين من شوال من سنة ثمان وسبعمئة.

وهو السلطان الحادي عشر من ملوك الترك والسابع ممن مسهم الرق والأول من الجراكسة إن صح أنه جركسي الجنس ودقت البشائر وحضر الخليفة أبو الربيع سليمان

وفوض إليه تقليد السلطنة وكتب له عهدًا وشمله بخطه وكان من جملة عنوان التقليد: " إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ".

ثم جلس الأمير بتخاص والأمير قلي والأمير لاجين الجاشنكير لاستحلاف الأمراء والعساكر فحلفوا الجميع وكتب بذلك إلى الأقطار.

والآن نذكر ما وعدنا بذكره من سبب سلطنة بيبرس هذا مع وجود سلار وأقوش قتال السبع وهما أكبر منه وأقدم وأرفع منزلة فنقول: لما خرج الملك الناصر محمد بن قلاوون من الديار المصرية إلى الحج ثم ثنى عزمه عن الحج وتوجه إلى الكرك خلع نفسه فلما حضر كتابه الثاني بتركه السلطنة - وقد تقدم ذكر ذلك في أواخر ترجمة الناصر بأوسع من هذا - أثبت الكتاب على القضاة.

فلما أصبح نهار السبت الثالث والعشرين من شوال جلس الأمير سلار النائب بشباك دار النيابة بالقلعة وحضر إلى عنده الأمير بيبرس الجاشنكير هذا وسائر الأمراء وأشتوروا فيمن يلي السلطنة فقال الأمير أقوش قتال السبع والأمير بيبرس الدوادار والأمير أيك الخازندار وهم أكابر الأمراء المنصورية: ينبغي استدعاء الخليفة والقضاة وإعلامهم بما وقع فخرج الطلب لهم وحضروا وقرئ عليهم كتاب السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وشهد عند قاضي القضاة زين الدين بن مخلوف الأميران: عز الدين أيدمر الخطيري والأمير الحاج آل ملك ومن كان توجه معهم إلى الكرك في الرسلية بنزول الملك الناصر عن الملك وتركه " مملكة مصر والشام فأثبت ذلك.

وأعيد الكلام فيمن يصلح للسلطنة من الأمراء فأشار الأمراء الأكابر بالأمير سلار فقال سلار: نعم على شرط: كل ما أشير به لا تخالفوه.

وأحضر المصحف وحلفهم على موافقته وألا يخالفوه في شيء فقلق البرجية من ذلك ولم يبق إلا إقامتهم الفتنة فكفهم الله عن ذلك وأنقضى الحلف فعند ذلك قال الأمير سلار: والله يا أمراء أنا ما أصلح للملك ولا يصلح له إلا أخي هذا وأشار إلى بيبرس الجاشنكير ونهض قائمًا إليه فتسارع البرجية بأجمعهم: صدق الأمير سلار وأخذوا بيد الأمير بيبرس وأقاموه كرهًا وصاحوا بالجاويشية فصرخوا بأسمه وكان فرس النوبة عند الشباك فألبسوه تشريف السلطنة الخليفتي وهي فرجية أطلس سوداء وطرحة سوداء وتقلد بسيفين ومشى سلار والأمراء بين يديه من عند سلار من دار النيابة بالقلعة وهو راكب وعبر من باب القلعة إلى الإيوان بالقلعة وجلس على تخت الملك وهو يبكي بحيث يراه الناس وذلك في يوم السبت المذكور ولقب بالملك المظفر وقبل الأمراء الأرض بين يديه طوعًا وكرهًا ثم قام إلى القصر وتفرق الناس بعد ما ظنوا كل الظن من وقوع الفتنة بين وقيل في سلطنته وجه آخر وهو أنه لما أشتوروا الأمراء فيمن يقوم بالملك فاختر الأمراء سلار لعقله وأختار البرجية بيبرس فلم يجب سلار إلى ذلك وأنقض المجلس وخلا كل من أصحاب بيبرس وسلار بصاحبه وحسن له القيام بالسلطنة وخوفه عاقبة تركها وأنه متى ولي غيره لا يوافقونه بل يقاتلونه.

وبات البرجية في قلق خوفًا من ولاية سلار وسعى بعضهم إلى بعض وكانوا أكثر جمعًا من أصحاب سلار وأعدوا السلاح وتاهبوا للحرب.

فبلغ ذلك سلار فخشي سوء العاقبة واستدعى الأمراء إخوته وجفدته ومن ينتمي إليه وقرر معهم سرًا موافقته على ما يشير به وكان مطاعًا فيهم فأجابوه ثم خرج في شباك النيابة ووقع نحو مما حكيناه من عدم قبوله السلطنة وقبول بيبرس الجاشنكير هذا وتسلطن حسب ما ذكرناه وتم أمره واجتمع الأمراء على طاعته ودخلوا إلى الخدمة على العادة في الاثنين خامس عشرين شوال فأظهر بيبرس التغمم بما صار إليه.

وخلع علي الأمير سلار خلعة النيابة على عادته بعد ما استعفى وطلب أن دون من جملة الأمراء وألح في ذلك حتى قال له الملك المظفر بيبرس: إن تكن أنت نائبًا فلا أعمل أنا السلطنة أبدًا فقامت الأمراء على سلار إلى أن قبل ولبس خلعة النيابة.

ثم عينت الأمراء للتوجه إلى النواب بالبلاد الشامية وغيرها فتوجه إلى نائب دمشق - وهو الأمير جمال الدين أقوش الأفرم الصغير المنصوري - الأمير أيبك البغدادي ومعه آخر يسمى شادي ومعهما كتاب وأمرهما أن يذهبا إلى دمشق ويحلفا نائبه المذكور وسائر الأمراء بدمشق وتوجه إلى حلب الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدي وطيبرس الجمدار وعلى يديهما كتاب مثل ذلك وتوجه إلى حماة الأمير سيف الدين بلاط الخوكندار وطيدمر الجمدار وتوجه إلى صفد عز الدين أزدمر الإسماعيلي وبيبرس بن عبد الله وتوجه إلى طرابلس عز الدين أيدمر اليونسي وأقطاي الجمدار.

وخطب له بالقاهرة ومصر في يوم الجمعة التاسع والعشرين من شوال المذكور وتوجه الأمراء المذكورون إلى البلاد الشامية.

فلما قرب من سار إلى دمشق خرج النائب أقوش الأفرم ولاقاهما خارج دمشق وعاد بهما فلما قرأ الكتاب بسلطنة بيبرس كاد أن يطير فرحًا لأنه كان خشداش بيبرس وكان أيضًا جاركسي الجنس وكانا يوم ذاك بين الأقران كالغرباء.

بنت دمشق زينة هائلة كما زينت القاهرة لسلطنته.

ثم أخرج كتاب السلطان بالحلف وفيه أن يحلفوا ويبعثوا لنا نسخة الأيمان فأجاب جميع الأمراء بالسمع والطاعة وسكت منهم أربعة أنفس ولم يتحدثوا بشيء وهم: بيبرس العلاني وبهادر أص وأقبا الظاهري وبكتمر الحاجب بدمشق فقال لهم الأفرم: يا أمراء كل الناس ينتظرون كلامكم فتكلموا فقال بهادر أص: نريد الخط الذي كتبه الملك الناصر بيده وفيه عزل نفسه فأخرج النائب خط الملك الناصر فراه بهادر ثم قال: يا مولانا ملك الأمراء لا تستعجل فممالك الشام فيها أمراء غيرنا مثل الأمير قرا سنقر نائب حلب وقبجق نائب حماة وأسندمر نائب طرابلس وغيرهم فترسل إليهم ونتفق معهم على المصلحة فإذا شاورناهم تطيب خواطرهم وربما يرون من المصلحة ما لا نرى نحن ثم قام بهادر المذكور وخرج فخرجت الأمراء كلهم في أثره فقال الأمير أيبك البغدادي القادم من مصر للأفرم: لو مسكت بهادر أص لا نصلح الأمر على ما نريد! فقال له الأفرم: والله العظيم لو قبضت عليه لقامت فتنة عظيمة تروح فيها روحك وتغيير الدول يا أيبك ما هو هين! وأنا ما أخاف من أمراء الشام من أحد إلا من قبجق المنصوري فإنه ربما يقيم فتنة من خوفه على روحه.

قلت: وقبجق هذا هو الذي كان نائب دمشق في أيام المنصور لاجين وتوجه إلى غازان وأقدمه إلى الشام.

وقد تقدم ذكر ذلك كله.

ولما كان اليوم الثاني طلب الأفرم هؤلاء الأمراء الأربعة وآختلي بهم وقال لهم: اعلموا أن هذا أمر انقضى ولم يبق لنا ولا لغيرنا فيه مجال وأنتم تعلمون أن كل من يجلس على كرسي مصر كان هو السلطان ولو كان عبدًا حبشيًا فما أنتم بأعظم من أمراء مصر وربما يبلغ هذا إليه فيتغير قلبه عليكم ولم يزل يتلاطف بهم حتى حلفوا له فلما حلفوا حلف باقي الأمراء وخلع الأفرم على جميع الأمراء والقضاة خلعة سنوية وكذلك خلع على الأمير أيبك البغدادي وعلى رفيقه شادي وأعطاهما ألفي دينار وزودهما وردهما في أسرع وقت.

وكتب معهما كتابًا يهنىء بيبرس بالملك ويقول: عن قريب تأتيك نسخة الإيمان.

وقدما القاهرة وأخبرا الملك المظفر بيبرس بذلك فسر وأنشرح صدره بذلك.

ثم إن الأفرم نائب الشام أرسل إلى قرا سنقر وإلى قبجق شخصًا من مماليكه بصورة الحال فأما قراسنقر نائب حلب فإنه لما سمع الواقعة وقرأ كتاب الأفرم قال: أيش الحاجة إلى مشاورتنا! أستاذك بعثك بعد أن حلف وكان ينبغي أن يتأنى في ذلك وأما قبجق نائب حماة فإنه لما قرأ كتاب الأفرم قال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أيش جرى على ابن أستاذنا حتى عزل نفسه! والله لقد دبرتم أنحس تدبير هذه والله نوبة لاجين.

ثم قال لمملوك الأفرم: اذهب إلى أستاذك وقل له: الآن بلغت مرادك وسوف تبصر من يصبح ندمان وفي أمره حيران! وكذلك لما بعث الأفرم لأسندمر نائب طرابلس فلما قرأ كتابه أطرق رأسه إلى الأرض ثم قال: أذهب لأستاذك وقل له: يا بعيد الذهن وقليل العلم بعد أن دبرت أمرًا فما الحاجة إلى مشاورتنا! فوالله ليكون عليك أشأم التدبير وسيعود وباله عليك ولم يكتب له جوابًا.

وأما قرا سنقر نائب حلب فإنه أرسل إلى قبجق وإلى أسندمر يعلمهما أن الأفرم حلف عساكر دمشق على طاعة بيبرس ولا تأمن أن يعمل الأفرم علينا فهلماو نجتمع في موضع واحد فنتشاور ونرى أمرًا يكون فيه المصلحة فاتفقوا الجميع على أن يجتمعوا في حلب عند قرا سنقر وعينوا ليلة يكون اجتماعهم فيها.

فأما قبجق فإنه ركب إلى الصيد بمماليكه خاصة وتصيد إلى الليل فسار إلي حلب.

وأما أسندمر أظهر أنه ضعيف وأمر ألا يخلي أحدًا يدخل عليه وفي الليل ركب بمماليكه الذين يعتمد عليهم وقد غيروا ملابسهم وسار يطلب حلب.

واجتمع الجميع عند قرا سنقر فقال لهم قرا سنقر: ما تقولون في هذه القضية التي جرت.

فقال قبجق: والله لقد جرى أمر عظيم وإن لم نحسن التدبير نقع في أمور! يعزل آبن أستاذنا وبأخذها بيبرس! ويكون الأفرم هو مدير الدولة! وهو على كل حال عدونا ولا تأمن شره فقالوا: فما نفعل قال: الرأي أن نكتب إلى ابن أستاذنا في الكرك ونطلبه إلى حلب ونركب معه فأما نأخذ له الملك وإما أن نموت على خيولنا! فقال أسندمر: هذا هو الكلام فحلف كل من الثلاثة على هذا الاتفاق ولا يقطع واحد منهم أمرًا إلا بمشورة أصحابه وأنهم يموت بعضهم على بعض ثم إنهم تفرقوا في الليل كل واحد إلى بلده.

وأما الأمراء الذين خرجوا من مصر إلى النواب بالبلاد الشامية بالخلع وبسلطنة بيبرس فإنهم لما وصلوا إلى دمشق قال لهم الأفرم: أنا أرسلت إليهم مملوكي فردوا علي جوابًا لا يرضى به مولانا السلطان.

وكان الأفرم أرسل إلي الملك المظفر بيبرس نسخة اليمين التي حلف بها أمراء دمشق مع مملوكه مغلطاي فأعطاه الملك المظفر إمرة طبلخاناه وخلع عليه وأرسل معه خلعة لأستاذه الأفرم بألف دينار وأطلق له شيئًا كثيرًا كان لبيبرس في الشام قبل سلطنته من الحواصل والغلال فسر الأفرم بذلك غاية السرور ثم قال الأميران اللذان وصلا إلى دمشق للأفرم: ما تشير به علينا فقال لهما: أرجعا إلى مصر ولا تذهبا إلى هؤلاء فإن رؤوسهم قوية وربما يثيرون فتنة فقالا: لا غنى لنا عن أن نسمع كلامهم ثم إنهما ركبا من

دمشق وسارا إلى حماة ودخلا على قبجق ودفعا له كتاب الملك المظفر فقرأه ثم قال: وأين كتاب الملك الناصر فأخرجنا له الكتاب فلما وقف عليه بكى ثم قال: من قال إن هذا خط الملك الناصر والله واحد يكون وكيلًا في قرية ما يعزل نفسه منها بطيبة من خاطره! ولا بد لهذا الأمر من سبب اذهبنا إلى الأمير قرا سنقر فهو أكبر الأمراء وأخبرهم بالأحوال فركبا وسارا إلى حلب واجتمعا بقراسنقر فلما قرأ كتاب المظفر قال: يا إخوتي إنا على إيمان ابن أستاذنا لا نخونه ولا نحلف لغيره ولا نواطىء عليه ولا نفسد ملكه فكيف نحلف لغيره! والله لا يكون هذا أبدًا ودعوا يجري ما يجري وكل شيء ينزل من السماء تحمله الأرض ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم! فخرجنا من عنده وسارا إلى طرابلس ودخلا على أسندمر فقال لهما مثل مقالة قبجق وقراسنقر فخرجنا وركبا وسارا نحو الديار المصرية ودخلا على الملك المظفر بيبرس وأعلماه بما كان فضايق صدر المظفر وأرسل خلف الأمير سلار النائب وقص عليه القصة فقال له سلار: هذا أمر هين ونقدر أن نصلح هؤلاء فقال: وكيف السبيل إلى ذلك.

قال: تكتب إلى قرا سنقر كتابًا وترقق له في الكلام وأرسل إليه تقليدًا بناية حلب وبلادها وأنه لا يحمل منه الدرهم الفرد وكذا لقبجق بحماة ولأسندمر بطرابلس والسواحل فقال بيبرس: إذا فرقت البلاد عليهم ما يساوي ملكي شيئًا! فقال له سلار: وكم أمن يد تقبل عن ضرورة وهي تستحق القطع! فأسمع مني وأرضهم في هذا الوقت فإذا قدرت عليهم بعد ذلك افعل بهم ما شئت فمال المظفر إلى كلامه وأمر أن يكتب بما قاله سلار لكل واحد على حدته فكتب ذلك وأرسله مع بعض خواصه.

وأما أمر الملك الناصر محمد بن قلاوون فإن الملك المظفر لما تسلطن وتم أمره كتب له تقليدًا بالكرك وسيره له على يد الأمير آل ملك ومنشورًا بما عين له من الإقطاعات.

وأما أمر قرا سنقر فإنه جهز ولده محمدًا إلى الملك الناصر محمد بالكرك وعلى يده كتابه وكتاب قبجق نائب حماه وكتاب أسندمر نائب طرابلس.

ومضمون كتاب قرا سنقر: أنه يلوم الملك الناصر عن نزوله عن الملك وكيف وقع له ذلك ولم يشاوره في أول الأمر ثم وعده برجوع ملكه إليه عن قريب وأنه هو وقبجق وأسندمر ما حلفوا للمظفر وأنهم مقيمون على إيمانهم له.

وكذلك كتاب قبجق وكتاب أسندمر فأخذ الأمير ناصر الدين محمد بن قرا سنقر كتب الثلاثة وسار مسرعًا ومعه نجاب خبير بتلك الأرض فلم يزل سائرين في البرية والمفاوز إلي أن وصلا إلى الكرك وأبن قرا سنقر عليه زي العرب فلما وقفا على باب الكرك سألوهما من أين أنتما فقالا: من مصر فدخلوا وأعلموا الملك الناصر محمدًا بهما واستأذنه في إحصارهما فأذن لهما بالدخول فلما مثلا بين يديه كشف ابن قرا سنقر لثامه عن وجهه فعرفه السلطان وقال له: محمد فقال: لبيك يا مولانا السلطان وقبل الأرض وقال: لا بد من خلوة فأمر السلطان لمن حوله بالانصراف فعند ذلك حدث ابن قرا سنقر السلطان بما جرى من أبيه وقبجق وأسندمر وأنهم اجتمعوا في حلب وتحالفوا بأنهم مقيمون على الإيمان التي حلفوها للملك الناصر ثم دفع له الكتب الثلاثة فقرأها ثم قال: يا محمد ما لهم قدرة على ما أتفقوا عليه فإن كل من في مصر والشام قد أتفقوا على سلطنة بيبرس فلما سمع ابن قراسنقر ذلك حلف بأن كل واحد من هؤلاء الثلاثة كفاء لأهل مصر والشام ومولانا السلطان أخبر بذلك مني فتبسم السلطان وقال صدقت يا محمد ولكن القائل يقول:

كن جريًا إذا رأيت جبانًا ** وجبانًا إذا رأيت جريًا

لا تقاتل بواحد أهل بيت ضعيفان يغلبان قويا وهذه البلاد كلها دارت مع بيبرس ولا يتم لنا الحال إلا بحسن التدبير والمداراة والصبر على الأمور.

ثم إنه أنزله في موضع وأحسن إليه وقال له: استرح اليوم وغداً ثم سافر فأقام يومين ثم طلبه الملك الناصر في صبيحة اليوم الثالث وأعطاه جواب الكتب وقال له: سلم على أبي يعني على قرا سنقر وقل له: اصبر ثم خلع عليه خلعة سنية وأعطاه ألف دينار مصرية وخلع على معن النجاشي الذي أتى به أيضاً وأعطاه ألف درهم فخرج ابن قرا سنقر والنجاشي معه وأسرعوا في السير إلى أن وصلا إلى حلب فدخل ابن قرا سنقر إلى أبيه ودفع له كتاب الملك الناصر ففتحه فإذا فيه: " بسم الله الرحمن الرحيم: حرس الله تعالى نعمة المقر العالي الأبوي الشمسي وامتعنا بطول حياته فقد علمنا ما أشار به وما عول عليه وقد علمنا قديماً وحديثاً أنه لم يزل على هذه الصورة وأريد منك أنك تطول روحك علي فهذا الأمر ما ينال بالعجلة لأنك قد علمت انتظام أمراء مصر والشام في سلك واحد ولا سيما الأفرم ومن معه من اللثام فهذه عقدة لا تنحل إلا بالصبر وإن حضر إليك أحد من جهة المظفر وطلب منك اليمين له فقدم النية أنك مجبور ومغضوب واحلف.

ولا تقطع كتبك عني في كل وقت وعرفني بجميع ما يجري من الأمور قليلها وكثيرها "

وكذلك كتب في كتاب قبجق وأسندمر فعرف قرا سنقر مضمون كتابه ثم بعد قليل وصل إلى قرا سنقر من الملك المظفر بيبرس تقليد بنيابه حلب وبلادها دربست على يد أمير من أمراء مصر.

ومن

▲ مضمون الكتاب الذي من المظفر إلى قرا سنقر

: " أنت خشداشي ولو علمت أن هذا الأمر يصعب عليك ما عملت شيئاً حتى أرسلت إليك وأعلمتك به لأن ما في المنصورية أحد أكبر منك غير أنه لما نزل ابن أستاذنا عن الملك اجتمع الأمراء والقضاة وكافة الناس وقالوا: ما لنا سلطان إلا أنت وأنت تعلم أن البلاد لا تكون بلا سلطان فلو لم أتقدم أنا كان غيري يتقدم فأجعلني واحداً منكم ودبرني برأيك.

وهذه حلب وبلادها دربست لك وكذا لخشداشيتك: الأمير قبجق والأمير أسندمر "

وسير الملك المظفر لكل من هؤلاء الثلاثة خلعة بألف دينار وفرشاً قماشه بألف دينار وعشرة رؤوس من الخيل.

فعند ذلك حلف قرا سنقر وقبجق وأسندمر ورجع الأمير المذكور إلى مصر بنسخة اليمين.

فلما وقف عليها الملك المظفر فرح غاية الفرح وقال: الآن تم لي الملك.

ثم شرع من يومئذ في كشف أمور البلاد وإزالة المظالم والنظر في أحوال الرعية.

ثم أستهل سنة تسع وسبعمائة وسلطان الديار المصرية الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري والخليفة المستكفي بالله أبو الربيع سليمان ونائب السلطنة بديار مصر الأمير سلار ونائب الشام الأمير أقوش الأفرم الصغير ونائب حلب الأمير شمس الدين قرا سنقر المنصوري ونائب حماة الأمير سيف الدين قبجق المنصوري ونائب طرابلس الأمير سيف الدين أسندمر المنصوري.

ثم فشا في الناس في السنة المذكورة أمراض حادة وعم الوباء الخلائق وعز سائر ما يحتاج إليه المرضى.

ثم توقفت زيادة النيل إلى أن دخل شهر مسيري وارتفع سعر القمح وسائر الغلال ومنع الأمراء البيع من شونهم إلا الأمير عز الدين أيدمر الخطيري الاستادار فإنه تقدم إلى مباشره ألا يتركوا عنده سوى مؤونة سنة واحدة وباع ما عداه قليلاً قليلاً.

والخطيري هذا هو صاحب الجامع الذي بخط بولاق.

انتهى.

وخاف الناس أن يقع نظير غلاء كتبغا وتشاءموا بسلطنة الملك المظفر بيبرس المذكور.

ثم إن الخطيب نور الدين علي بن محمد بن الحسن بن علي القسطلاني خرج بالناس وأستسقى وكان يوماً مشهوداً فنودي من الغد بثلاث أصابع ثم توقفت الزيادة مدة ثم زاد وانتهت زيادة النيل فيه إلى خمس عشرة ذراعاً وسبع عشرة إصبغاً في سابع عشرين توت ثم نقص في أيام النسبيء وجاء النوروز ولم يوف النيل ست عشرة ذراعاً ففتح سد الخليج في يوم الجمعة ثامن توت وهو ثامن عشرين شهر ربيع الأول.

وذكر بعضهم أنه لم يوف إلى تاسع عشر بابه وهو يوم الخميس حادي عشر جمادى الأولى وذلك بعد اليأس منه وهذا القول هو الأشهر.

قال: وأنحط مع سلطاننا ركين ونائبنا دقين يجينا الماء منين جيبوا لنا الأعرج يجيء الماء ويدرج ومن يومئذ وقعت الوحشة بين المظفر وبين عامة مصر وأخذت دولة الملك المظفر بيبرس في اضطراب وذلك أنه كثر توهمه من الملك الناصر محمد بن قلاوون وقصد في أيامه كل واحد من خشداشيته أن يترقى إلى أعلى منزلة واتهموا الأمير سلار بمباطنة الملك الناصر محمد وحذروا الملك المظفر منه وحسنوا له القبض على سلار المذكور فجن بيبرس عن ذلك.

ثم ما زالوا حتى بعث الأمير مغلطاي إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون بالكرك ليأخذ منه الخيل والمماليك التي عنده وتغلظ في القول فغضب الملك الناصر من ذلك غضباً شديداً وقال له: أنا خليت ملك مصر والشام لبيبرس ما يكفيه حتى ضاقت عينه على فرس عندي ومملوك لي ويكرر الطلب! ارجع إليه وقل له: والله لئن لم يتركني وإلا دخلت بلاد التتار وأعلمهم أني تركت ملك أبي وأخي وملكي لمملوكي وهو يتابعني ويطلب مني ما أخذته.

فجافاه مغلطاي وخشن له في القول بحيث اشتد غضب الملك الناصر وصاح به: ويلك وصلت إلى هنا! وأمر أن يجر ويرمي من سور القلعة فثار به المماليك يسبونه ويلعنونه وأخرجوه إلى السورة فلم يزل به أرغون الدوادر والأمير طغاي إلى أن عفا عنه وحبس ثم أخرجه ماشياً.

وعظم ذلك على الملك الناصر وكتب ملطفات إلى نواب البلاد الشامية بحلب وحماة وطرابلس وصفد ثم إلى مصر ممن يثق به وذكر ما كان به من ضيق اليد وقلة الحرمة وأنه لأجل هذا ترك ملك مصر وقنع بالإقامة بالكرك وأن السلطان الملك المظفر في كل وقت يرسل يطالبه بالمماليك والخيل التي عنده.

ثم ذكر لهم في ضمن الكتاب: " أنتم مماليك أبي وريتموني فإما أن تردوه عني وإلا سرت إلى بلاد التتار " وتلطف في مخاطبتهم غاية التلطف وسير لهم بالكتب على يد العربان فأوصلوها إلى أربابها.

وكان قد أرسل الملك المظفر قیل ذلك يطلب منه المال الذي كان بالكرک والخيل والمماليك التي عنده حسب ما يأتي ذكره في ترجمة الملك الناصر محمد فبعث إليه الملك الناصر بالمبلغ الذي أخذه من الكرك فلم يقنع المظفر بذلك وأرسل ثانيًا وكان الملك الناصر لما أقام بالكرک صار يخطب بها للملك المظفر بيبرس بحضرة الملك الناصر والملك الناصر يتأدب معه ويسكت بحضرة مماليكه وحواشيه.

وصار الملك الناصر إذا كاتب الملك المظفر يكتب إليه: " الملكي المظفري " وقصد بذلك سكون الأحوال وإخماد الفتن والمظفر يلح عليه لأمر يريده الله تعالى حتى كان من أمره ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

وأما النواب بالبلاد الشامية فإن قرا سنقر نائب حلب كتب إلى الملك الناصر الجواب: " بأني مملوك السلطان في كل ما يرسم به " وسأل أن يبعث إليه بعض المماليك السلطانية وكذلك نائب حماة ونائب طرابلس وغيرهما ما خلا بكتمر الجوكندار نائب صفد فإنه طرد قاصد الملك الناصر ولم يجتمع به.

ثم أرسل الملك الناصر مملوكه أيتمش المحمدي إلى الشام وكتب معه ملطفات إلى الأمير قطلوبك المنصوري وبكتمر الحسامي الحاجب بدمشق ولغيرهما ووصل أيتمش إلى دمشق خفية ونزل عند بعض مماليك قطلوبك المذكور ودفع إليه الملطف فلما أوصله إلى قطلوبك أنكر عليه وأمره بالاحتفاظ على أيتمش المذكور ليوصله إلى الأفرم نائب الشام ويتقرب إليه بذلك فبلغ أيتمش الخبر فترك راحلته التي قدم عليها ومضى إلى دار الأمير بهادر أص في الليل فاستأذن عليه فأذن له فدخل إليه أيتمش وعرفه ما كان من قطلوبك في حقه فطيب بهادر أص خاطره وأنزله عنده وأركبه من الغد معه إلى الموكب وقد سبق قطلوبك إلى الأفرم نائب الشام وعرفه قدوم مملوك الملك الناصر إليه وهروبه من عنده ليلا فقلق الأفرم من ذلك وألزم والي المدينة بتحصيل المملوك المذكور فقال بهادر أص: " هذا المملوك عندي " وأشار إليه فنزل عن فرسه وسلم على الأفرم وسار معه في الموكب إلى دار السعادة وقال له بحضرة الأمراء: السلطان الملك الناصر يسلم عليك ويقول: ما منكم أحد إلا وأكل خبز الملك الشهيد قلاوون وما منكم إلا من إنعامه عليه وأنتم تربية الشهيد والده وأنه قاصد الدخول إلى دمشق والإقامة بها فإن كان فيكم من يقاتله ويمنعه العبور فعرفوه.

فلم يتم هذا القول حتى صاح الكوكندي الزراق أحد أكابر أمراء دمشق: " وا ابن أستاذاه! " وبكى فغضب الأفرم نائب الشام عليه وأخرجه ثم قال الأفرم لأيتمش: قل له يعني الملك الناصر: كيف يجيء إلى الشام أو إلى غير الشام! كان الشام ومصر الآن تحت حكمك أنا لما أرسل إلي السلطان الملك المظفر أن أحلف له ما حلفت حتى سيرت أقول له: كيف يكون ذلك وأبن أستاذنا باق! فأرسل يقول: أنا ما تقدمت عليه حتى خلع ابن أستاذنا نفسه وكتب خطه وأشهد عليه بنزوله عن الملك فعند ذلك حلفت له.

ثم في هذا الوقت تقول: من يردني عن الشام! ثم أمر به الأفرم فسلم إلى استاداره الطنقش.

فلما كان الليل آستدعاه ودفع له خمسين دينارًا وقال: قل له: " لا تذكر الخروج من الكرك " وأنا أكتب إلى المظفر وأرجعه عن الطلب ثم أطلقه فعاد أيتمش إلى الكرك وأعلم الملك الناصر بما وقع.

فأعاده الملك الناصر على البريد ومعه أركتمر وعثمان الهجان ليجتمع بالأمير قرا سنقر نائب حلب وبواعده على المسير إلى دمشق ثم خرج الملك الناصر من الكرك وسار إلى بركة زيزاء فنزل بها.

وأما الملك المظفر بيبرس صاحب الترجمة فإنه لما بلغه أن الملك الناصر حبس قاصده مغلطاي المقدم ذكره قلق من ذلك واستدعى الأمير سلار وعرفه ذلك وكانت البرجية قد أغروا المظفر بيبرس بسلا واتهموه أنه باطن الملك الناصر وحسنوا له القبض عليه حسب ما ذكرناه فجن الملك المظفر من القبض عليه.

ويبلغ ذلك سلار فخاف من البرجية لكثرتهم وقوتهم وأخذ في مداراتهم وكان أشدهم عليه الأمير بيكور وقد شرق إقطاعه فبعث إليه سلار بستة آلاف إردب غلة وألف دينار فكف عنه.

ثم هادى خواص المظفر وأنعم عليهم.

فلما حضر سلار عند المظفر وتكلما فيما هم فيه فأقتضى الرأي إرسال قاصد إلى الملك الناصر بتهديده ليفرج عن مغلطاي.

وبينما هم في ذلك قدم البريد من دمشق بأن الملك الناصر سار من الكرك إلى البرج الأبيض ولم يعرف أحد مقصده فكتب الجواب في الحال بحفظ الطرقات عليه.

وأشتهر بالديار المصرية حركة الملك الناصر محمد وخروجه من الكرك فماجت الناس وتحرك الأمير نوغاي القبجاقى وكان شجاعاً مقداماً حاد المزاج قوي النفس وكان من ألزام الأمير سلار النائب وتواعد مع جماعة من المماليك السلطانية أن يهجم بهم على السلطان الملك المظفر إذا ركب ويقتله.

فلما ركب المظفر ونزل إلى بركة الجب أستجمع نوغاي بمن وافقه يريدون الفتك بالمظفر في عوده من البركة وتقرب نوغاي من السلطان قليلاً قليلاً وقد تغير وجهه وظهر فيه أمارات الشر ففطن به خواص المظفر وتحلقوا حول المظفر فلم يجد نوغاي سبيلاً إلى ما عزم عليه.

وعاد الملك المظفر إلى القلعة فعرفه ألامه ما فهموه من نوغاي وحسنوا له القبض عليه وتقريبه على من معه.

فاستدعى السلطان الأمير سلار وعرفه الخبر وكان نوغاي قد باطن سلار بذلك فحذر سلار الملك المظفر وخوفه عاقبة القبض على نوغاي وأن فيه فساد قلوب جميع الأمراء وليس الرأي إلا الإغضاء فقط.

وقام سلار عنه فأخذ البرجية بالإغراء بسلا وأنه باطن نوغاي ومتى لم يقبض عليه فسد الحال.

ويبلغ نوغاي الحديث فواعد أصحابه على اللحاق بالملك الناصر وخرج هو والأمير مغلطاي القازاني الساقى ونحو ستين مملوكاً وقت المغرب عند غلق باب القلعة في ليلة الخميس خامس عشر جمادى الآخرة من سنة تسع وسبعمئة المذكورة.

وقيل في أمر نوغاي وهروبه وجه آخر: قال الأمير بيبرس الدوادار في تاريخه: تسحب من الديار المصرية إلى الكرك المحروس سيف الدين نوغاي القبجاقى أحد المماليك

السلطانية وسيف الدين تقطاي الساقى وعلاء الدين مغلطاي القازاني وتوجه معهم من المماليك السلطانية بالقلعة مائة وستة وثلاثون نفرًا وخرجوا طلبًا واحدًا بخيلهم وهجنهم وغلماهم وتركوا بيوتهم وأولادهم.

انتهى.

وقال غيره: لما ولي الملك المظفر بيبرس السلطنة بقي سلار هو الملك الظاهر بين الناس والملك المظفر بيبرس من وراء حجاب فلما كان في بعض الأيام دخل على الملك المظفر أميران: أحدهما يسمى نوغاي والآخر مغلطاي فباسا الأرض بين يديه وشكوا له ضعف أخبازهما فقال لهما المظفر: اشكوا إلى سلار فهو أعلم بحالكما مني فقالا: خلد الله ملك مولانا السلطان أهو مالك البلاد أم مولانا السلطان! فقال: اذهبا إلى سلارة ولم يزد هما على ذلك.

فخرج من عنده وجاء إلى سلار وأعلماه بقول الملك المظفر فقال سلار: ولله يا أصحابي أبعدكما بهذا الكلام وأنتما تعلمان أن النائب ما له كلام مثل السلطان.

وكان نوغاي شجاعًا وعنده قوة بأس فأقسم بالله لئن لم يغيروا خبزه ليقيمن شرًا تهرق فيه الدماء ثم خرجا من عند سلار.

وفي الحال ركب سلار وطلع إلى عند الملك المظفر وحدثه بما جرى من أمر نوغاي ومغلطاي وقال: هذا نوغاي يصدق فيما يقول لأنه قادر على إثارة الفتنة فالمصلحة قبضه وحبسه في الحبس فاتفقوا على قبضه.

وكان في ذلك الوقت أمير يقال له أنس فسمع الحديث فلما خرج أعلم نوغاي بذلك فلما سمع نوغاي الكلام طلب مغلطاي وجماعة من مماليك الملك الناصر وقال لهم: يا جماعة هذا الرجل قد عول على قبضنا وأما أنا فلا أسلم نفسي إلا بعد حرب تضرب فيه الرقاب فقالوا له: على ماذا عولت فقال: عولت على أني أسير إلى الكرك إلى الملك الناصر أستاذنا فقالوا له: ونحن معك فحلف كل منهم على ذلك فقال نوغاي وكان بيته خارج باب النصر: كونوا عندي وقت الفجر الأول راكبين وأنتم لابسون وتفارقا فجهز نوغاي حاله في تلك الليلة وركب بعد الثلث الأخير مع مماليكه وحاشيته ثم جاءه مغلطاي القازاني بمماليكه ومعه جماعة من مماليك السلطان الملك الناصر والكل ملبسون على ظهر الخيل.

ثم إن نوغاي حرك الطبلخاناه حربيًا وشق من الحسينية فماجت الناس وركبوا من الحسينية وأعلموا الأمير سلار فركب سلار وطلع إلى القلعة وأعلم السلطان بذلك.

قال ابن كثير: وكان ذلك بمباطنة سلار مع نوغاي.

فلما بلغ المظفر ذلك قال: على أيش توجهها " فقال سلار: " على نباح الجراء في بطون الكلاب " والله ما ينظر في عواقب الأمور ولا يخاف آثار المقدور فقال المظفر: " أيش المصلحة " فاتفقوا على تجريد عسكر خلف المتسحبين فجرد في أثرهم جماعة من الأمراء صحبة الأمير علاء الدين مغلطاي المسعودي والأمير سيف الدين قلبي في جماعة من المماليك فساروا سيرًا خفيًا قصدًا في عدم إدراكهم وحفظًا لسلطانهم وأبن سلطانهم الملك الناصر محمد بن قلاوون فلم يدركوهم وأقاموا على غزة أيامًا وعادوا إلى القاهرة.

وقال صاحب نزهة الألباب: وجرّد السلطان الملك المظفر وراءهم خمسة آلاف فارس صحبة الأمير أخي سلار وقال له المظفر: " لا ترجع إلا بهم ولو غاصوا في البحر! " وكان فيهم الأمير شمس الدين دباكوز وسيف الدين بجاس وجنكلي بن البايا وكهرداش وأبيك البغدادي وبلاط وصاروجا والقرماني وأمير آخر وهؤلاء الأمراء هم خيار عسكر مصر فساروا.

وكان نوعيه قد وصل إلى بلبيس وطلب واليها وقال له: " إن لم تحضر لي في هذه الساعة خمسة آلاف دينار من مال السلطان وإلا سلخت جلدك من كعبك إلى أذنك " .

ففي الساعة أحضر الذهب وكان نوعيه قد أرصد أناسًا يكشفون له الأخبار فجاؤوا له وذكروا أن عسكرًا عظيمًا قد وصل من القاهرة وهم سائقون فلما سمع نوعيه ذلك ركب هو وأصحابه وقال لوالي بلبيس: قل للأمراء الجائين خلفي: أنا رائج على مهل حتى تلحقوني وأنا أقسم بالله العظيم لئن وقعت عيني عليهم لأجعلن عليهم يومًا يذكر إلى اليوم القيامة! ولم يبعد نوعيه حتى وصل أخو سلار وهو الأمير سمك ومعه العساكر فلاقاهم والي بلبيس وأخبرهم بما جرى له مع نوعيه وقال لهم: ما ركب إلا من ساعة فلما سمعوا بذلك ساقوا إلى أن وصلوا إلى مكان بين الخطارة والسعيدية فإذا بنوغي واقف وقد صف رجاله ميمنة وميسرة وهو واقف في القلب قدام الكل فلما رآهم سمك أرسل إليه فارسًا من كبار الحلقة وسار إليه الفارس واجتمع بنوغيه وقال له: أرسلني سمك إليك وهو يقول: " السلطان الملك المظفر يسلم عليك ويقول لك: سبحان الله! أنت كنت أكبر أصحابه فما الذي غيرك عليه.

فإن كان لأجل الخبز فما يأكل الخبز أحد أحق منك فإن عدت إليه فكل ما تشتهي يفعل لك " .

فلما سمع نوعيه هذا الكلام ضحك وقال: " أيش هذا الكلام الكذب! لما أمس سألته أن يصلح خبزي بقربة واحدة ما أعطاني وأنا تحت أمره فكيف يسمح لي اليوم بما أشتهي وأنا صرت عدوه! فخل عنك هذا الهديان وما لكم عندي إلا السيف " فرجع الرسول وأعلم سمك بمقالته ثم إن نوعيه دكس فرسه وتقدم إلى سمك وأصحابه وقال له: " إن هؤلاء الذين معي أنا الذي أخرجتهم من بيوتهم وأنا المطلوب فمن كان يريدني يبرز لي وهذا الميدان! " فنظرت الأمراء بعضهم إلى بعض ثم قال: " يا أمراء ما أنا عاص على أحد وما خرجت من بيتي إلا غيبًا وأنتم أغبن مني ولكن ما تظهرون ذلك وها أنتم سمعتم مني الكلام فمن أراد الخروج إلي فليخرج وإلا احملوا علي بأجمعكم " وكان آخر النهار فلم يخرج إليه أحد فرجع إلى أصحابه ونزل سمك في ذلك المكان.

فلما أمسى الليل رحل نوعيه بأصحابه وسار مجددًا ليله ونهاره حتى وصل قطيا فوجد واليها قد جمع العربان لقتاله لأن البطاقة وردت عليه من مصر بذلك والعربان الذين جمعهم الوالي نحو ثلاثة آلاف فارس فلما رآهم نوعي قال لأصحابه: احملوا عليهم وبادروهم حتى لا يأخذهم الطمع فيكم يعني لقتلهم وتأتي الخيل التي وراءكم فحملوا عليهم وكان مقدم العرب نوفل البياضي وفيهم نحو الخمسمائة نفر بلبوس فحملت الأتراك أصحاب نوعي عليهم وقاتلا قتالًا عظيمًا حتى ولت العرب وانتصر نوعيه عليهم هو وأصحابه وولت العرب الأدبار طالبين البرية ولحق نوعيه والي قطيا فطعنه وألقاه عن فرسه وأخذه أسيرًا.

ثم رجعت الترك من خلف العرب وقد كسبوا وأما سمك فإنه لم يزل يتبعهم بعساكر مصر منزلة بعد منزلة حتى وصلوا إلى قطيا فوجدوها خرابًا وسمعوا ما جرى من نوعيه على العرب فقال الأمراء: الرأي أننا نسير إلى غزة ونشاور نائب غزة في عمل المصلحة فساروا إلى غزة فلاقاهم نائب غزة وأنزلهم على ظاهر غزة وخدمهم فقال له سمك: "

نحن ما جئنا إلا لأجل نوغاي وأنه من العريش سار يطلب الكرك فما رأيك نسير إلى الكرك أو نرجع إلى مصر فقال لهم نائب غزة: " رواحكم إلى الكرك ما هو مصلحة وأنتم من حين خرجتم من مصر سائرون وراءهم ورأيتموهم في الطريق فما قدرتم عليهم وقد وصلوا إلى الكرك وانضموا إلى الملك الناصر والرأي أنكم ترجعون إلى مصر وتقولون للسلطان ما وقع وتعتذرون له " فرجعوا وأخبروا الملك المظفر بالحال فكاد يموت غيظًا وكتب من وقته كتابًا للملك الناصر فيه: " إنه من ساعة وقوفك على هذا الكتاب وقبل وضعه من يدك ترسل لنا نوغاي ومغلطاي ومماليكهما وتبعث المماليك الذين عندك ولا تخل منهم عندك سوى خمسين مملوكًا فإنك آشترت الكل من بيت المال وإن لم تسيرهم سرت إليك وأخذتك وأنفك راغم! " وسير الكتاب مع بدوي إلى الملك الناصر.

وأما نوغيه فإنه لما وصل إلى الكرك وجد الملك الناصر في الصيد فقال نوغيه لمغلطاي: " انزل أنت ها هنا وأسير أنا للسلطان " وركب هجينا وأخذ معه ثلاثة مماليك وسار إلى ناحية عقبة أبله وإذا بالسلطان نازل في موضع وعنده خلق كثير من العرب والترك فلما رأوا نوغيه وقد أقبل من صدر البرية أرسلوا إليه خيلاً فكشفوا خبره فلما قربوا منه عرفه مماليك السلطان فرجعوا وأعلموا السلطان أنه نوغاي فقال السلطان: " الله أكبر! ما جاء هذا إلا عن أمر عظيم " فلما حضر نزل وباس الأرض بين يدي الملك الناصر ودعا له فقال له الملك الناصر: " أراك ما جئت لي في مثل هذا الوقت إلى هذا المكان إلا لأمر فحدثني حقيقة أمرك " فأنشأ نوغيه يقول: أنت المليك وهذه أعناقنا خضعت لعز علاك يا سلطاني أنت المرجى يا مليك فمن لنا أسد سواك ومالك البلدان في أبيات آخر ثم حكى له ما وقع له منذ خرج الملك الناصر من مصر إلى يوم تاريخه فركب الملك الناصر وركب معه نوغيه وعادا إلى الكرك وخلع عليه وعلى رفقته وأنزلهم عنده ووعدهم بكل خير.

ثم إن الملك الناصر جمع أمراءه ومماليكه وشاورهم في أمره فقال نوغيه: " من ذا الذي يعاندك أو يقف قدامك والجميع مماليكك! والذي خلق الخلق إذا كنت أنت معي وحدي التقي بك كل من خرج من مصر والشام! " فقال السلطان: " صدقت فيما قلت ولكن من لم ينظر في وقال ابن كثير في تاريخه: وصل المتوجهون إلى الكرك إلى الملك الناصر في الحادي والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة فقبلهم الناصر أحسن قبول وكان حين وصلوا إلى قطيا أخذوا ما بها من المال ووجدوا أيضًا في طريقهم مقدمة لسيف الدين طوغان نائب البيرة فأخذوها بكمالها وأحضروا الجميع بين يدي الملك الناصر محمد ولما وصلت إليه الأمراء المذكورون أمر الملك الناصر بالخطبة لنفسه ثم كاتب النواب فأجتمعوا وأجابوه بالسمع والطاعة.

ولما عاد الأمراء من غزة إلى مصر اشتد خوف السلطان الملك المظفر وكثر خياله من أكثر عسكر مصر فقبض على جماعة تزيد على ثلاثمائة مملوك وأخرج أخبارهم وأخبار المتوجهين مع نوغيه إلى الكرك لمماليكه وتحلقوا عليه البرجية وشؤشوا فكره بكثرة تخيله بمخامرة العسكر المصري عليه وما زالوا به حتى أخرج الأمير بينجار والأمير صارم الدين الجرمني في عدة من الأمراء مجردين وأخرج الأمير أقوش الرومي بجماعته إلى طريق السويس ليمنع من عسائه يتوجه من الأمراء والمماليك إلى الملك الناصر.

ثم قبض الملك المظفر على أحد عشر مملوكًا وقصد أن يقبض على آخرين فأستوحش الأمير بطرا فهرب فأدركه الأمير جركتمر بن بهادر رأس نوبة فأحضره فحبس وعند إحضاره طلع الأمير أديكز السلاح دار بملطف من عند الملك الناصر محمد وهو جواب الكتاب الذي كان أرسله الملك المظفر للملك الناصر يطلب نوغيه وأصحابه.

وقد ذكرنا معناه وما أغلظ فيه وأفحش في الخطاب للملك الناصر وكان في وقت وصول كتاب المظفر حضر إلى الملك الناصر الأمير أسندمر نائب طرابلس كأنهما كانا على

ميعاد فأخذ الناصر الكتاب وأسندمر إلى جانبه وعليه لبس العريان وقد ضرب اللثام فقرأ الناصر الكتاب ثم ناوله إلى أسندمر فقرأه وفهم معناه ثم أمر الملك الناصر الناس بالانصراف وبقي هو وأسندمر وقال لأسندمر: ما يكون الجواب فقال له أسندمر: المصلحة أن تخادعه في الكلام وتترقق له في الخطاب حتى تجهز أمرنا ونستظهر فقال له السلطان: اكتب له الجواب مثل ما تختاره فكتب أسندمر: " المملوك محمد بن قلاوون يقبل اليد العالية المولوية السلطانية المظفرية أسيع الله ظلها ورفع قدرها ومحلها وينهي بعد رفع دعائه وخالص عبوديته وولائه أنه وصل إلي المملوك نوغيه ومغلطاي وجماعة من المماليك فلما علم المملوك بوصولهم أغلق باب القلعة ولم يمكن أحدًا منهم يعبر إليه وسيرت إليهم ألومهم على ما فعلوه وقد دخلوا على المملوك بأن يبعث ويشفع فيهم فأخذ المملوك في تجهيز مقدمة لمولانا السلطان ويشفع فيهم والذي يحيط به علم مولانا السلطان أن هؤلاء من مماليك السلطان خلد الله ملكه وأن الذي قيل فيهم غير صحيح وإنما هربوا خوفًا على أنفسهم وقد استجاروا بالمملوك والمملوك يستجير بظل الدولة المظفرية والمأمول ألا يخيب سؤاله ولا يكسر قلبه ولا يردده فيما قصده.

وفي هذه الأيام يجهز المملوك مقدمة مع المماليك الذين طلبهم مولانا السلطان وأنا ما لي حاجة بالمماليك في هذا المكان وإن رسم مولانا مالك الرق أن يسير نائبًا له وينزل المملوك بمصر ويلتجىء بالدولة المظفرية ويخلق رأسه ويقعد في تربة الملك المنصور.

والمملوك قد وطن نفسه على مثل هذا وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: " ما أقرب الراحة من التعب واليؤس من النعم والموت من الحياة ".

وقال بعضهم: إياك وما يسخط سلطانك ويوحش إخوانك فمن أسخط سلطانه فقد تعرض للمنية ومن أوحش إخوانه فقد تبرأ عن الحرية.

والمملوك يسأل كريم العفو والصفح الجميل! والله تعالى قال في كتابه الكريم وهو أصدق القائلين: [والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين](#) ."

والمملوك ينتظر الأمان والجواب.

أنهى المملوك ذلك ."

فلما قرأ الملك المظفر الكتاب خص ما كان عنده وكان سلار حاضرًا فقال له سلار: ما قلت لك إن الملك الناصر ما بقيت له قدرة على المعاندة! وقد أصبح ملك الشام ومصر طوع يدك ولكن عندي رأي: وهو أن تسير إلى الأفرم بأن يجعل باله من الأمراء فإنهم ربما يهربون إلى بلاد التتار فأستصوب المظفر ذلك وكتب إلى الأفرم في الحال بالغرض فلما وصل الكتاب إلى الأفرم اجتهد في ذلك غاية الاجتهاد.

وأخذ الملك الناصر في تدبير أمره

وبينما المظفر في ذلك ورد عليه الخبر من الأفرم بخروج الملك الناصر من الكرك فقلق المظفر من ذلك وزاد توهمه ونفرت قلوب جماعة من الأمراء والمماليك منه وخشوا على أنفسهم واجتمع كثير من المنصورية والأشرفية والأويراتية وتواعدوا على الحرب وخرج منهم مائة وعشرون فارسًا بالسلاح وساروا على حمية إلى الملك الناصر فخرج في أثرهم الأمير بينجار والصارم الجرمكي بمن معهم وقتلوا المماليك وجرح الجرمكي بسيف في خده سقط منه إلى الأرض ومضى المماليك إلى الكرك ولم يستجريء أحد أن يتعرض إليهم فعظم بذلك الخطب على الملك المظفر واجتمع عنده البرجية وقالوا: هذا

الفساد كله من الأمير سلار ومتى لم تقبض عليه خرج الأمر من يدك فلم يوافق على ذلك وجبن من القبض على سلار لشوكته ولاضطراب دولته ثم طلب الملك المظفر الأمير سلار وغيره من الأمراء واستشارهم في أمر الملك الناصر فاتفق الرأي على خروج تجريدة لقتال الملك الناصر.

وأما الملك الناصر فإنه أرسل الأمير أيتمش المحمدي الناصري إلى الأمير قبجق نائب حماة فأحال الأمير قبجق الأمر على الأمير قراسنقر نائب حلب فاجتمع أيتمش بقرا سنقر فأكرمه ووافق على القيام مع الملك الناصر ودخل في طاعته وأعلن بذلك وهو أكبر المماليك المنصورية وواعد الملك الناصر على المسير إلى دمشق في أول شعبان.

ثم كتب قرا سنقر إلى الأفرم نائب الشام يحثه على طاعة الملك الناصر ويرغبه في ذلك ويحذره مخالفته وأشار قرا سنقر على الملك الناصر أنه يكاتب الأمير بكتمر الجوكندار نائب صفد والأمير كراي المنصوري نائب القدس.

ثم عاد أيتمش إلى أستاذه الملك الناصر وأخبره بكل ما وقع فسر الملك الناصر بذلك هو وكل من عنده غاية السرور وتحقق كل أحد من حواشي الملك الناصر بإتمام أمره.

وكان نوعيه منذ قدم على الملك الناصر بالكرك لا يبرح يحرضه على المسير إلى دمشق حتى إنه ثفل على الملك الناصر من مخاشنته في المخاطب بسبب توجهه إلى دمشق وغضب منه وقال له: " ليس لي بك حاجة أرجع حيث جئت " فترك نوعاي الخدمة وانقطع وحقد له الملك الناصر ذلك حتى قتله بعد عودته إلى الملك بمدة حسب ما يأتي ذكره من كثرة ما وبخه نوعيه المذكور وأسمعه من الكلام الخشن.

ولما قدم أيتمش بالأجوبة على الملك الناصر قوي عزم الملك الناصر على الحركة ثم إن الملك الناصر أيضًا أرسل مملوكه أيتمش المحمدي المذكور إلى الأمير بكتمر الجوكندار نائب صفد حسب ما أشار به قرا سنقر فسار أيتمش إليه واجتمع بالأمير محمد بن بكتمر الجوكندار فجمع محمد المذكور بين أيتمش وبين أبيه ليلاً في مقابر صفد فعتبه أيتمش على رده أولاً فأصد السلطان الملك الناصر فاعتذر له بكتمر بالخوف من بيبرس وسلار كما كان وقع له مع الناصر أولاً بالديار المصرية حين اتفقا على قبض بيبرس وسلار ولم يتم لهم ذلك وأخرج بكتمر بسبب ذلك من الديار المصرية وقد تقدم ذكر ذلك كله.

انتهى.

ثم قال له بكتمر: ولولا ثقتي بك ما اجتمعت عليك فلما عرفه أيتمش طاعة الأمير قرا سنقر والأمير قبجق والأمير أسندمر أجاب بالسمع والطاعة وأنه على ميعاد النواب إلى المضي إلى الشام وعاد أيتمش إلى الملك الناصر بجواب بكتمر فسر به غاية السرور.

وأما السلطان الملك المظفر بيبرس هذا فإنه أخذ في تجهيز العساكر إلى قتال الملك الناصر محمد حتى تم أمرهم وخرجوا من الديار المصرية في يوم السبت تاسع شهر رجب وعليهم خمسة أمراء من مقدمي الألواف وهم: الأمير برلغي الأشرفي والأمير جمال الدين أقوش الأشرفي نائب الكرك كان والأمير عز الدين أيبك البغدادي والأمير سيف الدين طغريل الإيغاني والأمير سيف الدين ألكز السلاح دار ومعهم نحو ثلاثين أميرًا من أمراء الطبلخاناه بعد ما أنفق فيهم الملك المظفر: فأعطى برلغي عشرة آلاف دينار وأعطى لكل مقدم الذي دينار ولكل من الطبلخاناه ألف دينار ولكل واحد من مقدمي الحلقة ألف درهم ولكل واحد من أجناد الحلقة خمسمائة درهم.

ونزلوا بمسجد التبن خارج القاهرة ولم يتقدموا ثم عادوا بعد أربعة أيام إلى القاهرة.

وكان الباعث على عودهم أن كتب آقوش الأفرم نائب الشام وردت علي الملك المظفر تتضمن وصول الملك الناصر إلى البرج الأبيض ثم عاد إلى الكرك فأطمأن الملك المظفر وأرسل إلى برلغي ومن معه من المجردين بالعود فعادوا بعد أربعة أيام.

فلم يكن إلا أيام وورد الخبر ثانيًا بمسير الملك الناصر محمد من الكرك إلى نحو دمشق فتجهز العسكر المذكور في أربعة آلاف فارس وخرجوا من القاهرة في العشرين من شعبان إلى العباسية.

فورد البريد من دمشق بقدم أيتمش المحمدي من قبل الملك الناصر بمشاهدة إلى الأفرم ذكرها للمظفر.

ثم إن الأفرم بعد قدوم أيتمش بعث الأمير علاء الدين أيدغدي شقير الحسامي والأمير جوبان لكشف خبر الملك الناصر وأنها توجهت من الشام إلى جهة الكرك فوجدا الملك الناصر يتصيد وأنه عوق أيتمش عنده فسر المظفر بذلك.

وكان الأمر بخلاف ذلك وهو أن أمرهما: أنه لما سيرهما الأفرم لكشف خبر الملك الناصر قدما على الملك الناصر ودخلا تحت طاعته وعرفاه أنهما جاءا لكشف خبره وحلفا له على القيام بنصرته سرًا وعادا إلى الأفرم بالجواب المذكور.

وكان الناصر هو الذي أمرهما بهذا القول فظن الأفرم أن أخبارهما على الصدق فكتب به إلى المظفر.

ثم إن الأفرم خاف أن يطرق الملك الناصر دمشق على غفلة فجرد إليه ثمانية أمراء من أمراء دمشق وهم: الأمير سيف الدين قطلوبك المنصوري والأمير سيف الدين الحماج بهادر الحلبي الحاجب والأمير جوبان والأمير كجكن والأمير علم الدين سنجر الجاولي وغيرهم ليقموا على الطرقات لحفظها على من يخرج من الشام وغيره إلى الملك الناصر.

وكتب إلى الملك المظفر يستحثه على إخراج عساكر مصر لتجتمع عنده مع عساكر دمشق على قتال الملك الناصر وأنه قد جدد اليمين للمظفر وحلف أمراء دمشق ألا يخونوه ولا ينصروا الملك الناصر.

فلما قرأ المظفر كتاب الأفرم اضطرب وزاد قلقه.

ثم ورد عليه كتاب الأمير برلغي من العباسية بأن مماليك الأمير آقوش الرومي تجمعوا عليه وقتلوه وساروا ومعهم خزائنه إلى الملك الناصر وأنه لحق بهم بعض أمراء الطبلخاناه في جماعة من مماليك الأمراء وقد فسد الحال والرأي أن يخرج السلطان بنفسه.

فلما سمع الملك المظفر ذلك أخرج تجريدة أخرى فيها عدة أمراء أكابر وهم: الأمير بجاس وبكتوت وكثير من البرجية ثم بعث إلى برلغي بألفي دينار ووعدته بأنه عازم على التوجه إليه بنفسه.

فلما ورد كتاب الملك المظفر بذلك وبقدوم التجريدة إليه عزم على الرحيل إلى جهة الكرك فلما كان الليل رحل كثير ممن كان معه يريدون الملك الناصر فثنى عزمه عن الرحيل ثانيًا وكتب إلى المظفر يقول بأن نصف العسكر سار إلى الملك الناصر وخرج عن طاعة الملك المظفر ثم حرض الملك المظفر على الخروج بنفسه.

وقبل أن يطلع الفجر من اليوم المذكور وصل إلى القاهرة الأمير بهادر جك بكتاب الأمير برلغي المذكور وطلع إلى السلطان فلما قضى الملك المظفر صلاة الصبح تقدم إليه بهادر جك وعرفه بوصول أكثر العسكر إلى الملك الناصر وناولته الكتاب فلما قرأه يبهرس تبسم وقال: " سلم على الأمير برلغي وقل له: لا تخش من شيء فإن الخليفة أمير المؤمنين قد عقد لنا بيعة ثانية وجدد لنا عهدًا وقد قرىء على المنابر وجددنا اليمين على الأمراء وما بقي أحد يجسر أن يخالف ما كتب به أمير المؤمنين! " ثم دفع إليه العهد الخلفتي وقال: لا امض به إليه حتى يقرأه على الأمراء والجند ثم يرسله إلي فإذا فرغ من قراءته يرحل بالعساكر إلى الشام " وجهز له بألفي دينار أخرى وكتب جوابه بنظير المشافهة فعاد بهادر جك إلى برلغي فلما قرأ عليه الكتاب وانتهى إلى قوله: " وأن أمير المؤمنين ولاني تولية جديدة وكتب لي عهدًا وجدد لي بيعة ثانية " وفتح العهد فإذا أوله: "[إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم](#) " فقال برلغي: [ولسليمان الريح](#)! ثم ألتفت إلى بهادر جك وقال له: " قل له: يا بارد الذقن! والله ما بقي أحد يلتفت إلى الخليفة " ثم قام وهو مغضب.

وكان سبب تجديد العهد للملك المظفر هذا أن الأفرم نائب الشام لما ورد كتابه على المظفر أنه حلف الأمراء بدمشق ثانيًا وبعث بالشيخ صدر الدين محمد ابن عمر بن مكى بن عبد الصمد الشهير بابن المرحل إلى الملك المظفر في الرسالة صار صدر الدين يجتمع به هو وابن عدلان وصار الملك المظفر يشغل وقته بهما فأشارا عليه بتجديد العهد والبيعة وتحليف الأمراء وأن ذلك يثبت به قواعد ملكه ففعل الملك المظفر ذلك وحلف الأمراء بحضور الخليفة وكتب له عهد جديد عن الخليفة أبي الربيع سليمان العباسي.

ونسخة العهد: " [إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم](#) من عبد الله وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي الربيع سليمان بن أحمد العباسي لأمرام المسلمين وجيوشها.

" [يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم](#) " وإني رضيت لكم بعبد الله تعالى الملك المظفر ركن الدين نائبًا عني لملك الديار المصرية والبلاد الشامية وأقمته مقام نفسي لدينه وكفائه وأهليته ورضيته للمؤمنين وعزلت من كان قبله بعد علمي بنزوله عن الملك ورأيت ذلك متعينًا علي وحكمت بذلك الحكام الأربعة واعلموا رحمتكم الله أن الملك عقيم ليس بالوراثة لأحد خالف عن سالف ولا كابر عن كابر وقد أستخرت الله تعالى ووليت عليكم الملك المظفر فمن أطاعه فقد أطاعني ومن عصاه فقد عصاني ومن عصاني فقد عصى أبا القاسم ابن عمي صلى الله عليه وسلم.

وبلغني أن الملك الناصر ابن السلطان الملك المنصور شق العصا على المسلمين وفرق كلمتهم وشتت شملهم وأطمع عدوهم فيهم وعرض البلاد الشامية والمصرية إلى سبي الحريم والأولاد وسفك الدماء فتلك دماء قد صانها الله تعالى من ذلك.

وأنا خارج إليه ومحاربه أن أستمر على ذلك وأدافع عن حريم المسلمين وأنفسهم وأولادهم لهذا الأمر العظيم وأقاتله حتى يفيء إلى أمر الله تعالى وقد أوجبت عليكم يا معاشر المسلمين كافة الخروج تحت لوائى اللواء الشريف فقد أجمعت الحكام على وجوب دفعه وقاتله إن أستمر على ذلك وأنا مستصحب معي الملك المظفر فجهزوا أرواحكم والسلام "

وقرىء هذا العهد على منابر الجوامع بالقاهرة فلما بلغ القارىء إلى ذكر الملك الناصر صاحت العوام: نصره الله نصره الله! وكررت ذلك.

وقرأ فلما وصل إلى ذكر الملك المظفر صاحوا: لا ما نريده ووقع في القاهرة ضجة وحركة بسبب ذلك.

انتهى.

ثم قدم على الملك المظفر من الشام على البريد الأمير بهادر آص يحث الملك المظفر على الخروج إلى الشام بنفسه فإن النواب قد مالوا كلهم إلى الملك الناصر فأجاب أنه لا يخرج واحتج بكرهيته للفتنة وسفك الدماء وأن الخليفة قد كتب بولايته وعزل الملك الناصر فإن قبلوا وإلا ترك الملك.

ثم قدم أيضًا الأمير بلاط بكتاب الأمير برلغي وفيه أن جميع من خرج معه من أمراء الطبلخاناه لحقوا بالملك الناصر وتبعهم خلق كثير ولم يتأخر غير برلغي وأقوش نائب الكرك وأبيك البغدادي وألكز والفتاح وذلك لأنهم خواص الملك المظفر.

وأما الملك الناصر فإنه سار من الكرك بمن معه في أول شعبان يريد دمشق بعد أمور وقعت له نذكرها في أوائل ترجمته الثالثة.

فلما سار دخل في طاعته الأمير قطلوبك المنصوري والحاج بهادر وبكتمر الحسامي حاجب حجاب دمشق وعلم الدين سنجر الجاولي.

وصار الملك الناصر يتأني في مسيره من غير سرعة حتى يتبين ما عند أمراء دمشق الذين أخرجهم الأفرم لحفظ الطرقات قبل ذلك فكتبوا أمراء دمشق المذكورون إلى الأفرم أنه لا سبيل لهم إلى محاربة الملك الناصر وأرادوا بذلك إما أن يخرج بنفسه فيقبضوه أو يسير عن دمشق إلى جهة أخرى فيأتيهم بقية الجيش وكان كذلك.

فإنه لما قدم كتابهم عليه بدمشق شاع بين الناس مجيء الملك الناصر من الكرك فثارت العوام وصاحوا: " نصر الله الملك الناصر! " وتسلل عسكره من دمشق طائفة بعد طائفة إلى الملك الناصر وانفرط الأمر من الأفرم.

وآتفق الأمير بيبرس العلائي والأمير بيبرس المجنون بمن معهما على الوثوب على الأفرم والقبض عليه فلم يثبت عندما بلغه ذلك واستدعى علاء الدين علي بن صبيح وكان من خواصه وخرج ليلاً وتوجه إلى جهة الشقيف فركب قطلوبك والحاج بهادر عندما سمعا خبر الأفرم وتوجها إلى الملك الناصر وكانا كاتبا بالدخول في طاعته قبل ذلك فسر بهما وأنعم على كل واحد منهما بعشرة آلاف درهم وقدم على الناصر أيضًا الجاولي وجوبان وسائر من كان معهم فسار بهم الملك الناصر حتى نزل الكسوة وخرج إليه بقية الأمراء والأجناد.

وقد عمل له سائر شعار السلطنة من السناجق وسار يوم الثلاثاء ثاني عشر شعبان يريد مدينة دمشق فدخلها من غير مدافع بعدما زينت له زينة عظيمة وخرج جميع الناس إلى لقائه على اختلاف طبقاتهم حتى صغار الكتاب وبلغ كراء البيت من البيوت التي بميدان الحصى إلى قلعة دمشق للتفرج على السلطان من خمسمائة درهم إلى مائة درهم وفرشت الأرض بشقاق الحرير الملونة وحمل الأمير قطلوبك المنصوري الغاشية وحمل الأمير الحاج بهادر الجتر وترجل الأمراء والعساكر بأجمعهم ومشوا بين يديه حتى نزل بالقصر الأبلق.

وفي وقت نزوله قدم مملوك الأمير قرا سنقر نائب حلب لكشف الخبر وأن قراسنقر خرج من حلب وقبجق خرج من حماة فخلع عليه وكتب لهما بسرعة الحضور إليه.

ثم كتب إلى الأفرم أمانًا وتوجه به علم الدين سنجر الجاولي فلم يثق بذلك لما كان وقع منه في حق الناصر لما قدم عليه تنكز وطلب يمين السلطان فحلف السلطان له وبعث إليه نسخة الحلف.

وكان قبل ذلك بعث الملك الناصر خازن داره وتنكز مملوكه إلى الأفرم هذا صحبة عثمان الركاب يستدعيه إلى طاعته بكل ما يمكن ثم أمره الملك الناصر إن لم يطع يخشن له في القول وكذلك كتب في المطالعة التي على يد تنكز: " أولها وعد وآخرها وعيد " .

فلما قرأ الأفرم الكتاب المذكور أسود وجهه من الغضب ثم آلتفت إلى تنكز وقال: " أنت وأمثالك الذين حمقوا هذا الصبي حتى كتب لي هذا الكتاب ويلك! من هو الذي وافقه من أمراء دمشق على ذلك " وكان الناصر قد كتب له في جملة الكلام أن غالب أمراء البلاد الشامية أطاعوني وكان الأفرم لما حضر إليه تنكز قبل أن يقرأ الكتاب جمع أمراء دمشق ثم قرأ الكتاب فلما وصل إلى ذلك قال الأفرم: " قل لي من هو الذي أطاعه حتى أقبض عليه وأرسله إلى مصر " فنظر أمراء دمشق بعضهم إلى بعض وأمعن الأفرم في الكلام فقام الأمير بيبرس المجنون وقال: " ما هذا الكلام مصلحة تجاوب ابن استاذك بهذا الجواب! ولكن لاطفه وقل له: أنت تعلم أننا متبعون مصر وما يبرز منها فإن أردت الملك فاطلبه من مصر ولا تبتليش بنا وارجع عنا " وذكر له أشياء من هذا النمط فقال الأفرم: لا أنا ما أقول هذا الكلام وليس له عندي إلا السيف إن جاءنا! " ثم طلب الأفرم تنكز في خلوة وقال له: " سر إلى أستاذك وقل له: " ارجع وإلا يسمع الملك المظفر فيمسكك وبحبسك فتبقى تتمنى أن تشيع الخبز! ولا ينفعلك حينئذ أحد فإن كان لك رأي فاقبض على نوعيه ومن معه وسيرهم للملك المظفر فإن فعلت ذلك يصلح حالك ولا تفعل غير هذا تهلك " .

وكتب له كتابًا بمعنى هذا ودفعه إلى تنكز فلم يخرج تنكز من دمشق إلى أثناء الطريق.

حتى خرج في أثره جماعة من أمراء دمشق إلى طاعة الناصر.

وكان كلام الأفرم لتتكز أكبر الأسباب لخروج الملك الناصر من الكرك إلى دمشق فلما قدم الناصر دمشق وكتب الأمان للأفرم فتخوف الأفرم مما كان وقع منه من القول لما قدم عليه تنكز وطلب الحلف.

انتهى.

وقال بيبرس في تاريخه: وأرسل السلطان إلى الأفرم رسلا بالأمان والأيمان وهما الأميران عز الدين أيدير الزردكاش والأمير سيف الدين جوبان.

وقال غيره: بعث إليه السلطان نسخة الحلف مع الأمير الحاج أرقطاي الجمدار فما زال به حتى قدم معه هو وابن صبيح فركب السلطان إلى لقائه حتى قرب منه نزل كل منهما عن فرسه فأعظم الأفرم نزول السلطان له وقبل الأرض وكان الأفرم قد لبس كاملية وشد وسطه وتوشح بنصفية يعني أنه حضر بهيئة البطلين من الأمراء وكفنه تحت إبطه وعندما شاهدته الناس على هذه الحالة صرخوا بصوت واحد: يا مولانا السلطان بتربة والدك الملك الشهيد قلاوون لا تؤذه ولا تغير عليه! فبكى سائر من حضر وبالع السلطان في إكرامه وخلع عليه وأركبه وأقره على نيابة دمشق فكثر الدعاء له وسار إلى القصر.

فلما كان من الغد أحضر الأفرم خيلاً وجمالاً وثياباً بمائتي ألف درهم تقدمه إلى السلطان الملك الناصر.

وفي يوم الجمعة ثاني عشرين شعبان خطب للملك الناصر بدمشق وانقطع منها أسم المظفر وصليت الجمعة بالميدان فكان يوماً مشهوداً.

وفي ذلك اليوم قدم الأمير قرا سنقر نائب حلب والأمير قبجق نائب حماة والأمير أسندمر كرجي نائب طرابلس وتمر الساقبي نائب حمص فركب السلطان إلى لقائهم وترجل إلى قرا سنقر وعانقه وشكر الأمراء وأثنى عليهم.

ثم قدم الأمير كراي المنصوري نائب القدس والأمير بكتمر الجوكندار نائب صفد ثم قدم كل من الأمراء والنواب تقدمته بقدر حاله ما بين ثياب أطلس وحوائض ذهب وكلفتاة زركش وخيول مسرجة في عنق كل فرس كيس فيه ألف دينار وعليه مملوك وعدة بغال وجمال بخاتي وغير ذلك.

وشرع الملك الناصر في النفقة على الأمراء والعساكر الواردة عليه مع النواب فلما انتهت النفقة قدم بين يديه الأمير كراي المنصوري على عسكره إلى غزة فسار إليها وصار كراي يمد في كل يوم سماطاً عظيماً للمقيمين والوارعين عليه فأنفق في ذلك أموالاً جزيلة من حاصله واجتمع عليه بغزة عالم كثير وهو يقوم بكلفهم ويعددهم عن السلطان بما يرضيهم.

وأما الملك المظفر فإنه قدم عليه الخبر في خامس عشرين شعبان باستيلاء الملك الناصر على دمشق بغير قتال فعظم ذلك على الملك المظفر وأظهر الذلة وخرجت عساكر مصر شيئاً بعد شيء تريد الملك الناصر حتى لم يبق عنده بالديار المصرية سوى خواصه من الأمراء والأجناد.

وأما الأمير برلغي ومن معه من الأمراء صار عساكرهم تتسلل واحداً بعد واحد حتى بقي برلغي في مماليكه وجماعة من خواص الملك المظفر ببيرس فتشاور برلغي مع جماعته حتى اقتضى رأيه ورأي أقوش نائب الكرك اللحاق بالملك الناصر أيضاً فلم يوافق على ذلك البرجية وعاد أبيك البغدادي وبكتوت الفتاح وقجقار ببقية البرجية إلى القاهرة وصاروا مع الملك المظفر ببيرس.

وسار برلغي وأقوش إلى الملك الناصر فيمن بقي من الأمراء والعساكر فاضطربت القاهرة لذلك.

وكان الملك المظفر قد أمر في مستهل شهر رمضان سبعة وعشرين أميراً ما بين طبلخاناه وعشرات منهم من مماليكه: صديق وصنقجي وطوغان وقرمان وإغزلو وبهادر ومن المماليك السلطانية سبعة وهم: قراجا الحسامي وطرنطاي المحمدي وبكتمر الساقبي وبهادر قبجاق وأنكبار وطشتمر أخو بتخاص ولاجين وممن عداهم جرکتمر بن بهادر وحسن بن الرادادي ونزلوا الجميع إلى المدرسة المنصورية ليلبسوا الخلع على جاري العادة واجتمع لهم النقباء والحجاب والعامه بالأسواق ينتظرون طلوعهم القلعة وكل منهم بقي لابس الخلعة فاتفق أن شخصاً من المنجمين كان بين يدي النائب سلار فرأى الطالع غير موافق فقال: " هذا الوقت ركوبهم غير لائق " فلم يلتفت بعضهم ولبس وركب في طلبه فاستبردوهم العوام وقالوا: " ليس له حلاوة ولا عليه طلاوة " وصار بعضهم يصيح ويقول: " يا فرحة لا تمت "

ثم أخرج الملك المظفر عدة من المماليك السلطانية إلى بلاد الصعيد وأخذ أخبارهم وظن الملك المظفر أنه ينشئ له دولة فلما بلغه مسير برلغي وأقوش نائب الكرك إلى الملك الناصر سقط في يده وعلم زوال ملكه فإن برلغي كان زوج ابنته وأحد خواصه وأعيان دولته بحيث إنه أنعم عليه في هذه الحركة بنيف وأربعين ألف دينار مصرية وقيل: سبعين ألف دينار.

وظهر عليه اختلال الحال وأخذ خواصه في تعنيفه على إبقاء سلار النائب وأن جميع هذا الفساد منه وكان كذلك: فإنه لما فاتته السلطنة وقام بيبرس فيها حسده على ذلك ودبر عليه وبيبرس في غفلة عنه فإنه كان سليم الباطن لا يظن أن سلار يخونه.

ثم قبض الملك المظفر ليلة الجمعة على جماعة من العوام وضربوا وشهروا لإعلانهم بسبب الملك المظفر بيبرس فما زادهم ذلك إلا طغياناً وفي كل ذلك تنسب البرجية فساد الأمور لسلار.

فلما أكثر البرجية الإغراء بسلار قال لهم الملك المظفر: " إن كان في خاطركم شيء فدونكم وإياه إذا جاء سلار للخدمة وأما أنا فلا أتعرض له بسوء قط ".

فاجتمعت البرجية على قبض سلار إذا حضر الخدمة في يوم الاثنين خامس عشره فبلغ سلار ذلك فتأخر عن حضور الخدمة واجترس على نفسه وأظهر أنه قد توعك فبعث الملك المظفر يسلم عليه ويستدعيه ليأخذ رأيه فاعتذر بأنه لا يطيق الحركة لعجزه عنها.

فلما كان يوم الثلاثاء سادس عشر رمضان آستدعى الملك المظفر الأمراء كلهم وآستشارهم فيما يفعل فأشار الأمير بيبرس الدوادار المؤرخ والأمير بهادر آص بنزوله عن الملك والإشهاد عليه بذلك كما فعله الملك الناصر " وتسير إلى الملك الناصر بذلك وتستعطفه وتخرج إلى إطفيح بمن تثق به وتقيم هناك حتى يرد جواب الملك الناصر عليك " فأعجبه ذلك وقام ليجهز أمره وبعث بالأمير ركن الدين بيبرس الدوادار المذكور إلى الملك الناصر محمد يعرفه بما وقع.

وقيل إنه كتب إلى الملك الناصر يقول مع غير بيبرس الدوادار: " والذي أعرفك به أنني قد رجعت أقلدك بغيك فإن حبستني علات ذلك خلوة وإن نفيتني عدت ذلك سياحة وإن قتلتني كان ذلك لي شهادة " فلما سمع الملك الناصر ذلك عين له صهيون على ما نذكره.

وأما ما كتبه المظفر على يد بيبرس الدوادار يسأله في إحدى ثلاث: إما الكرك وأعمالها أو حماة وبلادها أو صهيون ومضافاتها.

ثم اضطربت أحوال المظفر وتحير وقام ودخل الخزائن وأخذ من المال والخيل ما أحب وخرج من يومه من باب الإسطبل في مماليكه وعدتهم سبعمائة مملوك ومعه من الأمراء: الأمير عز الدين أيدمر الخطيري الأستاذار والأمير بكتوت الفتاح والأمير سيف الدين قجماس والأمير سيف الدين تاركز في بقية الزامه من البرجية فكانما نودي في الناس بأنه خرج هارباً فاجتمع العوام وعندما برز من باب الإسطبل صاحوا به وتبعوه وهم يصيحون عليه بأنواع الكلام وزادوا في الصياح حتى خرجوا عن الحد ورماه بعضهم بالحجارة.

فشق ذلك على مماليكه وهموا بالرجوع إليهم ووضع السيف فيهم فمنعهم الملك المظفر من ذلك وأمر بنثر المال عليهم ليشتغلوا بجمعه عنه فأخرج كل من المماليك حفنة من

الذهب ونثرها فلم يلتفت العامة لذلك وتركوه وأخذوا في العدو خلفه وهم يسبون
وبصيحون فشهر المماليك حينئذ سيوفهم ورجعوا إلى العوام فانهزموا منهم.

وأصبح الحراس بقلعة الجبل في يوم الأربعاء سابع عشر شهر رمضان يصيحون باسم
الملك الناصر وأسقط أسم الملك المظفر بإشارة الأمير سلار بذلك فإنه أقام بالقلعة
ومهد أمورها بعد خروج المظفر إلى إطفيح.

وفي يوم الجمعة تاسع عشره خطب على منابر القاهرة ومصر بأسم الملك الناصر
والمسقط أسم الملك المظفر ببيرس هذا وزال ملكه.

وأما الملك المظفر فإنه لما فارق القلعة أقام بإطفيح يومين ثم آتفق رأيه ورأي أيديمر
الخطيري وبكتوت الفتاح إلى المسير إلى برقة وقيل بل إلى أسوان فأصبح حاله كقول
القائل: موكل ببقاع الأرض يذرعها من خفة الروع لا من خفة الطرب ولما بلغ ممالك
الملك المظفر هذا الرأي عزموا على مفارقتة.

فلما رحل من إطفيح رجع المماليك عنه شيئاً بعد شيء إلى القاهرة فما وصل المظفر
إلى إخميم حتى فارقه أكثر من كان معه فعند ذلك أنتهى عزمه عن التوجه إلى برقة
وتركه الخطيري والفتاح وعادا نحو القاهرة.

وبينما هو سائر قدم عليه الأميران: ببيرس الدوادار وبهادر آص من عند الملك الناصر
ليتوجه إلى ببيرس الدوادار فأخذ ببيرس المال وسار به في النيل إلى الملك الناصر وهو
بقلعة الجبل وقدم بهادر آص في البر بالملك المظفر ومعه كاتبه كريم الدين أكرم وسأل
المظفر في يمين السلطان مع من يثق به فحلف له الملك الناصر بحضرة الأمراء وبعث
إليه بذلك مع أيتمش المحمدي فلما قدم عليه أيتمش بالغ المظفر في إكرامه وكتب
الجواب بالطاعة وأنه يتوجه إلى ناحية السويس وأن كريم الدين يحضر بالخرانة
والحواصل التي أخذها فلم يعجب السلطان ذلك وعزم على إخراج تجريدة إلى غزة
ليردوه وأطلع على ذلك بكتمر الجوكندار النائب وقرا سنقر نائب دمشق والحاج بهادر
وأسندمر نائب طرابلس.

فلما كان يوم الخميس الذي قبض فيه الملك الناصر على الأمراء - على ما سيأتي ذكره
مفصلاً في أول ترجمة الملك الناصر الثالثة إن شاء الله تعالى - جلس بعض المماليك
الأشرفية خارج القلعة فلما خرج الأمراء من الخدمة قال: " وأي ذنب لهؤلاء الأمراء الذين
قبض عليهم! وهذا الذي قتل أستاذنا الملك الأشرف ودمه الآن على سيفه قد صار اليوم
حاكم المملكة " يعني عن قرا سنقر فقبل هذا لقرا سنقر فخاف على نفسه وأخذ في
عمل الخلاص من مصر فالتزم للسلطان أنه بتوجه ويحصل الملك المظفر ببيرس هو
والحاج بهادر نائب طرابلس من غير إخراج تجريدة فإن في بعث الأمراء لذلك شناعة
فمشى ذلك على السلطان ورسم بسفرهما فخرج قرا سنقر ومعه سائر النواب إلى
ممالكهم وعوق السلطان عنده أسندمر كرجي وقد استقر به في نيابة حماة وسار البقية.

ثم جهز السلطان أسندمر كرجي لإحضار المظفر مقيداً.

وآتفق دخول قرا سنقر والأمراء إلى غزة قبل وصول المظفر إليها فلما بلغهم قربه ركب
قرا سنقر وسائر النواب والأمراء ولقوه شرقي غزة وقد بقي معه عدة من ممالিকে وقد
تأهبوا للحرب فلبس الأمراء السلاح ليقاتلوهم فأنكر المظفر على ممالিকে للقتال وقال: " أنا
كنت ملكاً وحولي أضعافك ولي عصبة كبيرة من الأمراء وما اخترت سفك الدماء! " وما
زال بهم حتى كفوا عن القتال وساق هو بنفسه حتى بقي مع الأمراء وسلم نفسه
إليهم فسلموا عليه وساروا به إلى معسكرهم وأنزلوه بخيمة وأخذوا سلاح ممالিকে ووكلوا

بهم من يحفظهم وأصبحوا من الغد عائدين بهم معهم إلى مصر فأدركهم أسندمر كرجي بالخطارة فأنزل في الحال المظفر عن فرسه وقيده بقيد أحضره معه فبكى وتحدرت دموعه على شيبته فشق ذلك على قراسنقر وألقى الكلفتاة عن رأسه إلى الأرض وقال: " لعن الله الدنيا فيا ليتنا متنا ولا رأينا هذا اليوم! فترجلت الأمراء وأخذوا كلفتاته ووضعوها على رأسه.

هذا مع أن قرا سنقر كان أكبر الأسباب في زوال دولة المظفر المذكور! وهو الذي جسر الملك الناصر حتى كان من أمره ما ثم عاد قرا سنقر والحاج بهادر إلى محل كفالتهم وأخذ بهادر يلوم قرا سنقر كيف خالف رأيه فإنه كان أشار على قرا سنقر في الليل بعد القبض على المظفر بأن يخفي عن المظفر حتى يصل إلى صيهون ويتوجه كل منهما إلى محل ولايته ويخيفا الملك الناصر بأنه متى تغير عما كان وافق الأمراء عليه بدمشق قاموا بنصرة المظفر وإعادته إلى الملك فلم يوافق قرا سنقر ووطن أن الملك الناصر لا يستحيل عليه ولا على المظفر فلما رأى ما حل بالمظفر نم على مخالفة بهادر.

وبينما هما في ذلك بعث أسندمر كرجي إلى قراسنقر مرسوم السلطان بأن يحضر صحبة المظفر إلى القلعة - وكان عزم الناصر أن يقبض عليه - ففطن قرا سنقر بذلك وأمتنع من التوجه إلى مصر وأعتذر بأن العشير قد تجمعوا ويخاف على دمشق منهم وجد في السير وعرف أنه ترك الرأي في مخالفة بهادر.

وقدم أسندمر بالمظفر إلى القلعة في ليلة الأربعاء الرابع عشر من ذي القعدة فلما مثل المظفر بين يدي السلطان قبل الأرض فأجلسه وعنفه بما فعل به وذكره بما كان منه إليه وعدد ذنوبه وقال له: " تذكر وقد صحت علي يوم كذا بسبب فلان! ورددت شفاعتي في حق فلان! وأستدعيت بنفقة في يوم كذا من الخزانة فمنعته! وطلبت في وقت حلوى بلوز وسكر فمنعني وبلك! وزدت في أمري حتى منعتني شهوة نفسي " والمظفر ساكت.

فلما فرغ كلام السلطان قال له المظفر: " يا مولانا السلطان! كل ما قلت فعلته ولم يبق إلا مراحم السلطان وإيش يقول المملوك لأستاده " فقال له: " يا ركن! أنا اليوم أستاذك! وأمس تقول لما طلبت إوزًا مشويًا: إيش يعمل بالإوز! الأكل هو عشرون مرة في النهار! " ثم أمر به إلى مكان وكان ليلة الخميس فاستدعى المظفر بوضوء وقد صلى العشاء.

ثم جاء السلطان الملك الناصر فخنق المظفر بين يديه بوتر حتى كاد يتلف ثم سببه حتى أفاق وعنفه وزاد في شتمه ثم خنقه ثانيًا حتى مات وأنزل على جنوية إلى الإسطبل السلطاني فغسل ودفن خلف قلعة الجبل وذلك في ليلة الجمعة خامس عشر ذي القعدة سنة تسع وسبعمائة.

وكانت أيام المظفر هذا في سلطنة مصر عشرة أشهر وأربعة وعشرين يومًا لم يتهن فيها من الفتن والحركة.

وكان لما خرج المظفر من مصر هاربًا قبل دخول الملك الناصر - قال بعض الأدباء: تشى عطف مصر حين وافى قدوم الناصر الملك الخبير فذل الجشنيكير بلا لقاء وأمسى وهو ذو جأش نكير إذا لم تعضد الأقدار شخصًا فأول ما يراعى من النصير وقال النوبري في تاريخه: ولما وصلوا بالمظفر ببيرس إلى السلطان الناصر أوقفه بين يديه وأمر بدخوله الحمام وخنق في بقية من يومه ودفن بالقرافة وعفى أثر قبره مدة ثم أمر بانتقاله إلى تربته بالخانقاه التي أنشأها فنقل إليها.

وكان بيبرس هذا آتبدأ بعمارة الخانقاه والتربة داخل باب النصر موضع دار الوزارة في سنة ست وسبعمائة وأوقف عليها أوقافًا جليلة ولكنه مات قبل تمامها فأغلقها الملك الناصر مدة ثم فتحها.

انتهى كلام النويري.

وكان الملك المظفر ملكًا ثابتًا كثير السكون والوقار جميل الصفات ندب إلى المهمات مرارًا عديدة وتكلم في أمر الدولة مدة سنين وحسنت سيرته وكان يرجع إلى دين وخير ومعروف.

تولى السلطنة على كره منه وله أوقاف على وجوه البر والصدقة وعمر ما هدم من الجامع الحاكمي داخل باب النصر بعد ما شعته الزلازل.

وكان من أعيان الأمراء في الدولة المنصورية قلاوون أستاذه ثم في الدولة الأشرفية خليل والدولة الناصرية محمد بن قلاوون.

وكان أبيض اللون أشقر مستدير اللحية وهو جاركسي الجنس على ما قيل ولم يتسلطن أحد من الجراكسة قبله ولا بعده إلى الملك الظاهر برقوق وقيل إنه كان تركيًّا والأقوى عندي أنه كان جاركسيًّا لأنه كان بينه وبين أقوش الأفرم نائب الشام مودة ومحبة زائدة وقيل قرابة وكان الأفرم جاركسي الجنس.

انتهى.

واستولى السلطان الملك الناصر على جميع تعلقاته وآستقدم كاتبه كريم الدين أكرم بن العلم بن السيد فقدم على الملك الناصر بأموال المظفر بيبرس وحوصله فقربه السلطان وأثنى عليه ووعدته بكل جميل إن أظهره على ذخائر المظفر بيبرس.

فنزل كريم الدين إلى داره وتتبع أموال بيبرس وبذل جهده في ذلك.

ثم انضم كريم الدين إلى طغاي وكستاي وأرغون الدوادار الناصرية وبذل لهم مالًا كثيرًا حتى صاروا أكبر أعوانه وحموه من أستاذهم الملك الناصر.

ثم قدم من كان مع المظفر بيبرس من المماليك وعدتهم ثلاثمائة ومعهم الهجن والخيل والسلاح ومبلغ مائتي ألف درهم وعشرين ألف دينار وستون بقجة من أنواع الثياب فأخذ السلطان جميع ذلك وفرق المماليك على الأمراء ما خلا بكتمر الساقى لجمال صورته وطوغان الساقى وقراتمر.

ثم استدعى الملك الناصر القضاة وأقام عندهم البيعة بأن جميع مماليك المظفر بيبرس وسلا وجميع ما وقفاه من الضياع والأملك اشترى من بيت المال.

فلما ثبت ذلك ندب السلطان جمال الدين أقوش الأشرفي نائب الكرك وكريم الدين أكرم لبيع تركة المظفر بيبرس وإحضار نصف ما يتحصل ودفع النصف الآخر لابنة المظفر زوجة الأمير برلغي الأشرفي فإن المظفر لم يترك من الأولاد سواها فشدد كريم الدين الطلب على زوجة المظفر وأبنته حتى أخذ منهما جواهر عظيمة القدر وذخائر نفيسة ثم تابع موجود المظفر فوجد له شيئًا كثيرًا.

السنة التي حكم فيها الملك المظفر بيبرس وهي سنة تسع وسبعمائة على أن الملك المظفر بيبرس حكم من السنة الماضية أيامًا.

فيها أعني سنة تسع وسبعمائة كانت الفتنة بين السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وبين الملك المظفر بيبرس.

حسب ما تقدم ذكره مفصلاً حتى خلع المظفر وأعيد الناصر.

وفيها كانت الفتنة أيضًا بالمدينة النبوية بين الشريف مقبل بن جماز بن شيحة وبين أخيه منصور بن جماز وكان مقبل قدم القاهرة فولاه المظفر نصف إمرة المدينة شريكاً لأخيه منصور فتوجه إليها فوجد منصورًا بنجد وقد ترك ابنه كبيشة بالمدينة فأخرجه مقبل فحشد كبيشة وقاتل مقبلاً حتى قتله وانفرد منصور بإمرة المدينة.

وفيها كتب السلطان الملك الناصر لقرا سنقر نائب الشام بقتال العشير.

وفيها أظهر خربندا ملك التتار الرفض في بلاده وأمر الخطباء إلا يذكروا في خطبهم إلا علي بن أبي طالب وولديه وأهل البيت.

وفيها حج بالناس من القاهرة الأمير شمس الدين إلكز السلاح دار ولم يحج أحد من الشام لاضطراب الدولة.

وفيها توفي الأمير الوزير شمس الدين سنقر الأعسر المنصوري بالقاهرة في شهر ربيع الأول ودفن خارج باب النصر بعد ما استعفى ولزم داره مدة.

وفيها توفي قاضي القضاة شرف الدين أبو محمد عبد الغني بن يحيى بن محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن نصر بن محمد بن أبي بكر الحراني الحنبلي في ليلة الجمعة الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول ودفن بالقرافة.

ومولده بحران في سنة خمس وأربعين وستمائة وسمع الحديث وتفقه وقدم مصر فباشر نظر الخزانة وتدریس الصالحة ثم أضيف إليه قضاء الحنابلة فباشره وحمدت سيرته.

وفيها توفي الشيخ نجم الدين محمد بن إدريس بن محمد القمولي الشافعي بقوص في جمادى الأولى وكان صالحًا عالمًا بالتفسير والفقه والحديث.

وفيها توفي الأمير سيف الدين طغريل بن عبد الله الإيغاني بالقاهرة في عاشر شهر رمضان وكان من كبار الأمراء وأعيان الديار المصرية.

وفيها توفي الأمير عز الدين أيبك الخازندار في سابع شهر رمضان بالقاهرة وكان من أعيان أمراء مصر.

وفيها توفي متملك تونس من بلاد الغرب الأمير أبو عبد الله محمد المعروف أبي عصيدة بن يحيى الواثق بن محمد المستنصر بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص في عاشر شهر ربيع الآخر.

وكانت مدة ملكه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وتولى بعده الأمير أبو بكر بن أبي يزيد عبد الرحمن بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الواحد المدعو بالشهيد لأنه قتل ظلمًا بعد ستة عشر يومًا من ملكه وبوع بعده أيضًا أبو البقاء خالد بن يحيى بن إبراهيم.

وفيهما توفي الوزير التاج أبو الفرج بن سعيد الدولة في يوم السبت ثاني شهر رجب وكان عند الملك المظفر بيبرس بمكانة عظيمة ولما تسلطن بيبرس قرره مشيئاً فكانت تحمل إليه فوطاة العلامة فيمضي منها ما يختاره ويكتب عليه " عرض " فإذا رأى المظفر خطه علم وإلا فلا ولم يزل على ذلك حتى بعث إليه الأمير أقوش الأقرم نائب الشام يهدده بقطع رأسه فامتنع.

وكان الأقرم صار يدبر غالب أمور الديار المصرية وهو بدمشق لأنه كان خشداش المظفر بيبرس وخصيصاً به والقائم بدولته والمعاند للناصر وغيره من نواب البلاد الشامية وقد تقدم ذكر ذلك.

كله في ترجمة الملك المظفر بيبرس.

وفيهما توفي الشيخ القدوة العارف بالله تعالى تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري المالكي الصوفي الواعظ المذكر المسلك بالقاهرة في جمادى الآخرة ودفن بالقرافة وقبره معروف بها يقصد للزيارة.

وكان رجلاً صالحاً عالمًا يتكلم على كرسي ويحضر ميعاده خلق كثير وكان لوعظه تأثير في القلوب وكان له معرفة تامة بكلام أهل الحقائق وأرباب الطريق وكان له نظم حسن على طريق القوم وكانت جنازته مشهودة حفلة إلى الغاية ومن يا صاح إن الركب قد سار مسرعاً ونحن قعود ما الذي أنت صانع أترضى بأن تبقى المخلف بعدهم صريع الأمانى والغرام ينارع وهذا لسان الكون ينطق جهرة بأن جميع الكائنات قواطع وفيها توفي القاضي عز الدين عبد العزيز ابن القاضي شرف الدين محمد ابن فتح الدين عبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد بن القيسراني أحد كتاب الدرج ومدرس الفخرية في ثامن صفر بالقاهرة ودفن عند والده بالقرافة.

وكان من أعيان الموقعين وهو ووالده وجده ومات وله دون الأربعين سنة وكان له فضيلة ونظم ونثر.

ومن شعره في رد جواب:

جاء الكتاب ومن سواد مداده مسك ** ومن قرطاسه الأنوار

فتشرف الوادي به وتعطرت ** أرجاؤه وأنارت الأقطار

قلت وأين هذا من قول البارع جمال الدين محمد بن نباتة المصري حيث يقول في هذا المعنى: أفديه من ملك يكاتب عبده بأحرفه اللاتي حكته الكواكب ملكت بها رقي وأنحلني الأسى فما أنذا عبد رقيق مكاتب والشيخ علاء الدين علي بن محمد بن عبد الرحمن العيبي رحمه الله: أهلتني لجواب ما كان ظني أجاب وفيها توفي القاضي بهاء الدين عبد الله بن نجم الدين أحمد بن علي ابن المظفر المعروف بابن الحلبي ناظر ديوان الجيش المنصور واستقر عوضه القاضي فخر الدين صاحب ديوان الجيش.

وفيهما توفي الأديب إبراهيم بن علي بن خليل الحراني المعروف بعين بصل.

كان شيخاً حائكاً أناف على الثمانين وكان عامياً مطبوعاً وقصده ابن خلكان واستنشدته من شعره فقال: أما القديم فلا يليق إنشاده وأما نظم الوقت الحاضر فنعم وأنشدته بديهاً: وما كل وقت فيه يسمح خاطري بنظم قريض رائق اللفظ والمعنى وهل يقتضي الشرع الشريف تيمماً بترب وهذا البحر يا صاحبي معنا فقال له ابن خلكان.

أنت عين بصر لا عين بصل.

انتهى.

▲ أمر النيل في هذه السنة

: الماء القديم تأخر وتأخرت الزيادة إلى أن دخل شهر مسرى ووقع الغلاء واستسقى الناس فنودي بزيادة ثلاث أصابع ثم توقفت الزيادة ونقص في أيام النسيء ثم زاد حتى بلغ في سابع عشرين توت خمس عشرة ذراعًا وست عشرة إصبعًا وفتح خليج السد بعد ما كان الوفاء في تاسع عشر بابه بعد النوروز بتسعة وأربعين يومًا.

وكان مبلغ الزيادة في هذه السنة ست عشرة ذراعًا وإصبعين.

وكان ذلك في أوائل سلطنة المظفر بيبرس الجاشنكير.

فتشاءم الناس بكعبه عود الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى ملك مصر ثالث مرة وقد تقدم ذكر نزوله عن الملك وتوجهه إلى الكرك وخلع نفسه وماوقع له بالكرك من مجيء نوغاي ورفقته ومكاتبته إلى نواب الشام وخروجه من الكرك إلى الشام طالبًا ملك مصر إلى أن دخل إلى دمشق كل ذلك ذكرناه مفصلاً في ترجمة الملك المظفر بيبرس الجاشنكير.

ونسوق الآن ذكر دخوله إلى مصر فنقول: لما كانت الثانية من نهار الثلاثاء السادس عشر من شهر رمضان سنة تسع وسبعمائة وهي الساعة التي خلع الملك المظفر بيبرس نفسه فيها من ملك مصر بديار مصر خرج الملك الناصر محمد بن قلاوون من دمشق يريد الديار المصرية فانظر إلى هذا الاتفاق العجيب وإقبال سعد الناصر وإدبار سعد المظفر وسارا الملك الناصر يريد الديار المصرية وصحبته نواب البلاد الشامية بتمامهم وكما لهم والعساكر الشامية وخواصه ومماليكه.

وأما أمر الديار المصرية فإن الملك المظفر بيبرس لما خلع نفسه وخرج من مصر إلى الإطفيحية جلس الأمير سلار بقاعة النيابة من قلعة الجبل وجمع من بقي من الأمراء واهتم بحفظ القلعة وأخرج المحابيس الذين كانوا فيها من حواشي الملك الناصر محمد وغيرهم وركب ونادى في الناس: " ادعوا لسلطانكم الملك الناصر " وكتب إلى الملك الناصر بنزول المظفر عن الملك وفراره إلى إطفيح وسير بذلك أصلم الدوادار ومعه النمجاه وكان قد توجه قبل ذلك من القاهرة الأمير بيبرس المنصور في الدوادار والأمير بهادر أص في رسالة المظفر بيبرس أنه قد ترك السلطنة وأنه سأل: إما الكرك وإما حماة وإما صهيون.

واتفق يوم وصولهما إلى غزة قدوم الملك الناصر أيضًا إليها وقدوم الأمير سيف الدين شاطي السلاح دار في طائفة من الأمراء المصريين إليها أيضًا.

ثم قدمت العربان وقدم الأمير مهنا بن عيسى بجماعة كثيرة من آل فضل فركب السلطان إلى لقائه.

ثم قدم الأمير برلغي الأشرفي مقدم عساكر المظفر بيبرس وزوج ابنته والأمير آقوش الأشرفي نائب الكرك فسر الملك الناصر بقدمهما فإنهما كانا عضدي المظفر.

قال الأمير بيبرس الدوادار المقدم ذكره في تاريخه رحمه الله: وأما نحن فإننا تقدمنا على البريد فوصلنا إلى السلطان يوم نزوله على غزة فمثلنا بين يديه وأعدنا المشافهة عليه وطالعهنا بنزول الركن عن السلطنة والتماسه مكاتًا من بعض الأمكنة فاستبشر لحقن دماء المسلمين وخمود الفتنة واتفق في ذلك النهار ورود الأمير سيف الدين برلغي والأمير عز الدين البغدادي ومن معهما من الأمراء والمقدمين واجتمعنا جميعًا بالدهليز المنصور وقد شملنا الابتهاج وزال عنا الانزعاج وأفاض السلطان على الأمراء التشاريف الجليلة على طبقاتهم والحوائص الذهب الثمينة لصلاتهم فلم يترك أميرًا إلا وصله ولا مقدمًا حتى شرفه بالخلع وجمله.

وجدنا استعطاف السلطان فيما سأله الركن من الأمان وكل من الأمراء الحاضرين بين يديه يتلطف في سؤاله ويتضرع في مقاله حتى أجاب وعدنا بالجواب.

ورحل السلطان على الأثر قاصدًا الديار المصرية فوصلنا إلى القلعة يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر رمضان واجتمعنا بالأمير سيف الدين سلار ووجدنا الجاشنكير قد تجاوز موضع الميعاد وأخذ في الإصعاد وحمله الإجمال على الإبعاد ولم يدعه الرعب يستقر به قرار ولا تلقته معه أرض ولا دار فاقتضى الحال أن أرسلنا إليه الكتب الشريفة الواردة على أيدينا وعدت أنا وسيف الدين بهادر أص إلى الخدمة السلطانية فوجدنا الدهليز على منزلة السعيدية.

انتهى كلام بيبرس الدوادار باختصار.

قلت: ولما تكاملت العساكر بغزة سار الملك الناصر يريد الديار المصرية فوافاه أصلم دوادار سلار بالنمجاه ثم وصل رسلان الدوادار فسر السلطان بنزوله.

وسار حتى نزل بركة الحجاج في سلخ شهر رمضان وقد جهز إليه الأمير سلار الطلب السلطاني والأمراء والعساكر ثم خرج الأمير سلار إلى لقائه.

وصلى السلطان صلاة العيد بالدهليز ببركة الحاج في يوم الأربعاء مستهل شوال وخرج الناس إلى لقاء السلطان الملك الناصر.

وأنشد الشعراء مدائحهم بين يديه فمن ذلك ما أنشده الشيخ شمس الدين محمد بن علي بن موسى الداعي أبيًا منها: الكامل: الملك عاد إلى حماه كما بدا ومحمد بالنصر سر محمدا وإياه كالسيف عاد لغمده ومعاذه كالورد عاوده الندى الحق مرتجع إلى أربابه من كف غاصبه وإن طال المدى ومنها: يا وارث الملك العقيم تهنه واعلم بأنك لم تسد فيه سدى عن خير أسلاف ورثت سريره فوجدت منصبه السري ممهدا يا ناصرًا من خير منصور أتى كمهند خلف الغداة مهندا أنست ملكًا كان قبلك موحشًا وجمعت شمالًا كان منه مبددا ومنها: فالناس أجمع قد رضوك مليكهم وتضرعوا ألا تزال مخلدا وتباركوا بسناء غرتك التي وجدوا على نوار بهجتها هدى لا زلت منصور اللواء مؤيد إل - - عزمات ما هتف الحمام وغردا ثم قدم الأمير سلار سماطًا جليلًا بلغت النفقة عليه اثني عشر ألف درهم وجلس عليه السلطان والأمراء والأكابر والعساكر.

فلما انقضا السماط عزم السلطان على المبيت هناك والركوب بكرة النهار يوم الخميس فبلغه أن الأمير برلغي والأمير أقوش نائب الكرك قد اتفقا مع البرجية على الهجوم عليه وقتله فبعث السلطان إلى الأمراء عرفهم بما بلغه وأمرهم بالركوب فركبوا وركبت المماليك ودقت الكوسات.

وسارالناصر وقت الظهر من يوم الأربعاء وقد احتفت به مماليكه كي لا يصل إليه أحد من الأمراء حتى وصل إلى القلعة وخرج الناس بأجمعهم إلى مشاهدته.

فلما وصل بين العروستين ترجل سلار عن فرسه وترجل سائر الأمراء ومشوا بين يديه إلى باب السر من القلعة وقد وقف جماعة من الأمراء بمماليكهم وعليهم السلاح حتى عبر السلطان إلى القلعة ثم أمر السلطان الأمراء بالانصراف إلى منازلهم وعين جماعة من الأمراء الذين يثق بهم أن يستمروا على ظهور خيولهم حول القلعة طول الليل فباتوا على ذلك.

وأصبحوا من الغد وقد جلس السلطان الملك الناصر على كرسي الملك وهو يوم الخميس ثاني شؤال.

وحضر الخليفة أبو الربيع سليمان والقضاة والأمراء وسائر أهل الدولة للهناء فقرأ الشيخ شمس الدين محمد بن علي بن موسى الداعي: " [قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء](#) " الآية 2.

وأشيد بعض الشعراء هذه الأبيات: الطويل تهنأت الدنيا بمقدمه الذي أضاءت له الآفاق شرقًا ومغربًا وأما سرير الملك فاهتز رفعة ليبلغ في التشريف قصدًا ومطلبًا وتاق إلى أن يعلو الملك فوقه كما قد حوى من قبله الأخ والأبا وكان ذلك بحضرة الأمراء والنواب والعساكر ثم حلف السلطان الجميع على طبقاتهم ومراتبهم الكبير منهم والصغير.

ولما تقدم الخليفة ليسلم على السلطان نظر إليه وقال له: كيف تحضر وتسلم على خارجي هل كنت أنا خارجيا وببيرس من سلالة بني العباس فتغير وجه الخليفة ولا ينطق.

قلت: والخليفة هذا كان الملك الناصر هو الذي ولاه الخلافة بعد موت أبيه الحاكم بأمر الله.

ثم التفت السلطان إلى القاضي علاء الدين علي بن عبد الظاهر الموقع وكان هو الذي كتب عهد المظفر بيبرس عن الخليفة وقال له: يا أسود الوجه فقال ابن عبد الظاهر من غير توقف: يا خوند أبلق خير من أسود.

فقال السلطان: وبلك حتى لا تترك رنكه أيضًا يعني أن ابن عبد الظاهر كان ممن ينتمي إلى سلار وكان رنك سلار أبيض وأسود.

ثم التفت السلطان إلى قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة وقال له: يا قاضي كنت تفتي المسلمين بقتالي فقال: معاذ الله أن تكون الفتوى كذلك وإنما الفتوى على مقتضى كلام المستفتي.

ثم حضر الشيخ صدر الدين محمد بن عمر بن المرحل وقبل يد السلطان فقال له السلطان: كنت تقول في قصيدتك: ما للصبي وما للملك يكفله فحلف ابن المرحل بالله ما قال هذا وإنما الأعداء أرادوا إتلافي فزادوا في قصيدتي هذا البيت والعفو من شيم الملوك فعفا عنه.

وكان ابن المرحل قد مدح المظفر بيبرس بقصيدة عرض فيها بذكر الملك الناصر محمد من جملتها: البسيط ما للصبي وما للملك يكفله شأن الصبي بغير الملك مألوف ثم استأذن شمس الدين محمد بن عدلان للدخول على السلطان فقال السلطان للدوادار قل له: أنت أفتيت أنه خارجي وقتاله جائز ما لك عنده دخول ولكن عرفه هو وابن

المرحل أنه يكفيهما ما قال الشار مساحي في حقهما وكان من خير ذلك أن الأديب شهاب الدين أحمد بن عبد الدائم الشار مساحي الماجن مدح السلطان الملك الناصر بقصيدة بهجو فيها المظفر بيبرس ولى المظفر لما فاته الظفر وناصر الحق وافى وهو منتصر وقد طوى الله من بين الورى فتتأ كادت على عصبة الإسلام تنتشر فقل لبيرس إن الدهر ألبسه أثواب عارية في طولها قصر لما تولى تولى الخير عن أمم لم يحمدوا أمرهم فيها ولا شكروا وكيف تمشي به الأحوال في زمن لا النيل وافى ولا وافاهم مطر ومن يقوم ابن عدلان بنصرته وابن المرحل قل لي كيف ينتصر وكان المطر لم يقع في تلك السنة بأرض مصر وقصر النيل وشرقت البلاد وارتفع السعر.

واتفق أيضًا يوم جلوس السلطان الملك الناصر أن الأمراء لما اجتمعوا قبل خروج السلطان إليهم بالإيوان أشار الأفرم نائب الشام لمنشد يقال له مسعود أحضره معه من دمشق فقام مسعي وأنشد أبياتًا لبعض عوام القاهرة قالها عند توجه الملك الناصر من الديار المصرية إلى الكرك: منها: الطويل أحبة قلبي إنني لو حيد أريد لقاكم والمزار بعيد كفى جزئًا أني مقيم ببلدة ومن شف قلبي بالفراق فريد أجول بطرفي في الديار فلا أرى وجوه أحيائي الذين أريد فتواجد الأفرم وبكى وحسر عن رأسه ووضع الكلفتاة على الأرض فأنكر الأمراء ذلك وتناول الأمير قراسنقر الكلفتاة ووضعها بيده على رأس الأفرم ثم خرج السلطان فقام الجميع وصرخ الجاويشية فقبل الأمراء الأرض وجرى ما ذكرناه وانقضت الخدمة ودخل السلطان إلى الحريم.

ثم بعد الخدمة قدم الأمير سلار النائب عدة من الممالك والخيول والجمال وتعابي القماش ما قيمته مائتا ألف درهم فقبل السلطان شيئًا ورد الباقي.

وسأل سلار الإعفاء من الإمرة والنيابة وأن ينعم عليه بالشوبك فأجيب إلى ذلك بعد أن حلف أنه متى طلب حضر وخلع السلطان عليه وخرج سلار من مصر عصر يوم الجمعة ثالث شوال مسافرًا إلى الشوبك فكانت مدة نيابة سلار على مصر إحدى عشرة سنة.

وكانت الخلعة التي خلعها السلطان عليه بالعزل عن النيابة أعظم من خلعة الولاية وأعطاه حياصة من الذهب مرضعة وتوجه معه الأمير نظام الدين مسفرًا له واستمر الأمير علي بن سلار بالقاهرة وأعطاه السلطان إمرة عشرة بمصر.

ثم في خامس شوال قدم رسول المظفر بيبرس يطلب الأمان فأمنه السلطان.

وفيه خلع السلطان على الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري باستقراره في نيابة دمشق عوضًا عن الأمير أقوش الأفرم بحكم عزله.

وخلع على الأمير سيف الدين قبجق المنصوري بنيابة حلب عوضًا عن قرا سنقر.

وخلع على أسندمر كرجي بنيابة حماة عوضًا عن قبجق وخلع على الحاج بهادر الحلبي بنيابة طرابلس عوضًا عن أسندمر كرجي.

وخلع على قطلوبك المنصوري بنيابة صغد عوضًا عن بكتمر الجوكندار.

واستقر سنقر الكمالي حاجب الحجاب بديار مصر على عادته وقرالاجين أمير مجلس على عادته.

وبيبرس الدوادار على عادته وأضيف إليه نيابة دار العدل ونظر الأقباس.

وخلع على الأمير جمال الدين آقوش الأفرم نائب الشام كان بناية صرخد على خبز مائة فارس.

وأنعم السلطان على نوغاي القبجاقى بإقطاع الأمير قطلوبك المنصوري وهو إمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق.

ونوغاي هذا هو صاحب الواقعة مع المظفر والخارج من مصر إلى الكرك.
انتهى.

ثم رسم السلطان لشهاب الدين بن عبادة بتجهيز الخلع والتشريف لسائر أمراء الشام ومصر فجهزت وخلع عليهم كلهم في يوم الاثنين سادس شوال وركبوا بالخلع والتشريف فكان لركوبهم يوم عظيم.

وفي يوم الأحد ثاني عشر شوال استقر فخر الدين عمر بن الخليلي في الوزارة عوضًا عن ضياء الدين النشائي.

ثم رسم السلطان للنواب بالسفر فأول من سافر الأمير قبجق نائب حلب وخرجت معه تجريدة من العساكر المصرية خوفًا من طارق يطرق البلاد.

والذي تجرد مع قبجق من أمراء مصر هم: الأمير جبا أخو سلار وطرنطاي البغدادي وعلاء الدين أيدغدي وبهادر الحموي وبلبان الدمشقي وسابق الدين بوزنا الساقى وركن الدين بيبرس الشجاعى وكوري السلاح دار وأقطوان الأشرفى وبهادر الجوكندار وبلبان الشمسى وأيدغدي الزراق وكهرداش الزراق ويكتمر أستاذار وأيدمر الإسماعيلي وأقطاي الجمدار وجماعة من أمراء العشرات.

فلما وصلوا إلى حلب رسم بإقامة جماعة منهم بالبلاد الشامية عدتهم ستة من أمراء الطبلخاناه وعادت البقية.

وفي يوم الخميس سادس عشر شوال حضر الأمراء للخدمة على العادة وقد قرر السلطان مع مماليكه القبض على عدة من الأمراء وأن كل عشرة يقبضون أميرًا ممن عينهم بحيث يكون العشرة عند دخول الأمير محتفة به فإذا رفع السماط واستدعى السلطان أمير جاندار قبض كل جماعة على من عين لهم.

فلما حضر الأمراء في الخدمة أحاط بهم المماليك ففهموا القصد وجلسوا على السماط فلم يتناول أحد منهم لقمة وعندما نهضوا أشار السلطان إلى أمير جاندار فتقدم إليه وقبض المماليك على الأمراء المعينين وعدتهم اثنان وعشرون أميرًا فلم يتحرك أحد منهم فبهت الجميع ولم يفلت منهم سوى جرکتمر بن بهادر رأس نوبة فإنه لما فهم القصد وضع يده على أنفه كأنه رعب وخرج من غير أن يشعر به أحد واختفى عند الأمير قراسنقر وكان زوج أخته فشفع فيه قراسنقر فقبل السلطان شفاعته.

وكان الأمراء المقبوض عليهم: الأمير باكير وأبيك البغدادي وقينغار التقوي وقجماس وصاروجا وبيبرس وبيدمروتينوا ومنكوبرس وإشقتمر والسيواسي وسنقر الكمالي الحاجب والحاج بيليك المطفري والغتمى وإكبار وحسن الراداي وبلاط وتمريغا وقيران ونوغاي الحموي وهو غير نوغاي القبجاقى صاحب الواقعة وجماعة أخر تتمة الاثنين وعشرين أميرًا.

وفي ثالث عشرين شوال استقر الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار المنصوري في نيابة السلطنة بديار مصر عوضًا عن سلار.

وفيه أمر السلطان اثنين وثلاثين أميرًا من مماليكه منهم: تنكز الحسامي الذي ولي نيابة الشام بعد ذلك وطغاي وكستاي وقجليس وخاص ترك ووطط قرا وأقتمر وأيدمر الشخي وأيدمر الساقى وبيرس أمير آخور وطاجار المارديني الناصري وخضر بن نوکاي وبهادر قبجق والحاج أرقطاي وأخوه أيتمش المحمدي وأرغون الدوادار الذي صار بعد ذلك نائب السلطنة بمصر وسنقر المرزوقي ولبان الجاشنكير وأسنيغا بن عبد الله المحمودي الأمير سيف الدين وبيغا المكي وأمير علي بن قطلوبك ونوروز أخو جنكلي وألجاي الحسامي وطبيغا حاجي ومغلطاي العزي صهر نوغاي وقرمشي الزيني وبكتمر قبجق وتينوا الصالحي ومغلطاي البهائي وسنقر السلاح دار ومنكلي بغا وركبوا الجميع بالخلع والشرايبش من المنصورية بين القصرين وشقوا القاهرة وقد أوقدت الحوانيت كلها إلى الرميلة وسوق الخيل وصفت المغاني وأرباب الملاهي في عدة أماكن ونشرت عليهم الدراهم فكان يومًا مشهودًا.

وكان المذكورون منهم أمراء طبلخاناه وعشراوات.

وفيه قبض السلطان على برلغي الأشرفي وجماعة آخر.

ثم بعد أيام أيضًا قبض السلطان على الأمير عز الدين أيدمر الخطيري الأستاذار والأمير بدر الدين بكتوت الفتاح أمير جاندار بعدما حضرا من عند الملك المظفر بيبرس وخلع عليهما وذلك بعد الفتك بالمظفر بيبرس حسب ما ذكرناه في ترجمة المظفر بيبرس وسكتنا عنه هنا لطول قصته ولقصر مدة حكايته فإنه بالأمس ذكر فليس لتكراره محل ومن أراد ذلك فلينظر في ترجمة المظفر بيبرس.

انتهى.

وفيه سفر الأمراء المقبوض عليهم إلى حبس الإسكندرية وكتب بالإفراج عن المعتقلين بها وهم: أقوش المنصوري قاتل الشجاعى والشيخ علي التتاري ومنكلي التتاري وشاورشي بن قنغر وهو الذي كان أثار فتنة الشجاعى وكتبغا وغازي وموسى أخوا حمدان بن صلغاي فلما حضر.

خلع عليهم وأنعم عليهم بإمرات في الشام.

ثم أحضر شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية من سجن الإسكندرية وبالغ في إكرامه وكان حبسه المظفر لأمر وقع بينه وبين علماء دمشق ذكرناه في غير هذا الكتاب وهو بسبب الاعتقاد وما يرمى به أوباش الحنابلة.

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشرين صفر سنة عشر وسبعمئة عزل السلطان قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي عن قضاء الديار المصرية بقاضي القضاة جمال الدين أبي داود سليمان بن مجد الدين أبي حفص عمر الزرعي وعزل قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن إبراهيم السروجي الحنفي فأقام بعد عزله ستة أيام ومات.

ثم كتب السلطان الملك الناصر بالقبض على الأمراء الذين كان أطلقهم من حبس الإسكندرية وأنعم عليهم بإمرات بالبلاد الشامية خوفًا من شرهم.

ثم استقر السلطان بالأمير بكتمر الحسامي حاجب دمشق في نيابة غزة عوضًا عن بليان البدري.

ثم قبض السلطان على قطقطو والشيخ علي وضروط ممالك سلار وأمر عوضهم جماعة من ممالكه وحواشيه منهم: ببيغا الأشرفي وجفتاي وطبيغا الشمسي وأيدمر الدوادر وبهادر النقيب.

وفيها حضر ملك العرب حسام الدين مهنا أمير آل فضل فأكرمه السلطان وخلع عليه وسأل مهنا السلطان في أشياء وأجابه منها: ولاية حماة للملك المؤيد إسماعيل ابن الملك الأفضل علي الأيوبي فأجابه إلى ذلك ووعد به بعد أسندمر كرجي ومنها الشفاعة في أيدمر الشخي فعفا عنه وأخرجه إلى قوص ومنها الشفاعة في الأمير برلغي الأشرفي وكان في الأصل مملوكه قد كسبه مهنا هذا من التتار ثم أهداه إلى الملك المنصور قلاوون فورثه منه ابنه الملك الأشرف خليل بن قلاوون فعدد السلطان الملك الناصر ذنوبه فما زال به مهنا حتى خفف عنه وأذن للناس في الدخول عليه ووعدده بالإفراج عنه بعد شهر فرضي بذلك وعاد إلى بلاده وهو كثير الشكر والثناء على الملك الناصر.

ولما فرغ السلطان الملك الناصر

كل من أمر المظفر بيبرس وأصحابه ولم يبق عنده ممن يخشاه إلا سلار ندب إليه السلطان الأمير ناصر الدين محمد ابن أمير سلاح بكتاش الفخري وكتب على يده كتابًا بحضوره إلى مصر فاعتذر سلار عن الحضور إلى الديار المصرية بوجع في فؤاده وأنه يحضر إذا زال عنه.

فتخيل السلطان من تأخره وخاف أن يتوخه إلى التتارة فكتب إلى قراسنقر نائب الشام وإلى أسندمر نائب حماة بأخذ الطرق على سلار لئلا يتوجه إلى التتار.

ثم بعث الملك الناصر بالأميرين: بيبرس الدوادر وسنجر الجاولي إلى الأمير سلار وأكد عليهما في إحضاره وأن يضمن له عن السلطان أنه يريد إقامته عنده يستشيريه في أمور المملكة فقدم على سلار وبلغاه عن السلطان ما قال فوعدهما أنه يحضر وكتب الجواب بذلك فلما رجعا اشتد قلق السلطان وكثر خياله منه.

وأما سلار فإنه تحير في أمره واستشار أصحابه فاختلفوا عليه فمنهم من أشار بتوجهه إلى السلطان ومنهم من أشار بتوجهه إلى قطر من الأقطار إما إلى التتار أو إلى اليمن أو إلى برقة.

فعول على المسير إلى اليمن ثم رجع عن ذلك وأجمع على الحضور إلى السلطان وخرج من الشوبك و عنده ممن سافر معه من مصر أربعمئة وستون فارسًا فسار إلى القاهرة فعندما قدم على الملك الناصر قبض عليه وحبسه بالبرج من قلعة الجبل وذلك في سلخ شهر ربيع الأول سنة عشر وسبعمئة.

ثم ضيق السلطان على الأمير برلغي بعد رواج الأمير مهنا وأخرج حريمه من عنده ومنع ألا يدخل إليه أحد بأكل ولا شرب حتى أشفى على الموت ويبست أعضاؤه وخرس لسانه من شدة الجوع ومات ليلة الأربعاء ثاني شهر رجب.

وأما أمر سلار فإنه لما حضر بين يدي الملك الناصر عاتبه عتابًا كثيرًا وطلب منه الأموال وأمر الأمير سنجر الجاولي أن ينزل معه ويتسلم منه ما يعطيه من الأموال فنزل معه إلى

داره ففتح سلار سرّياً تحت الأرض فأخرج منه سبائك ذهب وفضة وجرب من الأديم الطائفي في كل جراب عشرة آلاف دينار فحملوا من ذلك السرب أكثر من حمل خمسين بعلًا من الذهب والفضة ثم طلع سلار إلى الطارمة التي كان يحكم عليها فحفروا تحتها فأخرجوا سبعًا وعشرين خابية مملوءة ذهبًا ثم أخرج من الجواهر شيئًا كثيرًا منها: حجر بهرمان زنته أربعون مثقالًا وأخرج ألفي حياصة ذهب مجوهرة بالفصوص وألفي قلادة من الذهب كل قلادة تساوي مائة دينار وألفي كلفتاة زركش وشيئًا كثيرًا يأتي ذكره أيضًا بعد أن نذكر وفاته ومنها: أنهم وجدوا له لجمًا مفضضة فنكتوا الفضة عن السيور ووزنوها فجاء وزنها عشرة قناطير بالشامي.

ثم إن السلطان طلبه وأمر أن يبنى عليه أربع حيطان في مجلسه وأمر ألا يطعم ولا يسقى وقيل: إنه لما قبض عليه وحبسه بقلعة الجبل أحضر إليه طعامًا فأبى سلار أن يأكل وأظهر الغضب فطولع السلطان بذلك فأمر بالأمر يرسل إليه طعام بعد هذا فبقي سبعة أيام لا يطعم ولا يسقى وهو يستغيث من الجوع فأرسل إليه السلطان ثلاثة أطباق مغطاة بسفر الطعام فلما أحضروها بين يديه فرح فرحًا عظيمًا وظن أن فيها أطعمة يأكل منها فكشفوها فإذا في طبق ذهب وفي الآخر فضة وفي الآخر لؤلؤ وجواهر فعلم سلار أنه ما أرسل إليه هذه الأطباق إلا ليقابله على ما كان فعله معه فقال سلار: الحمد لله الذي جعلني من أهل المقابلة في الدنيا وبقي علي هذه الحالة اثني عشر يومًا ومات فأعلموا الملك الناصر بموته فجاءوا إليه فوجدوه قد أكل ساق خفه وقد أخذ السرموجة وحطها في فيه وقد عض عليها بأسنانه وهو ميت وقيل: إنهم دخلوا عليه قبل موته وقالوا: السلطان قد عفا عنك فقام من الفرح ومشى خطوات ثم خر ميتًا وذلك في يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة عشر وسبعمائة وقيل: في العشرين من جمادى الأولى من السنة المذكورة.

فأخذ الأمير علم الدين سنجر الجاولي بإذن السلطان وتولى غسله وتجهيزه ودفنه بترته التي أنشأها بجانب مدرسته على الكيش خارج القاهرة بالقرب من جامع ابن طولون لصداقة كانت بين الجاولي و سلار قديمًا وحديثًا.

وكان سلار أسمر اللون أسيل الخد لطيف القد صغير اللحية تركي الجنس وكان أصله من مماليك الملك الصالح علي بن قلاوون الذي مات في حياة والده قلاوون وكان سلار أميرًا جليلًا شجاعًا مقدامًا عاقلًا سيوسًا وفيه كرم وحشمة ورياسة وكانت داره بين القصرين بالقاهرة.

وقيل: إن سلار لما حج المرة الثانية فرق في أهل الحرمين أموالًا كثيرة وغلالًا وثيابًا تخرج عن حد الوصف حتى إنه لم يدع بالحرمين فقيرًا وبعد هذا مات وأكبر شهواته رغيغ خبز وكان في شوته يوم مات من الغلال ما يزيد على أربعمائة ألف إردب.

وكان سلار ظريفًا لبيسًا كبير الأمراء في عصره اقترح أشياء من الملابس كثيرة مثل السلاري وغيره ولم يعرف لبس السلاري قبله وكان شهد وقعة شقحب مع الملك الناصر وأبلى في ذلك اليوم بلاء حسنًا وثخنت جراحاته وله اليد البيضاء في قتال التتار.

وتولى نيابة السلطنة بديار مصر فاستقل فيها بتدبير الدولة الناصرية نحو عشر سنين.

ومن جملة صدقاته أنه بعث إلى مكة في سنة اثنتين وسبعمائة في البحر المالح عشرة آلاف إردب قمح ففرقت في أهل مكة وكذا فعل بالمدينة.

وكان فارسًا كان إذا لعب بالكرة لا يرى في ثيابه عرق وكذا في لعب الرمح مع الإتيقان فيهما.

وأما ماخلفه من الأموال فقد ذكرنا منه شيئًا ونذكر منه أيضًا ما نقله بعض المؤرخين.

قال الجزري: وجد لسلار بعد موته ثمانمائة ألف دينار وذلك غير الجوهر والحلي والخيل والسلاح.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: هذا كالمستحيل وحسب زنة الدينار وجمله بالقنطار فقال: يكون ذلك حمل خمسة آلاف بغل وما سمعناه عن أحد من كبار السلاطين أنه ملك هذا القدر ولا سيما ذلك خارج عن الجوهر وغيره.

انتهى كلام الذهبي.

قلت: وهو معذور في الجزري فإنه جازف وأمعن.

وقال ابن دقماق في تاريخه: وكان يدخل إلى سلار في كل يوم من أجرة أملاكه ألف دينار.

وحكى الشيخ محمد بن شاكر الكتبي فيما رآه بخط الإمام العالم العلامة علم الدين البرزالي قال: رفع إلي المولى جمال الدين بن الفويرة ورقة فيها قبض أموال سلار وقت الحوطة عليه في أيام متفرقة أولها يوم الأحد: يا قوت أحمر وبهرمان رطلان.

بلخش رطلان ونصف.

زمرد ريحاني وذياب تسعة عشر رطلًا.

صناديق ضمنها فصوص ستة.

ما بين زمرد وعين الهر ثلاثمائة قطعة كبار.

لؤلؤ مدور من مثقال إلى درهم ألف ومائة وخمسون حبة.

ذهب عين مائتا يوم الاثنين: فصوص مختلفة رطلان ذهب عين خمسة وخمسون ألف دينار دراهم ألف ألف درهم.

مصاغ وعقود ذهب مصري أربع قناطير.

فضيات طاسات وأطباق وطشوت ست قناطير.

يوم الثلاثاء: ذهب عين خمسة وأربعون ألف دينار دراهم ثلاثمائة ألف درهم وثلاثون ألف درهم.

قطريبات وأهله وطلعات صنابق فضة ثلاثة قناطير.

يوم الأربعاء: ذهب عين ألف دينار دراهم ثلاثمائة ألف درهم.

أقبية بفرو قاقم ثلاثمائة قباء.

أقبية حرير عمل الدار ملونة بفرو سنجاب أربعمائة قباء سروج ذهب مائة سرج.

ووجد له عند صهره أمير موسى ثمانية صناديق لم يعلم ما فيها حملت إلى الدور السلطانية وحمل أيضًا من عند سلار إلى الخزانة تفاصيل طرد وحش وعمل الدار ألف تفصيلة.

ووجد له خام السفر ست عشرة نوبه كاملة.

ووصل له مما كان أخذه صحبتته لما توجه إلى الشوبك ذهب مصري خمسون ألف دينار ودرهم أربع مائة ألف درهم وسبعون ألف درهم وخلع ملونة ثلاثمائة خلعة وخرگاه كسوتها أطلس أحمر معدني مبطن بأزرق مروزي أوستر بابها زركش ووجد له خيل ثلاثمائة فرس ومائة وعشرون قطار بغال ومائة وعشرون قطار جمال.

هذا خارج عما وجد له من الأغنام والأبقار والجواميس والأملك والممالك والجواري والعبيد.

ودل مملوكه على مكان مبني في داره فوجدوا حائطين مبنيين بينهما أكياس ما علم عدتها وفتح مكان آخر فيه فسقية ملانة ذهبًا منسبًا بغير أكياس.

قلت: ومما زاد سلار من العظمة أنه لما ولي النيابة في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون وصار إليه وإلى بيبرس الجاشنكير تدبير المملكة حضر إلى الديار المصرية الملك العادل زين الدين كتبغا الذي كان سلطان الديار المصرية وعزل بحسام الدين لاجين ثم استقر نائب حماة فقدم كتبغا إلى القاهرة وقبل الأرض بين يدي الملك الناصر محمد بن قلاوون ثم خرج من عنده وأتى سلار هذا ليسلم عليه فوجد سلار راكبًا وهو يسير في حوش داره فنزل كتبغا عن فرسه وسلم على سلار و سلار على فرسه لم ينزل عنه وتحادثا حتى انتهى كلام كتبغا وعاد إلى حيث نزل بالقاهرة فهذا شيء لم يسمع بمثله انتهى.

وبعد موت سلار قدم على السلطان البريد بموت الأمير قبجق المنصوري نائب حلب وكان الملك الناصر عزل أسندمر كرجي عن نيابة حماة وولى نيابة حماة للملك المؤيد عماد الدين إسماعيل فسار إليه المؤيد من دمشق فمنعه أسندمر فأقام المؤيد بين حماة ومصر ينتظر مرسوم السلطان فاتفق موت قبجق نائب حلب فسار أسندمر من حماة إلى حلب وكتب يسأل السلطان في نيابة حلب فأعطاها ثم عزل السلطان بكتمر الحسامي الحاجب عن نيابة غزة وأحضره إلى القاهرة وولى عوضه على نيابة غزة الأمير قطلقتمر وخلع على بكتمر الحاجب بالوزارة بالديار المصرية عوضًا عن فخر الدين عمر بن الخليلي.

ثم قدم البريد بعد مدة لكن في السنة بموت الأمير الحاج بهادر الحلبي نائب طرابلس فكتب السلطان بنقل الأمير جمال الدين أقوش الأفرم من نيابة صرخد إلى نيابة طرابلس عوضًا عن الحاج بهادر المذكور فسار إليها وفرح بموت الحاج بهادر فرحًا عظيمًا فإنه كان يخافه ويخشى شره.

ثم التفت السلطان بعد موت قبجق والحاج بهادر المذكور إلى أسندمر كرجي وأخرج تجريدة من الديار المصرية وفيها من الأمراء كراي المنصوري وهو مقدم العسكر وسنقر الكمالي حاجب الحجاب وأبيك الرومي وبينجار وكجكن وبهادر أص في عدة من مضافهم من أمراء الطبلخاناه والعشرات ومقدمي الحلقة وأظهر أنهم توجهوا لغزو سيس وكتب لأسندمر كرجي بتجهيز آلات الحصار على العادة والاهتمام في هذا الأمر حتى يصل إليه العسكر من مصر.

وكتب الملك الناصر إلى المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة بالمسير مع العسكر المصري.

ثم خرج الأمير كراي من القاهرة بالعساكر في مستهل ذي القعدة سنة عشر وسبعمائة وأسر إليه السلطان ما يعتمده في أمر كرجي.

وبعد خروج هذا العسكر من مصر توحش خاطر الأمير بكتمر الجوكندار نائب السلطنة من الملك الناصر وخاف على نفسه واتفق مع الأمير بتخاص المنصوري على إقامة الأمير مظفر الدين موسى ابن الملك الصالح علي بن قلاوون في السلطنة والاستعانة بالمماليك المظفرية وبعث إليهم في ذلك فوافقوه.

ثم شرع النائب بكتمر الجوكندار في استمالة الأمراء ومواعدة المماليك المظفرية الذين بخدمة الأمراء على أن كل طائفة تقبض على الأمير الذي هي في خدمته في يوم عينه لهم ثم يسوق الجميع إلى قبة النصر خارج القاهرة ويكون الأمير موسى المذكور قد سبقهم هناك.

فدبروا ذلك حتى انتظم الأمر ولم يبق إلا وقوعه فتم عليهم إلى الملك الناصر ببيرس الجمدار أحد المماليك المظفرية.

وهو ممن اتفق معهم بكتمر الجوكندار أراد بذلك أن يتخذ يدًا عند السلطان الملك الناصر بهذا الخبر فعرف خشداشه قرآتمر الخاصكي بما عزم عليه فوافقوه.

وكان بكتمر الجوكندار قد سير يعرف الأمير كراي المنصوري بذلك لأنه كان خشداشه وأرسل كذلك إلى قطلوبك المنصوري نائب صفد ثم إلى قطلقتمر نائب غزه فأما قطلوبك وقطلقتمر فوافقاه وأما كراي فأرسل نهار وحذره من ذلك فلم يلتفت بكتمر وتم على ما هو عليه.

فلما بلغ السلطان هذا الخبر وكان في الليل لم يتمهل وطلب الأمير موسى إلى عنده وكان يسكن بالقاهرة فلما نزل إليه الطلب هرب.

ثم استدعى السلطان الأمير بكتمر الجوكندار النائب وبعث أيضًا في طلب بتخاص وكانوا إذ ذاك يسكنون بالقلعة فلما دخل إليه بكتمر أجلسه وأخذ يحادثه حتى أتاه المماليك بالأمير بتخاص فلما رآه بكتمر علم أنه قد هلك فقيده بتخاص وسجن وأقام السلطان ينتظر الأمير موسى فعاد إليه الجاولي ونائب الكرك وأخبراه بفراره فاشتد غضبه عليهما.

وماطلع النهار حتى أحضر السلطان الأمراء وعرفهم بما قد وقع ولم يذكر اسم بكتمر النائب.

وألزم السلطان الأمير كشدغدي البهادري والي القاهرة بالنداء على الأمير موسى ومن أحضره من الجند فله إمرته وإن كان من العامة فله ألف دينار.

فنزل كشدغدي ومعه الأمير فخر الدين إياز شاذ الدواوين وأيدغل شقير وسودي وعدة من المماليك وألزم السلطان سائر الأمراء بالإقامة بالقاعة الأشرفية من القلعة حتى يظهر خبر الأمير موسى.

ثم قبض السلطان على حواشي الأمير موسى وجماعته وعاقب كثيرًا منهم.

فلم يزل الأمر على ذلك من ليلة الأربعاء إلى يوم الجمعة ثم قبض على الأمير موسى المذكور من بيت أستاذ الفارقاني من حارة الوزيرية بالقاهرة وحمل إلى القلعة فسجن بها.

ونزل الأمراء إلى دورهم وخلي عن الأمير بكتمر النائب أيضًا ونزل إلى داره ورسم السلطان بتسمير أستاذ الفارقاني ثم عفا عنه وسار إلى داره.

وتتبع السلطان المماليك المظفرية وفيهم بيبرس الجمدار الذي نم عليهم وعملوا في الحديد وأنزلوا ليسمروا تحت القلعة وقد حضر نساؤهم وأولادهم وجاء الناس من كل موضع وكثر البكاء والصراخ عليهم رحمة لهم والسلطان ينظر فأخذته الرحمة عليهم فعفا عنهم فتركوا ولم يقتل أحد منهم فكثر الدعاء للسلطان والثناء عليه.

وأما أمر أسندمر كرجي فإن الأمير كراي لما وصل بالعساكر المصرية إلى حمص وأقام بها على ما قرره السلطان معه وصل إليه الأمير منكوتر الطباخي وكان السلطان كتب معه ملطفات إلى أمراء حلب بقبض نائها أسندمر كرجي في الباطن وكتب في الظاهر لكرائي وأسندمر كرجي بما أراده من عمل المصالح فقبض كراي شغله من حمص وركب وتهيأ من حمص وجد في السير جريمة حتى وصل إلى حلب في يوم ونصف فوقف بمن معه تحت قلعة حلب عند ثلث الليل الآخر وصاح: يا لعلي وهي الإشارة التي رتبها السلطان بينه وبين نائب قلعة حلب.

فنزل نائب القلعة عند ذلك بجميع رجالها وقد استعدوا للحرب وزحف الأمير كراي على دار النيابة ولحق به أمراء حلب وعسكرها فسلم الأمير أسندمر كرجي نفسه بغير قتال فأخذ وقيد وسجن بقلعتها وأحيط على موجوده.

وسار منكوتر الطباخي على البريد بذلك إلى السلطان.

ثم حمل أسندمر كرجي إلى السلطان صحبة الأمير بينجار وأبيك الرومي فخاف عند ذلك الأمير قرا سنقر نائب الشام على نفسه وسأل أن ينتقل من نيابة دمشق إلى نيابة حلب ليبعد عن الشر فأجيب إلى ذلك وكتب بتقليده وجهز إليه في آخر ذي الحجة من سنة عشر وسبعمئة على يد الأمير أرغون الدوادار الناصري وأسر له السلطان بالقبض عليه إن أمكنه ذلك.

وقدم أسندمر كرجي إلى القاهرة واعتقل بالقلعة وبعث يسأل السلطان عن ذنبه فأعاد جوابه: ما لك ذنب إلا أنك قلت لي لما ودعتك عند سفرك: أوصيك ياخوند: لاتبق في دولتك كبشًا كبيرًا وأنشئ مماليكك ولم يبق عندي كبش كبير غيرك".

ثم قبض السلطان على طوغان نائب البيرة وحمل إلى السلطان فحبس أيامًا ثم أطلقه وولاه شد الدواوين بدمشق.

وفي مستهل سنة إحدى عشرة وسبعمئة وصل الأمير أرغون الدوادار إلى الشام لتسفير قرا سنقر المنصوري منها إلى نيابة حلب فاحترس منه الأمير قرا سنقر على نفسه وبعث إليه عدة من مماليكه يتلقونه ويمنعون أحدًا ممن جاء معه أن ينفرد مخافة أن يكون معه ملطفات إلى أمراء دمشق.

ثم ركب قرا سنقر إليه ولقيه بميدان الحصى خارج دمشق وأنزله عنده بدار السعادة ووكل بخدمته من ثقافته جماعة.

فلما كان من الغد أخرج له أرغون تقليده فقبله وقبل الأرض على العادة وأخذ في التجهيز ولم يدع قراسنقر أرغون أن ينفرد عنه بحيث إنه أراد زيارة أماكن بدمشق فركب معه قراسنقر بنفسه حتى قضى أرغون أربه وعاد وتم كذلك إلى أن سافر.

فلما أراد قراسنقر السفر بعث إلى الأمراء ألا يركب أحد منهم لوداعه وألا يخرج من بيته واستعد وقدم أثقاله أولاً في الليل فلما أصبح ركب يوم الرابع من المحرم بمماليكه وعدتهم ستمائة فارس أرغون الموادار بجانبه وبهادر أص في جماعة قليلة وسار معه أرغون حتى أوصله إلى حلب.

ثم عاد أرغون إلى دمشق وقلد الأمير كراي المنصوري نيابة الشام عوضاً عن قراسنقر وأنعم كراي على أرغون الدوادار بألف دينار سوى الخيل والخلع وغير ذلك.

ثم إن الملك الناصر عزل الأمير بكتمر الحسامي عن الوزارة وولاه حجوية الحجاب بالديار المصرية عوضاً عن سنقر الكمالي.

ولا زال السلطان يتربص في أمر بكتمر الجوكندار النائب حتى قبض عليه بحيلة دبرها عليه في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى من سنة إحدى عشرة وسبعمائة وقبض معه على عدة من الأمراء منهم: صهر الجوكندار الكتمر الجمدار وأيدغدي العثماني ومنكوتر الطباخي وبدر الدين بكمش الساقى وأيدمر الشمسي وأيدمر الشخي وسجنوا الجميع إلا الطباخي فإنه قتل من وقته.

والحيلة التي دبرها السلطان على قبض بكتمر الجوكندار أنه نزل السلطان إلى المطعم وبكتمر بإزائه فخرج السلطان من البرج ومال إلى بكتمر وقال: يا عمي ما بقي في قلبي من أحد إلا فلان وفلان وذكر له أميرين فقال له بكتمر: يا خوند ما تطلع من المطعم إلا وتجدني قد أمسكتهما وكان ذلك يوم الثلاثاء فقال له السلطان: لا يا عمي إلا دعهما إلى يوم الجمعة تمسكهما في الصلاة فقال له: السمع والطاعة.

ثم إن السلطان جهز لبكتمر تشريقاً هائلاً ومركوباً معظمًا فلما كان يوم الجمعة قال له في الصلاة: والله يا عمي ما لي وجه أراهما وأستحي منهما ولكن أمسكهما إذا دخلت أنا إلى الدار وتوجه بهما إلى المكان الفلاني تجد هناك منكلي بغا وقجماس فسلمهما إليهما ورح أنت فأمسكهما بكتمر الجوكندار وتوجه بهما إلى المكان المذكور له فوجد الأميرين: قجماس ومنكلي بغا هناك فقاما إليه وقالاه: عليك السمع والطاعة لمولانا السلطان وأخذنا سيفه فقال لهما: يا خشداشيتي ما هو هكذا الساعة كما فارقت السلطان وقال لي: أمسك هؤلاء فقالوا: ما القصد إلا أنت فأمسكاه وأطلقا الأميرين وكان ذلك آخر العهد ببكتمر الجوكندار كما يأتي ذكره.

انتهى.

ثم أرسل السلطان استدعى الأمير بيبرس الدوادار المنصوري المؤرخ وولاه نيابة السلطنة بديار مصر عوضاً عن بكتمر الجوكندار.

ثم أرسل السلطان قبض أيضاً على الأمير كراي المنصوري نائب الشام بدار السعادة في يوم الخميس ثاني عشرين جمادى الأولى وحمل مقيداً إلى الكرك فحبس بها وسبب القبض عليه كونه كان خشداش بكتمر الجوكندار ورفيقه.

ثم قبض السلطان على الأمير قطلوبك نائب صفد بها وكان أيضًا ممن وافق بكتمر على الوثوب مع الأمير السلطان على الأمير قطلوبك نائب صفد بها وكان أيضًا ممن وافق بكتمر على الوثوب مع الأمير موسى حسب ما تقدم ذكره.

ثم خلع السلطان على الأمير آقوش الأشرفي نائب الكرك باستقراره في نيابة دمشق عوضًا عن كراي المنصوري واستقر بالأمير بهادر أص في نيابة صفد عوضًا عن قطلوبك.

ثم نقل السلطان بكتمر الجوكندار النائب وأسندمر كرجي من سجن الإسكندرية إلى سجن الكرك فبقي بسجن الكرك جماعة من أكابر الأمراء مثل: بكتمر الجوكندار وكراي المنصوري وأسندمر كرجي وقطلوبك المنصوري نائب صفد وبيبرس العلاني في آخرين.

ثم عزل السلطان مملوكه أيتمش المحمدي عن نيابة الكرك واستقر في نيابته تبيغا الأشرفي وكان السلطان قد استتاب أيتمش هذا على الكرك لما خرج منها إلى دمشق.

وأما قراسنقر فإنه أخذ في التدبير لنفسه خوفًا من القبض عليه كما قبض على غيره واصطنع العربان وهاداهم وصحب سليمان بن مهنا وأخاه وأنعم عليه وعلى أخيه موسى حتى صار الجميع من أنصاره.

وقدم عليه الأمير مهنا إلى وأقام عنده أيامًا وأفضى إليه قراسنقر بسرّه وأوقفه على كتاب السلطان بالقبض على مهنا وأنه لم يوافق على ذلك.

ثم بعث قراسنقر يسأل السلطان في الإذن له في الحج فجهز قراسنقر حاله وخرج من حلب في نصف شوال ومعه أربعمائة مملوك واستتاب بحلب الأمير قرطاي وترك عنده عدة من مماليكه لحفظ حواصله فكتب السلطان لقرطاي بالاحتراس وألا يمكن قراسنقر من حلب إذا عاد ويحتج عليه بإحضار مرسوم السلطان بتمكينه من ذلك.

ثم كتب إلى نائب غزة ونائب الشام ونائب الكرك وإلى بني عقبة بأخذ الطريق على قراسنقر فقدم البريد أنه سلك البرية إلى صرخد وإلى زيزاء ثم كثر خوفه من السلطان فعاد من غير الطريق التي سلكها ففات أهل الكرك القبض عليه فكتبوا بالخبر إلى السلطان فشق عليهم وصل قراسنقر إلى ظاهر حلب فبلغه ماكتب السلطان إلى قرطاي فعظم خوفه وكتب إلى مهنا فكتب مهنا إلى قرطاي أن يخرج حواصل قراسنقر وإلا هجم مدينة حلب وأخذ ماله فهربا فخاف قرطاي من ذلك وجهز كتابه إلى السلطان في طي كتابه وبعث بشيء من حواصل قراسنقر إلى السلطان مع ابن قراسنقر الأمير عز الدين فرج فأنعم عليه الملك الناصر بإمرة عشرة وأقام بالقاهرة مع أخيه أمير علي بن قراسنقر.

ثم إن سليمان بن مهنا قدم على قراسنقر فأخذه ومضى وأنزله في بيت أمه فاستجار قراسنقر بها فأجارته ثم أتاه مهنا وقام له بما يليق به.

ثم بعث مهنا يعرف السلطان بما وقع لقراسنقر وأنه استجار بأم سليمان فأجارته وطلب من السلطان العفو عنه فأجاب السلطان سؤاله وبعث إليه أن يخير قراسنقر في بلد من البلاد حتى يوليه إياها فلما سافر قاصد مهنا وهو ابن مهنا لكنه غير سليمان جهز السلطان تجريدة هائلة فيها عدة كثيرة من الأمراء وغيرهم إلى جهة مهنا فاستعد مهنا.

وكتب قراسنقر إلى الآقرم نائب طرابلس يستدعيه إليه فأجابه ووعدته بالحضور إليه.

ثم بعث قراسنقر ومهنا إلى السلطان وخذعاه وطلب قراسنقر صرخد فانخدع السلطان وكتب له تقليدًا بصرخد وتوجه إليه بالتقليد أيتمش المحمدي فقبل قراسنقر الأرض واحتج حتى يصل إليه ماله بحلب ثم يتوجه إلى صرخد فقدمت أموال قراسنقر من حلب فما هو إلا أن وصل إليه ماله وإذا بالأفرم قد قدم عليه من الغد ومعه خمسة أمراء من أمراء طبلخاناه وست عشراوات في جماعة من التركمان فسر قراسنقر بهم ثم استدعوا أيتمش واعدوا عليه من قتله السلطان من الأمراء وأنهم خافوا على أنفسهم وعزموا على الدخول في بلاد التتار وركبوا بأجمعهم وعاد أيتمش إلى الأمراء المجردين بحمص وعرفهم الخبر فرجعوا عائدين إلى مصر بغير طائل.

وقدم الخبر على السلطان بخروج قراسنقر والأفرم إلى بلاد التتار في أول سنة اثنتي عشرة وسبعمئة وقيل إن الأفرم لما خرج هو وقراسنقر إلى بلاد التتار بكى الأفرم وأنشد: الطويل سيذكرني قومي إذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفترق البدر فقال له قراسنقر: امش بلا فشار تبكي عليهم ولا يكون عليك فقال الأفرم: والله ما بي إلا فراق ابني موسى فقال قراسنقر: أي بغاية بصقت في رحمها جاء منه موسى وإبراهيم وعدد أسماء كثيرة وتوجهها.

انتهى.

ثم إن السلطان أفرج عن الأمير أيدير الخطيري وأنعم عليه بخبز الأمير علم الدين سنجر الجاولي.

وفي أول سنة اثنتي عشرة وسبعمئة كملت عمارة الجامع الجديد الناصري بمصر القديمة على النيل ووقف عليه عدة أوقاف كثيرة.

وأما قراسنقر والأفرم فإنهما سارا بمن معهما إلى بلاد التتار فخرج خربندا ملك التتار وتلقاهم وترجل لهم وترجلوا له وبألف في إكرامهم وسار بهم إلى مخيمه وأجلسهم معه على التخت وضرب لكل منهم خركاه ورتب لهم الرواتب السنوية ثم استدعاهم بعد يومين واختلى بقراسنقر فحسن له قراسنقر عبور الشام وضمن له تسليم البلاد بغير قتال.

ثم اختلى بالأفرم فحن له أيضًا أخذ الشام إلا أنه خيله من قوة السلطان وكثرة عساكره.

ثم إن خربندا أقطع قراسنقر مراغة وأقطع الأفرم همذان واستمروا هناك إلى ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

ولما حضر من تجرد من الأمراء إلى الديار المصرية حضر معهم الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك الذي ولي نيابة الشام بعد كراي المنصوري فقبض السلطان عليه وعلى الأمير بيبرس الدوادار نائب السلطان صاحب التاريخ وعلى سنفر الكمالي ولاجين الجاشنكير وبينجار وألذكز الأشرفي ومغلطاي المسعودي وسجنوا بالقلعة في شهر ربيع الأول سنة اثنتي عشرة وسبعمئة وذلك لميلهم إلى قراسنقر والأفرم.

ثم خلع السلطان على تنكز الحسامي الناصري نيابة دمشق دفعة واحدة عوضًا عن أقوش نائب الكرك وتنكز هذا هو أول من رجاه من مماليكه إلى الرتب السنوية.

ثم استقر بسودي الجمدار في نيابة حلب واستقر تمر الساقى المنصوري في نيابة طرابلس.

ثم إن السلطان عزل مهنا بأخيه فضل ورسم بأن مهنا لا يقيم بالبلاد.

ثم قبض السلطان على الأمير بيبرس المجنون وبيبرس العلمي وسنجر البرواني وطوغان المنصوري وبيبرس التاجي وقيدوا وحملوا من دمشق إلى الكرك في سادس ربيع الآخر من السنة.

ثم أمر السلطان في يوم واحد ستة وأربعين أميرًا منهم طبلخاناه تسعة وعشرون وعشروا سبعة عشر وشقوا القاهرة بالشرابيش والخلع.

ثم في يوم الاثنين أول جمادى الأولى خلع السلطان على مملوكه أرغون الدوادار بنيابة السلطنة بالديار المصرية عوضًا عن بيبرس الدوادار بحكم القبض عليه.

ثم خلع السلطان على بلبان طرنا أمير جاندار بنيابة صفد عوضًا عن بهادر آص وأن يرجع بهادر آص إلى دمشق أميرًا على عادته أولًا.

ثم ركب السلطان إلى الصيد ببر الجيزة وأمر جماعة من مماليكه وهم: طقتمر الدمشقي وقطلوبغا الفخري المعروف بالفول المقشر وطشتمر البدري المعروف بحمص أخضر.

ثم ورد على السلطان الخبر بحركة خريندا ملك التتار فكتب السلطان إلى الشام بتجهيز الإقامات وعرض السلطان العساكر وأنفق فيهم الأموال وأبتدأ بالعرض في خامس عشر شهر ربيع الآخر وكمل في أول جمادى الأولى فكان يعرض في كل يوم أميرين من مقدمي الألوف وكان يتولى العرض هو بنفسه ويخرج الأميران بمن أضيف إليهما من الأمراء ومقدمي الحلقة والأجناد ويرحلون شيئًا بعد شيء من أول شهر رمضان إلى ثامن عشرينه حتى لم يبق بمصر أحد من العسكر.

ثم خرج السلطان في ثاني شوال ونزل مسجد التبن خارج القاهرة ورحل منه في يوم الثلاثاء ثالث من شوال ورتب بالقلعة نائب الغيبة الأمير سيف الدين أيتمش المحمدي الناصري.

فلما كان ثامن شوال قدم البريد برحيل التتار ليلة سادس عشرين رمضان من الرحبة وعودهم إلى بلادهم بعد ما أقاموا عليها من أول شهر رمضان.

فلما بلغ السلطان ذلك فرق العساكر في قاقون وعسقلان وعزم السلطان على الحج ودخل دمشق في تاسع عشر شوال وخرج منها في ثاني ذي القعدة إلى الكرك وكان قد أقام بدمشق أرغون النائب للنفقة على العساكر وغير ذلك من الأعمال وكلف الوزير أمين الملك ابن الغنام بجمع المال اللازم وتوجه السلطان من الكرك إلى الحجاز في أربعين أميرًا فحج وعاد إلى دمشق في يوم الثلاثاء حادي عشر المحرم سنة ثلاث عشرة وسبعمئة وكان لدخوله دمشق يوم مشهود وعبر دمشق على ناقه وعليه بثت من ملابس العرب بلثام ويده حربة فأقام بدمشق خمسة عشر يومًا وعاد إلى مصر فدخلها يوم ثاني عشر صفر.

ثم عمل السلطان في هذه السنة أعني سنة ثلاث عشرة وسبعمئة الروك بدمشق وندب إليه الأمير علم الدين سنجر الجاولي نائب غزة.

ثم إن السلطان تجهز إلى بلاد الصعيد ونزل من قلعة الجبل في ثاني عشرين شهر رجب من السنة ونزل تحت الأهرام بالجيزة وأظهر أنه يريد الصيد والقصد السفر للصعيد وأخذ العربان لكثرة فسادهم.

وبعث عدة من الأمراء حتى أمسكوا طريق السويس وطريق الواحات فضبط البرين على العربان ثم رحل من منزلة الأهرام إلى جهة الصعيد وفعل بالعربان أفعالاً عظيمة من القتل والأسر ثم عاد إلى الديار المصرية فدخلها في يوم السبت عاشر شهر رمضان.

وكان ممن قبض عليه السلطان مقداد بن شماس وكان قد عظم ماله حتى كان عدة جواريه أربعمئة جارية وعدة أولاده ثمانين.

وكان السلطان قد ابتدأ في أول هذه السنة بعمارة القصر الأبلق على الإسطبل السلطاني ففرغ في سابع عشر شهر رجب.

وقصد السلطان أن يحاكي قصر الملك الظاهر بيبرس البندقداري الذي بظاهر دمشق واستدعى له صناع دمشق وصناع مصر حتى كمل وأنشأ بجانبه جنية وقد ذهبت تلك الجنية كما ذهب غيرها من المحاسن.

ثم إن السلطان رسم بهدم مناظر اللوق بالميدان الظاهري وعمله بستاناً وأحضر إليه سائر أصناف الزراعات واستدعى خولة الشام والمطعمين فباشروه حتى صار من أعظم البساتين وعرف أهل جزيرة الفيل من ذلك اليوم صناعة التطعيم للشجر واغتتوا بها.

ثم في

▲ سنة أربع عشرة وسبعمائة

كتب السلطان لنائب حلب وحماة وحمص وطرابلس وصفد بأن أحداً منهم لا يكتب السلطان وإنما يكتب الأمير تنكز نائب الشام ويكون تنكز هو المكاتب للسلطان في أمرهم فشق ذلك على النواب وأخذ الأمير سيف الدين بلبان طرنا نائب صفد ينكر ذلك فكتب فيه تنكز السلطان حتى عزل واستقر عوضه الأمير بلبان البدري وحمل بلبان طرنا مقيداً إلى مصر وسجن بالقلعة.

ثم إن السلطان اهتم بعمارة الجسور بأرض مصر وترعها وندب الأمير عز الدين أيدمر الخطيري إلى الشرقية والأمير علاء الدين أيدغدي شقير إلى البهنساوية والأمير حسين بن جندر إلى أسيوط ومنفلوط والأمير سيف الدين آقوب الحاجب إلى الغربية والأمير سيف الدين قلي أمير سلاح إلى الطحاوية وبلاد الأشمونين والأمير جنكلي بن البابا إلى القليوبية والأمير بهادر المعزي ثم إن السلطان قبض على الأمير أيدغدي شقير وعلى الأمير بكتمر الحسامي الحاجب صاحب الدار خارج باب النصر في أول شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة وسبعمائة فقتل أيدغدي شقير من يومه لأنه اتهم أنه يريد الفتك بالسلطان وأخذ من بكتمر الحاجب مائة ألف دينار وسجن.

ثم قبض السلطان على الأمير طغاي وعلى الأمير تمر الساقى نائب طرابلس وحمل إلى قلعة الجبل وقبض على الأمير بهادر أص وحمل إلى الكرك من دمشق.

واستقر الأمير كستاي الناصري نائب طرابلس عوضاً عن تمر الساقى.

ثم أفرج السلطان عن الأمير قجماس المنصوري أحد البرجية من الحبس وأخرج الأمير بدر الدين محمد بن الوزير إلى دمشق منفيًا.

ثم في ثامن عشر رجب أفرج السلطان عن الأمير آقوش الأشرفي نائب الكرك وخلع عليه وأنعم عليه بإقطاع الأمير حسام الدين لاجين الأستاذار بعد موته.

وفي العشر الأخير من شعبان من سنة خمس عشرة وسبعمائة وقع الشروع في عمل الروك بأرض مصر وسبب ذلك أن أصحاب بيبرس الجاشنكير وسلار وجماعة من البرجية كان خبز الواحد منهم ما بين ألف مثقال في السنة إلى ثلاثمائة مثقال فأخذ السلطان أخبازهم وخشي الفتنة فقرر مع فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش روك البلاد وأخرج الأمراء إلى الأعمال: فتعين الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا إلى الغربية ومعه أقول الحاجب والكاتب مكين الدين إبراهيم بن قروينة وتعين للشرقية الأمير أيدمر الخطيري ومعه أيتمش المحمدي والكاتب أمين الدين قرموط وتعين للمنوفية والبحيرة الأمير بلبان الصرخدي وطرنطاي القلنجقي ومحمد بن طرنطاي وبيبرس الجمдар. وتعين جماعة آخر للصعيد.

وتوجه كل أمير إلى عمله فلما نزلوا بالبلاد استدعى كل أمير مشايخ البلاد ودلاتها وقياسيها وعدولها وسجلات كل بلد وعرف متحصلها ومقدار فدننها ومبلغ عبرتها وما يتحصل منه للجندي من العين والغلة والدجاج والإوز والخراف والكشك والعدس والكعك. ثم قاس الأمير تلك الناحية وكتب بذلك عدة نسخ ولازال يعمل ذلك في كل بلد حتى انتهى أمر عمله.

وعادوا بعد خمسة وسبعين يومًا بالأوراق فتسلمها فخر الدين ناظر الجيش.

ثم طلب السلطان الفخر ناظر الجيش والتقي الأسعد بن أمين الملك المعروف ب كاتب برلغي وسائر مستوفي الدولة ليفردوا لخاص السلطان بلادًا ويضيفوا الجوالي إلى البلاد وكانت الجوالي قبل ذلك إلى وقت الروك لها ديوان مفرد يختص بالسلطان فأضيف جوالي كل بلد إلى متحصل خراجها.

وأبطلت جهات المكوس التي كانت أرزاق الجند عليها.

منها ساحل الغلة وكانت هذه الجهة مقطعة لأربعمائة جندي من أجناد الحلقة سوى الأمراء وكان متحصلها في السنة أربعة آلاف ألف وستمائة ألف درهم.

وكان إقطاع الجندي منها من عشرة آلاف درهم إلى ثلاثة الاف درهم وللأمراء من أربعين ألفًا إلى عشرة الاف درهم فاقتنى المباشرون منها أموالًا عظيمة فإنها كانت أعظم الجهات الديوانية وأجل معاملات مصر.

وكان الناس منها في أنواع من الشدائد لكثرة المغارم والعسف والظلم فإن أمرها كان يدور على نواتية المراكب والكيالين والمشدين والكتاب وكان المقرر على كل إردب درهمين للسلطان ويلحقه نصف درهم آخر سوى ما كان ينهب.

وكان له ديوان في بولاق خارج المقس وقبله كان له خص يعرف بخص الكيالة.

وكان في هذه الجهة نحو ستين رجلًا ما بين نظار ومستوفين وكتاب وثلاثين جنديًا للشد وكانت غلال الأقاليم لا تباع إلا فيه فأزال الملك الناصر هذا الظلم جميعه عن الرعية ورخص سعر القمح من ذلك اليوم وانتعش الفقير وزالت هذه الظلامة عن أهل مصر بعد أن راجعته أقباط مصر في ذلك غير مرة فلم يلتفت إلى قول قائل رحمه الله تعالى ما كان أعلى همته وأحسن تدبيره.

وأبطل الملك الناصر أيضًا نصف السمسرة الذي كان أحدثه ابن الشخي في وزارته عامله الله تعالى بعدله وهو أنه من باع شيئًا فإن دلالة كل مائة درهم درهماً يؤخذ منها درهم للسلطان فصار الدلال يحسب حسابه ويخلص درهمه قبل درهم السلطان فأبطل الملك الناصر ذلك أيضًا وكان يتحصل منه جملة كثيرة وعليها جند مستقطعة.

وأبطل السلطان الملك الناصر أيضًا رسوم الولايات والمقدمين والنواب والشرطية وهي أنها كانت تجبى من عرفاء الأسواق وبيوت الفواحش وكان عليها أيضًا جند مستقطعة وأمراء وكان فيها من الظلم والعسف وهتك الحرم وهجم البيوت وإظهار الفواحش ما لا يوصف فأبطل ذلك كله سامحه الله تعالى وعفا عنه.

وأبطل ما كان مقرّرًا للحوائص والبغال وكان يجبى من المدينة ومن الوجهين: القبلي والبحري ويحمل في كل قسط من أقساط السنة إلى بيت المال عن ثمن الحياصة ثلاثمائة درهم وعن ثمن البغل خمسمائة درهم وكان على هذه الجهة أيضًا عدة مقطعين سوى ما كان يحمل إلى الخزانة فكان فيها من الظلم بلاء عظيم فأبطل الملك الناصر ذلك كله رحمه الله.

وأبطل أيضًا ما كان مقرّرًا على السجون وهو على كل من سجن ولو لحظة واحدة مائة درهم سوى ما يغرمه.

وكان أيضًا على هذه الجهة عدة مقطعين ولها ضامن يجبي ذلك من سائر السجون فأبطل ذلك كله رحمه الله.

وأبطل ما كان مقرّرًا من طرح الفراريج وكان لها ضمان في سائر الأقاليم.

كانت تطرح على الناس بالنواحي الفراريج وكان فيها أيضًا من الظلم والعسف وأخذ الأموال من الأراامل والفقراء والأيتام ما لا يمكن شرحه وكان عليها عدة مقطعين ومرتببات ولكل إقليم ضامن مقرر ولا يقدر أحد أن يشتري فروجًا إلا من الضامن فأبطل الناصر ذلك ولله الحمد.

وأبطل ما كان مقرّرًا للفرسان وهوشيء تستهديه الولاة والمقدمون من سائر الأقاليم فيجبى من ذلك مال عظيم ويؤخذ فيه الدرهم ثلاثة دراهم من كثرة الظلم فأبطل الملك الناصر ذلك رحمه الله تعالى.

وأبطل ما كان مقرّرًا على الأقباص والمعاصر كان يجبى من مزارعي الأقباص وأرباب المعاصر ورجال المعصرة فيحصل من ذلك شيء كثير.

وأبطل ما كان يؤخذ من رسوم الأفراح كانت تجبى من سائر البلاد وهي جهة لا يعرف لها أصل فبطل ذلك ونسي و لله الحمد.

وأبطل جباية المراكب كانت تجبى من سائر المراكب التي في بحر النيل بتقرير معين على كل مركب يقال له مقرر الحماية.

كان يجبى ذلك من مسافري المراكب سواء أكانوا أغنياء أم فقراء فبطل ذلك أيضًا.

وأبطل ما كان يأخذه مهتار طشتخاناه السلطان من البغايا والمنكرات والفواحش وكانت جملة مستكثرة.

وأبطل ضمان تجيب بمصر وشد الزعماء وحقوق السودان وكشف مراكب النوبة فكان يؤخذ عن كل عبد وجارية مبلغ مقرر عند نزولهم في الخانات وكانت جهة قبيحة شنيعة إلى الغاية فأراح الله المسلمين منها على يد الملك الناصر رحمه الله.

وأبطل أيضًا متوفر الجراريف بالأقاليم وكان عليها عدة كثيرة من المقطعين.

وأبطل ما كان مقرراً على المشاعلية من تنظيف أسرية البيوت والحمامات والمسامط وغيرها فكان إذا امتلأ سراب بيت أو مدرسة من الأوساخ لا يمكن شيله حتى يحضر الضامن ويقرر أجرته بما يختار ومتى لم يوافقه صاحب البيت تركه ومضى حتى يحتاج إليه ويبذل له ما يطلب.

وأبطل ما كان مقرراً من الجبي برسم ثمن العبي وثمر ركوة السواس.

وأبطل أيضًا وظيفتي النظر والاستيفاء من سائر الأعمال وكان في كل بلد ناظر ومستوف ومباشرون فرسم السلطان ألا يستخدم أحد في إقليم لا يكون للسلطان فيه مال وما كان للسلطان فيه مال يكون في كل إقليم ناظر وأمين حكم لا غير ورفع يد سائر المباشرين من البلاد.

قلت: وكل ما فعله الملك الناصر من إبطال هذه المظالم والمكوس دليل على حسن اعتقاده وغزير عقله وجودة تدبيره وتصرفه حيث أبطل هذه الجهات القبيحة التي كانت من أقبح الأمور وأشنعها وعوضها من جهات لا يظلم فيها الرجل الواحد.

ومثله في ذلك كمثل الرجل الشجاع الذي لا يبالي بالقوم كثروا أو قلوا فهو يكر فيهم فإن أوغل فيهم خلص وإن كر راجعًا لا يبالي بمن هو في أثره لما يعلم ما في يده من نفسه فأبطل لذلك ما قبح وأحدث ما صلح من غير تكلف وعدم تخوف فله دره من ملك عمر البلاد وعمر بالإحسان العباد.

وهذا بخلاف من ولي بعده من السلاطين فإنهم لقصر باعهم عن إدراك المصلحة مهما رأوه ولو كان فيه هلاك الرعية وعذاب البرية يقولون: بهذا جرت العادة من قبلنا فلا سبيل إلى تغيير ذلك ولو هلك العالم فلعمري هل تلك العادة حدثت من الكتاب والسنة أم أحدثها ملك مثلهم وما أرى هذا وأمثاله إلا من جميل صنع الله تعالى كي يتميز العالم من الجاهل.

انتهى.

ثم رسم السلطان الملك الناصر بالمسامحة بالبواقي الديوانية والإقطاعية من سائر النواحي إلى آخر سنة أربع عشرة وسبعمئة.

وجعل الروك الهلالي لاستقبال صفر سنة ست عشرة وسبعمئة والروك الخراجي لاستقبال ثلث مغل سنة خمس عشرة وسبعمئة.

وأفرد السلطان لخاصه الجيزية وأعمالها.

وأخرجت الجوالي من الخاص وفرقت في البلاد وأفردت الجهات التي بقيص من المكس كلها وأضيفت إلى الوزير وأفردت للحاشية بلاد ولجوامك المباشرين بلاد ولأرباب الرواتب جهات.

وارتجعت عدة بلاد كانت اشترت من بيت المال وحبست فأدخلت في الإقطاعات.

قلت: وشراء الإقطاعات من بيت المال شراء لا يعبأ الله به قديمًا وحديثًا فإنه متى احتاج بيت مال المسلمين إلى بيع قرية من القرى وإنفاق ثمنها في مصالح المسلمين.

فهذا شيء لم يقع في عصر من الأعصار وإنما تشتري القرية من بيت المال ثم إن السلطان يهب للشاري ثمن تلك القرية فهذا البيع وإن جاز في الظاهر لا يستحلح الورع ولا فعله السلف حتى إن الملك لا تجوز له النفقة من بيت المال إلا بالمعروف فمتى جاز له أن يهب الألوف المؤلفة من أثمان القرى لمن لا يستحق أن يكون له النزر اليسير من بيت المال.

وهذا أمر ظاهر معروف يطول الشرح في ذكره.

وفي قصة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما فرضه لنفسه من بيت المال كفاية عن الإكثار في هذا المعنى.

انتهى.

ثم إن السلطان رسم بأن يعتد في سائر البلاد بما كان يهديه الفلاحين وحسب من جملة المبالغ.

فلما فرغ من العمل في ذلك نودي في الناس بالقاهرة ومصر وسائر الأعمال بإبطال ما أبطل من جهات المكس وغيره وكتبت المراسيم بذلك إلى سائر النواحي بهذا الإحسان العظيم فسر الناس بذلك قاطبة سرورًا عظيمًا وضح العالم بالدعاء للسلطان بسائر الأقطار حتى شكر ووقع ذلك لملوك التتار وأرسلوا في طلب الصلح حسب ما يأتي ذكره.

ثم جلس السلطان الملك الناصر بالإيوان الذي أنشأه بقلعة الجبل في يوم الخميس ثاني عشرين في الحجة سنة خمس عشرة وسبعمائة لتفرقة المثالات.

وهذا الروك يعرف بالروك الناصري المعمول به إلى يومنا هذا.

وحضروا الناس ورسم السلطان أن يفرق في كل يوم على أميرين من المقدمين بمضافيهما فكان المقدم يقف بمضافيه ويستدعى كل واحد باسمه فإذا تقدم المطلوب سأله السلطان من أنت ومملوك من أنت حتى لا يخفى عليه شيء من أمره ثم يعطيه مثلاً يلائمه فأظهر السلطان في هذا العرض عن معرفة تامة بأحوال رعيته وأمور جيوشه وعساكره وكان كبار الأمراء تحضر التفرقة فكانوا إذا أخفوا في شكر جندي عاكسهم السلطان وأعطاه دون ما كان في أملهم له وأراد بذلك ألا يتكلم أحدهم في المجلس فلما علموا بذلك أمسكوا عن الكلام والشكر بحيث إنه لا يتكلم أحد منهم إلا رد جواب له يسأل عنه فمشى الحال بذلك على أحسن وجه من غير غرض ولا عصبية وأعطى لكل واحد ما يستحقه.

قلت: وأين هذه الفعلة من فعل الملك الظاهر برقوق رحمه الله وقد أظهر من قلة المعرفة وإظهار الغرض التام حيث أنعم على قريبه الأمير قجماس بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية وهو إذ ذاك لا يحسن يتلفظ بالشهادتين فكان مباشرو إقطاعه يدخلون إليه مع أرباب ووظائفه فيجدون الفقيه يعلمه الشهادة وقراءة الفاتحة وهو كالتيس بين يدي الفقيه فكان ذلك من جملة ذنوب الملك الظاهر برقوق التي عدوها له عند خروج الناصري ومنطاش عليه ونفرت القلوب منه حتى خلع وحبس حسب ما يأتي ذكره.

ولم أرد بذلك الحط على الملك الظاهر المذكور غير أن الشيء بالشيء يذكر.
انتهى.

ثم فعل السلطان الملك الناصر ذلك مع مماليكه وعساكره فكان يسأل المملوك عن اسمه واسم تاجره وعن أصله وعن قومه إلى الديار المصرية وكم حضر مصاف وكم لعب بالرمح عن سنه ومن كان خصمه في لعب الرمح وكم أقام سنة بالطبقة فإن أجابه بصدق أنصفه وإلا تركه ورسم له بجامكية هينة حتى يصل إلى رتبة من يقطع باب السلطان فأعجب الناس هذا غاية العجب.

وكان الملك الناصر أيضًا يخير الشيخ المسن بين الإقطاع والراتب فيعطيه ما يختاره ولم يقطع في هذا العرض العاجز عن الحركة بل كان يرتب له ما يقوم به عوضًا عن إقطاعه.

واتفق للسلطان أشياء في هذا العرض منها: أنه تقدم إليه شاب تام الخلقة في وجهه أثر يشبه ضربة السيف فأعجبه وناوله مثالًا بإقطاع جيد وقال له: في أي مصاف وقع في وجهك هذا السيف فقال: لا يا خوند هذا ما هو أثر سيف وإنما وقعت من سلم فصار في وجهي هذا الأثر فتبسم السلطان وتركه فقال له الفخر ناظر الجيش: ما بقي يصلح له هذا الخبز فقال الملك الناصر: قد صدقني وقال الحق وقد أخذ رزقه فلو قال: أصبت في المصاف الفلاني من كان يكذبه فدعت الأمراء له وانصرف الشاب بالإقطاع.

ومنها: أنه تقدم إليه رجل دميم الخلق وله إقطاع ثقيل عبرته ثمانمائة دينار فأعطاه مثالًا وانصرف به عبرته نصف ما كان في يده فعاد وقتل الأرض فسأله السلطان عن حاجته فقال: الله يحفظ السلطان فإنه غلط في حقي فإن إقطاعي كانت عبرته ثمانمائة دينار وهذا عبرته أربعمائة دينار فقال السلطان: بل الغلط كان في إقطاعك الأولى فامض بما قسم الله لك وأشياء من هذا النوع إلى أن انتهت تفرقة المثالات في آخر المحرم سنة ست عشرة وسبعمائة فوفر منها نحو مائتي مثال.

ثم أخذ السلطان في عرض مماليك الطباق ووفر جوامك عدة منهم ثم أفرد جهة قطيا للعاجزين من الأجناد وقرر لكل منهم ثلاثة آلاف أدرهم في السنة.

ثم إن السلطان ارتجع ما كانت المماليك البرجية اشترته من أراضي الجيزة وغيرها.

وارتجع السلطان أيضًا ما كان لبيبرس و سلار وبرلغي والجوكندار وغيرهم من الرزق وغيرها وأضاف ذلك كله لخاص السلطان وبألب السلطان في إقامة الحرمة في أيام العرض وعرف الأمير أرغون النائب وأكابر الأمراء أنه من رد مثالًا أوتضرر أو شكًا ضرب وحبس وقطع خبزه وأن أحدًا من الأمراء لا يتكلم مع السلطان في أمر جندي ولا مملوك فلم يتجاسر أحد يخالف مارسم به وغين في هذا الروك أكثر الأجناد فإنهم أخذوا إقطاعًا دون الإقطاع الذي كان معهم وقصد الأمراء التحدث في ذلك مع السلطان فنهاهم أرغون النائب عن ذلك فقدر الله تعالى أن الملك الناصر نزل إلى بركة الحجيج لصيد الكركي على العادة وجلس في البستان المنصوري الذي كان هناك ليستريح فدخل بعض المرقدارية يقال له عزيز وكان من عادته أن يهزل قدام السلطان ليضحكه فأخذ المرقدار يهزل ويمزح ويتمسخر قدام السلطان والأمراء جلوس وهناك ساقية والسلطان ينظر إليها فتمادى في الهزل لشؤم بخته إلى أن قال: وجدت جنديًا من جند الروك الناصري وهو راكب إكديبًا وخرجه ومخلاته ورمحه على كتفه وأراد أن يتم الكلام فاشتد غضب السلطان فصاح في المماليك: عروه ثيابه ففي الحال خلعت عنه الثياب وربط مع قواديس الساقية وضربت الأبقار حتى أسرع في الدوران فصار عزيز المذكور تارة ينغمس في الماء وتارة يظهر وهو يستغيث وقد عاين الموت والسلطان يزداد غضبًا.

ولم يجسر أحد من الأمراء أن يشفع فيه حتى مضى نحو ساعتين وانقطع حسه فتقدم الأمير طغاي الناصري والأمير قطلوبغا الفخري الناصري وقالوا: يا خوند هذا المسكين لم يرد إلا أن يضحك السلطان وبطيب خاطره ولم يرد غير ذلك فما زال به حتى أخرج الرجل وقد أشفى على الموت ورسم بنفيه من الديار المصرية فعند ذلك حمد الله تعالى الأمراء على سكوتهم وتركهم الشفاعة في تغيير مثلات الأجناد.

انتهى أمر الروك وما يتعلق به.

وفي محرم سنة ست عشرة وسبعمائة ورد الخبر على السلطان بموت خريندا ملك التتار و جلوس ولده بوسعيد في الملك بعده.

ثم أفرج الملك الناصر عن الأمير بكتمر الحسامي الحاجب وخلع عليه يوم الخميس ثالث عشر شوال من السنة المذكورة بناية صغد وأنعم عليه بمائتي ألف درهم.

ثم نقل السلطان في السنة أيضًا الأمير كراي المنصوري وسنقر الكمالي الحاجب من سجن الكرك إلى البرج بقلعة الجبل فسجن بها.

ثم بدا له زيارة القدس الشريف ونزل السلطان بعد أيام في يوم الخميس رابع جمادى الأولى من سنة سبع عشرة وسبعمائة وسار ومعه خمسون أميرًا وكريم الدين الكبير ناظر الخواص وفخر الدين ناظر الجيش وعلاء الدين علي بن أحمد بن سعيد بن الأثير كاتب السر بعدما فرق في كل واحد فرسًا مسرجًا وهجينًا وبعضهم ثلاث هجن وكتب إلى الأمير تنكز نائب الشام أن يلقاه بالإقامات لزيارة القدس فتوجه إلى القدس وزاره ثم توجه إلى الكرك ودخله وأفرج عن جماعة ثم عاد إلى الديار المصرية فدخلها في رابع عشر جمادى الآخرة فكانت غيبته عن مصر أربعين يومًا.

ثم بعد مجيء السلطان وصل إلى القاهرة الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي والأمير بهادر آص والأمير بيبرس الدوادر وهؤلاء الذين أفرج عنهم من حبس الكرك وخلع السلطان عليهم وأنعم علي بهادر بأمرة في دمشق ولزم بيبرس داره ثم أنعم عليه بأمرة وتقدمة ألف على عادته أولًا.

ثم عزل السلطان الأمير بكتمر الحسامي الحاجب عن نيابة صغد في أول سنة ثمانى عشرة وسبعمائة وقدم القاهرة وأنعم عليه بأمرة مائة وتقدمة ألف بديار مصر.

وفي هذه السنة تجهز السلطان لركوب الميدان وفرق الخيل على جميع الأمراء واستجد ركوب الأوجاقية بكوافي زركش على صفة الطاسات وهم الجفتاوات.

وفيها ابتدأ السلطان بهدم المطبخ وهدم الحوائج خاناه والطشتخاناه وجامع القلعة القديم وأخلط الجميع وبناه الجامع الناصري الذي هو بالقلعة الآن فجاء من أحسن المباني.

وتجدد أيضًا في هذه السنة بدمشق ثلاثة جوامع: جامع الأمير تنكز المشهور به وجامع كريم الدين وجامع شمس الدين غبريال.

ثم حج بالركب المصري في هذه السنة أمير الحاج الأمير مغلطاي الجمالي وقبض بمكة على الشريف رميثة وفر حميضة وقدم مغلطاي المذكور برميثة

وفي

استجد السلطان القيام فوق الكرسي للأمير جمال الدين آقوش الأشرفي نائب الكرك الذي أفرج عنه السلطان في السنة الماضية وكذلك للأمير بكتمر البوبكري السلاح دار فكانا إذا دخلا عليه قام لهما وكان آقوش نائب الكرك يتقدم على البوبكري عند تقبيل يد السلطان فعتب الأمراء على البوبكري في ذلك فسأل البوبكري السلطان عن تقديم نائب الكرك عليه فقال: لأنه أكبر منك في المنزلة فاستغرب الأمراء ذلك وكشفوا عنه فوجدوا نائب الكرك تآمر في أيام الملك المنصور قلاوون إمرة عشرة وجعله أستاذار ابنه الأشرف خليل في سنة خمس وثمانين وستمئة ووجدوا البوبكري تآمر في سنة تسعين وستمئة فسكتوا الأمراء عند ذلك وعلموا أن السلطان يسير على القواعد القديمة وأنه أعرف منهم بمنازل الأمراء وغيرها.

وفيها اهتم السلطان لحركة السفر إلى الحجاز الشريف وتقدم كريم الدين الكبير ناظر الخواص إلى الإسكندرية لعمل الثياب الحرير برسم كسوة الكعبة وبينما السلطان في ذلك وصلت مقدمة الأمير تنكز نائب الشام وفيها الخيل والهجن بأكوار ذهب وسلاسل ذهب وفضة ومقاود حرير وكانت عدة كثيرة يطول الشرح في ذكرها.

ثم أيضًا وصلت مقدمة الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة وهي أيضًا تشتمل على أشياء كثيرة.

وتولى كريم الدين تجهيز ما يحتاج إليه السلطان من كل شيء حتى إنه عمل له عدة قدور من ذهب وفضة ونحاس تحمل على البخاتي ويطبخ فيها للسلطان وأحضر الخولة لعمل مباقل ورياحين في أحواض خشب تحمل على الجمال فتصير مزروعة فيها وتسقى بالماء ويحصد منها ما تدعو الحاجة إليه أولًا بأول فتهيأ من البقل والكراث والكسبرة والنعناع وأنواع المشمومات والريحان شيء كثير ورتب لها الخولة لتعدها بالسقية وغيرها وجهزت الأفران وصناع الكماج والجبن المقلي وغيره.

وكتبت أوراق عليق السلطان والأمراء الذين معه وعدتهم اثنان وخمسون أميرًا لكل أمير ما بين مائة عليقة في كل يوم إلى خمسين عليقة إلى عشرين عليقة وكانت جملة العليق في مدة سفر السلطان ذهابًا وإيابًا مائة ألف إردب وثلاثين ألف إردب من الشعير وحمل تنكز من دمشق خمسمائة حمل على الجمال ما بين حلوى وسكر وفواكه ومائة وثمانين حمل حب رمان ولوز وما يحتاج إليه من أصناف الطبخ.

وجهز كريم الدين الكبير من الإوز ألف طائر ومن الدجاج ثلاثة آلاف طائر وأشياء كثيرة من ذلك.

وعين السلطان للإقامة بديار مصر الأمير أرغون الناصري النائب ومعه الأمير أيتمش المحمدي وغيره.

ثم قدم الملك المؤيد صاحب حماة إلى القاهرة ليتوجه في ركاب السلطان إلى الحجاز.

وسافر المحمل على العادة في ثامن عشر شوال مع الأمير سيف الدين طرجي أمير مجلس.

وركب السلطان من قلعة الجبل في أول ذي القعدة وسار من بركة الحجاج في سادس ذي القعدة وصحبته المؤيد صاحب حماة والأمراء وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة الشافعي وغالب أرباب الدولة.

وسار حتى وصل مكة المشرفة بتواضع زائد بحيث إن السلطان قال للأمير جنكلي بن البابا: لا زلت أعظم نفسي إلى أن رأيت الكعبة المشرفة وذكرت بوس الناس الأرض لي فدخلت في قلبي مهابة عظيمة ما زالت عني حتى سجدت لله تعالى.

وكان السلطان لما دخل مكة حسن له قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة أن يطوف بالبيت ركبًا كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم فقال له الملك الناصر: ومن أنا حتى أتشبهه بالنبي والله لاطفت إلا كما يطوف الناس.

ومنع الحجاب من منع الناس أن يطوفوا معه وصاروا يزاحمونهم وهو يزاحمهم كواحد منهم في مدة طوافه في تقيله الحجر الأسود.

قلت: وهذه حجة الملك الناصر الثانية.

ولما كان الملك الناصر بمكة بلغه أن جماعة من المغل ممن حج في هذه السنة قد اختفى خوفًا منه فأحضرهم السلطان وأنعم عليهم وبالغ في إكرامهم.

وغسل السلطان الكعبة بيده وصار يأخذ أزر إحرام الحجاج ويغسلها لهم في داخل البيت بنفسه ثم يدفعها لهم وكثر الدعاء له.

وأبطل سائر المكوس من الحرميين الشريفين وعض أميرى مكة والمدينة عنها إقطاعات بمصر والشام وأحسن إلى أهل الحرميين وأكثر من وفي هذه السنة مهد السلطان ما كان في عقبة أيلة من الصخور ووسع طريقها حتى أمكن سلوكها بغير مشقة وأنفق على ذلك جملاً مستكثرة.

واتفق لكريم الدين الكبير ناظر الخاصة أمر غريب بمكة فيه موعظة وهو أن السلطان بالغ في تواضعه في هذه الحجة للغاية فلما أخرجت الكسوة لتعمل على البيت صعد كريم الدين المذكور إلى أعلى الكعبة بعد ما صلى بجوفها ثم جلس على العتبة ينظر في الخياطين فأنكر الناس استعلاءه على الطائفين فبعث الله عليه وهو جالس نعاثًا سقط منه على رأسه من علو البيت فلو لم يتداركوه من تحته لهلك.

وصرخ الناس في الطواف صرخة عظيمة تعجبًا من ظهور قدرة الله تعالى في إذلال المتكبرين وانقطع ظفر كريم الدين وعلم بذنبه فتصدق بمال جزيل.

وفي هذه السفارة أيضًا أجرى السلطان الماء لخليص وكان انقطع من مدة سنين.

ولقي السلطان في هذه السفارة جميع العربان وملوكها من بني مهدي وأمرائها وشطي بن عيبة وأخاه عساقًا وأولاده وأشرف مكة من الأمراء وغيرهم وأشرف المدينة وبنيع وغيرهم وعرب خليص وبني لام وعربان حوران وأولاد مهنا: موسى وسليمان وفياتًا وأحمد وغيرهم ولم يتفق اجتماعهم عند ملك غيره وأنعم عليهم بإقطاعات وصلات وتدلوا على السلطان حتى إن موسى بن مهنا كان له ولد صغير فقام في بعض الأيام ومد يده إلى لحية السلطان وقال له: يا أبا علي ب حياة هذه اللحية ومسك منها شعرات إلا ما أعطيتني الضيعة الفلانية إنعامًا علي فصرخ فيه فخر الدين ناظر الجيش وقال له لاشل يدك قطع الله يدك تمد يدك إلى السلطان فتبسم له السلطان وقال: هذه عادة العرب إذا قصدوا كبيرًا في شيء فيكون عظمتهم عندهم مسك لحيته يريدون أنهم قد استجاروا بذلك الشيء فهو سنة عندهم فغضب الفخر ناظر الجيش وقام وهو يقول: إن هؤلاء مناحيس وستهم أنحس.

ثم عاد السلطان بعد أن قضى مناسكه إلى جهة الديار المصرية في يوم السبت ثاني عشر المحرم سنة عشرين وسبعمائة بعد أن خرج الأمراء إلى لقائه ببركة الحجاج وركب السلطان بعد انقضاء السماط في موكب عظيم وقد خرج الناس لرؤيته وسار حتى طلع القلعة فكان يومًا مشهودًا وزينت القاهرة ومصر زينة عظيمة لقدمه وكثرت التهاني وأرباب الملاهي من الطبول والزمور.

وجلس السلطان على تخت الملك وخلع على الأمراء وألبس كريم الدين الكبير أطلسين ولم يتفق ذلك لمتعمم قبله.

ثم خلع السلطان على الملك المؤيد إسماعيل صاحب حماة وأركبه بشعار السلطنة من المدرسة المنصورية بين القصرين وحمل وراءه الأمير قجليس السلاح دار السلاح وحمل الأمير ألجاي الدوادر الدواة وركب معه الأمير بيبرس الأحمدى أمير جاندار والأمير طيبرس وسار بالغاشية والعصائب وسائر دست السلطنة وهم بالخلع معه إلى أن طلع إلى القلعة فكان عدة تشاريف من سار معه مائة وثلاثين تشریفًا: فيها ثلاثة عشر أطلس والبقية كنجي وعمل الدار وطرد وحش وقبل الأرض وجلس على ميمنة السلطان ولقبه السلطان بالملك المؤيد وسافر من يومه بعد ما جهزه السلطان بسائر ما يحتاج إليه.

ثم أفرج السلطان عن جماعة من الأمراء المحبوسين وعدتهم أزيد من عشرة نفر.

ثم ندب السلطان الأمير بيبرس الأحمدى الحاجب وطائفة من الأجناد إلى مكة ليقيم بها بدل الأمير آق سنقر شاد العمائر خوفًا من هجوم الشريف حميضة على مكة.

وفي هذه السنة أبطل السلطان مكس الملح بالقاهرة وأعمالها فأبيع الإردب الملح بثلاثة دراهم بعد ما كان بعشرة دراهم فإنه كتب إلى العمال ألا يمنع أحد من شيل الملح من الملاحات وأبيحت لكل أحد فبادر الناس إليها وجلبوا الملح.

ثم أذن السلطان للأمير أرغون النائب في الحج فحج وعاد في سنة إحدى وعشرين بعد أن مشى من مكة إلى عرفات على قدميه تواضعًا.

ثم أخرج السلطان الأمير شرف الدين حسين بن جندر إلى الشام على إقطاع الأمير جوبان ونقل جوبان على إمرة بديار مصر.

وسبب نفي الأمير حسين أنه لما أنشأ جامعه المعروف بجامع أمير حسين بجوار داره على الخليج في البر الغربي بحكر جوهر النوبي ثم عمر القنطرة وأراد أن يفتح في سور القاهرة خوخة تنتهي إلى حارة الوزيرية فأذن له السلطان في فتحها فخرق بابًا كبيرًا وعمل عليه رنكه فسعى به علم الدين سنجر الخياط متولي القاهرة وعظم الأمر على السلطان في فتح هذا الباب المذكور فرسم بنفيه في سنة إحدى وعشرين وسبعمائة المذكورة.

وفيها وقع الحريق بالقاهرة ومصر فابتدأ من يوم السبت خامس عشر جمادى الأولى وتواتر إلى سلخه.

وكان مما احترق فيه الربيع الذي بالشوايين من أوقاف البيمارستان المنصوري واجتهد الأمراء في طفيه فوقع الحريق في حارة الديلم قريبًا من دار كريم الدين الكبير ودخل الليل واشتد هبوب الرياح فسرت النار في عدة أماكن وبعث كريم الدين ابنه عبد الله للسلطان فعرفه فبعث السلطان لإطفائه عدة كثيرة من الأمراء والمماليك خوفًا على الحواصل السلطانية فتعاضم الأمر وعجز آق سنقر شاد العمائر والنار تعمل طول نهار

الأحد وخرج النساء مسيبات ويات الناس على ذلك وأصبحوا يوم الاثنين والنار تلف ما تمر به والهدم واقع في الدور المجاورة للحريق.

وخرج أمر الحريق عن القدرة البشرية وخرجت ريح عاصفة ألقت النخيل وغرقت المراكب ونشرت النار فما شك الناس في أن القيامة قد قامت وعظم شرر النيران وصارت تسقط الأماكن البعيدة فخرج الناس وتعلقوا بالموادن واجتمعوا في الجوامع والزوايا وضجوا بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى.

وصعد السلطان إلى أعلى القصر فهاله ما شاهده.

وأصبح الناس في يوم الثلاثاء في أسوأ حال فنزل أرغون النائب بسائر الأمراء وجميع من في القلعة وجمع أهل القاهرة ونقل الماء على جمال الأمراء ثم لحقه الأمير بكتمر الساقى بالجمال السلطانية ومنعت أبواب القاهرة أن يخرج منها سقاء ونقلت المياه من المدارس والحمامات والآبار وجمعت سائر البنائين والنخارين فهدمت الدور من أسفلها والنار تحرق في سقوفها.

وعمل الأمراء الألوف وعدتهم أربعة وعشرون أميرًا بأنفسهم في طفي الحريق ومعهم مضافوهم من أمراء الطبلخاناه والعشرات وتناولوا الماء بالقرب من السقائين بحيث صار من باب زويلة إلى حارة الروم بحرًا فكان يومًا لم ير أشنع منه بحيث إنه لم يبق أحد إلا وهو في شغل ووقف الأمير أرغون النائب وبكتمر الساقى حتى نقلت الحواصل السلطانية من بيت كريم الدين ناظر الخاص إلى بيت ولده علم الدين عبد الله بدرج الرصاصي وهدم لأجل نقل الحواصل سبع عشرة دارًا وخمدت النار وعاد الأمراء.

فوقع الصباح في ليلة الأربعاء بحريق آخر وقع بربع الملك الظاهر ببيرس خارج باب زويلة وبقيسارية الفقراء وهبت الرياح مع ذلك.

فركبت الحجاب والوالي فعملوا في طفيها عملاً إلى بعد ظهر يوم الأربعاء وهدموا دورًا كثيرة فما كاد أن تفرغ الأمراء من إطفاء ربع الملك الظاهر حتى وقعت النار في بيت الأمير سلار بخط بين القصرين وإذا بالنار ابتدأت من أصل البادهنج وكان ارتفاعه من الأرض زيادة علي مائة ذراع بذراع العمل ورأوا فيه نطفًا قد عمل فيه فتيلة كبيرة فما زالوا بالنار حتى أطفئت من غير أن يكون لها أثر كبير.

فنودي أن يعمل بجانب كل حانوت بالقاهرة ومصر زير أو دن كبير ملآن ماء.

ثم في ليلة الخميس وقع الحريق بحارة الروم وبموضع آخر خارج القاهرة وتمادى الحال على ذلك لا يخلو وقوع الحريق بالقاهرة ومصر فشاع بين الناس أن الحريق من جهة النصرى لما أنكاهم هدم الكنائس.

ثم وقع الحريق في عدة مساجد وجوامع ودور إلى أن كان ليلة الجمعة حادي عشرينه قبض على راهبين خرجا من المدرسة الكهارية بالقاهرة وقد أرميا النار بها فأحضروا إلى الأمير علم الدين سنجر الخازن والي القاهرة وشتم منهما رائحة الكبريت والزيت فأحضرهما من الغد إلى السلطان فأمر بعقوبتهما حتى يعترفوا.

فلما نزل الأمير علم الدين بهما وجد العامة قد قبضت على نصراني وهو خارج والأثر في يديه من جامع الظاهر بالحسينية ومعه كعكة خرق وبها نطف وقطران وقد وضعها بجانب المنبر فلما فاح الدخان أنكروا ووجدوا النصراني وهو خارج والأثر في يديه كما ذكر فعوقب قبل صاحبيه.

فاعترف أن جماعة من النصارى قد اجتمعوا وعملوا النفط ورفقوه على جماعة ليدوروا به على المواضع.

ثم عاقب الأمير علم الدين الراهبين فاعترفا بأنهما من دير البغل وأنهما اللذان أحرقا سائر الأماكن نكابة للمسلمين بسبب هدم الكنائس وكان أمرهم أنهم عملوا النفط وحشوه في فتائل وعملوها في سهام ورموا بها فكانت الفتيلة إذا خرجت من السهم تقع على مسافة مائة ذراع أو أكثر.

فأمر السلطان كريم الدين الكبير بطلب البترک فطلبه وبالغ في إكرامه على عادة القبطية وأعلمه كريم الدين بما وقع فبكى وقال: هؤلاء سفهاء قد عملوا كما فعل سفهاؤكم بالكنائس من غير إذن السلطان والحكم للسلطان ثم ركب بغلة وتوجه إلى حال سبيله فكادت الناس أن تقتله لولا حماية المماليك له.

ثم ركب كريم الدين من الغد إلى القلعة فصاحت عليه العوام وأسمعتة ما يكره.

فلما طلع كريم الدين عرف السلطان بمقالة البترک واعتنى به وكان النصارى أقروا على أربعة عشر راهبًا بدير البغل فقبض عليهم وعملت حفيرة كبيرة بشارع الصليبية وأحرق فيها أربعة منهم في يوم الجمعة.

واشتدت العامة عند ذلك على النصارى وأهانوهم وسلبوهم ثيابهم وألقوهم عن الدواب إلى الأرض.

وركب السلطان إلى الميدان في يوم السبت وقد اجتمع عالم عظيم وصاحوا: نصر الله الإسلام انصر دين محمد بن عبد الله.

فلما استقر السلطان بالميدان أحضر والي القاهرة نصرانيين قد قبض عليهما فأحرقا خارج الميدان.

وخرج كريم الدين من الميدان وعليه التشريف فصاحت به العامة: كم تحامي للنصارى وسبوه ورموه بالحجارة فعاد إلى الميدان فشق ذلك على السلطان واستشار السلطان الأمراء في أمر العامة فأشار عليه الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك بعزل الكتاب النصارى فإن الناس قد أبغضوهم فلم يرضه ذلك وتقدم السلطان إلى الماس الحاجب أن يخرج في أربعة أمراء ويضع السيف في العامة حتى ينتهي إلى باب زويلة ويمر كذلك إلى باب النصر ولا يرفع السيف عن أحدث وأمر والي القاهرة أن يتوجه إلى باب اللوق وباب البحر ويقبض على من وجده من العامة ويحمله إلى القلعة وعين لذلك أيضًا عدة مماليك فخرجوا من الميدان فبادر كريم الدين وسأل السلطان العفو فقبل شفاعته ورسم بالقبض على العامة من غير قتلهم وكان الخبر بلغ العامة ففرت العامة حتى الغلمان وصار الأمير لا يجد من يركبه وانتشر ذلك فغلقت الأسواق بالقاهرة فكانت ساعة لم يمر بالناس أبشع منها وهي من هفوات الملك الناصر.

ومر الوالي بباب اللوق وبولاق وباب البحر وقبض على كثير من الكلابزية وأراذل العامة بحيث إنه صار كل من رآه أخذه وجفل الناس من الخوف وعدوا في المراكب إلى بر الجيزة.

فلما عاد السلطان إلى القلعة لم يجد أحدًا في طريقه وأحضر إليه الوالي من قبض عليه وهم نحو المائتين فرسم السلطان جماعة منهم للصلب وأفرد جماعة للشنق وجماعة للتوسيط وجماعة لقطع الأيدي فصاحوا: يا خوند ما يحل لك ما نحن الغرماء وتباكوا.

فرق لهم بكتمر الساقى وقام ومعه الأمراء وما زالوا به حتى أمر بصلب جماعة منهم على الخشب من باب زويلة إلى قلعة الجبل وأن يعلقوا بأيديهم ففعل بهم ذلك وأصبحوا يوم الأحد صفاً واحداً من باب زويلة إلى تحت القلعة فتوجع لهم الناس وكان منهم كثير من بياض الناس ولم تفتح القاهرة وخاف كريم الدين على نفسه ولم يسلك من باب زويلة وطلع القلعة من خارج السور وإذا بالسلطان قد قدم الكلابزية وأخذ في قطع أيديهم فكشف كريم الدين رأسه وقُتل الأرض وياس رجل السلطان وسأل السلطان العفو عن هؤلاء فأجابه بمساعدة الأمير بكتمر وأمر بهم فقيدوا وأخرجوا للعمل في الحفر بالجيزة ومات ممن قطع يده رجلان وأمر بحط من علق على الخشب.

وفي الحال وقع الصوت بحريق أماكن بجوار.

مع أحمد بن طولون وبوقوع الحريق في القلعة وفي بيت بيبرس الأحمدي بحارة بهاء الدين قراقوش وبفندق طرنطاي خارج باب البحر فدهش السلطان وكان هذا الفندق برسم تجار الزيت الوارد من الشام فعمت النار كل مات حتى العمدة الرخام وكانت ستة عشر عموداً طول كل عمود ست أذرع بالعمل ودوره نحو ذراعين فصارت كلها جيراً وتلف فيه لتاجر واحد ما قيمته تسعون ألف درهم وقبض فيه على ثلاثة نصارى ومعهم فتائل النفط أعترفوا أنهم فعلوا ذلك.

فلما كان يوم السبت تاسع عشرين جمادى الأولى المذكور ركب السلطان إلى الميدان فوجد نحو العشرين ألفاً من العامة في طريقه قد صبغوا خرقاً بالأزرق والأصفر وعملوا في الأزرق صلباً بيضاء ورفعوها على الجريدة وصاحوا صيحة واحدة: لا دين إلا دين الإسلام نصر الله دين محمد بن عبد الله يا ملك الناصر يا سلطان الإسلام أنصرنا على أهل الكفر ولا تنصر النصارى.

فخشع السلطان والأمراء وتوجه إلى الميدان وقد آشتغل سره وركبت العامة أوسوار الميدان ورفعوا الخرق الزرق وهم يصيحون: " لا دين إلا دين الإسلام ".

فخاف السلطان الفتنة ورجع إلى مداراتهم وتقدم إلى الحاجب أن يخرج فينادي: من وجد نصرانياً فدمه وماله حلال فلما سمعوا النداء صرخوا صوتاً واحداً: نصرك الله فارتجت الأرض.

ثم نودي عقيب ذلك بالقاهرة ومصر: من وجد نصرانياً بعمامة بيضاء حل دمه " وكتب مرسوم بلبس النصارى العمائم الزرق وألا يركبوا فرساً ولا بغلاً ولا يدخلوا الحمام إلا بجرس في أعناقهم ولا يتزبوا بزى المسلمين هم ونساؤهم وأولادهم ورسوم للأمراء بإخراج النصارى من دواوينهم ودواوين السلطان وكتب بذلك إلى سائر الأعمال.

وغلقت الكنائس والأديرة وتجرات العامة على النصارى حيث وجدوهم ضربوهم وعروهم فلم يتجاسر نصراني أن يخرج من بيته ولم يتحدث في أمر اليهود فكان النصراني إذا عن له أمر يتزيا بزى اليهود فيلبس عمامة صفراء يكثرها من يهودي ليخرج في حاجته.

وأتفق أن بعض كتاب النصارى حضر إلى يهودي له عليه مبلغ كبير ليأخذ منه شيئاً فأمسكه اليهودي وصاح: أنا بالله وبالمسلمين فخاف النصراني وقال له: " أبرأت ذمتك وكتب له خطه بالبراءة وفر.

واحتاج عدة من النصارى إلى إظهارهم الإسلام فأسلم السني ابن ست بهجة الكاتب وغيره واعترف بعضهم على راهب دير الخندق أنه كان ينفق المال في عمل النفط للحريق ومعه أربعة فأخذوا وسمروا.

وانبسطت عند ذلك السنة الأمراء في كريم الدين أكرم الصغير وحصلت مفاوضة بين الأمير قطلوبغا الفخري وبين بكتمر الساقى بسبب كريم الدين الكبير لأن بكتمر كان يعتني به وبالداوين وكان الفخري يضع منه ومنهم.

قلت: ولأجل هذا راح كريم الدين الكبير من الدنيا على أقبح وجه وأخرب الله دياره بعد ذلك بقليل.

واستمر الفخري على رتبته بعد سنين عديدة.

قال: وصار مع كل من الأميرين جماعة وبلغ السلطان ذلك وأن الأمراء تترقب وقوع فتنة وصار السلطان إذا ركب إلى الميدان لا يرى في طريقه أحدًا من العامة لكثرة خوفهم أن يبطش السلطان بهم فلم يعجبه ذلك ونادى بخروج الناس للفرجة على الميدان ولهم الأمان والاطمئنان فخرجوا على عادتهم.

ثم لما كانت ليلة الأحد ثاني عشره وقع الحريق بالقاهرة واشتد أمره إلى أن طفىء.

وسافر كريم الدين الكبير إلى الإسكندرية وشدد على النصارى في لبسهم وركوبهم حتى يتقرب بذلك إلى خواطر العامة.

ثم تنكرت المماليك السلطانية على كريم الدين الكبير لتأخر جوامكهم شهرين وتجمعوا يوم الخميس ثامن عشرين صفر قبل الظهر ووقفوا بباب القصر.

وكان السلطان في الحريم فلما بلغه ذلك خشي منهم وبعث إليهم بكتمر الساقى فلم يلتفتوا إليه فخرج السلطان إليهم وقد صاروا نحو ألف وخمسمائة فعندما رآهم السلطان سبهم وأهانهم وأخذ العصا من مقدم المماليك وضرب بها رؤوسهم وأكتافهم وصاح فيهم: اطلعوا مكانكم فعادوا بأجمعهم إلى الطباق وعدت سلامة السلطان في هذه الواقعة من العجائب فإنه خرج إليهم في جماعة يسيرة من الخدام وهم غوغاء لأراس لهم ولا عقل ومعهم السلاح.

انتهى.

ثم أمر السلطان للنائب بعرضهم أعني المماليك فعرضهم في يوم السبت آخر صفر وأخرج منهم مائة وثمانين إلى البلاد الشامية فرقمهم على الأمراء وأخرج بعد ذلك جماعة منهم من الطباق إلى خرائب التتار بقلعة الجبل وضرب بعضهم بالمقارع هو وغلأمه لكونه شرب الخمر ضربًا قلت: لا شك يداه هذا وأبيك العمل ثم أنقص السلطان جوامك من بقي من مماليك الطباق ثم أخرج جماعة من خدام الطباق الطواشية أعني مقدمي الطباق وقطع جوامكهم وأنزلهم من القلعة لكونهم فرطوا في تربية المماليك.

ثم غير السلطان موضع دار العدل التي أنشأها الملك الظاهر بيبرس وهدمها وجعلها موضع الطبلخاناه الآن وذلك في شهر رمضان سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة.

ولما هدم الموضع المذكور وجد في أساسه أربعة قبور فنبشت فوجد بها رمم أناس طوال عراض وأحدها مغطاة بملاءة ديبقي ملونة إذا مس منها شيء تطاير لطول مكته وعليهم عدة القتال وبهم جراحات وفي وجه أحدهم ضربة سيف بين عينيه عليها قطن فعندما رفع القطن نبع الدم من تحته وشوهد الجرح كأنه جديد فنقلوا إلى بين العروستين وجعل عليهم مسجد.

وفي شعبان زوج الملك الناصر ابنته للأمير أبي بكر بن أرغون النائب الناصري وتولى العقد قاضي القضاة شمس الدين محمد بن الحريري الحنفي على أربعة آلاف دينار.

ثم قدم الملك المؤيد صاحب حماة على السلطان بالديار المصرية وتوجه في خدمة الملك الناصر إلى قوص بالوجه القبلي للصيد.

وعاد السلطان من قوص إلى جهة القاهرة في أول محرم سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة الموافق لرابع عشر طوبة ونزل بالجيزة وخلع على الملك المؤيد خلعة السفر.

ثم استدعى السلطان الحرير السلطاني إلى بر الجيزة فطرد سائر الناس من الطرقات وغلقت الحوانيت ونزلت خوند طغاي زوجة السلطان وأم ولده أنوك والأمير أيدغمش الأمير آخور كبير ماش يقود عنان فرسها بيده وحولها سائر الخدام مشاة منذ ركبت من القلعة إلى أن وصلت إلى النيل فعدت في الحراقة.

ثم استدعى السلطان الأمير بكتمر الساقى وغيره من الأمراء الخاصكية وحریمهم وأقام السلطان بالجيزة أيامًا إلى أن عاد إلى القلعة في خامس عشره وقد توقع كريمة الدين الكبير.

ثم قدم الحاج في سادس عشرين المحرم.

ثم عوفي كريمة الدين فخلع السلطان عليه خلعة أطلس بطرز زركش وكلفتاة زركش وحياسة ذهب فاستعظم الناس ذلك وبالغ السلطان في الإنعام.

على الأمراء الحكماء.

ثم بعد أيام قبض السلطان على كريمة الدين المذكور في يوم الخميس رابع عشر شهر ربيع الآخر وهو كريمة الدين عبد الكريم ابن المعلم هبة الله بن السيد ناظر الخواص ووكيل السلطان وعظيم دولته وأحيط بداره وصوره فوجد له شيء كثير جدًا ولازال في المصادرة إلى أن أفرج عنه في يوم الأربعاء رابع عشرين جمادى الآخرة وألزمه السلطان بإقامته بترتبه بالقرافة.

ثم إن السلطان أخرجه إلى الشوبك ثم نقله إلى القدس ثم طلب إلى مصر وجهز إلى أسوان وبعد قليل أصبح مشنوقًا بعمامته يعني أنه شنق نفسه وليس الأمر كذلك وقيل إنه لما أحس بقتله صلى ركعتين وقال: هاتوا عشنا سعداء وامتنا شهداء وكان الناس يقولون: ما عمل أحد مع أحد ما عمله الملك الناصر مع كريمة الدين: أعطاه الدنيا والآخرة ومعنى هذا أنه كان حكمه في الدولة ثم قتله والمقتول ظلمًا في الجنة.

وأصل كريمة الدين هذا كان من كتبة النصارى ثم أسلم كهلاً في أيام بيبرس الجاشنكير وكان كاتبه وكان الجاشنكير لا يصرف على الملك الناصر إلا بقلم كريمة الدين وكان الناصر إذ ذاك تحت حجر الجاشنكير ولما قتل بيبرس الجاشنكير اختفى كريمة الدين هذا مدة ثم طلع مع الأمير طغاي الكبير فأوقفه طغاي ثم دخل إلى السلطان وهو يضحك وقال له: إن حضر كريمة الدين أيش تعطيني ففرح السلطان وقال: أعندك هو أحضره فخرج وأحضره وقال له: مهما قال لك قل له: السمع والطاعة ودعني أدبر أمرك فلما مثل بين يدي السلطان قال له بعد أن استشاط غضبًا: أخرج واحمل ألف ألف دينار فقال: نعم وأراد الخروج فقال له السلطان: لا كثير احمل خمسمائة ألف دينارًا فقال له كما قال أولًا ولازال السلطان ينقصه من نفسه إلى أن ألزمه بمائة ألف دينار فلما خرج على أن يحمل ذلك قال له طغاي المذكور: " لا تصقع ذقنك وتحضر الجميع الآن ولكن هات منها

عشرة آلاف دينار ففعل ذلك ودخل بها إلى السلطان وصار يأتيه بالنقحة من ثلاثة آلاف دينار إلى ما دونها ولما بقي عليه بعضها أخذ طغاي والقاضي فخر الدين ناظر الجيش في إصلاح أمره ولازال بالسلطان حتى أنعم عليه بما بقي واستخدمه ناظر الخاص وهو أول من باشر هذه الوظيفة بتجمل ولم تكن تعرف أولًا ثم تقدم عند السلطان حتى صار أعز الناس عليه وحج مع خوند طغاي زوجة السلطان بتجمل زائد ذكرناه في ترجمته في المنهل الصافي وكان يخدم كل أحد من الأمراء الكبار المشايخ والخاصكية وأرباب الوظائف والجمدارية الصغار وكل أحد حتى الأوجاقية وكان يركب في خدمته سبعون مملوكًا بكنائيش عمل الدار وطرز ذهب والأمراء تركب في خدمته ومن جملة ما ناله من السعادة والوجاهة عند الملك الناصر أنه مرة طلبه السلطان إلى الدور فدخل عليه وبقيت خازندارة خوند طغاي تروح إليه وتجيء مرات فيما تطلبه خوند طغاي من كريم الدين هذا وطال الأمر فقال السلطان له: يا قاضي أبش حاجة لهذا التطويل بنتك ما تختبئ منك ادخل إليها أبصر ما تريد افعله لها فقام كريم الدين دخل إليها وقال لها السلطان: أبوك هنا أبصري له ما يأكل فأخرجت له طعامًا وقام السلطان إلى كرمة في الدار وقطع منها عنبًا وأحضره بيده وهو ينفخه من الغبار وقال: يا قاضي كل من عنب دارنا.

وهذا شيء لم يقع لأحد غيره مثله مع الملك الناصر وأشياء كثيرة من ذلك.

وكان حسن الإسلام كريم النفس قيل إنه كان في كل قليل يحاسب صيرفيه فيجد في الوصولات وصولات زور.

ثم بعد حين وقع بالمزور فقال له: ما حملك على هذا فقال: الحاجة فأطلقه وقال له: كلما احتجت إلى شيء اكتب به خطك على عادتك على هذا الصيرفي ولكن ارفق فإن علينا كلفًا كثيرة.

وكان إذا قال: نعم كانت نعم وإذا قال: لا فهي لا.

ولما قبض السلطان عليه خلع على الأمير آقوش نائب الكرك باستقراره في نظر اليمارستان المنصوري عوضًا عن كريم الدين المذكور.

فوجد آقوش حاصله أربعمئة ألف درهم.

ثم أمر السلطان فنودي في يوم الأربعاء سادس المحرم سنة خمس وعشرين.

وسبعمئة على الفلوس أن يتعامل الناس بها بالرطل على أن كل رطل منها بدرهمين ورسم بضرب فلوس زنة الفلوس منها درهم وثمان ف ضرب منها نحو مائتي ألف درهم فرقت على الناس.

ثم رسم السلطان بأن يكتب له كل يوم أوراق بالحاصل من تعلقات السلطنة والمصروف منها في كل يوم فصارت تعرض عليه كل يوم وبياشر ذلك بنفسه فتوفر مال كثير وشق ذلك على الدواوين.

ثم سافر السلطان إلى الوجه القبلي للصيد وعاد في ثالث عشر المحرم سنة خمس وعشرين وسبعمئة.

وفي هذه السنة قدم على الملك الناصر رسل صاحب اليمن ورسول صاحب اسطنبول ورسول الأشكري ورسول متملك سيس ورسول القان بوسعيد ورسول صاحب ماردين ورسول ابن قرمان ورسول متملك النوبة وكلهم يبذلون الطاعة.

وسأل رسل صاحب اليمن الملك المجاهد إنجاده بعسكر من مصر وأكثر من ترغيب السلطان في المال الذي باليمن فرسم السلطان بتجهيز العسكر إلى اليمن صحبة الأمير بيبرس الحاجب ومعه من أمراء الطبلخانا خمسة وهم: أقول الحاجب وقجماس الجوكندار وبلبان الصرخدي وبكتمر العلاني الأستاذار وألجاي الناصري الساقى ومن العشرات: عز الدين أيذر الكوندكي وشمس الدين إبراهيم التركماني وأربعة من مقدمي الحلقة و هؤلاء العسكر لهم مقدمة أخرى كالجاليش عليها الأمير سيف الدين طينال الحاجب ومعه خمسة من أمراء الطبلخانا وهم: الأمير ططر الناصري وعلاء الدين علي بن طغريل الإيغاني وجرباش أمير علم وأبيك الكوندكي وكوكاي طاز وأربعة من مقدمي الحلقة ومن العشرات بلبان الدواداري وطرنطاي الإسماعيلي والي باب القلعة ومن مماليك السلطان ثلاثمائة فارس ومن أجناد الحلقة تتمة ألف فارس وفرقت فيهم أوراق السفر وكتب بحضور العريان من الشرقية والغربية لأجل الجمال.

ثم خرج السلطان إلى سرياقوس على العادة في كل سنة وقبض على الأمير بكتمر الحاجب بها وعلى أمير آخر في يوم الخميس ثامن شهر ربيع الأول.

ثم قدم على السلطان الأمير تنكز ثم أنفق السلطان على الأمراء المتوجهين إلى اليمن فقط فحمل إلى بيبرس ألف دينار وإلى طينال ثمانمائة دينار ولكل أمير طبلخانا عشرة آلاف درهم ولكل من العشرات مبلغ ألفي درهم ولمقدمي الحلقة ألف درهم.

وحضر العريان.

وباعوا الأجناد موجودهم واكثروا الجمال فانحط سعر الدينار من خمسة وعشرين درهماً إلى عشرين درهماً من كثرة ماباعوا من الحلل والمصاغ.

ثم برزوا من القاهرة إلى بركة الحاج في يوم الثلاثاء عاشر شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وسافروا من البركة في يوم الخميس ثاني عشره.

ثم خرج السلطان إلى سرياقوس ومعه عدة من المهندسين وعين موضعاً على نحو فرسخ من ناحية سرياقوس ليبنى فيه خانقاه فيها مائة خلوة لمائة صوفي وبجانيتها جامع تقام فيه الخطبة ومكان برسم ضيافة الواردين وحمام ومطبخ وندب أق سنقر شاد العمائر لجمع الصناع.

ورتب أيضاً قصور سرياقوس برسم الأمراء والخاصكية وعاد فوقع الاهتمام في العمل حتى كملت في أربعين يوماً.

ثم اقتضى رأي السلطان حفر خليج خارج القاهرة ينتهي إلى سرياقوس ويرتب عليه السواقي والزراعات وتسير فيه المراكب في أيام النيل بالغلل وغيرها إلى القصور بسرياقوس.

قلت: وقد أدركت أنا بواقى هذه القصور التي كانت بسرياقوس وخربت في دولة الملك الأشرف برسباي في حدود سنة ثلاثين وثمانمائة وأخذ الأمير سودون بن عبد الرحمن أنقاضها وبنى بها جامع الذي بخانقاه سرياقوس فكان ذلك سبباً لمحو آثارها وكانت من محاسن الدنيا.

انتهى.

ثم إن الملك الناصر فوض عمل الخليج إلى الأمير أرغون النائب.

فنزل أرغون بالمهندسين إلى النيل إلى أن وقع الاختيار على موضع بموردة البلاط من أراضي بستان الخشاب ويقع الحفر في الميدان الظاهري الذي جعله الملك الناصر هذا بستانًا من سنيات وغرم عليه أموالاً جمّة ثم يمر الخليج المذكور على بركة قرموط إلى باب البحر ثم إلى أرض الطبالة ويرمي في الخليج الكبير.

وكتب إلى ولاة الأعمال بإحضار الرجال للحفر وعين لكل واحد من الأمراء أقصابًا بحفرها وابتدئ بالحفر من أول جمادى الأولى من سنة خمس وعشرين إلى أن تم في سلخ جمادى الآخرة من السنة.

وأخرب فيه أملاك كثيرة وأخذت قطعة من بستان الأمير أرغون النائب وأعطى السلطان ثمن ما خرب من الأملاك لأربابها والتزم فخر الدين ناظر الجيش بعمارة قنطرة برأس الخليج عند فمه.

قلت: وهي القنطرة المعروفة بقنطرة الفخر.

والتزم قديدار والي القاهرة بعمارة قنطرة تجاه البستان الذي كان ميدانًا للظاهر بيبرس البندقداري وأن قديدار أيضًا يتم قناطر الإوز وقناطر الأميرية فعمل ذلك كله.

فلما كان أيام النيل جرت السفن فيه وعمرت عليه السواقي وأنشئت بجانبه البساتين والأملاك.

ثم توجه السلطان في يوم الإثنين سادس جمادى الآخرة إلى خانقاه التي أنشأها بسرباقوس وخرجت القضاة والمشايخ والصوفية إليها وعمل لهم سماط عظيم في يوم الخميس تأسعه بالخانقاه المذكورة.

واستقر الشيخ مجد الدين أبو حامد موسى بن محمود الأقصرائي الذي كان شيخ خانقاه كريم الدين الكبير بالقرافة في مشيخة هم الخانقاه ورتب عنده مائة صوفي ورسم للشيخ مجد الدين المذكور بخلعة وأن يلقب بشيخ الشيوخ.

وأما العسكر الذي توجه إلى اليمن فإن السلطان كتب إلى أمراء الحجاز بالقيام في خدمة العسكر وتقدم كافور الشبلي خادم الملك المجاهد الذي قدم في الرسلية إلى زبيد ليعلم أستاذه الملك المجاهد بقدم العسكر وكتب لأهل حلي بني يعقوب الأمان وأن يجلبوا البضائع للعسكر.

ورحل العسكر في خامس جمادى الآخرة من مكة فوصل إلى حلي بني يعقوب في اثني عشر يومًا بعد عشرين من رحلة فتلقاهم أهلها ودهشوا لرؤية العساكر وقد طلبت ولبست السلاح وهموا بالفرار.

فنودي فيهم بالأمان وألا يتعرض أحد من العسكر لشيء إلا بثمنه فأطمأنوا وحملوا إلى كل من بيبرس وطينال من مقدمي العسكر مائة رأس من الغنم وخمسمائة إردب ذرة فرداها ولم يقبلوا لأحد شيئًا.

ورحلوا بعد ثلاثة أيام في العشرين منه.

فقدمت الأخبار على العسكر باجتماع رأي أهل زبيد على الدخول في طاعة الملك المجاهد خوفًا من العسكر وأنهم ثاروا بالتملك عليهم ونهبوا أمواله ففر عنهم فكتبوا للمجاهد بذلك فقوي ونزل من قلعة تعز يريد زبيد فكتب أمراء العسكر المصري إليه أن يكون على أهبة اللقاء.

فنزل العسكر زبيد ووافاهم المجاهد بجنده فسخر منهم العسكر المصري من كونهم عراة وسلاحهم الجريد والخشب وسيوفهم مشدودة على أذرعهم ويقاد للأمير فرس واحد مجلل وعلى رأس المجاهد عصا ملونة فوق العمامة.

فعندما عاين المجاهد العساكر المصرية وهي لابسة آلة الحرب رعب وهم أن يترجل فمنعه الأمير بيبرس وأقول من ذلك.

ومشى العسكر صفين والأمراء في الوسط حتى قربوا منه فألقى المجاهد نفسه هو ومن معه إلى الأرض فترجل له الأمراء أيضًا وأركبوه وأكرموه وأركبوه في الوسط وساروا إلى المخيم وألبسوه تشريقًا سلطانيًا بكلفتاة زركش وحياسة ذهب.

وركب والأمراء في خدمته والعساكر إلى داخل زبيد ففرح أهلها فرحًا شديدًا ومد المجاهد لهم سماطًا جليلًا فامتنع الأمراء والعساكر من أكله خوفًا من أن يكون فيه ما يخاف عاقبته واعتذروا إليه بأن هذا لا يكفي العساكر ولكن في غد يعمل السماط.

فأحضر لهم المجاهد ما يحتاجون إليه وتولى طباخو الأمراء عمل السماط وأصبح وقد حضر المجاهد وأمراؤه وقد مد السماط بين أيديهم وأحضر كرسي جلس عليه المجاهد فوق السقاة والنقباة والحجاب والجاشنكيرية على العادة ووقف الأمير بيبرس رأس الميمنة والأمير طينال رأس الميسرة فلما فرغ السماط صاحت الجاوشية على أمراء المجاهد وأهل دولته وأحضرهم وقرىء عليهم كتاب السلطان فباسوا بأجمعهم الأرض وقالوا: سمعًا وطاعة وكتب الأمير بيبرس لممالك اليمن بالحضور فحضروا.

ثم كتب لهم المجاهد بغنم وذرة واعتذر للأمراء والعساكر المصرية بعدم عمل الإقامة لهم بخراب البلاد فتوجه قصاد العسكر لأخذ الغنم والذرة وأقامت العساكر بزبيد فعادت قصادهم بغير غنم ولاذرة فرحلوا من زبيد في نصف رجب يريدون تعز فتلقاهم المجاهد ونزلوا خارج البلد وشكوا ما هم فيه من قلة الإقامة فوعدهم بالإنجاز.

ثم إن الأمراء كتبوا للملك الظاهر المقيم بدملوه وبعثوا له الشريف عطيفة أمير مكة وعز الدين الكوندي وكتب إليه المجاهد أيضًا يحثه على الطاعة.

وأقام العسكر في جهد فأغاروا على الضياع وأخذوا ما قدروا عليه فارتفع الذرة من ثلاثين درهمًا إلى تسعين وفقد الأك إلا من الفاكهة فقط لقلة الجالب واتهم أن ذلك بمواطأة المجاهد خوفًا من العسكر أن تملك منه البلاد.

ثم إن أهل جبل صبر قطعوا الماء عن العسكر وتخطفوا الجمال والغلمان وزاد أمرهم إلى أن ركب العسكر في أثرهم فامتنعوا بالجبل ورموا بالمقاليع على العسكر فرموهم بالنشاب وأتاهم المجاهد فخذلهم عن الصعود إلى الجبل فلم يلتفتوا إلى كلامه ونزلوا الجبل يومهم وقتل من العسكر أربعة من الغلمان وبات العسكر تحت الجبل.

فبلغ بيبرس أن المجاهد قرر مع أصحابه أن العسكر إذا صعدوا الجبل يضرمون النار في الوطاق وينهبون ما فيه فبادر بيبرس وقبض على بهاء الدين بهادر الصقري وأخذ موجوده

ووسطه قطعيتين وعلقه على الطريق ففرح أهل تعز بقتله وكان قد تغلب على زييد حتى طرده أهلها عند قدوم العسكر.

وعاد الشريف عطيفة والكوندكي من دملوه بأن الظاهر في طاعة السلطان.

ثم طلب العسكر من المجاهد ما وعد به السلطان الملك الناصر فأجاب بأنه لا قدرة له إلا بما في عملوه فأشهد عليه بيبرس قضاة تعز بذلك.

وارتحل العسكر إلى حلي بني يعقوب فقدمها في تاسع شعبان.

ورحلوا منها أول شهر رمضان إلى مكة فدخلوها في حادي عشره في مشقة زائدة.

وساروا من مكة يوم عيد الفطر إلى جهة مصر فقدموا بركة الحج أول يوم من ذي القعدة.

وطلع الأمراء إلى القلعة فخلع السلطان عليهم في يوم السبت ثالثه.

وقدم الأمير بيبرس هدية فأعزى الأمير طينال السلطان على الأمير بيبرس بأنه أخذ مالا من المجاهد وغيره وقصر في أخذ مملكة اليمن.

فلما كان يوم الاثنين تاسع عشره رسم السلطان بخروج بيبرس إلى نيابة غزة فامتنع لأنه كان بلغه ما قيل عنه وأن السلطان قد تغير عليه فقبض عليه السلطان وسجنه بالبرج من القلعة وقبض على حواشيه وصادرهم وعوقبوا على المال فلم يظهر شيء وسكت السلطان عن أحوال اليمن.

ثم في سنة ست وعشرين وسبعمائة استأذن الأمير أرغون النائب السلطان في الحج فأذن له فحج هو وولده ناصرالدين محمد.

وعادا من الحجاز إلى سرباقوس في يوم الأحد حادي عشر المحرم سنة سبع وعشرين وسبعمائة فقبض السلطان عليهما وعلى الأمير طينغا المجدي فأخذهم الأمير بكتمر الساقى عنده وسعى في أمرهم حتى أخرج في يوم الاثنين ثاني عشره يعني من الغد الأمير أرغون إلى نيابة حلب عوضا عن الأمير الطنغا وأخرج معه الأمير أيتمش المحمدي مسفره وتوجه الأمير ألجاي الدوادر إلى حلب لإحضار الأمير الطنغا نائبا وقرر السلطان مع كل من أيتمش وألجاي أن يكونا بمن معهما في دمشق يوم الجمعة ثالث عشرينه ولم يعلم أحد بما توجه فيه الآخر حتى توافيا بدمشق في يوم الجمعة المذكور.

وقد خرج الأمير تنكز نائب الشام إلى ميدان الحصى لتلقي الأمير أرغون فترجل كل منهما لصاحبه وسارا إلى جامع بني أمية فلما توسطاه إذا بألجاي ومعه الأمير الطنغا نائب حلب فسلم أرغون عليه بالإيماء.

فلما انقضت صلاة الجمعة عمل لهما الأمير تنكز سماطا جليلا فحضرا السماط.

ثم سار أرغون إلى حلب فوصلها في سلخ الشهر.

وسار الطنغا حتى دخل مصر في مستهل صفر فأكرمه السلطان وخلع عليه وأسكنه بقلعة الجبل وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف من جملة إقطاع أرغون النائب وكمل

السلطان من إقطاع أرغون أيضًا لطايرغا على إقطاعه إمرة مائة وتقدمة ألف فزادت التقدمة فصارت أمراء الألوف خمسة وعشرين مقدم ألف بالديار المصرية.

❖ وفي مستهل جمادى الأولى

قبض السلطان على الأمير بهاء الدين أصلم وعلى أخيه قرمجي وجماعة من القبجاقية وسبب ذلك أن أصلم عرض سلاح خاناته وجلس بإسطبله وألبس خيله ورتبها للركوب فوشى به بعض أعدائه بأنه قد عزم هو وأخوه قرمجي وجماعة القبجاق أن يهجموا على السلطان ويغيروا الدولة وكتب بواقعة أمره ورقة وألقاها إلى السلطان فلما وقف عليها السلطان تغير تغيرًا زائدًا وكانت عادته ألا يكذب في الشر خبرًا وبعث من فوره فسأل أصلم مع ألماس الحاجب عما كان يفعله أمس في إسطبله فذكر أنه اشترى عدة أسلحة فعرضها على خيله لينظر مايناسب كل فرس منها فصدق السلطان مانقل عنه وقبض السلطان عليه وعلى أخيه وعلى أهل جنسه وعلى الأمير قيران صهر قرمجي وعلى الأمير إتيكان أخي أقول الحاجب وسفروا إلى الإسكندرية مع الأمير صلاح الدين طرخان بن بيسري وبرلغي قريب السلطان وأفرد أصلم ببرج في القلعة.

ثم قدم الأمير حسين بن جندر من الشام الذي كان نفاه السلطان لما عمر جامعهم وفتح بابًا من سور القاهرة فلما مثل بين يدي السلطان خلع عليه خلعة أطلس بطرز زركش وكلفتاة زركش وحياسة مكوبجة وأنعم عليه بإقطاع أصلم في يوم الاثنين ثالث جمادى الآخرة.

وفيها عقد على الأمير قوصون الناصري عقد ابنة السلطان الملك الناصر بقلعة الجبل وتولى عقد النكاح قاضي القضاة شمس الدين محمد بن الحريري الحنفي.

ثم بعد مدة في سنة ثمان وعشرين عقد نكاح ابنة السلطان الأخرى على الأمير طغاي تمر العمري وأعفى السلطان في هذه المرة الأمراء من حمل الشموع وغيرها إلى طغاي تمر كما كانوا قد فعلوا مع قوصون وأنعم السلطان على طغاي تمر من خزائنه عوضًا عن ذلك بأربعة آلاف دينار.

ثم أفرج السلطان عن الأمير علم الدين سنجر الجاولي بعد أن اعتقل ثماني سنين وثلاثة أشهر وأحد عشر يومًا فكان فيها ينسخ القرآن وكتب الحديث.

وفي سنة ثمان وعشرين أيضًا عزم السلطان على أن يجري النيل تحت قلعة الجبل وبشق له من ناحية حلوان فبعث الصناع صبية شاد العمائر إلى حلوان وقاسوا منها إلى الجبل الأحمر المطل على القاهرة وقدروا العمل في بناء الواطي حتى يرتفع وحفر العالي ليجري الماء إلى تحت قلعة الجبل من غير نقل ولاكلفة.

ثم عادوا وعرفوا السلطان ذلك فركب وقاسوا الأرض بين يديه فكان قياس ما يحفر اثنتين وأربعين ألف قصبة حاكمية لتبقى خليجًا يجري فيه ماء النيل نثناء وصيفًا بسفح الجبل فعاد السلطان وقد أعجبه ذلك وشاور الأمراء فيه فلم يعارضه فيه أحد إلا الفخر ناظر الجيش فإنه قال: بمن يحفر السلطان هذا الخليج قال: بالعسكر قال: والله لو اجتمع عسكر آخر فوق العسكر السلطاني وأقام سنين ما قدروا على حفر هذا العمل فإنه يحتاج إلى ثلاث خزائن من المال ثم هل يصح أولًا فالسلطان لا يسمع كلام كل أحد ويتعب الناس ويستجلب دعاءهم ونحو ذلك من القول فرجع السلطان عن عمله.

وفيها أفرج السلطان عن الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية بشفاعة الأمير جنكلي بن البابا.

وفي يوم الاثنين سابع عشر جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وسبعمائة رسم السلطان بردم الجب الذي كان بقلعة الجبل لما بلغ السلطان أنه شنيع المنظر شديد الظلمة كره الرائحة وأنه يمر بالمحاييس فيه شدائد عظيمة فردم وعمر فوقه طباق للماليك السلطانية.

وكان هذا الجب عمل في سنة إحدى وثمانين وستمائة في أيام الملك المنصور قلاوون.

ثم في السنة المذكورة رسم السلطان للحاجب أن ينادي بالألبان مملوك تركي لكتاب ولا عامي ومن كان عنده مملوك فليبعه ومن عثر عليه بعد ذلك أن عنده مملوكًا فلا يلوم إلا نفسه.

وفيها عرض السلطان للماليك الطباق وقطع منهم مائة وخمسين وأخرجهم من يومهم ففرقوا بقلع الشام.

ثم خرج السلطان إلى سرياقوس في سابع عشرين من ذي الحجة على العادة في كل سنة وقدم عليه الأمير تنكز نائب الشام في أول المحرم سنة ثلاثين وسبعمائة وبالغ السلطان في إكرامه ورفع منزلته وقد تكرر قدوم تنكز هذا إلى القاهرة قبل تاريخه غير مرة ثم عاد إلى نيابته بدمشق في رابع عشر المحرم.

ثم في عشرين المحرم المذكور وصل إلى القاهرة الملك المؤيد إسماعيل صاحب حماة فبالغ السلطان أيضًا في إكرامه ورفع منزلته وخلع عليه.

ثم سافر السلطان في تاسع صفر إلى بلاد الصعيد للصيد على عادته ومعه المؤيد صاحب حماة ثم عاد بعد أيام قليلة لتوعك بدنه من رمد طلع فيه وأقام بالأهرام بالجيزة أيامًا ثم عاد وسافر إلى الصعيد حتى وصل إلى مصر في خامس شهر ربيع الآخر وسافر في ثامن المؤيد صاحب حماة إلى محل ولايته بعد أن غاب مع السلطان هذه الأيام الكثيرة.

ثم نزل السلطان من القلعة في خامس عشرين ربيع الآخر المذكور وتوجه إلى نواحي قليوب يريد الصيد فبينما هو في الصيد تقنطر عن فرسه فانكسرت يده وغشي عليه ساعة وهو ملقى على الأرض ثم أفاق وقد نزل إليه الأميران: أيدغمش أمير أخور وقماري أمير شكار وأركباه فأقبل الأمراء بأجمعهم إلى خدمته وعاد إلى قلعة الجبل في عشية الأحد ثامن عشرينه فجمع الأطباء والمجبرين لمداواته فتقدم رجل من المجبرين يعرف بابن بن بوسقة وتكلم بجفاء وعامية طباع وقال له: تريد تفيق سريعًا اسمع مني فقال له السلطان: قل ما عندك فقال: لاتخل يداويك غيري بمفردتي وإلا فسدت حال يدك مثلما سلمت رجلك لابن السيسى فأفسدها وأنا ما أخلي شهرًا يمضي حتى تتركب وتلعب بيدك الأكرة فسكت السلطان عن جوابه وسلم إليه يده فتولى علاجه بمفرده وبطلت الخدمة مئة سبعة وثلاثين يومًا.

وعوفي السلطان فزينت له القاهرة في يوم الأحد رابع جمادى الآخرة من السنة المذكورة وتفاخر الناس في الزينة بحيث إنه لم يعهد زينة مثلها وأقامت سبعة أيام هذا والأفراح عمالة بالقلعة وسائر بيوت الأمراء مدة الأسبوع فإن كل أمير متزوج إما بإحدى جوارى السلطان أو بناته وأكثرهم أيضًا مماليكه وكذلك البشائر والكوسات تضرب وأنعم السلطان على الأمراء وخلع عليهم.

ثم خرج السلطان إلى القصر الأبلق وفرق عدة مثالات على الأيتام وعمل سماطًا جليلاً وخلع على جميع أرباب الوظائف.

وأُنعِمَ على المَجبرِ بعِشرةِ آلافِ درهمٍ ورسمٍ له أن يَدورَ على جَميعِ الأَمراءِ فلم يَتأخَّرَ أحدٌ من الأَمراءِ عن إفاضةِ الخلعِ عليه وإعطائه المالَ فحصلَ له ما يَجَلُّ وصفه.

وتوجِهَ الأميرُ آقبغا عبد الواحد إلى البلادِ الشاميةِ مَبشَرًا بعافيةِ السلطانِ.

وفيها اشترى الأميرُ قوصونَ الناصريَ دارَ الأميرِ آقوشِ الموصلِيِ الحاجبِ المعروفِ بأقوشِ نَميلةٍ ثم عرفتَ ثانيًا بدارِ الأميرِ آقوشِ قتالَ السبعِ من أربابها واشترى أيضًا ما حولها وهدمَ ذلكَ كله وشرعَ في بناءِ جامعٍ فبعثَ السلطانُ إليه بِشادِ العمائرِ والأسرى لنقلِ الحجارةِ ونحوها فنجزتِ عمارتهِ في مدةٍ يسيرةٍ وجاءَ الجامعُ المذكورُ من أحسنِ المباني وهو خارجُ بابي زويلةٍ على الشارعِ الأعظمِ بالقربِ من بركةِ الفيلِ وتولى عمارتهِ منارتهِ رجلٌ من أهلِ تبريزِ أحضره الأميرُ أيتمشُ المحمديُّ معه فعملها على منوالِ موادنِ تبريزِ.

ولما كَمَلَ بناءُ الجامعِ أقيمتِ الجمعةُ فيه في يومِ الجمعةِ حادي عشرِ شهرِ رمضانِ سنة ثلاثينِ وسبعمائةٍ وخطبَ به يومئذٍ قاضي القضاةِ جلالُ الدينِ محمدُ الفزوينيُّ وخلعَ عليه الأميرُ قوصونَ بعد فراغِهِ وأركبَهُ بغلةً هائلةً.

وفي هذهِ السنةِ أيضًا ابتداءً علاءُ الدينِ مغلطايِ الجماليِ أحدَ المماليكِ السلطانيةِ في عمارَةِ جامعِ بينِ السورينِ من القاهرةِ وسمي جامعُ التوبةِ لكثرةِ ما كانَ هناكَ من الفسادِ وأقامَ به الخطبةَ.

ثم عادَ السلطانُ الملكُ الناصرُ على ما كانَ عليه من أولِ سنةِ إحدى وثلاثينِ وسبعمائةٍ من التوجهِ إلى الصيدِ على عادتهِ وقدمَ عليه موتُ الأميرِ أرغونِ الدوادارِ نائبِ حلبِ كانَ وهو بالصيدِ فخلعَ على الأميرِ الطنبغا الصالحيِ بِنِياةِ حلبِ عوضه.

ثم في يومِ السبتِ سابعِ عشرِ ذي الحجةِ ركبَ السلطانُ من القلعةِ إلى الميدانِ الذي استجدهِ وقد كَمَلتِ عمارتهِ.

وكانَ السلطانُ قد رسمَ في أولِ هذهِ السنةِ بهدمَ مناظرِ الميدانِ الظاهريِ الذي كانَ بابَ اللوقِ وتجديدِ عمارَةِ هذا الميدانِ الذي استجدهِ وفوضَ ذلكَ للأميرِ ناصرِ الدينِ محمدِ بنِ المحسنيِّ فهدمَ تلكَ المناظرِ وباعَ أخشابها بمائةِ ألفِ درهمٍ وألفي درهمٍ واهتمَّ في عمارَةِ جديدةٍ فكمَلَ في مدةِ شهرينِ وجاءَ من أحسنِ ما يكونُ فخلعَ السلطانُ عليه وفرقَ على الأَمراءِ الخيولَ المسرجةِ الملجمةَ.

وفي أولِ محرمِ سنةِ اثنتينِ وثلاثينِ وسبعمائةٍ قدمَ مبشرُ الحاجِ وأخبرَ بِسلامةِ الحاجِ وأنَّ الأميرَ مغلطايِ الجماليِ الأستادارَ على خطةٍ فعينَ السلطانُ عوضه في الأستاداريةِ الأميرَ آقبغا عبد الواحدِ.

ومات مغلطاي في العقبةِ وصبرَ وحملَ إلى أن دُفِنَ بمدرستهِ قريبًا من دربِ ملوخيا بالقاهرةِ بالقربِ من رحبةِ بابِ العيدِ.

ولبسَ آقبغا عبد الواحدِ الأستاداريةَ في يومِ الثلاثاءِ سادسِ عشرينِ المحرمِ.

ثم بعدَ أيامٍ خلعَ عليه السلطانُ بتقدمةِ المماليكِ السلطانيةِ مضافًا على الأستاداريةِ من أجلِ أن السلطانَ وجدَ بعضَ المماليكِ قد نزلَ من القلعةِ إلى القاهرةِ وسكرَ فُضِرَ السلطانُ كثيرًا من الطواشِيَةِ وطردَ كثيرًا منهم وأنكرَ على الطواشيِ مقدمِ المماليكِ وصرفه عن التقدمةِ بأقبغا هذا فضبطَ آقبغا المذكورَ طباقَ المماليكِ بالقلعةِ وضربَ عدةَ

منهم ضربًا مبرحًا أشرف منهم جماعة على الموت فلم يجسر بعد ذلك أحد أن يتجاوز طبقته إلى وفي يوم الاثنين ثالث عشرين صفر جمع السلطان الأمراء والقضاة والخليفة ليعهد بالسلطنة لابنه أنوك ويركب ولده أنوك بشعار السلطنة ثم انثنى عزمه عن ذلك في المجلس وأمر أن يلبس أنوك شعار الأمراء ولا يطلق عليه اسم السلطنة فركب وعليه خلة أطلس أحمر بطرز زركش وشربوش مكلل مزركش وخرج من باب القرافة والأمراء في خدمته حتى مر من سوق الخيل تحت القلعة ونزل عن فرسه وبأس الأرض وطلع من باب الإسطبل إلى باب السر وصعد منه إلى القلعة ونثرت عليه الدنانير والدرهم.

وخلع السلطان على الأمير ألماس الحاجب والأمير بيبرس الأحمدي وكان السلطان أفرج عن بيبرس المذكور قبل ذلك بمدة من السجن وخلع على الأمير أيدغمش أمير آخور الجميع خلع أطلس وخلع السلطان على جميع أرباب الوظائف ومد لهم سماط عظيم وعملت الأفراح الجليلة.

وعظم المهم لعقد أنوك المذكور على بنت بكتمر الساقية فعقد العقد بالقصر على صداق مبلغه من الذهب اثنا عشر ألف دينار المقبوض منه عشرة آلاف دينار وأنعم السلطان على ولده أنوك المذكور بإقطاع الأمير مغلطاي المتوفى بالعقبة.

ثم في عاشر شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة المذكورة قدم الملك الأفضل ناصرالدين محمد بن الملك المؤيد إسماعيل الأبوي صاحب حماة بعد وفاة أبيه الملك المؤيد بها وله من العمر نحو من عشرين سنة فأكرمه السلطان وأقبل عليه.

وكان والده لما توفي بحماة أخفى أهله موته وسارت زوجته أم الأفضل هذا إلى دمشق وترامت على الأمير تنكز نائب الشام وقدمت له جوهرًا باهرًا وسألته في إقامة ولدها الأفضل في سلطنة أبيه المؤيد بحماة.

فقبل تنكز هديتها وكتب في الحال إلى الملك الناصر بوفاة الملك المؤيد وتضرع إليه في إقامة ولده الأفضل مكانه.

فلما قدم البريد بذلك تأسف السلطان على الملك المؤيد وكتب للأمير تنكز بولايته وبتجهيز الأفضل المذكور إلى مصر فأمره تنكز في الحال بالتوجه إلى مصر فركب وسار حتى دخلها ومثل بين يدي السلطان.

وخلع عليه الملك الناصر في يوم الخميس خامس عشرين شهر ربيع الآخر بسلطنة حماة وركب الأفضل من المدرسة المنصورية بين القصرين وهو بشعار السلطنة وبين يديه الغاشية وقد نشرت على رأسه العصائب الثلاث منها واحد خليفتي أسود واثان سلطانيان أصفران وعليه خلة أطلسين بطراز ذهب وعلى رأسه شربوش ذهب وفي وسطه حياصة ذهب بثلاث بيكاريات.

وسار الأفضل في موكب جليل وطلع إلى القلعة وقبل الأرض بين يدي السلطان بالقصر.

ثم جلس وخلع السلطان على الأمراء الذين مشوا بخدمته وهم: الأمير ألماس الحاجب وبيبرس الأحمدي وأيدغمش أمير آخور وطغجي أمير سلاح وتمر رأس نوبة ألبمس كلاً منهم أطلسين بطراز ذهب.

ثم خلع على جماعة آخر وكان يومًا مشهودًا.

ولقبه السلطان بالملك الأفضل ثم جهزه إلى بلاده.

ثم حضر بعد ذلك تنكز نائب الشام إلى القاهرة ليحضر عرس ابن السلطان الأمير آنوك.

وشرع السلطان في عمل المهم من أوائل شعبان من سنة اثنتين وثلاثين وجمع السلطان من بالقاهرة ومصر من أرباب الملاهي واستمر المهم سبعة أيام بلياليها.

واستدعى حريم الأمراء للمهم فلما كانت ليلة السابع منه حضر السلطان على باب القصر وتقدم الأمراء على قدر مراتبهم واحدًا بعد واحد ومعهم الشموع فكان إذا قدم الواحد ما أحضره من الشمع قبل الأرض وتأخر حتى انقضت تقادهم فكان عدتها ثلاثة آلاف وثلاثين شمعة زنتها ثلاثة آلاف وستون قنطارًا فيها ما عني به ونقش نقشًا بديعًا تنوع في تحسينه وأحسنها شمع الأمير سنجر الجاولي فإنه اعتنى بأمره وبعث إلى عملها إلى دمشق فجاءت من أبداع شيء.

وجلس الأمير آنوك تجاه السلطان فأقبل الأمراء جميعًا وكل أمير يحمل بنفسه شمعة وخلفه مماليكه تحمل الشمع فيتقدمون على قدر رتبهم ويقبلون الأرض واحدًا بعد واحد طول ليلهم حتى كان آخر الليل نهض السلطان وعبر حيث مجتمع النساء فقامت نساء الأمراء بأسرهن وقبلن الأرض واحدة بعد أخرى وهي تقدم ما أحضرت من التحف الفاخرة حتى انقضت تقامهن جميعًا رسم السلطان برقصهن فرقصن عن آخرهن واحدة بعد واحدة والمغاني تضربن بالدفوف والأموال من الذهب والفضة والشقق الحرير تلقى على المغنيات فحصل لهن ما يجلب وصفه ثم زفت العروس.

وجلس السلطان من بكرة الغد وخلع على جميع الأمراء وأرباب الوظائف بأسرها ورسم لكل امرأة أمير بتعبية قماش على قدر منزلة زوجها وخلع على الأمير تنكز نائب الشام وجهاز صحبته الخلع لأمراء دمشق.

فكان هذا العرس من الأعراس المذكورة ذبح فيه من الغنم والبقر والخيول والإوز والدجاج ما يزيد على عشرين ألفًا وكمل فيه من السكر برسم الحلوى والمشروب ثمانية عشر ألف قنطار وبلغت قيمة ما حمله الأمير بكتمر الساقى مع ابنته من الشورة ألف ألف دينار قاله جماعة من المؤرخين.

ثم استهم السلطان إلى سفر الحجاز الشريف وسافر الأمير أيدير الخطيري أمير حاج المحمل في عشرين شوال من السنة ونزل السلطان من القلعة في ثاني عشر شوال وأقام بسرياقوس حتى سار منه إلى الحجاز في خامس عشرينه بعد ما قدم حرمه صحبة الأمير طغتمر في عدة من الأمراء.

واستتاب السلطان على ديار مصر الأمير سيف الدين ألماس الحاجب ورسم له أن يقيم بداره وجعل الأمير أقبغا عبد الواحد داخل باب القلعة عن قلعة الجبل لحفظ القلعة وجعل الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك بالقلعة وأمره ألا ينزل منها حتى يحضر وأخرج كل أمير من الأمراء المقيمين إلى إقطاعه ورسم لهم ألا يعودوا منها حتى يرجع السلطان من الحجاز.

وتوجه مع السلطان إلى الحجاز الملك الأفضل صاحب حماة ومن الأمراء: جنكلي بن البابا والحاج آل ملك وبيبرس الأحمدي وبهادر المعزي وأيدغمش أمير أخور وبكتمر الساقى وطقزدمر وسنجر الجاولي وقوصون وطايربغا وطغاي تمر وبشتاك وأرنبغا وطغجي وأحمد بن بكتمر الساقى وجركتمر بن بهادر وطيدمر الساقى وأقبغا أص الجاشنكير وطوغان الساقى وطقتمر الخازن وسوسون السلاح دار وتلك وبيبغا الشمسي وبيغرا

وقماري وتمر الموسوي وأيدمر أمير جاندار وييدمر البدري وطقيغا الناصري وأيتمش الساقى وإياز الساقى وألطنقش وأنس وأيدمر دقماق وطبيغا المجدي وخير بك وقطر أمير آخور وييدمر وأينبك وأيدمر العمري ويحيى بن طابيرغا ومسيعود الحاجب ونوروز وكجلي وبرلغي وبكجا ويوسف الدوادار وقطلقتمر السلاح دار وأناق وساطلمش وبغاتمر ومحمد بن جنكلي وعلي بن أيدغمش وألجا وأق سنقر وقرا وعلاء الدين علي بن هلال الدولة وتمريغا العقيلي وقماري الحسني وعلي بن أيدمر الخطيري وطقتمر اليوسفي و هؤلاء مقدمون وطلبخاناه.

ومن العشرات: علي بن السعيدي وصاروجا النقيب وأق سنقر الرومي وإياجي الساقى وسنقر الخازن وأحمد بن كجكن وأرغون العلائي وأرغون الإسماعيلي وتكا وقبجق ومحمد بن الخطيري وأحمد بن أيدغمش وطشباغ و قليجي.

وحج مع السلطان أيضًا قاضي القضاة جلال الدين الفزويني الشافعي وابن الفرات الحنفي وفخر الدين النويري المالكي وموفق الدين الحنبلي وكانوا أربعتهم ينزلون في خيمة واحدة فإذا قدمت لهم فتوى كتبوا عليها الأربعة وقدم السلطان الأمير أيتمش إلى عقبة أيلة ومعه مائة رجل من الحجازيين حتى وسعوا طريق العقبة وأزالوا وعرها ومن يومئذ سهل صعودها.

ولما قرب السلطان من عقبة أيلة بلغه اتفاق الأمير بكتمر الساقى على الفتك به مع عدة من المماليك السلطانية فتمارض السلطان وعزم على الرجوع إلى مصر ووافقه الأمراء على ذلك إلا بكتمر الساقى فإنه أشار بإتمام السفر وشنع عوده قبل الحج.

فعند ذلك عزم السلطان على السفر وسير ابنه آنوك وأمه خوند طغاي إلى الكرك صحبة الأمير ملكتمر السرجواني نائب

الكرك فإنه كان قدم إلى العقبة ومعه ابنا السلطان الملك الناصر: أبو بكر وأحمد اللذان كان والدهما الناصر أرسلهما إلى الكرك قبل تاريخه بسنين ليسكنا بها.

ثم مضى السلطان إلى سفره وهو محترز غاية التحرز بحيث إنه ينتقل في الليل عدة مرار من مكان إلى مكان ويخفي موضع مبيته من غير أن يظهر أحدًا على مافي نفسه مما بلغه عن بكتمر الساقى إلى أن وصل إلى ينبع.

فتلقاه الأشراف من أهل المدينة وقدم عليه الشريف أسد الدين رميثة من مكة ومعه قواده وحریمه فأكرمهم السلطان وأنعم عليهم وساروا معه إلى أن نزل على خليص فر منه نحو ثلاثين مملوكًا إلى جهة العراق فلم يتكلم السلطان.

وسار حتى قدم مكة ودخلها فأنعم على الأمراء وأنفق في جميع من معه من الأجناد والمماليك ذهبًا كثيرًا وأفاض على أهل مكة بالصدقات والإنعام.

فلما قضى النسك عاد يريد مصر وعرج إلى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فسار حتى وصلها فلما دخلها هبت بها ریح شديدة في الليل ألقن الخيم كلها وتزايد اضطراب الناس واشتدت ظلمة الجو فكان أمرًا مهولًا فلما كان النهار سكن الريح فظفر أمير المدينة بمن فر من المماليك السلطانية فخلع السلطان عليه وأنعم عليه بجميع ماكان مع المماليك من مال وغيره وبعث بالمماليك إلى الكرك فكان ذلك آخر العهد بهم.

ثم مرض الأمير بكتمر الساقى وولده أحمد فمات أحمد في ليلة الثلاثاء سابع المحرم سنة ثلاث وثلاثين وسبعمئة ومات أبوه الأمير بكتمر الساقى في ليلة الجمعة عاشر

المحرم بعد ابنه أحمد بيومين وحمل بكتمر إلى عيون القصب فدفن بها واتهم السلطان أنه سمهما.

وذلك أنه كان قد عظم أمر بكتمر بحيث إن السلطان كان معه في هذه السفرة ثلاثة آلاف ومائة عليقة ومع بكتمر الساقى ثلاثة آلاف عليقة وبلغت عدة خيوله الخاصة مائة طوالة بمائة سايس بمائة سطل وكان عليق خيول إسطبله دائماً ألفاً ومائة عليقة كل يوم ومع هذا لم يقنعه ذلك.

وأخذ يدبر في قتل السلطان وبلغ السلطان ذلك بعد أن خرج من القاهرة فتحرز على نفسه بدربة وعقل ومعرفة ودهاء ومكر حتى صار في أعظم حجاب من بكتمر وغيره.

ثم أخذ هو أيضاً يدبر على بكتمر وأخذ يلازمه في الليل والنهار بحيث أن بكتمر عجز في الطريق أن ينظر إلى زوجته فإنه كان إذا ركب أخذ يسايره بجانبه ويكالمه من غير جفاء وإذا نزل جلس معه فإن مضى إلى خيامه أرسل السلطان في الحال خلفه بحيث إنه استدعاه مرة وهو يتوضأ بواحد بعد آخر حتى كمل عنده اثنا عشر جمداً.

فلما ثارت الريح بالمدينة قصد السلطان قتل بكتمر وولده أحمد تلك الليلة.

وأعد لذلك جماعة فهجموا على ولده أحمد فلم يتمكنوا منه واعتذروا بأنهم رأوا حرامية وقد أخذوا لهم متاعاً فمروا في طلبهم فداخل الصبي منهم الفرع ثم زاد احتراز السلطان على نفسه ورسم للأمرء أن يناموا بمماليكهم على بابه.

ولما سار من المدينة عظم عنده أمر بكتمر فلما كان في أثناء الطريق سقى أحمد بن بكتمر ماء بارداً في مسيره كانت فيه منيته ثم سقى بكتمر بعد موت ولده مشروباً فلحق بابنه.

واشتهر ذلك حتى إن زوجة بكتمر لما ماتت صاحبت وقالت للسلطان بصوت سمعها كل أحد: يا ظالم أين تروح من الله ولدي وزوجي فأما زوجي كان مملوكك وولدي ايش كان بينك وبينه وكررت ذلك مراراً فلم يجيبها.

قلت: ولولا أن الملك الناصر سقى ولده أحمد قبله وإلا كانت حيلة الناصر لا تتم فإن بكتمر أيضاً كان احترز على نفسه وأعلم أصحابه بذلك.

فلما اشتغل بمصاب ابنه أحمد انتهز الملك الناصر الفرصة وسقاه في الحال.

وأيضاً لو بقي ولده ربما وثب حواشي بكتمر به على السلطان وهذا الذي قلته على الظن مني.

والله أعلم.

وبأتي أيضاً بعض ذكر بكتمر الساقى في الوفيات.

انتهى.

ثم وصل إلى القاهرة مبشر الحاج في ثامن المحرم سنة ثلاث وثلاثين تلك المظفري الجمداً وأخبر بسلامة السلطان فدقت البشائر وخلع عليه خلع كثيرة واطمأن الناس بعد ما كان بينهم أراجيف.

ثم وصل السلطان إلى الديار المصرية في يوم السبت ثامن عشر المحرم بعد ما خرج معظم الناس إلى لقائه ومد شرف الدين النشو شقاق الحرير والزريرفت من بين العروستين إلى باب الإسطبل فلما توسط بين الناس صاحت العوام: هو إياه ما هو إياه يا لله اكشف لنا لثامك وأرنا وجهك وكان قد تلثم فعند ذلك حسر اللثام عن وجهه فصاحوا بأجمعهم: الحمد لله على السلامة ثم بالغوا في إظهار الفرح به والدعاء له وأمعنوا في ذلك فسر السلطان بهذا الأمر ودخل القلعة ودقت البشائر وعملت الأفراح ثلاثة أيام.

وهذه حجة السلطان الملك الناصر الثالثة وهي التي يضرب بها المثل.

وجلس السلطان على كرسي الملك وخلع على الأمراء قاطبة.

وكان بلغ السلطان أن ألماس الحاجب كان اتفق مع بكتمر الساقى على الفتك بالسلطان.

قلت: وبكتمر وألماس كلاهما مملوكه ومشتراه.

انتهى.

ثم أخذ السلطان يدبر على ألماس حتى قبض عليه وعلى أخيه قرا في العشرين من ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين وحمل قرا من يومه إلى الإسكندرية.

وسبب معرفة السلطان اتفاق ألماس مع بكتمر أن الملك الناصر لما مات بكتمر الساقى صحبته بطريق الحجاز احتاط على موجوده فكان من جملة الموجود جزدان ففتح السلطان فوجد فيه جواً من الأمير ألماس إلى بكتمر الساقى يقول فيه: إنني حافظ القاهرة والقلعة إلى أن يرد علي منك ما أعتمده فتحقق السلطان أمره وقبض عليه ولما قبض السلطان على ألماس أخذ جميع أمواله وكان مالاً جزيلاً إلى الغاية فإنه كان ولي الحجوية وباشرها وليس بالديار المصرية نائب سلطنة فإن الملك الناصر لم يول أحداً معه بعد الأمير أرغون فعظم أمر ألماس في الحجوية لذلك فصار هو في محل النيابة وبركوبون الأمراء وينزلون في خدمته ويجلس في باب القلعة في منزلة النائب والحجاب والأمراء وقوف بين يديه.

وكان ألماس رجلاً طويلاً غتمياً لا يفهم بالعربية يفعل ذلك عامداً لإقامة الحرمة وبظهر البخل ولم يكن كذلك بل كان يفعل ذلك خوفاً من الملك الناصر فإنه كان يطلق ثم في سنة أربع وثلاثين وسبعمئة قدم تنكر إلى القاهرة وأقام بها أياماً ثم عاد إلى محل ولايته في يوم الخميس ثالث شهر رجب من سنة أربع وثلاثين وسبعمئة.

وفي هذه السنة أفرج السلطان عن الأمير بهاء الدين أصلم وعن أخيه قرمجي وعن بكتوت القرماني فكانت مدة اعتقال أصلم وقرمجي ست سنين وثمانية أشهر.

ثم خلع السلطان على الأمير آقوش الأشرفي المعروف بنائب الكرك بنياية طرابلس بعد موت قرطاي.

قلت: وإخراج آقوش نائب الكرك المذكور من مصر لأمر منها: صحبته مع ألماس ومنها ثقله على السلطان فإن السلطان كان يجله ويحترمه ويقوم له كلما دخل عليه لكبر سنه ومنها معارضته للسلطان فيما يرومه فأخرجه وبعث له بألف دينار وخرج معه برسبغا مسفراً له فلما أوصله إلى طرابلس وعاد خلع عليه السلطان واستقر به حاجباً صغيراً.

وخلع على الأمير مسعود بن أوجد بن الخطير بدر الدين واستقر حاجبًا كبيرًا عوضًا عن الماس.

وورد الخبر على السلطان من بغداد بأن صاحبها أمر النصارى بلبس العمائم الزرق واليهود الصفر اقتداء بالسلطان الملك الناصر بهذه السنة الحسنة.

وفي يوم الأحد رابع المحرم سنة خمس وثلاثين وسبعمئة قبض السلطان على الطواشي شجاع الدين عنبر السحرتي مقدم المماليك بسعاية النشو ناظر الخاص.

وأنعم بإقطاعه وهي إمرة طبلخاناه على الطواشي سنبل واستقر نائب مقدم المماليك.

وخلع على الأمير آقباغا عبد الواحد واستقر مقدم المماليك السلطانية مضافًا للأستادارية عوضًا عن عنبر السحرتي كما كان أولًا.

فلما تولى آقباغا مقدمة المماليك عرض الطبايق ووضع فيهم وضرب جماعة من السلاح دارية والجمدارية لامتناعهم عنه ونفاهم إلى صدد فأعجب السلطان ذلك.

وفي شهر رجب من سنة خمس وثلاثين أفرج السلطان عن الأمير بيبرس الحاجب وكان له في السجن من سنة خمس وعشرين.

وأفرج أيضًا عن الأمير طغلق التتاري وهو أحد الأمراء الأشرفية وكان له في السجن ثلاث وعشرون سنة فمات بعد أسبوع من قدومه.

قلت: لعله مات من شدة الفرح.

ثم أفرج السلطان عن الأمير غانم بن أطلس خان وكان له في السجن خمس وعشرون سنة وأفرج عن الأمير برلغي الصغير وله في السجن ثلاث وعشرون سنة وأفرج عن جماعة آخر وهم: أيدير اليونسي أحد أمراء البرجية المظفرية والأمير لاجين العمري والأمير طشتمر أخو بتخاص والأمير بيبرس العلمي وكان من أكابر الأمراء البرجية من حواشي المظفر بيبرس والأمير قطلوبك الأوجاقي والشيخ علي مملوك سلار والأمير تمر الساقى نائب طرابلس أحد المنصورية وكان قبض عليه سنة أربع عشرة والجميع كان حبسهم في ابتداء سلطنة الملك الناصر الثالثة بعد سنة عشر وسبعمئة.

وأنعم السلطان على تمر الساقى بطبلخاناه بالشام وأنعم على بيبرس الحاجب بإمرة في حلب وأنعم على طشتمر بإمرة بدمشق وعلى أيدير اليونسي وبلاط بإمرة في طرابلس.

ثم في يوم الخميس رابع شهر ربيع الأول أنعم السلطان على ولده أبي بكر بإمرة وركب بشربوش من إسطنبول الأمير قوصون وسار من الرميلى إلى باب القرافة فطلع إلى القلعة والأمراء والخاصكية في خدمته وعمل لهم الأمير قوصون مهمًا عظيمًا في إسطنبول.

ثم إن السلطان قبض على الأمير جمال الدين آقوش الأشرفي المعروف بنائب الكرك وهو يوم ذاك نائب طرابلس في نصف جمادى الآخرة وحبس بقلعة صرخد ثم نقل منها في مستهل شوال إلى الإسكندرية ونزل النشو إلى بيته بالقاهرة وأخذ موجوده وموجود حريمه وعاقب أستاداره.

واستقر عوضه في نيابة طرابلس الأمير طينال.

ثم اشتغل الملك الناصر بضعف مملوكه ومحبيه أطينغا المارداني وتولى تريضه بنفسه إلى أن عوفي فأحب أطينغا أن ينشئ له جامعًا تجاه ريع الأمير طغجي خارج باب زويلة واشترى عدة دور من أربابها بغير رضاهم فنذب السلطان النشو لعمارة الجامع المذكور فطلب النشو أرباب الأملاك وقال لهم: الأرض للسلطان ولكم قيمة البناء ولازال بهم حتى ابتاعها منهم بنصف ما في مكاتبهم من الثمن وكانوا قد أنفقوا في عمارتها بعد مشتراها جملة فلم يعتد لهم النشو منها بشيء.

وأقام النشو في عمارته حتى تم في أحسن هندام فجاء مصروفه ثلاثمائة ألف درهم ونيف سوى ما أنعم به عليه السلطان من الخشب والرخام وغيره.

وخطب به الشيخ ركن الدين عمر بن إبراهيم الجعبري من غير أن يتناول له معلومًا.

ثم جلس السلطان بدار العدل فوجد به رقعة تتضمن الوقعة في النشو وكثرة ظلمه وتسلط أقاربه على الناس وكثرة أموالهم وتعشق صهره ولي الدولة لشاب تركي.

وكان قبل ذلك قد ذكر الأمير قوصون للسلطان أن عميرًا الذي كان شغف به الأمير الماس قد ولع به أقارب النشو وأنفقوا عليه الأموال الكثيرة فلم يقبل السلطان فيه قول الأمراء لمعرفته لكرهتهم له فلما قرئت عليه القصة قال: أنا أعرف من كتبها واستدعى النشو ودفعها إليه وأعاد له مارماه به الأمير قوصون فحلف النشو على براءتهم من هذا الشاب وإنما هذا ومثله مما يفعله حواشي الأمير قوصون وقصد قوصون تغير خاطر السلطان علي وبكى وانصرف.

فطلب السلطان قوصون وأنكر عليه إصغائه لحواشيه في حق النشو فحلف قوصون أن النشو يكذب في حلفه ولئن قبض السلطان على الشاب وعوقب ليصدقن السلطان فيمن يعاشره من أقارب النشو فغضب السلطان وطلب أمير مسعود الحاجب وأمره بطلب الشاب وضربه بالمقارع حتى يعترف بجميع من يصحبه وكتابة أسمائهم وألزمه ألا يكتم عنه شيئًا فطلبه مسعود وأحضر المعاصير فأملى عليه الشاب عدة كثيرة من الأعيان منهم ولي الدولة فخشي مسعود على الناس من الفضيحة وقال للسلطان: هذا الكذاب ماترك أحدًا في المدينة حتى اعترف عليه وأنا أعتقد أنه يكذب عليهم وكان السلطان حشيم النفس يكره الفحش فقال لمسعود: يا بدر الدين من ذكر من الدواوين.

فقال: " والله يا خوند ما خلى أحدًا من خوفه حتى ذكره فرسم السلطان بإخراج عمير المذكور ووالده إلى غزة ورسم لنائبها أن يقطعها خبرًا بها.

وكان ذلك أول انحطاط قدر النشو عند السلطان.

ثم اتفق بعد ذلك أن طيغا القاسمي الناصري وكان يسكن بجوار النشو وله مملوك جميل الصورة فاعتشر به ولي الدولة وغيره من إخوة النشو فترصد أستاذه طيغا حتى هجم يومًا عليهم وهو معهم فأخذهم منهم وخرج.

وبلغ النشو ذلك فبادر بالشكوى إلى السلطان بأن طيغا القاسمي يتعشق مملوكه ويتلف عليه ماله وأنه هجم وهو سكران على بيتي وحريمي وقد شهر سيفه وبالغ في السب.

وكان السلطان يمقت على السكر فأمر في الحال بإخراج طيغا ومملوكه إلى الشام.

وكان السلطان مشغولًا في هذه الأيام بعمارة قناطر شبين القصر على بحر أبي المنجا فأنشئت تسع قناطر.

ثم توجه السلطان في شهر ربيع الآخر من سنة ست وثلاثين وسبعمئة إلى الوجه القبلي للصيد ثم عاد إلى القاهرة بعد أن غاب خمسة وأربعين يومًا كل ذلك وأمر النشو في إدبار بالنسبة لما كان عليه.

ثم جلس السلطان يومًا بالميدان فسقط عليه طائر حمام وعلى جناحه ورقة تتضمن الواقعة في النشو وأقاربه والقدح في السلطان بأنه قد أخرج دولته.

فغضب السلطان غضبًا شديدًا وطلب النشو وأوقفه على الورقة وتتمر عليه لكثرة ما شكى منه فقال النشو: يا خوند الناس.

معدورون وحق رأسك لقد جاءني خبر هذه الورقة ليلة كتبت.

وهي فعل المعلم أبي شاكر بن سعيد الدولة ناظر البيوت كتبها في بيت الصفي كاتب الأمير قوصون وقد اجتمع هذا وأقاربه في التدبير علي ثم أخذ النشو يعرف السلطان ما كان من أمر سعيد الدولة في أيام المظفر بيبرس الجاشنكير وأغراه به حتى طلبه وسلمه إلى الوالي علاء الدين علي بن المرواني فعاقبه الوالي عقوبة مؤلمة.

ثم طلب السلطان الأمير قوصون وعنفه بفعل الصفي كاتبه.

ثم تتبع النشو حواشي أبي شاكر وقبض عليهم وسلمهم إلى الوالي وخرّب بيوتهم وحرثها بالمحراث.

واشتدت وطأة النشو على الناس واستوحش الناس منه قاطبة وصار النشو يدافع عن نفسه بكل ما يمكن والمقادير تمهله.

ثم بدا للسلطان أن ينقل الخليفة من مناظر الكيش إلى قلعة الجبل فنقل في ثالث عشرين ذي القعدة من سنة ست وثلاثين والخليفة المستكفي بالله أبو الربيع سليمان.

وسكن الخليفة بالقلعة حيث كان أبوه الحاكم نازلًا ببرج السباع بعياله ورسم على الباب جاندار بالنوبة.

وسكن ابن عمه إبراهيم في برج بجواره بعياله ورسم عليه جاندار آخر ومنعا عن الاجتماع بالناس كل ذلك لأمر قيل.

ثم إن السلطان في سابع عشر محرم سنة سبع وثلاثين وسبعمئة عقد ابنه أبي بكر على ابنة الأمير سيف الدين طقزدمر الحموي الناصري أمير مجلس بدار الأمير قوصون.

ثم قدم الأمير تنكز نائب الشام ثاني شهر رجب من سبع وثلاثين المذكورة على السلطان وهو بسرباقوس فخلع عليه وسافر في ثاني عشرينه إلى محل ولايته.

ثم في هذه السنة زاد ظلم النشو على التجار ورمى على التجار الخشب بأضعاف ثمنه فكثرت الشكوى منه إلى أن توصل بعض التجار لزوجة السلطان خوند طغاي أم أنوك وقال لها: رمی علي النشو خشبًا يساوي ألفي درهم بألفي دينار فعرفت أم أنوك السلطان بذلك فأمر السلطان بطلب التاجر وقد اشتد غضبه على النشو.

وبلغ النشو الخبر ففي الحال أرسل النشو رجلًا إلى التاجر وسأله في قرض مبلغ من المال فعرفه التاجر أمر الخشب وما هو فيه من الغرامة فقال له الرجل: أرني الخشب

فإني محتاج إليه فلما رآه قال: هذا غرضي واشتراه منه بفائة ألف درهم إلى شهر وفرح التاجر بخلصه من الخشب وأشهد عليه بذلك.

وأخذ الرجل الخشب وأتى بالمعاقدة إلى النشو فأخذها النشو وطلع إلى السلطان من فوره وقال للسلطان: يا مولانا السلطان نزلت أخذ الخشب من التاجر فوجدته قد باعه بفائة ألف درهم فلم يصدق السلطان وعوق النشو وقد امتلأ عليه غضبًا فطلب السلطان التاجر وسأله عما رماه عليه النشو من الخشب فاغتر التاجر بأم أنوك وأخذ يقول: ظلمني النشو وأعطاني خشبًا بألفي دينار يساوي ألفي درهم فقال له السلطان: وأين الخشب فقال: بعته بالدين فقال النشو: قل الصحيح فهذه معاقدتك معه فلم يجد التاجر بدًا من الاعتراف فحنق عليه السلطان وقال له: ويلك تقيم علينا القالة وأنت تبيع بضاعتنا بفائة " وسلمه إلى النشو وأمره بضربه وأخذ الألفي دينار منه مع مثلها.

وعظم عنده النشو وتحقق حق مايقوله وأن الذي يحمل الناس على التكلم فيه الحسد.

ثم عبر السلطان إلى الحريم وسبهن وعرفهن بما جرى من كذب التاجر وصدق النشو وقال: مسكين النشو ما وجدت أحدًا يحبه.

▲ ثم أفرج السلطان عن الأمير طرنطاي المحمدي

بعد ما أقام في السجن سبعًا وعشرين سنة ثم في يوم الاثنين ثاني عشر رمضان ركب النشو على عادته في السحر إلى الخدمة فاعترضه في طريقه عبد المؤمن بن عبد الوهاب السلامي المعزول عن ولاية قوص فضربه بالسيف فأخطأ رأس النشو وسقطت عمامته عن رأسه وقد جرح كتفه وسقط على الأرض.

ونجا الفارس بنفسه وفي ظنه أن رأس النشو قد طاح عن بدنه لعظم ضربه.

وبلغ السلطان ذلك فغضب ولم يحضر السماط.

وبعث إلى النشو بعدة من الجمدارية والجرايحية فقطبت ذراعه بست إبر وجبينه باثنتي عشرة إبرة وألزم السلطان والي القاهرة ومصر بإحضار غريم النشو.

وأغلظ السلطان على الأمراء بالكلام ومازال يشدد ويحتد حتى عادت القصاد بسلامة النشو فسكن ما به ثم بعث النشو مع أخيه رزق الله إلى السلطان يعلمه بأن هذا من فعل الكتاب بموافقة لؤلؤ شاد الدواوين فطلب السلطان الوالي وأمره بمعاينة الكتاب الذين هم في المصادرة مع لؤلؤ حتى يعترفوا بغريم النشو وكان السلطان قد قبض على لؤلؤ وكتابه وصادره قبل تاريخه بموافقة النشو فنزل الوالي وعاقب لؤلؤًا وضربه ضربًا مبرحًا وعاقب المعلم أبا شاكر وقرموطًا عقابًا شديدًا فلم يعترفوا بشيء.

وعوفي النشو وطلع إلى القلعة وخلع السلطان عليه ونزل من القلعة بعد أن رتب السلطان المقدم إبراهيم بن أبي بكر بن شداد صابر أن يمشي في ركابه ومعه عشرة من رجاله في ذهابه وإيابه.

ثم قبض النشو بعد ذلك على تاج الدين بن الأزرق وصادره حتى فاشتراه منه الأمير عز الدين أيدمر الخطيري وكان بجانبه ساقية فهدم الخطيري الدار والساقية وعمرهما جامعًا بخط بولاق على شاطئ النيل.

قلت: وكان أصل موضع هذا الجامع المذكور أنه لما أنشئت العمائر ببولاق عمر الحاج محمد بن عز الفراش بجوار الساقية المذكورة دارًا على النيل ثم انتقلت بعد موته إلى ابن الأزرق هذا فكانت تعرف بدار الفاسقين من كثرة اجتماع النصارى بها على مالا يرضي الله تعالى.

فلما صادره النشو باعها فيما باعه فاشتراها الخطيري بثمانية آلاف درهم وهدمها وبنى مكانها ومكان الساقية جامعًا أنفق فيه أموالًا جزيلة في أساساته مخافة من زيادة النيل وأخذ أراضي حوله من بيت المال وأنشأ عليها الحوانيت والرباع والفنادق.

فلما تم بناؤه قوي عليه ماء النيل فهدم جانبًا منه فأنشأ تجاهه زريبة رمى فيها ألف مركب موسوقة بالحجارة قاله الشيخ تقي الدين المقرئ رحمه الله وهو حجة فيما ينقله.

لكن أقول: لعله وهم في هذا وأراد أن يقول: وسق ألف مركب بالحجارة فسبق قلمه بما ذكرناه قال: وسمي هذا الجامع بجامع التوبة وجاء في غاية الحسن.

فلما أفرج عن بن الأزرق من المصادرة ادعى أنه كان مكرها في بيع داره فأعطاه الأمير أيدمر الخطيري ثمانية آلاف درهم أخرى حتى استرضاه ولا يكون جامع بني في أرض مكرهة انتهى.

وقد خرجنا عن المقصود ولنرجع إلى أمر الملك الناصر.

وأما النشو فإنه لا زال على بن الأزرق هذا حتى قبض عليه ثانيًا وعاقبه حتى مات وذلك في سنة سبع وثلاثين وسبعمئة.

ثم في سنة ثمان وثلاثين وسبعمئة أنعم السلطان الملك الناصر في يوم واحد على أربعة من مماليكه بمائتي ألف دينار مصرية وهم: قوصون وألطنبغا المارداني وملكتمر الحجازي وبشتك.

وفي هذه السنة ولد للسلطان ابنه صالح من بنت الأمير تنكز نائب الشام فعمل لها السلطان بشخاناه ودائر بيت زركش وتكملة البذلة من المخدات والمقاعد بمائتي ألف دينار وأربعين ألف دينار وعمل لها الفرحة سبعة أيام.

وفي هذه السنة وقع للملك الناصر غريبة وهو أنه استدعى من بلاد الصعيد بألفي رأس من الضأن واستدعى من الوجه البحري بمثلها لتتمة أربعة آلاف رأس.

وشرع السلطان في عمل حوش برسمها وبرسم الأبقار البلق فوق اختياره على موضع بقلعة الجبل مساحته أربعة أفدنة قد قطعت منه الحجارة لعمارة القاعات التي بالقلعة حتى صار غورًا عظيمًا فطلب كاتب الجيش ورتب على كل من الأمراء المقدمين مائة رجل ومائة دابة لنقل التراب وعلى كل من أمراء الطبلخاناه بحسب حاله.

وأقام الأمير آقبا عبد الواحد شادًا وأن يقيم معه من جهة كل أمير استاداره بعدة من جنده وألزم الأسرى بالعمل.

ورسم لوالي القاهرة بتسخير العامة.

فنصب الأمير آقبا خيمته على جانب الموضع واستدعى استادارية الأمراء واشتد عليهم فلم يمض ثلاثة أيام حتى حضرت إليه رجال الأمراء من نواحيهم ونزل كل أستاذار بخيمته ومعه دوابه ورجاله فقسمت عليهم الأرض قطعًا معينة لكل واحد منهم فجدوا في العمل ليلاً ونهارًا.

واستحثهم آقبا المذكور بالضرب وكان ظالمًا غشومًا فعسف بالرجال وكلفهم السرعة في أعمالهم من غير رخصة ولا مكنهم من الاستراحة.

وكان الوقت صيفًا حارًا فهلك جماعة كثيرة منهم في العمل لعجز قدرتهم عما كلفوه.

ومع ذلك كله والولاء تسخر من تظفر به من العامة وتسوقه إلى العمل فكان أحدهم إذا عجزوا ألقى بنفسه إلى الأرض رمى أصحابه عليه التراب فيموت لوقته.

هذا والسلطان يحضر كل يوم حتى ينظر العمل.

وكان الأمير الطنبا المارداني قد مرض وأقام أيامًا بالميدان على النيل حتى عوفي وطلع إلى القلعة من باب القرافة فاستغاث به الناس وسألوه أن يخلصهم من هذا العمل فتوسط لهم عند السلطان حتى أعفى الناس من السخر وأفرج عمن قبض عليه منهم.

فأقام العمل ستة وثلاثين يومًا إلى أن فرغ منه وأجريت إليه المياه وأقيمت به الأغنام المذكورة والأبقار البلق وبنيت به بيوت للإوز وغيرها.

قلت: لعل هذا الموضع يكون هو الحوش الذي يلعب فيه السلطان بالكرة تحت قاعة الدهيشة.

والله أعلم.

وعند فراغ هذا الحوش استدعى السلطان الأمراء وعمل لهم سماطًا جليلاً وخلع على جماعة ممن باشر العمل وغيرهم.

ثم أنشأ السلطان لمملوكيه: الأمير يلغا اليحياوي والأمير الطنبا المارداني لكل منهما قصرًا تجاه حمام الملك السعيد بركة خان قريبًا من الرميطة تجاه القلعة وأخذ من إصطبل الأمير أيدغمش أمير آخور قطعة ومن إصطبل الأمير قوصون قطعة ومن إصطبل طشتمر الساقى قطعة ونزل السلطان بنفسه حتى قرر أمره.

ورسم السلطان للأمير قوصون أن يشتري الأملاك التي حول إصطبله ويضيفها فيه.

ثم أمر السلطان أن يكون بابا الإصطبلين اللذين أمر بإنشائهما ليلغا وألطنبا تجاه حمام الملك السعيد.

وأقام الأمير آقبا عبد الواحد شاد عمارة القصرين والإصطبلين المذكورين.

قلت: أما إصطبل قوصون فهو البيت المعد لسكن كل من صار أتابك العساكر في زماننا هذا الذي بابه الواحد تجاه باب السلسلة.

وأما بيت طشتمر الساقى حمص أخضر فهو البيت الذي الآن على ملك الأمير جرياش المحمدي الأتابك الذي بابه الواحد من حدره البقر.

وبيت أيدغمش أمير آخور لعله يكون بيت منجك اليوسفي الذي هو الآن على ملك تمرغا الظاهري رأس نوبة النوب.

وأما القصران والإسطبلان اللذان عمرهما السلطان ليلغا اليحياوي وألطنبغا المارداني فقد أخذهما السلطان حسن وجعل مكانهما مدرسته المعروفة بمدرسه السلطان حسن تجاه قلعة الجبل.

والله أعلم.

وفي هذه السنة أعني سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة عمل السلطان جسرًا بالنيل على جسر بن الأثير وحفر الخليج الكبير المعروف بخليج الخور.

وسببه أن النيل قوي على ناحية بولاق وهدم جامع الخطيري حتى احتاج أيدمر الخطيري لتجديده فرسم السلطان للسكان على شاطئ النيل بعمل زراعي لجميع ملاك الدور بالقرب من فم الخور وألا يؤخذ منهم عليها حكر فبنى صاحب كل دار زريبة تجاه داره فلم يفد ذلك شيئًا.

فكتب السلطان بإحضار مهندسي البلاد القبلية والبحرية فلما تكاملوا ركب السلطان إلى النيل وهم معه وكشف البحر فاتفق الرأي على أن يحفر الرمل الذي بالجزيرة المعروفة بجزيرة أروى أعني الجزيرة الوسطى حتى يصير خليجًا يجري فيه الماء ويعمل جسر وسط النيل يكون سدًا يتصل بالجزيرة يعني من الروضة إلى الجزيرة الوسطانية فإذا كانت زيادة النيل جرى الماء في الخليج الذي حفر وكان قدامه سد عال يرد الماء إليه حتى يتراجع النيل عن بر بولاق والقاهرة إلى بر ناحية منبابة.

وعاد السلطان إلى القلعة وخرجت البرد من الغد إلى الأعمال بإحضار الرجال للعمل صحبة المشدين وطلبت الحجارون بأجمعهم لقطع الحجارة من الجبل وكانت تلك الحجارة تحمل إلى الساحل وتملاً بها المراكب وتغرق وهي ملأنة بالحجارة حيث يعمل الجسر.

فلم يمض عشرة أيام حتى قدمت الرجال من النواحي وتسلمهم آقبغا عبد الأحد والأمير برسبغا الحاجب.

ورسم السلطان لوالي القاهرة ولوالي مصر بتسخير العامة للعمل فركبا وقبضا على عدة كثيرة منهم وزادوا في ذلك حتى صارت الناس تؤخذ من المساجد والجوامع والأسواق فتستر الناس ببيوتهم خوفًا من السخرة.

ووقع الاجتهاد في العمل واشتد الاستحثاث فيه حتى إن الرجل كان يخر إلى الأرض وهو يعمل لعجزه عن الحركة فتروم رفقته عليه الرمل فيموت من ساعته.

واتفق هذا لخلائق كثيرة وآقبغا عبد الواحد راكب في حراقة يستعجل المراكب المشحونة بالحجارة والسلطان ينزل إليهم في كل قليل ويباشرهم ويغلظ على آقبغا ويحرضه على السرعة واستنهاض العمال حتى كمل في مدة شهر بعد أن غرق فيه اثنتا عشرة مركبًا بالحجارة وسق كل مركب ألف إردب.

وكانت عدة المراكب التي أشحنت بالحجارة المقطوعة من الجبل ورميت في البحر حتى صار جسرًا يمشي عليه ثلاثًا وعشرين ألف مركب حجر سوى ما عمل فيه من آلات الخشب والسرياقات والحلفاء ونحو ذلك.

وحفر الخليج بالجزيرة فلما زاد النيل جرى في الخليج المذكور وتراجع الماء حتى قوي على بر منبابة وبر بولاقي التكروري فسر السلطان والناس قاطبة بذلك فإن الناس كانوا على تخوف كبير من النيل على القاهرة.

وأنفق السلطان على هذا العمل من خزانته أموالاً كثيرة.

كل ذلك في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة المذكورة.

فلما استهلقت سنة تسع وثلاثين وسبعمائة حضر فيها الأمير تنكز نائب الشام ورسم بسكناه في داره بالكافوري على عادته وخلع عليه خلعة الاستمرار على نيابة دمشق.

وبعد أيام تكلم تنكز في يلغا نائب حلب فعزله السلطان عن نيابة حلب وأنعم عليه بنيابة غزة.

وقدم تنكز في هذه المرة للسلطان مقدمة عظيمة تجل عن الوصف فيها من صنف الجواهر فقط ما قيمته ثلاثون ألف دينار ومن الزركش عشرون ألف دينار ومن أواني البلور وتعابي القماش والخيل والسروج والجمال البخاتي ما قيمته مائتان وعشرون ألف دينار مصرية فلما انقضت المقدمة أخذ السلطان تنكز وأدخله إلى الدور السلطانية حتى رأى ابنته زوجة السلطان فقامت إليه وقبلت يده ثم أخرج السلطان إليه جميع بناته وأمرهن بتقيل يد تنكز المذكور وهو يقول لهن واحدة بعد واحدة: بوسي يد عمك ثم عين منهن بنتين لولدي الأمير تنكز فقبل تنكز الأرض وخرج من الدور والسلطان يحادثه.

وأمر السلطان بالاهتمام إلى سفر الصعيد للصيد على عادته وتنكز صحبته وكان من إكرامه له في هذه السفارة ما لا عهد من ملك مثله.

فلما عاد السلطان من الصعيد أمر النشو بتجهيز كلفة عقد ابني تنكز على ابنتيه وكلفة سفر تنكز إلى الشام فجهز النشو ذلك كله وعقد لابني تنكز على ابنتي السلطان في بيت الأمير قوصون لكون قوصون أيضاً متزوجاً بإحدى بنات السلطان بحضرة القضاة والأمراء.

ثم ولدت بنت الأمير تنكز من السلطان بنتاً فسجد شكراً لله بحضرة السلطان وقال: يا خوند كنت أتمنى أن يكون المولود بنتاً.

فإنها لو وضعت ذكراً كنت أخشى من تمام السعادة فإن السلطان قد تصدق علي بما غمرني به من السعادة فخشيت من كمالها.

ثم جهز السلطان الأمير تنكز وأنعم عليه من الخيل والتعابي القماش ما قيمته مائة وعشرون ألف دينار.

وأقام تنكز في هذه المرة بالقاهرة مدة شهرين.

فلما وادع السلطان سألته إعفاء الأمير كجكن من الخدمة وأشياء غير ذلك فأجابته إلى جميع ما سألته.

وكتب له تقليداً بتفويض الحكم في جميع الممالك الشامية بأسرها وأن جميع نوابها تكتابه بأحوالها وأن تكون مكاتيبه: أعز الله أنصار المقر الشريف بعد ما كانت: أعز الله أنصار الجناب وأن يزداد في ألقابه: الزاهدي العابدي العالمي كافل الإسلام أتابك الجيوش.

وأنعم السلطان على مغنية قدمت معه من دمشق من جملة مغانيه بعشرة آلاف درهم وحصل لها من الدور ثلاث بذلات زركش وثلاثون تعبية قماش وأربع بذلات مقانع وخمسائة دينار.

ثم كان آخر ما قال السلطان لتتكز: إيش بقي لك حاجة أو بقي في نفسك شيء أقضيه لك قبل سفرك.

فقبل الأرض وقال: والله ياخوند ما بقي في نفسي شيء أطلبه إلا أن أموت في أيامك فقال السلطان: لا إن شاء الله تعيش أنت وأكون أنا فداءك أو أكون بعدك بقليل فقبل الأرض وانصرف وقد حسده سائر الأمراء وكثر حديثهم فيما حصل له من الإكرام الزائد.

فاتفق ما قال السلطان فإنه لم يقم بعد موت تنكز إلا مدة قليلة.

وأما أمر النشو فإنه لم يزل على الظلم والعسف في الرعية والأقدار تساعده إلى أن قبض عليه السلطان الملك الناصر في يوم الاثنين ثاني صفر سنة أربعين وسبعمئة وعلى أخيه شرف الدين رزق الله وعلى أخيه المخلص وعلى مقدم الخاص ورفيقه.

وسبب ذلك أنه زاد في الظلم حتى قل الجالب إلى مصر وذهب أكثر أموال التجار لطرح الأصناف عليهم بأعلى الأثمان وطلب السلطان الزيادة فخاف النشو العجز فرجع عن ظلم العام إلى الخاص ورتب مع أصحابه ذلك.

وكانت عادته في كل ليلة أن يجمع إخوته وصهره ومن يثق به للنظر فيما يحدثه من المظالم فيقترح كل منهم ما يقترحه من المظالم ثم يتفرقون.

فرتبوا في ليلة من الليالي أوراقًا تشتمل على فصول يتحصل منها ألف دينار عيّنًا وقرأها على السلطان: منها التقاوي السلطانية المخلاة بالنواحي من الدولة الظاهرية بپيرس والمنصورية فلاوون في إقطاعات الأمراء والأجناد وجملتها مائة ألف إردب وستون ألف إردب سوى ما في بلاد السلطان من التقاوي ومنها الرزق الأحباسية الموقوفة على المساجد والجوامع والزوايا وغير ذلك وهي مائة ألف فدان وثلاثون ألف فدان.

وقرر النشو مع السلطان أن يأخذ التقاوي المذكورة وأن يلزم كل متولي إقليم باستخراجها وحملها وأن يقيم شادًا يختاره لكشف الرزق الأحباسية فما كان منها على موضع عامر بذكر الله يعطيه نصف ما يحصل ويأخذ من مزارعيه في النصف الآخر عن كل فدان مائة درهم.

قلت: ولم يصح ذلك للنشو وصح مع أستاذار زماننا هذا زين الدين يحيى الأشقر قريب بن أبي الفرج لما كان ناظر المفرد في أستاذارية قزطوغان فإنه أحدث هذه المظلمة في دولة الملك الظاهر ودامت في صحيفته إلى يوم القيامة فأقول: كم ترك الأول للآخر.

انتهى.

قال: ويلزم المزارع بخراج ثلاث سنين وما كان من الرزق على موضع خراب أو على أهل الأرياف من الفقهاء والخطباء ونحوهم أخذوا واستخرج من مزارعيه خراج ثلاث سنين.

ومما أحدثه أيضًا أرض جزيرة الروضة تجاه مدينة مصر فإنها بيد أولاد الملوك فيستأجرها منهم الدواوين وينشئون بها سواقي الأقباب وغيرها.

ومنها ما باعه أولاد الملوك بأبخس الأثمان.

وقرر النشو مع السلطان أخذ أراضي الروضة للخاص.

ومنها

▲ أرباب الرواتب السلطانية

فإن أكثرهم عبيد الدواوين ونساؤهم وغلماهم يكتبونها باسم زيد وعمرو وذكر النشو للسلطان أشياء كثيرة من هذه المقولة إلى أن تعرض للأمير أقبغا عبد الواحد ولأمواله وحواسله وحسن للسلطان القبض عليه وشرع في عمل ماقاله.

فعظم ذلك على الناس وتراموا على خواص السلطان من الأمراء وغيرهم فكلموا السلطان في ذلك وعرفوه قبح سيرة النشو وما قصده إلا خراب مملكة السلطان ثم رميت للسلطان عدة أوراق في حق النشو فيها مكتوب: السريع أمعنت في الظلم وأكثرته وزدت يانشو على العالم ترى من الظالم فيكم لنا فلعنة الله على الظالم وأبيات آخر.

وكان السلطان أرسل قرمجي إلى تنكز لكشف أخبار النشو بالبلاد الشامية فعاد بمكاتبات تنكز بالحط عليه وذكر قبح سيرته وظلمه وعسفه.

وكان النشو قد حصل له قولنج انقطع منه أيامًا.

ثم طلع إلى القلعة وأثر المرض في وجهه وقرر مع السلطان إيقاع الحوطة على أقبغا عبد الواحد من الغد وكان ذلك في أول يوم من صفر.

وتقرر الحال على أنه يجلس النشو على باب الخزانة فإذا خرج الأمير بشتك من الخدمة جلس معه ثم يتوجهان إلى بيت أقبغا ويقبضان عليه.

فلما عاد النشو إلى داره عبر الحمام ليلة الاثنين ومعه شمس الدين محمد بن الأكفاني وقد قال له بن الأكفاني بأن عليه في هذا الشهر قطعًا عظيمًا فأمر النشو بعض عبيده السودان أن يحلق رأسه ويجرحه بحيث يسيل الدم على جسده ليكون ذلك حظه من القطع ففعل به ذلك وتباشروا بما دفع الله عنه من السوء.

ثم خرج النشو من الحمام وكان الأمير يلغا اليحياوي أحد خواص السلطان ومماليكه قد توعك جسده توعكًا صعبًا فقلق السلطان عليه وأقام عنده لكثرة شغفه به فقال له يلغا فيما قال: ياخوند قد عظم إحسانك لي ووجب نصحك علي والمصلحة القبض على النشو وإلا دخل عليك الدخيل فإنه ما عندك أحد من مماليكك إلا وهو يترقب غفلة منك وقد عرفتك ونصحتك قبل أن أموت وبكى.

وبكى السلطان لبكائه وقام السلطان وهو لا يعقل لكثرة ما داخله من الوهم لثقتة بمحبة يلغا له وطلب بشتك في الحال وعرفه أن الناس قد كرهوا هذا النشو وأنه عزم على الإيقاع به فخاف بشتك أن يكون ذلك امتحانًا من السلطان ثم وجد عزمه قويًا في القبض عليه فاقترض الحال إحضار الأمير قوصون أيضًا فحضر وقوي عزم السلطان على ذاك وما زال به حتى قرر معهما أخذه والقبض عليه.

وأصبح النشو وفي ذهنه أن القطع الذي تخوف منه قد زال عنه بما دبره ابن الأكفاني من إسالة دمه.

ثم علق عليه عدة من العقود والطلسمات والحروز وركب إلى القلعة وجلس بين يدي السلطان على عادته وأخذ معه في الكلام على القبض على آقبا عبد الواحد فأمره السلطان أن يجلس على باب خزانة القصر حتى يخرج إليه الأمير بشتك ثم يمضيا لإيقاع الحوطة على موجود آقبا عبد الواحد ثم نهض النشو وتوجه إلى باب الخزانة وجلس عليها ينتظر مواعدة بشتك.

فعندما قام النشو طلب السلطان المقدم بن صابر وأسر إليه أن يقف بجماعته على باب القلعة وعلى باب القرافة ولا يدعوا أحدًا من حواشي النشو وجماعته وأقاربه وإخوته أن ينزلوا ويقبضوا عليهم الجميع.

وأمر السلطان بشتك وبرزبا الحاجب أن يمضيا إلى النشو ويقبضا عليه وعلى أقاربه.

فخرج بشتك وجلس بباب الخزانة وطلب النشو من داخلها فظن النشو أنه جاء لميعاده مع السلطان حتى يحتاطا على موجود آقبا فساعة ما وقع بصره عليه أمر مماليكه بأخذه فأخذه إلى بيته بالقلعة وبعث إلى بيت الأمير ملكتمر الحجازي فقبض على أخيه رزق الله ثم أخذ أخاه المخلص وسائر أقاربه.

وطار الخبر في القاهرة ومصر فخرج الناس كلهم كأنهم جراد منتشر.

وركب الأمير آقبا عبد الواحد والأمير طيغا المجدي والأمير بيغرا والأمير برسيغا لإيقاع الحوطة على بيوت النشو وأقاربه وحواشيه ومعهم عدوه جمال الكفاة كاتب الأمير بشتك وشهود الخزانة.

وأخذ السلطان يقول للأمرء: كم تقولون النشو ينهب مال الناس الساعة ننظر المال الذي عنده وكان السلطان يظن أنه يؤديه الأمانة وأنه لا مال له.

فندم الأمرء على تحسينهم مسك النشو خوفًا من ألا يظهر له مال لاسيما قوصون وبشتك من أجل أنهما كانا بالغًا في الحط عليه فكثرت قلقهما ولم يأكلا طعامًا نهارهما وبعثا في الكشف على الخبر.

فلما أوقع الأمرء الحوطة على دور الممسوكين بلغهم أن حريم النشو في بستان في جزيرة الفيل فساروا إليه وهجموا عليه فوجدوا ستين جارية وأم النشو وامراته وإخوته وولديه وسائر أهله وعندهم مائتا قنطار عنب وقند كثير ومعاصر وهم في عصر العنب.

فختموا على الدور والحواصل ولم يتهيأ لهم نقل شيء منها.

هذا وقد غلقت الأسواق بمصر والقاهرة واجتمع الناس بالرميلة تحت القلعة ومعهم النساء والأطفال وقد أشعلوا الشموع ورفعوا على رؤوسهم المصاحف ونشروا الأعلام وهم يصيحون استبشارًا وفرحًا بقبض النشو والأمرء تشير إليهم أن يكثر ما هم فيه واستمروا ليلة الثلاثاء على ذلك فلما أصبحوا وقع الصوت من داخل القلعة بأن رزق الله أبا النشو قد قتل نفسه وهو أنه لما قبض عليه قوصون وكل به أمير شكاره فسجنه ببعض الخزائن فلما طلع الفجر قام الأمير شكار إلى صلاة الصبح فقام رزق الله وأخذ من حياصته سكينًا ووضعها في نحره حتى نفذت منه وقطعت ورائده فلم يشعر أمير شكار إلا

وهو يشخر وقد تلف فصاح أمير شكار حتى بلغ صياحه قوصون فانزعج لذلك وضرب أمير شكاره ضربًا مبرحًا إلى أن علم السلطان الخبر فلم يكثر به.

وفي يوم الاثنين المذكور أفرج السلطان عن الصاحب شمس الدين موسى ابن التاج إسحاق وأخيه ونزلا من القلعة إلى الجامع الجديد الناصري بمصر.

وكان شمس الدين هذا قد وشى به النشو حتى قبض عليه السلطان وأجرى عليه العقوبة أشهرًا إلى أن أشيع موته غير مرة وقد ذكرنا أمر عقوبة شمس الدين هذا وما وقع له في ترجمته في تاريخنا المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي فإن في سيرته عجائب فلينظر هناك.

قال الشيخ كمال الدين جعفر الأدفوي في يوم الاثنين هذا وفي معنى مسك النشو وغيره هذه الأبيات: الخفيف إن يوم الاثنين يوم سعيد فيه لا شك للبرية عيد أخذ الله فيه فرعون مصر وغدا النيل في رياه يزيد وقال الشيخ شمس الدين محمد بن الصائغ الحنفي في معنى مسك النشو والإفراج عن شمس الدين موسى وزيادة النيل هذه الأبيات: الطويل لقد ظهرت في يوم الاثنين آية أزالت بنعماها عن العالم البوسا تزايد بحر النيل فيه وأغرقت به آل فرعون وفيه نجا موسى وفي المعنى يقول أيضًا القاضي علاء الدين علي بن يحيى بن فضل الله كاتب السر: البسيط في يوم الاثنين ثاني الشهر من صفر ندس البشير إلى أن أسمع الفلكا يا أهل مصر نجا موسى ونيلكمو طغى وفرعون وهوالنشو قد هلكا ثم في يوم الثلاثاء نودي بالقاهرة ومصر: بيعوا واشتروا واحمدوا الله تعالى على خلاصكم من النشو.

ثم أخرج رزق الله أخو النشو ميئًا في تابوت امرأة حتى دفن في مقابر النصارى خوفًا عليه من العامة أن تحرقه.

ثم دخل الأمير بشتك على السلطان واستعفى من تسليم النشو خشية مما جرى على أخيه فأمر السلطان أن يهدده على إخراج المال ثم يسلمه لابن صابر فأوقفه بشتك وأهانته فالتزم إن أفرج عنه جمع للسلطان من أقاربه خزانة مال ثم تسلمه ابن صابر فأخذه ليمضيه به إلى قاعة الصاحب فتكاثرت العامة لرحمه حتى طردهم نقيب الجيش وأخرجه والجنزير في عنقه حتى أدخله قاعة الصاحب والعامة تحمل عليه حملة بعد حملة والنقباء تطردهم.

ثم طلب السلطان في اليوم المذكور جمال الكفاة إبراهيم كاتب الأمير بشتك وخلع عليه واستقر في وظيفة نظر الخاص عوضًا عن شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله المعروف بالنشو بعد تمنعه.

ورسم له أن ينزل للحوطة على النشو وأقاربه ومعه الأمير آقباغا عبد الواحد وبرسيغا الحاجب وشهود الخزنة.

فنزل بتشريفه وركب بغلة النشو حتى أخرج حواصله وقد أغلق الناس الأسواق وتجمعوا ومعهم الطبول والشموع وأنواع الملاهي وأرباب الخيال بحيث لم يبق حانوت بالقاهرة مفتوح نهارهم كله.

ثم ساروا مع الأمراء على حالهم إلى تحت القلعة وصاحوا صيحة واحدة حتى انزعج السلطان وأمر الأمير أيدغمش بطردهم.

ودخلوا الأمراء على السلطان بما وجدوه للنشو وهو من العين خمسة عشر ألف دينار
مصرية.

وألفان وخمسمائة حبة لؤلؤ قيمة كل حبة ما بين ألفي درهم إلى ألف درهم.

وسبعون فص بلخش قيمة كل فص ما بين خمسة آلاف درهم إلى ألفي درهم.

وقطعة زمرد فاخر زنتها رطل.

ونيف وستون حبلاً من لؤلؤ كبار زنة ذلك أربعمئة مثقال.

ومائة وسبعون خاتم ذهب وفضة بفصوص مثمثة.

وكف مريم مرصع بجوهر.

وصليب ذهب مرصع.

وعدة قطع زركش سوى حواصل لم تفتح.

فخجل السلطان لما رأى ذلك وقال للأمراء: " لعن الله الأقباط ومن يأمنهم أو يصدقهم
وذلك أن النشو كان يظهر له الفاقة بحيث إنه كان يقترض الخمسين درهماً والثلاثين
درهماً حتى ينفقها.

وبعث في بعض الليالي إلى جمال الدين إبراهيم بن المغربي رئيس الأطباء يطلب منه
مائة درهم ويذكر له أنه طرقه ضيف ولم يجد له ما يعشيه به وقصد بذلك أن يكون له
شاهد عند السلطان بما يدعيه من الفقر.

فلما كان في بعض الأيام شكا النشو للسلطان وابن المغربي حاضر فذكر
للسلطان أنه اقترض منه في ليلة كذا مائة درهم فمشى ذلك على السلطان وتقرر في
ذهنه أنه فقير لا مال له.

انتهى.

واستمر الأمراء تنزل كل يوم لإخراج حواصل النشو فوجدوا في بعض الأيام من الصيني
والبلور وفي يوم الخميس خامسه زينت القاهرة ومصر بسبب قبض النشو زينة هائلة
دامت سبعة أيام وعملت أفراح كثيرة.

وعملت العامة فيه عدة أزجال وبلاليق وأظهروا من الفرح واللهو والخيال ما يجلب وصفه.

ووجدت مآكل كثيرة في حواصل النشو منها: نحو مائتي مطر مملوءة ملوحة وثمانين
مطر جبن وأحمال كثيرة من سواقة الشام.

ووجد له أربعمئة بذلة قماش جديدة وثمانون بذلة قماش مستعمل.

ووجد له ستون بغلطاق نسائي مزركش ومناديل زركش عدة كثيرة.

ووجد له صناديق كثيرة فيها قماش سكيندي مما عمل برسم الحرة جهة ملك المغرب قد
اختلسه النشو وكثير من قماش الأمراء الذين ماتوا والذين قبض عليهم.

ووجد له مملوك تركي قد خصاه هو واثنين معه مائة وخمسة وأربعين أيضًا أربعة عبيد فماتوا فطلب السلطان الذي خصاهم وضربه بالمقارع وجرس.

وتتبع أصحابه وضرب منهم جماعة.

ثم وجد بعد ذلك بمدة لإخوة النشو ذخائر نفيسة منها لصهره ولي الدولة صندوق فيه مائة وسبعون فص بلخش.

وست وثلاثون مرسله مكللة بالجواهر.

وإحدى عشرة عنبرينة مكللة بلؤلؤ كبار.

وعشرون طراز زركش وغير ذلك ما بين لؤلؤ منظوم وزمرد وكوافي زركش قوموا بأربعة وعشرين ألف دينار.

وضرب المخلص أخو النشو ومفلح عبده بالمقارع فأظهر المخلص الإسلام.

ثم في يوم الثلاثاء ثاني عشرين شهر ربيع الأول وجدت ورقة بين فرش السلطان فيها: المملوك بيرم ناصح السلطان يقبل الأرض وينهي: إنني أكلت رزقك وأنت قوام المسلمين ويجب على كل أحد نصحك وإن بشتك وأقبغا عبد الواحد اتفقا على قتلك مع جماعة من المماليك فاحترس على نفسك.

وكان بشتك في ذلك اليوم قد توجه بكرة النهار إلى جهة الصعيد فطلب السلطان الأمير قوصون والأمير آقبغا عبد الواحد وأوقفهما على الورقة فكاد عقل آقبغا أن يختلط من شدة الرعب.

وأخذ الأمير قوصون يعرف السلطان أن هذا فعل من يريد التشويش على السلطان وتغيير خاطره على مماليكه.

فأخرج السلطان البريد في الحال لرد الأمير بشتك فأدركه بإطفيح وقد مد سماطه فلما بلغه الخبر قام ولم يمد يده إلى شيء منه.

وجد في سيره حتى دخل على السلطان فأوقفه السلطان على الورقة فتنصل مما رمي به كما تنصل آقبغا واستسلم وقال: هذه نفسي ومالي بين يدي السلطان.

وإنما حمل من رمانى بذلك الحسد على قربي من السلطان وعظم إحسانه إلي ونحو هذا حتى رق له السلطان وأمره أن يعود إلى الصيد إلى جهة قصده.

ثم طلب السلطان ناظر ديوان الجيش ورسم له أن يكتب كل من اسمه بيرم ويحضره إلى آقبغا عبد الواحد.

فارتجت القلعة والمدينة فطلب ناظر الجيش المذكورين وعرضهم وأخذ خطوطهم ليقابل بها كتابة الورقة فلم يجده.

فلما أعي آقبغا الظفر بالغريم اتهم النشو أنها من مكايده.

واشتد قلق السلطان وكثر انزعاجه بحيث إنه لم يستطع أن يقر بمكان واحد وطلب والي القاهرة وأمره بهدم ما بالقاهرة من حوانيت صناع النشاب وينادي: من عمل نشابًا شنى فامثل ذلك.

وخرّب جميع مرامي النشاب وغلقت حوانيت القواسين.

ونزل الأمير برسبغا إلى الأمراء جميعهم وعرفهم عن السلطان أن من رمى من ممالىكم بالنشاب أو حمل قوسًا كان أستاذة عوضًا عنه في التلاف وألا يركب أحد من الأمراء بسلاح ولا تركاش.

وبينما الناس في هذا الهول الشديد إذ دخل رجل يعرف بابن الأزرق كان أبوه ممن مات في عقوبة النشو له عند مصادرته لجمال الكفاة وقد تقدم ذكر بن الأزرق في أمر بناء جامع الخطيري وطلب الورقة ليعرفهم من كتبها فقام جمال الكفاة إلى السلطان ومعه الرجل فلما وقف عليها قال: يا خوند هذه خط أحمد الخطائي وهو رجل عند ولي الدولة صهر النشو يلعب معه النرد ويعاقره الخمر فطلب المذكور وحاqqه الرجل محاqqة طويلة فلم يعترف فعوقب عقوبات مؤلمة إلى أن أقر بأن ولي الدولة أمره بكتابتها فجمع بينه وبين ولي الدولة فأنكر ولي الدولة ذلك وطلب أن يرى الورقة فلما رآها حلف جهد أيمانه أنها خط بن الأزرق الشاكي لينال منه غرضه من أجل أن النشو قتل أباه وحاqqه على ذلك.

فاقتضى الحال عقوبة بن الأزرق فاعترف أنها كتابته وأنه أراد أن يأخذ بثأر أبيه من النشو وأهله.

فعفا السلطان عن بن الأزرق ورسم بحبس بن الخطائي.

ورسم لبرسبغا الحاجب وابن صابر المقدم أن يعاقبا النشو وأهله حتى يموتوا.

وأذن السلطان للأجناد في حمل النشاب في السفر دون الحضر فصارت هذه عادة إلى اليوم.

ويقال إن سبب عقوبة النشو أن أمراء المشورة تحدثوا مع السلطان وكان الذي ابتداء بالكلام سنجر الجاولي وقبل الأرض وقال: حاشى مولانا السلطان من شغل خاطر وضيق الصدر فقال السلطان: يا أمراء هؤلاء ممالىكي أنشأتهم وأعطيتهم العطاء الجزيل وقد بلغني عنهم ما لا يليق فقال الجاولي: حاشى لله أن يبدو من ممالىك السلطان شيء من هذا غير أن علم مولانا السلطان محيط بأن ملك الخلفاء ما زال إلا بسبب الكتاب وغالب السلاطين ما دخل عليهم الدخيل إلا من جهة الوزراء ومولانا السلطان ما يحتاج في هذا إلى أن يعرفه أحد بما جرى لهم ومن المصلحة قتل هذا الكلب وإراحة الناس منه فوافقهم على ذلك فضرب المخلص أخو النشو في هذا اليوم بالمقارع وكان ذلك في يوم الخميس رابع عشرين شهر ربيع الأول حتى هلك يوم الجمعة العصر ودفن بمقابر اليهود.

ثم ماتت أمه عقيبها.

ثم مات ولي الدولة عامل المتجر تحت العقوبة ورمي للكلاب هذا والعقوبة تتنوع على النشو حتى هلك يوم الأربعاء ثاني شهر ربيع الآخر من سنة أربعين وسبعمئة فوجد النشو بغير ختان.

وكتب به محضر ودفن بمقابر اليهود بكفن قيمته أربعة دراهم ووكل بقبيره من يحرسه مدة أسبوع خوفًا من العامة أن تنبشه وتحرقه.

وكان مدة ولايته وجوره سبع سنين وسبعة أشهر.

ثم أحضر ولي الدولة صهر النشو وهذا بخلاف ولي الدولة عامل المتجر الذي تقدم وأمر السلطان بعقوبته فدل على ذخائر النشو ما بين ذهب وأوان فطلبت جماعة بسبب ودائع النشو وشمل الضرر غير واحد.

وكان موجود النشو سوى الصندوق الذي أخذه السلطان شيئًا كثيرًا جدًا عمل لبيعه تسع وعشرون حلقة بلغت قيمته خمسة وسبعين ألف درهم.

وكان جملة ما أخذ منه سوى الصندوق نحو مائتي ألف دينار.

ووجد لولي الدولة عامل المتجر ما قيمته خمسون ألف دينار.

ووجد لولي الدولة صهر النشو زيادة على مائتي ألف دينار.

وبيعت للنشو دور بمائتي ألف درهم.

وركب الأمير آقباغا عد الواحد إلى دور آل النشو فخر بها كلها حتى ساوى بها الأرض وحرثها بالمحارث في طلب الخبايا فلم يجد بها من الخبايا إلا القليل.

انتهى.

وأما أصل النشو هذا أنه كان هو ووالده وإخوته يخدمون الأمير بكتمر الحاجب فلما انفصلوا من عنده أقاموا بطالين مدة.

ثم خدم النشو هذا عند الأمير أيدغمش أمير آخور فأقام بخدمته إلى أن جمع السلطان في بعض الأيام كتاب الأمراء لأمر ما فرأه السلطان وهو واقف من وراء الجماعة وهو شاب طويل نصراني حلو الوجه فاستدعاه وقال له: ايش اسمك قال: النشو فقال: " أنا أجعلك نشوي ورتبه مستوفيًا في الجيزة.

وأقبلت سعادته فيما ندبه إليه وملا عينه ثم نقله إلى استيفاء الدولة فباشر ذلك مدة حتى استسلمه الأمير بكتمر الساقى وسلم إليه ديوان سيدي أنوك ثم نقله بعد ذلك إلى نظر الخاص بعد موت القاضي فخر الدين ناظر الجيش فإن شمس الدين موسى بن التاج ولي الجيش والنشو هذا ولي عوضه الخاص.

انتهى.

وفي آخر شهر ربيع الآخر نودي على الذهب أن يكون صرف الدينار بخمسة وعشرين درهماً وكان بعشرين درهماً.

وفي هذه السنة فرغت مدرسة الأمير آقباغا عبد الواحد بجوار الجامع الأزهر وأبلى الناس في عمارتها ببلايا كثيرة منها: أن الصانع كان قرر عليهم آقباغا أن يعملوا بهذه المدرسة يومًا في الأسبوع بغير أجره ثم حمل إليها الأصناف من الناس ومن العمائر السلطانية فكانت عمارتها ما بين نهب وسرقة.

ومع هذا فإنه ما نزل إليها قط إلا وضرب بها أحدًا زيادة على شدة عسف مملوكه الذي أقامه شادًا بها.

فلما تمت جمع بها القضاة والفقهاء ولم يول بها أحد وكان الشريف المحتسب قدم بها سماطًا بنحو ستة آلاف درهم على أن يلي تدريسها فلم يتم له ذلك.

ثم إن السلطان نزل إلى خانقاه سرياقوس التي أنشأها في يوم الثلاثاء ثامن عشرين شهر ربيع الآخر من سنة أربعين وسبعمائة وقد تقدمه إليها الشيخ شمس الدين محمد الأصفهاني وقوام الدين الكرمانى وجماعة من صوفية سعيد السعداء.

فوقف السلطان على باب خانقاه سعيد السعداء بفرسه وخرج إليه جميع صوفيتها ووقفوا بين يديه فسألهم من يختارونه شيخًا لهم بعد وفاة الشيخ مجد الدين موسى بن أحمد بن محمود الأقصرائى فلم يعينوا أحدًا.

فولى السلطان بها الركن الملطى خادم المجد الأقصرائى المتوفى.

وانقطع السلطان في هذه الأيام عن الخروج إلى دار العدل نحو عشرين يومًا بسبب شغل خاطره لمرض مملوكه يلغا اليحياوي وملازمته له إلى أن تعافى وعمل السلطان لعافيته سماطًا عظيمًا هائلًا بالميدان وأحضر الأمراء ثم استدعى بعدهم جميع صوفية الخوانق والزوايا وأهل الخير وسائر الطوائف ومد لهم الأسمطة الهائلة.

وأخرج من الخزائن السلطانية نحو ثلاثين ألف درهم أفرج بها عن المسجونين على دين وأخرج للأمير يلغا المذكور ثلاث حجورة بمائتي ألف درهم وحياسة ذهب مرصعة بالجواهر كل ذلك لعافية يلغا المذكور.

ثم في هذه السنة تغير خاطر السلطان على مملوكه الأمير تنكز نائب الشام وبلغ تنكز تغير خاطر السلطان عليه فجهز أمواله ليحملها إلى قلعة جعبر وبخرج هو إليها بعد ذلك بحجة أنه يتصيد.

فقدم إليه الأمير طاجار الدوادر قبل ذلك في يوم الأحد رابع عشر ذي الحجة وعتبه وبلغه عن السلطان ما حمله من الرسالة فتغير الأمير تنكز وبدأت الوحشة بينه وبين السلطان وعاد طاجار إلى السلطان في يوم الجمعة تاسع عشر في الحجة فأغرى السلطان على تنكز وقال: إنه عزم على الخروج من دمشق.

فطلب السلطان بعد الصلاة الأمير بشتك والأمير ببيرس الأحمدى والأمير جنكلي بن البابا والأمير أرقطاي والأمير طقزدمر في آخرين وعرفهم أن تنكز قد خرج عن الطاعة وأنه يبعث إليه تجريدة مع الأمير جنكلي والأمير بشتك والأمير أرقطاي والأمير أرنبغا أمير جاندار والأمير قماري أمير شكار والأمير قماري أخو بكتمر الساقى والأمير برسبغا الحاجب ومع هذه الأمراء السبعة ثلاثون أمير طبليخاناه وعشرون أمير عشرة وخمسون نفرًا من مقدمي الحلقة وأربعمائة من المماليك السلطانية وجلس السلطان وعرضهم.

ثم جمع السلطان في يوم السبت عشرين ذي الحجة الأمراء جميعهم وحلف المجردين والمقيمين له ولولده الأمير أبي بكر من بعده وطلبت الأجناد من النواحي للحلف فكانت بالقاهرة حركات عظيمة.

وحمل السلطان لكل مقدم ألف مبلغ ألف دينار ولكل أمير طبليخاناه أربعمائة دينار ولكل مقدم حلقة ألف درهم ولكل مملوك خمسمائة درهم وفرسًا وقرقلًا وخوذة.

فاتفق قدوم الأمير موسى بن مهنا فقرر معه السلطان القبض على الأمير تنكز وكتب إلى العربان بأخذ الطرقات من كل جهة على تنكز.

ثم بعث السلطان بهادر حلاوة من طائفة الأوجاقية على البريد إلى غزة وصفد وإلى دمشق بملطفات كثيرة.

ثم أخرج موسى بن مهنا لتجهيز العربان قلت: على قدر الصعود يكون الهبوط ما لتلك الإحسان والعظمة المحبة الزائدة لتتكز قبل تاريخه إلا هذه الهمة العظيمة في أخذه والقبض عليه ولكن هذا شأن الدنيا مع المغرمين بها.

ثم إن الملك الناصر كثر قلقه من أمر تنكز وتنغص عيشه.

وخرج العسكر المعين من القاهرة لقتال تنكز في يوم الثلاثاء ثالث عشرين ذي الحجة من سنة أربعين وسبعمائة.

وكان حلاوة الأوجاقي قدم على الأمير الطنبغا الصالحي نائب غزة بملطف.

وفيه أنه استقر في نيابة الشام عوضًا عن تنكز وأن العسكر واصل إليه ليسيروا به إلى دمشق.

قلت: وألطنبغا نائب غزة هو عدو تنكز الذي كان تنكز سعى في أمره حتى عزله السلطان من نيابة حلب وولاه نيابة غزة قبل تاريخه.

ثم سار حلاوة الأوجاقي إلى صفد وإلى الشام وأوصل الملطفات إلى أمراء دمشق.

ثم وصلت كتب ألطنبغا الصالحي إلى أمراء دمشق بولايته نيابة الشام.

ثم ركب الأمير طشتمر الساقي المعروف بحمص أخضر نائب صفد إلى دمشق في ثمانين فارسًا واجتمع بالأمير قطلوبغا الفخري وسنجر البشمقदार وبيبرس السلاح دار.

واتفق ركوب الأمير تنكز في ذلك اليوم إلى قصره فوق ميدان الحصى في خواصه للنزهة وبينما هو في ذلك إذ بلغه قدوم الخيل من صفد فعاد إلى دار السعادة وألبس مماليكه السلاح فأحاط به في الوقت أمراء دمشق ووقع الصوت بوصول نائب صفد فخرج عسكر دمشق إلى لقائه وقد نزل بمسجد القدم.

فأمر نائب صفد جماعة من المماليك الأمراء أن يعودوا إلى تنكز ويخرجوه إليه فدخل عليه جماعة منهم تمر الساقي والأمير طرنطاي البشمقदार وبيبرس السلاح دار وعرفوه مرسوم السلطان فأذعن لقلته أهبطه للركوب فإن نائب صفد طرقه على حين غفلة باتفاق أمراء دمشق ولم يجتمع على تنكز إلا عدة يسيرة من مماليكه فلذلك سلم نفسه.

فأخذوه وأركبوه إكديشًا وساروا به إلى نائب صفد وهو واقف بالعسكر على ميدان الحصى فقبض عليه وعلى مملوكيه: جنغاي وطغاي وسجنا بقلعة دمشق.

وأنزل تنكز عن فرسه على ثوب سرج وقيده وأخذه الأمير بيبرس السلاح دار وتوجه به إلى الكسوة فحصل لتتكز إسهال ورعدة خيف عليه الموت فأقام بالكسوة يومًا وليلة ثم مضى به بيبرس إلى القاهرة ونزل طشتمر حمص أخضر نائب صفد بالمدرسة النجيبية.

وتقدم بهادر حلاوة عندما قبض على تنكز لبيشر السلطان بمسك تنكز فوصل إلى بليس ليلاً والعسكر نازل بها وعرف الأمير بشتك.

ثم سار حتى دخل القاهرة وأعلم السلطان الخبر فسر سرورًا زائدًا وكتب بعود العسكر من بليس إلى القاهرة ما خلا بشتك وأرقطاي وبرسيغا الحاجب فإنهم يتوجهون إلى دمشق للحوطة على مال تنكز وأن يقيم الأمير بيغرا أمير جاندار والأمير قماري أمير شكار بالصالحية إلى أن يقدم عليهما الأمير تنكز.

وعاد جميع العسكر إلى الديار المصرية.

وسار بشتك ورفيقاه إلى غزة فركب معهم الأمير الطنبغا الصالحي إلى نحو دمشق فلقوا الأمير تنكز على حسابان فسلموا عليه وأكرموه.

وكان بشتك لما سافر من القاهرة صحبة العسكر كان في ذلك اليوم فراغ بناء قصره الذي بناه بين القصرين فلم يدخله برجله واشتغل بما هو فيه من أمر السفر فشرع السلطان في غيبته في تحسين القصر المذكور.

وكان سبب عمارة بشتك لهذا القصر أن الأمير قوصون لما أخذ قصر بيسري وجدده أحب الأمير بشتك أن يعمل له قصرًا تجاه قصر بيسري بين القصرين فدل على دار الأمير بكتاش الفخري أمير سلاح وكانت أحد قصور الخلفاء الفاطميين التي اشتراها من ذريتهم وأنشأ بها الفخري دورًا وإسطبلات وأبقى ما كان بها من المساجد فشاور بشتك السلطان على أخذها فرسم له بذلك فأخذها من أولاد بكتاش وأرضاهم وأنعم عليهم.

وأنعم السلطان عليه بأرض كانت داخلها برسم الفراشخانة السلطانية.

ثم أخذ بشتك دار أقطوان الساقبي بجوارها وهدم الجميع وأنشأ قصرًا مطلقًا على الطريق وارتفاعه أربعون ذراعًا وأساسه أربعون ذراعًا وأجرى إليه الماء ينزل إلى شاذروان إلى بركة به.

وأخرب في عمله أحد عشر مسجدًا وأربعة معابد أدخلها فيه فلم يحدد منها سوى مسجد رفعه وعمله معلقًا على الشارع.

وفي هذه الأيام ورد الخبر على السلطان من بلاد الصعيد بموت الخليفة المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بقوص في مستهل شعبان وأنه قد عهد إلى ولده أحمد بشهادة أربعين عدلًا وأثبت قاضي قوص ذلك فلم يمض السلطان عهده وطلب إبراهيم بن محمد المستمسك بن أحمد الحاكم بأمر الله في يوم الاثنين ثالث عشر شهر رمضان واجتمع القضاة بدار العدل على العادة فعرفهم السلطان بما أراد من إقامة إبراهيم في الخلافة وأمرهم بمبايعته فأجابوا بعدم أهليته وأن المستكفي عهد إلى ولده واحتجوا بما حكم به قاضي قوص فكتب السلطان بقدم أحمد المذكور.

وأقام الخطباء بالقاهرة ومصر نحو أربعة أشهر لا يذكرون في خطبتهم الخليفة.

فلما قدم أحمد المذكور من قوص لم يمض السلطان عهده وطلب إبراهيم وعرفه قبح سيرته فأظهر التوبة منها والتزم سلوك طريق الخير.

فاستدعى السلطان القضاة وعرفهم أنه قد أقام إبراهيم في الخلافة فأخذ قاضي القضاة عز الدين بن جماعة يعرف السلطان عدم أهليته فلم يلتفت السلطان إليه وقال: إنه قد

تاب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له فبايعوه ولقب بالواثق وكانت العامة تسميه المستعطي فإنه كان يستعطي من الناس ما ينفقه.

ثم وصل الأمير تنكز إلى الديار المصرية

في يوم الثلاثاء ثامن المحرم سنة إحدى وأربعين وسبعمائة وهو متضعف صحبة الأمير بيبرس السلاح دار وأنزل بالقلعة في مكان ضيق.

وقصد السلطان ضربه بالمقارع فقام الأمير قوصون في شفاعته حتى أجيب إلى ذلك.

ثم بعث السلطان إليه يهدده حتى يعترف بما له من المال ويذكر له من كان موافقاً له من الأمراء على العصيان فأجاب بأنه لا مال له سوى ثلاثين ألف دينار وديعة عنده لأيتام بكتمر الساقى وأنكر أن يكون خرج عن الطاعة.

فأمر به السلطان في الليل فأخرج مع المقدم بن صابر وأمير جاندار في حراقة إلى الإسكندرية فقتله بها المقدم بن صابر في يوم الثلاثاء نصف المحرم من سنة إحدى وأربعين وسبعمائة وتأتي بقية أحواله.

ثم لما وصل الأمير بشتك إلى دمشق قبض على الأمير صاروجا والجبيغا العادلي وسلما إلى الأمير برسبغا فعاقبهما أشد عقوبة على المال وأوقع الحوطة على موجودهما.

ثم وسط بشتك جنغاي وطغاي مملوكي تنكز وخواصه بسوق خيل دمشق وكان جنغاي المذكور يضاهي أستاذه تنكز في موكبه وبركه ثم أكحل صاروجا وتتبع أموال تنكز فوجد له مايجل وصفه وعملت لبيع حواصله عدة حلق وتولى البيع فيها الأمير الطنبغا الصالحي نائب دمشق والأمير أرقطاي وهما أعدى عدو لتنكز.

وكان تنكز أميراً جليلاً محترماً مهائلاً عفيفاً عن أموال الرعية حسن المباشرة والطريقة إلا أنه كان صعب المراس ذا سطوة عظيمة وحرمة وافرة على الأعيان من أرباب الدولة متواضعاً للفقراء وأهل الخير وأوقف عدة أوقاف على وجوه البر والصدقة.

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي: جلب تنكز إلى مصر وهو حدث فنشأ بها وكان أبيض إلى السمرة أقرب رشيق القد مليح الشعر خفيف اللحية قليل الشيب حسن الشكل ظريفه.

جلبه الخواجا علاء الدين السيواسي فاشتراه الأمير لاجين فلما قتل لاجين في سلطنته صار من خاصكية الملك الناصر وشهد معه وقعة وادي الخازندار ثم وقعة شقحب.

قلت: ولهذا كان يعرف تنكز بالحسامي.

قال: وسمع تنكز صحيح البخاري غير مرة من ابن الشحنة وسمع كتاب معاني الآثار للطحاوي وصحيح مسلم وسمع من عيسى المطعم وأبي بكر بن عبد الدائم وحدث وقرأ عليه المحدثين ثلاثيات البخاري بالمدينة النبوية.

قال: وكان الملك الناصر أمره إمرة عشرة قبل توجهه إلى الكرك ثم ساق توجهه مع الملك الناصر إلى الكرك وخروجه من الكرك إلى مصر وغيرهما إلى أن قال: وولاه السلطان نيابة دمشق في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة فأقام بدمشق نائباً ثمانية وعشرين سنة وهو الذي عمر بلاد دمشق ومد نواحيها وأقام شعائر المساجد بها بعد التتار.

قلت: وأما ما ظهر له من الأموال فقد وجد له من التحف السنينة ومن الأقمشة مائتا منديل زركش وأربعمائة حياصة ذهب وستمائة كلفناه زركش ومائة حياصة ذهب مرصعة بالجوهر وثمان وستون بقجة بذلات ثياب زركش وألفا ثوب أطلس ومائتا تخفيفة زركش. وذهب مختوم أربعمائة ألف دينار مصرية.

ووجد له من الخيل والهجن والجمال البخاتي وغيرها نحو أربعة آلاف ومائتي رأس وذلك غير ما أخذه الأمراء ومماليكهم فإنهم كانوا ينهبون ما يخرج به نهبًا. ووجد له من الثياب الصوف ومن النصافي ما لا ينحصر. وظفر الأمير بشتك بجوهر له ثمين اختص به.

وحملت حرمه وأولاده إلى مصر صحبة الأمير بيغرا بعد ما أخذ لهم من الجوهر واللؤلؤ والزركش شيء كثير. وأما أملاكه التي أنشأها فشيء كثير.

وقال الشيخ صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي في تاريخه وهو معاصره قال: ورد مرسوم شريف إلى دمشق بتقويم أملاك تنكز فعمل ذلك بالعمول وأرباب الخبرة وشهود القيمة وحضرت بذلك محاضر إلى ديوان الإنشاء لتجهز إلى السلطان فنقلت منها ما صورته: دار الذهب بمجموعها وإسطبلاتها ستمائة ألف درهم.

دار الزمرد مائتا ألف وسبعون ألف درهم.

دار الزردكاش وما معها مائتا ألف وعشرون ألف درهم.

الدار التي بجوار جامع دمشق مائة ألف درهم.

الحمام التي بجوار جامع مائة ألف درهم.

خان العرصة مائة ألف درهم وخمسون ألف درهم.

إسطبل حكر السماق عشرون ألف درهم.

الطبقة التي بجوار حمام ابن يمن أربعة آلاف وخمسمائة درهم.

قيسارية المرحلين مائتا ألف وخمسون ألف درهم.

الفرن والحوض بالقنوات من غير أرض عشرة آلاف درهم.

حوانيت التعديل ثمانية آلاف درهم.

الأهراء من إسطبل بهادر آص عشرون ألف درهم.

خان البيض وحوانيته مائة ألف وعشرة آلاف درهم.

حوانيت باب الفرج خمسة وأربعون ألف درهم.

حمام القابون عشرة آلاف درهم.

حمام العمري ستة آلاف درهم.

الدهشة والحمام مائتا ألف وخمسون ألف درهم.

بستان العادل مائة ألف وثلاثون ألف درهم.

بستان النجيب والحمام والفرن مائة ألف درهم وثلاثون ألف درهم بستان الحلبي بحرستا أربعون ألف درهم.

الحدائق بها مائة ألف وخمسة وستون ألف درهم بستان القوصي بها ستون ألف درهم.

بستان الدردوزية خمسون ألف درهم الجينة المعروفة بالحمام بزبدین سبعة آلاف درهم.

بستان الرزاز خمسة وثمانون ألف درهم الجينة وبستان غيث ثمانية آلاف درهم.

المزرعة المعروفة بتهامة بها يعني دمشق ستون ألف درهم مزرعة الركن النوبي والعبري مائة ألف درهم الحصاة بالدفوف القبليّة بكفر بطنا ثلاثها ثلاثون ألف درهم بستان السفلاطوني خمسة وسبعون ألف درهم الفاتكيات والرشيدي والكروم بزملكا مائة ألف درهم وثمانون ألف درهم.

مزرعة المربع بقابون مائة ألف وعشرة آلاف درهم الحصاة من غراس غيضة الأعجام عشرون ألف درهم نصف الضيعة المعروفة بزرنية خمسة آلاف درهم غراس قائم في جوار دار الجالق ألفا درهم.

النصف من خراج الهامة ثلاثون ألف درهم الحوانيت التي قبالة الحمام مائة ألف درهم بيدر تبدين ثلاثة وأربعون ألف درهم الإسطبلات التي عند الجامع ثلاثون ألف درهم أرض خارج باب الفرج ستة عشر ألف درهم القصر وما معه خمسمائة ألف درهم وخمسون ألف درهم ربع ضيعة القصرين ثمانية وعشرون ألف درهم نصف بوابة مائة وثمانون ألف درهم العلانية بعيون الفارسنا ثمانون ألف درهم حصاة دير ابن عصرون خمسة وسبعون ألف درهم حصاة دوبرة الكسوة ألف وخمسمائة درهم الدير الأبيض خمسون ألف درهم العدیل مائة ألف وثلاثون ألف درهم حوانيت أيضًا داخل باب الفرج أربعون ألف درهم التنورية اثنان وعشرون ألف درهم.

الأملاك التي له بخصم: الحمام خمسة وعشرون ألف درهم الحوانيت سبعة آلاف درهم السريع ستون ألف درهم الطاحون الراكبة على العاصي ثلاثون ألف درهم زور قبجق خمسة وعشرون ألف درهم الخان مائة ألف درهم الحمام الملاصقة للخان ستون ألف درهم الحوش الملاصق له ألف وخمسمائة درهم.

المناخ ثلاثة آلاف درهم الحوش الملاصق للخندق ثلاثة آلاف درهم حوانيت العريضة ثلاثة آلاف درهم الأراضي المحتكرة سبعة آلاف درهم.

والتي في بيروت: الخان مائة وخمسة وثلاثون ألف درهم الحوانيت والفرن مائة وعشرون ألف درهم المصينة بالاتها عشرة آلاف درهم الحمام عشرون ألف درهم.

المسلخ عشرة آلاف درهم الطاحون خمسة آلاف درهم قرية زلايا خمسة وأربعون ألف درهم.

القرى التي بالبقاع: مرج الصفا سبعون ألف درهم التل الأخضر مائة ألف وثمانون ألف درهم المباركة خمسة وسبعون ألف درهم.

المسعودية مائة ألف درهم.

الضياع الثلاث المعروفة بالجوهري أربعمائة ألف وسبعون ألف درهم السعادة أربعمائة ألف درهم أبروطيا ستون ألف درهم نصف بيرود والصالحية والحوانيت أربعمائة ألف درهم المباركة والناصرية مائة ألف درهم رأس الماء سبعة وخمسون ألف درهم حصة من خربة روق اثنان وعشرون ألف درهم رأس الماء والدلي بمزارعها خمسمائة ألف درهم حمام صرخد خمسة وسبعون ألف درهم.

طاحون الغور ثلاثون ألف درهم السالمية ثلاثة آلاف درهم.

الأملاك بقارا: الحمام خمسة وعشرون ألف درهم الهري ستمائة ألف درهم الصالحية والطاحون والأراضي مائتا ألف درهم وخمسة وعشرون ألف درهم.

راسليها ومزارعها مائة وخمسة وعشرون ألف درهم القضية أربعون ألف درهم.

القربتان المعروفة إحداهما بالمزرعة والأخرى بالبينسية تسعون ألف درهم هذا جميعه خارج عما له من الأملاك على وجوه البر والأوقاف في صفد وعجلون والقدس ونابلس والرملة والديار المصرية.

وعمر بصفد بيمارستانا مليحًا.

وعمر بالقدس رباطًا وحمامين وقياسر.

وله بجلجولية خان مليح وله بالقاهرة دار عظيمة بالكافوري.

قلت: هي دار عبد الباسط بن خليل الآن.

وحمام وغير ذلك من الأملاك.

انتهى كلام الشيخ صلاح الدين باختصار.

قلت: وكان لتغير السلطان الملك الناصر على تنكز هذا أسباب منها: أنه كتب يستأذنه في سفره إلى ناحية جعبر فمنعه السلطان من ذلك لما بتلك البلاد من الغلاء فألح في الطلب والجواب يرد عليه بمنعه حتى حنق تنكز وقال والله لقد تغير عقل أستاذنا وصار يسمع من الصبيان الذين حوله.

والله لو سمع مني لكنت أشرت عليه بأن يقيم أحدًا من أولاده في السلطنة وأقوم أنا بتدبير ملكه ويبقى هو مستريحًا فكتب بذلك جرکتمر إلى السلطان وكان السلطان يتخيل بدون هذا فآثر هذا في نفسه.

ثم اتفق أن أرتنا نائب بلاد الروم بعث رسولًا إلى السلطان بكتابه ولم يكتب معه كتابًا لتتكز فحنق تنكز لعدم مكاتبته ورد رسوله من دمشق.

فكتب أرتنا يعرف السلطان بذلك وسأل ألا يطلع تنكز على ما بينه وبين السلطان ورماه بأمر أوجبت شدة تغير السلطان على تنكز.

ثم اتفق أيضًا غضب تنكز على جماعة من مماليكه فضربهم وسجنهم بالكرك والشوبك فكتب منهم جوبان وكان أكبر مماليكه إلى الأمير قوصون يتشفع به في الإفراج عنهم من سجن الكرك.

فكلم قوصون السلطان في ذلك فكتب السلطان إلى تنكز يشفع في جوبان فلم يجب عن أمره بشيء فكتب إليه ثانيًا وثالثًا فلم يجبه.

فاشتد غضب السلطان حتى قال للأمراء: ما تقولون في هذا الرجل هو يشفع عندي في قاتل أخي فقبلت شفاعته وأخرجته من السجن وسيرته إليه يعني طشتمر أخا بتخاص وأنا أشفع في مملوكه ما يقبل شفاعتي وكتب السلطان لنائب الشوبك بالإفراج عن جوبان المذكور فأفرج عنه فكان هذا وما أشبهه الذي غير خاطر السلطان الملك الناصر على مملوكه تنكز.

انتهى.

ثم اشتغل السلطان بموت أعز أولاده الأمير آنوك في يوم الجمعة العشرين من شهر ربيع الآخر بعد مرض طويل ودفن بتربة الناصرية بين القصرين وكان لموته يوم مهول نزل في جنازته جميع الأمراء وفعلت والدته خوند طغاي خيرات كثيرة وباعت ثيابه وتصدقت بجميع ما تحصل منها.

ثم إن السلطان ركب في هذه السنة وهي سنة إحدى وأربعين إلى بركة الحبش خارج القاهرة وصحبه عدة من المهندسين وأمر أن يحفر خليج من البحر إلى حائط الرصد ويحفر في وسط الشرف المعروف بالرصد عشر أبار كلى بئر نحو أربعين ذراعًا تركب عليها السواقي حتى يجري الماء من النيل إلى القناطر التي تحمل الماء إلى القلعة ليكثر بها الماء.

وأقام الأمير آقبا عبد الواحد على هذا العمل فشق الخليج من بحري رباط الآثار ومروا به في وسط بستان الصاحب تاج الدين ابن حنا المعروف بالمعشوق وهدمت عدة بيوت كانت هناك وجعل عمق الخليج أربع قصبات.

وجمعت عدة من الحجارين للعمل وكان مهمًا عظيمًا.

ثم أمر السلطان بتجديد جامع راشدة فجدد وكان قد تهدم غالب جدره.

ثم ابتداءً توقع السلطان ومرض مرض موته فلما كان يوم الأربعاء سادس ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة قوي عليه الإسهال ومنع الأمراء من الدخول عليه فكانوا إذا طلغوا إلى الخدمة خرج إليهم السلام مع أمير جاندار عن السلطان فانصرفوا وقد كثر الكلام.

ثم في يوم الجمعة ثامن خف عن السلطان الإسهال فجلس للخدمة وطلع الأمراء إلى الخدمة ووجه السلطان متغير فلما انقضت الخدمة نودي بزينة القاهرة ومصر وجمعت أصحاب الملاهي بالقلعة وجمع الخبز الذي بالأسواق وعمل ألف قميص وتصدق بذلك كله مع جملة من المال.

وقام الأمراء بعمل الولايم والأفراح سرورًا بعافية السلطان وعمل الأمير منكتمر الحجازي نفظًا كثيرًا بسوق الخيل تحت القلعة والسلطان ينظره واجتمع الناس لرؤيته من كل جهة.

وقدمت عربان الشرقية بخيولها وقيابها المحمولة على الجمال ولعبوا بالرماح تحت القلم وخرجت الركابة والكلابزية وطائفة الحجارين والعتالين إلى سوق الخيل للعب واللهو وداروا على بيوت الأمراء وأخذوا الخلع منهم وكذلك الطبلكية فحصل لهم شيء كثير جدًا بحيث جاء نصيب مهتار الطبلخاناه ثمانين ألف درهم ولما كان ليلة العيد وهي ليلة الأحد عاشر ذي الحجة وأصبح نهار الأحد اجتمع الأمراء بالقلعة وجلسوا ينتظرون السلطان حتى يخرج لصلاة العيد وقد أجمع رأي السلطان على عدم صلاة العيد لعود الإسهال عليه فإنه كان انتكس في الليلة المذكورة فما زال به الأمير قوصون والأمير بشتك حتى ركب ونزل إلى الميدان.

وأمر قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة أن يوجز في خطبته فعندما صلى السلطان وجلس لسماع الخطبة تحرك باطنه فقام وركب وطلع إلى القصر وأقام يومه به.

وبينا هو في ذلك قدم الخبر من حلب بصفة صلح الشيخ حسن صاحب العراق مع أولاد صاحب الروم فانزعج السلطان لذلك انزعاجًا شديدًا واضطرب مزاجه فحصل له إسهال دموي وأصبح يوم الاثنين وقد منع الناس من الاجتماع به.

فأشاع الأمير قوصون والأمير بشتك أن السلطان قد أعفى أجناد الحلقة من التجريد إلى تبريز ونودي بذلك وفرح الناس بذلك فرحًا زائدًا إلا أنه انتشر بين الناس أن السلطان قد انتكس فساءهم ذلك.

ثم أخذ الأمراء في إنزال حرمهم وأموالهم من القلعة حيث سكنهم إلى القاهرة فأرجت القاهرة ومادت بأهلها.

واستعد الأمراء لا سيما قوصون وبشتك فإن كلاً منهما احترز من الآخر وجمع عليه أصحابه.

وأكثروا من شراء الأزيار والذنان وملأوها ماء وأخرجوا القرب والروايا والأحواض وحملوا إليهم البقسماط والرقاق والدقيق والقمح والشعير خوفًا من وقوع الفتنة ومحاصرة القلعة.

فكان يومًا مهولًا ركب فيه الأوجاقية وهجموا الطواحين لأخذ الدقيق ونهبوا الحوانيت التي تحت القلعة والتي بالصليبة.

هذا وقد تنكر ما بين قوصون وبشتك واختلفا حتى كادت الفتنة تقوم بينهما وبلغ ذلك السلطان فإزداد مرضًا على مرضه وكثر تأوّه وتقلبه من جنب إلى جنب وتهوس بذكر قوصون وبشتك نهاره.

ثم استدعى بهما فتناقشا بين يديه في الكلام فأغمي عليه وقاما من عنده على ما هما عليه.

فاجتمع يوم الاثنين ثامن عشره الأمير جنكلي والأمير آل ملك والأمير سنجر الجاولي وبيبرس الأحمدى وهم أكابر أمراء المشورة فيما يدبرونه حتى اجتمعوا على أن يبعث كل

منهم مملوكه إلى قوصون وبشتك ليأخذ لهم الإذن في الدخول على السلطان فأخذ لهم الإذن فدخلوا وجلسوا عند السلطان.

فقال الجاولي وآل ملك للسلطان كلامًا حاصله أن يعهد بالملك إلى أحد أولاده فأجاب إلى ذلك وطلب ولده أبا بكر وطلب قوصون وبشتك وأصلح بينهما ثم جعل ابنه أبا بكر سلطانًا بعده وأوصاه بالأمراء وأوصى الأمراء به وعهد إليهم ألا يخرجوا ابنه أحمد من الكرك وحذرهم من إقامته سلطانًا.

وجعل قوصون وبشتك وصيه وإليهما تدبير أمر ابنه أبي بكر وحلفهما.

ثم حلف الأمراء والخاصكية وأكد على ولده في الوصية بالأمراء وأفرج عن الأمراء المسجونين بالشام وهم: طبيغا حاجي والجبيغا العادلي وصاروجا ثم قام الأمراء عن السلطان.

فبات السلطان ليلة الثلاثاء وقد تخلت عنه قوته وأخذ في النزاع يوم الأربعاء فاشتد عليه كرب الموت حتى فارق الدنيا في أول ليلة الخميس حادي عشرين ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة وله من العمر سبع وخمسون سنة وأحد عشر شهرًا وخمسة أيام فإن مولده كان في الساعة السابعة من يوم السبت سادس عشر المحرم سنة أربع وثمانين وستمائة.

وأمه أشلون بنت سكتاي بن قرا لاجين بن جفتاي التتاري.

وكان قدوم سكتاي مع أخيه قرمجي من بلاد التتار إلى مصر في سنة خمس وسبعين وستمائة.

ثم حمل السلطان الملك الناصر مئتا في محفة من القلعة بعد أن رسم بغلق الأسواق ونزلوا به من وراء السور إلى باب النصر ومعه من أكابر الأمراء بشتك وملكتمر الحجازي وأيدغمش أمير آخور ودخلوا به من باب النصر إلى المدرسة المنصورية بين القصرين فغسل وحنط وكفن من البيمارستان المنصوري وقد اجتمع الفقهاء والقراء والأعيان ودام القراء على قبره أيامًا.

وأما مدة سلطنته على مصر فقد تقدم أنه تسلطن ثلاث مرارث فأول سلطنته كانت بعد قتل أخيه الأشرف خليل بن قلاوون في سنة ثلاث وتسعين وستمائة في المحرم وعمره تسع سنين وخلع بالملك العادل كتبغا المنصوري في المحرم سنة أربع وتسعين فكانت سلطنته هذه المرة دون السنة.

ثم توجه إلى الكرك إلى أن أعيد إلى السلطنة بعد قتل المنصور حسام الدين لاجين في سنة ثمان وتسعين وستمائة فأقام في الملك والأمر إلى سلاز وببيرس الجاشنكير إلى سنة ثمان وسبعمائة وخلع نفسه وتوجه إلى الكرك وتسلطن ببيرس الجاشنكير وكانت مدته في هذه المرة الثانية نحو التسع سنين.

ثم خلع ببيرس وعاد الملك الناصر إلى السلطنة ثالث مرة في شوال سنة تسع وسبعمائة واستبد من يوم ذاك بالأمر من غير معارض إلى أن مات في التاريخ المذكور وقد ذكرنا ذلك كله في أصل ترجمته من هذا الكتاب مفصلاً فكانت مدة حكمه في هذه المرة الثالثة اثنتين وثلاثين سنة وشهرين وخمسة وعشرين يومًا.

وهو أطول ملوك الترك مدة في السلطنة فإن أول سلطنته من سنة ثلاث وتسعين وستمئة إلى أن مات نحوًا من ثمان وأربعين سنة بما فيها من أيام خلعه ولم يقع ذلك لأحد من ملوك الترك بالديار المصرية فهو أطول الملوك زمانًا وأعظمهم مهابة وأغزرهم عقلًا وأحسنهم سياسة وأكثرهم دهاء وأجودهم تدبيرًا وأقواهم بطشًا وشجاعة وأحذقهم تنفيذًا مرت به التجارب وقاسى الخطوب وياشر الحروب وتقلب مع الدهر ألوانًا نشأ في الملك والسعادة وله في ذلك الفخر والسيادة خليفًا للملك والسلطنة فهو سلطان وابن سلطان وأخو سلطان ووالد ثمانى سلاطين من صلبه والملك في ذريته وأحفاده وعقبه ومماليكه ومماليكه إلى يومنا هذا بل إلى أن تنقرض الدولة التركية فهو أجل ملوك الترك وأعظمها بلا مدافعة ومن ولي السلطنة من بعده بالنسبة إليه كأحد أعيان أمراءه.

وكان متجملًا يقتني من كل شيء أحسنه.

أكثر في سلطنته من شراء المماليك والجواري وطلب التجار وبذل لهم الأموال ووصف لهم حلي المماليك والجواري.

وسيرهم إلى بلاد أربك خان وبلاد الجاركس والروم.

وكان التاجر إذا أتاه بالجلبة من المماليك بذل له أعلى القيم فيهم فكان يأخذهم ويحسن تربيتهم وينعم عليهم بالملابس الفاخرة والحوائص الذهب والخيول والعطايا حتى يدهشهم فأكثر التجار من جلب المماليك.

وشاع في الأقطار إحسان السلطان إليهم فأعطى المغل أولادهم وأقاربهم للتجار رغبة في السعادة فبلغ ثمن المملوك على التاجر أربعين ألف درهم وهذا المبلغ جملة كثيرة بحساب يومنا هذا.

وكان الملك الناصر يدفع للتاجر في المملوك الواحد مائة ألف درهم وما دونها.

وكان مشغوفًا أيضًا بالخيول فجلبت له من البلاد لا سيما خيول العرب آل مهنا وآل فضل فإنه كان يقدمها على غيرها ولهذا كان يكرم العرب ويبذل لهم الرغائب في خيولهم فكان إذا سمع العربان بفرس عند بدوي أخذوها منه بأعلى القيمة وأخذوا من السلطان مثلي ما دفعوا فيها.

وكان له في كل طائفة من طوائف العرب عين يدلّه على ما عندهم من الخيل من الفرس السابق أو الأصيل بل ربما ذكروا له أصل بعضها لعدة جدود حتى يأخذها بأكثر مما كان في نفس صاحبها من الثمن.

فتمكنت منه بذلك العربان ونالوا المنزلة العظيمة والسعادات الكثيرة.

وكان يكره خيول برقة فلا يأخذ منها إلا ما بلغ الغاية في الجودة وما عدا ذلك إذا جلبت إليه فرقها.

وكان له معرفة تامة بالخيول وأنسابها ويذكر من أحضرها له في وقتها وكان إذا استدعى بفرس يقول لأمير آخور: الفرس الفلانية التي أحضرها فلان واشتريتها منه بكذا وكذا وكان إذا جاءه شيء منها عرضها وقلبها بنفسه فإن أعجبتّه دفع فيها من العشرة آلاف إلى أن اشترى بنت الكرماء بمائتي ألف درهم وهذا شيء لم يقع لأحد من قبله ولا من بعده فإن المائتي ألف درهم كانت يوم ذاك بعشرة آلاف دينار.

وأما ما اشتراه بمائة ألف وسبعين ألفًا وستين ألفًا وما دونها فكثير.

وأقطع آل مهنا وآل فضل بسبب ذلك عمدة إقطاعات فكان أحدهم إذا أراد من السلطان شيئًا قدم عليه في معنى أنه يدلّه على فرس عند فلان ويعظم أمره فيكتب من فوره بطلب تلك الفرس فيشتد صاحبها ويمتنع من قودها ثم يقترح ما شاء ولا يزال حتى يبلغ غرضه من السلطان في ثمن فرسه.

وهو أول من اتخذ من ملوك مصر ديوانًا للإسطنبول السلطاني وعمل له ناظرًا وشهودًا وكتابًا لضبط أسماء الخيل وأوقات ورودها وأسماء أربابها ومبلغ أثمانها ومعرفة سواها وغير ذلك من أحوالها.

وكان لا يزال يتفقد الخيول فإذا أصيب منها فرس أو كبر سنه بعث به مع أحد الأوجاقية إلى الجشار بعد ما يحمل عليها حصانًا يختاره ويأمر بضبط تاريخه فتوالدت عنده خيول كثيرة حتى أغنته عن جلب ما سواها ومع هذا كان يرغب في الفرس المجلوب إليه أكثر مما توالد عنده.

فعظم العرب في أيامه لجلب الخيل وشمل الغنى عامتهم وكانوا إذا دخلوا إلى مشاتهم وأولى مصايفهم يخرجون بالحلي والحلل والأموال الكثيرة.

ولبسوا في أيامه الحرير الأطلس المعدني بالطرز الزركش والشاشات المرقومة ولبسوا الخلع البابلي والإسكندري المطرز بالذهب وصاغ السلطان لنسائهم الأطواق الذهب المرصع وعمل لهم العنابر بالأمر الذهب والأساور المرصعة بالجواهر واللؤلؤ وبعث لهم بالقماش الإسكندري وعمل لهم البراقع الزركش ولم يكن لبسهم قبل ذلك إلا الخشن من الثياب على عادة العرب.

وأجل ما لبس مهنا أميرهم أيام الملك المنصور لاجين طرد وحش لمودة كانت بين لاجين وبين مهنا بن عيسى فأنكر الأمراء ذلك على الملك المنصور لاجين فاعتذر لهم بتقديم صحبته له وأياديه عنده وأنه أراد أن يكافئه على ذلك.

وكان الملك الناصر في جشاره ثلاثة آلاف فرس يعرض في كل سنة نتاجها عليه فيدمغها وبسلمها للركابيين من العربان لرياضتها ثم يفرق أكثرها على الأمراء الخاصكية ويفرح بذلك ويقول: هذه فلانة بنت فلانة أوفلان بن فلان عمرها كذا وشراء أمها بكذا وشراء أبيها بكذا.

وكان يرسم للأمراء في كل سنة أن يضمروا الخيول ويرتب على كل أمير من أمراء الألواف أربعة رؤس يضمروها.

ثم يرسم لأمير آخور أن يضمر خيلاً من غير أن يفهم الأمراء أنها للسلطان بل يشيع أنها له ويرسلها للسباق مع خيل الأمراء في كل سنة.

وكان للأمير قطلوبغا الأفخري حصان أدهم سبق خيل مصر كلها ثلاث سنين متوالية فأرسل السلطان إلى مهنا وأولاده أن يحضروا له الخيل للسباق فأحضروا له عدة وضمروا فسبقهم حصان الأفخري الأدهم.

ثم بعد ذلك ركب السلطان إلى ميدان القبقق ظاهر القاهرة فيما بين قلعة الجبل وقبة النصر وهو أماكن الترب الآن وأرسل الخيل للسباق وعدتها دائماً في كل سنة ما ينيف على مائة وخمسين فرسًا.

وكان مهنا بعث للسلطان حجرة شهباء للسباق على أنها إن سبقت كانت للسلطان وإن سبقت ردت إليه بشرط ألا يركبها للسباق إلا بدويها الذي قادها إلى مصر.

فلما ركب السلطان والأمراء على العادة ووقفوا ومعهم أولاد مهنا بالميدان وأرسلت الخيول من بركة الحاج كما جرت به العادة وركب البدوي حجرة مهنا الشهباء عربًا بغير سرج ولبس قميصًا ولاطئة فوق رأسه.

وأقبلت الخيول يتبع بعضها بعضًا والشهباء قدام الجميع وبعدها على القرب منها حصان الأمير أيدغمش أمير اخور يعرف بهلال فلما وقف البدوي بالشهباء بين يدي السلطان صاح بصوت ملاً الخافقين: " السعادة لك اليوم يامهنا لاشقيت " وألقى بنفسه إلى الأرض من شدة التعب فقدمها مهنا للسلطان فكان هذا داب الملك الناصر في كل سنة من هذا الشأن وغيره.

قلت: وترك الملك الناصر في جشاره ثلاثة آلاف فرس وترك بالإسطبلات السلطانية أربعة آلاف فرس وثمانمائة فرس ما بين حجورة ومهارة وفحولة وأكاديش وترك من الهجن الأصائل والنياق نيقًا على خمسة آلاف سوى أتباعها.

وأما الجمال النفر والبغال فكثير.

وكان الملك الناصر أيضًا شغوفًا بالصيد فلم يدع أرضًا تعرف بالصيد إلا وأقام بها صيادين مقيمين بالبرية أو ان الصيد.

وجلب طيور الجوارح من الصقورة والشواهين والسنافر والبزاة حتى كثرت السناقر في أيامه.

وصار كل أمير عنده منها عشرة سناقر وأقل و كثر.

وجعل له البازدارية وحراس الطير وما هو موجود بعضه الآن وأقطعهم الإقطاعات الجليلة وأجرى لهم الرواتب من اللحم والعليق والكساوي وغير ذلك.

ولم يكن ذلك قبله لملك فترك بعد موته مائة وعشرين سنقرًا ولم يعهد بمثل هذا لملك قبله بل كان لوالده الملك المنصور قلاوون سنقر واحد وكان المنصور إذا ركب في المركب للصيد كان بازداره أيضًا راكبًا والسنقر على يده.

وترك الملك الناصر من الصقورة والشواهين ونحوها ما لا ينحصر كثرة.

وترك ثمانين جوقة كلاب بكلابزنتها وكان أخلى لها موضعًا بالجبل.

وعني أيضًا بجمع الأغنام وأقام لها خولة.

وكان يبعث في كل سنة الأمير أقبغا عبد الواحد في عدة من المماليك لكشفها فيكشف المراحات من قوص إلى الجيزة ويأخذ منها ما يختاره من الأغنام وجرده مرة إلى عيذاب والنوبة لجلب الأغنام.

ثم عمل لها حوشًا بقلعة الجبل وقد ذكرنا ذلك في وقته وأقام لها خولة نصارى من الأسرى.

وعني أيضًا بالإوز وأقام لها عدة من الخدام وجعل لها جانبًا بحوش الغنم.

ولما مات ترك ثلاثين ألف رأس من الغنم سوى أتباعها.

فاقتدى به الأمراء وصارت لهم الأغنام العظيمة في غالب أرض مصر.

وكان كثير العناية بأرباب وظائفه وحواشيه من أمراء اخورية والأوجاقية وغلماة الإسطبل والبازاردة والفراشين والخولة والطباخين.

فكان إذا جاء أو أن تفرقة الخيول على الأمراء بعث إلى الأمير بما جرت به عادته مما رتبته له في كل سنة مع أمير آخور وأوجاقي وساييس وركيدار وبترقب عودهم حتى يعرف ما أنعم به ذلك الأمير عليهم فإن شح الأمير في عطاياتهم تنكر عليه وبكته بين الأمراء ووبخه وكان قرر أن يكون الأمير آخور بينهم بقسمين ومن عداه بقسم واحد.

وكان أيضًا إذا بعث لأمير بطير مع أمير شكار أو واحد من البازدارية يحتاج الأمير أن يلبسه خلعة كاملة بحياسة ذهب وكلفتاه زركش فيعود بها ويقبل الأرض بين يديه فيستدنيه ويفتش خلعته.

وكانت عادته أن يبعث في يوم النحر أغنام الضحايا مع الأبقار والنوق إلى الأمراء فبعث مرة مع بعض خولة النصارى إلى الأمير يلبغا حارس طيره ثلاثة كباش فأعطاه عشرة دراهم فلوسًا وعاد إلى السلطان فقال له: " وأين خلعتك ".

فطرح الفلوس بين يديه وعرفه بقدرها فغضب وأمر بعض الخدام أن يسير بالخولي إلى عنده ويوبخه ويأمره أن يلبسه خلعة طرد وحش.

وكانت حرمة ومهابته وافرة قد تجاوزت الحد حتى إن الأمراء كانوا إذا وقفوا بالخدمة لا يجسر أحد منهم أن يتحدث مع رفيقه ولا يلتفت نحوه خوفًا من مراقبة السلطان لهم.

وكان لا يجسر أحد أن يجتمع مع خشداشه في نزهة ولا غيرها.

وكان له المواقف المشهودة منها لما لقي غازان على فرسخ من حمص وقد تقدم ذكر ذلك.

ثم كانت له الوقعة العظيمة مع التتار أيضًا بشقحب وأعز الله تعالى فيها الإسلام وأهله ودخلت عساكره بلاد سيبس وقرر على أهلها الخراج أربعمئة ألف درهم في السنة بعد ما غزاها ثلاث مرار.

وغزا ملطية وأخذها وجعل عليها الخراج ومنعوه مرة فبعث العساكر إليها حتى أطاعوه.

وأخذ مدينة آياس وخرّب البرج الأطلس وسبعة حصون وأقطع أراضيها للأمراء والأجناد.

وأخذ جزيرة أرواد من الفرنج.

وغزا بلاد اليمن وبلاد عانة وحديثة في طلب مهنا.

وجرد إلى مكة والمدينة العساكر لتمهيدها غير مرة ومنع أهلها من حمل السلاح بها.

وعمر قلعة جعبر بعد خرابها وأجرى نهر حلب إلى المدينة.

وخطب له بماردين وجبال الأكراد وحصن كيفا وبغداد وغيرها من بلاد الشرق وهو بكرسي مصر.

وأنته هدية ملوك الغرب والهند والصين والحبشة والتكرور والروم والفرنج والترك.

وكان رحمه الله على غاية من الحشمة والرياسة وسياسة الأمور فلم يضبط عليه أحد أنه أطلق لسانه بكلام فاحش في شدة غضبه ولا في انبساطه مع عظيم ملكه وطول مدته في السلطنة وكثرة حواشيه وخدمه.

وكان يدعو الأمراء والأعيان وأرباب الوظائف بأحسن أسمائهم وأجل ألقابهم وكان إذا غضب على أحد لا يظهر له ذلك.

وكان مع هذه الشهامة وحب التجمل مقتصدًا في ملبسه يلبس كثيرًا البعلبكي والنصافي المتوسط ويعمل حياصته فضة نحو مائة درهم بغير ذهب ولا جوهر ويركب بسرج مسقط بفضة التي زنتها دون المائة درهم وعباءة فرسه إما تدمري أو شامي ليس فيها حرير.

وكان مفرط الذكاء يعرف جميع ممالك أبيه وأولادهم بأسمائهم ويعرف بهم الأمراء خشداشيتهم فيتعجبون الأمراء من ذلك وكذلك ممالিকে لا يغيب عنه اسم واحد منهم ولا وظيفته عنده ولا مبلغ جامكيته هذا مع كثرتهم.

وكان أيضًا يعرف غلمانة حاشيته على كثرة عددهم ولا يفوته معرفة أحد من الكتاب فكان إذا أراد أن يولي أحدًا مكانًا أو يرتبه في وظيفة استدعى جميع الكتاب بين يديه واختار منهم واحدًا أو أكثر من واحد من غير أن يراجع فيهم ثم يقيمه فيما يريد من الوظائف.

وكان إذا تغير على أحد من أمرائه أو كتابه أسر ذلك في نفسه وتروى في ذلك مدة طويلة وهو ينتظر له ذنبًا يأخذه به كما وقع له في أمر كريم الدين الكبير وأرغون النائب وغيرهم وهو يتأنى ولا يعجل حتى لا ينسب إلى ظلم فإنه كان يعظم عليه أن يذكر عنه أنه ظالم أو جائر أو وقع في أيامه خراب أو خلل ويحرص على حسن القالة فيه.

وكان يستبد بأمور مملكته وينفرد بالأحكام حتى إنه أبطل نيابة السلطنة من ديار مصر ليستقل هو بأعباء الدولة وحده.

وكان يكره أن يقتدي بمن تقدمه من الملوك فمن أنشأه من الملوك كائنًا من كان ولا يدخلهم المشورة حتى ولا بكتمر الساقى ولا قوصون ولا بشتك وغيرهم بل كان لا يقتدي إلا بالقدماء من الأمراء.

وكان يكره شرب الخمر ويعاقب عليه ويبعد من يشربه من الأمراء عنه.

وكان في الجود والكرم والإفضال غاية لاتدرك خارجة عن الحد وهب في يوم واحد ما يزيد على مائة ألف دينار ذهبًا وأعطى في يوم واحد لأربعة من ممالিকে وهم الأمير الطنبغا المارداني ويليغا اليحياوي وملكتمر الحجازي وقوصون مائتي ألف دينار ولم يزل مستمر العطاء لخاصكيته وممالিকে ما بين عشرة آلاف دينار وأكثر منها وأقل ونحوها من الجوهر واللاكيء.

وبذل في أثمان الخيل والمماليك ما لم يسمع بمثله.

وجمع من المال والجوهر والأحجار ما لم يجمعه ملك من ملوك الدولة التركية قبله مع فرط كرمه.

قلت: كل ذلك لحسن تدبيره وعظم معرفته فإنه كان يدري مواطن استجناء المال فيستجنيه منها ويعرف كيف يصرفه في محله وأغراضه فيصرفه.

ولم يشهر عنه أنه ولي قاض في أيامه برشوة ولا محتسب ولا وال بل كان هو يبذل.

لهم الأموال ويحرضهم على عمل الحق وتعظيم الشرع الشريف وهذا بخلاف من جاء بعده فإن غالب ملوك مصر ممن ملك مصر بعده يقتدي بشخص من أرباب وظائفه فيصير ذلك الرجل هو السلطان حقيقة والسلطان من بعض من يتصرف بأوامره وكل ذلك لقصر الإدراك وعدم المعرفة فلذلك يتركون الأموال الجليلة والأسباب التي يحصل منها الألوف المؤلفة ويلتفتون إلى هذا النزر اليسير القبيح الشنيع الذي لا يرتضيه من له أدنى همة ومروءة وهو الأخذ من قضاة الشرع عند ولايتهم المناصب وولاية الحسبة والشرطة وذلك كله وإن تكرر في السنة فهو شيء قليل جدًا يتعوض من أدنى الجهات التي لا يؤبه إليها من أعمال مصر فلو وقع ذلك لكان أحسن في حق الرعية وأبرأ لذمة السلطان والمسلمين من ولاية قضاة الشرع بالرشوة وما يقع بسبب ذلك في الأنكحة والعقود والأحكام وما أشبه ذلك.

انتهى.

وكان الملك الناصر يرغب في أصناف الجوهر فجلبتها إليه التجار من الأقطار.

وشغف بالجواري الراري فحاز منهم كل بديعة الجمال.

وجهز إحدى عشرة ابنة له بالجهاز العظيم فكان أولهن جهازًا بثمانمائة ألف دينار منها قيمة بشخاناه وداير بيت وما يتعلق به مائة ألف دينار وبقية ذلك ما بين جواهر ولآلئ وأواني ونحو ذلك وزوجهن لمماليكه مثل الأمير قوصون وبشتك وألطنبغا المارداني وطغاي تمر وعمر بن أرغون النائب وغيرهم.

وجهز جماعة من سراريه وجواريه ومن تحسن بخاطره كل واحدة بقريب ذلك وبمثله وأكثر منه.

واستجد النساء في زمانه الطرحة كل طرحة بعشرة آلاف دينار وبما دون ذلك إلى خمسة آلاف دينار والفرجيات بمثل ذلك.

واستجد النساء في زمانه الخلاخيل الذهب والأطواق المرصعة بالجواهر الثمينة والبقايب الذهب المرصعة والأزر والحريز وغير ذلك.

وكان الملك الناصر كثير الدهاء مع ملوك الأطراف يهاديهم ويستجليهم إلى طاعته بالهدايا والتحف حتى يدعنوا له فيستعملهم في حوائجه ويأخذ بعضهم ببعض.

وكان يصل إلى قتل من يريد قتله بالفداوية لكثرة بذله لهم الأموال.

وكان يحب العمارة فلم يزل من حين قدم من الكرك إلى أن مات مستمر العمارة فحسب تقدير مصروفه فجاء في كل يوم مدة هذه السنين ثمانية آلاف درهم قوم ذلك بطالة على عمل والسفر والحضر والعيد والجمعة.

وكان ينفق على العمارة المائة ألف درهم فإذا رأى منها ما لا يعجبه هدمها كلها وجددها على ما يختاره.

ولم يكن من قبله من الملوك في الإنفاق على العمائر كذلك.

وقد حكي عن والده الملك المنصور قلاوون أنه أراد أن يبني مصطبة عليها رفر فقيه حر الشمس إذا جلس عليها فكتب له الشجاعي تقدير مصروفها أربعة آلاف درهم فتناول المنصور الورقة من يد الشجاعي ومزقها وقال: أقعد في مقعد بأربعة آلاف درهم انصبوا لي صيوانًا إذا نزلت على المصطبة.

ومع هذا كله خفف الملك الناصر في بيت المال من الذهب والقماش أضعاف ما خلفه المنصور قلاوون.

وكانت المظالم أيام الملك المنصور قلاوون أكثر مما كانت في أيام الناصر هذا.

قلت: عود وانعطاف إلى ما كنا فيه من أن الأصل في تدبير الملك وتحصيل الأموال المعرفة والذكاء وجودة التنفيذ.

انتهى.

قلت: والملك المنصور قلاوون كان أسمح من الملك الظاهر بيبرس البندقداري وأقل ظلمًا.

والحق يقال ليس الظاهر والمنصور من خيل هذا الميدان ولا بينهما وبين الملك الناصر هذا نسبة هذا على أن الملك الناصر لما عمل الروك الناصري أبطل مظالم كثيرة من الضمانات والمكوس وغيرها حسب ما ذكرناه في وقته ومع هذا لم يحسن عليه محسن.

وكان الملك الناصر واسع النفس على الطعام يعمل في سماطه في كل يوم الحلوات والمأكول المفتخرة وأنواع الطير وبلغ راتب سماطه في كل يوم وراتب مماليكه من اللحم ستة وثلاثين ألف رطل لحم في اليوم سوى الدجاج والإوز والرمسان والجدي المشوي والمهارة وأنواع الوحوش كالغزلان والأرانب وغيره.

واستجد في أيامه عمائر كثيرة منها: حفر خليج الإسكندرية حفروه في مدة أربعين يومًا.

عمل فيه نحو المائة ألف رجل من النواحي.

واستجد عليه عدة سواقي وبساتين في أراض كانت سباحًا فصارت مزارع قصب سكر وسمسم وغيره.

وعمرت هناك الناصرية ونقل إليها المقداد بن شماس وأولاده وعدة أولاده مائة ولد ذكر.

واستمر الماء في خليج الإسكندرية طول السنة وفرح الناس بهذا الخليج فرحًا زائدًا وعظمت المنافع به.

وأنشأ الميدان تحت قلعة الجبل وأجرى له المياه وغرس فيه النخل والأشجار ولعب فيه بالكرة في كل يوم ثلاثاء مع الأمراء والخاصكية وأولاد الملوك.

وكان الملك الناصر يجيد لعب الكرة إلى الغاية بحيث إنه كان لا يدانيه فيها أحد في زمانه إلا إن كان ابن أرغون النائب.

ثم عمر فوق الميدان هذا القصر الأبلق وأخرب البرج الذي كان عمره أخوه الأشرف خليل على الإسطبل وجعل مكانه القصر المذكور وعمر فوقه رفقاً وعمر بجانبه برجاً نقل إليه المماليك.

وغير باب النحاس من قلعة الجبل ووسع دهليزه.

وعمر في الساحة تجاه الإيوان طباقاً للأمراء الخاصكية وغير عمارة الإيوان مرتين ثم في الثالثة أقره على ما هو عليه الآن وحمل إليه الغمد الكبار من بلاد الصعيد فجاء من أعظم المباني الملوكية ورتب خدمته بالإيوان بأنواع مهولة عجيبة مزعجة لمن يقدم من رسل الملوك يطول الشرح في ذكر ترتيب ذلك.

ثم رتب خدم القصر ومشديه وما كان يفرش فيه من أنواع البسط والستائر وكيفية حركة أرباب الوظائف فيه.

ثم عمر بالقلعة أيضاً دوراً للأمراء الذين زوجهم لبناته وأجرى إليها المياه وعمل بها الحمامات وزاد في باب القلة من القلعة باباً ثانياً.

وعمر جامع القلعة والقاعات السبع التي تشرف على الميدان لأجل سراريه.

وعمر باب القرافة.

وكان غالب عمائره بالحجارة خوفاً من الحريق.

وعزم على أن يغير باب المدرج ويعمل له دركاه فمات قبل ذلك.

وعمر بالقلعة حوش الغنم وحوش البقر وحوش المعزى فأوسع فيها نحو خمسين فداناً.

وعمر الخانقاه بناحية سرباقوس ورتب فيها مائة صوفي لكل منهم الخبز واللحم والطعام والحلوى وسائر ما يحتاج إليه.

قلت: وقد صارت الخانقاه الآن مدينة عظيمة.

انتهى.

قال: وعمر القصور بسرباقوس وعمل لها بستاناً حمل إليه الأشجار من دمشق وغيرها فصار بها عامة فواكه الشام.

وحفر الخليج الناصري خارج القاهرة حتى أوصله بسرباقوس وعمر على هذا الخليج أيضاً عدة قناطر وصار بجانبه هذا الخليج عدة بستانين وأملاك.

وعمرت به أرض الطبالة بعد خرابها من أيام العادل كتبغا.

وعمرت جزيرة الفيل وناحية بولاق بعد ما كانت رملاً يرمي بها المماليك الشباب وتلعب الأمراء بها الكرة فصارت كلها دوراً وقصوراً وجوامع وأسواقاً وبساتين وبلغت البساتين بجزيرة الفيل في أيامه مائة وخمسين بستاناً بعد ما كانت نحو العشرين بستاناً.

واتصلت العمائر من ناحية منية الشيرج على النيل إلى جامع الخطيري إلى حكر بن الأثير وزربية قوصون وإلى منشأة المهراي إلى بركة الحبش حتى كان الإنسان يتعجب لذلك فإنه كان قبل ذلك بمدة يسيرة تلالاً ورمالاً وحلفاء فصار لا يرى قدر ذراع إلا وفيه بناء.

كل ذلك من محبة السلطان للتعمير.

فصار كل أحد في أيامه يفعل ذلك ويتقرب إلى خاطره بهذا الشأن و صار لهم أيضًا غية في ذلك كما قيل: الناس على دين مليكهم بل قيل إنه كان إذا سمع بأحد قد أنشأ عمارة بمكان شكره في الملأ وأمده في الباطن بالمال والآلات وغيرها فعمرت مصر في أيامه وصارت أضعاف ما كانت كما سيأتي ذكره من الحارات والحكورة والأماكن.

فمما عمر في أيامه أيضًا القطعة التي فيما بين قبة الإمام الشافعي رضي الله عنه إلى باب القرافة طولاً وعرضاً بعد ما كانت فضاء لسباق خيل الأمراء والأجناد والخدام فكان يحصل هناك أيام السباق اجتماعات جليلة للتفرج على السباق إلى أن أنشأ الأمير بيبغا التركماني تربته بها وشكره السلطان.

فأنشأ الناس فيه ترباً حتى صارت كما ترى.

قلت: وكذا وقع أيضًا في زماننا هذا بالساحة التي كانت تجاه تربة الملك الظاهر برقوق أعني المدرسة الناصرية بالصحراء فإنها كانت في أوائل الدولة الأشرفية برسباي ساحة كبيرة يلعب فيها المماليك السلطانية بالرمح وهي الآن كما ترى من العمائر.

وكذا وقع أيضًا بالساحة التي كانت من جامع أيدمر الخطيري على ساحل بولاق إلى بيت المقر الكمال بن البارزي فإن الملك المؤيد شيخ جلس في حدود سنة عشرين وثمانمائة ببيت القاضي ناصر الدين بن البارزي والد كمال الدين المذكور بساحة بولاق وسأقت الرماحة المحمل قدامه بالساحة المذكورة وهي الآن كما هي من الأملاك.

وكذلك وقع أيضًا بخانقاه سرياقوس وأنها كانت ساحة عظيمة من قدام خانقاه الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الترجمة إلى الفضاء حتى عمر بها الأمير سودون بن عبد الرحمن مدرسته في حدود سنة ست وعشرين وثمانمائة فكان ما بين المدرسة العبد الرحمانية المذكورة وبين باب الخانقاه الناصرية ميدان كبير.

انتهى.

وقد خرجنا عن المقصود ولنرجع إلى ما كنا فيه من ذكر الملك الناصر محمد فنقول أيضًا: وعمر أيضًا في أيامه الصحراء التي ما بين قلعة الجبل وخارج باب المحروق إلى تربة الظاهر برقوق المقدم ذكرها.

وأول من عمر فيها الأمير قراسنقر تربته وعمر بها حوض السبيل يعلوه مسجد.

ثم اقتدى به جماعة من الأمراء والخوندات والأعيان مثل خوند طغاي عمرت بها تربتها العظيمة ومثل طشتمر حمص أخضر الناصري ومثل طشتمر طلليه الناصري وغيرهم.

وكان هذا الموضع ساحة عظيمة وبه ميدان القبة من عهد الملك الظاهر بيبرس برسم ركوب السلطان وعمل الموكب به برسم سباق الخيل فلما عمر قراسنقر تربته عمر الناس بعده حتى صارت الصحراء مدينة عظيمة.

وعمر الملك الناصر أيضًا لمماليكه عدة قصور خارج القاهرة وبها منها قصر الأمير طقتمر الدمشقي بحدرة البقر وبلغ مصروفه ثمانمائة ألف درهم فلما مات طقتمر أنعم به على الأمير طشتمر حمص أخضر فزاد في عمارته.

ومنها قصر الأمير بكتمر الساقي على بركة الفيل بالقرب من الكبش فعمل أساسه أربعين ذراعًا وارتفاعه أربعين ذراعًا فزاد مصروفه على ألف ألف درهم ومنها الكبش حيث كان عمارة الملك الصالح نجم الدين أيوب فعمله الملك الناصر سبع قاعات برسم بناته ينزلون فيه للفرجة على ركوب السلطان للميدان الكبير.

لم ينحصر ما أنفقه فيها لكثرتة.

ومنها إسطلب الأمير قوصون بسوق الخيل تحت القلعة تجاه باب السلسلة وكان أصله إسطلب الأمير سنجر البشمقدار وسنقر الطويل.

ومنها قصر بهادر الجوباني بجوار زاوية البرهان الصائغ بالجسر الأعظم تجاه الكبش.

ومنها قصر قطلوبغا الفخري وقصر أطنبغا المارداني وقصر يلغا اليحياوي و هؤلاء أجل ما عمر من القصور وهم موضع المدرسة الناصرية الحسنية أخذهم الملك الناصر حسن وهدمهم وعمر مكان ذلك مدرسته المشهورة به.

وعمر في أيامه الأمراء عدة دور وقصور منها: دار الأمير أيدغمش أمير آخور وقصر بشتك وغيره.

وكان الملك الناصر له عناية كبيرة ببلاد الجيزة حتى إنه عمل على كل بلد جسرًا وقنطرة وكانت قبل ذلك أكثر بلادها تشرق لعلوها فعمل جسر أم دينار في ارتفاع اثنتي عشرة قصبة أقام العمل فيه مدة شهرين وهو الذي أقترحه فحبس الماء حتى رده على تلك الأراضي وعم النفع بها جميع أهل الجيزة.

ومن يومئذ قوي بسبب هذا الجسر الماء حتى حفر بحرًا يتصل بالجيزة.

وخرج في أراضي الجيزة عدة مواضع وزرعت بعد ما كانت شاسعة وأخذ من هذه الأراضي قوصون وبشتك وغيرهما عدة أراض عمروها ووقفوها.

واستجد السلطان على بقية الأراضي ثلاثمائة جندي.

قلت: هذا وأبيك العمل وأين هذا من فعل غيره ينظر إلى أحسن البلاد فيأخذها ويوقفها فيخربها النظار بعد سنين فالفرق واضح لا يحتاج إلى بيان.

وهذا الذي أشرنا إليه من أن الملك إذا كان له معرفة حصل له أغراضه من جمع المال من هذا الوجه وغيره ولا يحتاج لأخذ الرشوة من الحكام والإفحاش في أخذ المكوس وغيرها ومثل ذلك فكثير.

واستجدت في أيام الملك الناصر عدة أراض أيضًا بالشرقية ونواحي فوة وغيرها أقطعت للأجناد وكانت قبل ذلك بسنين كثيرة خرابًا لا ينتفع بها.

وعمل أيضًا سد شبين الفصر فزاد بسببه خراج الشرقية زيادة كثيرة.

وعمل جسراً خارج القاهرة حتى رد النيل عن منية الشيرج وغيرها فعمر بذلك عدة بساتين بجزيرة الفيل وأحكم عامة أراضي مصر قبليها وبحريها بالتراع والجسور حتى أتقن أمرها.

ركان يركب إليها برسم الصيد كل قليل ويتفقد أحوالها بنفسه وينظر في جسورها وتراعها وقناطرها بحيث إنه لم يدع في أيامه موضعاً منها حتى عمل فيه ما يحتاج إليه.

وكان له سعد في جميع أعماله فكان يقترح المنافع من قبله بعد أن كان يزهده فيما يأمر به حذاق المهندسين ويقول بعضهم: يا خوند الذين جاؤوا من قبلنا لو علموا أن هذا يصح فعلوه فلا يلتفت إلى قولهم ويفعل ما بدا له من مصالح البلاد فتأتيه أغراضه على ما يحدث وزيادة فزاد في أيامه خراج مصر زيادة هائلة في سائر الأقاليم.

وكان إذا سمع بشراقي بلد أو قرية من القرى أهمه ذلك وسأل المقطع بها عن أحوال القرية المذكورة غير مرة بل كلما وقع بصره عليه ولا يزال يفحص عن ذلك حتى يتوصل إلى ريبها بكل ما تصل قدرته إليه.

كل ذلك وصاحبها لايسأله في شيء من أمرها فيكلمه بعض الأمراء في ذلك فيقول: هذه قرنتي وأنا الملزوم بها والمسؤول عنها فكان هذا دأبه.

وكان يفرح إذا سأله بعض الأجناد في عمل مصلحة بلده بسبب عمل جمر أو تقاوي أو غير ذلك وينبل ذلك الرجل في عينه ويفعل له ماطلبه من غير توقف ولا ملل في إخراج المال فإن كلمه أحد في ذلك يقول: فلم نجتمع المال في بيت مال المسلمين إلا لهذا المعنى وغيره فهذه كانت عوائده.

وكذلك فعل بالبلاد الشامية حتى إن مدينة غزة هو الذي مصرها وجعلها على هذه الهيئة وكانت قبل كآحاد قرى البلاد الشامية وجعل لها نائباً وسمي بملك الأمراء ولم تكن قبل ذلك إلا ضيعة من ضياع الرملة ومثلها فكثير من قرى الشام وحلب والساحل يطول الشرح في ذكر ذلك.

وأنشأ الملك الناصر بالديار المصرية الميدان الكبير على النيل وخرب ميدان اللوق الذي كان عمره الظاهر ببيرس وعمله بستاناً وقد تقدم ذكره.

ثم أنعم السلطان بالبستان المذكور على الأمير قوصون فبنى قوصون تجاهه زربته المعروفة بزربية قوصون بنياناً ووقفه واقفياً الأمراء بقوصون في العمارة.

ثم أخذ قوصون بستان الأمير بهادر رأس نوبة وحكره للناس ومساحته خمسة عشر فداناً فبنوه دوراً على الخليج فعرف بحكر قوصون.

وحكر السلطان حول البركة الناصرية أراضي البستان فعمرها الناس وسكنوا فيه.

ثم

▲ حكر الأمير طقزدمر الحموي الناصري بستاناً بجوار الخليج

مساحته ثلاثون فداناً وبنى له قنطرة عرفت به وعمل هناك حماماً وحوانيت أيضاً فصار حكرًا عظيم المساكين.

قلت: وطقزدمر هذا هو الذي جدد الخطبة بالمدرسة المعزية الأيكية على النيل بمصر القديمة.

ثم حكر الأمير آقبا عبد الواحد بستانًا بجوار بركة قارون ظاهر القاهرة فعمره عمارة كبيرة وأخذ بقية الأمراء جميع ماكان من البساتين والجينات ظاهر القاهرة وحكروها وحكرت دادة السلطان الملك الناصر الست حدق والست مسكة القهرمانه حكرين عرفا بهما.

وأنشأت كل واحدة منهما في حكرها جامعًا تقام به الجمعة فزادت الأحكار في أيام الملك الناصر على ستين حكرًا وبهذا اتصلت العمائر من باب زويلة إلى سد مصر بعد ماكانت ساحة مخيفة.

كل ذلك لما علم الناس من حب السلطان للعمر.

قلت: وعلى هذا زادت الديار المصرية في أيامه مقدار النصف.

قال: وعمرت في أيامه بالديار المصرية عدة جوامع تقام فيها الخطب زيادة على ثلاثين جامعًا منها: الجامع الناصري بقلعة الجبل جدده وأوسعه ومنها الجامع الجديد الناصري أيضًا على نيل مصر ومنها جامع الأمير طيبرس الناصري نقيب الجيش على النيل بجوار خانقاه وقد ذهب أثر هذا الجامع المذكور من سنين ثم عمر طيبرس المذكور مدرسته المشهورة به بجوار الجامع الأزهر ولما خرب جامع المذكور الذي كان على النيل نقل الصوفية الذين كانوا به إلى المدرسة المذكورة.

انتهى.

ومنها جامع المشهد النفيسي لا أعلم من بناه ومنها جامع الأمير بدر الدين محمد التركماني بالقرب من باب البحر ثم جامع الأمير كراي المنصوري بأخر الحسينية وجامع كريم الدين خلف الميدان وجامع شرف الدين الجاكي بسويقة الريش وجامع الفخر ناظر الجيش على النيل فيما بين بولاق وجزيرة الفيل وجامع آخر خلف خص الكيالة ببولاق وجامع ثالث بالروضة وجامع أمير حسين بالحكر وبنى له قنطرة على الخليج بالقرب منه وجامع الأمير قيدان الرومي بقناطر الإوز وجامع دولة شاه مملوك العلاني بكوم الريش وجامع الأمير ناصر الدين الشرايبيشي الحزاني بالقرافة وجامع الأمير أقوش نائب الكرك بطرف الحسينية بالقرب من الخليج وجامع الأمير آق سنقر شاد العمائر قريبًا من الميدان وجامع خارج باب القرافة عمرة جماعة من العجم وجامع التوبة بباب البرقية عمره مغلطاي أخو الامير ألماس وجامع بنت الملك الظاهر بالجزيرة المستجدة المعروفة بالوسطانية وجامع الأمير ألماس الناصري الحاجب بالقرب من حوض ابن هنس بالشارع الأعظم خارج القاهرة وجامع الأمير قوصون الناصري بالقرب منه أيضًا على الشارع خارج القاهرة وله أيضًا جامع و خانقاه خارج باب القرافة وجامع الأمير عز الدين أيدير الخطيري بساحل بولاق وجامع أخي صاروجا بشون القصب وجامع الأمير بشتك الناصري على بركة الفيل تجاه خانقاه وجامع الأمير آل ملك بالحسينية وجامع الست حدق الدادة فيما بين السد وقناطر السباع وجامع الست مسكة قريبًا من قنطرة آق سنقر وجامع الأمير الطنبا المارداني خارج باب زويلة وجامع المظفر بسويقة الجميزة من الحسينية وجامع جوهر السحرتي قريبًا من باب الشعرية وجامع فتح الدير محمد بن عبد الظاهر بالقرافة.

وغير ذلك من المدارس والمساجد وهذا كله بديار مصر.

وأما ما بني بالبلاد الشامية في أيامه فكثير جدًا.

وآخر ما بناه الملك الناصر السواقى التي بالرصد ومات قبل أن يكملها.

وكان الملك الناصر في آخر أيامه شغف بحب الجوارى المولدات وحملن إليه فزادت عدتهن عنده على ألف ومائتي وصيفة.

وخلف من الأولاد الذكور أبا بكر ومحمدًا وإبراهيم وعليًا وأحمد وكجك ويوسف وشعبان وإسماعيل ورمضان وحاجي وحسيًا وحسنًا وصالحًا.

وتسلطن من ولده لصلبه ثمانية: أبو بكر وكجك وأحمد وإسماعيل وشعبان وحاجي وحسن وصالح ثم حسن ثانيًا حسب ماياتي ذكر ذلك كله في محله إن شاء الله تعالى.

وخلف من البنات سبعًا.

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في تاريخه: وكان الملك الناصر ملكًا عظيمًا محظوظًا مطاعًا مهيبًا ذا بطش ودهاء وحزم شديد وكيد مديد قلما حاول أمرًا فانخرم عليه فيه شيء يحاوله إلا أنه كان يأخذ نفسه فيه بالحزم البعيد والاحتياط.

أمسك إلى أن مات مائة وخمسين أميرًا.

وكان يصبر الدهر الطويل على الإنسان وهو يكرهه.

تحدث مع الأمير أرغون الدوادر في إمساك كريم الدين الكبير قبل القبض عليه بأربع سنين وهم بإمساك تنكز لما ورد من الحجاز في سنة ثلاث وثلاثين بعد موت بكتمر الساقى ثم إنه أمهله ثمانى سنين بعد ذلك.

وكان ملوك البلاد الكبار يهابونه ويراسلون.

وكان يتردد إليه رسل صاحب الهند وبلاد أربك خان وملوك الحبشة وملوك الغرب وملوك الفرنج وبلاد الأشكري وصاحب اليمن.

وأما بو سعيد ملك التتار فكانت الرسل لاتنقطع بينهما ويسمي كل منهما الآخر أخًا.

وكانت الكلمتان واحدة ومراسيم الملك الناصر تنفذ في بلاد بوسعيد ورسله يتوجهون.

إليه بأطلابهم وطبلخاناتهم بأعلامهم المنشورة.

وكان كلما بعد الإنسان من بلاده وجد مهابته ومكاته في القلوب أعظم.

وكان سمحًا جوادًا على من يقربه لايبخل عليه بشيء كائنًا من كان.

سألت القاضي شرف الدين النشو: أطلق يومًا ألف ألف درهم قال: نعم كي وفي يوم واحد أنعم على الأمير بشتك بألف ألف درهم في ثمن قرية يبنى التي بها قبر أبي هريرة على ساحل الرملة.

وأنعم على موسى بن مهنا بألف ألف درهم وقال لي يعني عن النشأ: هذه ورقة فيها ما ابتاعه من الرقيق في أيام مباشرتي وكان ذلك من شعبان سنة اثنتين وثلاثين إلى سنة سبع وثلاثين وسبعمئة فكان جملته أربعمئة ألف وسبعين ألف دينار مصرية.

وكان ينعم على الأمير تنكز في كل سنة يتوجه إليه إلى مصر وهو بالباب ما يزيد على ألف ألف درهم.

ولما تزوج الأمير سيف الدين قوصون بابنة السلطان وعمل عرسه حمل الأمراء إليه شيئاً كثيراً فلما تزوج الأمير سيف الدين طغاي تمر بابنته الأخرى قال السلطان: ما نعمل له عرساً لأن الأمراء يقولون: هذه مصادرة.

ونظر إلى طغاي تمر وقد تغير وجهه فقال للقاضي تاج الدين إسحاق: يا قاضي اعمل ورقة بمكارمة الأمراء لقوصون فعمل ورقة وأحضرها فقال السلطان: كم الجملة قال: خمسون ألف دينار فقال: أعطها لطغاي تمر من الخزانة وذلك خارج عما دخل مع الزوجة من الجهاز.

وأما عطاؤه للعرب فأمر مشهور زائد عن الحد.

انتهى كلام الشيخ صلاح الدين الصفدي باختصار.

وهو أجدر بأحوال الملك الناصر لأنه يعاصره وفي أيامه غير أننا ذكرنا من أحوال الملك الناصر ما خفي عن صلاح الدين المذكور نبذة كبيرة من أقوال جماعة كثيرة من المؤرخين.

والله تعالى أعلم.

السنة الأولى من سلطنة الناصر محمد الثالثة علي مصر وهي سنة عشر وسبعمائة على أنه حكم في السنة الماضية من شهر شوال إلى آخرها.

فيها أعني سنة عشر وسبعمائة قبض الملك الناصر على الأمير سلار وقتله في السجن حسب ما تقدم ذكره في أصل الترجمة ويأتي أيضاً ذكر وفاته في هذه السنة.

وفيها توفي العلامة قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني السروجي الحنفي قاضي قضاة الديار المصرية في يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر بالمدرسة السيوفية بالقاهرة.

وكان بارعاً في علوم شتى وله اعتراضات على بن تيمية في علم الكلام وصنف شرحاً على الهداية وسماه الغاية ولم يكمله.

وتوفي الشيخ الإمام الغلامه نجم الدين أحمد بن محمد بن علي بن مرتفع بن حازم بن إبراهيم بن العباس بن الرفعة الشافعي المصري.

كان فقيهاً مفتياً مفتياً وكان يلي حسبة مصر القديمة.

وشرح التنبيه والوسيط في الفقه في أربعين مجلداً.

ومات في ثامن عشر رجب ودفن بالقرافة.

رحمه الله.

وتوفي الشيخ رضي الدين أبو بكر بن محمود بن أبي بكر الرقي الحنفي المعروف بالمقصود مات بدمشق ودفن بالباب الصغير.

وكان فقيهاً فاضلاً عالمًا بعدة فنون ودرس وأفتى سنين كثيرة.

وتوفي الشيخ الإمام العلامة قطب الدين محمود بن مسعود بن مصلح الشيرازي كان عالمًا بالفلسفة والمنطق والأصول والحكمة وله فيهم مصنفات تدل على فضله.

وتولى قضاء بلاد الروم ولم يباشر القضاء ولكن كانت نوابه تحكم في البلاد.

وكان معظمًا عند ملوك التتار وكان من تلامذة النصير الطوسي وبه تخرج في علم الأوائل.

وبنى له تربة بتبريز وبها دفن.

وتوفي الشيخ الأديب الشاعر شهاب الدين أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم بن عبد العزيز العزازي التاجر بقيسارية جهاركس بالقاهرة.

مات في هذه السنة ودفن بسفح المقطم.

وكان له النظم الرائق وله ديوان شعر مشهور.

ومن شعره في مليح بدوي: الخفيف بدوي كم حدثت مقلته عاشقًا عن مقاتل الفرسان
بمحميا يقول يا لهلال ولحاظ تقول يا لسان قلت: ويعجني في هذا المعنى قول الشيخ
علاء الدين الوداعي وهو: مخلع البسيط أقبل من حيه وحيا فأشرقت سائر النواحي فقلت
ياوجه من بني من فقال لي من بني صباح قلت: والعزازي هذا هو صاحب الموشحات
الظريفة المشهورة ذكرنا منها عدة في ترجمته في تاريخنا المنهل الصافي إذ هو كتاب
تراجم.

وتوفي الحكيم الأديب البارع شمس الدين محمد بن دانيال بن يوسف الموصلية صاحب
النكت الغربية والنوادر العجبية وهو مصنف كتاب طيف الخيال.

وكان كثير المجون والدعابة وكانت دكانه داخل باب الفتوح من القاهرة.

ومولده بالموصل سنة ست وأربعين وستمائة.

ومات في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة.

ومن شعره في صنعته: السريع ما عاينت عينا في عطلتي أقل من حظي ولا بختي قد
بعث عبدي وحصاني وقد أصبحت لا فوقني ولا تحتي وله في المعنى أيضًا: السريع يا
سائلي عن حرفتي في الوري وضعيتي فيهم وإفلاسي ما حال من درهم إنفاقه يأخذه من
أعين الناس ومن نوادره الظريفة أنه كان يلازم خدمة الملك الأشرف خليل بن قلاوون
قبل سلطنته فأعطاه الأشرف فرسًا ليركبه فلما كان بعد أيام رآه الأشرف وهو على
حمار زمن فقال له: يا حكيم ما أعطيناك فرسًا لتركبه فقال: نعم يا خوند بعته وزدت عليه
واشتريت هذا الحمار.

فضحك الأشرف وأعطاه غيره.

وله في أقطع: مجزوء الرجز وأقطع قلت له هل أنت لص أوجد وتوفي الأمير سيف الدين
الحاج بهادر المنصوري نائب طرابلس بها وفرح الملك الناصر بموته فإنه كان من كبار
المنصورية.

وتوفي الأمير جمال الدين آقوش المنصوري الموصلّي المعروف بقتال السبع أمير علم، مات بالديار المصرية وكان من أكابر أمرائها في شهر رجب ودفن بالقرافة.

وتوفي الأمير سيف الدين برلغي الأشرفي في ليلة الأربعاء ثاني شهر رجب قتيلاً بقلعة الجبل.

قيل: إنه منع الطعام والشراب حتى مات ودفن بالحسينية خارج باب النصر بجوار تربة علاء الدين الساقى الأستادار.

وكان برلغي صهر المظفر بيبرس الجاشنكير زوج ابنته ومن أزمه.

وقد تقدم ذكره فيما مضى في أول ترجمة الملك الناصر وفي ترجمة بيبرس أيضاً ما فيه كفاية عن ذكره هنا ثانياً.

وتوفي الأمير سيف الدين قبيجق المنصوري نائب حلب بها في جمادى الأولى وحمل إلى حماة ودفن بتربته التي أنشأها بعد مرض طويل.

وقد تقدم ذكر قبيجق في عدة مواطن فإنه كان ولي نيابة دمشق وخرج منها في سلطنة لاجين إلى بلاد التتار وأقدم غازان إلى دمشق ثم عاد إلى طاعة الملك الناصر في سلطنته الثانية ثم كان هو القائم في أمر الملك الناصر لما خلع بالجاشنكير حتى رده إلى ملكه.

وتوفي الأمير الكبير سلار المنصوري نائب السلطنة بديار مصر في يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر.

وقد تقدم ذكره في أول ترجمة الناصر هذه الثالثة وما وجد له من الأموال وغير ذلك فليُنظر هناك.

وتوفي الأمير نوغاي بن عبد الله المنصوري القيقاقي المقدم ذكره في ترجمة الملك المظفر بيبرس لما فارقه وتوجه إلى الكرك إلى عند الملك الناصر محمد.

مات بقلعة دمشق محبوباً ودفن بمقابر الباب الصغير وكان من الشجعان غير أنه كان يحب الفتن والحروب.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم لم يحرر.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعاً وثلاث أصابع.

وكان الوفاء يوم النوروز.

والله أعلم.

السنة الثانية من سلطنة الناصر الثالثة

وهي سنة إحدى عشرة وسبعمائة.

فيها توفي الأمير بكتوت الخازندار ثم أمير شكار ثم نائب السلطنة بئغر الإسكندرية ومات بعد عزله عنها في ثامن شهر رجب.

وأصله من مماليك بيليك الخازندار نائب السلطنة بمصر في الدولة الظاهرية ببيرس.

ثم صار أمير شكار في أيام كتبغا ثم ولي الإسكندرية وكثر ماله واختص عند ببيرس الجاشنكير وسلار.

فلما عاد الملك الناصر إلى ملكه حسن له بكتوت هذا حفر خليج الإسكندرية ليستمر الماء فيها صيفًا وشتاء فندب السلطان معه محمد بن كندغدي المعروف بابن الوزيري وفرض العمل على سائر الأمراء فأخرج كل منهم أستاذاره ورجاله وركب ولاة الأقاليم ووقع العمل فيه من شهر رجب سنة عشر وسبعمئة وكان فيه نحو الأربعين ألف رجل تعمل.

وكان قياس العمل من فم البحر إلى شنبار ثمانية آلاف قصبة ومثلها إلى الإسكندرية.

وكان الخليج الأصلي من حد شنبار يدخل الماء إليه فجعل فم هذا البحر يرمي إليه وعمل عمقه ست قصبات في عرض ثمانى قصبات.

فلما وصل الحفر إلى حد الخليج الأول حفر بمقدار الخليج المستجد وجعل بحرًا واحدًا وركب عليه القناطر.

ووجد في الخليج من الرصاص المبني تحت الصهاريج شيء كثير فأنعم به على الأمير بكتوت.

فلما فرغ ابنتى الناس عليه سواقي واستجدت عليه قرية عرفت بالناصرية فبلغ ما أنشئ عليه زيادة على مائة ألف فدان ونحو ستمائة ساقية وأربعين قرية وسارت فيه المراكب الكبار واستغنى أهل الثغر عن جري الماء في الصهاريج.

وعمر عليه نحو الألف غيط وعمرت به عدة بلاد وتحولت الناس إلى الأراضي التي عمرت وسكنوها بعدما كانت سباحًا.

فلما فرغ ذلك ابنتى بكتوت هذا من ماله جسرًا أقام فيه ثلاثة أشهر حتى بناه رصيفًا وأحدث عليه نحو ثلاثين قنطرة بناها بالحجارة والكلس وعمل أساسه رصاصًا وأنشأ بجانبه خانًا وحانوتًا وعمل فيه خفرًا وأجرى لهم الماء فبلغت النفقة على هذا الجسر ستين ألف دينار.

وأعانه على ذلك أنه هدم قصرًا قديمًا خارج الإسكندرية وأخذ حجره ووجد في أساسه سربًا من رصاص مشوا فيه إلى قرب البحر المالح فحصل منه جملة عظيمة من الرصاص.

ثم إنه شجر ما بينه وبين صهره فسعى به إلى السلطان وأغراه بأمواله وكتب مستوفي الدولة أمين الملك عبد الله بن الغنام عليه أوراقًا بمبلغ أربعمئة ألف دينار فعزل وطلب إلى القاهرة.

فلما قرئت عليه الأوراق قال: قبلوا الأرض بين يدي مولانا السلطان وعرفوه عن مملوكه أنه إن كان راضيًا عنه فكل ما كتب كذب وإن كان غير راض فكل ما كتب صحيح.

وكان قد وعك في سفره من الإسكندرية فمات بعد ليال في ثاني عشر شهر رجب فأخذ له مال عظيم جدًا وكان من أعيان الأمراء وأجلهم وكرمائمهم وشجعانهم مع الذكاء والعقل والمروءة وله مسجد خارج باب زويلة وله أيضًا عدة أوقاف على جهات البر.

وتوفي الشيخ المجود المنشىء الفاضل شرف الدين محمد بن شريف بن يوسف الزرعي المعروف بابن الوحيد.

كان حسن الخط فاضلاً مقدماً شجاعاً يعرف عدة علوم وألسن وخدم عند جماعة من أعيان الأمراء وكتب في الإنشاء بالقاهرة ثم تعطل بعد ذلك ونزل صوفيًا بخانقاه سعيد السعداء.

فلما كانت سنة إحدى وسبعمئة قدم رسل التتار إلى مصر ومعهم كتاب غازان فلم يكن في الموقعين من يحله فطلب فحله فرتبه السلطان في ديوان الإنشاء إلى أن مات بالبيمارستان المنصوري يوم الثلاثاء سادس عشرين شعبان وله ثلاث وستون سنة.

ومن شعره في تفضيل الحشيش على الخمر: الطويل وخضراء لا الحمراء تفعل فعلها لها وثبات في الحشى وثبات تأجج نارًا في الحشى وهي جنة وتبل مرير الطعم وهي نبات وتوفي صاحب الوزير فخر الدين عمر بن الشيخ مجد الدين عبد العزيز بن الحسن بن الحسين الخليلي التميمي الداري بالقاهرة في يوم عيد الفطر ودفن بالقرافة الصغرى.

وكان مولده سنة أربعين وستمئة.

وتولى الوزارة في دولة الملك السعيد بن الظاهر بيبرس ثم بعدها غير مرة إلى أن عزله الملك الناصر ومات معزولاً.

وكان فاضلاً خيراً ديناً كثير الصدقات عفيفاً عن أموال الرعية.

رحمه الله.

وتوفي القاضي العلامة الحافظ سعد الدين مسعود بن أحمد بن مسعود بن زيد الحارثي الحنبلي.

مات بالمدرسة الصالحية بالقاهرة ودفن بالقرافة.

وكان من أعيان العلماء المحدثين.

رحمه الله.

وتوفي الشيخ فخر الدين إسماعيل بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن الحسن بن عساكر الدمشقي.

مات بدمشق ودفن بالباب الصغير.

روى عن جماعة من المشايخ وكانت نفسه قوية.

وتوفي الشيخ الإمام العالم الخطيب بجامع أحمد بن طولون شمس الدين محمد بن يوسف بن عبد الله بن الجزري الشافعي.

مات بالمدرسة المعزية بمصر في أوائل ذي الحجة ودفن بالقرافة.

ومولده سنة سبع وثلاثين وستمائة بالجزيرة وقدم دمشق وبرع في عدة علوم وعرض عليه قضاء دمشق فامتنع.

وتوفي الشيخ الأديب سراج الدين عمر بن مسعود الحلبي المعروف بالمحار.

وكان أولًا صانعًا يمحر الكتان ثم اشتغل بالأدب ومهر فيه واتصل بخدمة الملك المنصور صاحب حماة إلى أن مات بدمشق في هذه السنة.

وهو صاحب الموشحات المشهورة.

ومن شعره: الكامل لما تألق بارق من ثغره جادت جفويي بالسحاب الممطر فكأن عقد
الدمع حل قلائد ال - - عقيان منه على صحاح الجوهرى وله في مليح نجار: الكامل وجبت
زبارتها علينا عندم شغف القلوب بحبها النجار ومن موشحاته: ما ناحت الورق في
الغصون إلا هاجت على تغريدها لوعة الحزين هل ما مضى لي مع الحبايب أيب بعد
الصدود أو هل لأيامنا الذواهب واهب بأن تعود بكل مصقولة الترائب كاعب هيفاء رود
تفتر عن جوهر ثمين جلا أن يجتلى يحمى بقضب من الجفون أحبته ناعم الشمائل مائل
في برده في أنفاس العاشقين عامل عامل من قده يرنو بطرف إلى المقاتل قاتل في
غمده أسطى من الأسد في العرين فعلا وأقتلا لعاشقيه من المنون علقته كامل المعاني
عاني قلبي به قاسوه بالبدر وهو أحلى شكلا من القمر وراش هذب الجفون نبلا أبلى بها
البشر وقال لي وقد تجلى جلا بارىء الصور ينتصف البدر من جيبني أصلا ففلت لا قال ولا
السحر من عيوني أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ذراعان وثلاث أصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وإحدى وعشرون إصبعًا.

والله أعلم.

السنة الثالثة من سلطنة الناصر محمد الثالثة على مصر وهي سنة اثنتي عشرة
وسبعمائة.

فيها توفي قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن إبراهيم بن داود
بن حازم الأذرعي الحنفي بالقاهرة في شهر رجب ومولده بأذرعات في سنة أربعين
وستمائة.

وكان إمامًا بارعًا مفتيًا عارفًا بالفقه واللغة والعربية والأصول وأفتى ودرس بالشبلية التي
على وتوفي الشيخ شرف الدين محمد بن موسى بن محمد بن خليل المقدسي الكاتب
المنشئ في خامس عشر شعبان بالقاهرة.

وكان فاضلًا أديبًا شاعرًا إلا أنه كان كثير الهجاء.

وكان يعرف بكاتب أمير سلاح.

ومن شعره: البسيط اليوم يوم سرور لا شرور به فزوج ابن سحاب بابنة العنب ما أنصف
الكأس من أيدى القلوب لها وثغرها باسم عن لؤلؤ الحب وتوفي الشيخ مجد الدين
أحمد بن ديلم بن محمد الشيبني المكيئ شيخ الحجة وفتح الكعبة بمكة ودفن بالمعلاة.

وروى عن ابن مسدي والمرسي وغيرهما.

وتوفي الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الملك الناصر صلاح الدين داود ابن الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب.

مات بالقاهرة في يوم الاثنين ثاني عشر شهر رجب.

ومولده بالكرك في سنة سبع وثلاثين وستمائة.

وتوفي الملك المنصور نجم الدين أبو الفتح غازي بن الملك المظفر فخر الدين قرا أرسلان ابن الملك السعيد نجم الدين غازي الأرتقي صاحب ماردين وابن صاحبها وبها كانت وفاته في تاسع شهر ربيع الآخر ودفن بمدرسته تحت قلعة ماردين وعمره فوق السبعين.

وكانت مدته على ماردين نحو العشرين سنة.

وكان ملكًا مهيبًا كامل الخلقة سميتا بدينًا عارقًا مدبرًا.

وتولى وتوفي الأمير سيف الدين قطلوبك الشخي كان من أعيان أمراء دمشق وبها كانت وفاته.

وتوفي الأمير سيف الدين مغلطاي البهائي بطرابلس.

كان قد رسم السلطان بالقبض عليه فوصل البريدي بذلك بعد موته بيوم.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وأصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا واثنتان وعشرون إصبعاً.

وكان الوفاء ثالث أيام النسيء.

السنة الرابعة من سلطنة الناصر محمد الثالثة وهي سنة ثلاث عشرة وسبعمائة.

فيها توفي القاضي عماد الدين أبو الحسن علي بن القاضي فخر الدين عبد العزيز ابن القاضي عماد الدين عبد الرحمن بن السكري في يوم الجمعة السادس والعشرين من صفر.

وكان فاضلاً فقيهاً.

توجه رسولاً من قبل الملك الناصر إلى غازان وولي تدريس مشهد الحسين بالقاهرة وعدة وظائف دينية وولي خطابة جامع الحاكم.

وتوفي الأمير المسند علاء الدين أبو سعيد بيبرس التركي العديمي الحنفي بحلب ودفن بتربة ابن العديم وقد قارب التسعين سنة.

وانفرد بالرواية قبل موته وقصد من الأقطار ورحل إليه من حدث بالكثير.

وتوفي صاحب مراکش من بلاد الغرب الأمير سليمان بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب المريني وولي بعده عمه أبو سعيد عثمان بن يعقوب واستوسق أمره.

وتوفي الخان طقطاي بن منكوتمر بن طغان بن باطو بن جوجي بن جنكزخان ملك التتار بالبلاد الشمالية بمكان يسمى كرنا على مسافة من مدينة صراي عشرة أيام.

وذكره بن كثير في السنة الخالية والصحيح ما قلناه.

وكانت مملكته ثلاثًا وعشرين سنة ومات وله ثلاثون سنة.

وكان شهيمًا شجاعًا مقدامًا وكان على دين التتار في عبادة الأصنام والكواكب يعظم الحكماء والأطباء والفلاسفة ويعظم المسلمين أكثر من الجميع غير أنه لم يسلم وكانت عساكره كثيرة جدًا يقال إنه جرد مرة من كل عشرة واحدًا فبلغت التجريدة مائة ألف وخمسين ألفًا.

وكانت وفاته في شهر رمضان ومات ولم يخلف ولدًا فجلس على تخت الملك من بعده أزيك خان بن طغرل بن منكوتمر بن طغان بن باطو بن جنكزخان.

وكان الذي أعان أزيك خان على السلطنة شخص من أمرائهم من المسلمين يقال له قطلقتمر كان على تدبير ممالكهم.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ذراعان وسبع أصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وسبع أصابع.

وكان الوفاء قبل النوروز بيوم واحد.

السنة الخامسة من سلطنة الناصر محمد الثالثة وهي سنة أربع عشرة وسبعمائة.

فيها توفي الشيخ المعمر بقية السلف محمد بن محمود بن الحسين بن الحسن الموصلية المعروف بحياك الله.

مات بزاولته بسويقة الريش خارج القاهرة في يوم الخميس تاسع شهر ربيع الأول ودفن بالقرافة.

وكان شيخًا صالحًا بلغ عمره نحوًا من مائة سنة وستين سنة وكان حاضر الحس جيد القوة وكان يقصد للزيارة للتبرك به وكان كثير الذكر والعبادة وله محاضرة حسنة وشعر.

ومن شعره من أول قصيدة: الطويل إذا الحب لم يشغلك عن كل شاغل فما ظفرت كفاك منه بطائل وتوفي القاضي شرف الدين يعقوب بن مجد الدين مظفر بن شرف الدين أحمد بن مزهر بحلب وهو ناظرها.

كان يخدم عند الأكابر وتنقل في خدم كثيرة حتى إنه لم تبق مملكة بالشام إلا باشرها.

وتوفي القاضي بهاء الدين علي بن أبي سواده الحلبي صاحب ديوان الإنشاء بحلب وبها كانت وفاته في نصف شهر رجب.

وكان من الصدور الأماثل وعنده فضيلة.

وله نظم ونثر.

ومن شعره: البسيط جد لي بأيسر وصل منك يا أملي فالصبر قد عاد عنكم غير محتمل
ما لي رميت بأمر لا أطيق له حملًا وبدلت بعد الأمن بالوجل وتوفي القاضي فخر الدين
سليمان بن عثمان بن الشيخ الإمام صفي الدين أبي القاسم محمد بن عثمان البصري
الحنفي محتسب دمشق بها في ذي القعدة.

وكان فاضلاً طيب العشرة.

وتوفي الأمير سيف الدين ملكتمر الناصري المعروف بالدم الأسود.

كان أمير ستين فارسًا بدمشق.

وكان من الظلمة المسرفين على أنفسهم.

قلت: ولا بأس بهذا اللقب الذي لقب به على هذه الصفات التي هي غير محمودة.

وتوفي الأمير فخر الدين آقجا الظاهري أحد أمراء دمشق وبها كانت وفاته.

وكان خيرًا دينًا.

رحمه الله تعالى.

وتوفي الأمير سيف الدين كهرداش بن عبد الله الزراق مات أيضًا بدمشق.

وكان بها أمير خمسين فارسًا.

وكان سافر مع السلطان إلى الحجاز فلما زار النبي صلى الله عليه وسلم تاب عن شرب
الخمير فلما عاد إلى دمشق شربه فضربه الفالج لوقته وبطل نصفه وتعطل إلى أن مات.

وتوفي الأمير سيف الدين سودي بن عبد الله الناصري نائب حلب.

وبها كانت وفاته في نصف شهر رجب.

وكان مشكور السيرة في ولايته محمود الطريقة.

وهو ممن أنشأه الملك الناصر محمد من مماليكه وتولى حلب بعده الأمير علاء الدين
الطنبغا الحاجب.

وتوفي التاجر عز الدين عبد العزيز بن منصور الكولمي أحد تجار الإسكندرية في شهر
رمضان.

وكان أبوه يهوديًا من أهل حلب يعرف بالحموي فأسلم وتعلق ابنه هذا على المتجر وفتح
الله عليه إلى أن قدم إلى مصر ومعه بضاعة بأربعمائة ألف دينار.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وإحدى وعشرون إصبغًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وسبع عشرة إصبغًا.

وكان الوفاء قبل النوروز بأربعة أيام.

والله أعلم.

السنة السادسة من سلطنة الناصر محمد الثالثة وهي سنة خمس عشرة وسبعمائة.

فيها توفي الشيخ الامام شهاب الدين أحمد بن الحسين بن عبد الرحمن الأرميني المعروف بابن الأسعد في يوم الجمعة رابع عشرين شهر رمضان.

وكان فقيهاً شافعيًا وتولى القضاء وحسنت سيرته وتوفي الشيخ الإمام العلامة جلال الدين إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل ابن برتق بن برغش بن هارون أبو طاهر القوسي الفقيه الحنفي.

كان فقيهاً إمامًا بارعًا تصدر بجامع أحمد بن طولون وأقرأ الفقه والقراءات والعربية سنين وانتفع به الناس وصنف وحدث ونظم ونثر.

ومن شعره وهو في غاية الحسن: الوافر أقول له ودمعي ليس يرقا ولي من عبرتي إحدى الوسائل حرمت الطيف منك بفيض دمعي فطرفي فيك محروم وسائل وله أيضًا: الوافر أقول ومدمعي قد حال بيني وبين أحبتي يوم العتاب رددتم سائل الأجبان نهرًا تعثر وهو يجري في الثياب وتوفي قاضي القضاة تقي الدين أبو الفضل سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن قدامة المقدسي الحنبلي بقاسيون في عشر ذي القعدة ودفن بترية جده شيخ الإسلام أبي عمر.

وكان إمامًا عالمًا جمع بين العلم والعبادة وسمع لحديث بنفسه وحدث بمسموعاته.

وتوفي الشيخ الإمام العلامة السيد ركن الدين حسن بن محمد بن شرف الدين شاه الحسيني لإسترابادي.

كان إمامًا مصنفًا عالمًا بالمعقول اشتغل على النصير الطوسي وحصل منه علومًا كثيرة وصار معيدًا في درس أصحابه وقدم الموصل وولي تدريس المدرسة النورية وبها صنف غالب مصنفاته مثل: شرح مختصر بن الحاجب وشرح مقدمة بن الحاجب في النحو وهي التي تسمى بالكافية وعمل عليها ثلاثة شروح: كبير ومتوسط وصغير وشرح الحاوي في الفقه وشرح التصريف لابن الحاجب أيضًا وهو الذي يسمى بالشافعية وشرح المطالع في المنطق وشرح كتاب قواعد العقائد وعدة تصانيف آخر ذكرناها في غير هذا الكتاب.

وكانت وفاته بالموصل في صفر.

وتوفي الشيخ أصيل الدين الحسن بن الإمام نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي البغدادي.

كان عالي الهمة كبير القدر في دولة قازان وقدم إلى الشام ورجع معه إلى بلاده.

ولما تولى خربندا الملك ووزر تاج الدين علي شاه قرب أصيل الدين هذا إلى خربندا حتى ولاه نيابة السلطنة ببغداد.

ثم عزل وصودر.

وكان كريمًا رئيسًا عارفاً بعلم النجوم لكنه لم يبلغ فيه رتبة أبيه نصير الدين الطوسي على أنه كان له نظر في الأدبيات والأشعار وصنف كتبًا كثيرة.

وكان فيه خير وشر وعدل وجور.

ومات ببغداد.

وتوفي الشيخ الصالح القدوة أبو الحسن علي بن الشيخ الكبير علي الحريري شيخ الفقهاء الحريرية.

كان للناس فيه اعتقاد وله حرمة عند أرباب الدولة وكان فيه تواضع وكرم وكانت وفاته ببصرى من عمل دمشق في السابع والعشرين من جمادى الأولى وله اثنتان وسبعون سنة.

وتوفي الأمير بدر الدين موسى بن الأمير سيف الدين أبي بكر محمد الأركشي كان من أكابر الأمراء وشجعانهم.

ومات بدمشق في ثامن شعبان ودفن عند القببات وكان شهيمًا شجاعًا.

ظهر في نوبة غزو مرج الصفر مع التتار عن شجاعة عظيمة.

وتوفي الأمير حسام الدين قرا لاجين بن عبد الله المنصوري الأستادار في الثامن والعشرين من شعبان وأنعم الملك الناصر بإقطاعه على الأمير أقوش الأشرفي نائب الكرك لما أفرج عنه والإقطاع إمرة مائة وعشرين فارسًا.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وسبع عشرة إصبعًا.

والوفاء تاسع عشرين مسرى.

والله أعلم.

السنة السابعة من سلطنة الناصر الثالثة وهي سنة ست عشرة وسبعمئة.

فيها حج بالناس من مصر الأمير بهادر الإبراهيمي وأمير الركب الشامي أرغون السلاح دار.

وحج في هذه السنة من أعيان أمراء مصر الأمير أرغون الناصري نائب السلطنة بديار مصر وعز الدين أيدير الخطيري وعز الدين أيدير أمير جاندار وسيف الدين أركتمر السلاح دار وناصر الدين محمد بن طرنتاي.

وفيها توفي الشيخ الكاتب المجود نجم الدين موسى بن علي بن محمد الحلبي ثم الدمشقي المعروف بابن بصيص بضم الباء ثانية الحروف شيخ الكتاب بدمشق في زمانه وابتدع صنائع بديعة وكتب في آخر عمره ختمة بالذهب عوضًا عن الحبر.

وكان مولده سنة إحدى وخمسين وستمئة وومات ليلة الثلاثاء عاشر ذي القعدة.

وله شعر على طريق الصوفية من ذلك: الطويل وحقك لو خيرت فيما أريده من الخير في الدنيا أو الحظ في الأخرى لما اخترت إلا حسن نظم يروقني معانيه أبدي فيه أوصافك الكبرى وتوفي الشيخ الإمام العلامة صدر الدين أبو عبد الله محمد بن زين الدين عمر بن مكّي بن عبد الصمد العثماني الشهير بابن المرحل وبابن الوكيل المصري الأصل الشافعي الفقيه الأديب.

كان فريد عصره ووحيد دهره كان أعجوبة في الذكاء والحفظ.

ومولده في شوال سنة خمس وستين وستمائة بدمياط وكان بارعًا مدرسًا مفتيًا.

درس بدمشق والقاهرة وأفتى وعمره اثنتان وعشرون سنة وكان يشتغل في الفقه والتفسير والأصليين والنحو واشتغل في آخر عمره في الطب وسمع الحديث الكتب الستة ومسند الإمام أحمد وصنف الأشباه والنظائر قبل أن يسبقه إليها أحد وكان حسن الشكل حلو المجالسة وعنده كرم ففرط وله الشعر الرائق الفائق في كل فن من ضروب الشعر.

وكانت وفاته في ربيع عشرين ذي الحجة ودفن بالقرافة في تربة الفخر ناظر الجيش.

وهو أحد من قام على الملك الناصر وانضم على المظفر بيبرس الجاشنكير.

وقد تقدم ذكر ذلك كله في أوائل ترجمة الملك الناصر.

ومن شعره: الكامل أقصى مناي أن أمر على الحمى ويلوح نور رياضه فيفوح حتى أري سحب الحمى كيف البكا وأعلم الورقاء كيف تنوح وله دوبيت: كم قال: معاطفي حكته الأسل والبيض سرقن ما حوته المقل الآن أوامري عليهم حكمت البيض تحد والقنا تعقل وله: الكامل غيرتني بالسقم طرفك مشبهي وكذاك خصرك مثل جسمي ناحلا وأراك تشمت إذ أتيتك سائلًا لا بد أن يأتي عذارك سائلًا ما أخجل قده غصون البان بين الورق إلا سلب المها مع الغزلان سود الحدق وقد ذكرناها بتمامها في تاريخنا المنهل الصافي وقطعة جيدة من شعره.

وتوفي الشيخ الأديب البارع المفتن أعجوبة زمانه علاء الدين علي بن المظفر بن إبراهيم بن عمر الكندي الوداعي المعروف بكتاب ابن وداعة الشاعر المشهور أحد من اقتدى به الشيخ جمال الدين بن نباتة في ملح أشعاره.

مولده سنة أربعين وستمائة ومات ببستانه في سابع شهر رجب بدمشق ودفن بالمزة.

وكان فاضلاً أديبًا شاعرًا عالي الهمة في تحصيل العلوم.

سمع الحديث وكتب الخط المنسوب ونظم ونثر وتولى عدة ولايات وكتب ديوان الإنشاء بدمشق وتولى مشيخة دار الحديث النفيسية وجمع التذكرة الكندية تزيد على خمسين مجلدًا.

وله ديوان شعر في ثلاثة مجلدات.

ومن شعره: الخفيف قال لي العاذل المفند فيها يوم زارت فسلمت مختاله قم بنا ندع النبوة في العش - - ق فقد سلمت علينا الغزاله وله أيضًا: الخفيف أثخت عينها الجراح ولا إث - - م عليها لأنها نعاء زاد في عشقها جنوني فقالوا ما بهذا فقلت بي سوداء من

زار بابك لم تبرح جوارحه تروي أحاديث ما أوليت من ممن فالعين عن قرّة والكف عن صلة والقلب عن جابر والسمع عن حسن وله أيضًا: الخفيف قيل إن شئت أن تكون غنيًا فتزوج وكن من المحصنين قلت ما يقطع الإله بحر لم يضع بين أظهر المسلمين وقد ذكرنا من مقطعاته عدة كثيرة في المنهل الصافي ولولا خشية الملل لذكرناها هنا.

وتوفي الأمير جمال الدين آقوش بن عبد الله المنصوري المعروف بالأفرم الصغير نائب الشام ببلاد مراغة عند ملك التتار.

وقد تقدم خروجه مع الأمير قراسنقر المنصوري من البلاد الشامية إلى غازان ملك التتار في أوائل دولة الملك الناصر الثالثة فلا حاجة في ذكرها هنا ثانيًا.

وكان ملك التتار أقطعه مراغة وقيل همذان فأقام بها سنتين ومات بالفالج في ثالث عشر المحرم.

وكان أميرًا جليلاً عارفاً مدبرًا عالي الهمة شجاعًا مقدامًا.

تقدم من ذكره نبذة كبيرة في ترجمة المظفر بيبرس الجاشنكير.

وكانت ولايته على دمشق إحدى عشرة سنة متوالية إلى أن عزله الملك الناصر لما خرج من الكرك.

وتوفي الأمير سيف الدين كستاي بن عبد الله نائب طرابلس بها.

وتولى نيابة طرابلس من بعده وتوفي الأمير سيف الدين طقتمر الدمشقي بالقاهرة بمرض السل.

وكان من خواص الملك الناصر وأحد من أنشأه من مماليكه.

وتوفي الطواشي ظهير الدين مختار المنصوري المعروف بالبليسي الخازندار في عاشر شعبان بدمشق.

وكان شهماً شجاعاً ديناً.

فرق جميع أمواله قبل موته على عتقائه ووقف أملاكه على تربته.

وتوفيت السيدة المعمرة أم محمد ست الوزراء المعروفة بالوزيرة ابنة الشيخ عمر بن أسعد بن المنجا التنوخية في ثامن عشر شعبان بدمشق ومولدها سنة أربع وعشرين وستمائة.

روت صحيح البخاري عن أبي عبد الله الزبيدي وصارت رحلة زمانها ورحل إليها من الأقطار.

وتوفي ملك التتار خربندا بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح الباء الموحدة وسكون النون بن أرغون بن أبغا بن هولوكو بن تولو بن جنكزخان السلطان غياث الدين ومن الناس من يسميه خدابندا بضم الخاء المعجمة والبدال المهملة والأصح ما قلناه.

وخابندا: معناه عبد الله بالفارسي غير أن أباه لم يسمه إلا خربندا وهو اسم مهمل معناه: عبد الحمار.

وسبب تسميته بذلك أن أباه كان مهمًا ولد له ولد يموت صغيرًا فقال له بعض الأتراك: إذا جاءك ولد سمه اسما قبيحًا يعيش فلما ولد له هذا سماه خربندا في الظاهر واسمه الأصلي أبحيتو فلما كبر خربندا وملك البلاد كره هذا الاسم واستقبحه فجعله خدابندا ومشى ذلك بمماليكه وهدد من قال غيره ولم يفده ذلك إلا من حواشيه خاصة.

ولما ملك خربندا أسلم وتسمى بمحمد واقتدى بالكتاب والسنة وصار يحب أهل الدين والصلاح.

وضرب على الدرهم والدينار اسم الصحابة الأربعة الخلفاء حتى اجتمع بالسيد تاج الدين الأوي الرافضي وكان خبيث المذهب فما زال بخربندا حتى جعله رافضيًا وكتب إلى سائر مماليكه يأمرهم بالسب والرفض ووقع له بسبب ذلك أمور.

قال النويري: كان خربندا قبل موته بسبعة أيام قد أمر بإشهار النداء ألا يذكر أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وعزم على تجريد ثلاثة آلاف فارس إلى المدينة النبوية لينقل أبا بكر وعمر رضي الله عنهما من مدفنتهما فعجل الله بهلاكه إلى جهنم وبئس المصير هو ومن يعتقد معتقده كائنًا من كان.

وكان موته في السابع والعشرين من شهر رمضان بمدينة التي أنشأها وسماها السلطانية في أرض قنغرلان بالقرب من قزوين.

وتسلطن بعده ولده بوسعيد في الثالث عشر من شهر ربيع الأول من سنة سبع عشرة وسبعمائة لأنه كان في مدينة أخرى وأحضر منها وتسلطن.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وست أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا واثنان وعشرون إصبعًا.

السنة الثامنة من سلطنة النار محمد الثالثة وهي سنة سبع عشرة وسبعمائة.

فيها توفي قاضي القضاة جمال الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي الربيع سليمان بن سويد الزواوي المالكي قاضي دمشق بها في التاسع من جمادى الأولى.

وكان فقيها عالمًا عالي الهمة محدثًا بارعًا مشكور السيرة في أحكامه.

وتوفي القاضي الرئيس شرف الدين أبو محمد عبد الوهاب بن جمال الدين فضل الله بن المجلي القرشي العدوي العمري كاتب السر الشريف بدمشق في ثالث رمضان ودفن بسفح قاسيون.

ومولده سنة ثلاث وعشرين وستمائة.

وكان إمامًا في كتابة الإنشاء عارفًا بتدبير الممالك مليح الخط غزير العقل وخدم عدة سلاطين وكان كاملاً في فنه لم يكن في عصره من يدانيه ولا يقاربه.

ومن شعره ما كتبه للشهاب محمود في صدر كتاب: البسيط كتبت والقلب يدنيني إلى أمل من اللقاء ويقصيني عن الدار والوجد يضرم فيما بين ذاك وذا من الجوانح أجزاء من النار وتوفي الأديب الفاضل شمس الدين أبو العباس أحمد بن أبي المحاسن يعقوب بن إبراهيم بن أبي نصر الطيبي الأسدي بطرابلس في سادس رمضان.

ومولده في سنة تسع وأربعين وستمائة.

وكان كاتب الدرج بطرابلس وكان فاضلاً ناظماً ناثرًا.

ومن شعره: البسيط ما مسني الضيم إلا من أحبائي فليتني كنت قد صاحبت أعدائي
ظننتهم لي دواء الهم فانقلبوا داء يزيد بهم همي وأدوائي من كان يشكو من الأعداء
جفوتهم فإنني أنا شك من أدوائي وتوفي الأمير أرسلان الناصري الدوادار في الثالث
والعشرين من شهر رمضان وكان هو وعلاء الدين بن عبد الظاهر صديقين فمرضا في
وقت واحد بعلة واحدة وماتا في شهر واحد.

وخلف أرسلان جملة كثيرة من المال استكثرها الملك الناصر على مثله.

وكان من جملة أمراء الطبلخانا واستقر عوضه دوادراً الأمير ألجاي الدوادار الناصري.

وفي أرسلان هذا عمل علاء الدين ابن عبد الظاهر كتابه المسمى بمراتع الغزلان.

وتوفي الأمير سيف الدين قلي السلاح دار بالقاهرة.

وكان من أعيان أمراء الديار المصرية وأنعم السلطان بإقطاعه ومنزلته على الأمير
جنكلي بن البابا.

وتوفي الأمير سيف الدين ألكز بن عبد الله السلاح دار صهر الأمير علم الدين سنجر
الشجاعي ومات في الحبس.

وتوفي الأمير سيف الدين ألكتمر بن عبد الله صهر الأمير بكتمر الجوكندار أيضاً في
الحبس أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وإصبعان.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً سواء.

وكان نبيلًا عظيمًا غرقت منه عدة أماكن.

والله أعلم.

السنة التاسعة من سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر

وهي سنة ثماني عشرة وسبعمائة.

فيها توفي قاضي القضاة زين الدين أبو الحسن علي بن الشيخ رضي الدين أبي القاسم
مخلوف بن تاج الدين ناهض المالكي النوبيري في يوم الأربعاء ثامن عشر جمادى الآخرة
بمصر ودفن بسفح المقطم.

ومولده في سنة عشرين وستمائة.

وكان فقيهاً ديناً خيراً حسن الأخلاق.

وولي القضاء بديار مصر في سنة خمس وثمانين وستمائة فكانت مدة ولايته ثلاثاً وثلاثين
سنة تقريباً.

وعرضت عليه الوزارة في الدولة المنصورية لاجين فأباها خوفاً من علم الدين سنجر الشجاعى وتولى بعده القضاء نائبه تقي الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران الأحنائى وتوفى الشيخ الإمام الزاهد بقية السلف أبو بكر بن الشيخ المسند المعمر زين الدين أبى العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبى بكر المقدسى الحنبلى.

سمع الكثير وحدث.

وكان شيخاً كثير التلاوة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وحدث في حياة والده. ومولده سنة ست وعشرين وستمائة وقيل سنة خمس وعشرين.

ومات ليلة الجمعة التاسع والعشرين من رمضان.

وتوفى الأمير علاء الدين أقطوان الساقى الظاهرى فى عاشر شهر رمضان بدمشق وقد جاوز الثمانين سنة.

وكان رجلاً صالحاً مواظب الجماعات ويقوم الليل.

وتوفى الأمير عز الدين طقطاي الناصرى.

كان نائب الكرك فتمرض فعزل عن الكرك وتوجه إلى دمشق ليتداوى بها فمات فى رابع عشر شعبان.

وتوفى الأمير سيف الدين منكبرس نائب عجلون.

كان من قدماء المماليك المنصورية وكان معظماً فى الدول وله حرمة وافرة.

وتوفى الشيخ كمال الدين أحمد بن أبى بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سجمان البكرى الوائلى الشريشى الفقيه الشافعى.

مات بطريق الحجازة وكان فقيهاً عالماً فاضلاً.

وتوفى الشيخ جمال الدين أبو بكر إبراهيم بن حيدرة بن علي بن عقيل الفقيه الشافعى المعروف بابن القماح فى سابع عشر ذى الحجة.

وكان معدوداً من فضلاء الشافعية.

وتوفى الشيخ المقرئ مجد الدين أبو بكر بن الشيخ شمس الدين محمد بن قاسم التونسى المقرئ النحوي المالكي فى ذى القعدة بدمشق.

وكان من فضلاء المالكية.

وتوفى الأمير سيف الدين وقيل شمس الدين سنقر بن عبد الله الكمالى الحاجب فى حبس الملك الناصر بقلعة الجبل فى شهر ربيع الآخر.

وكان أولاً معتقلاً بالكرك فأحضر هو والأمير كراي إلى القاهرة فحبسا بقلعة الجبل إلى أن مات بها.

وكان من عظماء الدولة ومن أكابر الأمراء.

وتولى الحجوبية بالديار المصرية في عدة دول.

وكان أحد الأعيان بالديار المصرية إلى أن قبض عليه الملك الناصر وحبسه في سلطنته الثالثة.

وتوفي الأمير سيف الدين بهادر الشمسي بقلعة دمشق وكان أحد من قبض عليه الملك الناصر وحبسه.

وكان مشهورًا بالشجاعة والإقدام.

وتوفي الأمير سيف الدين منكوتر الطباخي والأمير سيف الدين أركتمر كلاهما بالجب من قلعة الجبل.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ذراعان ونصف.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وسبع عشرة إصبغًا.

وكان الوفاء بعد النوروز بأيام.

بن قلاوون الثالثة على مصر وهي سنة تسع عشرة وسبعمائة.

فيها توفي الشيخ الصالح المعتقد أبو الفتح نصر بن سليمان بن عمر المنبجي الحنفي بزاويته بالقاهرة في جمادى الآخرة ودفن بجوار الزاوية.

ومولده سنة ثمان وثلاثين وستمائة وكان عالمًا زاهدًا متقشفًا.

سمع الحديث وبرع في الفقه والتصوف وأقبا عليه ملوك عصره.

ذكر ابن أخيه الشيخ قطب الدين قال: سألتني الشيخ يومًا: هل قرب وقت العصر فقلت: لا وبقي يسألني عن ذلك ساعة فساعة وهو مسرور مستبشر بوقت العصر فلما دخل وقت العصر مات.

رحمه الله.

وتوفي الشيخ الإمام العالم شهاب الدين أبو عبد الله الحسين بن سليمان بن فزارة الكفري بفتح الكاف البصري الحنفي في ثالث عشر جمادى الأولى ودفن بقاسيون.

وكان فقيهاً محدثاً ناب في الحكم وحمدت سيرته وسمع الكثير وبرع في الفقه وغيره.

وتوفي الأمير سيف الدين كراي المنصوري معتقلاً بقلعة الجبل وكان من أكابر مماليك المنصور قلاوون.

وولي نيابة القدس ثم ولاة الملك الناصر محمد في سلطنته هذه الثالثة نيابة الشام بعد قراسنقر ثم قبض عليه وحبسه بالكرك مدة ثم نقله إلى القاهرة وحبسه بقلعة الجبل إلى أن مات وتوفي الأمير سيف الدين إغزلو العادلي بدمشق وكان من أكابر أمرائها.

وكان ولي نيابة دمشق في أواخر دولة أستاذه الملك العادل زين الدين كتبغا فعزله الملك المنصور حسام الدين لاجين عن نيابة دمشق ثم صار بعد ذلك من أمراء دمشق إلى أن مات.

وكانت ولايته على نيابة دمشق نحوًا من ثلاثة أشهر وكان موصوفًا بالشجاعة والإقدام.

وتوفي الأمير سيف الدين قيران الشمسي بدمشق ودفن بقاسيون بترية ابن مصعب.

وكان من جملة أمراء دمشق وكان دينًا خيرًا عفيقًا مع كرم وشجاعة.

وتوفي الأمير علاء الدين طبيرس بن عبد الله الخازنداري نقيب الجيوش المنصور وأحد أمراء الطبلخاناه في العشرين من شهر ربيع الآخر ودفن بقبته التي أنشأها بمدرسته على باب جامع الأزهر.

واستقر عوضه في نقابة الجيش الأمير شهاب الدين أحمد بن آقوش العزيزي المهمندار.

وطبيرس هذا هو الذي كان أنشأ الجامع والخانقاه على النيل وعرف ذلك المكان بالطبيرسي وقد تهدم الجامع والخانقاه ونقل صوفيتها إلى مدرسته التي أنشأها على باب الجامع الأزهر على يمنة الداخل إلى الجامع.

وكان من أجل الأمراء وأقدمهم وطالت أيامه في وظيفته أقام فيها أربعًا وعشرين سنة لم يقبل لأحد هدية وإنما كان شأنه عمارة إقطاعه والزراعة ومن ذلك نالته السعادة وعمر الأملاك.

وكان دينًا خيرًا بخلاف آقبا عبد الواحد الذي عمر مدرسته أيضًا على باب الجامع الأزهر في وتوفي الشيخ بدر الدين أبو عبد الله محمد بن منصور بن إبراهيم بن منصور بن رشيد الربيعي الحلبي الشافعي المعروف بابن الجوهري.

ولد بحلب في ثالث عشر صفر سنة اثنتين وخمسين وستمئة وكان فاضلًا دينًا أثنى عليه الحافظ البرزالي في معجمه.

وكانت وفاته في يوم السبت سابع عشر جمادى الآخرة من السنة.

رحمه الله.

وتوفي الأمير سيف الدين ملكتمر بن عبد الله السلیماني الجمدار فجأة.

وكان من أعيان الأمراء وأماثلهم.

وتوفي القاضي فخر الدين أبو عمرو عثمان بن علي بن يحيى بن هبة الله الأنصاري الشافعي المعروف بابن بنت أبي سعد في جمادى الآخرة من السنة.

وتوفي بدمشق الأمير شهاب الدين أحمد بن محمد بن الملك الأمجد مجد الدين حسن بن الملك الناصر داود بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب أحد أمراء دمشق في شهر رجب.

وتوفي الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك الزاهر مجير الدين داود ابن الملك
المجاهد أسد الدين شيركوه ابن الملك القاهر ناصر الدين محمد ابن الملك المنصور أسد
الدين شيركوه الكبير ابن شادي أحد أمراء دمشق بالقاهرة في ثاني ذي القعدة.

كان قدمها في طلب الإمرة فأنعم عليه أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم لم يحرر.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وإحدى عشرة إصبعًا.

السنة الحادية عشرة من سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر وهي سنة
عشرين وسبعمئة.

فيها توفي قاضي القضاة كمال الدين أبو حفص عمر ابن قاضي القضاة عز الدين أبي
البركات عبد العزيز بن الصاحب محيي الدين أبي عبد الله محمد بن قاضي القضاة نجم
الدين أبي الحسن أحمد بن قاضي القضاة جمال الدين أبي الفضل هبة الله بن قاضي
القضاة مجد الدين أبي غانم محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن أبي جرادة العقيلي
الجلي الحنفي الشهير بابن العديم قاضي قضاة حلب وغيرها.

كان فقيهاً عالمًا مشكور السيرة.

وكمال الدين هذا غير بن العديم المتقدم صاحب تاريخ حلب وغيرها من التصانيف وقد مر
ذكره.

وتوفي الشيخ الإمام العلامة النحوي اللغوي شمس الدين محمد بن حسن بن سباع بن
أبي بكر الجذامي المصري الأصل الدمشقي المولد المعروف بابن الصائغ.

مات بدمشق في ثالث شعبان.

ومولده سنة خمس وأربعين وستمئة بدمشق.

كان أديبًا فاضلًا في فن الأدب وله النظم والنثر ومعرفة بالعروض والقوافي والبدع واللغة
والنحو وشرح مقصورة ابن دريد في مجلدين.

واختصر صحاح الجوهرى وجرده من الشواهد وصنف قصيدة عدتها ألفا بيت فيها العلوم
والصنائع وله مقامات وأشياء كثيرة.

ومن شعره من قصيدة أولها: الكامل لي نحو ربعك دائمًا يا جلق شوق أكاد به جوى
أتمزق وهمول دمع من جوى بأضالعي ذا مغرق طرفي وهذا محرق أشتاق منك منازلًا لم
أنسها إني وقلبي في ربوعك موثق ومنها: والريح يكتب في الجداول أسطرًا خط له نسج
النسيم محقق والطير يقرأ والنسيم مردد والغصن يرقص والغدير يصفق وتوفي الأديب
شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الدائم بن يوسف بن قاسم الكنانى الشارمساحي
الشاعر المطبوع صاحب النوادر الطريفة المضحكة.

والعامه يسمونه الشارمساحي وكان شاعرًا مطبوعًا غير أنه كان مغرى بالهجاء وثلب
الأعراض وكان يحضره الملك الناصر مجلسه في بعض الأحيان.

ومات بالقاهرة.

ومن شعره من آخر قصيدة: البسيط وقد مر من هجوه في ابن المرحل وابن عدلان في أول ترجمة الناصر في سلطنته الثالثة.

وكان عارفاً بعلوم.

وتوفي الشيخ إسماعيل بن سعيد الكردي قتيلاً على الزندقة في يوم الاثنين ثاني عشرين صفر.

وكان عارفاً بعلوم كثيرة حتى إنه كان يحفظ من التوراة والإنجيل غير أنه حفظت عنه عظام في حق الأنبياء عليهم السلام.

ومع ذلك كان يتجاهر بالمعاصي فاجتمع القضاة بسببه غير مرة حتى أفتى بعضهم بضرب عنقه فضربت عنقه بين القصرين.

وتوفي الشيخ المعمر زين الدين أبو القاسم محمد بن علم الدين محمد بن الحسين بن عتيق بن رشيق الإسكندري المالكي بمصر في المحرم.

وكان ولي قضاء الإسكندرية مدة طويلة.

وكان له نظم.

وتوفي قتيلاً سيف الدين آقجا مملوك الأمير ركن الدين بيبرس التاجي بدمشق في خامس عشرين شهر ربيع الأول.

وكان عنده فضيلة إلا أنه لم يقنع بذلك حتى ادعى النبوة وشاع عنه ذلك حتى قتل.

وتوفي السلطان الغالب بالله أبو الوليد إسماعيل بن الفرخ بن إسماعيل بن يوسف بن نصر صاحب غرناطة والأندلس من بلاد المغرب في ذي القعدة وأقيم بعده ابنه أبو عبد الله محمد.

وكان من أجل ملوك المغرب.

وكان مولده سنة ثمانين وستمائة.

واستولى على الأندلس ثلاث عشرة سنة وملك البلاد في حياة أبيه الفرخ وكان أبوه متولياً إذ ذاك لمالقة فلما أراد إسماعيل هذا الخروج لأمه أبوه فقبض إسماعيل على أبيه وعاش أبوه في سلطنته بعد ذلك عزيزاً مبخلاً إلى أن مات في ربيع الأول سنة عشرين وسبعمائة وقد شاخ ثم قتل ابنه صاحب الترجمة وقتل قاتله.

رحمه الله.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وأصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً واثنتان وعشرون إصباعاً.

وهبط النيل بسرعة فشرقت الأراضي.

والله تعالى أعلم.

السنة الثانية عشرة من سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر وهي سنة إحدى وعشرين وسبعمائة.

فيها توفي الشيخ الإمام المقرئ عفيف الدين عبد الله بن عبد الحق بن عبد الله بن عبد الأحد القرشي المخزومي الدلاصي المصري.

مات بمكة المشرفة في رابع عشر المحرم ومولده في شهر رجب سنة ثلاثين وستمائة وكان إمامًا مقررًا زاهدًا أقام أكثر من ستين سنة يقرأ القرآن تجاه الكعبة.

وتوفي الشيخ شمس الدين محمد بن علي بن عمر المازني الأديب المعروف بالدهان بدمشق.

وكان شاعرًا مجيدًا يعرف الأنغام والموسيقى وصناعة الدهان وكان يعمل الشعر ويلحنه موسيقى ويغني به فيكون من شعره وصناعته.

ومن شعره موشحة أولها: بأبي غصن بانه حملا بدر دجى بالجمال قد كملا أهيف فريد حسن ما ماس أو سفرا إلا أغار القضب والقمر يدي لنا بابتسامه دررا في شهد لذ طعمه وحلا كان أنفاسه نسيم طلا قرقف وتوفي الطواشي صفى الدين جوهر مقدم المماليك السلطانية.

كان رجلًا صالحًا دينًا خيرًا وله حرمة وصولة عظيمة على المماليك وغيرهم.

ولي التقدمة في أيام المظفر بيبرس الجاشنكير فلما عاد الملك الناصر إلى ملكه عزله بصواب الركني واستمر بطالًا إلى أن مات.

وتوفي الشيخ حميد الدين أبو الثناء محمود بن محمد بن محمود بن نصر النيسابوري شيخ الخانقاه وتوفي الملك المؤيد هزبر الدين داود بن الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول التركماني الأصل اليمني المولد والمنشأ والوفاة صاحب ممالك اليمن.

تسلطن بعد أخيه في المحرم سنة ست وتسعين وستمائة فملك نيقًا وعشرين سنة وكان قبل سلطنته تفقه وحفظ كفاية المتحفظ ومقدمة ابن بابشاذ.

وبحث التنبيه وطالع وفضل وسمع الحديث وجمع الكتب النفيسة في سلطنته حتى قيل إن خزانه كتبه اشتملت على مائة ألف مجلد.

وكان مشكور السيرة محبًا لأهل الخير.

ولما أنشأ قصره بظاهر زبيد قال فيه الأديب تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليمني أبياتًا منها: البسيط أنسى بإيوانه كسرى فلا خبر من بعد ذلك عن كسرى لإيوان وفي الملك المؤيد يقول أيضًا عبد الباقي المذكور وقد ركب المؤيد فيلاً: البسيط الله ولاك يا داود مكرمة ورتبة ما أتاه قبل سلطان ركبت فيلاً وظل الفيل ذا رهج مستبشراً وهو بالسلطان فرحان لك الإله أذل الوحش أجمعه هل أنت داود فيه أم سليمان وكانت وفاته في ذي الحجة وتولى بعده ابنه الملك المجاهد علي واضطربت ممالك اليمن بعد وتوفي مجد الدين أحمد بن معين الدين أبي بكر الهمداني المالكي خطيب الفيوم وكان يضرب به المثل في المكارم والسؤود وكان فصيحًا خطيبًا بليغًا.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وست أصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وخمس أصابع.

وكان الوفاء ثاني أيام النسيء.

والله أعلم.

السنة الثالثة عشرة من سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر وهى سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة.

فيها توفي قاضي القضاة شمس الدين محمد بن الشيخ أبي البركات محمد بن الشيخ أبي العز بن صالح بن أبي العز بن وهيب بن عطاء الأذرعى الحنفى بدمشق فى سابع المحر ثم عقيب قدومه من الحجاز.

ومولده سنة ثلاث وستين وستمائة.

وكان إمامًا فاضلاً فقيهاً بصيراً بالأحكام حكم بدمشق نحو عشرين سنة وخطب بجامع الأفرم مدة ودرس بالظاهرية والنجيبية والمعظمية وأفتى وأنتفع به غالب طلبة دمشق.

وتوفى الشيخ الإمام العالم الزاهد الفقيه المفتى الحافظ المسند المعمر بقية السلف رضى الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم بن الطبري المكي الشافعي إمام المقام بالحرم الشريف أم به أكثر من خمسين سنة.

وكان فقيهاً صالحاً عابداً.

ومولده بمكة فى سنة ست وثلاثين وستمائة.

ومات فى شهر ربيع الأول.

وتوفى الشيخ الإمام الفقيه الصوفى علاء الدين أبو الحسن علي بن الحسن بن محمد الهروي الحنفى.

كان فقيهاً فاضلاً وسلك طريق التصوف وطاف البلاد وأقام بحلب مدة وتصدى للإفتاء والتدريس سنين.

ومن إنشاده رحمه الله: مجزوء الرجز كم حسرات فى الحشى من ولد قد انتشا كنا نشاء رشده فما نشا كما نشا وتوفى الأديب الشاعر جمال الدين أبو الفتح محمد بن يحيى بن محمد الأموي المصري الشاعر المشهور.

وكانت لديه فضيلة وكان رحالاً طاف البلاد ثم رجع إلى العراق فمات به.

ومن شعره: البسيط وافى الربيع ولي سبغ ألامها لزوم مرء له فى الدهر تجريب ملك ومال ومملوك ومطربة مع المدام ومحبوب ومركوب وتوفى الأديب الشاعر أبو علي الحسن بن محمود بن عبد الكبير اليماني العدني.

كان فاضلاً ناظماً ناثراً وله ديوان شعر مشهور باليمن وغيره.

ومن شعره: البسيط برقى تألق من تلقاء كاظمة ما باله خطف الأبصار فى إضم قد خط منه على أفاقها خطط كأنهن ولوع البيض فى اللمم وتوفى الشيخ حسن العجمي

الجواليقي القلندري بدمشق وكان أولًا يسكن بالقاهرة وعمر له بها زاوية خارج باب النصر وهي إلى الآن تعرف بزاوية القلندرية ثم سافر إلى دمشق فمات بها.

قال الشيخ عماد الدين إسماعيل بن كثير في تاريخه: وكان قريبًا من خواطر الملوك لاسيما أهل بيت الملك المنصور قلاوون.

وكان كثيرًا ما ينشد أبياتًا أولها: الطويل سلام على ريع به نعم البال وعيش مضى ما فيه قيل ولا قال لقد كان طيب العيش فيه مجردًا من الهم والقوم اللوائم غفال وتوفي الأمير عز الدين أيدير بن عبد الله الساقى المعروف بوجه الخشب بدمشق.

وكان من أعيان الأمراء وفيه شجاعة وإقدام وهو أحد من أخرج الملك الناصر من مصر.

وتوفي القاضي قطب الدين محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر السنباطي الشافعي خليفة الحكم ووكيل بيت المال في ذي الحجة.

وكان معدودًا من الفقهاء وله وجهة.

وتوفيت المسندة المعمرة أم محمد زينب بنت أحمد بن عمر بن أبي بكر بن شكر في ذي الحجة بالقدس عن أربع وتسعين سنة.

وكانت رحلة زمانها رحل إليها من الأقطار وصارت مسندة عصرها.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وإصبعان.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وإحدى وعشرون إصبعًا.

وكان الوفاء أول أيام النسيء.

السنة الرابعة عشرة من سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر وهي سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة.

فيها توفي قاضي القضاة نجم الدين أبو العباس أحمد بن عماد الدين محمد بن أمين الدين سالم بن الحافظ المحدث بهاء الدين الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى الثعلبي الدمشقي الشافعي في سادس عشر شهر ربيع الأول بدمشق ودفن بتربتهم بالقرب من الركنية؛ ومولده سنة خمس وخمسين وستمئة.

وكان إمامًا عالمًا بارعًا مدرسًا مفتيًا كاتبًا مجودًا.

ولي عدة تداريس وياشر قضاء الشام استقلالاً في سنة اثنتين وسبعمئة مع عدة تداريس.

وكان له نظم ونظم وخطب.

ومن شعره رحمه الله: الكامل ومهتف بالوصل جاد تكررًا فأعاد ليل الهجر صبغًا أبلجا ما زلت أثم ما حواه لثامه حتى أعدت الورد فيه بنفسجا وتوفي الشيخ الأديب الفاضل صلاح الدين صالح بن أحمد بن عثمان البعلبكي الشاعر المشهور بالقواس.

كان رجلاً خيراً صحب الفقراء وسافر البلاد وكان أصله من مدينة خلاط وكان يدخل الزوايا ويتواجد في سماعات الفقراء وله شعر كثير من ذلك ما قاله في ناعورة حماة: الطويل وناعورة رقت لعظم خطيئتي وقد لمحت شخصي من المنزل القاصي بكت رحمة لي ثم ناحت لشجوها وبكفيك أن الخشب تبكي على العاصي وهو صاحب القصيدة ذات الأوزان التي أولها: البسيط داء ثوى بفؤاد شفه سقم لمحنتي من دواعي الهم والكمد وتوفي الشيخ الأديب الفاضل العدل شهاب الدين محمد بن محمد بن محمود بن مكّي المعروف بابن دمرداس الدمشقي وبها مات ودفن بقاسيون.

ومولده سنة ثمانى وثلاثين وستمائة وكان شاعراً مجيداً.

وكان في شبابه جندياً فلما شاخ ترك ذلك وصار شاهداً.

وشعره سلك فيه مسلك مجير الدين بن تميم لأنه صحبه وأقام معه بحماة مدة عشرين سنة.

ومن شعره: الطويل أقول لمسواك الحبيب لك الهنا بلثم فم ما ناله ثغر عاشق فقال وفي أحشائه حرق الجوى مقالة صمّث للديار مفارق تذكرت أوطاني فقلبي كما ترى أعفله بين العذيب وبارق قلت: ومثل هذا قول القائل: الكامل هنتت يا عود الأراك بثغره إذ أنت في الأوطان غير مفارق إن كنت فارقت العذيب وبارقاً ها أنت ما بين العذيب وبارق ومثله لابن قرناص: الطويل: سألتك يا عود الأراكة أن تعد إلى ثغر من أهوى فقبله مشفقاً ورد من ثنيات العذيب منبهلاً يسلسل ما بين الأبيرق والنقا وقد ذكرنا مثل هذا عدة كثيرة في كتابنا حلية الصفات في الأسماء والصناعات.

وتوفي الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ المؤرخ الأخباري الأديب كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد المعروف بابن الفوطي صاحب التصانيف المفيدة من جملتها: تاريخ كبير جدّاً وآخر دونه وسماه بمجمع الآداب في معجم الأسماء على معجم الألقاب في خمسين مجلداً.

والتاريخ الكبير على الحوادث من آدم إلى خراب بغداد وغير ذلك.

وله شعر كثير ومجموع أدبيات سماه الدرر الناصعة في شعر المائة السابعة.

وصنف كتاب درر الأصداف في غرر الأوصاف مرتباً على وضع الوجود من المبدأ إلى المعاد يكون عشرين مجلداً.

وكتاب لقيح الأفهام في المختلف والمؤتلف مجدولاً وكان له يد طولى في ترصيع التراجم وذهن سيال وقلم سريع وخط بديع إلى الغاية.

قيل: إنه كتب من ذلك الخط الفائق الرائق أربع كراريس في يوم وكتب وهو نائم على ظهره.

وكان له نظر في فنون الحكمة كالمنطق وغيره.

وتوفي الملك المجاهد سيف الدين أنص بن السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري بعد ما كف بصره من سهم أصابه وكانت وفاته في المحرم.

وتوفي الأمير طيدير سيف الدين الجمदार أحد أعيان الأمراء.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وست عشرة إصبعًا.
مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وست أصابع.

السنة الخامسة عشرة من سلطنة الناصر محمد وهي سنة أربع وعشرين وسبعمائة.

فيها توفي الشيخ الصالح المعتقد أيوب المسعودي بزاوية الشيخ أبي السعود بالقرافة وقد قارب المائة سنة وضعف في آخر عمره فكان يحمل إلى حضور الجمعة وكان يذكر أنه رأى الشيخ أبا السعود.

وتوفي الشيخ الإمام العالم الزاهد الحافظ المحدث علاء الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن داود بن سليمان الدمشقي الشافعي الشهير بابن العطار.

كان فقيهاً محدثاً وكانوا يسمونه مختصر النووي.

ودرس وأفتى سنين وانتفع به الناس.

وتوفي الأمير شمس الدين محمد بن عيسى بن مهنا أمير العرب وملك آل فضل وكان حسن الهيئة عاقلاً حازماً عارفاً بالأمور.

مات بسلمية.

وتوفي الشيخ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن ظافر في جمادى الآخرة.

وكان فقيهاً شافعيًا معدودًا من أعيان الشافعية.

وتوفي الشيخ تقي الدين محمد بن عبد الرحيم بن عمر الباجريقي النحوي الشافعي في شهر ربيع الآخر وأتهم بالزندقة في تصانيفه ووقع له بسبب ذلك أمور وهو صاحب الملحمة الباجريقية وله غيرها عدة تصانيف آخر.

وتوفي الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير بحر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح في جمادى الآخرة.

وكان ناصر الدين هذا من جملة مقدمي الألوف بالديار المصرية وكان معظمًا في الدولة موصوفًا من الشجعان.

وتوفي الأمير الطواشي زين الدين عنبر الأكبر زمام الدور السلطانية في جمادى الأولى وكان من أعيان الخدام وأماثلهم.

وتوفي الشيخ المعتقد الصالح محمود الحيمري العجمي خارج القاهرة وكان من محاسن أبناء جنسه.

وتوفي خطيب جامع عمرو بن العاص الشيخ نور الدين أبو الحسن علي بن محمد بن حسن بن علي القسطلاني في شهر ربيع الآخر وكان دينًا خيرًا.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وتسع عشرة إصبعًا.

والله تعالى أعلم.

السنة السادسة عشرة من سلطنة الناصر محمد وهي سنة خمس وعشرين وسبعمائة.

فيها توفي الأمير ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصوري الدوادار صاحب التاريخ في ليلة الخميس خامس عشرين شهر رمضان.

كان أصله من مماليك الملك المنصور قلاوون أنشأه ورقاه إلى أن ولاه نيابة الكرك إلى أن عزله الملك الأشرف خليل بالأمير أقوش الأشرفي نائب الكرك ثم صار بعد ذلك دوادارًا وناظر الأحباس مدة طويلة ثم ولي نيابة السلطنة في أيام الملك الناصر محمد الثالثة فدام مدة ثم قبض عليه الملك الناصر وحبسه إلى أن مات.

وقيل أطلقه بعد حبسه بمدة.

وكان أميرًا عاقلاً فاضلاً معظمًا في الدول وكان إذا دخل على الملك الناصر يقوم له إجلالاً.

وكان له أوقاف على وجوه البر وهو صاحب المدرسة الدوادارية بخط سويقة العزي خارج القاهرة.

وله تاريخ زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة في أحد عشر مجلدًا أعانه على تأليفه كاتبه ابن كبر النصراني.

وكان يجلس عند السلطان رأس الميمنة عوضه.

قلت: كانت قاعدة قديم أنه من كان قديم هجرة من الأمراء يجلس فوق الجميع ولم يكن يوم ذاك أمير كبير أتاك العساكر كما هي عادة أيامنا هذه وإنما استجدت هذه الوظيفة في أيام السلطان حسن وأول من وليها بخلعة الأمير شيخون وصارت من يومئذ وظيفة إلى يومنا هذا.

وتوفي أمير المدينة النبوية الشريف منصور بن جماز بن شيحة الحسيني في حرب كان بينه وبين حديثة بن أخيه فقتله حديثة المذكور في رابع عشرين شهر رمضان فكانت مده ولايته على المدينة ثلاثًا وعشرين سنة وأيامًا واستقر عوضه في إمرة المدينة ابنه كبيش بن منصور.

وتوفي الإمام الغلامه البليغ الكاتب المنشىء الأديب شهاب الدين أبو الثناء محمود بن سليمان بن فهد الحلبي ثم الدمشقي الحنبلي صاحب ديوان الإنشاء بدمشق في ليلة السبت ثاني عشرين شعبان سنة خمس وعشرين وسبعمائة.

ومولده سنة أربع وأربعين وستمائة ونشأ بدمشق وسمع الحديث وكتب المنسوب ونسخ الكثير وتفقه على أبي المنجا وغيره وتأدب بابن مالك ولازم مجد الدين بن الطهير وحذا حذوه وسلك طريقه في النظم والكتابة.

وولي كتابة سر دمشق بعد موت القاضي شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله المعمري إلى أن مات.

وفيه يقول الأديب البليغ الطنبيغا الجاولي: البسيط: قال النحاة بأن الاسم عندهم غير المسمى وهذا القول مردود الاسم عين المسمى والدليل على ما قلت أن شهاب الدين محمود ومن شعر شهاب الدين المذكور: المتقارب: رأيتني وقد نال مني النحول وفاضت دموعي على الخذ فيضا فقالت بعيني هذا السقام فقلت صدقت وبالخصر أيضا قلت: وقد مر من ذكر الشهاب محمود هذا وشعره قطعة كبيرة في فتوحات الملك المنصور قلاوون وغيره.

وتوفي الخطيب جمال الدين محمد بن تقي الدين محمد بن الحسن بن علي بن أحمد بن علي بن محمد القسطلاني في ليلة السبت مستهل شهر ربيع الأول.

كان يخطب بجامع القلعة ويصلي بالسلطان الجمعة واستمر على ذلك سنين.

وبعض الناس يحسب أن العادة لا يخطب ويصلي بالسلطان إلا القاضي الشافعي وليس الأمر كذلك.

وما استجد هذا إلا الملك الظاهر برقوق في سلطنته الثانية وإنما كانت العادة قبل ذلك من نديه السلطان أن يخطب ويصلي به فعل ذلك كائنًا من كان.

وتوفي الشيخ شرف الدين يونس بن أحمد بن صلاح القلقشندي الفقيه الشافعي في خامس عشرين شهر ربيع الآخر.

وكان عالمًا فاضلاً.

وتوفي الشيخ المقرئ تقي الدين محمد بن الصفي الشهير بالتقي الصائغ في صفر كان فاضلاً مقرئاً مجوداً.

وتوفي الأمير سيف الدين بلبان بن عبد الله التتاري المنصوري في ذي القعدة.

وكان من أعيان ممالك المنصور قلاوون وصار من أعيان أمراء الديار المصرية.

وتوفيت الشيخة حجاب شيخة رباط البغدادية في المحرم.

وكانت خيرة دينة ولها قدم في الفقر والتصوف.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ذراعان وست أصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وإحدى وعشرون إصبغًا.

وكان الوفاء أول أيام النسيء.

والله تعالى أعلم.

السنة السابعة عشرة من سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر

وهي سنة ست وعشرين وسبعمائة.

فيها توفي شيخ الرافضة جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن محمد بن المطهر الحلبي المعتزلي شارح مختصر بن الحاجب في المحرم.

كان عالمًا بالمعقولات وكان رضي الخلق حليمًا وله وجهة عند خربندا ملك التتار.

وله عدة مصنفات غير أنه كان رافضيًا خبيثًا على مذهب القوم ولابن تيمية عليه رد في أربعة مجلدات وكان يسميه ابن المنجس يعني عكس شهرته كونه كان يعرف بابن المطهر.

وتوفي الشيخ شرف الدين أبو الفتح أحمد بن عز الدين أبي البركات عيسى بن مظفر بن محمد بن الياس المعروف بابن الشيرجي الأنصاري الدمشقي محتسب دمشق.
ومولده سنة سبع وأربعين وستمئة.

وتوفي الشيخ الإمام سراج الدين عمر بن أحمد بن خضر بن طاغر بن طراد الخزرجي المصري الأنصاري الشافعي خطيب المدينة النبوية.

كان خطيبًا فصيحًا مفوهًا دينًا.

وتوفي الأمير بدر الدين حسن بن الملك الأفضل علي بن محمود صاحب حماة.

كان من أهل العلم وكان أحد أمراء دمشق وهو من بيت سلطنة ورياسة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثمانى أذرع وعشر أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وتسع عشرة إصبغًا.

السنة الثامنة عشرة من سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر وهي سنة سبع وعشرين وسبعمائة.

فيها توفي السلطان أبو يحيى زكريا بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أحمد بن محمد اللحياني المغربي ملك تونس بالإسكندرية بعد أن خرج من بلاده لأمر أوجب ذلك وترك ملكه ونزل بالإسكندرية وسكنها بعد أن قدم القاهرة ثم عاد إلى الإسكندرية فمات بها.

وتوفي الشيخ الإمام شمس الدين محمد بن الغلامه الشهاب محمود المقدم ذكره في عاشر شوال.

وكان شمس الدين أيضًا كأيبه فاضلاً كاتبًا بارعًا وتولى كتابة سر دمشق وهو من بيت رياسة وفضل وكتابة.

وتوفي قاضي القضاة صدر الدين أبو الحسن علي بن صفي الدين أبي القاسم بن محمد بن عثمان البصراوي الحنفي قاضي قضاة دمشق في شعبان بعد ما حكم بدمشق عشرين سنة وحمدت سيرته وكان إمامًا عالمًا دينًا عفيفًا مشكور السيرة.

وتوفي الطواشي ناصر الدين الشمسي شيخ الخدام بالحرم النبوي.

وكان خيرًا دينًا يحفظ القرآن ويكثر من التلاوة بصوت حسن.

وتوفي الأمير سيف الدين كوجري بن عبد الله أمير شكار بالقاهرة في تاسع عشرين في ذي الحجة.

وكان أصله من مماليك عز الدين أيدير نائب الشام في الأيام الظاهرية وكان هو من أعيان الأمراء بمصر.

وتوفي الأمير شمس الدين إبراهيم بن الأمير بدر الدين محمد بن عيسى بن التركماني في ثالث جمادى الآخرة بداره بجوار باب البحر.

وكان فيه مكارم وله مروءة وعصية مع حشمة ورياسة وهو بن صاحب جامع التركماني المقدم ذكره الذي بالقرب من باب البحر.

وتوفي الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك السعيد فتح الدين عبد الملك بن الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر أمحمد بن نجم الدين أيوب بن شادي بدمشق في حادي عشرين جمادى الآخرة عن أربع وسبعين سنة وكان من جملة أمراء دمشق معظمًا في الدول من بيت سلطنة ورياسة.

وتوفي الأمير سيف الدين بلبان بن عبد الله البحري نائب حمص في ليلة عيد الفطر.

كان من أكابر الأمراء وفيه شجاعة وإقدام مع كرم وحشمة.

وتوفي الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير الكبير أرغون بن عبد الله الدوادار الناصري نائب السلطنة بالديار المصرية ثم نائب حلب في ثالث عشر شعبان.

وكان ناصر الدين هذا من جملة أمراء الديار المصرية معظمًا في الدولة.

وتوفي الأمير سيف الدين قطلوبغا بن عبد الله المغربي الحاجب بالديار المصرية في ثامن شهر رمضان.

وكان مقرَّبًا عند الملك الناصر ومن أعيان أمرائه.

وتوفي العلامة قاضي القضاة ذو الفنون جمال الإسلام كمال الدين أبو المعالي محمد بن علي بن عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني الأنصاري السماكي الدمشقي الشافعي قاضي قضاة دمشق بمدينة بلبيس في سادس عشر رمضان.

ومولده سنة سبع وستين وستمائة في شوال.

وكان إمامًا علامة بصيرًا بمذهبه وأصوله قوي العربية صحيح الذهن فصيحًا أدبيًا ناظمًا ناثرًا.

أفتى وله نيف وعشرون سنة وصنف وكتب ومن مصنفاته رسالة في الرد على الشيخ تقي الدين في مسألة الطلاق ورسالة في الرد عليه في مسألة الزيارة وشرح قطعة من المنهاج ونظم ونثر وتولى قضاء دمشق بعد القاضي جلال الدين القزويني لما نقل إلى قضاء الديار المصرية فتوخه إلى مصر فمات بلبيس.

ومن شعره قصيدته التي مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم التي أولها: البسيط أهواك يا ربة الأستار أهواك وإن تباعد عن مغناي مغناك وأعمل العيس والأشواق ترشدني عسى يشاهد معناك تهوي بها البید لاتخشی الضلال وقد هدت ببرق الثنايا الغر مضناك تشوقها نسماط الصبح سارية تسوقها نحو رؤياك برباك ومنها: إني قصدتك لا ألوي على بشر ترمي النوى بي سراعًا نحو مسراك كما حططت بباب المصطفى أملي وقلت

لنفس بالمأمول بشراك محمد خير خلق الله كلهم وفتح الخير ماحي كل إشراك قلت:
وهي أطول من ذلك وكلها على هذا المنوال وهو نظم فقيه لا بأس به.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وعشرون أصبغًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وخمس أصابع.

والله أعلم.

السنة التاسعة عشرة من سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر وهي سنة
ثمان وعشرين وسبعمائة.

فيها توفي شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن
عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي بدمشق في ليلة
الاثنين العشرين من ذي القعدة في سجنه بقلعة دمشق.

ومولده في يوم الاثنين عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة.

وكان سجن بقلعة دمشق لأمر حكيناها في غير هذا المكان.

وكان إمام عصره بلا مدافعة في الفقه والحديث والأصول والنحو واللغة وغير ذلك.

وله عدة مصنفات مفيدة يضيق هذا المحل عن ذكر شيء منها.

أثنى عليه جماعة من العلماء مثل الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد والقاضي شهاب الدين
الجويني والقاضي شهاب الدين بن النحاس.

وقال القاضي كمال الدين بن الزمكاني المقدم ذكره: اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على
وجهها ثم جرت له محن في مسألة الطلاق الثلاث وشد الرحال إلى قبور الأنبياء
والصالحين وحب للناس القيام عليه.

وحبس مرات بالقاهرة والإسكندرية ودمشق وعقد له مجالس بالقاهرة ودمشق مع أنه
حصل له في بعضها تعظيم من الملك الناصر محمد بن قلاوون وأطلق وتوجه إلى دمشق
وأقام بها إلى أن ورد مرسوم شريف في سنة ست وعشرين وسبعمائة بأن يجعل في
قلعة دمشق في قاعة فجعل في قاعة حسنة وأقام بها مشغولًا بالتصنيف والكتابة.

ثم بعد مدة منع من الكتابة والمطالعة وأخرجوا ما عنده من الكتب ولم يتركوا عنده دواة
ولا قلمًا ولا ورقة ثم ساق بن الزمكاني كلامًا طويلًا الأليق الإضراب عنه.

وتوفي الأمير سيف الدين جوبان بن تلك بن ندوان نائب القان بوسعيد ملك التتار.

وكان جوبان هذا قد ثقل على بوسعيد فأسر إلى خاله إيرنجي قتله فلم يمكنه ذلك فأخذ
ابنه دمشق خجا وقتله ففر جوبان إلى هراة فلم يسلم وقتل بها.

وكان شجاعًا عالي الهمة حسن الإسلام.

أجرى العين إلى مكة في جمادى الأولى سنة ست وعشرين وسبعمائة وأنشأ مدرسة
بالمدينة النبوية ولما مات حمل إلى مكة مع الركب العراقي وطيف به الكعبة ووقف به

عرفة وهو ميت ثم مضي به إلى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فدفن بالبيع.

وتوفي أمير المدينة النبوية الشريف كبيش بن منصور بن جمار الحسيني المدني في أول شعبان قتيلاً وكانت ولايته على المدينة بعد قتل أبيه منصور في رابع عشر رمضان سنة خمس وعشرين وسبعمئة قتله أولاد ودي وكان ودي قد حبس بقلعة الجبل فولي بعده إمرة المدينة أخوه طفيل.

وتوفي الأمير الكبير شمس الدين قراسنقر بن عبد الله المنصوري بمدينة مراغة من عمل أذربيجان في يوم السبت سابع عشرين شوال وكان من كبار المماليك المنصورية وأجل أمرائهم وقد ولي نيابة حلب والشام ثم حلب وهو أحد من كان سبباً في قتل الملك الأشرف خليل بن قلاوون وأحد من كان السبب لعود الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى ملكه في هذه المرة الثالثة وقد مر من ذكره في ترجمة المظفر بيبرس الجاشنكير وفي أول سلطنة الناصر الثالثة وحكىنا كيفية خروجه من البلاد الحلبية إلى التتار فلا حاجة إلى ذكر ذلك ثانيًا وما ذكرناه وتوفي ببغداد مفتي العراق وعالمه الشيخ جمال الدين عبد الله بن محمد بن علي بن حماد بن ثابت الواسطي مدرس المستنصرية في ذي القعدة.

ومولده في سنة ثمان وثلاثين وستمئة.

وتوفي الأمير سيف الدين جوبان بن عبد الله المنصوري أحد أكابر أمراء دمشق بها في العشرين من صفر سنة ثمان وعشرين وكان شجاعاً مقداماً.

وتوفي الأمير سيف الدين بكتمر البوبكري في سجنه بقلعة الجبل يوم الخميس النصف من شعبان.

وكان من أكابر الأمراء من أصحاب بيبرس الجاشنكير وسلار فلما تسلطن الملك الناصر ثالث مرة قبض عليه في جملة من قبض عليهم وحبسه بقلعة الجبل إلى أن مات.

وتوفي الشيخ عفيف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المحسن الواعظ الشهير بابن الخراط البغدادي الدواليبي الحنبلي في هذه السنة.

ومولده في سنة بضع وثلاثين وستمئة.

وكان إماماً واعظاً بليغاً ولوعظه موقع في القلوب وعليه قابلية.

وتوفي الأمير جمال الدين خضر بن نوكاي التتاري أخوخوند أردوكين الأشرفية المتوفية في سنة أربع وعشرين.

وكان خضر هذا من أعيان أمراء الديار المصرية وله حرمة وثروة وحشم.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وعشر أصابع.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعاً وتسع أصابع.

بن قلاوون الثالثة على مصر وهي سنة تسع وعشرين وسبعمئة.

فيها توفي الأمير غرس الدين خليل بن الإربلي أحد أمراء العشرات بديار مصر في سادس صفر وأنعم السلطان بإمرته على إياجي الساقى.

وكان خليل المذكور شجاعًا فاضلاً وجيهاً في الدولة.

وتوفي الأمير سعد الدين سعيد بن الأمير الكبير حسام الدين حسين في ثامن عشر المحرم وأنعم بإمرته على تكا الناصري.

وتوفي الشيخ الإمام الفقيه جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الواسطي الأشمومي الشافعي المعروف بالوجيزي لكثرة قراءته إكتاب الوجيز في الفقه في ثامن عشر المحرم.

وكان فقيهاً عالمًا معدودًا من فقهاء الشافعية وتولى قضاء قلوب والجيزة.

وتوفي الأمير الكبير شرف الدين حسين بن أبي بكر بن أسعد بن جندرباك الرومي في سادس المحرم.

وكان قدم صحبة أبيه إلى الديار المصرية في سنة خمس وسبعين وستمئة في أيام الملك الظاهر بيبرس البندقداري في جملة من قدم من أهل الروم.

وكان أبوه أمير جاندار متملك بلاد الروم معظمًا في بلاده.

وكان أمير حسين هذا رأس مدرج لحسام الدين لاجين لما كان نائب الشام لأنه كان رأسًا في الصيد ولعب الطير فلما تسلطن لاجين أمره عشرة بمصر ثم وقع له أمور وصار من جملة أمراء الطيلخاناه بدمشق ونادم الأفرم نائب الشام إلى أن فر الأفرم إلى بلاد التتار وتوجه الأمير حسين هذا إلى الملك الناصر محمد إلى الكرك ثم توجه معه إلى الديار المصرية وصار مقرَّبًا عنده.

وكان يجيد لعب الصيد والرمي بالنشاب فأنعم عليه الملك الناصر بتقدمة ألف بالديار المصرية وأفرد له زاوية من الطيور الخاص وجعله أمير شكار رقيقًا للأمير الكوجري وصار له حرمة وافرة بالقاهرة.

ووقع له أمور ذكرناها في ترجمته في المنهل الصافي مستوفاة.

وطالت أيام الأمير حسين هذا في السعادة.

وعمر جامع قريبًا من بستان العدة والقنطرة التي على الخليج بحكر جوهر النوبي ولما فرغ من عمارة الجامع المذكور أحضر إليه المشد والكاتب حساب المصروف فرمى به إلى الخليج وقال: أنا خرجت عن هذا لله تعالى فإن خنتما فعليكما وإن وفيتما فلكما.

وكان خفيف الروح دائم البشر لطيف العبارة وكانت في عبارته عجمة لكنة كان إذا قال الحكاية أو النادرة يظهر لكلامه حلاوة في القلب والسمع.

وتوفي الأمير سيف الدين بكتمر بن عبد الله الحسامي الحاجب في يوم الأربعاء حادي عشرين شهر ربيع الآخر بدار خارج باب النصر.

وأنعم السلطان على ولده ناصر الدين محمد بإمرة عشرة وسنه يومئذ ثلاث عشرة سنة.

وفرق الملك الناصر إقطاعه على جماعة فكمل للأمير طرغاي الجاشنكير تقممة ألف وأنعم على الأمير قوصون الناصري بمنية زفته.

وكان أصل بكتمر هذا من جملة مماليك الأمير حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة للملك المنصور قلاوون وكان أخذ من بلاد الروم سنة خمس وسبعين وستمائة فيما أخذ من مماليك السلطان غياث الدين كيخسرو متملك بلاد الروم عندما دخل الملك الظاهر بيبرس إلى مدينة قيسرية وقد تقدم ذكر ذلك في ترجمة الظاهر فصار بكتمر هذا إلى طرنطاي وطرنتاي يوم ذاك مملوك الأمير سيف الدين قلاوون الألفي قبل سلطنته فرثاه وأعتقه.

فلما قتل طرنطاي صار بكتمر هذا للأشرف خليل فرته في جملة الأوجاقية في الإسطنبول السلطاني.

ثم نقلها المنصور لاجين وجعله أمير آخور صغيرًا ثم أنعم عليه بإمرة عشرة بعد وفاة الفاخري.

وما زال يترقى حتى ولي الوزارة ثم الحجوية بدمشق ثم نيابة غزة ثم نيابة صفد ثم حجوية الحجاب بديار مصر إلى أن مات.

وهو صاحب المدرسة والدار خارج باب النصر من القاهرة.

وخلف أموالًا كثيرة وكان معروفًا بالشح وجمع المال.

قلت: وعلى هذا كان غالب أولاده وذريته ممن أدركنا.

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في تاريخه: وكان له حرص عظيم على جمع المال إلى الغاية وكان له الأملاك الكثيرة في كل مدينة وكان له قدور يطبخ فيها الحمص والبقول وغير ذلك من الأواني تكرر وكان بخيلًا جدًّا.

حكى لي الشيخ فتح الدين بن سيد الناس قال: كنت عنده يومًا وبين يديه صغير من أولاده وهو يبكي ويتعلق في رقبته ويبوس صدره فلما طال ذلك من الصغير قلت له: يا خوند ماله قال: شيطان يريد قصب مص.

فقلت: يا خوند إقص شهوته.

فقال: يا بخشي سير إلى السوق أربع فلوس هات له عودًا.

فلما حضر العود القصب وجدوا الصغير قد نام فما تعنى وتعجب في طلب القصب.

فقال الأمير بكتمر: هذا قد نام ردوا العود وهاتوا الفلوس.

انتهى كلام الصفدي.

قلت: ولأجل هذا كانت له تلك الأملاك الكثيرة والأموال الجمة.

وإلا من هو بكتمر بالنسبة إلى غيره من الأتابكية ونواب البلاد الشامية وغيرهم من عظماء الأمراء ولكن هذا من ذاك.

انتهى.

وتوفي الشيخ الإمام جلال الدين أبو بكر عبد الله بن يوسف بن إسحاق بن يوسف الأنصاري الذلاصي إمام الجامع الأزهر بالقاهرة عن بضع وثمانين سنة.

وكان يعتقد فيه الخير وله شهرة بالدين والصلاح.

وتوفي قاضي قضاة دمشق علاء الدين أبو الحسن علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي الشافعي في يوم السبت رابع عشر ذي القعدة.

وكان عالمًا مصنفًا بارعًا في فنون من العلوم.

وتوفي الأمير سيف الدين ساطلمش بن عبد الله الفاخري في ثالث ذي الحجة وأنعم بإقطاعه على الأمير كوجبا الساقى.

وكان قديم هجرة في الأمراء وله وجهة عند السلطان وغيره.

وتوفي الأمير ناصر الدين نصر الطواشي شيخ الخدام بالحرم النبوي ومقدم المماليك السلطانية معًا في يوم الخميس عاشر شهر رجب.

واستقر عوضه في مشيخة الخدام وتقدمة المماليك السلطانية الطواشي عنبر السحرتي.

ومات عز الدين القيمري.

وتوفي الأمير علاء الدين علي بن الكافري والي قوص.

كان ولى عدة أعمال وكان من الظلمة.

وتوفي الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الأيدمرى في شهر رجب الأول.

وتوفي الشيخ عز الدين أبو يعلى حمزة بن المؤيد أبي المعالي بن المظفر بن أسعد بن حمزة القلانسي الشافعي بدمشق.

وتوفي الشيخ الإمام نجم الدين أبو عبد الله محمد بن عقيل بن أبي الحسن بن عقيل البالسي الشافعي بمصر.

كان إمامًا فقيهاً مدرسًا مصنفًا شرح التنبيه في الفقه.

وتوفي القاضي معين الدين هبة الله بن علم الدين مسعود بن عبد الله بن حشيش صاحب ديوان الجيش بمصر ثم ناظر جيش دمشق في جمادى الآخرة.

كان إمامًا فاضلاً نحوياً كاتبًا وله فضائل وتنقل في عدة خدم.

وتوفي شرف الدين يعقوب بن عبد الكريم بن أبي المعالي الحلبي بحماة.

كان فاضلاً كاتبًا تنقل في عدة خدم بالبلاد الشامية وغيرها وتولى كتابة السر بحلب غير مرة وكان فيه رياسة وحشمة.

وفيه يقول الشيخ جمال الدين بن نباتة: الرمل قالت العليا لمن حاولها سبق صاحب وأحتل ذراها فدعوا كسب المعالي إنها حاجة في نفس يعقوب قضاها وتوفي الأمير سيف

الدين أغزلو بن عبد الله الركني منفيًا بقوص في ربيع الآخر وكان من أعيان الأمراء أصحاب بيبرس وسلا.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وأصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وخمس أصابع.

والله أعلم.

السنة إحدى وعشرين من سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر وهي سنة ثلاثين وسبعمائة.

فيها توفي المسند المعمر الرحلة أحمد بن أبي طالب بن أبي النعم بن نعمة بن الحسن بن علي المعروف بابن الشحنة وبالحجار الصالحي الدمشقي في خامس عشرين صفر.

ومولده سنة ثلاث وعشرين وستمائة.

ومات وهو مسند الدنيا وتفرد بالرواية عن بن الزبيدي وا بن اللتي مدة سنين لا يشاركه فيها أحد وسمع الناس عليه صحيح البخاري أكثر من سبعين مرة لعلو سنده.

وقدم القاهرة مرتين وحدث بها ورحل إليه من الأقطار.

وتوفي الأمير سيف الدين بهادر آص المنصوري أحد أمراء الألوفا بدمشق في تاسع عشر صفر الخير وأنعم بإقطاعه على الأمير سنجر البشمقدار.

وكان بهادر شجاعًا مقدامًا في الحرب وتولى نيابة صفد.

وكان له أربعة أولاد منهم آثان أمراء فكان يضرب على بابه ثلاث طبلخانات.

وقد تقدم ذكره في أواخر ترجمة المظفر بيبرس الجاشنكير لما قدم مملوك الملك الناصر على الأفرم نائب الشام ونحوه.

وتوفي الأمير سيف الدين بلبان بن عبد الله الدواداري المهمندار بدمشق في نصف جمادى الأولى وكان من جملة أكابر أمراء دمشق.

وتوفي الأمير سيف الدين قلبرس ابن الأمير سيف الدين طيبرس الوزير بدمشق في ليلة الجمعة ثامن ذي القعدة.

وكان من جملة أمراء دمشق وكان فيه مكارم وحشمة.

وتوفي الأمير عز الدين أيذر بن عبد الله أمير جاندار مقتولًا بمكة المشرفة في يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة.

وسبب قتله أنه توجه إلى الحج في هذه السنة فقتله بعض عبيد أمير مكة محمد بن عقبة بن إدريس بن قتادة الحسيني.

وسببه أن بعض عبيد مكة عبثوا على بعض حجاج العراق وتخطفوا أموالهم فاستصرخ الناس به وكان قد تأخر عن الحاج مع أمير الركب لصلاة الجمعة بمكة فنهض والخطيب

على المنبر فمنعهم من الفساد ومعه ولده فتقدم الولد فضرب بعض عبيد مكة فضربه العبد بحربة فقتله.

فلما رأى أبوه ذلك اشتد حنقه وحمل ليأخذ بثأر ابنه فرمى الآخر بحربة فمات.

وتفرق الناس وركب بعضهم بعضًا ونهبت الأسواق وقتل خلق من الحجاج وغيرهم وصلى بعض الناس والسيوف تعمل وقتل مع أيدير مملوكه وأمير عشرة يعرف بابن التاجي.

وتراجع الأمراء المصريون إلى مكة لطلب بعض الثأر فلم ينتج أمرهم وعادوا فارين.

ثم أمر أمير المصريين بالرحيل وعادوا إلى القاهرة وأخبروا الملك الناصر محمد بن قلاوون فجهز إلى مكة عسكريًا كثيرًا وعليه عمه من الأمراء فتوجهوا وأخفوا بثأر أيدير وابنه وقتلو جماعة كثيرة من العبيد وغيرهم وأسرفوا في ذلك وخرجوا عن الحد إلى الغاية.

وتشتت أشرف مكة والعبيد عن أوطانهم وأخذت أموالهم وحكمت الترك مكة من تلك السنة إلى يومنا هذا وزال منها سطوة أشرف مكة الرافضة والعبيد إلى يومنا هذا.

وانقمع أهلها وارتدعوا وكرههم الملك الناصر ومقتهم وأقصاهم حتى إنه لما حج بعد ذلك كان إذا أتاه صاحب مكة لا يقوم له مع تواضع الملك الناصر للفقهاء والأشرف والصلحاء وغيرهم.

وكان أيدير المذكور معظمًا عند الناصر وحيهًا في دولته وله الأملاك الكثيرة والأموال الجزيلة وكان خيرًا دينيًا صالحًا.

وتوفي القاضي الرئيس علاء الدين أبو الحسن علي بن القاضي تاج الدين أحمد بن سعيد بن محمد بن سعيد المعروف بابن الأثير كاتب سر مصر في يوم الأربعاء خامس عشر المحرم بعد ماتعطل وأصابه مرض الفالج مدة سنين.

وكان ذا سعادات جليلة وحرمة وافرة وجاه عريض يضرب به المثل في الحشمة والرياسة.

وتوفي الأمير سيف الدين قدادار بن عبد الله والي القاهرة وصاحب القنطرة على خليج الناصري خارج القاهرة في سادس عشر صفر.

وأنعم بإمرته على الأمير ماجار القبجاقى.

وأصل قدادار هذا من مماليك الأمير برلغى الأشرفى المقدم ذكره وترقى إلى أن ولي كشف الغربية وولاية البحيرة من أعمال الديار المصرية ثم ولاية القاهرة وتمكن منها تمكّنًا زائدًا وكان جريئًا على الدنيا ثم صرف عن ولاية القاهرة بناصر الدين محمد بن المحسنى وأقام في داره إلى أن خرج للحج ثم عاد وهو مريض فلزم الفراش إلى أن مات في التاريخ المذكور.

وتوفي الشيخ شمس الدين محمد بن محمد الرومى شيخ خانقاه بكتمر الساقى في يوم الأحد وتوفي الوزير شمس الدين أبو القاسم محمد بن محمد بن سهل بن أحمد بن سهل الأزدي الغرناطى الأندلسى بالقاهرة قافلًا من الحج.

وتوفي الأمير سيف الدين كجكن بن عبد الله الساقى الناصري في سادس صفر.
وكان من خواص الملك الناصر محمد وأكبر مماليكه.

وتوفي الشيخ الإمام الأديب ناصرالدين شافع بن علي بن عباس بن إسماعيل بن عساكر
الكناني ثم المصري سبط الشيخ محيي الدين بن عبد الظاهر.
ومولده في سنة تسع وأربعين وستمائة.

وكان يباشر الإنشاء بمصر ودام على ذلك سنين إلى أن أصابه سهم في نوبة حمص
الكبرى سنة ثمانين وستمائة في صدغه فعمي منه وبقي ملازمًا بيته إلى أن مات.

وكان إمامًا أديبًا فاضلًا ناظمًا ناثرًا جماعًا للكتب خلف ثمانى عشرة خزانة كتب نفائس
أدبية وغيرها.

ومن شعره بعد عماه: البسيط أضحى وجودي برغمي في الورى عمدًا وليس لي فيهم
ورد ولا صدر عدت عيني وما لي فيهم أثر فهل وجود ولا عين ولا أثر وله أيضًا: الخفيف
قال لي من رأى صباح مثيبي عن شمالي ولمتي ويميني وله في شبابة: الخفيف سلبتنا
شبابة بهواها كل ما ينسب اللبيب إليه كيف لا والمحسن القول فيها تخذ أمرها بكلتا يديه
أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وإصبعان.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وعشر أصابع.

السنة اثنتين وعشرين من سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر وهي سنة
إحدى وثلاثين وسبعمائة.

فيها توفي الأمير شهاب الدين صمغار بن الأمير شمس الدين سنقر الأشقر في ثالث
عشر المحرم وكان من جملة أمراء الطبلخانات بالديار المصرية وأنعم الملك الناصر
بإقطاعه على بهادر بن أوليا بن قرمان.

وكان صمغار المذكور بطلًا شجاعًا يخافه الملك الناصر وفرح بموته.

وتوفي الأمير علاء الدين علي بن الأمير قطلوبك الفخري أحد أمراء العشرات في سابع
عشرين المحرم وأنعم بإقطاعه على الزيني أمير حاج بن الأمير طقزدمر الحموي.

وتوفي الأمير سيف الدين منكلي بغا السلاح دار في يوم الأحد سادس صفر ودفن خارج
باب النصر من القاهرة.

وكان أحد أمراء الألوف بالديار المصرية وأنعم السلطان بإمرته على الأمير تمرغا
السعدي وكان منكلي بغا المذكور كثير الأكل كثير النكاح وله فيهما حكايات عجيبة
مضحكة.

وتوفي قاضي القضاة بدمشق عز الدين أبو عبد الله محمد بن تقي الدين سليمان بن
حمزة بن أحمد بن عمر بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة الحنبلي الدمشقي
بها في يوم الأربعاء تاسع صفر.

وكان ولي قضاء الحنابلة بدمشق بعد القاضي شرف الدين أبي محمد عبد الله بن الحسن
بن عبد الله عبد بن الغني المقدسي إلى أن مات في هذا التاريخ.

وكان عالمًا فاضلاً مشكور السيرة.

وتوفي الأمير قجليس بن عبد الله أمير سلاح في يوم الثلاثاء خامس عشر صفر وأنعم السلطان بإقطاعه وهو إمرة مائة على الأمير ساطلمش الجلابي.

وكان قجليس المذكور من أعيان أمراء الديار المصرية وأماثلهم.

قلت: ولم يكن أمير سلاح تلك الأيام في رتبة أيامنا هذه.

وإنما كان أمره أنه يحمل سلاح السلطان ويناوله إياه في يوم الحرب وفي عيد النحر وكان يجلس حيث كانت منزلته واستمر وتوفي الأمير سيف الدين طرجي بن عبد الله الساقى أمير مجلس في يوم الأربعاء سادس شهر ربيع الآخر.

وكانت وظيفة أمير مجلس يوم ذاك أكبر من وظيفة أمير سلاح وكان هو الذي يحكم على الجراحية والحكماء وغيرهم.

وتوفي الشيخ المسند المعمر بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن عمر بن حسان بن أبي بكر بن علي الحنفي في يوم الثلاثاء خامس عشر صفر بالقاهرة وهو آخر من حدث عن سبط السلفي وكان صار رحلة الناس في ذلك.

وتوفي الأمير سيف الدين بغجار بن عبد الله الساقى أحد أمراء الطبلخاناه بديار مصر وأنعم الملك الناصر بإقطاعه على الأمير عمر بن أرغون النائب.

وتوفي الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير حسام الدين طرنطاي المنصوري في يوم الأربعاء ثامن شهر رجب وهو أحد أمراء الألوف بالديار المصرية.

وكان أميرًا شجاعًا كريمًا وجيهاً في الدول.

وتوفي الأمير الكبير أرغون بن عبد الله الناصري نائب السلطنة الشريفة ثم نائب حلب وبها مات في ليلة السبت ثامن عشر شهر ربيع الأول وقيل ربيع الآخر.

وأصله من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الترجمة.

اشتراه ورباه وأدبه وتبنى به وأمره بملازمة الاشتغال فأشتغل ودأب وبرع وكتب الخط المنسوب وسمع صحيح البخاري بقراءة الشيخ أثير الدين أبي حيان وكتب بخطه صحيح البخاري وبرع في الفقه وأصوله وأذن له في الإفتاء والتدريس.

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي: قال لي الشيخ فتح الدين بن سيد الناس: كان أرغون يعرف مذهب أبي حنيفة ودقائقه ويقصر فهمه في الحساب إلى الغاية.

قلت: كان قصور فهمه في الحساب إذ ليس هو بصدده ولو صرف همته إلى ذلك لفهمه وعلمه على أحسن وجه.

انتهى.

ورقاه أستاذه الملك الناصر لما رأى فيه مخايل النجابة وجعله دوا دارًا بعد الأمير بيبرس الدوادار ثم ولأه نيابة السلطنة بديار مصر وجعل أمورها كلها إليه فدام في نيابة السلطنة نحو ست عشرة سنة ثم أخرجه لنيابة حلب.

وقد ذكرنا سبب إخراجه لحلب في أصل هذه الترجمة.

وتولى نيابة حلب بعد عزل الأمير آلطنغا الصالحي فباشر نيابتها نحو أربع سنين.

وهو الذي أمر بحفر نهر الساجور وأجراه إلى حلب في سنة إحدى وثلاثين.

وكان ليوم وصوله يوم مشهود.

وفي هذا المعنى يقول الرئيس شرف الدين أبو عبد الله الحسين بن سليمان بن ريان رحمه الله: البسيط لما أتى نهر الساجور قلت له ماذا التأخر من حين إلى حين فقال أخرنى ربي ليجعلني من بعض معروف سيف الدين أرغون قدأضحت الشهباء تثني على أرغون في صبح وديجور من نهر الساجور أجري بها للناس بحرًا غير مسجور وقد استوعبنا أمر أرغون هذا في المنهل الصافي بأكثر من هذا إذ هو محل الإطناب في التراجم.

وتوفي تاج الدين إسحاق بن عبد الكريم

وكان أولًا يدعى عبد الوهاب ناظر الخاص الشريف في يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة.

وكان أصله من أقباط مصر يخدم في الدواوين ثم صار ناظر الدولة ثم باشر نظر الخاص بعد كريم الدين الكبير فباشر بسكون وحشمة وانجماع عن الناس مع حسن سياسة إلى أن مات.

وتولى الخاص بعده ابنه شمس الدين موسى الذي وقع له مع النشو ما وقع من العقوبات والمصادرات ومد الله في عمره إلى أن رأى نكبة النشو وقتله على ماسياتي ذكره إن شاء الله تعالى في محله من هذا الكتاب على سبيل الاختصار.

وقد استوعبنا أمر موسى المذكور في المنهل الصافي بما فيه عجائب وغرائب فليُنظر هناك.

وتوفي التاجر تاج الدين أبو بكر بن معين الدين محمد بن الدماميني رئيس تجار الكارم في ثالث عشرين جمادى الآخرة وقد قارب ثمانين سنة وترك مائة ألف دينار عيّنًا.

قلت: ولعله يكون والد الدمامينية الشاعر والقاضي وغيرهما الآتي ذكرهما.

وتوفي ملك الغرب صاحب فاس ومراكيش أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق في ذي الحجة وقام من بعده ابنه السلطان أبو الحسن علي.

وكانت مدة عثمان هذا على فاس وغيرها من بلاد الغرب إحدى وعشرين سنة.

وتوفي الشيخ المسند شرف الدين أبو الحسين أحمد بن فخر الدين عبد المحسن بن الرفعة بن أبي المجد العدوي.

وأبوه عبد المحسن إليه ينسب جامع بن الرفعة بين مصر والقاهرة.

وتوفي الشيخ الإمام العلامة فخر الدين أبو عمرو عثمان بن إبراهيم بن مصطفى بن سليمان المارديني الحنفي الشهير بالتركمانى فى ليلة السبت حادي عشر رجب.

وكان إمامًا عالمًا بارعًا مفتيًا تصدر للإفتاء والتدريس سنين عديدة وكان معظمًا عند الملوك.

درس بالمنصورة من القاهرة وشرح الجامع الكبير وسمع الكثير وكان مقدمًا على أقرانه فصيح العبارة عالمًا باللغة والعربية والمعاني والبيان شيخ السادة الحنفية في زمانه.

وهو والد قاضي القضاة علاء الدين والعلامة تاج الدين أحمد وجد جمال الدين عبد الله بن علي وعبد العزيز بن علي.

وتخرج عليه خلائق كثيرة وانتفع به الناس.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وأصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا واثنان وعشرون إصبغًا.

والله السنة الثالثة والعشرون من سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر وهي سنة اثنتين وثلاثين وسبعمئة.

فيها توفي الأمير الوزير علاء الدين مغلطاي بن عبد الله الجمالي كان يلقب بخرز عند نزوله من العقبة عائداً إلى الديار المصرية في يوم الأحد سابع عشر المحرم فحمل ميتاً إلى القاهرة ودفن بخانقته في يوم الخميس حادي عشرين المحرم.

وكان أصله من مماليك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الترجمة وكان من خواصه وخاصيته ثم أنعم عليه بإمرة ثم نقله على إمرة بهادر الإبراهيمي نقيب المماليك دفعة واحدة وندبه لمهامته ثم ولاه أستاذًا فعظم أمره ثم نقله إلى الوزارة وحكمه في جميع المملكة فحسنت سيرته وساس الناس وأبطل مظالم.

وكان جوادًا عاقلًا عارفًا حشماً يميل لفعل الخير.

انتفع به جماعة كثيرة في ولايته لأنه كان يأخذ على ولاية المباشرات المال فقصدته الناس لذلك.

وكان شأنه إذا ولى أحدًا وجاء من يزيد عليه عزله وولى من زاد بعد أن يعلم أن المعزول قد استوفى ما قام له به من المال ومن لم يستوف ذلك لم يعزله.

ولم يصادر أحدًا في مدة ولايته وهذا من العجب ولاظلم أحدًا بل كانت أيامه مشكورة.

وكان المستولي عليه مجد الدين إبراهيم بن لفيفة.

وخلف الأمير فغلطاي المذكور عدة أولاد من زوجته بنت الأمير أسندمر كرجي نائب طرابلس.

وإليه تنسب المدرسة الجمالية بالقرب من درب ملوخيا داخل القاهرة بالقرب من داره.

وتوفي الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء إسماعيل صاحب حماة بن الملك الأفضل علي بن الملك المظفر محمود بن الملك المنصور محمد بن الملك المنصور عمر بن شاهنشاه بن أيوب الأيوبي في ثالث عشرين المحرم.

وتولى حماة بعده آبنه الملك الأفضل وقد تقدم ذكر قدومه على الملك الناصر وولايته
لحماة بعد وفاة آبيه المؤبد هذا.

انتهى.

وكان مولد الملك المؤبد في جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين وستمائة وحفظ القرآن
العزير وعدة كتب وبرع في الفقه والأصول والعربية والتاريخ والأدب والطب والتفسير
والميقات والمنطق والفلسفة مع الاعتقاد الصحيح.

وكان جامعًا للفضائل وصار من جملة أمراء دمشق إلى أن خدم الملك الناصر محمدًا عند
خروجه من الكرك في سلطنته الثالثة.

فلما تم أمره أعم عليه بسلطنة حماه بعد الأمير أسندمر كرجي وقد تقدم ذلك كله في
صدر ترجمة الملك الناصر وجعله صاحب حماة وسلطانها.

وقدم على الناصر القاهرة غير مرة وحج معه وحظي عنده إلى الغاية حتى إن الملك
الناصر رسم إلى نواب البلاد الشامية بأن يكتبوا له: يقبل الأرض فصار تنكز مع جلاله
قدره يكتب له: يقبل الأرض و بالمقام الشريف العالي المولوي السلطاني العمادي
الملكي المؤبدي.

وفي العنوان: صاحب حماة.

ويكتب السلطان الملك الناصر له: أخوه محمد بن قلاوون أعز الله أنصار المقام الشريف
العالي السلطاني الملكي المؤبدي العمادي بلا مولوي.

وكان الملك المؤبد مع هذه الفضائل عاقلًا متواضعًا جوادًا.

وكان للشعراء به سوق نافق.

وهو ممدوح الشيخ جمال الدين بن نباتة مدحه بغرر القصائد ثم رثاه بعد موته.

ومن جملة مدائحه له: الكامل: أقسمت ما الملك المؤبد في الورى إلا الحقيقة والكرام
مجاز هو كعبة للفضل ما بين الندى وبين الطالبين حجاز ولما مات رثاه بالقصيدة
المشهوره التي أولها: البسيط ما للندى ما يلي صوت داعيه أظن أن بن شادي قام ناعيه
ما للرجاء قد اشتدت مذاهبه ما للزمان قد اسودت نواحيه ما لي أرى الملك قد فضت
مواقفه ما لي أرى الوفد قد قاضت ماقيه نعى المؤبد ناعيه فوا أسفا للغيث كيف غدت
عنا غواديه واروعتا لصباح من رزيتيه أظن أن صباح الحشر ثانيه واحسرتاه لنظمي في
مدائحه كيف استحال لنظمي في مراثيه أروي بدمعي ثرى مللت له شيم قد كان يذكرها
الصادي فترويه أذيل ماء جفوني بعده أسفا لماء وجهي الذي قد كان يحميه جار من الدمع
لا ينفك يطلقه من كان يطلق بالإنعام جاديه ومهجة كلما فاهت بلوعتها قالت رزية مولاها
لها: إيه ليت المؤبد لا زادت عوارفه فزاد قلبي المعنى من تلظيه ليت الحمام حبا الأيام
موهبة فكان يفني بني الدنيا وبيقه ليت الأصاغر يفدى الأكبرين بها فكانت الشهب في
الآفاق تفديه والقصيد أطول من هذا تزيد على خمسين بيتًا.

وله فيه غير ذلك.

وقد تقدم من ذكره في المنهل الصافي أشياء آخر لم نذكرها هنا فلتنظر هناك.

ومن شعر الملك المؤيد في مليح اسمه حمزة: البسيط اسم الذي أنا أهواه وأعشقه ومن أعوذ قلبي من تجنيه تصحيفه في فؤادي لم يزل أبدًا وفوق وجنته أيضًا وفي فيه وتوفي الشيخ الصالح المعتقد ياقوت بن عبد الله الحبشي الشاذلي تلميذ الشيخ العارف بالله وكان شيخًا صالحًا مباركًا ذا هيبة ووقار وسمت وصلاح وله أحوال وكرامات.

وقبره بالإسكندرية يقصد للزيارة.

وتوفي الشيخ الصالح عبد العال خليفة الشيخ أحمد البدوي وخادمه بقرية طنتتا بالغربية من أعمال القاهرة في ذي الحجة.

فكان له شهرة بالصلاح ويقصد للزيارة والتبرك به ودفن بالقرب من الشيخ أحمد البدوي الجميع في موضع واحد غير أن كل مدفن في محل واحد على حدته.

وخلفاء مقام الشيخ أحمد البدوي من ذرية أخيه لم يبلغنا من كراماته شيء.

وتوفي القاضي الرئيس فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيوش المنصورة بالديار المصرية في يوم الأحد سادس عشر شهر رجب.

قال الشيخ صلاح الدين: كان متأهلاً عمره لما كان نصرانيًا.

ولما أسلم حكى الشيخ فتح الدين بن سيد الناس عن خاله القاضي شرف الدين بن زنبور قال: هذا بن أختي مضى عمره متعبدًا لأننا لما كنا نجتمع على الشراب في ذلك الدين كان يتركنا وينصرف فنتفقدته إذا طال غيبته فنجده واقفًا يصلي.

ولما ألزموه بالإسلام هم بقتل نفسه بالسيف وتغيب أيامًا.

ثم أسلم وحن إسلامه إلى الغاية ولم يقرب نصرانيًا بعد ذلك ولا آواه ولا اجتمع به وحج غير مرة وزار القدس غير مرة.

وقيل إنه في آخر عمره كان يتصدق في كل شهر بثلاثة آلاف درهم وبنى مساجد كثيرة بالقاهرة وعمر أحواسًا كثيرة في الطرقات وبنى بنا بلس مدرسة وبالرملة بيمارستانًا.

قال: وأخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله أنه كان حنفي المذهب ثم قال: وكان فيه عصبية شديدة لأصحابه وانتفع به خلق كثير في الدولة الناصرية لوجهته عند أستاذه وإقدامه عليه.

قال الصلاح: أما أنا فسمعت السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون يقول يومًا في خانقاه سرياقوس لجندي واقف بين يديه يطلب إقطاعًا: لا تطول والله لو أنك بن قلاوون ما أعطاك القاضي فخر الدين خبرًا يعمل أكثر من ثلاثة آلاف درهم وقد ذكرنا من أحواله أكثر من هذا في المنهل الصافي.

وتوفي الأمير سيف الدين سوتاي صاحب ديار بكر بالموصل في هذه السنة وكان ملكًا جليلاً ذا رياسة ووقار وعمر طويلًا وكان من أجل ملوك ديار بكر.

وتوفي شيخ القراء في زمانه برهان الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الربيعي الجعبري في شهر رمضان.

وكان من أعيان القراء في زمانه.

وتوفي شيخ القراءات أيضًا صدرالدين أحمد بن محمد بن عبد الله الدندري الشافعي في جمادى الآخرة.

وتوفي الأمير سيف الدين ألجاي بن عبد الله الناصري الدوادار.

كان من مماليك الملك الناصر محمد وجعله دوادارًا صغيرًا جنديًا مع الأمير أرسلان الدوادار فلما توفي أرسلان استقل ألجاي المذكور بالدوادارية الكبرى عوضه على إمرة عشرة مدة سنين ثم أعطاه إمرة طبلخاناه.

قال الإمام خليل بن أبيك في تاريخه: وأما اسمه في العلامة فما كتب أحد أحسن منه.

وكان خبيرًا عارفًا عفيقًا خيرًا طويل الروح.

وكان يحب الفضلاء ويميل إليهم ويقضي حوائجهم وينامون عنده ويبحثون ويسمع كلامهم ويتعاطى معرفة علوم كثيرة.

ومع هذا كان لا بد في خطه أن يؤنث المذكر.

وعمر له دارًا على الشارع خارج بابي زويلة غرم على بوابتها مائة ألف درهم فلم تستكمل حتى مرض ونزل إليها من القلعة مريضًا فأقام بها إلى أن مات.

وولي الدوادارئة من بعده الأمير صلاح الدين يوسف.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وست أصابع.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وإحدى عشرة إصبغًا.

والله أعلم.

السنة الرابعة والعشرون من سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر وهي سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة.

فيها توفي القاضي قطب الدين موسى بن أحمد بن الحسين ناظر جيش دمشق ورئيسها المعروف بابن شيخ السلامية عن اثنتين وتسعين سنة وكان نبيلًا فاضلًا وفور الحرمة.

وتوفي قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الحموي الشافعي في حادي عشر جمادى الأولى وهو معزول بعد ما عمي.

مولده بحماة في سنة تسع وثلاثين وستمائة وهو والد قاضي قضاة الديار المصرية عز الدين عبد العزيز بن جماعة.

وكان إمامًا عالمًا مصنفًا أخذ النحو عن ابن مالك وأفتى قديمًا وعرضت فتواه على الشيخ محيي الدين النووي فاستحسن ما أجاب به.

وتولى قضاء القدس والخطابة بها.

ثم نقل إلى مصر فولى قضاءها بعد عزل تقي الدين بن بنت الأعز في أوائل سنة تسعين وستمائة.

ثم وقع له أمور حكيناها في ترجمته في تاريخنا المنهل الصافي.

ومن شعره: مخلع البسيط ارض من الله ما يقدره أراد منك المقام أو نقلك وحيثما كنت ذا رفاهية فاسكن فخير البلاد ما حملك وتمم هذه الأبيات الجافط شهاب الدين أحمد بن حجر فقال رحمه الله: وحسن الخلق واستقم فمتى أسأت أحسن ولا تطل أملك من يتق الله يؤته فرجًا ومن عصاه ولا يتوب هلك قلت: والبيت الثاني من قول ابن جماعة مأخوذ من قول المتنبي ولكن فاته الشنب وهو: الطويل وكل امرئ بيدي الجميل محب وكل مكان ينبت العز طيب وتوفي الشيخ الإمام المؤرخ الفقيه شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الوهاب بن عبادة البكري النويري الشافعي صاحب التاريخ المعروف بتاريخ النويري في يوم الحادي والعشرين من شهر رمضان.

كان فقيهاً فاضلاً مؤرخاً بارعاً وله مشاركة جيدة في علوم كثيرة وكتب الخط المنسوب.

قيل إنه كتب صحيح البخاري ثماني مرات وكان يبيع كل نسخة من البخاري بخطه بألف درهم وكان يكتب في كل يوم ثلاث كراريس وتاريخه سماه: منتهى الأرب في علم الأدب في ثلاثين مجلدًا.

رأيته وانتقيته ونقلت منه بعض شيء في هذا التاريخ وغيره.

ومات وهو من أبناء الخمسين.

رحمه الله.

وتوفي الأمير سيف الدين بكتمر بن عبد الله الركني الساقى الناصري بعد ابنه أحمد بثلاثة أيام في عاشر المحرم وحمل إلى نخل فدفن بها واتهم الملك الناصر أنه اغتالهما بالسم.

وقد تقدم ذكر ذلك كله مفصلاً في ترجمة الملك الناصر غير أننا نذكره هنا تنبيهًا على ما تقدم ذكره.

كان أصل بكتمر من مماليك الملك المظفر بيبرس الجاشنكير ثم انتقل إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون لعله بالخدم فإن أستاذه المظفر بيبرس كان أمره عشرة في أواخر دولته ولولا أنه أعتقه ما أمره فعلى هذا يكون عتيق المظفر.

والله أعلم.

ويقوي ما قلته ما سنذكره وهو أن بكتمر هذا حظي عند الملك الناصر لجمال صورته وجعله ساقياً.

وكان غريباً في بيت السلطان: لأنه لم يكن له خشداش فكان هو وحده وسائر الخاصكية حرباً عليه.

وعظمت مكانته عند السلطان حتى تجاوزت الحد.

قال الصلاح الصفدي: كان يقال: إن السلطان وبكتمر لا يفترقان إما أن يكون بكتمر عند السلطان وإما أن يكون السلطان عند بكتمر.

انتهى كلام الصفدي باختصار.

قلت: ووقع ليكتمر هذا من العظمة والقرب من السلطان ما لم يقع لغيره من أبناء جنسه.

وقد استوعبنا أمره في المنهل الصافي مستوفى حيث هو كتاب تراجم الأعيان وليس لذكره هنا إلا الاختصار إذ هذا الكتاب موضوع للإطناب في تراجم ملوك مصر لا غير ومهما كان غير ذلك يكون على سبيل الاستطراد والضميمة لحوادث الملك المذكور لا غير فيكون الاختصار فيما عدا ملوك مصر أرشوق وإلا يطل الشرح في ذلك حتى تزيد عدة هذا الكتاب على مائة مجلد وأكثر.

وقد سقنا أيضًا من ذكر بكتمر في أصل ترجمة الملك الناصر قطعة جيدة فيها كفاية في هذا الكتاب فلتنظر هناك.

الماء القديم ثلاث أذرع وثمانى أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وست عشرة إصبغًا.

السنة الخامسة والعشرون من سلطنة الناصر الثالثة وهي سنة أربع وثلاثين وسبعمائة.

فيها توفي الأمير سيف الدين ألماس بن عبد الله الناصري حاجب الحجاب بالديار المصرية في محبسه خنقًا في ليلة ثاني عشر صفر وحمل من الغد حتى دفن بجامعه بالشارع خارج بابي زويلة.

وكان من مماليك الناصر محمد اشتراه ورقاه وأمره وجعله جاشنكيره ثم ولاه الحجوية فصار في محل النيابة لشغور منصب النيابة في أيامه فكان أكابر الأمراء يركبون في خدمته ويجلس في باب القلعة وتقف الحجاب في خدمته.

ولا زال مقربًا عند السلطان حتى قبض عليه لأمر بلغته عنه: منها أنه كان اتفق مع بكتمر الساقى على قتل السلطان ومنها محبته لصبي من أولاد الحسينية وتهتكه بسببه وغير ذلك.

ولما حبسه السلطان منعه الطعام والشراب ثلاثة أيام ثم خنقه.

وقد تقدم ذكره في أصل ترجمة الملك الناصر بعد عوده من الحجاز نبذة أخرى يعرف منها أحواله.

وكان ألماس غتميًا لا يعرف بالعربية شيئًا.

وكان كريمًا ويتباخل خوفًا من الملك الناصر.

ولما مات وجد له أشياء كثيرة.

وتوفي الأمير علم الدين سليمان بن مهنا بن عيسى ملك العرب وأمير آل فضل في خامس عشرين ربيع الأول وتولى الإمرة بعده سيف بن فضل بن عيسى ابن مهنا.

وتوفي السلطان الملك الظاهر أسد الدين عبد الله بن الملك المنصور نجم الدين أيوب ابن الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول ملك اليمن بعد ما قبض عليه الملك المجاهد بقلعة دملوه وصار الظاهر هذا يركب في خدمة المجاهد ثم سجنه المجاهد مدة شهرين وخنقه بقلعة تعز.

وتوفي قاضي حماة نجم الدين عمر بن محمد بن عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد المعروف بابن العديم الحلبي الأصل الحنفي عن خمس وأربعين سنة وهو من بيت علم ورياسة وفضل.

وتوفي الأمير طغاي تمر بن عبد الله العمري الناصري أحد مماليك الملك الناصر وزوج ابنته في ليلة الثلاثاء ثامن عشرين شهر ربيع الأول.

وكان من أجل مماليك الناصر وأمرائه وأحد خواصه.

وتوفي الأمير سوسون بن عبد الله الناصري أحد مقدمي الألوف بديار مصر وأخو الأمير قوصون في ليلة الجمعة رابع عشر جمادى الأولى.

وتوفي الشيخ الإمام العالم الحافظ ذو الفنون فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس اليعمري الإشبيلي في شعبان.

كان إمامًا حافظًا مصنفًا صنف السيرة النبوية وسماه كتاب عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ومختصر ذلك سماه نور العيون وكتاب تحصيل الإصابة في تفضيل الصحابة والنفح الشذي في شرح جامع الترمذي وكتاب بشرى اللبيب بذكرى الحبيب.

وكان له نظم ونثر علامة فهيما حافظًا متقنًا.

ومن شعره قصيدته التي أولها: الكامل عهدي به والبين ليس يروعه صبا براه نحوله ودموعه لا تطلبوا في الحب ثار متيم فالموت من شرع الغرام شروعه عن ساكن الوادي سقته مدامعي حدث حديثًا طاب لي مسموعه أفدي الذي عنت البدور لوجهه إذ حل معنى الحسن فيه جميعه البدر من كلف به كلف به والغصن من عطف عليه خضوعه لله حلوي المراشف واللمى حلو الحديث ظريفه مطبوعه دارت رحيق لحاظه فلنا بها سكر يجلب عن المدام صنيعه يجني فأضمر عتبه فإذا بدا فجماله مما جناه شفيعه وتوفي الأمير قرطاي بن عبد الله الأشرفي نائب طرابلس وقد جاوز ستين سنة في ثامن عشرين وتوفي الأمير سيف الدين بلبان بن عبد الله المعروف بطرنا نائب صفد في حادي عشرين ربيع الأول.

وكان أميرًا شجاعًا مقدمًا.

وتوفي قاضي القضاة جمال الدين أبو الربيع سليمان بن الخطيب مجد الدين عمر بن عثمان الأزرعي الشافعي المعروف بالزرعي في سادس صفر بالقاهرة وهو قاضي العسكر بها.

وكان فقيها عالمًا.

وتوفي الأمير سيف الدين خاص ترك بن عبد الله الناصري أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية في شهر رجب بدمشق وكان من خواص ملك الناصر محمد بن قلاوون.

وتوفي الشيخ مجد الدين حرمي بن قاسم بن يوسف العامري الفاقوسي الفقيه الشافعي في ذي الحجة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ذراعان وثمانى أصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا واثنان وعشرون إصبعًا.

السنة السادسة والعشرون من سلطنة الناصر الثالثة وهي سنة خمس وثلاثين وسبعمئة.

فيها توفي الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الخازن والي القاهرة وهو معزول في يوم السبت ثامن جمادى الآخرة عن نحو تسعين سنة.

وأصله من مماليك الملك المنصور قلاوون وترقى حتى صار خازنًا ثم شاد الدواوين ثم ولي الكشف بالبهنسا بالوجه القبلي ثم ولي القاهرة وشد الجهات وأقام عدة سنين.

وكان حسن السيرة وإليه ينسب حكر الخازن خارج القاهرة على بركة الفيل وتربته بالقرب من قبة الإمام الشافعي بالقرافة.

وتوفي الأمير صلاح الدين طرخان ابن الأمير بدر الدين بيسري بسجن بالإسكندرية في جمادى الأولى بعد ما أقام بالسجن أربع عشرة سنة.

وتوفي الشيخ الإمام الحافظ المؤرخ قطب الدين أبو علي عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحلبي ثم المصري الحنفي.

ومولده في سنة أربع وستين وستمئة.

وكان بارعًا في فنون صاحب مصنفات منها شرحه لشطر صحيح البخاري وتاريخ مصر في عدة مجلدات بيض أوائله ولم أقف عليه إلى الآن وخرج لنفسه أربعين تساعيات.

وهو ابن أخت الشيخ نصر المنجي وبخاله كان يعرف وانتفع بصحته.

وتوفي الشيخ الإمام المجدود العلامة محمد بن بكتوت الظاهري القلندري الحنفي بطرابلس في خامس عشر ربيع الأول وكان كاتبًا مجودًا.

ذكر أنه كتب على بن الوحيد وكان يضع المحبرة على يده اليسرى والمجلدة في يده من كتاب الكشف للزمخشري ويكتب منه ماشاء وهو يغني فلا يغلط وكان أولًا خصيصًا عند الملك المؤيد صاحب حماة وأقام عنده مدة ثم طرده عنه.

وتوفي الشيخ الواعظ شمس الدين الحسين بن أسد بن المبارك بن الأثير بمصر في جمادى الآخرة.

وكان فقيهاً يعظ الناس وعليه قابلية.

وتوفي القاضي زين الدين عبد الكافي بن ضياء الدين علي بن تمام الأنصاري الخزرجي السبكي بالمحلة الكبرى وهو على قضائها.

وكان فقيهاً بارعًا.

وتوفي الشيخ بهاء الدين محمود بن الخطيب محيي الدين محمد بن عبد الرحيم بن عبد الوهاب بن علي بن أحمد بن عقيل السلمي شيخ الكتاب في زمانه المعروف بابن خطيب بعلبك بدمشق في شهر ربيع الأول.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم لم يحرر.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعًا وإحدى وعشرون إصبعًا.

والله تعالى أعلم.

السنة السابعة والعشرون من سلطنة الناصر محمد الثالثة فيها توفي القان بوسعيد ابن القان محمد خربندا بن القان أرغون بن القان أبغا بن القان الطاغية هولاكو ملك التتار وصاحب العراق والجزيرة وأذربيجان وخراسان والروم وأطراف ممالك ما وراء النهر في شهر ربيع الآخر وقد أناف على ثلاثين سنة.

وكانت دولته عشرين سنة لأن جلوسه على تخت الملك كان في أول جمادى الأولى سنة سبع عشرة وسبعمائة بمدينة السلطانية وعمره إحدى عشرة سنة.

وبو سعيد اسم غير كنية بضم الباء ثانية الحروف وسكون الواو.

وسعيد معروف لا حاجة لتعريفه ومن الناس من يقول بو سعيد بالصاد المهملة.

وكان بو سعيد المذكور ملكًا جليلاً مهابًا كريمًا عاقلًا ولديه فضيلة ويكتب الخط المنسوب ويجيد ضرب العود والموسيقى وصنف في ذلك قطعًا جيدة في أنغام غريبة من مذاهب النغم.

وكان مشكور السيرة أبطل في سلطنته عدة مكوس وأراق الخمر من بلاده ومنع الناس من شربها وهدم الكنائس وورث ذوي الأرحام فإنه كان حنفياً وهو آخر ملوك التتار من بني جنكزخان ولم يبق للتتار بعد موته قائمة إلى يومنا هذا.

وتوفي الأمير جمال الدين آقوش بن عبد الله الأشرفي المعروف بنائب الكرك محبوسًا بثغر الإسكندرية في يوم الأحد سابع جمادى الأولى.

وأصله من ممالك الملك المنصور قلاوون وأضافه قلاوون إلى ولده الأشرف خليل وجعله أستاذاره فعرف بالأشرفي واستمر بخدمة الملك الأشرف إلى أن تسلطن أمره ثم ولاه نيابة الكرك.

قيل: إنه ماولي نيابة الكرك إلا في سلطنة الملك الناصر الثانية وهو الأقوى.

وقد مر من ذكر آقوش هذا أشياء كثيرة في ترجمة المظفر بيبرس وعند قدوم الملك الناصر إلى الكرك لما خلع نفسه وغير ذلك.

وكان آقوش أميرًا جليلاً معظماً وكان يقوم له الملك الناصر لما يدخل عليه وهو جالس على تخت الملك أمام الخدم.

وطالت أيامه في السعادة وله مآثر كثيرة.

وهو صاحب الجامع الذي بآخر الحسينية بالقرب من كوم الريش وهو إلى الآن عامر وما حوله خراب.

وتوفي الأمير أيتمش بن عبد الله المحمدي نائب صفد في ليلة الجمعة سادس عشرين ذي الحجة.

وكان من مماليك الملك الناصر محمد ومن خواصه وهو أحد من كان يندبه الناصر وهو بالكرك لمهامه ولما تسلطن أمره ثم ولاه نيابة صفد وغيرها إلى أن مات.

وكان أميرًا عارفًا كاتبًا فاضلًا عاقلًا مدبرًا متواضعًا كريمًا.

وتوفي الأمير سيف الدين إيناق بن عبد الله الناصري أحد مقدمي الألوف في ثامن عشرين شعبان وكان أيضًا من خواص الملك الناصر محمد بن قلاوون ومن أكابر مماليكه.

وتوفي شيخ الكتاب عماد الدين محمد بن العفيف محمد بن الحسن الأنصاري الشافعي المعروف بابن العفيف صاحب الخط المنسوب.

كتب عدة مصاحف بخطه.

وكان إمامًا في معرفة الخط وعنده فضائل وله نظم ونثر وخطب تصدى للكتابة مدة طويلة وانتفع به عامة الناس.

وكان صالحًا دينًا خيرًا فقيهاً حسن الأخلاق.

مات بالقاهرة ودفن بالقرافة وله إحدى وثمانون سنة.

وتوفي القاضي عماد الدين إسماعيل بن محمد بن الصاحب فتح الدين عبد الله ابن محمد القيسراني كاتب حلب في ذي القعدة.

وتوفي الشيخ تقي الدين سليمان بن موسى بن بهرام السمهودي الفقيه الشافعي الفرضي العروضي الأديب.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمسة أذرع وسبع عشرة إصبغًا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعًا.

والوفاء يوم النوروز.

السنة الثامنة والعشرون من سلطنة الناصر محمد الثالثة وهي سنة سبع وثلاثين وسبعمائة.

فيها توفي الأمير عز الدين أيدير الخطيري المنصوري أحد أمراء الألوف بالديار المصرية في يوم الثلاثاء أول شهر رجب بالقاهرة.

وأصله من مماليك الخطير الرومي والد أمير مسعود ثم انتقل إلى ملك المنصور قلاوون فرقاه حتى صار من أجل الأمراء البرجية.

ثم ترقى في الدولة الناصرية وولي الأستادارية.

ثم وقع له أمور وقبض عليه السلطان الملك الناصر محمد في سلطنته الثالثة ثم أطلقه وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف وزيادة إمرة عشرين فارسًا وصار معظمًا عند الناصر وجلس رأس الميسرة وبقي أكبر أمراء المشورة.

وكان لا يلبس قباء مطررًا ولا يدع عنده أحدًا يلبس ذلك.

وكان أحمر الوجه منور الشيبة كريماً جداً واسع النفس على الطعام.

حكى أن أستاذه قال له يوماً: يا خوند هذا السكر الذي يعمل في الطعام ما يضر أن نعمله غير مكرر فقال: لا فإنه يبقى في نفسي أنه غير مكرر فلا تطيب ولما مات خلف ولدين أميرين: أمير علي وأمير محمد.

وهو من الأمراء المشهورين بالشجاعة والدين والكرم وهو الذي عمر الجامع برملة بولاق على شاطئ النيل والربع المشهور وغرم عليه جملة مستكثرة فلما تم أكله البحر ورماه فأصلحه وأعادته في حياته.

وقد تقدم ذكر بنائه لهذا الجامع في أصل ترجمة الملك الناصر وسبب مشتراه لموضع الجامع المذكور وتاريخ بنائه.

وتوفي الأمير سيف الدين أربك بن عبد الله الحموي في يوم الأربعاء خامس عشرين شعبان على مدينة آياس وقد بلغ مائة سنة فحمل إلى حماة ودفن بها.

وكان مهاباً كثير العطاء طالت أيامه وتوفي الشيخ المعتقد الصالح محمد بن عبد الله بن المجد إبراهيم المرشدي صاحب الأحوال والكرامات والمكاشفات بناحية منية مرشد في ثامن شهر رمضان.

وكان للناس فيه اعتقاد حسن ويقصد للزيارة.

وتوفي الشيخ قطب الدين إبراهيم بن محمد بن علي بن مطهر بن نوفل الثعلبي الأدفوي في يوم عرفة بأدفو.

وكان فقيهاً فاضلاً بارعاً ناظماً ناثرًا.

وتوفي الشيخ المحدث تقي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أحمد اليونيني البعلبكي الحنبلي.

ومولده سنة سبع وستين وستمائة ذكره الحافظ أبو عبد الله الذهبي في معجمه وأثنى عليه.

وتوفي الشيخ ناصر الدين محمد بن الشيخ المعتقد إبراهيم بن معضاد الجعبري الواعظ بالقاهرة في يوم الاثنين رابع عشرين المحرم.

وكان يعظ الناس وجلس مكان والده الشيخ إبراهيم الجعبري وكان لوعظه رونق وهو من بيت صلاح ووعظ.

وتوفي المسند المعمر مسند الديار المصرية شرف الدين يحيى بن يوسف المقدسي المعروف بابن المصري بالقاهرة عن نيف وتسعين سنة.

وتوفي الشيخ كمال الدين أبو الحسن علي بن الحسن بن علي الحويزاني شيخ خانقاه سعيد أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وثمانية عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وست عشرة إصبعًا.

والله تعالى أعلم.

السنة التاسعة والعشرون من سلطنة الناصر الثالثة

وهي سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة.

فيها توفي قاضي قضاة دمشق شهاب الدين محمد بن المجد عبد الله بن الحسين بن علي الإربلي الزرزاري الشافعي وقع عن بعلته فلزم الفراش أسبوعًا ومات في جمادى الأولى بدمشق.

ومولده سنة اثنتين وستين وستمائة.

وكان بارعًا في الفقه والفروع والشروط وأفتى ودرس وكتب الطبايق وسمع الكثير وولي قضاء دمشق بعد القاضي جمال الدين بن جملة وعزل بالقاضي جلال الدين القزويني.

ولما تولى القاضي شهاب الدين بن القيسراني كتابة سر دمشق توجه القاضي شهاب الدين هذا إليه لتهنئته فنفرت به البغلة في الطريق فوقع فشج دماغه فحمل في محفة إلى بيته ومات بعد أسبوع.

ولما وقع عن بعلته قال فيه الشيخ شمس الدين محمد بن الخياط الدمشقي رحمه الله: السريع تكاثر ألهاه من عجبه حتى غدا ملقى على القارعه فأظهرت زوجته عندها تضايقًا بالرحمة الواسعة وتوفي الشيخ الإمام العلامة النحوي ركن الدين محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الجليل المعروف بابن القويح القرشي التونسي المالكي النحوي صاحب الفنون الكثيرة بالقاهرة عن أربع وسبعين سنة.

وتوفي شيخ الإسلام شرف الدين هبة الله بن قاضي حماة نجم الدين عبد الرحيم بن أبي الطاهر إبراهيم بن المسلم بن هبة الله بن حسان بن محمد بن منصور بن أحمد الشافعي الجهني المعروف بابن البارزي قاضي حماة في نصف ذي القعدة.

ومولده في خامس شهر رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة.

وكان إمامًا علامة في الفقه والأصول والنحو واللغة وأفتى ودرس سنين وانتفع الطلبة به وتخرج به خلائق وحكم بحماة دهرًا ثم ترك الحكم وذهب بصره.

وصنف كتبًا كثيرة وحج مرات وحدث بأماكن.

ولما مات غلقت أبواب حماة لمشهده.

ومن مصنفاته: تفسيران وكتاب بديع القرآن وشرح الشاطبية والشرعة في القراءات السبعة وكتاب الناسخ والمنسوخ وكتاب مختصر جامع الأصول مجلدين والوفا في شرح أحاديث المصطفى والأحكام على أبواب التنبيه.

وغريب الحديث وشرح الحاوي في الفقه أربع مجلدات ومختصر التنبيه في وتوفي القاضي الرئيس محيي الدين يحيى بن فضل الله بن مجلي العمري القرشي كاتب السر الشريف بالشام أولًا ثم بمصر آخرًا وهو أخو القاضي شرف الدين عبد الوهاب وأخو القاضي بدر الدين محمد ووالد القاضي العلامة شهاب الدين أحمد وبدر الدين محمد وعلاء الدين علي وجد القاضي بدر الدين محمد بن علي آخر من ولي من بني فضل الله كتابة السر بديار مصر الآتي ذكره في محله إن شاء الله تعالى.

قال الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك: لم أر في عمري من كتب النسخ وخرج التخارج والحواشي أحلى وأظرف ولا أطف منه بل الشيخ فتح الدين بن سيد الناس معه والقاضي جمال الدين إبراهيم ابن شيخنا شهاب الدين محمود فإن هؤلاء الثلاثة غاية في حسن الكتابة.

لكن القاضي محيي الدين هذا رعشت يده وارتجت كتابته أخيرًا.

قال: ولم أر عمري من نال سعادته في مثل أولاده وأملاكه ووظائفه وعمره.

وكان السلطان قد بالغ أخيرًا في احترامه وتعظيمه وكتب له في أيام الأمير سيف الدين الجاي الداودار توقيعًا بالجناب العالي يقبل الأرض واستعفى من ذلك وكشطها وقال: ما يصلح لمتعمم أن يعدى به المجلس العالي.

انتهى كلام الشيخ صلاح الدين.

وتوفي قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن إبراهيم بن جملة الدمشقي الشافعي قاضي قضاة دمشق بها.

وكان فقيهاً بارعًا ولي قضاء دمشق إلى أن عزل بقاضي القضاة شهاب الدين بن وتوفى الأمير سيف الدين طعجي بن عبد الله المنصوري في الحبس.

وكان من أعيان الأمراء البرجية معدودًا من الشجعان.

وتوفي الأمير سيف الدين صليبه بن عبد الله كاشف الوجه القبلي وكان من الظلمة مهد البلاد في ولايته.

وتوفي الأمير سيف الدين آقول بن عبد الله المنصوري الناصري الحاجب بديار مصر.

وكان من أعيان الأمراء.

وتوفي الأديب شهاب الدين أحمد بن يوسف بن هلال الصفدي الطبيب ومولده في سنة إحدى وستين وستمائة.

كان من جملة أطباء السلطان وكان بارعًا في الطب وله قدرة على وضع المشجرات وبرز أمداح الناس في أشكال أطيوار وعمائر وأشجار وعقد وأخياط وغير ذلك وله نظم ونثر.

ومن شعره ما يكتب على سيف: الكامل أنا أبيض كم جئت يومًا أسودا فأعدته بالنصر يومًا أبيضًا ذكر إذا ما استل يوم كريمة جعل الذكور من الأعادي حياضًا أختال ما بين المنايا والمنى وأجول في وسط القضايا والقضا أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وخمس عشرة إصبغًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وعشرون إصبغًا.

وكان الوفاء يوم النوروز.

والله تعالى أعلم.

السنة الثلاثون من سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثالثة.

وهي سنة تسع وثلاثين وسبعمائة.

فيها توفي خطيب القدس زين الدين عبد الرحيم بن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الشافعي الحموي الأصل المعروف بابن جماعة.

وتوفي الأمير سيف الدين بهادر بن عبد الله المعزي الناصري أحد أمراء الألواف بالديار المصرية في ليلة الجمعة تاسع شعبان.

وكان أميرًا جليلًا معظمًا في دولة أستاذه بلغت تركته مائة ألف دينار أخذها النشو ناظر الخاص.

وتوفي قاضي القضاة العلامة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد بن عبد الكريم القزويني الشافعي بدمشق في خامس عشر جمادى الآخرة.

وكان ولي قضاء مصر والشام وكان عالمًا بارعًا مفتيًا في علوم كثيرة وله مصنفات في عدة فنون.

وكان مولده بالموصل في سنة ست وستين وستمائة.

وتوفي الشيخ الإمام الحافظ المؤرخ علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد البرزالي الشافعي بخليل وهو محرم في رابع ذي الحجة عن أربع وسبعين سنة.

وبرزالة: قبيلة قليلة جدًا.

وكان أبوه شهاب الدين محمد من كبار عدول دمشق.

وأما جد أبيه محمد بن يوسف فهو الإمام الحافظ زكي الدين الرحال محدث الشام أحد الحفاظ المشهورين.

وقد تقدم ذكره.

انتهى.

وكان الحافظ علم الدين هذا محدثًا حافظًا فاضلاً سمع الكثير ورحل إلى البلاد وحصل ودأب وسمع خلايق كثيرة تزيد عدتهم على ألفي شيخ وحدث وخرج وأفاد وأفتى وصنف تاريخًا على السنين.

وتوفي الشيخ الأديب أبو المعالي زين الدين خضر بن إبراهيم بن عمر بن محمد بن يحيى الرفاء الخفاجي المصري عن تسع وسبعين سنة.

ومن شعره في ساق: البسيط لله ساق له ردف فتنت به لما تيدى بساق منه براق فلا تسئل فيه عن وجدي وعن ولهي فأصل ما بي من ردف ومن ساق قلت: وأحسن من هذا قول القيراطي: مجزوء الرجز وأعيد يسقي الطلا بديع حسن قد بهر في كفه شمس فما له لرأيه قمر وأحسن منهما قول القائل في هذا المعنى: السريع وقد فهمناه وهمنا به بأحسن ما زمزم وسط المقام وتوفي الشيخ جمال الدين أحمد بن هبة الله بن المكين الإسنائي الفقيه الشافعي بإسنا وقد جاوز السبعين سنة في شوال.

وتوفي الأمير علاء الدين علي بن أمير حاجب والي مصر وأحد الأمراء العشرات وهو معزول وكان عنده فضيلة وعني بجمع القصائد النبوية حتى كمل عنده منها خمسة وسبعون مجلدًا.

وتوفي قاضي القضاة فخر الدين أبو عمرو عثمان بن علي بن عثمان بن علي بن عثمان بن إسماعيل بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب بن علي بن هبة الله بن ناجية الشافعي المعروف بابن خطيب جبرين بالقاهرة بالمدرسة المنصورية ليلة السبت السابع والعشرين من المحرم ودفن بمقابر الصوفية.

ومولده في العشر الأخير من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وستين وستمئة بالحسنية ظاهر القاهرة.

وكان بارعًا في الفقه والأصول والنحو والأدب والحديث والقراءات وتولى قضاء حلب سنة ست وثلاثين وسبعمئة فتكلم فيه فطلبه الملك الناصر وطلب ولده فروعهما الحضور قدماه لكلام أغلظه لهما فنزلا مرعويين ومرضا بالبيمارستان المنصوري فمات ولده قبله وتوفي هو بعده بيوم أو يومين.

وكان عالمًا وله عدة مصنفات.

شرح الشامل الصغير وشرح التعجيز وشرح مختصر ابن الحاجب في الأصول وشرح البديع لابن الساعاتي في وتوفي الأمير الفقيه علاء الدين أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله الفارسي الحنفي بمنزله على شاطئ النيل في تاسع شوال.

ومولده في سنة خمس وسبعين وستمئة.

كان إمامًا فقيهاً بارعًا محدثًا.

أفتى ودرس وحصل من الكتب جملة مستكثرة وصنف عدة مصنفات ورتب التقاسيم والأنواع في الحديث لابن حبان ورتب الطبراني ترتيبًا جيدًا إلى الغاية وألف سيرة لطيفة للنبي صلى الله عليه وسلم وكتابًا في المناسك جامعًا لفروع كثيرة في المذهب.

وتوفي القاضي فخر الدين محمد بن بهاء الدين عبد الله بن أحمد المعروف بابن الحلبي بالقدس الشريف.

وكان رئيسًا ولي نظر جيش دمشق عدة سنين.

وتوفي علاء الدين علي بن هلال الدولة بقلعة شيزر بعد ما ولي بالقاهرة عدة وظائف.

وتوفي الأمير سيف الدين بليك بن عبد الله المحسني بطرابلس.

وكان من جملة أمرائها.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وخمس عشرة إصبغًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وعشر أصابع.

والله تعالى أعلم.

السنة الحادية والثلاثون من سلطنة الناصر الثالثة فيها توفي الخليفة أمير المؤمنين المستكفي بالله أبو الربيع سليمان بن الخليفة الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن الحسن بن أبي بكر الهاشمي العباسي بمدينة قوص في خامس شعبان عن ست وخمسين سنة وستة أشهر وأحد عشر يومًا.

وكانت خلافته تسعًا وثلاثين سنة وشهرين وثلاثة عشر يومًا.

وكان حشمةً كريمًا فاضلاً.

كان أخرجه الملك الناصر إلى قوص لما كان في نفسه منه لما كان منه في القيام بنصرة الملك المظفر بيبرس الجاشنكير وتولى الخلافة من بعده ولده أبو العباس أحمد ولقب بالحاكم على لقب جده بعهد منه إليه.

وكان الناصر منع الحاكم من الخلافة وولى غيره حسب ما ذكرناه في ترجمة الملك الناصر فلم يتم له ذلك وولى الحاكم هذا.

وتوفي الأمير شمس الدين آق سنقر بن عبد الله شاد العمائر المنسوبة إليه قنطرة سنقر على الخليج خارج القاهرة والجامع بسويقة السباعين على البركة الناصرية فيما بين القاهرة ومصر.

وكانت وفاته بدمشق.

وتوفي الأمير علاء الدين علي بن حسن المرواني والي القاهرة في ثاني عشر رجب بعد ما قاسى أمراضًا شنيعة مدة سنة.

وكان ظالمًا غشومًا سفاكًا للدماء اقترح في أيام ولايته عقوبات مهولة منها أنه كان ينعل الرجل في رجله بالحديد كما تنعل الخيل ومنها تعليق الرجل بيديه وتعلق مقابرات العلاج في رجله فتخلع أعضاؤه فيموت.

وقتل خلقًا كثيرًا من الكتاب وغيرهم في أيام النشو.

ولما حملت جنازته وقف عالم كثير لرحمه فركب الوالي وابن صابر المقدم حتى طردوهم ومنعوهم ودفنوه.

وتوفي شرف الدين عبد الوهاب بن التاج فضل الله المعروف بالنشو ناظر الخاص الشريف تحت العقوبة في يوم الأربعاء ثاني شهر ربيع الآخر.

وقد تقدم التعريف بأحواله وكيفية قتله والقبض عليه في ترجمة الملك الناصر هذه مفصلاً مستوفى.

كان هو وأبوه وإخوته يخدمون الأمير بكتمر الحاجب ثم خدم النشو هذا عند الأمير أيدغمش أمير آخور.

فلما جمع السلطان في بعض الأيام كتاب الأمراء رأى النشو وهو واقف وراء الجماعة وهو شاب نصراني طويل حلو الوجه فاستدعاه وقال له: إيش اسمك قال: النشو فقال السلطان: أنا أجعلك نشوي ورتبه مستوفياً وأقبلت سعادته فأرضاه فيما ندبه إليه وملاً عينه واستمر على ذلك حتى استسلمه الأمير بكتمر الساقى وسلم إليه ديوان سيدي آنوك

بن الملك الناصر إلى أن توفي القاضي فخر الدين ناظر الجيش فنقل الملك الناصر شمس الدين موسى ناظر الخاص إلى نظر الجيش عوضه وولى النشو هذا نظر الخاص على ما بيده من ديوان ابن السلطان.

ووقع له ما حكيناه في ترجمة الملك الناصر كل شيء فى محله.

قال الصلاح الصفدي: ولما كان في الاستيفاء وهو نصراني كانت أخلاقه حسنة وفيه بشر وطلاقة وجه وتسرع لقضاء حوائج الناس وكان الناس يحبونه.

فلما تولى الخاص وكثر الطلب عليه وزاد في الإنعامات والعمائر وبالغ في أثمان الممالك وزوج بناته واحتاج إلى الكلف العظيمة ساءت أخلاق النشو وأنكر من يعرفه وفتح أبواب المصادر.

انتهى كلام الصفدي باختصار.

وتوفي الشيخ مجد الدين أبو بكر بن إسماعيل بن عبد العزيز السنكلوني الشافعي في شهر ربيع الأول وكان فقيهاً فاضلاً.

شرح التنبيه في الفقه وتولى مشيخة خانقاه الملك المظفر بيبرس ودرس وأفتى.

وتوفي الأمير ركن الدين بيبرس بن عبد الله الأوحدي المنصوري والي قلعة الجبل في شهر ربيع الأول.

وتوفي الأمير سيف الدين أيدير بن عبد الله الدوادار بدمشق.

وكان أميراً جليلاً خيرًا ديناً.

وتوفي الأمير سيف الدين بهادر بن عبد الله البدرى الناصري نائب الكرك بعد ما عزل عن الكرك ونفي إلى طرابلس فمات بها.

وتوفي شيخ الشيوخ بخانقاه سرباقوس العلامة مجد الدين أبو حامد موسى بن أحمد بن محمود الأفرائي الحنفي في شهر ربيع الآخر.

وكان إماماً فقيهاً بارعاً مفتياً.

وتوفي الشيخ جمال الدين عبد القاهر بن محمد بن عبد الواحد بن محمد بن إبراهيم التبريزي وجدي وتصبري قليل وكثير والقلب ومدمعي طليق وأسير والكون وحسنكم جليل وحقير والعبد وأنتم غني وفقير وتوفي الأمير ركن الدين بيبرس الركني كاشف الوجه البحري ونائب الإسكندرية.

وكان أصله من ممالك الملك المظفر بيبرس الجاشنكير.

رحمه الله.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وخمس أصابع.

مبلغ الزيادة ثة سبع عشرة ذراعاً وثمانى أصابع.

السنة الثانية والثلاثون من سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر وهي سنة إحدى وأربعين وسبعمائة وهي التي مات فيها الملك الناصر حسب ما تقدم ذكره.

فيها أعني سنة إحدى وأربعين توفي الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا في يوم الرابع والعشرين من رجب.

وكان من أعيان الأمراء وكان فقيهاً أديباً شاعراً.

وتوفي الوزير صاحب أمين الدين أمين الملك أبو سعيد عبد الله بن تاج الرياسة بن الغنام تحت العقوبة مخنوقاً في يوم الجمعة رابع جمادى الأولى ووزر ثلاث مرات بالديار المصرية وبأشر نظر الدولة واستيفاء الصحة وخدم في بيت السلطان من الأيام الأشرفية وتنقل في عدة خدم بمصر ودمشق وطرابلس نصرانياً ومسلماً.

ولما أسلم حسن إسلامه وتجنب النصارى وكان رضي الخلق.

وتوفي العلامة افتخار الدين جابر بن محمد بن محمد الخوارزمي الحنفي شيخ الجاولية بالكبش خارج القاهرة في يوم الخميس سادس عشر المحرم وكان إماماً عالماً بارعاً في النحو واللغة شاعراً أديباً مفوهاً.

وتوفي القاضي عز الدين عبد الرحيم بن نور الدين علي بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن الفرات أحد نواب الحكم الحنفية في ليلة الجمعة ثاني عشرين ذي الحجة وكان فقيهاً محدثاً.

وتوفي الأمير الكبير شمس الدين قراسنقر المنصوري ببلاد مراغة وقد أقطعه إياها بو سعيد بن خربندا ملك التتار وكان موته بمرض الإسهال.

وقد أعيا الملك الناصر قتله وبعث إليه كثيراً من الفداوية بحيث قتل بسببه نحو مائة وأربعة وعشرين فداوياً ممن كان يتوجه لقتله فيمسك ويقتل.

فلما بلغ السلطان موته قال: والله ما كنت أشتهي موته إلا من تحت سيفي وأكون قد قدرت عليه ولكن الأجل حصين.

قلت: وقد مر ذكر موت قراسنقر قبل هذا التاريخ.

ولكن الظاهر لي أن الأصح المذكور هنا الآن من قرائن ظهرت.

وتوفي الأمير سيف الدين بن الحاج قطز بن عبد الله الظاهري أحد أمراء الطبلخاناه بالديار المصرية وهو آخر من بقي من مماليك الظاهر بيبرس البندقداري من الأمراء.

وتوفي الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن يوسف المزي الشافعي أخو الحافظ جمال الدين المزي لأبيه في يوم الثلاثاء ثالث شهر رمضان.

وتوفي الشيخ المعتقد عز الدين عبد المؤمن بن قطب الدين أبي طالب عبد الرحمن بن محمد بن الكمال أبي القاسم عمر بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسن المعروف بابن العجمي الحلبي الشافعي بمصر.

كان تزهد بعد الرياسة وحج ماشياً من دمشق وجاور بمكة.

وكان لا يقبل لأحد شيئاً بل كان يقتات من وقف أبيه بحلب وكان له مكارم وصدقات وشعر جيد.

وتوفي الأمير سيف الدين تنكز بن عبد الله الحسامي الناصري نائب الشام.

كان أصله من مماليك الملك المنصور حسام الدين لاجين.

فلما قتل لاجين صار من خاضكية الناصر وشهد معه وقعة وادي الخازندار ثم وقعة شقحب ثم توجه مع الناصر إلى الكرك.

فلما تسلطن الملك الناصر ثالث مرة رقاها حتى ولاه نيابة الشام فطالت مدته إلى أن قبض عليه السلطان الملك الناصر في هذه السنة وقتله بثغر الإسكندرية.

وقد مر من ذكر تنكز في ترجمة الملك الناصر الثالثة ما فيه كفاية عن الإعادة هنا لأن غالب ترجمة الملك الناصر وأفعاله كانت مختلفة مع أفعال تنكز لكثرة قدومه إلى القاهرة وخصوصيته عند الناصر من أول ترجمته إلى آخرها إلى حين قبض عليه وحبسه.

كل ذلك ذكرناه مفصلاً في اليوم والشهر وما وجد له من الأموال والأموال.

كل ذلك في أواخر ترجمة الملك الناصر.

ولما ولي الأمير الطنبيغا الصالحي نيابة الشام بعد تنكز قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في تنكز المذكور أبياتاً منها: الطويل أله لبيلات تقضت على الحمى تعود بوعد للسرور منجز ليال إذا رام المبالغ وصفها يشبهها حسناً بأيام تنكز أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وإحدى عشرة إصبغاً.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وتسع عشرة إصبغاً.

والله تعالى أعلم.

ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون على مصر هو السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو بكر ابن السلطان الملك الناصر أبي المعالي محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون.

جلس على تخت الملك بالإيوان من قلعة الجبل بعهد من أبيه إليه صبيحة توفي والده وهو يوم الخميس حادي عشرين ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ولقبه الأمراء الأكابر بالملك المنصور على لقب جده.

والمنصور هذا هو الثالث عشر من ملوك الترك بديار مصر والأول من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون.

واتفق الأمراء على إقامة الأمير سيف الدين طقزدمر الحموي حمو الملك المنصور هذا في نيابة السلطنة بديار مصر كونه من أكابر الأمراء وأيضاً صهر السلطان ويكون الأمير قوصون الناصري مدبر المملكة ورأس المشورة ويشاركه في الرأي الأمير بشتك الناصري.

وتم ذلك ورسم بتجهيز التشاريف والخلع إلى نواب البلاد الشامية على يد الأمير قطلوبغا الفخري ورسم له بتحليف الأمراء والنواب بالبلاد الشامية على العادة.

ونودي بالقاهرة ومصر أن يتعامل الناس بالفضة والذهب بسعر الله تعالى فسر الناس بذلك فإنهم كانوا قد امتنعوا من التعامل بالفضة وألا تكون معاملتهم إلا بالذهب.

ثم أفرج عن بركة الحبش وقف الأشراف وكان النشو قد أخذها من الأشراف وصار ينفق فيهم من بيت ثم في يوم الخميس ثامن عشرين ذي الحجة أنعم الملك المنصور على عشرة أمراء بإمرة طبلخاناه.

ثم جمع القضاة في يوم السبت سلخه في جامع القلعة للنظر في أمر الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد بن أبي الربيع سليمان وإعادته إلى الخلافة وحضر معهم الأمير طاجار الدوادر.

فاتفقوا على إعادته لعهد أبيه إليه بالخلافة بمقتضى مكتوب ثابت على قاضي قوص.

ثم في يوم الإثنين ثاني المحرم سنة اثنتين وأربعين وسبعمئة خلع السلطان علي جميع الأمراء المقدمين في الموكب بدار العدل وطلع القضاة وجلس الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد على الدرجة الثالثة من تحت السلطان وعليه خلعة خضراء وفوق عمامته طرحة سوداء مرقومة بالذهب.

ثم خرج السلطان من باب السر على العادة إلى الإيوان فقام له الخليفة والقضاة ومن كان جالسًا من الأمراء وجلس على الدرجة الأولى دون الخليفة.

وقام الخليفة وافتتح الخطبة بقوله عز وجل: " إن الله بأمر بالعدل والإحسان وإتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون.

وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون "

ثم أوصى الأمراء بالرفق بالرعية وإقامة الحق وتعظيم شعائر الإسلام ونصرة الدين ثم قال: فوضت إليك جميع أحكام المسلمين وقلدتك ما تقلدته من أمور الدين.

ثم تلا قوله تعالى: " إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتاه أجرًا عظيمًا.

وجلس فجيء في الحال بخلعة سوداء فألبسها الخليفة السلطان بيده ثم قلده سيقًا عربيًا وأخذ القاضي علاء الدين علي بن فضل الله كاتب السر في قراءة عهد الخليفة للسلطان حتى فرغ منه ثم قدمه إلى الخليفة فكتب عليه ثم كتب بعده قضاة القضاء بالشهادة عليه ثم قدم السباط فأكلوا وانقضت الخدمة.

ثم قدم الأمير بيغرا في يوم الخميس خامس المحرم من عند الأمير أحمد ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك وقد حلفه بمدينة الكرك لأخيه السلطان الملك المنصور هذا ففرح الناس بذلك.

ثم في يوم الأحد ثامن المحرم قبض على الأمير بشتك الناصري وذلك أنه طلب أن يستقر في نيابة الشام ودخل على الأمير قوصون وسأله في ذلك وأعلمه أن السلطان كان قبل موته وعلى بها وألح في سؤاله وقوصون يدافعه ويحتج عليه بأنه قد كتب إلى الأمير الطنبغا الصالحي نائب دمشق تقليدًا باستمراره في نيابة دمشق على عادته ولا يليق عزله سريعًا فقام عنه بشتك وهو غير راض فإنه كان قد توهم من قوصون وخشي

منه على نفسه وطلب الخروج من ديار مصر لما كان بينهما قديما من المنافرة ولأن قوصون صار الآن متحكماً في الدولة.

فلما خرج بشتك من عند قوصون وهو غير راض سعى بخاصكية السلطان وحمل إليهم مالا كثيراً في السر وبعث إلى الأمراء الكبار وطلب منهم المساعدة فما زالوا بالسلطان حتى أنعم عليه بنبابة الشام وطلب الأمير قوصون وأعلمه بذلك فلم يوافقهم وقرر مع السلطان أنه يحدث الأمراء في ذلك ويعددهم بأنه يولي بشتك إذا قدم الأمير قطلوبغا الفخري من تحليف نائب الشام وينسخة اليمين.

فلما دخل الأمراء عرفهم السلطان طلب بشتك بنبابة الشام فأخذوا في الثناء عليه والشكر منه فاستدعاه وطيب خاطره ووعد به عند قدوم الفخري ورسم له بأن يتجهز للسمره فظن بشتك أن ذلك صحيح وقام مع الأمراء من الخدمة وأخذ في عرض خيوله وبعث لكل من أكابر الأمراء المقدمين ما بين ثلاثة رؤس إلى رأسين بالقماش المذهب الماخر وبعث معها أيضاً الهجن ثم بعث إلى الأمراء الخاصكية مثل ملكتمر الحجازي وألطنبغا المارداني شيئاً كثيراً من الذهب والجوهر واللؤلؤ والتحف.

وفرق عدة من الجواري في الأمراء بحيث إنه لم يبق أحد من الأمراء إلا وأرسل إليه.

ثم فرق على مماليكه وأجناده وأخرج ثمانين جارية بعد ما شورهن بالأقمشة والزراكش وزوجهن.

وفرق من شونتته على الأمراء اثني عشر ألف إردب غلة.

وزاد بشتك في العطاء حتى وقع الإنكار عليه واتهمه السلطان والأمير قوصون بأنه يريد الوثوب على السلطان وعملوا هذا من فعله حجة للقبض عليه.

وكان ما خص الأمير قوصون من تفرقة بشتك في هذه النوبة حجرين من حجارة معاصير القصب بما فيهما من القنود والسكر والأعسال والأبقار والغلال والآلات وخمسائة فدان من القصب مزروعة في أراض ملك له وغير ذلك فأدهش الأمراء كثرة عطائه وأستغنى منه جماعة من مماليكه وحواشيه.

ولما كثرت القالة فيه بأنه يريد إفساد الدولة خلا به بعض خواصه وعرفه ذلك وأشار عليه بإمساك يده عن العطاء فقال: " هم إذا قبضوا علي أخذوا مالي وأنا أحق بتفرقة منهم وإذا سلمت فالمال كثير ".

هذا وقد قام قوصون في أمر بشتك المذكور قياماً حتى وافقه السلطان على القبض عليه عند قدوم قطلوبغا الفخري.

فأشاع قوصون أن بشتك يريد القبض على الفخري إذا حضر فبلغ ذلك بعض خواص قطلوبغا فبعث إليه من تلقاه وعرفه بما وقع من تجهيز بشتك وأنه على عزم من أن يلقاك في طريقك وبقتلك فكن على حذر فأخذ قطلوبغا من الصالحية يحترز على نفسه حتى نزل سرباقوس.

واتفق من الأمر العجيب أن بشتك خرج إلى حوشه بالريدانية خارج القاهرة ليعرض هجته وجماله فطار الخبر إلى قطلوبغا أن بشتك قد خرج إلى الريدانية في انتظارك فاستعد قطلوبغا ولبس السلاح من تحت ثيابه وسار حتى تلقاه عدة كثيرة من مماليكه وحواشيه وهو على أهبة الخروج للحرب وخرج قطلوبغا عن الطريق وسلك من تحت الجبل لينجو

من بشتك وقد قوي عنده صحة ما بلغه وكان عند بشتك علم من قدومه فلما قرب قطلوبغا من الموضوع الذي فيه بشتك لاحت له غبرة خيل فحدس بشتك أنه قطلوبغا الفخري قد قدم فبعث إليه أحد مماليكه يبلغه سلامه وأنه يقف حتى يأتيه فيجتمع به.

فلما بلغ الفخري ذلك زاد خوفه من بشتك فقال له: " سلم على الأمير وقل له: لا يمكن اجتماعه بي قبل أن أقف قدام السلطان.

ثم بعد ذلك اجتمع به وبغيره " فمضى مملوك بشتك وفي ظن قطلوبغا أنه إذا بلغه مملوكه الجواب ركب إليه فأمر قطلوبغا مماليكه بأن يسيروا قليلاً قليلاً وساق هو بمفرده مشواً واحداً إلى القلعة.

ودخل إلى السلطان وبلغه طاعة النواب وفرحهم بأيامه.

ثم أخذ يعرف السلطان والأمير قوصون وسائر الأمراء بما اتفق له مع بشتك وأنه كان يريد معارضته في طريقه وقتله فأعلمه السلطان وقوصون بما اتفقا عليه من القبض على بشتك.

فلما كان عصر اليوم المذكور ودخل الأمراء إلى الخدمة على العادة بالقصر وفيهم الأمير بشتك وأكلوا السماط تقدم الأمير قطلوبغا الفخري والأمير طقزدمر الناصري الساقى إلى بشتك وأخذا سيفه وكتفاه.

وقبض معه على أخيه أيوان وعلى طولوتمر ومملوكين من المماليك السلطانية كانا يلوزان ببشتك وقيدوا جميعاً وسمروا إلى الإسكندرية في الليل صحبة الأمير أسندمر العمري.

وقبض على جميع مماليكه ووقعت الحوطة على موجوده ودوره وتتبع غلماناه وحواشيه.

وأنعم السلطان من إقطاع بشتك على الأمير قوصون بخصوص الشرق زيادة على ما بيده وأخذ السلطان المطربة ومنية ابن خصيب وشبرا وفرق بقية الإقطاع على ملكتمر الحجازي وغيره من الأمراء.

فلما أصبحوا يوم الإثنين تاسع المحرم حملت حواصل بشتك وهي من الذهب العين مائتا ألف دينار مصرية ومن اللؤلؤ والجواهر والحوائص الذهب والكلفتاه الزركش شيء كثير جداً هذا بعد أن فرق غالب موجوده حسب ما تقدم ذكره على الأمراء والمماليك.

ثم أخرج السلطان الأمير أحمد شاد الشربخاناة منفياً إلى طرابلس لميله مع بشتك.

في يوم الخميس أنعم السلطان على أخويه: شعبان ورمضان كل واحد بإمرة.

وفيه قبض السلطان على الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير بكتمر الحاجب لشيء أوجب ذلك.

وفي يوم الإثنين ثالث عشرين المحرم خلع السلطان الملك المنصور أبو بكر على الأمير طقزدمر الحموي بناية السلطنة بالديار المصرية وكان رشح لها قبل تاريخه فلبس الخلعة وجلس في دست النيابة وحكم وصرف الأمور.

وفي يوم الإثنين سلخه قبض السلطان على الأمير آقباغا عبد الواحد وعلى أولاده وخلع على الأمير طقتمر الأحمدي واستقر أستاذًا عوضًا عن آقباغا المذكور ورسم للأمير طيبغا المجدي وأصبح يوم الثلاثاء أول صفر فتحدث الأمراء أن ينزل في ترسيم المجدي ليتصرف في أمره فنزل في صحبة المجدي وأخذ في بيع موجوده وكان السلطان قد حلف قديمًا أنه متى تسلطن قبض عليه وصادره وضربه بالمقارع لأمر صدرت منه في حقه أيام والده الملك الناصر.

فكان مما أبيع لآقباغا عبد الواحد سراويل لزوجته بمائتي ألف درهم فضة وقبقاب وخف ووسر موجه بخمسة وسبعين ألف درهم.

وثار به جماعة كثيرة من الناس ممن كان ظلمهم في أيام تحكمه وطلبوا حقوقهم منه وشكوه فأقسم السلطان لئن لم يرضهم ليسمرنه على جمل ويشهره بالقاهرة ففرق فيهم مائتي ألف درهم حتى سكتوا وكادت العامة تقتله لولا المجدي لسوء سيرته وكثرة ظلمه أيام ولايته.

وفي يوم الأربعاء تاسع صفر قبض السلطان على المقدم إبراهيم بن صابر وسلمه لمحمد بن شمس الدين المقدم وأحيط بأمواله فوجد له نحو سبعين حجرة في الجشار ومائة وعشرين بقرة في الزرايب ومائتي كبش وجوقتين كلاب سلوقية وعدة طيور جوارح مع البازدارية.

ووجد له من الغلال وغيرها شيء كثير.

ثم قدم الخبر على السلطان من الأمير طشتمر حمص أخضر الساقبي نائب حلب بخروج ابن دلغار عن الطاعة وموافقته لإرتنا متملك الروم على المسير لأخذ حلب وأنه قد جمع بأبلستين جمعًا كثيرًا وسأل طشتمر أن ينجده السلطان بعسكر من مصر فتشوش السلطان لذلك وعوق الجواب.

وفيه رسم السلطان بضرب آقباغا عبد الواحد بالمقارع فلم يمكنه الأمير قوصون من ذلك فأشدد حنق السلطان وأطلق لسانه بحضرة خاصكيته في حق قوصون وغيره.

وفي ذلك اليوم عقد السلطان نكاحه على جاريتين من المولدات اللاتي في بيت السلطان وكتب القاضي علاء الدين بن فضل الله كاتب السر صداقهما فخلع عليه السلطان وأعطاه عشرة آلاف درهم.

ورسم السلطان لجمال الكفاة ناظر الخاص أن يجهزها بمائة ألف دينار فشرع جمال الكفاة في عمل الجهاز.

وبينما هو في ذلك ركب الأمير قوصون على السلطان بجماعة من الأمراء في يوم السبت تاسع عشر صفر وخلعوه من الملك في يوم الأحد عشرين وأخرج هو وإخوته إلى قوص صحبة الأمير بهادر بن جرکتمر.

وكان سبب خلع الملك المنصور هذا أن المنصور كان قرب الأمير يلغا اليحياوي وشغف به شغفًا كثيرًا ونادم الأمير ملكتمر الحجازي واختص به وبالأمر طاجار الدوادار وبالأمر قطليجا الحموي وجماعة من الخاصكية وعكف على اللهو وشرب الخمر وسماع الملاهي.

فشق ذلك على الأمير قوصون وغيره لأنه لم يعهد من ملك قبله شرب خمر فيما روي فحملوا الأمير طقزدمر النائب على محادثته في ذلك وكفه عنه فزاده لومه إغراء وأفحش في التجاهر باللهو حتى تكلم به كل أحد من الأمراء والأجناد والعامّة.

فصار في الليل يطلب الغلمان وبيعتهم لإحضار المغاني فغلب عليه السكر في بعض الليالي فصاح من الشباك على الأمير أيدغمش أمير آخور: هات لي ققط فقال أيدغمش: " يا خوند ما عندي فرس بهذا الاسم " فتكلم بذلك السلاخورية والركابية وتداولته الألسنة.

قلت: وأظن ققط كانت امرأة مغنية.

والله أعلم.

فلما زاد أمره طلب الأمير قوصون طاجار الدوادر والشهابي شاد العمائر وعنفهما ووبخهما وقال لهما: " سلطان مصر يليق به أن يعمل مقامات ويحضر إليه البغايا والمغاني! أهكذا كان يفعل والده " وعرفهم أن الأمراء قد بلغهم ذلك وتشوش خواطرهم فدخلوا وعرفوا السلطان كلامه وزادوا في القول فأخذ جلساء الملك المنصور في الوقيعة في قوصون والتحدث في القبض عليه وعلى الأمير قطلوبغا الفخري والأمير بيبرس الأحمدى والأمير طقزدمر النائب.

فمن عليهم الأمير يلغا اليحياوي لقوصون - وكان قد استماله قوصون بكثرة العطاء فيمن استمال من المماليك السلطانية - وعرفه أن الاتفاق قد تقرر على القبض عليه في يوم الجمعة وقت الصلاة فانقطع قوصون عن الصلاة وأظهر أن برجله وجعًا وبعث في ليلة السبت يعرف بيبرس الأحمدى بالخبر ويحثه على الركوب معه وطلب المماليك السلطانية وواعدهم على الركوب وملاهم بكثرة المواعيد.

ثم بعث إلى الأمير الحاج آل ملك والأمير جنكلي بن البابا - وهؤلاء أكابر الأمراء - فلم يطلع الفجر حتى ركب الأمير قوصون من باب سر القلعة بمماليكه ومماليك السلطان وسار نحو الصحراء وبعث مماليكه في طلب الأمراء فاتاه جركتمر وبهادر وبرسبغا وقطلوبغا الفخري والأحمدى وأخذوا أقبغا عبد الواحد من ترسيم طيغا المجدي فسار معه المجدي أيضًا.

ووقفوا بأجمعهم عند قبة النصر ودقت طبلخاناتهم فلم يبق أحد من الأمراء حتى أتى قوصون هذا والسلطان وندماؤه وخاصكيته في غفلة لهوهم وغيبة سكرهم إلى أن دخل عليهم أرباب الوظائف وأيقظوهم من نومهم وعرفوهم ما دهوا به.

فبعث السلطان طاجار الدوادر إلى الأمير طقزدمر النائب يسأله عن الخير ويستدعيه فوجد عنده جنكلي بن البابا والوزير وعدة من الأمراء المقيمين بالقلعة فأمتنع طقزدمر من الدخول على السلطان وقال: " أنا مع الأمراء حتى أنظر ما عاقبة هذا الأمر " ثم قال لطاجار: " أنت وغيرك سبب هذا حتى أفسدتم السلطان بفسادكم ولعبكم قل للسلطان يجمع مماليكه ومماليك أبيه حوله " فرجع طاجار وبلغ السلطان ذلك فخرج السلطان إلى الإيوان وطلب المماليك فصارت كل طائفة تخرج على أنها تدخل إليه فتخرج إلى باب القلة حتى صاروا نحو الأربعمئة مملوك وساروا يدًا واحدة من باب القلة إلى باب القلعة فوجدوه مغلقًا فرجعوا إلى النائب طقزدمر بعدما أخرجوا بوالي باب القلعة وأنكروا عليه وعلى من عنده من الأمراء " أعني عن الأمير طقزدمر " فقال لهم طقزدمر: " السلطان ابن أستاذكم جالس على كرسي الملك وأنتم تطلبون غيره " فقالوا: ما لنا ابن أستاذ وما لنا أستاذ إلا قوصون.

ابن أستاذنا مشغول عنا لا يعرفنا ومضوا إلى باب القرافة وهدموا منه جانبًا وخرجوا فإذا خيول بعضهم واقفة فركب بعضهم وأردف عدة منهم ومشى باقيهم إلى قبة النصر.

ففرح بهم قوصون والأمراء وأركبوهم الخيول وأعطوهم الأسلحة وأوقفوهم بين أصحابهم.

ثم أرسل قوصون الأمير مسعود بن خطير الحاجب إلى السلطان يطلب منه ملكتمر الحجازي ويلبغا اليحياوي وهما من أمراء الألوف الخاصكية وطاجار الدوادر وغيرهم ويعرفه أنه أستاذه وأستاذ جميع الأمراء وابن أستاذهم وأنهم على طاعته وإنما يريدون هؤلاء لما صدر منهم من الفساد ورمي الفتن.

فطلع الأمير مسعود فوجد السلطان بالإيوان من القلعة وهم حوله في طائفة من المماليك فقبل الأرض وبلغه الرسالة فقال السلطان: لا كيد ولا كرامة لهم وما أسير ممالكي ومماليك أبي لهم وقد كذبوا فيما نقلوا عنهم ومهما قدروا عليه يفعلوه.

فما هو إلا أن خرج عنه الأمير مسعود حتى اقتضى رأيه بأن يركب بمن معه وينزل من القلعة ويطلب النائب طقزدمر ومن عنده من الأمراء والمماليك ويدق كوساته.

فتوجه إلى الشباك وأمر أيدغمش أمير آخور أن يشد الخيل للحرب فأخبره أنه لم يبق في الإسطبل غلام ولا سايس ولا سلاخوري يشد فرسًا واحدًا فبعث إلى النائب يستدعيه فامتنع عليه.

وبعث الأمير قوصون بلك الجمدار وبرسبغا إلى طقزدمر النائب يعلمانه بأنه متى لم يحضر الغرماء إليه وإلا زحف على القلعة وأخذهم غصيًا فبعث طقزدمر إلى السلطان يشير عليه بإرسالهم فعلم السلطان أن النائب وأمير آخور قد خذلاه فقام ودخل على أمه.

فلم يجد الغرماء بدًا من الإذعان وخرجوا إلى النائب وهم الأمير ملكتمر الحجازي وألطنبغا المارداني ويلبغا اليحياوي وهؤلاء مقدمو الألوف وأحد خواص الملك الناصر محمد بن قلاوون - رحمه الله - وطاجار الدوادر والشهابي شاد العمائر وبكلمش المارديني وقطليجا الحموي فبعثهم طقزدمر النائب إلى قوصون صحبة بلك الجمدار وبرسبغا.

فلما رأهم قوصون صاح في الحاجب أن يرجلهم عن خيولهم من بعيد فأنزلوا إنزالًا قبيحًا وأخذوا حتى أوقفوا بين يدي قوصون فعنفهم ووبخهم وأمر بهم فقيدوا وعملت الزناجير في رقابهم والخشب في أيديهم ثم تركهم في خيم ضربت لهم عند قبة النصر.

واستدعى طقزدمر النائب والأمير جنكلي بن البابا والوزير والأمراء المقيمين بالقلعة والأمير أيدغمش أمير آخور فنزلوا إليه واتفقوا على خلع الملك المنصور وإخراجه وإخوته من القلعة.

فتوجه الأمير برسبغا في جماعة إلى القلعة وأخرج الملك المنصور وإخوته وهم سبعة نفر ومع كل منهم مملوك صغير وخدام وفرس وبقجة قماش وأركبهم إلى شاطئ النيل وأنزلهم في حراقة وسار جركتمر بن بهادر بهم إلى قوص ولم يترك برسبغا بالقلعة من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلا كجك.

ثم سلم قوصون الأمراء المقيدون إلى والي القاهرة فمضى بهم إلى خزانة شمائل وسجنهم بها إلا يلبغا اليحياوي فإنه أفرج عنه.

وكان يومًا عظيمًا بالديار المصرية من إخراج أولاد السلطان الملك الناصر على هذه الصورة وحبس هؤلاء الأمراء الملوك في خزانة شمائل وتهتك حرم السلطان على إخراج أولاد الناصر وكثر البكاء والعيول بالقاهرة فكان هذا اليوم من أشنع الأيام.

وبات قوصون ومن معه ليلة الأحد بخيامهم في قبة النصر خارج القاهرة وركبوا بكرة يوم الأحد العشرين من صفر إلى قلعة الجبل واتفقوا على إقامة كجك ابن الملك الناصر محمد في السلطنة فأقيم وجلس على كرسي الملك حسب ما يأتي ذكره في أول ترجمته.

وخلع الملك المنصور في يوم السبت تاسع عشر صفر من سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة فكانت مدة ملكه على مصر تسعة وخمسين يومًا ومن حين قلده الخليفة ثمانية وأربعين يومًا لأنه لما تسلطن كان الخليفة " الحاكم - لأمر الله أحمد بن أبي الربيع سليمان " المستكفي لم يتم أمره في الخلافة ثم انتظم أمره بعد ذلك فبايع الملك المنصور حسب ما ذكرناه.

وخلع الملك المنصور أبو بكر من السلطنة وسلم القلعة بغير قتال مع كثرة من كان معه من خواص أمراء أبيه ومماليكه خذلان من الله تعالى!.

وفي خلعه من السلطنة وإخراجه إلى قوص مع إخوته عبدة لمن اعتبر فإن والده الملك الناصر محمد بن قلاوون كان أخرج الخليفة أبا الربيع سليمان المستكفي بأولاده وحواشيه إلى قوص منفيًا مرسمًا عليه فقوصص الملك الناصر عن قريب في ذريته بمثل ذلك وأخرج أولاده أعز مماليكه وزوج ابنته وهو قوصون الناصري فتوجه الملك المنصور مع إخوته إلى قوص وصحبته بهادر بن جرکتمر مثل الترسيم عليه وعلى إخوته وأقام بها نحو الشهرين.

ودس عليه قوصون عبد المؤمن متولي قوص فقتله وحمل رأسه إلى قوصون سرًا في أواخر شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة وكتبوا ذلك عن الناس.

فلما أمسك قوصون تحقق الناس ذلك.

وجاء من حاقق بهادر أنه غرق طاجار الدوادر واستحس على قتل المنصور فطلب عبد المؤمن وقرر فاعترف فسمره السلطان الملك الناصر أحمد ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون وقد تسلطن بعد أخيه كجك آخذًا بدم أخيه الملك المنصور هذا.

وكان الملك المنصور سلطانيًا كريمًا شامًا حمل إليه مال بشتك ومال آقبا عبد الواحد ومال برسغا فوهب ذلك جميعه إلى الخاصكية الأمراء من مماليك والده مثل ملكتمر الحجازي وألطنبا المارداني ولبغا اليحياوي وطاجار الدوادر وهؤلاء كانوا عظماء أمراء الألوف من الخاصكية وأعيان مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون وأصهاره وأحبهم وأحبوه فالتهى بهم عن قوصون وقوي بهم بأسه فخاف قوصون عاقبة أمره وتقرب خشداشيته إليه فدبر عليه وعليهم حتى تم له ذلك.

وكانت الناس تباشرت بيمين سلطنته فإنه لما تسلطن أنتظمت الأمور على أحسن ما يكون ولم يقع بين الناس خلاف ولا وقع سيف حتى خالف قوصون فرموه بأمور وقبائح

ودواهي وادعوا أنه كان ينزل هو والمذكورون من ممالك أبيه إلى بحر النيل ويركب معهم في المراكب وأشياء من ذلك الله أعلم بصحتها.

ولم يكن مسك بشتك بخاطره ولا عن أمره إلا مراعاة لخاطر قوصون لما كان بينهما من أيام أستاذهما الملك الناصر محمد من المنافرة.

وكان الملك المنصور شابًا حلو الوجه فيه سمرة وهيف قوام وكان تقدير عمره ما حول العشرين سنة وكان أفحل الإخوة وأشجعهم.

زوجه أبوه بنت الأمير سيف الدين طقزدمر الحموي.

▲ قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في تاريخه

: وعمل الناس عزاءه ودارت جواربه في الليل بالدرارك في شوارع القاهرة أيامًا وأبكين الناس وتأسفوا عليه لأنه خذل وعمل عليه وأخذ بغتة وقتل غصًا طرًا ولو استمر لجا من ملك عظيم.

كان في عزمه ألا يغير قاعدة من قواعد جده الملك المنصور قلاوون ويبطل ما كان أحدثه أبوه من إقطاعات العربان وإنعاماتهم وغير وأما أمر بشتك وحبسه فإنه كان من أجل ممالك الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان ثقل عليه في أواخر أمره فإنه لما مات بكتمر الساقى ورثه في جميع أمواله في داره وإسطبله وتزوج بأمراته أم أحمد بن بكتمر الساقى واشترى جاريته خوبي بستة آلاف دينار وكان معها من القماش ما قيمته عشرة آلاف دينار وأخذ ابن بكتمر عنده.

وكانت الشرقية تحمى لبكتمر الساقى فحماها هو بعده فعظم ذلك على قوصون ولم يسعه إلا السكات لميل السلطان إليه.

وكان مع هذه الرياسة الضخمة غير عفيف الذيل عن المليح والقبیح وبالغ في ذلك وأفرط حتى في نساء الفلاحين وغيرهم.

وكان سبب قربه من أستاذه الملك الناصر أن الملك الناصر قال يومًا في مبدأ أمره لمجد الدين السلامي: أريد أن أشتري لي مملوكًا يشبه بوسعيد بن خربندا ملك التتار فقال مجد الدين: " دع ذلك فهذا بشتك يشبهه لا فرق بينهما " فحظي عنده لذلك.

ولما ندبه السلطان لمسك تنكز وتوجه إلى الشام للحوطة على مال تنكز ورأى أمر دمشق طمع في نيابتها ولم يجسر يفتح السلطان في ذلك وبقي في نفسه منها حزازة فلما مرض السلطان وأشرف على الموت ألبس بشتك مماليكه فإنه كان بلغه عن قوصون أنه ألبس مماليكه ثم انتظم الأمر على أن السلطان جعل ابنه أبا بكر ولي عهده وقد قدمنا ذكر ذلك كله مفصلاً في أواخر ترجمة الملك الناصر.

فلما وقع ذلك قال بشتك: " لا أوافق على سلطنة أبي بكر ما أريد إلا سيدي أحمد الذي بالكرك.

فلما مات السلطان وسجي قام قوصون إلى الشباك وطلب بشتك وقال له: يا أمير تعال أنا ما يجيء مني سلطان لأنني كنت أبيع الطسما والكشاتوين في البلاد وأنت اشتريت مني وأهل البلاد يعرفون ذلك مني وأنت ما يجيء منك سلطان لأنك كنت تبيع البوزا وأنا

اشتريت ذلك منك وأهل البلاد يعرفون ذلك كله فما يكون سلطانًا من عرف ببيع الطسما والبرغالي ولا من عرف ببيع البوزا.

وهذا أستاذنا هو الذي أوصى لمن هو أخبر به من أولاده وهذا في ذمته وما يسعنا إلا أمثال أمره حيًا وميتًا وأنا ما أخالفك إن أردت أحمد أو غيره ولو أردت أن تعمل كل يوم سلطانًا ما خالفتك فقال بشتك: كل هذا صحيح والأمر أمرك وأحضرا المصحف وحلف كل للآخر وتعانقا ثم قاما إلى رجلي السلطان فقبلاهما وبقيا ووضعوا ابن السلطان على كرسي الملك.

وقد تقدم ذكر ذلك كله.

وتم الأمر بينهما على ذلك حتى بدا لبشتك أن يلي نيابة الشام فعاكسه قوصون فثارت الكمائن والضغائن القديمة بينهما حتى وقع ما حكيناه وأمسك بشتك واعتقل بالإسكندرية إلى أن قتل في محبسه بالإسكندرية بعد أيام في سلطنة الملك الأشرف كجك ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون في شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين وأربعين المذكورة حسب ما يأتي ذكره.

وبشتك هذا أول من أمسك من أمراء الدولة الناصرية.

وكان كريمًا مهابةً: كان يذبح في سماطه في كل يوم خمسين رأسًا من الغنم وفرسًا لا بد منه خارجًا عن الدجاج والوز والحلوى.

انتهى ترجمة الملك المنصور أبي بكر بن محمد بن قلاوون.

رحمه الله تعالى.

سلطنة الأشرف علاء الدين كجك على مصر هو السلطان الملك الأشرف علاء الدين كجك ابن السلطان الملك الناصر ناصر الدين أبي المعالي محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي النجمي.

جلس على تخت الملك باتفاق الأمراء بعد خلع أخيه أبي بكر ابن الملك الناصر محمد في يوم الإثنين حادي عشرين صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعمئة وركب بشعار السلطنة ولقب بالملك الأشرف ولم يكمل له من العمر خمس سنين وقيل كان عمره دون سبع سنين.

وأمه أم ولد تسمى أردو تركية الجنس.

وهو السلطان الرابع عشر من ملوك الترك بديار مصر والثاني من أولاد الملك الناصر محمد ابن قلاوون.

ولما تم أمره في السلطنة جلس الأمراء وآشثوروا فيمن يقيموه في نيابة السلطنة فرشح الأمير أيدغميش أمير أخور فامتنع أيدغميش من ذلك فوقع الاتفاق على الأمير قوصون الناصري فأجاب وشرط على الأمراء أن يقيم عليّ حاله في الأشرفية من القلعة ولا يخرج منها إلى دار النيابة خارج باب القلعة من القلعة فأجابوه الأمراء إلى ذلك فاستقر من يومه في النيابة وتصرف في أمور المملكة والسلطان آله في السلطنة فقال في ذلك بعض شعراء العصر: # سلطاننا اليوم طفل والأكابر في خلف وبينهم الشيطان قد نزعاً

فكيف يطمع من تغشيه مظلمة أن يبلغ السؤل والسلطان ما بلغا ثم اتفقت الأمراء على إخراج الأمير الطنبغا المارداني من الحبس فأخرج من يومه.

وفي ليلة الأربعاء ثالث عشرين صفر أخرج الأمير قطلوبغا الحموي وطاجار الدوادار وملكتمر الحجازي والشهابي شاد العمائر من حبس خزانة شمائل بالقاهرة وحملوا إلى ثغر الإسكندرية فسجنوا بها.

وتوجه الأمير بلك الجمدار على البريد إلى حلب لتحليف النائب طشتمر الساقى المعروف بحمص أخضر والأمراء.

وتوجه الأمير بيغرا إلى دمشق بمثل ذلك إلى نائبها الأمير الطنبغا الصالحي وتوجه الأمير جركتمر بن بهادر إلى طرابلس وحماة لتحليف نوابها والأمراء وكتب إلى الأعمال بإعفاء الجند من المغارم.

ثم ركب الأمير قوصون في يوم الخميس رابع عشرينه في دست النيابة وترجل له الأمراء ومشوا في خدمته وأخذ وأعطى وأنفق على الأمراء لكل أمير مائة ومقدم ألف: ألف دينار ولكل أمير طبلخاناه خمسمائة دينار ولكل أمير عشرة مائتي دينار ولكل مقدم حلقة خمسين دينارًا ولكل جندي خمسة عشر دينارًا.

ثم في يوم السبت سادس عشرينه سمر قوصون ولي الدولة أبا الفرج ابن خطير صهر النشو وكان قد توصل إلى الملك المنصور بسفارة أستاذه ملكتمر الحجازي ووقع منه أمور حقدتها عليه قوصون لوقتها ولما سمر بتشهيره على جمل بمصر والقاهرة وقد أشعلت الشموع بالحوانيت والشوارع ودقت الطبول وفرح الناس فرحًا زائدًا لأنه كان ممن بقي من حواشي النشو وأصهاره وفيه يقول الأديب جمال الدين إبراهيم المعمار: قد أخلف النشو صهر سوء قبيح فعل كما تروه أراد للشير فتح باب فأغلقوه وسمروه ولما كان يوم الخميس مستهل شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وأربعين وسبعمئة أنعم قوصون على أحد وعشرين مملوكًا من المماليك السلطانية بإمريات: منهم ستة طبلخاناه والبقية عشرات.

وفي رابع عشر شهر ربيع الأول توخه الأمير طوغان لإحضار الشهابي أحمد ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك محتفظًا به لينفى إلى أسوان.

وسبب ذلك أنه ورد كتاب ملكتمر السرجواني نائب الكرك يتضمن أن أحمد المذكور خرج عن طوعه وكثر شغفه بشباب أهل الكرك وأنهماكه في معاقرة الخمر وأنه يخاف على نفسه منه أن يوافق الكركيين على قتله وطلب الإعفاء من نيابة الكرك.

ثم في يوم السبت سابع عشر شهر ربيع الأول المذكور خلع على الأمير طقزدمر الحموي نائب السلطنة بديار مصر بنبابة حماة عوضًا عن الملك الأفضل ابن الملك المؤيد الأيوبي وأنعم على الملك الأفضل بتقدمة ألف بدمشق وأنعم على الأمير أقبغا عبد الواحد بإمرة بدمشق ورسم لسمره إليها.

وفي يوم الخميس ثاني عشرينه جلس السلطان الملك الأشرف كجك على تخت الملك وخلع على جميع الأمراء وأرباب الدولة بدار العدل وقبل الأمراء الأرض بين يديه ثم تقدموا إليه على قدر مراتبهم وقبلوا يده فكان عدة الخلع في هذا اليوم ألما ومائتي خلعة.

ثم في تاسع عشرينه ورد كتاب الشهابي أحمد ابن الملك الناصر محمد من الكرك بأنه لا يحضر إلى القاهرة حتى يأتيه أكابر الأمراء إلى الكرك ويحلفهم ثم يحضر إخوته من بلاد الصعيد إلى قلعة الكرك ويحضر بعد ذلك وينتصب سلطاناً.

فأجيب بأنه لم يطلب إلا لشكوى النائب منه وجهزت له هدية سنوية وأنه يحضر حتى تعمل المصلحة.

فلم يكن بعد أيام إلا وحضر الأمير ملكتمر السرجواني نائب الكرك إلى القاهرة في يوم الخميس رابع عشر ربيع الآخر وأخبر الأمير قوصون وغيره بامتناع الشهابي أحمد من الحضور وأنه أقام على الخلاف فأجتمع الأمراء بالقصر في يوم الجمعة خامس عشرة للمشورة في أمر أحمد المذكور حتى تقرر الأمر على تجريد العساكر لأخذه.

ثم في يوم السبت سادس عشرة ابتدأت الفتنة بين الأمير قوصون وبين المماليك السلطانية وذلك أن قوصون أرسل يطلب من مقدم المماليك مملوكاً من طبقة الزمرذية جميل الصورة فمنعه خشداشيتهم أن يخرج من عندهم فتلطف بهم المقدم حتى أخذه ومضى به إلى قوصون فبات عنده.

ثم طلب قوصون من الغد نحو أربعة مماليك آخر أو خمسة منهم شيخون وصرغتمش وأيتمش عبد الغني فامتنع خشداشيتهم من ذلك وقام منهم نحو المائة مملوك وقالوا: " نحن مماليك السلطان ما نحن مماليك قوصون " وأخرجوا الطواشي المقدم من عندهم على أقبح وجه.

فمضى المقدم إلى قوصون وعرفه الحال فأخرج إليهم قوصون الأمير برسبغا الحاجب وشاورشي دواداره في عدة من ممالিকে ليأتوه بهم فإذا بالمماليك قد تعصبوا مع كبارهم وخرجوا على حمية يريدون الأمير بيبرس الأحمدى فإذا به راكب.

فمضوا إلى بيت الأمير جنكلي بن البابا فلقوه في طريقهم فقالوا له: نحن مماليك السلطان مشترى ماله فكيف تترك ابن أستاذنا ونخدم غيره من هو مملوك مثلنا فينال غرضه منا ويفضحنا بين الناس وجهروا له بالكلام الفاحش فتلطف بهم جنكلي فلم يرجعوا عما هم عليه فحنق منهم وقال: أنتم الظالمون بالأمس.

ولما خرجتم قلت لكم أنا وطقزدمر نائب السلطنة: ارجعوا إلى خدمة ابن أستاذكم قلمتم: ما لنا ابن أستاذ غير قوصون والآن تشكون منه! فاعتذروا له ومضوا به وقد حضر الأحمدى فأجتمعوا به وتوجهوا إلى منكلي بغا الفخري فإذا قد وافاه برسبغا من عند قوصون فأرادوا أن يوقعوا به فكفهم الفخري عنه.

هذا وقوصون قد بلغه خبرهم فأراد أن يخرج ويجمع الأمراء فما زال به من عنده حتى سكن إلى بكرة النهار فكانت تلك الليلة ليلة مهولة.

ثم طلب الأمير قوصون جنكلي والأحمدى والفخري وبقية الأمراء إليه وأغراهم بالمماليك السلطانية وخوفهم عاقبة أمرهم من استخفافهم بالأمراء فبعثوا بالأمير مسعود الحاجب إليهم ليحضرهم فإذا جمعهم قد كثف وكثر فلم يلتفتوا إليه فعاد.

فخرج إليهم ألتنبغا المارداني وقطلوبغا الفخري وهما أكبر الأمراء الخاصكية من خشداشيتهم وما زالا بهم حتى أخذوا من وقع عليه الطلب ودخلا بهم إلى قوصون فقبلوا يده فقام لهم وقبل رأسهم وطيب خواطرهم ووعدهم بكل خير وانصرفوا وفي ذهن قوصون أنه قد حصل الصلح وذلك في يوم السبت.

فلما كان ليلة الإثنين وقت الغروب تحالف المماليك الناصرية على قتل قوصون وبعثوا إلى من بالقاهرة منهم فبات قوصون - وقد بلغه ذلك - على حذر.

وركب يوم الإثنين ثامن عشر ربيع الآخر الموكب مع الأمراء تحت القلعة وطلب أيدغمش أمير آخور وأخذ قوصون يلوم الأمراء في إقامته في نيابة السلطنة وهم يترضوه ويعدوه بالقيام معه فأدركه الأمير بيبرس الأحمدي وأعلمه بأن المماليك السلطانية قد اتفقوا على قتله فمضى بهم أعني الأمراء إلى جهة قبة النصر فارتجت القلعة وقفلت أبوابها ولبست المماليك السلطانية السلاح بالقلعة وكسروا الزردخاناه السلطانية.

هذا وقد آملت الرميلة بالعامه وصاحوا: يا ناصرية! نحن معكم فأجابوهم من القلعة فأشاروا لهم بالتوجه إلى بيت قوصون فتوجهوا نحوه وكسروا بابه وهجموا عليه وكسروا من كان يرمى عليهم من أعلى البيت.

وبلغ ذلك قوصون فعاد بمن كان معه من الأمراء وأوقعوا بالعامه حتى وصلوا إلى سور القلعة فرماهم المماليك من أعلى القلعة بالنشاب وأحموا العامه.

فقتل في المعركة الأمير محمود صهر الأمير جنكلي بن البابا بسهم نشاب من القلعة وقتل معه آخر.

ووصلوا حاشية قوصون إلى إسطل قوصون وقد بدأ النهب فيه فقتلوا من العامه جماعة كثيرة وقبضوا على جماعة.

فلم تطق المماليك السلطانية مقاومة الأمراء فكفوا عن القتال وفتحوا باب القلعة لهم.

فطلع إليهم الأمير برسبغا الحاجب أنزل ثمانية من أعيان المماليك السلطانية إلى قوصون وقد وقف قوصون بجانب زاوية تقي الدين رجب تحت القلعة.

فوسط قوصون منهم واحدًا اسمه صربغا فإنه الذي فتح خزائن السلاح وألبس المماليك وأمر به قوصون فعلق على باب زويلة.

وأراد أن يوسط البقية فشفع فيهم الأمراء فحبسوا بخزانة شمائل مقيدين.

ثم رسم قوصون بتسمير عدة من العوام فسمر منهم تسعة على باب زويلة.

ثم أمر بالركوب على العامه وقبضهم ففروا حتى إنهم لم يقدرُوا منهم على حرفوش واحد.

ثم طلع قوصون إلى القلعة قريب العصر ومد للأمراء سماطًا فأكلوا.

وبقيت الأطلاب والأجناد واقفة تحت القلعة إلى آخر النهار فكان ذلك اليوم من الأيام المشهودة وكان جملة من قتل فيه من الفئتين ثمانية وخمسين رجلًا وأنصرف الناس.

ثم في ليلة الثلاثاء طلع الأمير برسبغا الحاجب إلى طباق المماليك بالقلعة ومعه عدة من المماليك وقبضوا على مائة مملوك منهم وعملوا في الحديد وحبسوا بخزانة شمائل فمنهم من قتل ومنهم من نفي من مصر.

ثم في يوم الثلاثاء تاسع عشر ربيع الآخر سمر قوصون تسعة من العوام.

ثم في يوم الأربعاء عشرينه سمر قوصون أيضًا ثلاثة من الطواشية في عدة من الحرافيش على باب زويلة.

وسبب ذلك أن قوصون لما نزل من القلعة ومضى إلى قبة النصر وقابلته المماليك السلطانية أخذت الطواشية في الصياح على نسائه وأفحشوا في سبهن واستمر الطواشية في التسمير حتى مات أحدهم وشفع في الاثنين.

ثم عرض قوصون ممالك الأتباع وأنعم على مائتين منهم بإقطاعات كبيرة وعين جماعة منهم بإمريات.

ثم أكثر قوصون من الإحسان إليهم.

وبينما قوصون في ذلك قدم عليه كتب نائب الشام وأمراء الشام وفيها كتب أحمد ابن السلطان الملك الناصر لهم مختومة لم تفك ففتحها قوصون فإذا فيها لنائب الشام أنه كاتب لنائب حلب الأمير طشتمر الساقى حمص أخضر وغيره وأنهم أنفقوا معه وأكثر من الشكوى من قوصون.

فأوقف قوصون الأمراء عليها وما زال بهم حتى وافقوه على تجريد العسكر إلى الكرك.

وفي هذه الأيام ظهرت المماليك التي كانت الفتنة بسببهم عند خيشداشيهم فسلم صرغتمش إلى الأمير الطنبغا المارداني وسلم أيتمش إلى الأمير آخور وسلم شيخون إلى الأمير أرنبغا السلاح دار وهؤلاء الأمراء الثلاثة ناصرية.

ثم أشيع بالقاهرة أن أحمد ابن الملك الناصر قد تحرك من الكرك في طلب المجيء إلى الديار المصرية فكثير الاضطراب ووقع الشروع في تجهيز العساكر صحبة الأمير قطلوبغا الفخري واستحلفه قوصون وبعث إليه بعشرة آلاف دينار وعين معه أيضًا الأمير قماري أخا بكتمر الساقى ومعهما أربعة وعشرون أميرًا ما بين طبلخانات وعشرات وأنفق على الجميع.

ثم بعث قوصون إلى قطلوبغا الفخري بخمسة آلاف دينار أخرى عند سفره وركب لوداعه صحبة الأمراء حتى نزل الريدانية في يوم الثلاثاء خامس عشرين ربيع الآخر وكل ذلك في سنة اثنتين وإربعين وسبعمائة.

هذا والأمراء لم يكن منهم أحد راضيًا بسفر هذه التجريدة بل أشار الأمير الحاج آل ملك والأمير جنكلي بن البابا على قوصون بأنه لا يحرك ساكنًا لم يقبل قوصون.

وكانا أشارا عليه بأنه يكتب إلى أحمد بن الناصر يعتبه على مكاتبة نائب الشام وغيره فكتب إليه بذلك فأجاب بأن طوغان أسمع كلامًا فاحشًا وأغلظ عليه في القول فحمله الحنق على مكاتبة نائب الشام وأن قوصون والده بعد والده ونحو ذلك.

فلم يقنع قوصون ذلك وجهز العساكر لأخذه.

وبعد خروج العساكر ركب الأمير قوصون في يوم الثلاثاء ثالث جمادى الأولى إلى سرباقوس وصحبته الأمراء على عادتهم " توجه السلطان ثم عاد ".

وبعد مدة يسيرة ظهر للأمير قوصون مخالفة الأمير طشتمر الساقى نائب حلب المعروف بحمص أخضر.

وسبب مخالفته أنه شق عليه إخراج أولاد أستاذه الملك الناصر إلى الصعيد وأيضًا تجهيز العساكر لقتال أحمد ابن الملك الناصر بالكرك وكان قد بعث إليه أيضًا أحمد ابن الملك الناصر يشكو من قوصون وأنه يريد القبض عليه يطلب منه النصرة عليه فكتب طشتمر إلى أمراء الديار المصرية وإلى قوصون بالعتب فقبض على قاصده بقطيا وسجن.

وكتب قوصون إلى الأمير الطنيجا الصالحي نائب الشام بأن الأمير طشتمر حمص أخضر نائب حلب شرع يتكلم في إقامة الفتنة وأنه لا يصغي إلى قوله وبعث إليه بأشياء كثيرة من الهدايا والتحف فأجاب الطنيجا نائب الشام بالسمع والطاعة والشكر والثناء.

ولما تم لقوصون ذلك وقع بينه وبين الأمير أيدغمش أمير آخور وكادت الفتنة تقوم بينهما وأغلظ أيدغمش لقوصون في الكلام.

وسببه أن بعض مماليك أمير علي بن أيدغمش وشى إليه بأن قوصون قرر مع برسبغا الحاجب أن يبيت بالقاهرة ويركب في عدة من مماليك قوصون ويكبس على أيدغمش فأخذ أيدغمش في الاحتراز وامتنع من طلوع القلعة أيامًا بحجة أنه متوعك.

وكان ذلك بعد أن تصالحا بعد تفاوضهما بمدة يسيرة وصار أيدغمش إذا سير قوصون النائب بالرميلة في أيام المواكب يغلق أيدغمش باب الإسطبل السلطاني ويوقف طائفة من الأوجاقية عليه فاشتهر الخبر بين الناس وكثرت القالة.

وبلغ قوصون تغير خاطر أيدغمش عليه فحلف للأمراء أنه ما يعرف لتغيره سببًا.

فما زالت الأمراء بأيدغمش حتى طلع القلعة وعرف قوصون بحضرة الأمراء ما بلغه فحلف قوصون على المصحف أن هذا لم يقع منه ولا عنده منه خبر وتصالحا.

وبعث إليه أيدغمش بعد نزوله إلى الإسطبل الناقل إليه فرده قوصون ثم قدم الخبر بوفاة الأمير بشتك الناصري المقدم ذكره بمحبسه بنجر الإسكندرية فاتهم قوصون بقتله.

وكان الأمير قوصون قد أنشأ قاعة لجلوسه مع الأمراء من داخل باب القلعة وفتح فيها شباكا يطل على الدركاه وجلس فيه مع الأمراء ومد سماطًا بالقاعة المذكورة وزاد في سماطه من الحلوى والدجاج والإوز ونحو ذلك وأكثر من الخلع والإنعامات وصار يجلس مع الأمراء بالقاعة المذكورة.

فلما قدم الخبر بموت بشتك تغير خاطر جماعة كثيرة من الأمراء وغيرهم لموته فما زال بهم قوصون حتى صالحهم وحلف لهم.

ثم قدم الخبر من عبد المؤمن والي قوص بأن الملك المنصور أبا بكر وجد في نفسه تغيرًا وفي جسمه توعكًا لزم الفراش منه أيامًا ومات وأتهم قوصون أيضًا بأنه أمر عبد المؤمن بقتله فتغير لذلك خاطر الأمراء والمماليك الناصرية قاطبة وهم يوم ذاك عساكر الإسلام ومن سواهم فقليل.

ثم قدم الخبر على قوصون بنزول العسكر الذي صحبة الأمير قطلوبغا الفخري على مدينة الكرك وقد امتنعت منه وأستعد أهلها للقتال.

وكان الوقت شتاء فأقام العسكر نحو عشرين يومًا في شدة من البرد والأمطار والثلوج وموت الدواب وتسلط هل الكرك عليهم بالسب واللعن والتوبيخ وشنوا الغارات عليهم وصاروا يقطعون قريهم ورواياهم هذا وقوصون يمد الفخري ثم قدم الخبر من دمشق بأن

تمر الموسوي قدم من حلب واستمال جماعة من الأمراء إلى طشتمر الساقى حمص
أخضر نائب حلب.

فكتب قوصون بالقبض عليه.

ثم حمل قوصون تشريقًا إلى نائب حلب المذكور فلم يرض نائب حلب بالتشريف ورده
وكتب إلى قوصون يعتبه على إخراج أولاد أستاذه إلى الصعيد فأجابه قوصون بأعذار غير
مقبولة.

ثم قدم الخبر على قوصون أيضًا من شطي بن عيبة أمير العرب بأن قطلوبغا الفخري قد
خامر على قوصون وحلف لأحمد بن الناصر هو ومن معه من الأمراء وأنهم أقاموا أحمد
سلطانًا ولقبوه بالملك الناصر وذلك بمكاتبة الأمير طشتمر الساقى نائب حلب له يعتبه
على موافقة قوصون وقد فعل بأولاد أستاذه ما فعل ويعزم عليه أنه يدخل في طاعة
أحمد ويقوم بنصرته.

فصادف ذلك من الفخري ضجره من الإقامة على حصار الكرك وشدة البرد وعظم الغلاء
فجمع من معه وكتب إلى أحمد يخاطبه بالسلطنة وقرر الصلح معه.

وكتب لنائب حلب بذلك فأعاد جوابه بالشكر وأعلمه بأن الأمير طقزدمر نائب حماة
وأمرء دمشق قد وافقوه على القيام بنصرة أحمد.

وكان الأمير الطنبغا الصالحي نائب الشام قد أحس بشيء من هذا فأحترس على
الطرقات حتى ظفر بقاصد طشتمر نائب حلب على طريق بعلبك ومعه كتب فأخذها منه
وبعث بها إلى قوصون فقدمت ثاني يوم ورود كتاب شطي بمخابرة الفخري فإذا فيها: "
الملكى الناصري " فأضطرب قوصون وجمع الأمراء وعرفهم ما وقع وأوقفهم على الكتب
وذكر لهم أنه وصل منه إلى قطلوبغا الفخري في هذه السفرة مبلغ أربعين ألف دينار
سوى الخيل والقماش والتحف.

ورسم قوصون بإيقاع الحوطة على دور الأمراء المجردين مع الفخري إلى الكرك فمزال
به الأمراء حتى كف عن ذلك.

وألزم مباشرهم بحمل ما وصل إليهم وبجميع حواصلهم وصار قوصون في أمر مريح مما
بلغه.

وكتب إلى الأمير الطنبغا الصالحي نائب الشام بخروجه لقتال طشتمر الساقى حمص
أخضر نائب حلب ومعه نائب حمص ونائب صفد ونائب طرابلس وكتب إليهم قوصون
بالسمع والطاعة إلى طاعة نائب الشام وحمل إليهم النفقات.

فلما بلغ الطنبغا الصالحي نائب الشام ذلك تجهز وخرج من دمشق بعساكرها في جمادى
الآخرة فتلقيه الأمير أرقطاي نائب طرابلس على حمص وصار من جملة عساكره وأخبره
بكتاب نائب حلب إليه يدعوه لموافقته وأنه أبى عليه.

ثم بعث الطنبغا نائب الشام إلى الأمير طقزدمر نائب حماة من آستماله وحلفه على
طاعة الملك الأشرف كجك.

ولما بلغ طشتمر حمص أخضر مجيء الطنبغا نائب الشام إليه أرسل آستدعى ابن دلغار
فقدم عليه فاتفق معه على المسير إلى أبلستين وسار به ومعه ما خف من أمواله وأخذ

أولاده ومماليكه فأدركه عسكر حلب وقد وصل إليهم كتاب نائب الشام بالاحتراس عليه ومنعه من الخروج من حلب فقاتلوه عدة وجوه فلم ينالوا منه غرضًا وقتل من الفريقين خمسة نفر وعادوا وأكثرهم جرحى.

فلما وصل طشتمر إلى أبلستين كتب إلى إرتنا يستأذنه في العبور إلى الروم فبعث إليه إرتنا بقاضيه وعدة من الزامه وجهز له الإقامة.

فمضى طشتمر إلى قيصرية وقد توجه إرتنا لمحاربة ابن دمرداش بعد أن رتب لطشتمر كل يوم ألفي درهم.

وأما الطنبغا الصالحي نائب الشام فإنه قدم إلى حلب وكتب إلى قوصون يعلمه بتسحب طشتمر نائب حلب إلى جهة الروم وأنه استولى على مدينة حلب.

فقدم كتابه على قوصون في يوم الأربعاء ثاني شهر رجب.

ثم في يوم الإثنين سابع رجب فرق الأمير قوصون إقطاعات الأمراء المجردين مع قطلوبغا الفخري الخارجين عن طاعة قوصون وعدتهم اثنان وثلاثون أميرًا منهم أمراء طبلخانات ستة عشر وأمراء عشرات ستة عشر وأميران مقدمان: الفخري وقماري.

ثم في يوم الثلاثاء تاسع عشرين رجب قدم الأمير الشيخ علي بن دلنجي القازاني أحد أمراء العشرات المجردين وأخبر بمسير قطلوبغا الفخري من الكرك إلى دمشق وأنه يريد موافقته مع الطنبغا الصالحي نائب الشام.

وكان من خبره أن الأمير الطنبغا لما دخل حلب أخذ موجود طشتمر حمص أخضر وباعه وبينما هو في ذلك بلغه دخول قطلوبغا الفخري بمن معه إلى دمشق وأنه دعا للناصر أحمد وقد وافقه آق سنقر السلاري نائب غزة وأصلم نائب صفد ومن تأخر من أمراء دمشق بها مثل سنجر الجمقدار وتمر الساقي وأن آق سنقر نائب غزة وقف لحفظ الطرقات حتى لا يصل أحد من مصر إلى الطنبغا الصالحي وأن قطلوبغا أخذ في تحصيل الأموال من دمشق للنفقة على الأمراء والجنود وأن الأمير طقزدمر نائب حماة قدم عليه في غد دخوله.

وركب الفخري وتلقاه وقوي بهم وأستخدم جنودًا كثيرة ونادى بدمشق: من أراد الإقطاع والنفقة فليحضر.

وأخذ مالا كثيرًا من التجار وأكره قاضي القضاة تقي الدين بن السبكي حتى أخذ مال الأيتام وأخذ أجر الأملاك والأوقاف لثلاث سنين فجمع مالا عظيمًا.

وأنته جماعات من الأجناد والتركمان وكتب أوراقًا من ديوان الجيش بأسماء الأجناد البطالين وأنعم على البطالين بالخيول والقماش والسلاح.

وحلف قطلوبغا الجميع للسلطان الملك الناصر أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون وعمل برسمه العصائب السلطانية والسناجق الخليفية والكنابيش والسروج والغاشية والقبة والطير وسائر أبهة السلطنة.

وكتب إلى الملك الناصر أحمد يعرفه بذلك فأجابه الناصر بالشكر والثناء.

فلما سمع قوصون ذلك جمع الأمراء للمشورة فاتفق الرأي على تجريد أمراء إلى غزة فتوجه برسبغا الحاجب وأمير محمود الحاجب وعلاء الدين علي بن طغريل في جماعة.

ثم كتب قوصون إلى أطنبغا نائب الشام على يد أطلمش الكريمي بأن يسير من حلب إلى قتال الفخري بدمشق فتوجه أطلمش الكريمي على البريد من البرية لانقطاع الطريق حتى وصل إلى حلب وعرف أطنبغا الخبر فخرج أطنبغا بمن معه من العساكر وسار حتى قدم حمص وقد خرج الفخري من دمشق ونزل على خان لاجين وأمسك المضيق وأقام الجبلية والعشير على الجبلين ووقف هو بالعسكر في وسط الطريق.

وأما أطنبغا فإنه حلف ومن معه من العساكر وسار من حمص يريد الفخري حتى قرب منه وعدد الجمعين نحو ثلاثة عشر ألف فارس فتمهل أطنبغا كراهية لسفك الدماء وأرسل إلى الفخري رسلاً ودام على ذلك ثلاثة أيام فلم يتم بينهما أمر.

وبعث قطلوبغا الفخري إلى جماعة من أصحاب أطنبغا يعدهم ويستميلهم حتى وافقوه.

فلما تعبت الرسل بينهم وملت العسكر من شدة البرد بعث أطنبغا في الليل جماعة من أصحابه ليهاجموا على الفخري من ورائه ويلقاهم هو من قدامه وركب من الغد فمال كل أمير بمن معه من أصحابه إلى جهة الفخري وصاروا من جملته فلم يبق معه سوى أرقطاي نائب طرابلس وأسنبغا بن بكتمر البوبكري وأيدمر المرقبي من أمراء دمشق فانهمزوا على طريق صفد إلى جهة غزة والقوم في أثرهم بعد أن كانت بينهم وقعة هائلة انهزم فيها أطنبغا نائب الشام.

ثم آلتفت الفخري إلى جهة دمشق وترك السير خلف أطنبغا حتى دخل دمشق مؤيداً منصوراً.

وكتب في الحال مع البريد إلى الأمير طشتمر الساقى حمص أخضر نائب حلب يعرفه بنصرته ويدعوه إلى الحضور من بلاد الروم وأنه في انتظاره بدمشق.

ثم حلف الفخري ومن معه للملك الناصر أحمد وأمر الخطباء فدعوا له على منابر دمشق وضرب السكة باسمه.

وأما أطنبغا الصالحي نائب دمشق فإنه وصل إلى غزة بمن معه فتلقاهم الأمير برسبغا الحاجب ورفقته وكتب أطنبغا إلى قوصون بما وقع فلما بلغ قوصون الخبر قامت قيامته وقبض على إخوة أحمد شاد الشرابخاناه وعلى قرطاي أستاذ الفخري.

ثم قدم على قوصون كتاب الفخري يعته على إخراج أولاد أستاذه إلى قوص وقتل الملك المنصور أبي بكر وأن الاتفاق وقع على سلطنة الملك الناصر أحمد ويشير عليه بأن يختار بلدًا يقيم بها حتى يسأل له السلطان الملك الناصر أحمد في تقليده نيابتها.

فقام قوصون وقعد لما سمع ذلك وجمع الأمراء فوقع الاتفاق على تجهيز التقادم للأمراء بغزة.

فجهز قوصون لكل من أطنبغا نائب الشام وأرقطاي نائب طرابلس ثلاثين بذلة قماش وثلاثين قباء مسنجة بطرازات زركش ومائتي خف ومائتي كلفته وكسوة لجميع مماليكهما وغلمايهما وحواشيهما.

وجهر لكل من الأمراء الذين معهما ثلاث بذلات وأقبية بسنجاب وكسوة لمماليكهم وحواشيهم.

وأخذ قوصون في الإنعام على المماليك السلطانية وأخرج ثلاثمائة ألف دينار من الذخيرة لتجهيز أمره حتى يخرج بالعساكر إلى الشام.

وأخرج أربعمئة قرقل وعدة زرديات وخوذ وغيرها وأنعم على جماعة من المماليك السلطانية بإمريات وغير إقطاعات جماعة منهم.

ثم كتب قوصون إلى الأمراء بمسيرهم من غزة إلى جهة القاهرة وهياً لهم الإقامات والخيول وبعث إليهم بالحلاوات والفواكه وسائر ما يليق بهم.

وبينما قوصون في ذلك إذ ركب الأمراء عليه في ليلة الثلاثاء تاسع عشرين رجب وقت العشاء الآخرة.

وسبب ركوبهم عليه تنكر قلوب الأكابر عليه لأمر بدت منه منها: قتل الأمير بشتك الناصري بغير ذنب وهو أعز خشداشيته ولم يكفه ذلك حتى قتل الملك المنصور أبا بكر وهو ابن أستاذه وكان يكفيه الخلع من الملك.

ومنها قوة الوحشة بينه وبين الأمير أيدغمش الناصري أمير آخور وهو أكبر خشداشيته فأخذ أيدغمش يدبر عليه وغير خواطر جماعة كثيرة عليه.

ثم كان من انتصار قطلوبغا الفخري علي الطنبغا الصالحي نائب الشام ما كان فكتب قطلوبغا إلى أيدغمش سرًا بأنه سلطن أحمد وحرضه على الركوب إلى الكرك بمن قدر على استمالته.

وكان قوصون قد احتفل لقدم الطنبغا نائب الشام ومن معه احتفالاً زائدًا وفتح ذخيرة السلطان وأكثر من النفقات والإنعامات حتى بلغت إنعاماته على الأمراء والخاصكية ستمائة ألف دينار.

فيشاع بأنه يريد أن يتسلطن فخاف أيدغمش وغيره من تحكمه في السلطنة وحرص الأمراء الخاصكية حتى وافقه الأمير علاء الدين الطنبغا المارداني والأمير يلغا اليحياوي في عدة من المماليك السلطانية وجمع كثير من أكابر الأمراء منهم: الأمير الحاج آل ملك والأمير بدر الدين جنكلي بن البابا واتفقوا الجميع أنهم يسيروا جميعا إلى الكرك عند قدوم الطنبغا نائب الشام وخروجهم إلى لقائه.

فلما كان يوم الإثنين ركب الأمير قوصون في الموكب تحت القلعة على العادة وطلب الأمير تلجك ابن أخته وأخرجه إلى لقاء الأمير الطنبغا الصالحي نائب الشام - وقد ورد الخبر بنزوله على بليس - ليأتي به سريعًا.

فوافاه ومن معه إلى بليس فسأله في القدوم إلى القاهرة بسرعة فلم يوافق على السرعة وقصد أن يكون حضوره في يوم الخميس أول شعبان.

وبات الطنبغا ليلة الثلاثاء على بليس وركب من الغد ونزل سرياقوس فبلغه ركوب الأمراء على قوصون وأنه محصور بالقلعة فركب بمن معه إلى بركة الحاج وإذا بطلب قوصون وسنجه قد وافوه في نحو مائة مملوك وأعلموه أن في نصف الليل ركبت

الأمراء وأحتاطت بإسطنبول قوصون ثم حصروه في قلعة الجبل فخرجوا هم على حمية حتى وصلوا إليهم هذا ما كان من أمر الطنبغا نائب الشام.

وأما أمر قوصون فإنه لما بعث تلجك ليأتيه بالأمير الطنبغا نائب الشام سريعًا تحقق أيدغمش وأصحابه أن قوصون فهم عنهم ما دبروه فتواعد الأمير أيدغمش مع من وافقه على أن يركبوا في الليل إلى الكرك.

فجهز كل منهم حاله حتى كان ثلث الليل فتح الأمراء باب السور من قلعة الجبل ونزلوا إلى الأمير أيدغمش بالإسطنبول السلطاني.

ثم مضى كل واحد إلى إسطنبول فلم ينتصف الليل إلا وعامة الأمراء بأطلاهم في سوق الخيل تحت القلعة وهم: الأمير الطنبغا المارداني وبلغا اليحياوي وبهادر الدمرداشي والحاج آل ملك والجاولي وقماري الحسني أمير شكار وأرنبغا وأق سنقر السلاري.

وبعثوا إلى إسطلات الأمراء مثل جنكلي بن البابا وبيبرس الأحمدي وطرغاي وقياتمر والوزير ولبست مماليكهم وأخرجت أطلاهم.

ثم خرج إليهم الأمير أيدغمش بمماليكه ومن عنده من الأوجاقية ووقفوا جميعا ينتظرون نزول قوصون إليهم فأحس قوصون بهم وقد أنتبه فطلب الأمراء المقيمين بالقلعة فاتاه منهم اثنا عشر أميرًا منهم جنكلي بن البابا وقياتمر والوزير.

ولبست مماليك قوصون التي كانت عنده بالقلعة وسألته أن ينزل ويدرك إسطنبول ويجمع بمن فيه من مماليكه وكانوا سبعمائة مملوك وكان قوصون يغتر بهم ويقول: " إيش أبالي بالأمراء وغيرهم! عندي سبعمائة مملوك ألقى بهم كل من في الأرض " فلم يوافقهم قوصون على النزول لما سبق في القدم.

وأقام قوصون بالقلعة إلى أن طلع النهار فلما لم يظهر له حركة طمع أيدغمش فيه وأمر الأوجاقية أن تطلع إلى الطبلخاناه السلطانية وأخرج لهم الكوسات فدقوا حربيًا.

ثم نادى أيدغمش: " معاشر أجناد الحلقة ومماليك السلطان والأجناد و البطالين يحضروا ومن ليس له فرس وليس له سلاح يحضر ويأخذ له الفرس والسلاح ويركب معنا ويقا تل قوصون " فاتاه جماعة كثيرة من أجناد الحلقة والمماليك ما بين لابس سلاح وراكب وبين ماش وعلى حمار.

وأقبلت العامة كالجراد المنتشر لما في نفوسهم من قوصون فنادى لهم أيدغمش: " يا كسابة عليكم بإسطنبول قوصون انهبوه " فأحاطوا به ومماليك قوصون من أعلاه ترميهم بالنشاب حتى أتلفوا منهم عدة كثيرة فركب مماليك يلبغا اليحياوي من أعلى بيت يلبغا - والبيت المذكور هو الآن موضع مدرسة السلطان حسن - وكان بيت يلبغا يشرف على بيت قوصون فلما طلغوا مماليك يلبغا اليحياوي تسلطوا على مماليك قوصون ورموا عليهم بالنشاب مساعدة للعوام وجرحوا منهم جماعة كثيرة وحالوا بينهم وبين العامة.

فهجمت العامة عند ذلك إسطنبول قوصون ونهبوا زردخانته وحواصله وأمواله وكسروا باب قصره بالفؤوس بعد مكابدة شديدة وطلغوا إلى القصر ونهبوا ما فيه وقوصون ينظر ذلك من شباك القلعة ويقول: " يا مسلمين ما تحفظون هذا المال! إما أن يكون لي أو يكون للسلطان " فقال أيدغمش:! هذا شكرانه للناس والذي عندك فوق من الجوهر والتحف يكفي السلطان ".

وصار قوصون كلما هم للركوب بمماليكه كسروا عليه الخاصكية وقالوا له: " يا خوند غدًا نركب ونقتل هؤلاء " وصاروا يهونوا عليه أمر أيدغمش وأصحابه لباطن كان لهم مع أيدغمش حتى كان من أمره ما ولما هجمت العامة بيت قوصون خرجوا مماليكه منه على حمية وشقوا القاهرة وتوجهوا إلى عند الأمير الطنبغا الصالحي نائب الشام فبعث أيدغمش في أثرهم إلى الطنبغا نائب الشام ومن معه بالسلام عليهم وأن يمنعوا مماليك قوصون من الاختلاط بهم فإن الأمير يلغا اليحياوي والأمير آق سنقر قادمان في جمع كبير لأخذ مماليك قوصون وحواشيه.

فأمر الطنبغا نائب الشام مماليك قوصون وتلجك وبرزبغا الحاجب أن يكونوا على حدة وليسوا الجميع وأخذ الأمير برزبغا مماليك قوصون وجماعته إلى جهة الجبل فلقبهم الأمير يلغا اليحياوي بمن معه على بعد وكان ذلك بعدما أمسك قوصون فسار خلفهم إلى قرب إطفيح.

وقيل في أمر مماليك قوصون غير ذلك على ما سنذكره بعد القبض على قوصون.

وأما قوصون فإنه بقي واقفا بشاك القلعة والعامة تنهب في بيته فلم يمض إلا ساعات من النهار حتى نهب جميع ما في إسطبله وقوصون يضرب يدًا على يد ويقول: " يا أمراء! هذا تصرف جندي! ينهب هذا المال جميعه " وكان أيدغمش قصد بذلك أن يقطع قلب قوصون.

ثم بعث قوصون إلى أيدغمش يقول: " إن هذا المال عظيم وينفع المسلمين والسلطان فكيف تفعل هذا وتنادي بنهيه " فرد جوابه: " نحن قصدنا أنت ولو راح هذا المال وأضعافه " هذا كله والقلعة مغلقة الأبواب وجماعة قوصون يرمون من الأشرفية بالنشاب إلى أن قرب العصر والعامة تجمع نشابهم وتعطيه لمن هو من جهة أيدغمش.

فلما رأى قوصون أمره في إدار سلم نفسه ودخل عليه الأمير بلك الجمدار وملكتمر السرجواني يأمره أن يقيم في موضع حتى يحضر ابن أستاذه من الكرك فيتصرف فيه كما يختار فلم يجد بدًا من الإذعان.

وأخذ يوصي الأمير جنكلي بن البابا وأمير مسعود حاجب الحجاب على أولاده فأخذ وقيد ومضوا به إلى البرج الذي كان بشتك فيه ورسم عليه جماعة من الأمراء.

وكان الذي تولى مسكه وحبسه جنكلي بن البابا وأمير مسعود الحاجب وأرنبغا أمير جاندار.

وأما الأمير الطنبغا الصالحي نائب الشام ومن معه فإن برزبغا وتلجك والقوصونية لما فارقوا الطنبغا المذكور سار الطنبغا وأرقطاي والأمراء يريدون القاهرة وأشار الطنبغا نائب الشام على أرقطاي نائب طرابلس أن يرد برزبغا وتلجك والقوصونية ويقاثل بهم أيدغمش: فإنه ينضم إليه جميع حواشي قوصون وبأخذوا أيدغمش وبخرجوا قوصون وبقيموه كبيرًا لهم أو يخرجه إلى حيث يختار ويقيموا سلطانًا أو ينتظروا أحمد فلم يوافقهم أرقطاي على ذلك لعفته عن سفك الدماء.

فلما أعيا الطنبغا أمره سارا نحو القاهرة حتى وافيا أيدغمش وهو واقف تحت القلعة بأصحابه فأقبل أيدغمش عليهما وعانقهما وأمرهما أن يطلعا إلى القلعة فطلعا.

ثم أرسل أيدغمش الأمير قازان والأمير آق سنقر خلف برزبغا وتلجك ومن معهما.

وجلس أيدغمش مع ثقاته من الأمراء وقرر معهم تسفير قوصون في الليل إلى الإسكندرية والقبض على الطنبغا الصالحي نائب الشام وعلى أرقطاي نائب طرابلس ومن يلوذ بهما من الغد - فكان كذلك وقبض عليهم - وتسفير الأمير بيبرس الأحمدى والأمير جنكلي بن البابا لإحضار السلطان الملك الناصر أحمد من الكرك.

ثم أخرج الأمير قوصون من سجنه بقلعة الجبل في ليلة الخميس مع مائة فارس حتى أوصلوه إلى النيل وركب البحر ومضى به إلى الإسكندرية فسجن بها على ما سيأتي ذكره.

وأما ما نهب لقوصون في هذه الحركة فشيء كثير فإنه كان في حواصله من الذهب النقد أربعمئة ألف دينار عين في أكياس ومن الحوائص الذهب والكلفات الزركش والأواني فشيء لا ينحصر وثلاثة أكياس أطلس فيها فصوص وجواهر ثمينة بما ينيف على مائة ألف دينار ومائة وثمانون زوج بسط منها ما طوله أربعون ذراعًا وثلاثون ذراعًا كلها من عمل الروم وأمد وشيراز وستة عشر زوجا من عمل الشريف بمصر وأربعة أزواج بسط حبر لا يقوم عليها لحسنها فأنحط سعر الذهب من كثرة ما نهب لقوصون حتى صرف بأحد عشر درهماً الدينار مما صار وكثر في أيدي الناس بعدما كان الدينار بعشرين درهماً ولأن أيدغمش نادى بعد ذلك بالقاهرة ومصر أن من أحضر من العامة ذهبًا لتاجر أو صيرفي أو متعيش يقبض عليه ويحضر به إلى أيدغمش فكان من معه منهم ذهب يأخذ فيه ما يدفع إليه من غير توقف فرخص سعر الذهب لذلك.

وكثرت مرافعات الناس بعضهم لبعض فيما نهب فجمع أيدغمش شيئًا كثيرًا من ذلك فإن العامة يوم نهب إسطنبول قوصون أخذوا من قصره حتى سقوفه وأبوابه ورخامه وتركوه خرابًا ثم مضوا إلى خانقته بباب القرافة فمنعهم صوفيتها من النهب فما زالت العامة تقائلهم حتى فتحوها ونهبوا جميع ما فيها حتى سلبوا الرجال والنساء ثيابهم فلم يدعوا لأحد شيئًا وقطعوا بسطها وكسروا رخامها وأخربوا بركتها وأخذوا الشبابيك وخشب السقوف والمصاحف وشعثوا الجدر.

ثم مضوا إلى بيوت ممالك قوصون وهم في حشد عظيم فنهبوا وخربوها وما حولها وتتبعوا حواشي قوصون بالقاهرة والحكورة وبولاق والزربية وبركة قرموط وباعت العامة السقوف والأواني بأخس الأثمان وصارت العامة إذا أرادوا نهب أحد قالوا: هذا قوصوني فيذهب في الحال جميع ماله.

وزادت الأوباش في ذلك حتى خرجوا عن الحد.

ويشمل الخوف كل أحد فقام الأمراء على أيدغمش وأنكروا عليه تمكين العامة من النهب فأمر لسبعة من الأمراء فنزلوا إلى القاهرة والعامة مجتمعة على باب الصالحية في نهب بيت القاضي الغوري الحنفي فقبضوا على عدة منهم وضربوهم بالمقارع وشهروهم فأنكفوا عن نهب الناس.

انتهى.

وأما

▲ أصل قوصون

وأتصّاله بالملك الناصر محمد بن قلاوون حتى صار ساقيه أعظم مماليكه هو وبكتمر الساقى فإن قوصون كان ممن حضر إلى الديار المصرية من بلاد الترك صحبة خوند بنت أربك خان التي تزوجها الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو غير مملوك.

فلما كان في بعض الأيام طلع قوصون إلى القلعة في خدمة بعض التجار فرآه السلطان الملك الناصر فأعجبه فقال للتاجر: لأي شيء ما تبعني هذا المملوك فقال التاجر: هذا ما هو مملوك فقال الملك الناصر: لا بد أن أشتريه ووزن ثمنه مبلغ ثمانية آلاف درهم وجهز الثمن إلى أخيه صوصون إلى البلاد.

ثم أنشأه الملك الناصر وجعله ساقياً ثم رقاها حتى جعله أميراً مائة ومقدم ألف وعظم عند الملك الناصر وحظي عنده وزوجه بابنته وهي ثمانية بنت زوجها الملك الناصر لمماليكه في سنة سبع وعشرين وسبعماية وكان له عرس حفل احتفل به الملك الناصر وحمل الأمراء التقادم إليه فكان جملة التقادم خمسين ألف دينار.

ولما كان يقع بينه وبين بكتمر الساقى منافسة يقول قوصون: أنا ما تنقلت من الإسطبلات إلى الطبايق بل اشتراي السلطان وجعلني خاصكياً مقرباً عنده دفعة واحدة فكان الملك الناصر يتنوع في الإنعام على قوصون حتى قيل إنه دفع إليه مرة مفتاح زردخانات الأمير بكتمر الساقى بعد موته وقيمتها ستمائة ألف دينار قاله الشيخ صلاح الدين الصفدي في تاريخه.

ثم تزايد أمر قوصون حتى وقع له ما حكيناه.

واستمر قوصون بسجن الإسكندرية هو وألطنبغا الصالحي نائب الشام وغيرهما حتى حضر الملك الناصر أحمد من الكرك وجلس على كرسي الملك بقلعة الجبل حسب ما يأتي ذكره.

واتفقت آراء الأمراء على قتل قوصون فجهزوا لقتله شهاب الدين أحمد بن صبح إلى الإسكندرية فتوجه إليها وخنق قوصون وألطنبغا نائب الشام وغيرهما في شوال سنة اثنتين وأربعين وقيل في ذي القعدة على ما يأتي بيان ذلك في وقته.

وخلف قوصون عدة أولاد من بنت أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون.

وكان أميراً جليلاً كريماً خيراً شجاعاً وكان يعطي العطايا الهائلة وكان إذا ركب للصيد في أيام أستاذه يركب في خدمته ثلث عسكر مصر وكان يركب قدامه بالقاهرة مائة نقيب وكان أخوه صوصون أميراً مائة ومقدم ألف بالديار المصرية وقيل أمير طلبخاناه.

وكان وقع بين قوصون وبين تنكز نائب الشام فلما قبض على تنكز وحمل إلى القاهرة ما عامله قوصون إلا بكل خير.

ولما أمسك قوصون وقتل قال فيه الصلاح الصفدي: قوصون قد كانت له رتبة تسمو على بدر السما الزاهر فحطه في القيد أيدغمش من شاهر عال على الطائر ولم يجد من ذله حاجباً فأين عين الملك الناصر وقال في قوصون وفي واقعه عدة من الشعراء من الشعر والبلاليق والأزجال.

وعملت الحلوانية مثاله في حلاوة العلاليق فقال في ذلك جمال الدين إبراهيم الأديب المعمار: شخص قوصون رأينا في العلاليق مسمر فعجبنا منه لما جاء في التسمير سكر ولبعض عوام مصر قصيدة " كان وكان " أولها: من الكرك جانا الناصر وجب معه أسد

الغايه ووقعتك يا أمير قوصون ما كانت إلا كدابه وأشياء غير ذلك وقد خرجنا عن المقصود ولنرجع إلى ذكر أيدغمش وما فعله بمصر.

وأما أيدغمش فإنه آستمر مدير الديار المصرية وقام بأمر السلطان الملك الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون وجمع الأمراء وخلع الملك الأشرف علاء الدين كجك ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون من الملك في يوم الخميس أول شعبان من سنة اثنتين وأربعين وسبعمئة.

فكانت مدة سلطنته على مصر خمسة أشهر وعشرة أيام ولم يكن له فيها من السلطنة إلا مجرد الاسم فقط وليس له من الأمر شيء وذلك لصغر سنه.

وكان المتصرف في المملكة في سلطنته الأمير قوصون.

وكانت إذا حضرت العلامة أعطى قوصون الأشرف كجك في يده قلمًا وجاء الفقيه الذي يقرئه القرآن فيكتب العلامة والقلم في يد الأشرف كجك.

واستمر الأشرف كجك بعد خلعه من السلطنة في الدور السلطانية تحت كنف والدته وهو ووالدته في ذل وصغار وهوان مع من تسلطن من إخوته لا سيما مع أم الملك الصالح إسماعيل فكانت في كل قليل إذا توعك ولدها الملك الصالح إسماعيل وكان كثير الضعف تتهم المذكورة أنها تتعمد له بالسحر وتأخذ جواربها وحواشيها وتعاقبهم وأخذت منها جملة مستكثرة فدامت على هذا مدة سلطنة الملك الصالح حتى نزل مرة إلى سرحة سرياقوس وبعث دس عليه أربعة خدام طواشية فقتلوه على فراشه سنة ست وأربعين وسبعمئة وله اثنتا عشرة سنة.

سلطنة الملك الناصر أحمد السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد ابن السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد ابن.

السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون.

تسلطن بعد خلع أخيه الأشرف كجك وكان بويع بالسلطنة قبل خلع كجك أيضًا وهو بقلعة الكرك حسب ما ذكرناه في واقعة قطلوبغا الفخري مع أطنبغا الصالحي نائب الشام.

وأم الملك الناصر هذا كان آسمها بياض كانت تجيد الغناء وكانت من عتقاء الأمير بهادر أص رأس نوبة وكانت تعرف بقومة وكان للناس بها اجتماعات في مجالس أنسهم.

فلما بلغ السلطان الملك الناصر خبرها طلبها وأختص بها وحظيت عنده فولدت أحمد هذا على فراشه.

ثم تزوجها بعد ذلك الأمير ملكتمر السرجواني في حياة الملك الناصر محمد.

انتهى.

قلت: والملك الناصر أحمد هذا هو الخامس عشر من ملوك الترك بالديار المصرية والثالث من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون.

والآن نذكر ما وقع بالديار المصرية بعد خلع الأشرف كجك إلى حين دخول الملك الناصر هذا إليها من الكرك.

ولما قبض أيدغمش على قوصون وخلع الملك الأشرف كجك من السلطنة حسب ما تقدم ذكره بعث بالأمير جنكلي بن البابا والأمير بيبرس الأحمد والأمير قماري أمير شكار إلى الملك الناصر أحمد بالكرك وعلى يدهم كتب الأمراء يخبرونه بما وقع ويستدعونه إلى تخت ملكه.

ثم جلس الأمير سيف الدين أيدغمش والأمير الطنبغا المارداني والأمير بهادر الدمرداشي والأمير يلغا اليحياوي وأستدعوا الأمراء فلما حضروا أمر أيدغمش بالقبض على الطنبغا الصالحي الناصري نائب الشام وعلى الأمير أرقطاي نائب طرابلس وسجنا بقلعة الجبل وأمسكوا بعدهما سبعة أمراء آخر من أمراء الطبلخاناه والأمير قياتمر أحد مقدمي الألوفا وجركتمر بن بهادر أيضًا من مقدمي الألوفا وعدة أمراء آخر حتى كانت عدة من قبض عليه من الأمراء في هذا اليوم خمسة وعشرين أميرًا.

ثم كتب الأمير أيدغمش إلى الأمير قطلوبغا الفخري يعرفه بما وقع ويحرضه على الحضور صحبة السلطان الملك الناصر أحمد.

ثم طلب أيدغمش جمال الدين يوسف والي الجزيرة وخلع عليه بولاية القاهرة فنزل إلى القاهرة فإذا بالعامه في نهب بيوت ممالك قوصون قبض على عشرين منهم وضربهم بالمقارع وسجنهم بعدما شهرهم فأجتمت الغوغاء ووقفوا لأيدغمش وصاحوا عليه: وليت على الناس واحد قوصوني ما يخلي منا واحدًا! وعرفوه ما وقع فبعث الأوجاقية في طلبه فوجدوه بالصليبية يريد القلعة فصاحت عليه الغوغاء: قوصوني! يا غيرية على الملك الناصر ورجموه من كل جهة.

فقامت الجبلية والأوجاقية في ردهم فلم يطيقوا ذلك وجرت بينهم الدماء فهرب الوالي إلى إسطلب الطنبغا المارداني وحمته ممالك الطنبغا من العامة فطلب أيدغمش الغوغاء وخيرهم فيمن يلي فقالوا: نجم الدين الذي كان ولي قبل ابن المحسني فطلبه وخلع عليه فصاحوا: بحياة الملك الصالح الناصر! اعزل عنا ابن رخيمة المقدم وحمامص رفيقه فأذن لهم في نهبهما فتسارع نحو الألف منهم إلى دار ابن رخيمة بجانب بيت الأمير كوكاي فنهبوه ونهبوا بيت رفيقه ثم أنكفوا عن الناس.

وفي يوم الجمعة ثاني شعبان دعى على منابر مصر والقاهرة للسلطان الملك الناصر أحمد.

وفي يوم الإثنين خامسه تجمعت العامة بسوق الخيل ومعهم رايات صفر وتصايحوا بالأمير أيدغمش: "زودنا لنروح إلى أستاذنا الملك الناصر ونجىء صحبته فكتب لهم مرسومًا بالإقامة والرواتب في كل منزلة وتوجهوا مسافرين من الغد.

وفي يوم الأربعاء سابع شعبان وصل الأمراء من سجن الإسكندرية الذين كان سجنهم قوصون حتى أفرج عنهم أيدغمش وهم الأمير ملكتمر الحجازي وقطليجا الحموي وأربعة وخمسون نفرًا من الممالك الناصرية.

وكان قوصون لما دخل إلى الإسكندرية مقيدًا وافوه هؤلاء بعد أن أطلقوا فسلموا عليه سلام شامت فبكى قوصون وأعتذر لهم بما صدر منه في حقهم.

وعندما قدموا إلى ساحل مصر ركب الأمراء إلى لقائهم وخرجت الناس لرؤيتهم فكان لقدمهم يوم مشهود حتى طلغوا إلى القلعة فتلقت خوند الحجازية بنت السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون زوجها ملكتمر الحجازي بخدامها وجواربها ومغانبها تضرب بالدفوف والشبابات فرحًا به.

ومعها أختها زوجة بشتك تساعدها بالفرح وهي شامته بقوصون لكونه قتل زوجها بشتك
الناصرى قبل تاريخه هذا.

وأختها بنت الملك الناصر الأخرى زوجة قوصون بجانبها في عويل وبكاء وصياح ولطم
على قوصون.

وقد أفرق جوارى الملك الناصر وأولاده فرقتين فرقة مع الحجازية وفرقة مع القوصونية
والعجب أن هذا الفرع والعزاء كان قبل ذلك بالعكس فكان العزاء إذ ذاك في بيت
الحجازي والفرح في بيت قوصون والآن العزاء في بيت قوصون والفرح في بيت
الحجازي وزوجة بشتك وإن كان وما من حبه أحنو عليه ولكن بغض قوم آخرين فأنظر
إلى هذا الدهر وتقلبته بأسرع وقت من حال إلى حال فنعود بالله من زوال النعم.

ثم قدم بعد ذلك كتب الأمراء المتوجهين إلى الكرك لإحضار الملك الناصر بأنهم لما قربوا
من الكرك بعث كل منهم مملوكه يعرف السلطان الملك الناصر بحضورهم إلى الكرك
فبعث إليهم الملك الناصر رجلاً نصرانياً من نصارى الكرك يقول: " يا أمراء السلطان
يقول لكم: إن كان معكم كتب فهاتوها أو مشافهة فقولوها " فدفعت الكتب إلى
النصراني فمضى بها ثم عاد من آخر النهار بكتاب مختوم وقال عن السلطان: " سلم
على الأمراء وعرفهم أن يقيموا بغزة حتى يرد عليهم ما يعتمدوه ".

وحضر مملوك من قبله يأمر الأمير قماري بالإقامة على ناحية صافيتا ثم بعث إلى الأمراء
بخاتم وكتاب يتضمن إقامتهم على غزة والاعتذار عن لقائهم فعاد جنكلي والأحمدي إلى
غزة وتوجه قماري إلى ناحية صافيتا.

فلما وقف الأمير أيدغمش على ذلك كتب من فوره إلى الأمير قطلوبغا الفخري يسأله أن
يصحب السلطان الملك الناصر في قدومه إلى مصر ليجلس على تخت ملكه.

ثم كتب أيدغمش للأمراء بغزة بالإقامة بها في انتظار السلطان وعرفهم بمكاتبة الفخري.

وأخذ أيدغمش في تجهيز أمور السلطنة وأشاع قدوم السلطان خوفاً من إشاعة ما عامل
الناصر أحمد به الأمراء فيفسد عليه ما دبره.

فلما قدم البريد بكتاب أيدغمش إلى دمشق وافى قدوم كتاب السلطان أيضاً من الكرك
يتضمن القبض على طرنتاي البجمقدار والأمير طينال وحمل مالهم إلى الكرك.

وكان قطلوبغا الفخري قد ولى طينال نيابة طرابلس وطرنتاي نيابة حمص فأعذر
الفخري بأن طينال في شغل بحركة الفرنج وأشار عليه بالألا يحرك ساكناً في هذا الوقت
وسأله سرعة حضور السلطان ليسيير بالعساكر في ركابه إلى مصر وأكثر الفخري من
مصادرة الناس بدمشق.

ثم قدم الأمير طشتمر الساقى المعروف بحمص أخضر نائب حلب كان من بلاد الروم
إلى الشام فتلقاه الفخري وأنزله في مكان يليق به وكان في كتاب الناصر أنه لا يخرج
من الكرك حتى يحضر الأمير طشتمر من بلاد الروم فكتب الفخري بحضوره إلى الناصر
وأنه يسرع في مجيئه إلى دمشق.

وأخذ الفخري أيضاً في تجهيز ما يحتاج السلطان إليه وفي ظنه أن السلطان يسير إليه
بدمشق فيركب في خدمته بالعساكر إلى مصر فلم يشعر الفخري إلا وكتاب السلطان قد
ورد عليه مع بعض الكركيين يتضمن أنه يركب من دمشق ليجتمع مع السلطان على غزة

فشق ذلك عليه وسار من دمشق بعساكرها ويمن آستخدمه حتى قدم غزة في عدة كبيرة فتلقاه الأمير جنكلي والأحمدي وقماري أمير شكار.

وأما أمر الديار المصرية فإن الأميرين يلغا اليحياوي وملكتهم الحجازي تفاوضا في الكلام حتى بلغا إلى المخاصمة وصار لكل منهما طائفة ولبسوا آلة الحرب.

فتجمعت الغوغاء تحت القلعة لنهب بيوت من عساه ينكسر من الأمراء فلم يزل الأمير أيدغمش بالأمراء حتى انكفوا عن القتال وبعث إلى العامة عدة من الأوجاقية فقبضوا على جماعة منهم وأودعهم بالسجن.

ثم في يوم الخميس سابع شهر رمضان قدم أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون من قوص إلى القاهرة وعدتهم ستة فركب الأمراء إلى لقائهم وهرعت العامة إليهم.

فخرجوا من الحراقة وركبوا الخيول إلى القرافة حتى جاؤوا تربة جركتمر فصاحت العامة: " هذه تربة الذي قتل أستاذنا الملك المنصور " وهجموها وأخذوا ما فيها وأخربوها حتى صارت كوم تراب.

فلما وصل أولاد السلطان تحت القلعة وافاهم الأمير جمال الدين يوسف والي القاهرة كان فنزل وقبل ركبة رمضان ابن الملك الناصر فرفسه برجله وسبه وقال له: أنتسى ونحن في الحراقة عند توجهنا إلى قوص وقد طلبنا مأكلاً من الجيزة فقلت خذوهم وروحوا إلى لعنة الله ما عندنا شيء! فصاحت بهم العامة: بالله مكننا من نهبه هذا قوصوني! فأشار بيده أن انهبوا بيته فتسارعوا في الحال إلى بيته المجاور لجامع الظاهر بالحسينية حتى صاروا منه إلى باب الفتوح فقامت إخوته ومن يلوذ به في دفع العامة بالسلاح وبعث الأمير أيدغمش أيضاً لجماعة ليردوهم عن النهب وخرج إليهم نجم الدين والي القاهرة وقد تقائل القوم حتى كفهم عن القتال فكان ثم قدم الخبر من غزة بقدم الفخري وطقزدمر إلى غزة واجتماعهم مع جنكلي والأحمدي وقماري وهم في انتظار السلطان وأن الأمير أيدغمش يحلف جميع أمراء مصر وعساكرها للملك الناصر على العادة.

فجمعوا بالميدان فأخرجت نسخة اليمين المحضرة فإذا هي تتضمن الحلف للسلطان ثم للأمير قطلوبغا الفخري.

فتوقف الأمراء عن الحلف لقطلوبغا الفخري حتى آبتدأ الأمير أيدغمش فحلف فتبعه الجميع خوفاً من وقوع الفتنة.

وأما أمر الفخري والأمراء فإنهم لما وصلوا إلى غزة جمع لهم نائبيها آق سنقر الإقامة من الشعير والغنم.

ثم كتب الأمراء جميعاً إلى الملك الناصر بقدمهم إلى غزة وعرفوه بذلك وآستحثوه على سرعة الحضور صحبة مماليكهم والأمير قماري أمير شكار.

فساروا إلى الكرك وكان قد سبقهم إلى الكرك الأمير يحيي بن طايبرغا صهر الأمير أيدغمش يستخذ الملك الناصر أيضاً على المسير إلى مصر.

فأقاموا جميعاً ثلاثة أيام لم يؤذن لهم في دخول المدينة.

ثم أتاهم كاتب نصراني وبازدار يقال له أبو بكر ويوسف بن النصال وهؤلاء الثلاثة هم خاصة الملك الناصر أحمد من أهل الكرك فسلموا عليهم وطلبوا ما معهم من الكتب.

فشق ذلك على الأمير قماري وقال لهم: معنا مشافهات من الأمراء للسلطان لا بد من الاجتماع به فقالوا: لا يمكن الاجتماع به.

وقد رسم إن كان معكم كتاب أو مشافهة فأعلمونا بها فلم يجدوا بدًا من دفع الكتب إليهم وأقاموا إلى غد فجاءتهم كتب مختومة وقيل للأمير يحيى بن طايربغا: اذهب إلى عند الأمراء بغزة فساروا عائدين إلى غزة فإذا في الكتب الثناء على الأمراء وأن يتوجهوا إلى مصر فإن السلطان يقصد مصر بمفرده.

فتغيرت خواطر الأمراء وقالوا وطالوا وخرج الفخري عن الحد وأفرط به الغضب وعزم على الخلاف.

فركب إليه طشتمر حمص أخضر والأمير جنكلي ابن البابا والأمير بيبرس الأحمدى وما زالوا به حتى كف عما عزم عليه ووافق على المسير.

وكتبوا بما كان من ذلك إلى الأمير أيدغمش وتوجهوا جميعًا من غزة يريدون مصر.

وكان أيدغمش قد بعث ابنه بالخيل الخاص إلى السلطان فلما وصل إلى الكرك أرسل السلطان من أخذ منه الخيل ورسم بعوده إلى أبيه.

وأخرج السلطان رجلًا من الكرك يعرف بأبي بكر البازدار ومعه رجلان ليبشروا بقدمه فوصلوا إلى الأمير أيدغمش في يوم الإثنين خامس عشرينه وبلغوه سلام السلطان وعرفوه أنه كان قد ركب الهجن وسار على البرية صحبة العرب وأنه يصاح أو يماسي فخلع عليهم وبعث بهم إلى الأمراء فأعطاهم كل أمير من الأمراء المقدمين خمسة آلاف درهم وأعطاهم بقية الأمراء على قدر حالهم وخرج العامة إلى لقاء السلطان.

فلما كان يوم الأربعاء سابع عشرين شهر رمضان قدم قاصد السلطان إلى الأمير أيدغمش بأن السلطان يأتي ليلاً من باب القرافة وأمر أن يفتح له باب السر حتى يعبر منه ففتحه وجلس أيدغمش وألطنبغا المارداني حتى مضى جانب من ليلة الخميس ثامن عشرينه أقبل السلطان في الليل في نحو العشرة رجال من أهل الكرك وقد تلثم وعليه ثياب مفرجة فتلقوه وسلموا عليه فلم يقف معهم وأخذ جماعته ودخل بهم.

ورجع الأمراء وهم يعجبون من أمره وأصبحوا وقد دقت البشائر بالقلعة وزينت القاهرة ومصر.

واستدعى السلطان أيدغمش في بكرة يوم الجمعة فدخل عليه وقبل له الأرض.

فاستدناه وطيب خاطره وقال له: ما كنت أطلع إلى الملك وكنت قانعًا بذلك المكان فلما سيرتم في طلبي ما أمكنني إلا أن أحضر كما رسمتم فقام أيدغمش وقبل الأرض ثانيًا ثم كتب عن السلطان إلى الأمراء الشاميين يعرفهم بقدمه إلى مصر وأنه في انتظارهم وكتب علامته بين الأسطر: المملوك أحمد بن محمد.

وكتب إليهم أيدغمش كتابًا وخرج مملوكه بذلك على البريد فلقبهم على الوراثة فلم يعجبهم هيئة عبور السلطان إلى مصر وكتبوا إلى أيدغمش أن يخرج إليهم هو والأمراء إلى سرباقوس ليتفقوا على ما يفعلوه.

فلما كان يوم عيد الفطر منع السلطان الأمراء من طلوع القلعة ورسم لكل أمير أن يعمل سماطه في داره ولم ينزل السلطان لصلاة العيد وأمر الطواشي عنبر السحرتي مقدم المماليك ونائبه الطواشي الإسماعيلي أن يجلسا على باب القلعة ويمنعا من يدخل عليه وخلا بنفسه مع الكركيين: وكان الحاج علي إخوان سلار إذا أتى بطعام للسلطان على عادته خرج إليه يوسف وأبو بكر البازدار وأطعماه ششني الطعام وتسلما السماط منه وعبرا به إلى السلطان ويقف الحافي علي إخوان سلار بمن معه حتى يخرج إليهم الماعون.

وحكى الرئيس جمال الدين بن المغربي رئيس الأطباء أن السلطان آستدعاه وقد عرض له وجع في رأسه فوجده جالسًا وبجانبه شاب من أهل الكرك جالس وبقيه الكركيين قيام فوصف له ما يلائمه وتردد إليه يومين وهو على هذه الهيئة.

انتهى.

ثم في يوم الأحد تاسع شوال قدم الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخري والأمير طشتمر الساقى حمص أخضر وجميع أمراء الشام وقضاتها والوزراء ونواب القلاع في عالم كبير حتى سدوا الأفق ونزل كثير منهم تحت القلعة في الخيم.

وكان خرج إلى لقائهم الأمير أيدغمش والحاج آل ملك والجاولي وألطنبغا المارداني وغيرهم.

وأخذ الفخري يتحدث مع أيدغمش فيما عمله السلطان من قدومه في زي العربان واختصاصه بالكركيين وإقامة أبي بكر البازدار حاجبه.

وأنكر أيدغمش ذلك على السلطان غاية الإنكار وطلب من الأمراء موافقته على خلعه ورده إلى مكانه فلم يمكنه طشتمر حمص أخضر من ذلك وساعده الأمراء أيضًا وما زالوا به حتى أعرض عما هم به ووافق الأمراء على طاعته.

فلما كان يوم الإثنين عاشره لبس السلطان شعار السلطنة وجلس على تخت الملك.

وحضر الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد وقضاة مصر الأربعة وقضاة دمشق الأربعة وجميع الأمراء والمقدمين.

وبايعه الخليفة بالسلطنة وقبلوا الأرض بين يديه على العادة.

ثم قام السلطان على قدميه فتقدم الأمراء وباسوا يده واحدًا بعد واحد على قدر مراتبهم.

وجاء الخليفة بعدهم وقضاة القضاة ما عدا القاضي حسام الدين الغوري الحنفي: فإنه لما طلع مع القضاة وجلسوا بجامع القلعة حتى يؤذن لهم على العادة جمع عليه بعض صبيان المطبخ جمعًا من الأوباش لحقد كان في نفسه منه عندما تحاكم هو وزوجته عنده قبل ذلك فأهانته القاضي المذكور فلما وجد الطباخ الفرصة هجم عليه بأوباشه ومد يده إلى الغوري من بين القضاة وأقاموه وحرقوا عمامته في حلقه وقطعوا ثيابه وهم يصيحون: يا قوصوني! ثم ضربوه بالنعال ضربًا مبرحًا وقالوا له: يا كافر يا فاسق! فأرتجت القلعة وأقبل علم دار حتى خلصه منهم وهو يستغيث: يا مسلمين! كيف يجري هذا على قاض من قضاة المسلمين.

فأخذ المماليك جماعة من تلك الأوباش وجروهم إلى الأمير أيدغمش فضربهم وبعث طائفة من الأوجاقية ساروا بالغوري إلى منزله ولم يحضر الموكب.

وئارت العامة على بيته بالمدرسة الصالحة ونهبوه فكان يومًا شنيعًا.

ثم في يوم الخميس ثالث عشره عمل السلطان موكبًا آخر وخلع على سائر الأمراء قاطبة وأنعم على الأمير طشتمر حمص أخضر بعشرة آلاف دينار وعلى الأمير قطلوبغا الفخري بما حضر معه من البلاد الشامية وهو أربعة آلاف دينار ومائة ألف درهم فضة.

ونزل في موكب عظيم بمن حضر صحبتته من أمراء البلاد الشامية وهم الأمير سنجر الجمقدار وتمر الساقى وطرنطاي البجمقدار وأقبغا عبد الواحد وتمر الموسوي وابن قراسنقر وأسنبغا بن البوبكري وبكتمر العلائي وأصلم نائب صفد.

ثم طلب السلطان الوزير نجم الدين ورسم له أن يكون يوسف البازدار رفيقه مقدمي البازدارية ومقدمي الدولة وخلع السلطان عليهما كلفتاه زركش وأقبية طردوحش بحوائض ذهب فحكما مصر في الدولة وتكبرا على الناس وسارا فيهم بحمق زائد أو صارا لا ياتمران بأمر الوزير ويمضيان ما أحبا.

ثم في يوم السبت خامس عشره خلع على الأمير طشتمر الساقى حمص أخضر بأستقراره في نيابة السلطنة بالديار المصرية فتوجه بخلعته وياشر النيابة وجلس والحجاب قيام بين يديه والأمراء في خدمته.

وفي يوم الإثنين سابع عشره أخرج السلطان عبد المؤمن بن عبد الوهاب السلامي والي قوص من السجن ورسم بتسميره فسمر على باب البيمارستان المنصوري بمسامير جافية شنيعة وطيف به مدة ستة أيام وهو يحادث الناس في الليل بأخباره ومما حدثهم به أنه هو الذي كان وثب على النشو ناظر الخاص وضربه بالسيف حسب ما ذكرناه في ترجمة الملك الناصر محمد بن قلاوون من أمر النشو وأنه لما سقطت عمامته عن رأسه ظنها رأسه.

وكان إذا قيل له: اصبر يا عبد المؤمن يقول: " أسأل الله الصبر " وينشد كثيرًا قوله: يبكى علينا ولا نبكي على أحد لنحن أغلظ أكبادًا من الإبل وكان السبب لقتله ومثلته هذه أنه قتل الملك المنصور أبا بكر بن الناصر محمد بقوص بأمر قوصون.

ثم شنق عبد المؤمن بعد ذلك في يوم السبت ثاني عشرين شوال على قنطرة السد ظاهر مدينة مصر عند الكيمان وأكلته الكلاب.

ثم قبض السلطان على أحد وعشرين أميرًا وأخرجهم إلى الإسكندرية صحبة الأمير طشتمر طلليه.

ثم في الخميس سابع عشرينه خلع على الأمير الحاج آل ملك بنيابة حماة عوضًا عن طقزدمر لحموي وعلى بيبرس الأحمدى وأستقر في نيابة صفد عوضًا عن أصلم الناصري وعلى آق سنقر وأستقر نائب غزة على عادته.

وفي مستهل ذي القعدة خلع على الأمير قطلوبغا الفخري بنيابة دمشق وعلى الأمير أيدغمش أمير أخور بنيابة حلب.

ثم في يوم الثلاثاء ثانيه آستقر قماري أمير شكار أمير آخور عوضًا عن أيدغمش واستقر أحمد شاد الشربخانا أمير شكار واستقر أقبغا عبد الواحد في نيابة حمص.

ثم أنعم السلطان علي الأمير زين الدين قراجا بن دلغادر بإنعامات كثيرة وكتب له بالإمرة على التركمان ونيابة أبلستين.

وفي يوم الأحد سابع ذي القعدة خرج الأمير أيدغمش متوجهًا إلى نيابة حلب.

وفي يوم الإثنين خامس عشره خرج الأمير قطلوبغا الفخري متوجهًا إلى نيابة دمشق ومعه من تأخر من عساكر الشام.

وخرج الأمير طشتمر حمص أخضر نائب السلطنة بالقاهرة لوداعه وجميع الأمراء ومد له سماطًا عظيمًا.

ولما توجه الفخري وأيدغمش وغيرهما من الديار المصرية وبقي الأمير طشتمر الساقى حمص أخضر نائب السلطنة بالقاهرة قبض عليه السلطان بعد خروج الفخري بخمسة أيام وذلك في يوم السبت العشرين من ذي القعدة.

وسبب القبض على طشتمر أنه بقي يعارض السلطان بحيث إنه كان يرد مراسيمه ويتعاضم على الأمراء والأجناد تعاضمًا زائدًا وكان إذا شفيع عنده أحد من الأمراء في شفاعه لا يقبلها وكان لا يقف لأمر إذا دخل عليه وإذا أتته قصة عليها علامة السلطان بإقطاع أو غيره أخذ ذلك وطرد من هي بأسمه وأخرق به.

وقرر طشتمر مع السلطان أنه لا يمضي من المراسيم إلا ما يختاره ورسم للحاجب ألا يقدم أحد قصة للسلطان إلا أن يكون حاضرًا فلم يتجاسر أحد أن يقدم قصة للسلطان في غيبته.

وأخذ إقطاع الأمير بيبرس الأحمدى وتقدمته لولده فكرهته الناس.

وصارت أرباب الدولة وأصحاب الأشغال كلها في بابه وتقربوا إليه بالهدايا والتحف.

وانفرد بتدبير الملك وحط على الكركيين و قصد منعهم من الدخول على السلطان فلم يتهيا له ذلك.

وكان ناصر الدين المعروف بفار السقوف قد توصل إلى الكركيين حتى استقر إمام السلطان يصلى به الخمس وصار كذلك ناظر المشهد النفيسى عوضًا عن تقي الدين علي بن القسطلاني خطيب جامع عمرو وجامع القلعة وخلع عليه السلطان بغير علم طشتمر النائب فبعث إليه طشتمر عدة نقباء ونزع الخلعة من عليه وسلمه إلى المقدم إبراهيم بن صابر وأمر بضربه وإلزامه بحمل مائة ألف درهم فضربه ابن صابر ضربًا مبرحًا واستخرج منه أربعين ألف درهم.

ثم أفرج عنه بشفاعه أيدغمش والفخري فيه بعدما أشهد عليه أنه لا يطلع القلعة.

ثم أخذ قصير معين من مباشري قوصون وأحاط بما فيه من القنود والأعسال والسكر وغير ذلك.

فعظم ما فعله على السلطان وعلى الأمراء فإنه خرج عن الحد إلى أن قرر السلطان مع مقدم المماليك عنبر السحرتي والأمير آق سنقر السلاري في القبض على طشتمر وعلى قطلوبغا الفخري وأن يستدعي ممالكك بشتك وقوصون وينزلهم بالأطباق من القلعة ويعطيهم إقطاعات بالحلقة ليصيروا من جملة ممالكك السلطان خوفًا من حركة طشتمر النائب.

ثم رتب السلطان عنده ممالكك بداخل القصر للقبض على طشتمر أيضًا.

وكان مما جدد طشتمر في نيابته أن منع الأمراء أن تدخل ممالكها إلى القصر وبسط من باب القصر بساطًا إلى داخله كما كان في الأيام الناصرية فصار الأمير لا يدخل إلى القصر إلا بمفرده فكان ما دبره عليه.

ثم دخل هو أيضًا بمفرده ومعه ولداه إلى القصر وجلس على السماط على العادة فعندما رفع السماط قبض كشلبي السلاح دار أحد المماليك السلطانية وكان معروفًا بالقوة على كتفيه من خلف ظهره قبضًا عنيفًا ثم بدر إليه جماعة من المماليك وأخذوا سيفه وقيدوه وقيموا ولديه ونزل أمير مسعود الحاجب في عدة من المماليك السلطانية فأوقع الحوطة على بيته وأخذ ممالكك فسجنهم.

ثم خرج في الحال ساعة القبض على طشتمر الأمير الطنبغا المارداني والأمير أرنبغا أمير سلاح ومعهما من أمراء الطبلخاناه والعشرات نحو خمسة عشر أميرًا ومعهم أيضًا من المماليك السلطانية وغيرهم ألف فارس وتوجهوا ليقبضوا على الأمير قطلوبغا الفخري.

وكتب السلطان للأمير آق سنقر الناصري نائب غزة بالركوب معهم بعسكره وجميع من عنده ومن هو في معاملته.

وكان الفخري قد ركب من الصالحية فبلغه مسك طشتمر ومسير العسكر إليه من هجان بعث به إليه بعض ثقاته فساق إلى قطيا وأكل بها شيئًا ثم رحل مسرعًا حتى دخل العريش فإذا آق سنقر بعسكره في انتظاره على الزعقة وكان ذلك وقت الغروب فوقف كل منهما تجاه صاحبه حتى أظلم الليل فسار الفخري بمن معه وهم ستون فارسًا على البرية.

فلما أصبح آق سنقر علم أن الفخري فاته ومال أصحابه على أثقال الفخري فنهبها وعادوا إلى غزة.

واستمر الفخري سائرًا ليلته ومن الغد حتى آتت نصف النهار وهو سائق فلم يتأخر معه إلا سبعة فرسان ومبلغ أربعة آلاف وخمسمائة دينار وقد وصل بينى وعليها الأمير أيدغمش وهو نازل فترامى عليه الفخري وعرفه بما جرى وأنه قطع خمسة عشر بربدًا في مسيرة يوم واحد.

فطيب أيدغمش خاطره وأنزله في خيمة وقام له بما يليق به.

فلما جنه الليل أمر به فقيده وهو نائم وكتب بذلك إلى السلطان مع بكا الخصري.

وكان السلطان لما بلغه هروب الفخري تنكر على الأمراء وأتهمهم بالمخامرة عليه وهم في يوم الإثنين أن يمسيكهم فتأخر عن الخدمة الجاولي في يوم الإثنين المذكور وهو تاسع عشرين ذي القعدة وتأخر معه جماعة كبيرة.

فلما كان وقت الظهر بعث لكل أمير طائر إوز مشوي وسأل عنهم ثم بعث إليهم آخر النهار أن يطلعوا من الغد.

فجاء بكا الخصري عشية يوم الثلاثاء مستهل ذي الحجة ومعه البشارة بالقبض على سيف الدين قطلوبغا الفخري فسر السلطان بذلك وكتب بحمله إلى الكرك.

فلما طلع الأمراء إلى الخدمة في يوم الثلاثاء ترصاهم السلطان وبشرهم بمسك الفخري ثم أخبرهم أنه عزم على التوجه إلى الكرك.

وتجهز السلطان وأخذ الأموال صحبتته وأخرج الأمير طشتمر حمص أخضر مقيدًا في محارة في ليلة الأربعاء ومعه جماعة من المماليك السلطانية موكلون به.

ثم تقدم السلطان إلى الخليفة بعدما ولاه نظر المشهد النفيسي عوضًا عن ابن القسطلاني أن يسافر معه إلى الكرك.

ورسم لجمال الكفاة ناظر الجيش والخاص وللقاضي علاء الدين علي بن فضل الله العمري كاتب السر أن يتوجه معه إلى الكرك.

ثم ركب السلطان ومعه الأمراء من قلعة الجبل في يوم الأربعاء ثانيه بعدما أمر ثمانية من المماليك السلطانية وخلع عليهم على باب الخزانة وخلع على الأمير شمس الدين آق سنقر السلاري وقرره نائب الغيبة وخلع على شمس الدين محمد بن عدلان باستقراره قاضي العسكر وخلع على زين الدين عمر بن كمال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر البسطامي واستقر به قاضي قضاة الحنفية بالديار المصرية عوضًا عن حسام الدين الغوري.

فلما سار السلطان حتى قرب قبة النصر خارج القاهرة وقف حتى قبل الأمراء يده على مراتبهم ورجعوا عنه فنزل في الحال عن فرسه ولبس ثياب العريان وهي كاملة مفرجة وعمامة بلثامين وساير الكركيين في طريقه وترك الأمراء الذين معه وهم قماري وملكتمر الحجازي وأبو بكر وعمر ابنا أرغون النائب مع المماليك السلطانية والطلب.

وتوجه على البرية إلى الكرك وليس معه إلا الكركيون ومملوكان وهم في أثره فقاوسوا مشقة عظيمة من العطش وغيره حتى وصلوا ظاهر الكرك وقد سبقهم السلطان إليها وقدمها في يوم الثلاثاء ثامن ذي الحجة.

وكتب السلطان للأمراء بالديار المصرية يعرفهم بذلك وسلم عليهم فقدم كتابه القاهرة في يوم الخميس سابع عشر ذي الحجة.

ولما دخل الملك الناصر أحمد إلى الكرك لم يمكن أحدًا من العسكر أن يدخل المدينة سوى علاء الدين علي بن فضل الله كاتب السر وجمال الكفاة ناظر الجيش والخاصي فقط.

ورسم أن يسير الأمير المقدم عنبر السحرتي بالمماليك السلطانية إلى قرية الخليل عليه السلام وأن يسير قماري وعمر ابن النائب أرغون والخليفة إلى القدس الشريف.

ثم رسم السلطان لمقدم المماليك عنبر السحرتي أن ينتقل بالمماليك السلطانية من الخليل إلى غزة لغلاء الأسعار بالخليل.

وفي أثناء ذلك وصل أمير علي بن أيدغمش بالفخري مقيّدًا إلى غزة وبها العساكر فبعث السلطان إليه من تسلم منه الفخري وأعاد ابن أيدغمش إلى أبيه ولم يجتمع به.

فسجن السلطان قطلوبغا الفخري وطشتمر حمص أخضر بقلعة الكرك بعدما نكل بالفخري وأهين من العامة إهانة زائدة.

ثم كتب السلطان لآق سنقر السلاري نائب الغيبة بإرسال حريم الفخري إلى الكرك وكانوا قد ساروا من القاهرة بعد مسير الفخري بيوم فجهزهن إليه فأخذ أهل الكرك جميع ما معهن حتى ثيابهن وبالغوا في الفحش بهن والإساءة.

ثم كتب السلطان لآق سنقر السلاري نائب الغيبة بالديار المصرية أن يوقع الحوطة على موجود طشتمر حمص أخضر وقطلوبغا الفخري ويحمل ذلك إليه بالكرك.

وكان شأن الملك الناصر أحمد أنه إذا رسم بشيء جاء كاتب كركي لكاتب السر وعرفه عن السلطان بما يريد فيكتب كاتب السر ذلك ويناوله للكاتب الكركي حتى يأخذ عليه علامة السلطان ويبعثه حيث يرسم به هذا ما كان من أمر الملك الناصر.

أما العسكر المتوجه من القاهرة إلى غزة فإن ابن أيدغمش لما قدم عليهم بمدينة غزة ومعه الفخري أراد الأمير علاء الدين الطنبا المارداني أن يؤخره عنده بغزة حتى يراجع فيه السلطان فلم يوافق ابن أيدغمش وتوجه به إلى الكرك فرحل الطنبا المارداني وبقيّة العساكر عند ذلك إلى جهة الديار المصرية فقدموها يوم السبت سادس عشرين ذي الحجة.

وأنعكف السلطان على اللهو واحتجب عن الناس إلا الكركيين.

ثم بلغه تغير خواطر الأمراء فأخذ في تحصين قلعة الكرك ومدينتها وأشحنها بالغلل والأقوات والأسلحة.

وأما أمر الديار المصرية فإنه شق عليهم غيبة السلطان منها وآضطربت أحوال القاهرة وصارت غوغاء وصار عند أكابر الأمراء تشويش كثير لما بلغهم من مصاب حريم الأمير قطلوبغا الفخري.

وبقي الأمير آق سنقر السلاري في تخوف عظيم فإنه بلغه بأن جماعة من المماليك الذين قبض على أستاذينهم قد باطنوا بعض الأمراء على الركوب عليه فترك آق سنقر الركوب في أيام المواكب أيامًا حتى آجتمعت الأمراء عنده وحلفوا له.

ثم اتفق رأي الأمراء على أن كتبوا للسلطان الملك الناصر أحمد كتابًا في خامس محرم سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة بأن الأمور واقفة لغيبة السلطان وقد نافق غالب عربان الصعيد وغيره وطمع أرباب الفساد وخيفت السبل وفسدت الأحوال وسألوا حضوره إلى الديار المصرية وأرسلوا الكتاب على يد الأمير طقتمر الصلاحي فتوجه طقتمر إليه ثم عاد إلى الديار المصرية بجوابه في حادي عشره: بأنني قاعد في موضع ما أشتهي وأي وقت أردت حضرت إليكم وذكر طقتمر أن السلطان لم يمكنه الاجتماع به وأنه بعث من أخذ منه الكتاب ثم أرسل إليه الجواب.

وقدم الخبر بأنه قتل الأمير طشتمر الساقى حمص أخضر والأمير قطلوبغا الفخري وكان قصد قتلها بالجوع فأقاما يومين بلياليهما لا يطعمان طعامًا.

فكسرا قيدهما - وكان السلطان قد ركب للصيد - وخلعا باب السجن ليلاً وخرجا إلى الحارس فأخذا سيفه وهو نائم فأحس بهما وقام يصيح حتى لحقه أصحابه فأخذهما وبعثوا إلى السلطان بخبرهما فقدم في زي العريان ووقف على الخندق وأحضرهما وقد كثرت بهما الجراحات فأمر يوسف ابن البصرة ورفيقه بضرب أعناقهما وأخذ يسبهما فردا عليه السب ردًا قبيحًا وضربت رقابهما.

فلما بلغ الأمراء ذلك اشتد قلقهم.

ثم قدم كتاب السلطان للأمراء يطيب خواطرهم ويعرفهم أن مصر والشام والكرك له وأنه حيثما شاء أقام ورسم أن تجهز له الأغنام من بلاد الصعيد.

فتنكرت قلوب الأمراء ونفرت خواطرهم وتكفلوا فيما بينهم في خلعه حتى اتفق الأمراء على خلعه من السلطنة وإقامة أخيه إسماعيل ابن الملك الناصر محمد فخلع في يوم الأربعاء حادي عشرين المحرم من سنة ثلاث وأربعين وسبعمئة فكانت مدة ولايته ثلاثة أشهر وثلاثة عشر يومًا منها مدة إقامته بمدينة الكرك - ومراسيمه نافذة بمصر - أحد وخمسين يومًا.

وإقامته بمصر شهران إلا أيام.

وكان لما خرج من الديار المصرية متوجهًا إلى الكرك جمع الأغنام التي كانت لأبيه وأغنام قوصون وعدتها أربعة آلاف رأس وأربعمئة رأس من البقر التي كان استحسنها أبوه وأخذ الطيور التي كانت بالأحواش على اختلاف أنواعها وحملها على رؤوس الحمالين إلى الكرك وساق الأغنام والأبقار إليها ومعهم عدة سقايين وعرض الخيول والهجن وأخذ ما اختاره منها ومن البختى وحمى الوحش والزراريف والسباع وسيرها إلى الكرك.

ثم فتح الذخيرة وأخذ منها جميع ما فيها من الذهب والفضة وهو ستمائة ألف دينار وصندوق فيه الجواهر التي جمعها أبوه في مدة سلطنته.

وتتبع جوارى أبيه حتى عرف المتمولات منهن فصار يبعث إلى الواحدة منهن يعرفها أنه يدخل عليها الليلة فإذا تجملت بحليها وجواهرها أرسل من يحضرها إليه فإذا خرجت من موضعها ندب من يأخذ جميع ما عندها ثم يأخذ جميع ما عليها حتى سلب أكثرهن.

ثم عرض الركاب خاناه وأخذ ما فيها من السروج واللجم والسلاسل الذهب والفضة.

وأخذ الطائر الذهب الذي كان على القبة وأخذ الغاشية الذهب وطلعات السناجق وما ترك بالقلعة مالا إلا أخذه واستمر بالكرك.

فلما تسلطن أخوه الملك الصالح إسماعيل حسب ما يأتي ذكره أرسل إلى الكرك يطلب من أخيه الناصر أحمد هذا شعائر الملك وما كان أخذه من الخزائن وغيرها فلم يلتفت الناصر إلى كلامه فندب السلطان الملك الصالح تجريدة لحصاره بالكرك واستمر يبعث إليه تجريدة بعد أخرى سبيع تجاريد حتى إنه لم يبق بمصر والشام أمير إلا تجرد إلى الكرك مرة ومرتين إلى أن ظفروا به حسب ما يأتي ذكره ذلك كله مفصلاً في ترجمة الملك الصالح إسماعيل.

ولما ظفروا بالملك الناصر أحمد قيده وحبسوه بالكرك بعد أن حاصروه بها مدة سنتين وشهر وثلاثة أيام حتى قبض عليه أتلغ فيها أموالاً كثيرة في النفقات على المقاتلة وأخذ أمره يتلاشى وهلك من عنده بالجوع.

وضرب الذهب وخلط به الفضة والنحاس ونفق ذلك في الناس فكان الدينار الذي ضربه
تساوي خمسة دراهم.

وكان القبض على الملك الناصر من الكرك في يوم الإثنين الظهر ثاني عشرين صفر سنة
خمس وأربعين وسبعماية وكتب بذلك إلى السلطان فأرسل السلطان الملك الصالح
الأمير منجك اليوسفي الناصري السلاح دار إلى الكرك فقتله وحز رأسه وتوجه بها إلى
القاهرة.

وكان الملك الناصر أحمد هذا قد أخرجه أبوه الملك الناصر محمد بن قلاوون من الديار
المصرية إلى الكرك وهو صغير لعله لم يبلغ العشر سنين فربي بالكرك وأحب أهلها
وصارت له وطناً وكان نائب الكرك إذ ذاك ملكتمر السرجواني زوج أمه.

ثم أرسل إليه أبوه أخويه: إبراهيم وأبا بكر المنصور فأقاموا الجميع بالكرك إلى أن طلبهم
والدهم وأعاد الناصر هذا إلى الكرك ثم طلبه ثانيًا وزوجه بنت الأمير طابريغا من أقارب
الملك الناصر ثم أعاده إلى الكرك.

وكان الناصر هذا أحسن إخوته وجهًا وشكلًا وكان صاحب لحية كبيرة وشعر غزير وكان
ضخمًا شجاعًا صاحب بأس وقوة مفرطة وعنده شهامة مع ظلم وجبروت وهو أسوأ أولاد
الملك الناصر سيرة مع خفة وطيش.

إلى حادي عشرين صفر على أنه حكم من السنة الماضية تسعة أيام.

ثم حكم فيها من صفر إلى يوم الخميس أول شعبان الملك الأشرف كجك.

ثم حكم فيما بقي منها الملك الناصر أحمد هذا والثلاثة أولاد الناصر محمد بن قلاوون
حسب ما تقدم ذكره

والسنة المذكورة

▲ سنة آتنتين وأربعين وسبعماية

فيها وقعت حادثة غريبة وهي أن رجلًا بوارديًا يقال له محمد بن خلف بخط السيوفيين من
القاهرة قبض عليه في يوم السبت سادس عشر رمضان وأحضر إلى محتسب القاهرة
فوجد بمخزنه من فراخ الحمام والزرابير المملوحة عدة أربعة وثلاثين ألف ومائة وستة
وتسعين من ذلك أفراخ حمام عدة ألف ومائة وستة وتسعين فرحًا وزرابير عدة ثلاثة
وثلاثين ألف زرور وجميعها قد تنتت وتغيرت أحوالها فأدب وشهر.

وفيها توفي الأمير علاء الدين أطنبغا الصالحي الناصري نائب الشام مقتولًا بسجن
الإسكندرية.

كان أصله من صغار مماليك المنصور قلاوون وربي عند الملك الناصر محمد بن قلاوون
وتوجه معه إلى الكرك فلما عاد الملك الناصر إلى ملكه أنعم عليه بإمرة عشرة وجعله
جاشنكيره ثم ولاه حاجبًا.

ثم نقله من الحجوية إلى نيابة حلب بعد موت أرغون النائب فسار فيها سيرة مشكورة
وغزا بلاد سبب حتى أخذها بالأمان وقال في ذلك العلامة زين جهادك مقبول وعامك
قابل ألا في سبيل المجد ما أنت فاعل وعمر الأمير أطنبغا المذكور في نيابته بحلب

جامعًا في شريقيها ولم يكن إذ ذاك داخل سور حلب جامع تقام فيه الخطبة سوى الجامع الكبير الأموي.

وأقام بحلب حتى وقع بينه وبين تنكز نائب الشام فشكاه تنكز إلى الملك الناصر فعزله عن نيابة حلب وولاه نيابة غزة إلى أن غضب السلطان على تنكز ولاه عوضه نيابة الشام إلى أن مات الملك الناصر وتسلطن أولاده انضم الطنبغا هذا إلى قوصون فكان ذلك سببًا لهلاكه وقد تقدم ذكر ذلك كله مفصلاً.

وكان أميرًا جليلاً شجاعًا مشكور السيرة ومات وقد جاوز الخمسين سنة من العمر.

وفيها توفي ملك التتار أزيك خان بن طغرلجا بن منكوتمر بن طغان بن باطو بن دوشي خان بن جنكز خان.

ومات أزيك خان بعد أن ملك نحوًا من ثلاثين سنة وكان أسلم وحسن إسلامه وحرص رعيته على الإسلام فأسلم بعضهم.

ولم يلبس أزيك خان بعد أن أسلم السراقوجات وكان يلبس حياصة من فولاذ ويقول: لبس الذهب حرام على الرجال وكان يميل إلى دين وخير ويتردد إلى الفقراء وكان عنده عدل في رعيته وتزوج الملك الناصر محمد بابنته.

وكان أزيك شجاعًا كريمًا مليح الصورة ذا هيبة وحرمة.

ومملكته متسعة وهي من بحر قسطنطينية إلى نهر إرتش مسيرة ثمانمائة فرسخ لكن أكثر ذلك قرى ومراع.

وولي الملك بعده ابنه جاني بك خان.

وتوفي الأمير سيف الدين بشتك بن عبد الله الناصري مقتولًا بسجن الإسكندرية في شهر ربيع الآخر.

وكان إقطاعه يعمل بمائتي ألف دينار في كل سنة وأنعم عليه أستاذه الملك الناصر محمد في يوم واحد بألف ألف درهم.

وكان راتبه لسماطه في كل يوم خمسين رأسًا من الغنم وفرسًا لا بد من ذلك.

وكان كثير التيه لا يحدث مباشره إلا بترجمان.

وهو صاحب القصر بين القصرين والحمام بالقرب من سوقة العزي والجامع عند قنطرة طقزدمر خارج القاهرة.

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي: وكان بشتك أهيف القامة حلو الوجه.

قربه السلطان وأدناه وكان يسميه في غيبته بالأمير وكان إقطاعه سبعة عشرة إمرة طبلخاناه أكبر من إقطاع قوصون وما يعلم قوصون بذلك.

وتوفي الأمير سيف الدين طاجار بن عبد الله الناصري الدوادر قتيلاً بثغر الإسكندرية.

وكان من خواص الملك الناصر محمد بن قلاوون ومن أكابر مماليكه ورقاه حتى ولاه الدوادارية وكان ممن أنضم إلى الملك المنصور أبي بكر فقبض عليه عند خلعه وقتل.

وفيهما توفي الأمير سيف الدين جرکتمر بن عبد الله الناصري قتيلاً.

وتوفي الأمير قوصون بن عبد الله الناصري الساقى قتيلاً بثمر الإسكندرية في شوال وقد مر من ذكره ما فيه كفاية عن تكراره ثانيًا.

وتوفي الملك الأفضل علاء الدين علي ابن الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ابن الملك الأفضل علي ابن الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان الأيوبي صاحب حماة وابن صاحبها.

مات بدمشق وهو من جملة أمرائها بعد ما باشر سلطنة حماة عشرين سنة إلى أن نقله قوصون إلى إمرة الشام وولي نيابة حماة بعده الأمير طقزدمر الحموي.

وكانت وفاته في ليلة الثلاثاء حادي عشر ربيع الآخر عن ثلاثين سنة.

وتوفي الأمير شرف الدين وقيل مظفر الدين موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثه بن عصية بن فضل بن ربيعة أمير آل فضل بمدينة تدمر.

وكان من أجل ملوك العرب مات فجأة في العشر الأخير من جمادى الأولى.

وتوفي الحافظ الحجة جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف بن علي بن عبد الملك ابن أبي الزهر القضاعي الكلبي المزي الحلبي المولد.

ولد بظاهر حلب في عاشر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وستمائة ومات بدمشق في ثاني عشر صفر.

وكان إمام عصره أحد الحفاظ المشهورين.

سمع الكثير ورحل وكتب وصنف.

وقد ذكرنا عدة كبيرة من مشايخه وسماعاته في ترجمته في " المنهل الصافي " ونبذة كبيرة من أخباره.

ومن مصنفاته كتاب " تهذيب وتوفي الأمير سيف الدين تمر بن عبد الله الساقى الناصري أحد أمراء الألوفا في يوم الأحد ثامن عشرين ذي الحجة.

وكان من أكابر الأمراء ومن أعيان خاصكية وتوفي القاضي برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن فخر الدين خليل بن إبراهيم الرسعني الشافعي قاضي حلب بها.

وكان فقيهاً فاضلاً ولي القضاء بحلب وغيرها وأفتى ودرس.

وتوفي الأمير علاء الدين علي ابن الأمير الكبير سيف الدين سلار في شهر ربيع الآخر.

وكان من أعيان الأمراء بالديار المصرية.

وتوفي خطيب جامع دمشق الأموي الشيخ بدر الدين محمد ابن قاضي القضاة جلال الدين محمد القزوين الشافعي.

وكان فاضلاً خطيباً فصيحاً.

وتوفي الأمير ركن الدين بيبرس بن عبد الله الناصري السلاح دار نائب الفتوحات بآياس وغيرها.

وكان من أجل الأمراء الناصرية.

كان شجاعاً كريماً وله المواقف المشهودة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وعشر أصابع.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعاً وتسع أصابع.

والله تعالى أعلم.

على مصر السلطان الملك الصالح عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون وهو السلطان السادس عشر من ملوك الترك بالديار المصرية والرابع من بني محمد بن قلاوون.

جلس على تخت الملك في يوم الخميس ثاني عشرين المحرم سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة بعد خلع أخيه الملك الناصر أحمد باتفاق الأمراء على ذلك لما بلغهم عن حسن سيرته فإنه قيل للأمراء لما أخرج قوصون أولاد الملك الناصر إلى قوص: كان إسماعيل هذا يصوم يومي الإثنين والخميس ويشغل أوقاته بالصلاة وقراءة القرآن مع العفة والصيانة عما يرمى به الشباب من اللهو واللعب.

فلما بلغهم ذلك آتفقوا على إقامته في الملك وسلطنوه وحلفوا له الأمراء والعساكر وحلف لهم أيضاً السلطان الملك الصالح إسماعيل المذكور ألا يؤذي أحداً وألا يقبض على أمير بغير ذنب.

فتم أمره ولقب بالملك الصالح ودقت البشائر ونودي بزينة القاهرة ومصر.

ورسم بالإفراج عن المسجونين بثغر الإسكندرية وكتب بالإفراج أيضاً إلى الوجه القبلي والبحري وألا يترك بالسجون إلا من استحق عليه القتل.

وآستقر الأمير أرغون العلاني زوج أم الملك الصالح رأس نوبة ويكون رأس المشورة ومدبر السلطنة وكافل السلطان.

وآستقر الأمير آق سنقر السلاري نائب السلطنة بالديار المصرية.

وكتب السلطان للأمراء ببلاد الشام والنواب بآستمرارهم وأرسل إليهم الخلع على يد الأمير طقتمر الصلاحي وكتب بتقليد الأمير أيدغمش نائب حلب بنياية الشام وآستقر عوضه في نيابة حلب الأمير طقزدمر الحموي نائب حماة.

واستقر في نيابة حماة عوضاً عن طقزدمر الأمير علم الدين سنجر الجاولي.

ثم كتب السلطان الملك الصالح إسماعيل إلى أخيه الملك الناصر أحمد بالسلام وإعلامه أن الأمراء أقاموه في السلطنة لما علموا أنه ليس له رغبة في ملك مصر وأنه يحب بلاد الكرك والشوبك " وهي بحكمك وملكك " .

وسأله أن يرسل القبة والطير والغاشية والنمجة وتوجه بالكتاب الأمير قبلاي.

وخرج الأمير بيغرا ومعه عدة من الأوجاقية لجر الخيول السلطانية من الكرك الذي كان الملك الناصر أخذهم من الإسطبل السلطاني وتوجه الجميع إلى جهة الكرك.

ثم في يوم الأربعاء ثامن عشرين المحرم قدم الأمراء المسجونون بئغر الإسكندرية إلى القاهرة وعدتهم ستة وعشرون أميرًا منهم الأمير قياتمر وطبيغا المجدي وابن طوغان جق وأسنبغا ابن البوبكري وابن سوسون وناصر الدين محمد بن المحسني والحاج أرقطاي نائب طرابلس في آخرين.

وفي يوم الخميس طلوعوا إلى القلعة وقبلوا الأرض بين يدي السلطان.

ثم رسم السلطان أن يجلس أرقطاي مكان الأمير علم الدين سنجر الجاولي المنتقل إلى نيابة حماة وأن يتوجه البقية على وفي يوم السبت أول صفر قدم من غزة الأمير قماري أمير شكار والأمير أبو بكر بن أرغون النائب والأمير ملكتمر الحجازي وصحبتهم الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد ومقدم المماليك الطواشي عنبر السحرتي والمماليك السلطانية مفارقين الملك الناصر أحمد.

وفيه خرج الأمير طقزدمر الحموي من القاهرة لنيابة حلب.

وفي يوم الإثنين ثالثه خلع على الأمير سنجر الجاولي نائب حماة خلة السفر وخلع فيه أيضًا على الأمير مسعود بن خطير الحاجب خلة السفر لنيابة غزة وخلع على القاضي بحر الدين محمد بن محيي الدين يحيى بن فضل الله وأستقر في كتابة السر بدمشق عوضًا عن أخيه شهاب الدين أحمد.

ورسم بسفر مماليك قوصون والأمير بشتك إلى البلاد الشامية متفرقين وكتب إلى النواب بذلك.

وفيه آستقر الأمير جنكلي بن البابا في نظر البيمارستان المنصوري بين القصرين عوضًا عن سنجر الجاولي.

وجلس الأمير آق سنقر السلاري بدار النيابة بعدما عمرها وفتح بها شباكًا ورسم له أن يعطي الأجناد الإقطاعات من ثلاثمائة دينار إلى أربعمائة دينار ويشاور فيما فوق ذلك وأستقر المكين إبراهيم بن قروينة في نظر الجيش.

وعين ابن التاج إسحاق لنظر الخاص كلاهما عوضًا عن جمال الكفاة بحكم غيبته بالكرك عند الملك الناصر أحمد.

وفيه أنعم السلطان على أخيه شعبان بإمرة طبلخاناه.

وفي يوم الإثنين رابع عشرين صفر خلع السلطان على جميع الأمراء كبيرهم وصغيرهم الخلع السنية.

وفي يوم الثلاثاء خامس عشرينه قدم القاضي علاء الدين علي بن فضل الله كاتب السر وجمال الكفاة ناظر الجيش والخاص من الكرك إلى الديار المصرية مفارقين الملك الناصر بحيلة دبرها جمال الكفاة.

وكان قد بلغه عن الناصر أنه يريد قتلهم خوفًا من حضورهم إلى مصر ونقلهم لما هو عليه من سوء السيرة فبذل جمال الكفاة ليوسف بن البصارة البازدار مالًا جزيلاً حتى مكنهم من الخروج فأقبل عليهم الأمراء والسلطان وخلع عليهم بأستمرارهم على وظائفهم.

ثم في يوم الثلاثاء ثالث عشرين ربيع الأول رسم السلطان للأمير أطنبغا المارداني الناصري نيابة حماة عوضًا عن الأمير سنجر الجاولي وكتب بحضور سنجر الجاولي إلى نيابة غزة عوضًا عن أمير مسعود ونقل أمير مسعود إلى إمرة طبلخاناه بدمشق.

وقدم الخبر من شطبي أمير العرب بأن الملك الناصر أحمد قرر مع بعض الكركيين أنه يدخل إلى مصر ويقتل السلطان فتشوش الأمراء لذلك ووقع الاتفاق على تجريد العساكر لقتال الملك الناصر وأخذه من الكرك.

وفي يوم الخميس ثالث شهر ربيع الآخر توجهت التجريدة إلى الكرك صحبة الأمير بيغرا وهذه أول التجاريد إلى الكرك لقتال الملك الناصر أحمد.

وفي عقيب ذلك حدث للسلطان رعا فاستمر فاتهمت أمه أم السلطان الأشرف كجك خوند أردو بأنها سحرته وهجمت عليها وأوقعت الحوطة على موجودها وضربت عدة من جواربها ليعترفن عليها فلم يكن غير قليل حتى عوفي السلطان ورسم بزينة القاهرة وحملت أم السلطان إلى المشهد النفيسي قنديل ذهب زنته رطلان وسبع أواق ونصف أوقية.

ثم قدم الخبر على يد إياز الساقى بموت الأمير أيدغمش نائب الشام فجأة فوقع الاختيار على استقرار الأمير طقزدمر الحموي نائب حلب مكانه في نيابة الشام وأستقر الأمير أطنبغا المارداني عوضًا عن طقزدمر في نيابة حلب وأستقر الأمير يلغا اليحياوي في نيابة حماة عوضًا عن المارداني.

ثم أنعم السلطان على أرغون العلائي بإقطاع الأمير قماري بعد موته وكتب السلطان لنائب صفد وغزة بالنجدة للأمير بيغرا لحصار الملك الناصر بالكرك.

ثم قدم الخبر من أمير العرب شطبي بن عيبة إنه ركب مع العسكر على مدينة الكرك وقاتلوا أهل الكرك وهزموهم إلى القلعة وأن الملك الناصر أذعن وسأل أن يمهل حتى يكتب إلى السلطان ليرسل من يتسلم منه قلعة الكرك فرجعوا عنه فلم يكن غير قليل حتى استعد الملك الناصر وقاتلهم.

وفي يوم الأربعاء رابع شهر رجب كانت فتنة الأمير رمضان أخي السلطان.

وسبب ذلك أن السلطان كان أنعم عليه بتقدمة ألف فلما خرج السلطان إلى سرحة سرباقوس تأخر رمضان عنه بالقلعة وتحدث مع طائفة من المماليك في إقامته سلطانيًا واتفقوا على ذلك.

فلما مرض السلطان الملك الصالح هذا وإسترخى قوي أمره وشاع ذلك بين الناس وراسل تكا الخصري ومن خرج معه من الأمراء وواعد من وافقه على الركوب بقبة النصر.

فبلغ ذلك السلطان ومدير دولته الأمير أرغون العلاني فلم يعبأ بالخبر إلى أن أهل شهر رجب جهز الأمير رمضان خيوله وهجنه بناحية بركة الحبش وواعد أصحابه على يوم الأربعاء.

فبلغ الأمير آق سنقر أمير آخور عند الغروب بما هو فيه من الحركة فندب عدة من العربان ليأتوه بخبر القوم.

فلما أتاه خبرهم سار إليهم وأخذ جميع الخيل والهجن عن آخرهم من خلف القلعة وساقهم إلى الإسطبل السلطاني وعرف السلطان والعلاني أرغون من باب السر بما فعله فطلباه إليهما فصعد بما ظفر به من أسلحة القوم.

فاتفقوا على طلب إخوة السلطان إلى عنده والاحتفاظ بهم.

فلما طلع الفجر خرج أرغون العلاني من بين يدي السلطان وطلب إخوة السلطان ووكل بهم ووكل بيت رمضان جماعة حتى طلعت الشمس.

وصعد الأمراء الأكابر إلى القلعة باستدعاء وأعلموا بما وقع فطلبوا سيدي رمضان إليهم فامتنع من الحضور وهم يلحون في طلبه إلى أن خرجت أمه وصاحت عليهم فعادوا عنه إلى أرغون العلاني.

فبعث أرغون عدة من المماليك والخدام لإحضاره فخرج رمضان في عشرين مملوكًا إلى باب القلعة وسأل عن النائب فقيل له إنه عند السلطان مع الأمراء فمضى إلى باب القلعة وسيوف أصحابه مصلنة وركب على خيول الأمراء ومر بمن معه إلى سوق الخيل تحت القلعة فلم يجد أحدًا من الأمراء فتوجه إلى جهة قبة النصر خارج القاهرة ووقف هناك ومعه الأمير تكا الخصري وقد اجتمع الناس عليهم.

وبلغ السلطان والأمراء خبره فأخرج السلطان محمولًا بين أربعة لما به من الاسترخاء وركب النائب وآق سنقر أمير آخور وقماري أخو بكتمر الساقى وجماعة آخر.

وأقام أكابر الأمراء عند السلطان وصفت أطلابهم تحت القلعة وضربت الكوسات حربيًا ونزلت النقباء في طلب الأجناد.

وتوجه النائب إلى قبة النصر ووقف بمن معه تجاه رمضان وقد كثر جمع رمضان من أجناد الحسينية ومن مماليك تكا والعامه وبعث النائب يخبر السلطان بذلك فمن شدة ما انزعج نهضت قوته وقام قائمًا على قدميه بعد ما كان يئس من نفسه من عظم استرخاء أعضائه وأراد الركوب فقام الأمراء وهنوه بالعافية وقبلوا له الأرض وهونوا عليه أمر أخيه رمضان.

ولا زالوا به حتى جلس مكانه فأقام إلى بعد الظهر والنائب يرأسل رمضان ويعده بالجميل ويخوفه العاقبة وهو لا يلتفت إلى قوله.

فعزم النائب على الحملة عليه هو ومن معه ودق طلبه فلم يثبت العامة المجتمعة على رمضان وأنفلوا عنه وأنهزم هو وتكا الخصري في عدة من المماليك إلى البرية والأمراء في طلبه فعاد النائب إلى السلطان.

فلما كان بعد العشاء الآخرة من ليلة الخميس أحضر رمضان وتكا الخضري وقد أدركوهما بعد المغرب عند البويب ورموا تكا بالنشاب حتى ألقوه عن فرسه وقد وقف فرس رمضان من شدة السوق.

فوكل برمضان من يحفظه وأذن للأمرء بنزولهم إلى بيوتهم وطلعوا من بكرة يوم الخميس إلى الخدمة على العادة.

وجلس السلطان وطلب ممالك رمضان فأحضروا.

فأمر بحبسهم فحبسوا أيامًا ثم فرقهم السلطان على الأمرء ثم خلع السلطان على الأمرء وفرق عليهم الأموال.

وفي يوم الإثنين سادس عشره وصل قاصد الأمير بيغرا المتوجه إلى الكرك بمن معه من العساكر بعد ما حاربوا الملك الناصر أحمد بالكرك وقاتلوه قتالًا شديدًا وجرح منهم جماعة وقتل أزوادهم.

فكتب السلطان بإحضارهم إلى الديار المصرية.

وفيه خلع السلطان على طرنطاي البشمقدار بناية غزة عوضًا عن الأمير علم الدين سنجر الجاولي وكتب بقدم الجاولي إلى مصر.

وفي يوم الثلاثاء رابع عشرينه وسط السلطان تكا الخضري بسوق الخيل تحت القلعة ووسط معه مملوكين من المماليك السلطانية.

وفي هذا الشهر وقف السلطان الملك الصالح صاحب الترجمة ثلثي ناحية سنديس من القليوبية على ستة عشر خادمًا لخدمة الضريح الشريف النبوي عليه الصلاة والسلام فتمت عدة خدام الضريح الشريف النبوي بذلك أربعين قلت لله دره فيما فعل! وعلى هذا تحسد الملوك لا على غيره.

ثم اتفق الأمرء مع السلطان على إخراج تجريدة ثانية لقتال الملك الناصر بالكرك.

فلما كان عاشر شعبان خرج الأمير بيبرس الأحمدى والأمير كوكاي في ألفي فارس تجريدة للكرك.

وكتب السلطان أيضًا بخروج تجريدة من الشام مضاقًا إلى من خرج من الأمرء والعساكر من الديار المصرية وتوجه الجميع ونصبت المناجيق على الكرك وجدوا في حصارها.

وأما الملك الصالح فإنه بعد خروج التجريدة خلع على جمال الكفاة بعدما عزل وصودر باستقراره مشير الدولة بسؤال وزير بغداد نجم الدين محمود في ذلك بعد أن أعيد إلى الوزارة ونزلًا معًا بتشاريفهما.

وفي ذي القعدة رتب السلطان دروسًا للمذاهب الأربعة بالقبة المنصورية ووقف عليهم وعلى قراء وخدام وغير ذلك ناحية دهمشا بالشرقية فاستمر ذلك وعرف بوقف الصالح.

ثم في يوم الأربعاء عاشر المحرم سنة أربع وأربعين وسبعمائة قبض السلطان علي أربعة أمرء وهم الأمير آق سنقر السلاري نائب السلطنة والأمير بيغرا أمير جاندار صهر آق سنقر المذكور والأمير قراجا الحاجب وأخيه أولاجا وقيدوا ورسم بحبسهم في الإسكندرية.

وخرج الأمير بلك على البريد إلى المجردين إلى الكرك فأدركهم على السعيدية وطيب خواطرهم وأعلمهم بالقبض على الأمراء وعاد سريعاً فقدم قلعة الجبل طلوع الشمس من يوم الخميس حادي عشره وبعد وصوله قبض السلطان على طيغا الدوادر الصغير.

وكان سبب قبض السلطان على هؤلاء الأمراء أن الأمير آق سنقر كان في نيابته لا يرد قاصداً ولا قصة ترفع إليه فقصده الناس من الأقطار وسألوه الرزق والأراضي التي أنهاها لم تكن بيد أحد وكذلك نيابة القلاع والأعمال والرواتب وإقطاعات الحلقة فلم يرد أحداً سألته شيئاً من ذلك سواء أكان ما أنهاه صحيحاً أم باطلاً فإذا قيل له: هذا الذي سألته يحتاج أن يكشف عنه تغير وجهه وقال: " ليس تقطع رزق الناس " وكان إذا كتب الإقطاع لأحد فحضر صاحبه من سفره أو تعافى من مرضه وسأله في إعادة إقطاعه قال له: " هذا أخذ إقطاعك ونحن نعوضك ".

ففسدت الأحوال لا سيما البلاد الشامية فكتب النواب بذلك للسلطان فكلمه السلطان فلم يرجع وقال: كل من طلب مني شيئاً أعطيته وما أردت قلمي عن أحد بحيث إنه كان تقدم إليه القصة وهو يأكل فيترك أكله ويكتب عليها من غير أن يعلم ما فيها فأغلظ له بسبب ذلك الأمير شمس الدين آق سنقر الناصري أمير آخور وانفق مع ذلك أنه وشي به أنه مياطن مع الملك الناصر أحمد وأن كتبه تصل إليه فقرر أرغون العلائي مسكه مع السلطان فامسك هو وحاشيته هذا ما كان من أمره.

وفي يوم الجمعة ثاني عشر المحرم من سنة أربع وأربعين المذكورة خلع السلطان على الأمير الحاج آل ملك واستقر في نيابة السلطنة عوضاً عن آق سنقر السلاري المذكور.

ثم في ثاني عشر صفر قدم الخبر بوفاة الأمير الطنغا المارداني الناصري نائب حلب فرسم السلطان للأمير يلغا اليحياوي نائب حماة باستقراره في نيابه حلب عوضه.

واستقر في نيابة حماة الأمير طقتمر الأحمدي نائب صفد وأستقر بلك الجمدار في نيابة صفد.

وتوجه الأمير أرغون شاه بتقليد يلغا اليحياوي وتوجه الأمير الطنغا البرناق بتقليد نائب حماة.

وفي يوم السبت خامس عشرين صفر قدم الأمير بيبرس الأحمدي والأمير كوكاي بمن معهما من المجردين إلى الكرك فركب الأمراء إلى لقائهم وأستمر الأمير أصلم على حصار الكرك وهي التجريدة الثانية للكرك.

وعرفوا الأمراء السلطان أنه لا بد من خروج تجريدة ثالثة سريعاً تقوية لأصلم لئلا يتنفس الناصر وحتى يدوم الحصار عليه.

فعين السلطان جماعة من أعيان الأمراء وتجهزوا وخرجوا في يوم الإثنين رابع شهر ربيع الآخر وهم الأمير جنكلي بن البايا والأمير آق سنقر الناصري الأمير آخور ملكتمر السرجواني والأمير عمر بن أرغون النائب في أربعة آلاف فارس تقوية لأصلم وهذه التجريدة الثالثة إلى الكرك.

وتوجه صحبتهم عدة حجارين ونجارين ونقابين ونفطية وخرج السلطان أيضاً في يوم سفرهم إلى سرياقوس على العادة كالمودع لهم.

وفي هذه الأيام آشتد نائب السلطنة الحاج آل ملك على والي القاهرة ومصر في بيع الخمر وغيره من المحرمات وعاقب جماعة كثيرة على ذلك وكان هذا دأب النائب من يوم أخرج خزانة البنود في العام الماضي وأراق خمورها وبنائها مسجدًا وحكرها للناس فعمروها دورًا.

وكان الذي يفعل في خزانة البنود من المعاصي والفسق يستحى من ذكره فغف الناس في أيام نيابة آل ملك المذكور عن كثير من المعاصي خوفًا منه.

وآستمر على ما هو عليه من تتبع الفواحش والخواطىء وغير ذلك حتى إنه نادى: من أحضر سكرًا واحدًا معه جرة خمر خلع عليه فقعد العامة لشربة الخمر بكل طريق وأتوه مرة بجندي قد سكر فضربه وقطع خبزه وخلع على من قبض عليه.

ووقع له أمور مع بيعة الخمر يطول الشرح في ذكرها.

وكان يجلس في شباك النيابة طول النهار لا يمل من الحكم ولا يسأم وتروح أصحاب الوظائف ولا يبقى عنده إلا النقباء البطالة حتى لا يفوته أحد وصار له مهابة عظيمة وحرمة كفت الناس عن أشياء كثيرة حتى أعيان الأمراء حتى قال فيه بعض شعراء عصره: آل ملك الحج غدا سعدة يملأ ظهر الأرض مهما سلك فالأمرا من دونه سوقة والملك الظاهر هو الملك وفي يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولى قدم الأمير أصلم و أبو بكر بن أرغون النائب وأرنبغا من تجريدة الكرك بغير إذن وأعتذروا بضعف أبدانهم وكثرة الجراحات في أصحابهم وقلة الزاد عندهم فقبل السلطان عذرهم ورسم بسفر طقتمر الصلاحي وتمر الموساوي في عشرين مقدمًا من الحلقة وألفي فارس نجدة لمن بقي من الأمراء على حصار الكرك فساروا في سلخه.

وهذه التجريدة الرابعة بل الخامسة فإنه تكرر رواج الأمراء في تلك التجريدة مرتين.

ثم بعد مدة رسم السلطان بتجهيز الأمير علم الدين سنجر الجاولي والأمير أرقطاي والأمير قماري الأستاذار وعشرين أمير طبلخاناه وثلاثين مقدم حلقة فساروا يوم الثلاثاء خامس عشر شوال في ألفي فارس إلى الكرك وهي التجريدة السادسة وتوجه معهم أيضًا عدة حجارين ونقاين ونفطية وغير ذلك.

وفي مستهل شهر رمضان فرغت عمارة السلطان الملك الصالح إسماعيل صاحب الترجمة من القاعة التي أنشأها المعروفة الآن بالدهيشة الملاصقة للدور السلطانية المطللة على الحوش وفرشت بأنواع البسط والمقاعد الزركش.

قلت: هي الآن مجاز لأوباش الرعية لمن له حاجة عند السلطان من التركمان والأعراب والأوغاد والأتباع.

ولله در القائل: وإذا تأملت البقاع وجدتها تشقى كما تشقى الرجال وتسعد وجلس السلطان الملك الصالح فيها وبين يديه جواربه وخدمه وحرمه وأكثر السلطان في ذلك اليوم من الخلع والعطاء وكان السلطان قد أختص ببيغا الصالحي وأمره وخوله في النعم وزوجه بابنة الأمير أرغون العلاني مدير مملكة السلطان وزوج أمه والبنات المذكورة أخت السلطان لأمه.

وكثر في هذه الأيام استيلاء الجوّاري والخدام على الدولة وعارضوا النائب في أمور كثيرة حتى صار النائب يقول لمن يسأله شيئًا: "روح إلى الطواشي فلان فينقضي شغلك".

وآستمر السلطان يكثر من الجلوس في الدهيشة بأبهة عظيمة إلى الغاية.

ثم رسم السلطان بإحضار المجردين إلى الكرك وعين عوضهم تجريدة أخرى إلى الكرك وهي التجريدة السابعة فيها الأمير بيبرس الأحمدي والأمير كوكاي وعشرون أمير طبلخاناه وستة عشر أمير عشرة وكتب بخروج عسكر أيضًا من دمشق ومعهم المنجنيق والزحافات.

وحمل إلى الأحمدي مبلغ ألفي دينار وكذلك لكوكاي ولكل أمير طبلخاناه خمسمائة دينار ولكل أمير عشرة مائتي دينار وأرسل أيضًا مع الأحمدي أربعة آلاف دينار لمن عساه ينزل إليه من قلعة الكرك طائغًا وجهاز معه تشاريف كثيرة وعينت لهم الإقامات وكان الوقت شتاء فقاموا من الأمطار مشقات كثيرة وأقاموا نحو شهرين وخرج معهم ستة آلاف رأس من البقر ونحو مائتي رأس جاموس ونحو ألفي راجل فأستعد لهم الملك الناصر وجمع الرجال وأنفق فيهم مالا كثيرًا وفرق فيهم الأسلحة المرصدة بقلعة الكرك.

وركب المنجنيق الذي بها ووقع بينهم القتال والحصار إلى ما سيأتي ذكره.

ثم رسم السلطان بالقبض على الأمير آقبا عبد الواحد فقبض عليه بدمشق في عدة من أمرائها وسجنوا بها لميلهم للملك الناصر أحمد.

واشتد الحصار على الملك الناصر بالكرك وضافت عليه هو ومن معه لقلعة القوت.

وتخلى عنه أهل الكرك وضجروا من طول الحصار ووعدوا الأمراء بالمساعدة عليه فحملت إليهم الخلع ومبلغ ثمانين ألف درهم.

هذا وقد استهم السلطان في أول سنة خمس وأربعين وسبعمائة بتجريدة ثامنة إلى الكرك وعين فيها الأمير منكلي بغا الفخري والأمير قماري والأمير طشتمر طليليه ولم يجد السلطان في بيت المال ما ينفقه عليهم فأخذ مالا من تجار العجم ومن بنت الأمير بكنمر الساقى على سبيل القرض وأنفق فيهم.

وخرج المجردون في يوم الثلاثاء حادي عشر المحرم سنة خمس وأربعين وسبعمائة وهؤلاء نجدة لمن توجه قبلهم خوفًا أن يمل من كان توجه من القتال فيجد الناصر فرجًا بعودهم عنه.

وقطعت الميرة عن الملك الناصر ونفدت أمواله من كثرة نفقاته فوق الطمع فيه.

وأخذ بالغ - وكان أجل ثقاته - في العمل عليه وكاتب الأمراء ووعدهم بأنه يسلم إليهم الكرك وسأل الأمان.

فكتب إليه من السلطان أمان وقدم إلى القاهرة ومعه مسعود وابن أبي الليث وهما أعيان مشايخ الكرك فأكرمهم السلطان وأنعم عليهم وكتب لهم مناشير بجميع ما طلبوه من الإقطاعات والأراضي وكان من جملة ما طلبه بالغ وحده نحو أربعمائة وخمسين ألف درهم في السنة وكذلك أصحابه.

ثم أعيدوا إلى الكرك بعدما حلفوا ثم ركب العسكر للحرب وخرج الكركيون فلم يكن غير ساعة حتى أنهزموا منهم إلى داخل المدينة فدخل العسكر أفواجًا واستوطنوها وجدوا في قتال أهل القلعة عدة أيام والناس تنزل إليهم منها شيئًا بعد شيء حتى لم يبق عند الملك

الناصر أحمد بقلعة الكرك سوى عشرة أنفس فأقام يرمي بهم على العسكر وهو يجد في القتال ويرمي بنفسه وكان قوي الرمي شجاعًا إلى أن جرح في ثلاثة مواضع.

وتمكن النقابة من البرج وعلقوه وأضرموا النار تحته حتى وقع.

وكان الأمير سنجر الجاولي قد بالغ أشد مبالغة في الحصار وبذل فيه مالا كثيرا.

ثم هجم العسكر على القلعة في يوم الإثنين ثاني عشرين صفر سنة خمس وأربعين وسبعمئة فوجدوا الناصر قد خرج من موضع وعليه زردية وقد تنكب قوسه وشهر سيفه.

فوقفوا وسلموا عليه فرد عليهم وهو متجهم وفي وجهه جرح وكتفه أيضا يسيل دمًا.

فتقدم إليه الأمير أرقطاي والأمير قماري في آخرين وأخذوه ومضوا به إلى دهليز الموضع الذي كان به وأجلسوه وطببوا قلبه وهو ساكت لا يجيبهم فقيدوه ووكلوا به جماعة ورتبوا له طعامًا فأقام يومه وليته.

ومن باكراً الغد يقدم إليه الطعام فلا يتناول منه شيئًا إلى أن سألوه أن يأكل فأبى أن يأكل حتى يأتوه بشاب يقال له عثمان كان يهواه فاتوه به فأكل عند ذلك.

وخرج الأمير ابن بيغا حارس طير بالبشارة إلى السلطان الملك الصالح وعلى يده كتب الأمراء فقدم قلعة الجبل في يوم السبت ثامن عشرين صفر فدقت البشائر سبعة أيام.

وأخرج السلطان منجك اليوسفي الناصري السلاح دار ليلاً من القاهرة على البخت لقتل الملك الناصر أحمد من غير مشاورة الأمراء في ذلك فوصل إلى الكرك وأدخل على الملك الناصر من أخرج الشاب من عنده ثم خنقه في ليلة رابع شهر ربيع الأول وقطع رأسه وسار من ليلته ولم يعلم الأمراء ولا العسكر بشيء من ذلك حتى أصبحوا وقد قطع منجك مسافة بعيدة.

وقدم منجك بعد ثلاثة أيام قلعة الجبل ليلاً وقدم الرأس بين يدي السلطان - وكان ضخماً مهولاً له شعر طويل - فأقشعر السلطان عند رؤيته وبات مرجوحاً وطلب الأمير قبلاي الحاجب ورسم له أن يتوجه لحفظ الكرك إلى أن يأتيه نائب لها.

وكتب السلطان بعود الأمراء والعساكر المجردين إلى الكرك فكانت مدة حصار الملك الناصر بالكرك سنتين وشهراً وثلاثة أيام.

ثم قدم الأمراء المجردون إلى الكرك فخلع السلطان على الجميع وشكرهم وأكثر من الثناء عليهم.

ثم خلع على الأمير ملكتمر السرجواني باستقراره في نيابة الكرك على ما كان عليه قديماً وجهاز معه عدة صناعات لعمارة ما تهدم من قلعة الكرك وإعادة البرج على ما كان عليه.

ورسم بأن يخرج مائة مملوك معه من مماليك قوصون وبشتك الذين كان الملك الناصر قد أسكنهم بالقلعة ورتب لهم الرواتب وأن يخرج منهم مائتان إلى دمشق وحماة وحمص وطرابلس وصفد وحلب.

فأخرجوا جميعًا في يوم واحد ونساؤهم وأولادهم في بكاء وعويل وسخروا لهم خيول الطواحين ليركبوا عليها.

ثم وقعت الوحشة بين الأمير أرغون العلاني والأمير ملكتمر الحجازي وبين الحاج آل ملك نائب السلطنة وصار الحجازي والعلاني معًا على آل ملك النائب.

ووقع بين آل ملك والحجازي أمور يطول شرحها وكان الحجازي مولعًا بالخمير وآل الملك ينهى عن شربها فكان كلما ظفر بأحد من حواشي الحجازي مثل به فتقوم قيامة الحجازي لذلك وتفاوضا غير مرة بسبب هذا في مجلس السلطان وأرغون العلاني يميل مع الحجازي لما في نفسه من آل ملك وداما على ذلك مدة.

وأما السلطان فإنه بعد مدة نزل إلى سرباقوس بتجمل زائد على العادة في كل سنة.

ثم عاد إلى القلعة بعد أيام فورد عليه قصاد صاحب الروم وقصاد صاحب الغرب.

ثم بدا للسلطان الحج فتهيأ لذلك وأرسل يطلب العربان وأعطاهم الأموال بسبب كراء الجمال.

فتغير مزاجه في مستهل شهر ربيع الأول ولزم الفراش ولم يخرج إلى الخدمة أيامًا.

وكثرت القالة بسبب ضعفه وتحسنت الأسعار.

ثم أرجف بموت السلطان في بعض الأيام فأغلقت الأسواق حتى ركب الوالي والمحتسب وضربوا جماعة وشهروهم.

ثم اجتمعوا الأمراء ودخلوا على السلطان وتلطفوا به حتى أبطل حركة الحج وكتب بعود طقتمر من الشام واستعادة الأموال من العربان.

وما زال السلطان يتعلل إلى أن تحرك أخوه شعبان واتفق مع عدة مماليك وقد انقطع خبر السلطان عن الأمراء.

وكتب السلطان بالإفراج عن المسجونين من الأمراء وغيرهم بالأعمال وفرقت صدقات كثيرة ورتبت جماعة لقراءة " صحیح البخاري " .

فقوي أمر شعبان وعزم أن يقبض على النائب فأحترز النائب منه.

وأخذ أكابر الأمراء في توزيع أموالهم وحرمتهم في الأماكن ودخلوا على السلطان وسألوه أن يعهد لأحد من إخوته.

فطلب السلطان النائب وبقية الأمراء فلم يحضر إليه أحد منهم.

وقد آتفق الأمير أرغون العلاني مع جماعة على إقامة شعبان في الملك وفرق فيهم مالا كبيرًا فإنه كان أيضًا ابن زوجته وشقيق الملك الصالح إسماعيل لأبيه وأمه.

وقام مع أرغون من الأمراء غرلو وتمر الموساوي وامتنع النائب من إقامته وصاروا حزبين فقام النائب آل ملك في الإنكار على سلطنة شعبان وقد اجتمع مع الأمراء بباب القلعة وقبض ومات السلطان الملك الصالح إسماعيل في ليلة الخميس رابع شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة وقد بلغ من العمر نحو عشرين سنة فكنتم موته.

وقام شعبان إلى أمه ومنع من إشاعة موت أخيه وخرج إلى أصحابه وقرر معهم أمره. فخرج طشتمر ورسالن بصل إلى منكلي بغا ليستعطفوا الأمير أرقطاي والأمير أصلم. وكان النائب والأمراء علموا من العصر أن السلطان في النزاع اتفقوا على النزول من القلعة إلى بيوتهم بالقاهرة.

فدخل الجماعة على أرقطاي ليستميلوه لشعبان فوعدهم بذلك.

ثم دخلوا على أصلم فأجابهم وعادوا إلى شعبان وقد ظنوا أن أمرهم تم.

فلما أصبحوا نهار الخميس خرج الأمير أرغون العلاني والأمير ملكتمر الحجازي وتمر الموساوي وطشتمر طليليه ومنكلي بغا الفخري وأسندمر وجلسوا باب القلعة فأتاهم الأمير أرقطاي والأمير أصلم والوزير نجم الدين محمود والأمير قماري الأستاذار وطلبوا النائب فلم يحضر إليهم فمضوا كلهم إلى عنده وأستدعوا الأمير جنكلي بن البابا وأشتوروا فيمن يولوه السلطنة فأشار جنكلي أن يرسل إلى المماليك السلطانية ويسألهم من يختاروه " فإن من أختاروه رضينا سلطانا " فعاد جوابهم مع الحاجب أنهم رضوا بشعبان سلطاناً فقاموا جميعاً ومعهم النائب إلى داخل باب القلعة.

وكان شعبان تخيل من دخولهم عليه وجمع المماليك وقال: " من دخل علي وجلس على الكرسي قتلته بسيفي هذا! وأنا أجلس على الكرسي حتى أبصر من يقيمني عنه ".

فسير أرغون العلاني إليه وبشره وطيب خاطره ودخل الأمراء إليه وسلطنوه ولقب بالملك الكامل سيف الدين شعبان حسب ما يأتي ذكره في أول ترجمته.

ولنرجع إلى بقية ترجمة الملك الصالح إسماعيل.

وكان الملك الصالح سلطاناً ساكناً عاقلاً قليل الشر كثير الخير هيناً ليناً بشوشاً وكان شكلاً حسناً حلو الوجه أبيض بصفرة وعلى خده شامة.

ولم يكن في أولاد الملك الناصر خير منه.

رتب دروساً بمدرسة جده المنصور قلاوون وجدد جماعة من الخدام بالحرم النبوي حسب ما ذكرناه في وقته.

وله مآثر كثيرة بمكة واسمه مكتوب على رباط السدرة بحرم مكة.

ولم يزل مثابراً على فعل الخير حتى توفي.

ولما مات رثاه الشيخ صلاح الدين الصفدي بقوله: مضى الصالح المرجو للبأس والندی ومن لم يزل يلقي المنى بالمنائح فيا ملك مصر كيف حالك بعده إذا نحن أثنينا عليك بصالح وكان الملك الصالح محبباً للرعية على مشقة كانت في أيامه من كثرة التجاريد إلى قتال أخيه الملك الناصر أحمد بالكرك وكانت السبل مخيفة.

وشغف مع ذلك بالجواري السود وأفرط في محبة " اتفاق " العوادة وفي العطاء لها وقرب أرباب الملاهي وأعرض عن تدبير الملك بإقباله على النساء والمطربين حتى كان إذا ركب إلى سرحة سرياقوس أو سرحة الأهرام ركبت أمه في مائتي امرأة الأكاديش

بثياب الأطلس الملون وعلى رؤوسهن الطراوير الجلد البرغالي المرصعة بالجوهر واللاكيء وبين أيديهن الخدام الطواشية من القلعة إلى السرحة.

ثم تركب حظاياها الخيول العربية ويتسابقن ويركبن تارة بالكامليات الحرير ويلعبن بالكرة وكانت لهن في المواسم والأعياد وأوقات النزهة أمور من هذا النموذج.

وآستولى الخدام والطواشية في أيامه على أحوال الدولة وعظم أمرهم بتحكم كبيرهم عنبر السحرتي لالة السلطان وأقتنى عنبر السحرتي البزاة والسناقر وصار يركب إلى المطعم ويتصيد بثياب الحرير المزركشة وأتخذ له كفاً للصيد مرصعاً بالجواهر.

وعمل له خاصكية وخدامًا ومماليك تركب في خدمته حتى ثقل أمره على أكابر أمراء الدولة فإنه أكثر من شراء الأملاك والتجارة في البضائع كل ذلك لكونه لالا السلطان.

وأفرد له ميدانًا يلعب فيه بالكرة وتصدى لقضاء الأشغال وقصده الناس فصارت الإقطاعات والرزق والوظائف لا تقضى إلا بالخدام والنساء.

وكان متحصل الدولة في أيام الملك الصالح قليلًا ومصروف العمارة كثيرًا.

وكان مغرمًا بالجلوس بقاعة الدهيشة لا سيما لما ولدت منه " اتفاق " العوادة ولدًا ذكرًا عمل لها فيه مهما بلغ الغاية التي لا توصف ومع هذا كانت حياته منعصة وعيشته منكدة لم يتم سروره بالدهيشة سوى ساعة واحدة.

ثم قدم عليه منجك السلاح دار برأس أخيه الملك الناصر أحمد من الكرك فلما قدم بين يديه ورأه بعد غسله اهتز وتغير لونه وذعر حتى إنه بات تلك الليلة يراه في نومه ويفزع فرغًا شديدًا.

وتعلل من رؤيته وما برح يعتريه الأرق ورؤية الأحلام المزعجة وتمادى مرضه وكثر إرجافه حتى أعتراه القولنج وقوي عليه حتى مات منه في يوم الخميس المذكور ودفن عند أبيه وجده الملك المنصور قلاوون بالقبة المنصورية في ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الآخر فكانت مدة ملكه بالديار المصرية ثلاث سنين وشهرين وأحد عشر يومًا.

وقال الصفدي: ثلاث سنين وشهرًا وثمانية عشر يومًا.

وتسلطن من بعده أخوه شقيقه شعبان ولقب بالكامل.

وعمل للملك الصالح العزاء بالديار المصرية أيامًا كثيرة ودارت الجوارى بالملاهي يضربن بالدفوف والمخدرات حواسر يبكين ويلطمن وكثر حزن الناس عليه ووجدوا عليه وجدًا عظيمًا.

السنة الأولى من سلطنة الصالح إسماعيل على مصر وهي سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة.

فيها توفي الشيخ الإمام برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد السفاقسي المالكي في ذي الحجة.

وكان إمامًا فقيهاً بارعًا أفتى ودرس سنين وله مصنفات مفيدة منها: " إعراب القرآن " و " شرح ابن الحاجب في الفقه " وغير ذلك.

وكان معدودًا من علماء المالكية.

وتوفي الأمير سيف الدين أرنيغا بن عبد الله الناصري ناظر طرابلس بها.

وكان من أجل أمراء الدولة ومن أعيان ممالك الناصر محمد وخاصكيته وتنقل في عدة ولايات وكان معدودًا من الشجعان.

وتوفي الأمير الكبير علاء الدين أيدغمش بن عبد الله الناصري الأمير آخور ثم نائب حلب ثم نائب الشام فجأة في بكرة يوم الأربعاء رابع جمادى الآخرة ودفن في آخر ميدان الحصى في تربة عفرت له هناك.

وكانت مدة نيابته بحلب والشام نصف سنة وكانت موته غريبة وهو أنه ركب في بكرة ثالث جمادى الآخرة وخرج ظاهر دمشق وأطعم طيور الصيد وعاد إلى دار السعادة وقرئت عليه قصص يسيرة ثم أكل السماط.

ثم عرض طلبه والمضافين إليه وقدم جماعة وآخر جماعة ثم دخل إليه ناظر ديوانه وقرأ عليه مخازيم وحساب ومصروف ديوانه.

ثم قال أيدغمش: هؤلاء الذين تزوجوا من ممالكي اقطعوا مرتبهم.

ثم كل الطاري وقعد هو وابن جماز يتحدثان فسمع حس جماعة من جواربه يتخاصمن فقام وأخذ عصاه ودخل إليهن وضرب واحدة منهن ضربتين وسقط ميتًا لم يتنفس فتحير الناس في أمره فأمهله إلى بكرة يوم وكان أصل أيدغمش هذا من ممالك الأمير بلبان الطباخي ثم اتصل إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون فجعله من جملة خاصكيته.

ثم رقا حتى جعله أمير آخور كبير بعد بيبرس الحاجب فدام في وظيفة الأمير آخورية نحو عشرين سنة.

وقد استوعبنا من حاله مع قوصون وغيره قطعة جيدة في ترجمة الملك الناصر أحمد وغيره.

وكان أميرًا جليلاً عاقلاً مهابًا شجاعًا مدبرًا مقدامًا كريمًا قل من دخل إليه للسلام إلا وأعطاه شيئًا.

وكان مكينًا عند أستاذه الملك الناصر على أنه أنعم على أولاده الثلاثة بإمرة وهم أمير حاج ملك وأمير أحمد وأمير علي.

وكان أيدغمش يميل إلى فعل الخير وله مآثر حميدة.

وهو صاحب الحمام والخوخة خارج بابي زويلة رحمه الله.

وتوفي الأمير ركن الدين بيبرس بن عبد الله الناصري الحاجب بدمشق في شهر رجب وهو أيضًا من الممالك الناصرية.

رقاه أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون حتى صار أمير مائة ومقدم ألف ثم ولاه أمير آخور مدة سنتين ثم عزله بالأمير أيدغمش المقدم ذكره وولاه الحجوية.

ثم جرده إلى اليمن فبلغه عنه أنه أخذ برطيل صاحب اليمن وتراخى في أمر السلطان فلما عاد قبض عليه وحبسه تسع سنين وثمانية أشهر إلى أن أفرج عنه في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة وأخرجه إلى حلب أميرًا بها.

ثم نقل إلى إمرة دمشق فما زال بها حتى مات في وتوفي الأمير سيف الدين قماري بن عبد الله الناصري أمير شكار في يوم الأحد خامس جمادى الأولى.

وكان خصيصًا عند أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو أحد من زوجه الملك الناصر بإحدى بناته بعدما أنعم عليه بإمارة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية وجعله أمير شكار.

وتوفي سيف الدين طشتمر بن عبد الله الساقى الناصري المعروف بحمص أخضر مقتولًا بسيف الملك الناصر أحمد بالكرك.

وكان أيضًا أحد مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون وخواصه.

رقاه وأمره وولاه نيابة صفد وهو الذي توجه من صفد وقبض على تنكز نائب الشام حسب ما تقدم ذكره.

ثم نقله إلى نيابة حلب عوضًا عن طوغان الناصري في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة فدام بحلب حتى خرج منها إلى الروم - وقد مر ذكر ذلك كله - إلى أن قدم الديار المصرية صحبة الأمراء الشاميين وولاه الملك الناصر أحمد نيابة السلطنة.

ثم قبض عليه بعد أن باشر النيابة خمسة وثلاثين يومًا وأخرجه معه إلى الكرك فقتله هناك وقتل الأمير قطلوبغا الفخري الآتي ذكره.

▲ ولما قتل طشتمر

قال فيه الصلاح الصفدي:

طوى الرش طشتمرًا بعدما بالغ في دفع الأذى** واحترس عهدي به كان شديد القوى

أشجع من يركب ظهر الفرس

قلت: وهو صاحب الدار العظيمة والريع الذي بجانبها بحمرة البقر خارج القاهرة والجامع بالصحراء والمئذنة الحلزون والجامعين بالزربية والريع الذي بالحريبين داخل القاهرة.

وكان شجاعًا كريمًا كثير الإنعام والصدقات.

وتوفي الأمير سليمان بن مهنا بن عيسى بن مهنا ملك العرب وأمير آل فضل بظاهر سلمية وكان من أجل ملوك العرب.

وتوفي الأمير سيف الدين طينال بن عبد الله الناصري نائب غزة ونائب صفد ثم نائب طرابلس ومات وهو على نيابة صفد في يوم الجمعة رابع شهر ربيع الأول.

وكان من أعيان الأمراء الناصرية.

وتوفي الأمير سيف الدين قطلوبغا بن عبد الله الفخري الساقى الناصري نائب الشام مقتولًا بسيف الملك الناصر أحمد بالكرك.

وكان من أكابر مماليك الناصر محمد بن قلاوون من طبقة أرغون الدوادار.

قال الصفدي: لم يكن لأحد من الخاصكية ولا غيرهم إدلاله على الملك الناصر محمد ولا من يكلمه بكلامه وكان يفحش في كلامه له ويرد عليه الأجوبة الحادة المرة وهو يحتمله ولم يزل عند السلطان أثيرًا إلى أن أمسكه في نوبة إخراج أرغون إلى حلب نائبًا فلما دخل تنكز قلت: وقد سقنا من ذكره في ترجمة الملك الناصر أحمد وغيره ما فيه كفاية عن ذكره هنا ثانيًا.

سمت همة الفخري حتى ترفعت على هامة الجوزاء والنسر بالنصر وكان به للملك فخر فخانه الر - - مان فأضحى ملك مصر بلا فخر وتوفي الأمير سيف الدين بهادر بن عبد الله الجوباني رأس نوبة.

وتوفي الأمير سيف الدين بكا الخصري الناصري موسطًا بسوق الخيل في رابع شهر رجب وقد مر من ذكره نبذة في ترجمة الملك الصالح إسماعيل.

وتوفي الشيخ الإمام تاج الدين أبو المحاسن عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني المخزومي الشافعي الأديب الكاتب بالقدس الشريف في هذه السنة عن ثلاث وستين سنة.

وتوفي الشيخ الإمام الخطيب محيي الدين محمد بن عبد الرحيم بن عبد الوهاب بن علي بن أحمد أبو المعالي السلمي الشافعي خطيب بعلبك في ليلة الأربعاء تاسع شهر رمضان.

ومولده في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة.
وكان فاضلاً عالمًا خطيبًا فصيحًا وكتب الخط المنسوب.
أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وإصبعان.
مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا سواء.

والله تعالى أعلم.

وهي سنة أربع وأربعين وسبعمائة.

فيها توفي قاضي القضاة برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد بن علي بن عبد الحق قاضي القضاة الحنفية بالديار المصرية وهو مقيم بدمشق.

وكان إمامًا عالمًا بارعًا.

أفتى ودرس سنين وناب في الحكم ثم استقل بقضاء القضاة بالديار المصرية وحسنت سيرته.

وتوفي الأمير سيف الدين وقيل شمس الدين آق سنقر بن عبد الله السلاري نائب السلطنة بالديار المصرية قتيلاً بثغر الإسكندرية في السجن.

وكان أصله من مماليك الأمير سلار واتصل بعده بخدمة الملك الناصر محمد بن قلاوون فرقاه إلى أن ولاه نيابة غزة ثم صفد.

ثم ولي بعد موت الملك الناصر نيابة السلطنة بالديار المصرية.

وقد تقدم ذكره في ترجمة الملك الصالح هذا والتعريف بأحواله وكرمه إلى أن قبض عليه وسجن ثم قتل.

وكان من الكرماء الشجعان.

وتوفي الأمير علاء الدين أَلطِنبغا بن عبد الله المارداني الناصري الساقى نائب حلب بها.

وكان أَلطِنبغا أحد مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون وخاصيته وأحد من شغف بمحبته ورفاهه في مدة يسيرة حتى جعله أمير مائة ومقدم ألف وزوجه بابنته.

ثم وقع له أمور بعد موته ذكرناها في تراجم: المنصور والأشرف والناصر والصالح أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى أن ولي نيابة حماة ثم حلب بعد الأمير طقزدمر فباشر نيابة حلب نصف سنة.

وتوفي ولم يبلغ من العمر خمسًا وعشرين سنة.

وكان أميرًا شابًا لطيف الذات حسن الشكل كريم الأخلاق مشهورًا بالشجاعة والكرم.

وهو صاحب الجامع المعروف به خارج باب زويلة.

وقد تقدم ذكر بنائه في ترجمة أستاذه الملك الناصر محمد.

وتوفي الأمير الأديب علاء الدين أَلطِنبغا بن عبد الله الجاولي.

أصله من مماليك ابن باخل.

ثم صار إلى الأمير علم الدين سنجر الجاولي فجعله دواداره لما كان نائب غزة فعرف به ثم تنقلت به الأحوال حتى صار من جملة أمراء دمشق إلى أن مات بها في شهر ربيع الأول.

قلت: وهو أحد فحول الشعراء من الأتراك لا أعلم أحدًا من أبناء جنسه في رتبته في نظم القريض اللهم إلا إن كان أيدمر المحيوي فيمكن.

ومن شعر أَلطِنبغا المذكور: ردفه زاد في الثقاله حتى أقعد الخصر والقوام سويا نهض الخصر والقوام وقاما وضعيفان يغلبان قويا وله: وبارد الثغر حلو بمرشف فيه حوه وخصره في انتحال ييدي من الضعف قوه فديتك ما حفظت لشؤم بختي من القرآن إلا لن تراني وله: يقول لي العاذل في لومه وقوله زور وبهتان ما وجه من أحببته قبله قلت ولا قولك قرآن وقد سقنا من شعره قطعة جيدة في تاريخنا " المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ".

وتوفي القاضي شرف الدين أبو بكر بن محمد ابن الشهاب محمود كاتب سر مصر ثم دمشق في شهر ربيع الأول.

وكان فاضلاً بارعاً في صناعته وهو من بيت علم وفضل ورياسة وإنشاء.

وكان فاضلاً مترسلاً رئيساً نبيلاً وله نظم رائع ونثر لائق.

ومن شعره: بعثت رسولا للحبيب لعله يبرهن عن وجدي له ويترجم فلما رآه حار من فرط حسنه وما عاد إلا وهو فيه متميم وتوفي الأمير سيف الدين طرغاي الجاشنكير الناصري نائب حلب وطرابلس في شهر رمضان.

وكان من أعيان مماليك الملك الناصر وأمرائه.

وكان شجاعا مقداما سيوسا.

ولي الولايات والأعمال الجليلة.

وتوفي الأمير علاء الدين آقبا عبد الواحد الناصري بحبسه بثر الإسكندرية وقد تكرر ذكره في ترجمة أستاذه الملك الناصر في مواطن كثيرة وفي أول ترجمة الملك المنصور أبي بكر أيضا وكيف كان القبض عليه وما وقع له من المصادرة وغير ذلك إلى أن ولي نيابة حمص ثم عزل وقبض عليه وحبس إلى أن مات.

وكان أصله من مماليك الناصر محمد وأخا زوجته خوند طغاي وتولى في أيام أستاذه عدة وظائف وولايات منها أنه كان من جملة مقدمي الألوف ثم أستاذًا ثم مقدم المماليك السلطانية وشاد العمائر.

وكان يندبه لكل أمر مهم فيه العجلة لمعرفته بشدة بأسه وقساوة قلبه وكثرة ظلمه.

وكان من أقبح المماليك الناصرية سيرة.

وهو صاحب المدرسة على يسار الداخل إلى الجامع الأزهر والدار بالقرب من الجامع المذكور.

وتوفي الشيخ حسن بن تمر تاش بن جوبان متملك تبريز والعراق في شهر رجب.

وكان من أعظم الملوك وكان داهية صاحب حيل ومكر وخديعة.

وكان كثير العساكر من الترك وغيرها.

وتوفي القاضي زين الدين إبراهيم بن عرفات بن صالح ابن أبي المنى القنائي الشافعي قاضي قنا كان فقيها رئيسا كثير الأموال.

كان يتصدق في كل سنة بألف وتوفي الشيخ الإمام شمس الدين محمد بن علي بن أيك السروجي.

مولده بمصر في ذي الحجة سنة أربع عشرة وسبعمئة ومات بحلب في الثامن من شهر ربيع الأول.

وتوفي المحدث شهاب الدين أحمد ابن أبي الفرج الحلبي بمصر بعد أن حدث عن النجيب وتوفي القاضي علم الدين سليمان بن إبراهيم بن سليمان المعروف بابن المستوفي المصري ناظر الخاص بدمشق في جمادى الآخرة.

وله فضيلة وشعر جيد وكان يعرف بكاتب قراسنقر فإنه كان بخدمته.

وباشر عدة وظائف بدمشق: نظر البيوت ثم نظر الخاص ثم صحابة الديوان.

وكان بارعًا في صناعة الحساب ويكتب الخط المليح.

وله يد في النظم وقدرة على الارتجال وكان يتكلم فصيحًا باللغة التركية.

ومن شعره: غرامي فيك قد أضحي غريمي وهجرك والتجني مستطاب وبلواي ملالك لا لذنوب وقولك ساعة التسليم طابوا أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعًا وسبع عشرة إصبعًا.

والله تعالى أعلم.

السنة الثالثة من سلطنة الصالح إسماعيل وهي سنة خمس وأربعين وسبعمائة.

فيها توفي قاضي القضاة العلامة جلال الدين أحمد ابن القاضي حسام الدين أبي الفضائل حسن بن أحمد بن الحسن بن أنوشروان الأنكوري الحنفي قاضي قضاة دمشق وعالمها في يوم الجمعة تاسع عشر رجب ومولده بمدينة أنكورية ببلاد الروم في سنة إحدى وخمسين وستمائة.

وكان إمامًا عالمًا دينًا عارفًا بالمذهب وأصوله محققًا إمامًا في العلوم العقلية وأفتى ودرس وتصدر للإقراء في حياة والده.

وولي قضاء خربت وعمره سبع عشرة سنة وحمدت سيرته.

ثم انتقل إلى البلاد الشامية حتى كان من أمره ما كان.

وتوفي الأمير علم الدين سنجر الجاولي أحد أعيان أمراء بالديار المصرية في يوم الخميس ثامن شهر رمضان ودفن بمدرسته فوق جبل الكبش.

وكان أصله من مماليك جاول أحد أمراء الملك الظاهر بيبرس.

ثم اتصل بعده إلى بيت السلطان وأخرج أيام الأشرف خليل بن قلاوون إلى الكرك واستقر في جملة بحريتها.

ثم قدم في أيام العادل كتبغا إلى مصر بحال زري فقدمه الأمير سلار ونوه بذكره إلى أن ولي نيابة غزة ثم عدة ولايات بعد ذلك بمصر والبلاد الشامية.

وطالت أيامه في السعادة وعمر وقد مر من ذكره أشياء فيما تقدم.

وهو صاحب الجامع بغزة والخليل عليه السلام وخان بيسان وخان قاقون.

وكان فاضلاً فقيهاً وله مصنفات في الفقه وغيره.

وتوفي الأمير سيف الدين طقصبا بن عبد الله الظاهري وقد أناف على مائة وعشرين سنة.

وتوفي جمال الكفاة الرئيس جمال الدين ناظر الخاص ثم الجيش ثم المشد تحت العقوبة في ليلة الأحد سادس شهر ربيع الأول.

وكان ابن خالة النشو ناظر الخاص وهو الذي استسلمه وأستخدمه مستوفياً في الدولة ثم عند بشتك ثم وقع بينهما المعادة الصعبة على سوء ظن من النشو ولم يزالا على ذلك حتى مات النشو تحت العقوبة وولي جمال الكفاة هذا مكانه وطالت أيامه ونالته السعادة.

قال الصفدي: وكان شكلاً حسناً ظريفاً مليحاً يكتب خطاً قوياً جيداً ويتحدث بالتركي وفيه ذوق للمعاني الأدبية ومحبة للفضلاء ولطف عشرة وكرم أخلاق ومروءة.

وكان أولاً عند الأمير طيغا القاسمي.

ومدة مباشرته الخاص ست سنين تقريباً.

انتهى كلام الصفدي باختصار.

وقال غيره: وكان أولاً يباشر في بعض البساتين على بيع ثمرته وتنقل في خدمة ابن هلال الدولة ثم خدم بيدمر البحري وهو خاصكي خبزه بمحلة منوف فكتب على بابه إلى أن تأمر.

ثم أنتقل بعد ذلك حتى كان من أمره ما ذكرناه.

ولما صودر أخذ منه أموال كثيرة.

وتوفي الشيخ الإمام العلامة فريد عصره أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف ابن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي المغربي المالكي ثم الشافعي.

مولده بغرناطة في أخريات شوال سنة أربع وخمسين وستمائة.

وقرأ القرآن بالروايات وآشتغل وسمع الحديث بالأندلس وإفريقية وإسكندرية والقاهرة والحجاز وحصل الإجازات من الشام والعراق وأجتهد في طلب العلم حتى برع في النحو والتصريف وصار فيهما إمام عصره وشارك في علوم كثيرة.

وكان له اليد الطولى في التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم وتواريخهم خصوصاً المغاربة وهو الذي جسر الناس على مصنفات ابن مالك ورغبهم في قراءتها وشرح لهم غوامضها وقد سقنا من أخباره وسماعاته ومشايخه ومصنفاته وشعره في ترجمته في تاريخنا " المنهل الصافي " ما يطول الشرح في ذكره هنا ومن أراد ذلك فلينظره هناك.

ولنذكر هنا من شعره نبذة يسيرة بسندنا إليه: أنشدنا القاضي عبد الرحيم بن الفرات إجازة أنشدنا الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي إجازة قال: أنشدني العلامة أثير الدين أبو حيان من لفظه لنفسه: سبق الدمع بالمسير المطايا إذ نوى من أحب عني نقله وأجاد السطور في صفحة الخ - - د ولم لا يجيد وهو ابن مقله وله بالسند: راض حبيبي عارض قد بدا يا حسنه من عارض راض فظن قوم أن قلبي سلا والأصل لا يعتد بالعارض إن كان ليل داج وخاننا الإصباح فنورها الوهاج يغني عن الصباح سلافة تبدو كالكوكب الأزهر مزاجها شهد وعرفها عنبر يا حبذا الورد منها وإن أسكر قلبي بها قد هاج فما تراني صاح عن ذلك المنهاج وعن هوى يا صاح وبني رشا أهيف قد لج في بعدي بدر فلا يخسف منه سنا الخد بلحظه المرهف يسطو على الأسد كسطوة الحجاج في الناس والسفاح فما ترى من ناج من لحظة السفاح علل بالمسك قلبي رشحاً أحور منغم المسك ذو ميسم أعطر رياه كالمسك وريقه كوثر وهجر كالدائم قد طال بالهيمن فدمعه أمواج وسره قد

لاح لكنه ما عاج ولا أطاع اللاح يارب ذي بهتان يعذل في الراح وفي هوى الغزلان دافعت بالراح وقلت لا سلوان عن ذاك يا لاحي سيع الوجوه والتاج هي منية الأفراح فأختر لي يا زجاج قمصال وزوج أقداح.

قلت: ومذهبي في أبي حيان أنه عالم لا شاعر.

ولم أذكر هذه الموشحة هنا لحسنها بل قصدت التعريف بنظمه بذكر هذه الموشحة لأنه أفحل شعراء المغاربة في هذا الشأن وأما الشاعر العالم هو الأرجاني وأبو العلاء المعري وابن سناء الملك.

انتهى.

وكانت وفاته بالقاهرة في ثامن عشرين صفر.

وتوفي الأمير صلاح الدين يوسف بن أسعد الدوادار الناصري بطرابلس.

وكان من أكابر الأمراء.

ولي الدوادارية الكبرى في أيام الناصر محمد ثم ولي نيابة الإسكندرية ثم أخرج إلى البلاد الشامية إلى أن مات بطرابلس.

وكان كاتبًا شاعرًا.

وتوفي الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله البشمقدار المنصوري.

كان من مماليك المنصور وتوفي الأمير سيف الدين طرنطاي المنصوري المحمدي بدمشق.

وكان من جملة من وافق على قتل الأشرف خليل فسجنه الملك الناصر سبعًا وعشرين سنة ثم أفرج عنه وأخرجه إلى طرابلس أمير عشرة.

وتوفي الأمير سيف الدين بلبان المنصوري الشمسي بمدينة حلب.

وكان الناصر أيضًا حبسه سنين ثم أخرجته إلى حلب.

وتوفي سيف الدين كندغدي بن عبد الله المنصوري بحلب أيضًا.

وهو رأس الميسرة ومقدم العساكر المجردة إلى سيبس.

وكان من كبار الأمراء بالديار المصرية.

▲ أمر النيل في هذه السنة

: الماء القديم سبع أذرع وثمانى أصابع.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعًا وسبع عشرة إصبغًا.

سلطنة الملك الكامل شعبان السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان ابن السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي النجمي.

والكامل هذا هو السابع عشر من ملوك الترك بالديار المصرية والخامس من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون.

جلس على تخت الملك بعد موت أخيه وشقيقه الملك الصالح إسماعيل في يوم الخميس الرابع من شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة ولقب بالملك الكامل.

وفيه يقول الأديب البارع جمال الدين بن نباتة.

رحمه الله تعالى: جبين سلطاننا المرجى مبارك الطالع البديع يا بهجة الدهر إذ تبدى هلال شعبان في ربيع وكان سبب سلطنة الملك الكامل هذا أنه لما اشتد مرض أخيه الملك الصالح إسماعيل دخل عليه زوج أمه ومدبر مملكته الأمير أرغون العلاني في عدة من الأمراء ليعهد الملك الصالح إسماعيل بالملك لأحد من إخوته - وكان أرغون العلاني المذكور غرضه عند شعبان كونه أيضًا ربيبه ابن زوجته - فعارضه في شعبان الأمير آل ملك نائب السلطنة حسب ما ذكرنا طرقًا من ذلك في مرض الملك الصالح المذكور.

ثم وقع ما ذكرناه إلى أن اتفق المماليك والأمراء على توليته وحضروا إلى باب القلعة واستدعوا شعبان المذكور وألبسوه أبهة السلطنة وأركبوه بشعار الملك ومشيت الأمراء بخدمته والجاوشية تصيح بين يديه على العامة حتى قرب من الإيوان لعب الفرس تحته وجفل من صياح الناس فنزل عنه ومشى خطوات بسرعة إلى أن طلع إلى الإيوان فتفائل الناس بنزوله عن فرسه أنه لا يقيم في السلطنة إلا يسيرًا.

ولما طلع إلى الإيوان وجلس على الكرسي وباسوا الأمراء له الأرض وأحضروا المصحف ليحلفوا له فحلف هو أولاً أنه لا يؤذيهم ثم حلفوا له بعد ذلك على العادة.

ودقت البشائر بسلطنته بمصر والقاهرة وخطب له من الغد على منابر مصر والقاهرة وكتب بسلطنته إلى الأقطار.

ثم في يوم الإثنين ثامن شهر ربيع الآخر المذكور جلس الملك الكامل بدار العدل وجدد له العهد من الخليفة بحضرة القضاة والأمراء.

وخلع على الخليفة وعلى القضاة والأمراء.

وفيه كتب بطلب الأمير آق سنقر الناصري من طرابلس فسأل الأمير قماري الأستاذار أن يستقر عوضه في نيابة طرابلس وتشفع قماري المذكور بأرغون العلاني وملكتمر الحجازي فأجيب إلى ذلك ثم تغير ذلك وخلع عليه في يوم الخميس حادي عشره بنيابة طرابلس فخرج من فوره على البريد.

وفيه خلع على الأمير أرقطاي وأستقر في نيابة حلب عوضاً عن يلغا اليحياوي وخرج أيضًا على البريد وكتب السلطان يطلب اليحياوي ثم طلب الأمير آل ملك نائب السلطنة الإغفاء من النيابة وقبل الأرض وسأل في نيابة الشام عوضًا عن طقزدمر الحموي وأن ينتقل طقزدمر إلى مصر فأجيب إلى ذلك وكتب السلطان بعزل طقزدمر عن نيابة الشام وإحضاره إلى الديار المصرية.

وفي يوم السبت ثالث عشره خلع السلطان الملك الكامل على الأمير الحاج آل ملك نائب السلطنة بأستقراره في نيابة الشام عوضًا عن طقزدمر وأخرج من يومه على البريد فلم يدخل مدينة غزة حتى لحقه البريد بتقليده نيابة صفد وأن يكون ولده وابن أخيه الفارس بحلب.

وسبب ذلك أن أرغون العلائي لما قام في أمر الملك الكامل شعبان هذا وفي سلطنته قال له الحاج آل ملك: " بشرط ألا يلعب بالحمام " فلما بلغ ذلك شعبان نقم عليه فلما ولي دمشق أستكثرها عليه وحوله إلى نيابة صفد.

ورسم للأمير بلبغا اليحياوي نائب حلب كان بأستقراره في نيابة الشام.

ثم أخذ السلطان الملك الكامل في تدبير مملكته والنظر في أمور الدولة فأنعم بإقطاع أرقطاي على الأمير أرغون شاه وأستقر أستاذًا عوضًا عن قماري المستقر في نيابة طرابلس.

وأخرج السلطان الأمير أحمد شاد الشرايخانا هو وإخوته إلى صفد من أجل أنهم كانوا ممن قام مع الأمير آل ملك هم وقماري الأستادار في منع سلطنة الملك الكامل هذا.

ثم خلع السلطان على علم الدين عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن زنبور بأستقراره ناظر الخواص عوضًا عن الموفق عبد الله بن إبراهيم وعني الأمير أرغون العلائي بالموفق حتى نزل إلى داره بغير مصادرة.

ثم قدم الأمير آق سنقر الناصري المعزول عن نيابة طرابلس فخلع السلطان عليه وسأله السلطان بنيابة السلطنة بالديار المصرية فامتنع أشد امتناع وحلف أيما مغلظة أنه لا يليها ثم بدا للسلطان أن يخطب بنت بكتمر الساقية فامتنعت أمها من إجابته واحتجت عليه بأن ابنتها تحته ولا يجمع بين أختين وأنه بتقدير أن يفارق أختها فإنه أيضًا قد شغف باتفاق العوادة جارية أخيه الملك الصالح شغفًا زائدًا ثم قالت: " ومع ذلك فقد ضعف حال المخطوبة من شدة الحزن فإنه أول من أعرس عليها أنوك ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان لها ذلك المهم العظيم ومات أنوك عنها وهي بكر فتزوجها من بعده أخوه الملك المنصور أبو بكر فقتل فتزوجها بعد الملك المنصور أخوه السلطان الملك الصالح إسماعيل ومات عنها أيضًا فحصل لها حزن شديد من كونه تغير عليها عدة أزواج في هذه المدة اليسيرة " فلم يلتفت الملك الكامل إلى كلامها وطلق أختها وأخرج جميع قماشها من عنده في ليلته ثم عقد عليها ودخل بها.

ثم أنعم السلطان على ابن طلشتمر حمص أخضر بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية وعلى ابن أصلم بإمرة طبلخاناه.

ثم في مستهل جمادى الأولى خلع السلطان الملك الكامل على جميع الأمراء المقدمين والطبلخانات وأنعم على ستين مملوكًا بستين قباء بطرز زركش وستين حياصة ذهب وفرق الخيول على الأمراء برسم نزول الميدان.

ثم رسم السلطان أن يتوفر إقطاع النيابة للخاص.

وخلع على الأمير بيغرا وأستقر حاجبًا كبيرًا.

ثم نزل السلطان إلى الميدان على العادة فكان لنزوله يوم مشهود.

وخلع على الشريف عجلان بن رميثة ابن أبي نمي الحسني باستقراره أمير مكة.
ثم عاد السلطان إلى القلعة.

وفي يوم السبت خامس عشرين جمادى الأولى قدم الأمير طقزدمر من الشام إلى القاهرة مريضًا في محفة بعد أن خرج الأمير أرغون العلاني وصحبته الأمراء إلى لقائه فوجدوه غير واع ودخل عليه الأمراء وقد أشفى على الموت.

ولما دخل طقزدمر إلى القاهرة على تلك الحالة أخذ أولاده في تجهيز مقدمة جليلة للسلطان تشتمل على خيول وتحف وجواهر فقبلها السلطان منهم ووعدهم بكل خير.

وفيه أنعم السلطان على الأمير أرغون الصالحي بتقدمة ألف ورسم أن يقال له: أرغون الكاملى ووهب له في أسبوع ثلاثمائة ألف درهم وعشرة آلاف إردب من الأهراء ورسم له بدار أحمد شاد الشربخانا وأن يعمر له بجواره من مال السلطان قصر على بركة الفيل ويطل على الشارع فعمل له ذلك.

قلت: والبيت المذكور هو الذي كان يسكنه الملك الظاهر جقمق وتسلطن منه ثم سكنه الملك الأشرف إينال وتسلطن منه وهو تجاه الكبش.

انتهى.

وفي يوم الخميس مستهل جمادى الآخرة ركب السلطان الملك الكامل لسرحة سرياقوس ومعه عساكره على العادة وأخذ حريمه صحبته فنصب لهم أحسن الخيم في البساتين.

ثم في يوم الجمعة قدم أولاد طقزدمر على السلطان بسرياقوس بخير وفاة أبيهم طقزدمر فلم يمكن السلطان الأمراء من العود إلى القاهرة للصلاة عليه ورسم بإخراجه فأخرج ودفن بخانقاه بالقرافة وأخذت خيله وجماله وهجنه إلى الإسطنبول السلطاني.

ثم خلع السلطان على الأمير أرسلان بصل واستقر حاجبًا ثانيًا مع بيغرا ورسم له أن يحكم بين الناس ولم تكن العادة جرت بذلك أن يحكم الحجاب بين الناس غير حاجب الحجاب.

قلت: كان الحجاب يوم ذاك كهيئة رؤوس النوب الصغار الآن.

انتهى.

وخلع على الأمير ملكتمر السرجواني باستقراره في نيابة الكرك وأنعم بتقدمته على الأمير طشتمر طليليه وأنعم بطبلخاناه طشتمر طليليه على الأمير قبلاي.

ثم قدم على السلطان الخبر بموت أخيه الملك الأشرف كجك ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون عن اثنتي عشرة سنة.

واتهم السلطان أنه بعث من سرياقوس من قتله في مضجعه على يد أربعة خدام طواشية فعظم ذلك على الناس قاطبة.

ثم عاد السلطان من سرياقوس إلى القلعة بعد ما تهتكت المماليك السلطانية من شرب الخمر ثم أخذ السلطان الملك الكامل في تجديد المظالم والمصادرات.

ثم قدم البريد على السلطان بأن الشيخ حسناً صاحب بغداد واقع سلطان شاه وأولاد
تمرداش وانتصر الشيخ حسن وحصر سلطان شاه بماردين وأخذ ضياعها.

ثم إن السلطان الملك الكامل بدا له أن ينشئ مدرسته موضع خان الزكاة ونزل الأمير
أرغون العلاني والوزير لنظره.

وكان أبوه الملك الناصر محمد قد وقفه فلم يوافق القضاة على حله.

وفي مستهل شعبان عمل السلطان مهمة على بنت الأمير طقزدمر الحموي سبعة أيام.

وفي مستهل شوال رسم السلطان للأمير أرغون الكاملي بزيارة القدس وأنعم عليه
بمائة ألف عرهم.

وكتب إلى نواب الشام بالركوب لخدمته وحمل التقادم وتجهيز الإقامات له في المنازل
إلى حين عوده.

ورسم له أن ينادي بمدينة بليس وأعمالها أنه من قال عنه: أرغون الصغير شنق وألا يقال
له إلا أرغون الكاملي فشهر النداء بذلك في الأعمال.

وفي هذه الأيام كثر لعب الناس بالحمام وكثر جري السعاة وتزايد شلاق الزعر وتسلط
عبيد الطواشية على الناس وصاروا كل يوم يقفون للضراب فتسفك بينهم دماء كثيرة
وتنهب الحوانيت بالصليبة خارج القاهرة.

وإذا ركب إليهم الوالي لا يعبؤون به وإن قبض على أحد منهم أخذ من يده سريعاً فاشتد
قلق الناس من ذلك.

ثم آخترع السلطان شيئاً لم يسبق إليه وهو أنه أعرس السلطان بعض الطواشية ببعض
سراريه بعد عقده عليها وعمل له السلطان مهماً حضره جميع جواري بيت السلطان
وجليت العروس على الطواشي ونثر السلطان عليها وقت الجلاء الذهب بيده فكانت هذه
الحادثة من أشنع ما يكون وعظم ذلك على سائر أعيان الدولة.

وفي ذي الحجة كثرت الإشاعة باتفاق الأمير آل ملك نائب صفد مع الأمير بليغا اليحياوي
نائب الشام على المخامرة.

فجهز آل ملك محضراً ثابتاً على قاضي صفد بالبراءة مما رمي به فأنكر السلطان عليه
هذا.

واتفق قدوم بعض ممالك آل ملك هارباً منه كونه شرب الخمر وأشاع هذا الخبر فرسم
السلطان بإخراج منجك اليوسفي السلاح دار على البريد لكشف الخبر فلما توجه منجك
إلى الشام حلف له نائب الشام أنه بريء مما قيل عنه وأنعم على منجك بألفي دينار
سوى الخيل والقماش.

ثم نودي بالقاهرة ألا يعارض أحد من لعب الحمام وأرباب الملاعب والسعاة فتزايد
الفساد وشنع الأمر كل ذلك لمحبة السلطان في هذه الأمور.

ثم ندب السلطان الأمير طقتمر الصالحي للتوجه إلى الشام على البريد ليوقع الحوطة
على جميع أرباب المعاملات وأصحاب الرزق والرواتب بالبلاد الشامية من الفرات إلى

غزة وألا يصرف لأحد منهم شيئاً وأن يستخرج منهم ومن الأوقاف وأرباب الجوامك ألف ألف درهم برسم سفر السلطان إلى الحجاز ويشترى بذلك الجمال ونحوها.

فكثر الدعاء على السلطان من أجل ذلك وتغيرت الخواطر.

وفي هذه الأيام كتب السلطان بإحضار الأمير آل ملك نائب صفد إلى القاهرة ليستقر على إقطاع الأمير جنكلي بن البابا بعد موته وتوجه لإحضاره الأمير منجك السلاح دار.

ثم في يوم السبت تاسع عشرين ذي الحجة أمسك أبنك أخو قماري ثم عفي عنه من يومه.

ثم كتب باستقرار الأمير أراق الفتاح نائب غزة في نيابة صفد بعد عزل آل ملك.

وأما الأمير منجك فإنه وصل إلى صفد في أول المحرم من سنة سبع وأربعين وسبعمائة وأستدعى آل ملك فخرج معه إلى غزة فقبض عليه بها في اليوم المذكور وقيل بل في سادس عشرين ذي الحجة من سنة ست وأربعين.

انتهى.

ثم في أول المحرم المذكور قدم إلى جهة القاهرة الأمير ملكتمر السرجواني من نيابة الكرك فمات بمسجد التبن خارج القاهرة ودفن بترته.

ثم قدم إلى القاهرة الأمير أحمد بن آل ملك فقبض عليه وسجن من ساعته.

وخلع السلطان على الأمير أسندمر العمري باستقراره في نيابة طرابلس عوضاً عن الأمير قماري.

وفي يوم الإثنين سادس المحرم من سنة سبع وأربعين وسبعمائة قدم الأمير آل ملك والأمير قماري نائب طرابلس مقيدين إلى قليوب وركبا النيل إلى الإسكندرية فاعتقلا بها.

وكان الأمير طقتمر الصلاحي قبض على قماري لما توجه للحوطة على أملاك الشام وقيده وبعثه على البريد.

ثم ندب السلطان الأمير مغلطاي الأستادار لإيقاع الحوطة على موجود آل ملك وندب الطواشي مقبلاً التقوي لإيقاع الحوطة على موجود قماري نائب طرابلس وألزم مباشريهما بحمل جميع أموالهما فوجد لآل ملك قريب ثلاثين ألف إردب غلة وألزم ولده بمائة ألف درهم وأخذ لزوجته خبية فيها أشياء جليلة وأخذ أيضاً لزوجته قماري صندوقاً فيه مال جليل.

ثم خلع السلطان على الأمير أرسلان بصل الحاجب الثاني في نيابة حماة عوضاً عن أرقطاي وكتب بقدم أرقطاي فقدم أرقطاي إلى القاهرة فأنعم عليه السلطان بإقطاع جنكلي بن البابا بعد وفاته وأستقر رأس الميمنة مكان جنكلي.

ثم خلع السلطان على زوج أمه الأمير أرغون العلاني واستقر في نظر البيمارستان المنصوري عوضاً عن الأمير جنكلي بن البابا فنزل إليه أرغون العلاني وأصلح أموره وأنشأ بجوار باب البيمارستان المذكور سبيل ماء ومكتب سبيل لقراءة الأيتام ووقف عليه وقفاً بناحية من الضواحي.

ثم خلع السلطان على الأمير نجم الدين محمود بن شروين وزير بغداد وأعيد إلى الوزارة بالديار المصرية وكان لها مدة شاغرة.

وخلع على علم الدين عبد الله ابن زنبور واستقر ناظر الدولة عوضًا عن ابن مراجل.

وفي هذه الأيام آتته عمارة قصر الأمير أرغون الكامل وإصطبله بالجسر الأعظم تجاه الكيش بعد أن صرف عليه مالًا عظيمًا وأخذ فيه من بركة الفيل نحو العشرين ذراعًا فلما عزم أرغون على النزول إليه مرض فقلق السلطان لمرضه وبعث إليه بفرس وثلاثين ألف درهم تصدق بها عنه.

وأفرج عن أهل السجون وركب السلطان لعيادته بالميدان.

ثم أهتم السلطان بسفره إلى الحجاز وأخذ في تجهيز أحواله.

وفي يوم الجمعة رابع عشر صفر ولد للسلطان ولد ذكر من بنت الأمير بكتمر الساقى.

ثم في يوم السبت ثاني عشرين صفر أفرج السلطان عن الأمير أحمد بن آل ملك وعن أخيه قمارى وأمرهما بلزوم بيتهما.

وفي أول شهر ربيع الأول توجه السلطان إلى سرياقوس وأحضر الأوباش فلعبوا قدامه باللبة وهي عصي كبار حدث اللعب بها في هذه الأيام ولما لعبوا بها بين يديه قتل رجل رفيقه فخلع السلطان على بعضهم وأنعم على كبيرهم بخبز في الحلقة.

واستمر السلطان يلعب بالكرة في كل يوم وأعرض عن تدبير الأمور.

فتمردت المماليك وأخذوا حرم الناس وقطعوا الطريق وفسدت عدة من الجوارى.

وكثر الفتن حتى بلغ السلطان فلم يعبأ بما قيل له بل قال: " خلوا كل أحد يعمل ما يريد "

فلما فحش الأمر قام الأمير أرغون العلاني فيه مع السلطان حتى عاد إلى القلعة.

وقد تظاهر الناس بكل قبيح ونصبوا أخصاصًا بالجزيرة الوسطانية وجزيرة بولاق التي سموها حليلة بلغ مصروف كل خص منها من ألفين إلى ثلاثة آلاف درهم وكان هذا المبلغ يوم ذاك بحق ملك هائل.

وعمل في الأخصاص الرخام والدهان البديع وزرع حوله المقاشى والرياحين وأقام بالأخصاص المذكورة معظم الناس من الباعة والتجار وغيرهم وكشفوا ستر الحياء وما كفوا في التهنك في حليلة والطمية وتنافسوا في أرضها حتى كان كل قصبة قياس تؤجر بعشرين درهمًا فيبلغ أجره الفدان الواحد ثمانية آلاف درهم فأقاموا على ذلك ستة أشهر حتى زاد الماء وغرقت الجزيرة.

وقبل مجيء الماء بقليل قام الأمير أرغون العلاني في هدمها قيامًا عظيمًا وحرق الأخصاص على حين غفلة وضرب جماعة وشهرهم قتل بها مال عظيم جدًا.

وفي هذه الأيام قل ماء النيل حتى صار ما بين المقياس ومصر يخاض وصار من بولاق إلى منشأة المهراى طريقًا يمشى فيه ومن بولاق إلى جزيرة الفيل وإلى المنية طريقًا واحدًا.

وبعد الماء على السفايين وصاروا يأخذون الماء من تجاه قرية منبابة وبلغت راوية الماء إلى درهمين بعدما كانت بنصف درهم وربع درهم.

فشكا الناس ذلك إلى أرغون العلاني فبلغ السلطان غلاء الماء بالمدينة وانكشف ما تحت بيوت البحر فركب السلطان ومعه الأمراء وكثير من أرباب الهندسة حتى كشف ذلك فوجدوا الوقت فيه قد فات لزيادة النيل واقتضى الرأي أن ينقل التراب والشقاف من مطابخ السكر بمدينة مصر وترمى من بر الجيزة إلى المقياس حتى يصير جسرًا يعمل عليه العمل حتى يدفع الماء إلى الجهة التي يحسر عنها.

فنقلت الأتربة في المراكب وألقيت هناك إلى أن بقي جسرًا ظاهرًا وتراجع الماء قليلًا إلى بر مصر فلما قويت الزيادة علا الماء على هذا الجسر وأخذه ومحا أثره.

وفي هذه الأيام لعب السلطان الكرة مع الأمراء في الميدان من القلعة فاصطدم الأمير بليغا الصالحي مع آخر سقطا معًا عن فرسيهما إلى الأرض ووقع فرس بليغا على صدره فانقطع نخاعه ومات لوقته فأنعم السلطان بإقطاعه على قطلوبغا الكركي.

ثم في هذه الأيام أشتدت المطالبة على أهل النواحي بالجمال والشعير والأعدال والأخراج أو العبي لسبب سفر السلطان إلى الحجاز وكثرت مغارمهم إلى الولاة وشكا أرباب الإقطاعات ضررهم للسلطان فلم يلتفت لهم.

فقام في ذلك الأمير أرغون شاه الأستادار مع الأمير أرغون العلاني في التحدث مع السلطان في إبطال حركة السمر فلم يصغ لقولهم وكتب أستعجال العربان بالجمال واستحثاث طقتمر الصلاحي فيما هو فيه بصدد السفر.

ثم أوقع السلطان الحوطة على أموال الطواشي عرفات وأخرج عرفات إلى الشام منفيًا.

ثم قصد السلطان أخذ أموال الطواشي كافور الهندي فشفعت فيه خوند طغاي زوجة الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان كافور المذكور من خواص خدام الملك الناصر محمد بن قلاوون فأخرج كافور إلى القدس.

وكافور المذكور هو صاحب التربة بقرافة مصر.

ثم نفى السلطان أيضًا ياقوًا الكبير الخادم وكافورًا المحرم وسرورًا الدماميني ثم نفى دينارًا الصواف ومختصًا الخطائي.

ثم في أول شهر ربيع الآخر مات ولد السلطان من بنت بكتمر الساقى وولد له من اتفاق العوادة حظية أخيه ولد سماه شاهنشاه وسر به سرورًا عظيمًا زائدًا وعمل مهمًا عظيمًا مدة سبعة أيام.

ثم مات أخوه يوسف ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون واتهم السلطان أيضًا بقتله.

ثم قدم طقتمر الصلاحي من الشام بالقماش المستعمل برسم الحجاز.

ثم قدم كتاب بليغا اليحياوي نائب الشام يتضمن خراب بلاد الشام مما اتفق بها من أخذ الأموال وأنقطاع الجالب إليها وأن الرأي تأخير سمر السلطان إلى الحجاز الشريف في هذه السنة.

فقام الأمير أرغون العلاني وملكتمر الحجازي في تصويب رأي نائب الشام وذكر للسلطان أيضًا ما حدث ببلاد مصر من نفاق العربان وضرر الزروع وكثرة مغارم البلاد.

وما زال به حتى رجع عن سمر الحجاز في هذه السنة وكتب إلى نائب الشام بقبول رأيه في ذلك وكتب للأعمال باسترجاع ما قبضته العرب من كراء الأحمال وغير ذلك فلم يوافق هذا غرض نساء السلطان ووالدته وأخذت والدته في تقوية عزمه على السفر للحجاز حتى مال إليهم وكتب لنائب الشام وحلب وغيرهما أنه لا بد من سفر السلطان إلى الحجاز في هذه السنة وأمرهم بحمل ما يحتاج إليه.

ووقع الاهتمام وتجدد الطلب على الناس وغلاء الأسعار ووقفت الأحوال وقل الواصل من كل شيء.

وأخذ الأمراء في أهبة السفر صحبة السلطان إلى الحجاز وقلقوا لذلك وسألوا أرغون العلاني وملكتمر الحجازي في الكلام مع السلطان في إبطال السفر وتعريفه رقة حالهم من حين تجاريدهم إلى الكرك في نوبة الملك الناصر أحمد.

فكلما السلطان في ذلك فأشدد غضبه وأطلق لسانه فما زال به حتى سكن غضبه.

ورسم من الغد لجميع الأمراء بالسفر ومن عجز عن السفر يقيم بالقاهرة.

فأشدد الأمر على الناس بمصر والشام من كثرة السخر وكثر دعاؤهم على السلطان وتكرت قلوب الأمراء وكثرت الإشاعة بتنكر السلطان على نائب الشام وأنه يريد مسكه حتى بلغه ذلك فاحترز على نفسه.

وبلغ الأمير يلغا اليحياوي قتل يوسف ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وقوة عزم السلطان على سفر الحجاز موافقة لأغراض نساءه فجمع أمراء دمشق وحلفهم على القيام معه وبرز إلى ظاهر دمشق في نصف جمادى الأولى وأقام هناك.

وحضر إليه الأمير طرنطاي البشمقदार نائب حمص والأمير أراق الفتاح نائب صفد والأمير أسندمر نائب حماة والأمير بيدمر البحري نائب طرابلس فاجتمعوا جميعًا بظاهر دمشق مع عسكر دمشق لخلع الملك الكامل شعبان هذا وظاهروا بالخروج عن طاعته.

وكتب الأمير يلغا اليحياوي نائب الشام إلى السلطان: إني أحد الأوصياء عليك وإن مما قاله السلطان السعيد الشهيد رحمه الله تعالى يعني عن الملك الناصر لي وللأمراء في وصيته: إذا أقمت أحدًا من أولادي ولم ترضوا بسيرته جروا برجله وأخرجوه وأقيموا غيره.

وأنت أفسدت المملكة وأفقرت الأمراء والأجناد وقتلت أخاك وقبضت على أكابر أمراء السلطان وأشتغلت عن الملك وألتهيت بالنساء وشرب الخمر وصرت تباع أخبار الأجناد بالفضة وذكر له أمرًا فاحشة عملها فقدم كتابه إلى القاهرة في يوم الجمعة العشرين من جمادى الأولى.

فلما قرأه السلطان تغير تغيرًا كبيرًا وأوقف أرغون العلاني عليه بمفرده فقال له أرغون العلاني: " والله لقد كنت أحسب هذا! وقلت لك فلم تسمع قولي " وأشار عليه بكتمان هذا.

وكتب السلطان الجواب يتضمن التلطف في القول وأخرج الأمير منجك اليوسفي على البريد إلى الأمير يلبغا اليحياوي في ثاني عشرينه ليرجعه عما عزم عليه ويكشف أحوال الأمراء.

وكتب السلطان إلى أعمال مصر بإبطال السلطان سفر الحجاز.

فكثرت القالة بين الناس بخروج نائب الشام عن الطاعة حتى بلغ ذلك الأمراء والمماليك فأشار أرغون العلائي على السلطان بإعلام الأمراء الخير فطلبوا إلى القلعة وأخذ رأيهم فوقع الاتفاق على خروج العسكر إلى الشام مع الأمير أرقطاي ومعه من الأمراء منكلي بغا الفخري أمير جاندار وآق سنقر الناصري وطبيغا المجدي وأرغون الكاملي وأمير علي بن طغريل الطوغاني وابن طقزدمر وابن طشتمر وأربعون أمير طبلخاناه وأربعون أمير عشرة وأربعون مقدم حلقة.

وحملت النفقة إليهم لكل مقدم ألف دينار ما عدا ثلاثة مقدمين لكل مقدم ثلاثة آلاف دينار.

وكتب بإحضار الأجناد من البلاد.

فقدم كتاب منجك من الغور بموافقة النواب لنائب الشام وأن التجربة إليه لا تفيد فإنه يقول: إن أمراء مصر معه.

ثم قدم كتاب نائب الشام ثانيًا وفيه خط الأمير مسعود بن خطير وأمير علي بن قراسنقر وقلوون وحسام الدين البشمقदार يتضمن: " إنك لا تصلح للملك وإنما أخذته بالغلبة من غير رضا الأمراء - ثم عمد ما فعله - ونحن ما بقينا نصغي لك وأنت ما تصغي لنا والمصلحة أن تعزل نفسك من الملك ليتولى غيرك ".

فلما سمع السلطان ذلك أستدعى الأمراء وحلفهم على طاعته ثم أمرهم بالسفر فخرجوا من الغد وخرج طلب منكلي بغا وبعده أرغون الكاملي.

فعندما وصل طلب أرغون إلى تحت القلعة خرجت ريح شديدة ألقت شاليش أرغون الكاملي على الأرض فصاحت العامة: " راحت عليكم يا كاملية " وتطيروا بأنهم غير منصورين.

ثم أخذ الأمراء المجردون في الخروج شيئًا بعد شيء.

وقدم حلاوة الأوجاقي يخبر بأن منجك ساعة وصوله إلى دمشق قبض عليه الأمير يلبغا نائب الشام وسجنه بقلعة دمشق.

فبعث السلطان بالطواشي سرور الزينبي لإحضار أخوي السلطان وهما أمير حاج وأمير حسين فاعتذرا بوعكهما وبعثت أمهاتهما إلى العلائي والحجازي تسألانها في التلطف مع السلطان في أمرهما.

وبلغت العلائي بعض جوارى زوجته أم السلطان بأنها سمعت السلطان وقد سكر وكشف رأسه وهو يقول: " يا إلهي أعطيتني الملك وملكتني آل ملك وقماري وبقي من أعدائي أرغون العلائي وملكتهم الحجازي فمكني منهما حتى أبلغ غرضي منهما " فأقلق أرغون العلائي هذا الكلام.

ثم دخل على السلطان في خلوة فإذا هو متغير الوجه ففكر فبدره السلطان بأن قال له: من جاءك من جهة إخوتي أنت والحجازي فعرفه أن النساء دخلن عليهما وطلبن أن يكون السلطان طيب خاطر على أخويه ويؤمنهما فإنهما خائفان.

فرد عليه السلطان جوابًا جافيًا ووضع يده في السيف ليضربه به فقام أرغون عنه لينجو بنفسه.

وعرف الحجازي ما جرى له مع السلطان وشكا من فساد السلطنة.

فتوحش خاطرهما وأنقطع أرغون العلائي عن الخدمة وتعلل.

وأخذت المماليك أيضًا في التنكر على السلطان وكاتب بعضهم نائب الشام وأتفقوا بأجمعهم حتى آشتهر أمرهم وتحدث به العامة.

وألح السلطان في طلب أخويه وبعث قطلوبغا الكركي في جماعة حتى هجموا عليهما ليلاً فقامت النساء ومنعهن منهما فهم أن يقوم بنفسه حتى يأخذهما فجيء بهما إلى وقت الظهر من يوم السبت تاسع عشرين جمادى الأولى فأدخلهما إلى موضع ووكل بهما.

وقام العزاء في الدور السلطاني عليهما واجتمعت جواري الملك الناصر محمد بن قلاوون وأولاده فلما سمع المماليك صياحهن هموا بالثورة والركوب للحرب وتعبوا.

فلما كان يوم الإثنين مستهل جمادى الآخرة خرج طلب أرقطاي مقدم العساكر المجردين إلى الشام حتى وصل إلى باب زويلة ووقف هو مع الأمراء في الموكب تحت القلعة وإذا بالناس قد اضطربوا.

ونزل الحجازي سائقًا يريد إسطنبوله وتبعه الأمير أرغون شاه أيضًا إلى جهة إسطنبوله وسبب ذلك أن السلطان الملك الكامل جلس بالإيوان على العادة وقد بيت مع ثقاته القبض على الحجازي وأرغون شاه إذا دخلا وكانا جالسين ينتظران الإذن على العادة.

فخرج طغيتمر الدوادار في الإذن لهما فأشار لهما بعينه أن آذبا.

وكانا قد بلغهما أن السلطان قد تنكر عليهما فقاما من فورهما ونزلا إلى إسطنبولهما ولبسا بمماليكهما وحواشيهما وركبا وتوجها إلى قبة النصر.

وبعث الحجازي يستدعي آق سنقر من سرياقوس فما تضحى النهار حتى اجتمعت أطلاب الأمراء بقبة النصر فطلب السلطان عند ذلك أرغون العلائي وأستشاره فيما يعمل فأشار عليه بأن يركب بنفسه إليهم فركب السلطان بمماليكه وخاصكيته ومعه زوج أمه الأمير أرغون العلائي المذكور وتمر الموساوي وعدة آخر من الأمراء والقلوب متغيرة.

ودقت الكوسات حربيًا ودارت النقباء على أجناد الحلقة والمماليك ليركبوا فركب بعضهم وتخاذل بعضهم وسار السلطان في جمع كبير من العامة وهو يسألهم الدعاء فأسمعوه ما لا يليق ودعوا عليه.

وسار في نحو ألف فارس لا غير حتى قابل ملكتمر الحجازي وأصحابه من الأمراء والمماليك فعند المواجهة أنسل عن السلطان أصحابه وبقي في أربعمئة فارس.

فبرز له آق سنقر وساق حتى قارب السلطان وتحدث معه وأشار عليه بأن ينخلع من السلطنة فأجابه إلى ذلك وبكى.

فتركه آق سنقر وعاد إلى الأمراء وعرفهم بأنه أجاب أن يخلع نفسه فلم يرض أرغون شاه وبدر ومعه الأمير قرابغا والأمير صمغار والأمير بزلاز والأمير غرلو في أصحابهم حتى وصلوا إلى السلطان وسيروا إلى أرغون العلاني ليأتيهم ليأخذوه إلى عند الأمراء فلم يوافق العلاني على ذلك فهجموا عليه ومزقوا من كان معه من مماليكه وأصحابه.

ثم ضرب واحد منهم أرغون العلاني بدبوس حتى أرماه عن فرسه إلى الأرض فضربه الأمير بيغا أروس بسيف قطع خده فانهزم عند ذلك عسكر السلطان وفر الملك الكامل شعبان إلى القلعة وأختفى عند أمه زوجة الأمير أرغون العلاني.

فسار الأمراء إلى القلعة في جمع هائل وأخرجوا أمير حاجي وأمير حسين من سجنهما وقبلوا يد أمير حاجي وخاطبوه بالسلطنة.

ثم طلبوا الملك الكامل شعبان من عند أمه فلم يجدوه فحرضوا في طلبه حتى وجدوه مختفياً بين الأزيار وقد آتسخت ثيابه من وسخ الأزيار فأخرجوه بهيئته إلى الرحبة ثم أدخلوه إلى الدهيشة فقيده وسجنوه حيث كان أخواه مسجونين ووكل به قرابغا القاسمي والأمير صمغار.

ومن غريب الاتفاق أنه كان عمل طعاماً لأخويه أمير حاجي وحسين حتى يكون غداءهما في السجن وعمل سماط السلطان على العادة.

فوقعت الضجة وقد مد السماط فركب السلطان من غير أكل فلما أنهزم وقبض عليه وأقيم بدله أخوه أمير حاجي مد السماط بعينه له فأكل منه وأدخل بطعامه وطعام أخيه أمير حسين إلى الملك الكامل فأكله في السجن.

وآستمر الملك الكامل المذكور في السجن إلى يوم الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمئة قتل وقت الظهر ودفن عند أخيه يوسف ليلة الخميس.

فكانت مدة سلطنته على مصر سنة واحدة وثمانية وخمسين يوماً وقال الصفدي: سنة وسبعة عشر يوماً.

وكان من أشد الملوك ظلماً وعسفاً وفسقاً.

وفي أيامه - مع قصر مدته - خربت بلاد كثيرة لشغفه باللهو وعكوفه على معاقرة الخمر وسماع الأغاني وبيع الإقطاعات بالبذل وكذلك الولايات حتى إن الإقطاع كان يخرج عن صاحبه وهو حي بمال لآخر فإذا وقف من خرج إقطاعه قيل له: نعوض عليك قد أخرجناه لفلان الفلاني.

وكان مع هذا كله سفاكاً للدماء ولو طالبت يده لأتلف خلائق كثيرة وكان سيئ التدبير يمكن النساء والطواشية من التصرف في المملكة والتهتك في النزه والصيد ولعب الكرة بالهيئات الجميلة وركوب الخيول المسومة مع عدم الاحتشام من غير حجاب من الأمير أخورية والغلمان ويعجبه ذلك من تهتكهن على الرجال فشغف لذلك جماعة كثيرة من الجند بحرمه بما يفعلن من ركوب الخيول وغيرها.

وكان حريمه إذا نزلن إلى نزهة بلغت الجرة الخمر إلى ثلاثين درهمًا وهذا كله مع شرهه
وشره جواشيه ونسائه إلى ما في أيدي الناس من البساتين والرزق والدواليب ونحوها
فأخذت أمه معصرة وزير بغداد ومنظرته على بركة الفيل وأشياء غير ذلك.

وحدث في أيامه أخذ خراج الرزق وزيادة القانون ونقص الأجاير وأعيدت في أيامه ضمان
أرباب الملاعب وعدة مكوس.

وكان يحب لعب الحمام فلما تسلطن تغالى في ذلك وقرب من يكون من أرباب هذا
الشان.

ومع هذا الظلم والطمع لم يوجد له من المال سوى مبلغ ثمانين ألف دينار وخمسمائة
ألف درهم إلا أنه كان مهابةً شجاعاً سيوساً متفقدًا لأحوال مملكته لا يشغله لهوه عن
الجلوس في المواكب والحكم بين الناس.

ولما أمسك وقتل قال فيه الصفدي: بيت قلاوون سعادته في عاجل كانت وفي آجل حل
على أملاكه للردى دين قد استوفاه بالكامل

السنة الأولى من سلطنة الكامل شعبان

وهي سنة ست وأربعين وسبعمائة.

على أن أخاه الملك الصالح إسماعيل حكم منها إلى رابع شهر ربيع الآخر ثم حكم الملك
الكامل هذا في باقيها وفي أشهر من سنة سبع كما سيأتي ذكره.

فيها أعني سنة ست وأربعين توفي السلطان الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الناصر
محمد بن قلاوون حسب ما تقدم ذكره في ترجمته.

وفيها أيضًا توفي السلطان الملك الأشرف كجك ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد
خلعه من السلطنة بسنين وقد تقدم ذكر سلطنته أيضًا ووفاته في ترجمته.

وتوفي الأمير سيف الدين طقزدمر بن عبد الله الحموي الناصري الساقى بالقاهرة في
مستهل جمادى الآخرة.

وكان أصله من مماليك الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل الأيوبي صاحب حماة ثم انتقل
إلى ملك الملك الناصر محمد بن قلاوون وحظي عنده وجعله ساقياً ثم رقاها حتى صار
أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية ثم جعله أمير مجلس وزوجه بإحدى بناته وصار من
عظماء أمراءه إلى أن مات.

ولما تسلطن ابنه الملك المنصور أبو بكر استقر طقزدمر هذا نائب السلطنة بديار مصر
ووقع له أمور حكيناها في تراجم السلاطين من بني الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى
أن أخرج إلى نيابة حماة.

ثم نقل إلى نيابة حلب ثم إلى نيابة الشام ثم طلب إلى القاهرة في سلطنة الملك
الكامل هذا فحضر إليها مريضاً في محفة ومات بعد أيام حسب ما تقدم.

وكان من أجل الأمراء وأحسنهم سيرة.

كان عاقلاً ديناً سيوساً عارفاً.

وهو صاحب الخانقاه بالقرافة والقنطرة خارج القاهرة على الخليج وغير ذلك مما هو مشهور به.

وتوفي القاضي بدر الدين محمد ابن القاضي محيي الدين يحيى ابن فضل الله العمري الدمشقي كاتب سر دمشق في سادس عشرين شهر رجب بدمشق.

وكان كاتبًا فاضلاً من بيت فضل ورياسة وقد تقدم ذكر جماعة من آباءه وأقاربه ويأتي ذكر جماعة آخر من أقاربه في محلهم من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وتوفي الأمير ركن الدين بيبرس بن عبد الله الأحمدي المنصوري أمير جاندار في يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرم وهو في عشر الثمانين.

وكان أصله من مماليك الملك المنصور قلاوون وأحد أعيان أمراء الديار المصرية.

وهو الذي قوى عزم قوصون على سلطنة الملك المنصور أبي بكر.

وكان جاركسي الجنس تنقل إلى أن صار من أعيان الأمراء بمصر ثم ولي نيابة صفد وطرابلس ثم قدم القاهرة وتولى أمير جاندار.

وكان كريماً شجاعاً ديناً قوي النفس لم يركب قط إلا فحلاً ولم يركب حجرة ولا إكديشاً في عمره.

وكان له ثروة كبيرة وطالت أيامه في السعادة وخلف أملاً كثيراً ذهب غالبها جماعة من أوباش ذريته بالاستبدال والبيع إلى يومنا هذا.

وتوفي الأمير بدر الدين جنكلي ابن محمد بن البابا بن جنكلي بن خليل بن عبد الله المعروف بابن البابا العجلي أتاك العساكر بالديار المصرية في عصر يوم الإثنين سابع عشر ذي الحجة.

وكان أصله من بلاد الروم طلبه الملك الأشرف خليل بن قلاوون وكتب له منشوراً بالإقطاع الذي عينه إليه فلم يتفق حضوره إلا في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة أربع وسبعمائة فأمره وأكرمه ولا زال يرقيه حتى صار يجلس ثاني آقوش نائب الكرك.

ثم بعد آقوش جلس جنكلي هذا رأس الميمنة.

قال الشيخ صلاح الدين: وهو من الحشمة والدين والوقار وعفة الفرج في المحل الأقصى ولم يزل معظمًا من حين ورد إلى أن مات.

وكان ركنًا من أركان المسلمين ينفع العلماء والصلحاء والفقراء بماله وجاهه وكان يتفقه ويحفظ ريع العبادات.

وبقال: إن نسبه يتصل بإبراهيم بن أدهم رضي الله عنه.

قال: وقلت فيه ولم أكتب به إليه: لا تنس لي يا قاتلي في الهوى حشاشة من حرقني تنسلي لا ترس لي ألقى به في الهوى سهام عينيك متى ترسل لا تخت لي يشرف قدري به إلا إذا ما كنت بي تختلي لا جنك لي تضرب أوتاره إلا ثنا يملى على جنكلي وتوفي رميثة واسمه منجد بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قناعة بن أبي غرير

إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله المحض بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب الحسيني المكي أمير مكة بها في يوم الجمعة ثامن ذي القعدة.

وتوفي الشيخ الإمام فخر الدين أحمد بن الحسن الجاربردي شارح " البيضاوي " .

وتوفي الشيخ الإمام العلامة تاج الدين أبو الحسن علي بن عبد الله ابن أبي الحسن ابن أبي بكر الأردبيلي الشافعي مدرس مدرسة الأمير حسام الدين طرنطاي المنصوري بالقاهرة.

كان فقيهاً عالمًا بارعًا أفتى ودرس سنين.

وتوفي الشيخ المقرئ تقي الدين محمد بن محمد بن علي بن همام بن راجي الشافعي إمام جامع الصالح خارج باب زويلة ومصنف كتاب سلاح المؤمن.

رحمه الله.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وست عشرة إصبغًا.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وخمس عشرة إصبغًا.

سلطنة الملك المظفر حاجي السلطان الملك المظفر زين الدين حاجي المعروف بأمير حاج ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو السلطان الثامن عشر من ملوك الترك بالديار المصرية والسادس من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون.

جلس على سرير الملك بعد خلع أخيه الملك الكامل شعبان والقبض عليه في يوم الإثنين مستهل جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمئة.

وكان سجنه أخوه الملك الكامل شعبان كما تقدم ذكره.

فلما أنهزم الملك الكامل من الأمراء بقية النصر ساق في أربعة مماليك إلى باب السر من القلعة فوجده مغلقًا والمماليك بأعلاه فتلطف بهم حتى فتحوه له ودخل إلى القلعة لقتل أخويه حاجي هذا ومعه حسين لأنهما كانا حبسا معًا فلم يفتح له الخدام الباب فمضى إلى أمه فاختمت عندها.

وصعد الأمراء في أثره إلى القلعة بعد أن قبضوا على الأمير أرغون العلاني وعلى الطواشي جوهر السحرتي اللالا وأسندمير الكاملي وقطلوبغا الكركي وجماعة آخر ودخل بزلار وصمغار راكبين إلى باب الستارة وطلبوا أمير حاج المذكور فأدخلهما الخدام إلى الدهيشة حتى أخرجوه وأخاه من سجنهما وخاطبا أمير حاج في الوقت بالملك المظفر.

ثم دخل إليه الأمير أرغون شاه وقبل له الأرض وقال له: " بسم الله اخرج أنت سلطاننا " وسار به وبأخيه حسين إلى الرحبة وأجلسوه على باب الستارة.

ثم طلب شعبان حتى وجد بين الأزيار وحبسوه حيث كان أخواه.

وطلبوا الخليفة والقضاة وخلعوا على حاجي الخلة الخليفة وركب من باب الستارة بأبهة السلطنة وشعار الملك إلى الإيوان وجلس على تخت الملك.

وحمل المماليك أخاه أمير حسين على أكتافهم إلى الإيوان.

ولقب بالملك المظفر وقبل الأمراء الأرض بين يديه وحلف لهم أولًا أنه لا يؤدي أحدًا منهم ثم حلفوا له على طاعته.

وركب الأمير بيغرا البريد وخرج إلى الشام ليبشر الأمير بلبغا اليحياوي نائب الشام ويحلفه ويحلف أيضًا أمراء الشام للملك المظفر.

ثم كتب إلى ولاة الأعمال بإعفاء النواحي من المغارم ورمية الشعير والبرسيم.

ثم حمل الأمير أرغون العلاني إلى الإسكندرية.

وفي يوم الأربعاء ثلثه قتل الملك الكامل شعبان وقبض على الشيخ في الدوادر وعلى عشرة من الخدام الكاملية وسلموا إلى شاد الدواوين.

وسلم أيضًا جوهر السحرتي وقطلوبغا الكركي وألزموا بحمل الأموال التي أخذوها من الناس فعذبوا بأنواع العذاب ووقعت الحوطة على موجودهم.

ثم قبض على الأمير تمر الموساوي وأخرج إلى الشام.

وأمر بأم الملك الكامل وزوجاته فأنزلن من القلعة إلى القاهرة.

وعرضت جوارى دار السلطان فبلغت عدتهن خمسمائة جارية ففرقن على الأمراء.

وأحيط بموجود حظية الملك الكامل التي كانت أولًا حظية أخيه الملك الصالح إسماعيل المدعوة اتفاق وأنزلت من القلعة.

وكانت جارية سوداء حالكة السواد اشترتها ضامنة المغاني بدون الأربعمائة درهم من ضامنة المغاني بمدينة بليس وعلمتها الضرب بالعود على الأستاذ عبد علي العواد فمهرت فيه.

وكانت حسنة الصوت جيدة الغناء فقدمتها لبيت السلطان فاشتهرت فيه حتى شغف بها الملك الصالح إسماعيل فإنه كان يهوى الجوارى السودان - وتزوج بها.

ثم لما تسلطن أخوه الملك الكامل شعبان باتت عنده من ليلته لما كان في نفسه منها أيام أخيه.

ونالت عندهما من الحظ والسعادة ما لا عرف في زمانها لامرأة غيرها حتى إن الكامل عمل لها دائر بيت طوله اثنتان وأربعون ذراعًا وعرضه ست أذرع دخل فيه خمسة وتسعون ألف دينار مصرية وذلك خارج عن البشخاناه والمخاد والمساند.

وكان لها أربعون بذلة ثياب مرصعة بالجواهر وستة عشر مقعد زركش وثمانون مقنعة فيها ما قيمته عشرون ألف درهم وأشياء غير ذلك استولوا على الجميع.

ثم آسرجع السلطان جميع الأملاك التي أخذتها حريم الكامل لأربابها.

ثم نودي بالقاهرة ومصر برفع الظلمات ومنع أرباب الملاعب جميعهم.

وخلع السلطان على علم الدين عبد الله بن زنبور بآنتقاله من وظيفة نظر الدولة إلى نظر الخاص عوضًا عن فخر الدين بن السعيد.

وفيه قبض على ابن السعيد وفيه خلع على موفق الدين عبد الله بن إبراهيم بأستقراره ناظر الدولة عوضًا عن ابن زنبور.

وخلع على سعد الدين حربا وآستقر في استيفاء الدولة عوضًا عن ابن الريشة.

ثم قدم الأمير بيغرا من دمشق بعد أن لقي يلبغا اليحياوي نائب الشام وقد برز إلى ظاهر دمشق يريد السير إلى مصر بالعساكر لقتال الملك الكامل شعبان.

فلما بلغه ما وقع سر اليحياوي سرورًا عظيمًا زائدًا بزوال دولة الملك الكامل وإقامة أخيه المظفر حاجي في الملك.

وعاد يلبغا إلى دمشق وحلف للملك المظفر وحلف الأمراء على العادة وأقام له الخطبة بدمشق وضرب السكة باسمه وسير إلى السلطان دنانير ودرهم منها وكتب يهنئ السلطان بجلوسه على تخت الملك.

وشكا الأمير يلبغا اليحياوي من نائب حلب ونائب غزة ونائب قلعة دمشق مغلطاي المرتيني ومن نائب قلعة صفد قرمجي من أجل أنهم لم يوافقوه على خروجه عن طاعة الملك الكامل شعبان.

فرسم السلطان بعزل الأمير طقتمر الأحمدي نائب حلب.

وقدومه إلى مصر وكتب بأستقرار الأمير بيدمر البدري نائب طرابلس عوضه في نيابة حلب واستقر الأمير أسندمر العمري نائب حماة في نيابة طرابلس - وهذا أول نائب أنتقل من حماة إلى طرابلس وكانت قديمًا حماة أكبر من طرابلس فلما اتسع أعمالها صارت أكبر من حماة.

ثم كتب السلطان بالقبض على الأمير مغلطاي المرتيني نائب قلعة دمشق وعلى قرمجي نائب قلعة صفد.

ثم كتب بعزل نائب غزة.

وكان الأمير يلبغا اليحياوي لما عاد إلى دمشق بغير قتال عمر - موضع كانت خيمته عند مسجد القدم - قبة سماها قبة النصر التي تعرف الآن بقبة يلبغا.

ثم خلع السلطان على الطواشي عنبر السحرتي بأستقراره مقدم المماليك السلطانية كما كان أولًا في دولة الملك الصالح عوضًا عن محسن الشهابي.

وخلع على مختص الرسولي بأستقراره زمام دار وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه.

ثم أنعم السلطان بإقطاع الأمير أرغون العلاني على الأمير أرغون شاه.

وأنعم على كل من أصلم وأرقطاي بزيادة ثم في يوم الإثنين خامس عشر جمادى الآخرة أمر السلطان ثمانية عشر أميرًا ونزلوا إلى قبة المنصورية ولبسوا الخلع وشقوا القاهرة حتى طلغوا إلى القلعة فكان لهم بالقاهرة يوم مشهود.

ثم في يوم الخميس ثالث شهر رجب خلع السلطان على الأمير أرقطاي باستقراره نائب السلطنة بديار مصر باتفاق الأمراء على ذلك بعد ما أمتنع من ذلك تمنعًا زائدًا حتى قام الحجازي بنفسه وأخذ السيف وأخذ أرغون شاه الخلعة ودارت الأمراء حوله وألبسوه الخلعة على كره منه.

فخرج في موكب عظيم حتى جلس في شباك دار النيابة وحكم بين الناس وأنعم السلطان عليه - بزيادة على إقطاعه - ناحيتي المطرية والخصوص لأجل سماط النيابة.

ثم ركب السلطان بعد ذلك ونزل إلى سرياقوس على العادة كل سنة.

وخلع على الأمير تمرغا العقيلي باستقراره في نيابة الكرك عوضًا عن الأمير قبلاي.

ثم عاد السلطان إلى القلعة.

وبعد عوده في أول شهر رمضان مرض السلطان عدة أيام.

ثم في يوم الإثنين خامس عشرين شهر رمضان خرج الأمير أرغون شاه الأستاذار على البريد إلى نيابة صفد.

وسبب ذلك تكبره على السلطان وتعاضمه عليه وتحكمه في الدولة ومعارضته السلطان فيما يرسم به وفحشه في مخاطبة السلطان والأمراء حتى كرهته النفوس.

وعزم السلطان على مسكه فتلطف به النائب أرقطاي حتى تركه وخلع عليه بأستقراره في نيابة صفد وأخرجه وقته خشية من فتنة يثيرها فإنه كان قد أتفق مع عدة من المماليك على المخامرة.

وأنعم السلطان بإقطاعه على الأمير ملكتمر الحجازي وأعطى ناحية بوتيغ زيادة عليه.

ثم في يوم الأحد أول شوال تزوج السلطان ببنت الأمير تنكز زوجة أخيه الكامل.

وفي آخر شوال طلبت اتفاق العوادة إلى القلعة فطلعت بجواربها مع الخدام وتزوجها السلطان خفية وعقد له عليها شهاب الدين أحمد بن يحيى الجوجري شاهد الخزانة.

وبنى عليها السلطان من ليلته بعد ما جليت عليه وفرش تحت رجلها ستون شقة أطلس ونشر عليها الذهب.

ثم ضربت بعودها وغنت فأنعم السلطان عليها بأربعة فصوص وست لؤلؤات ثمنها أربعة آلاف دينار.

قلت: وهذا ثالث سلطان من أولاد ابن قلاوون تزوج بهذه الجارية السوداء وحظيت عنده فهذا من الغرائب.

على أنها كانت سوداء حالكة لا مولدة فإن كان من أجل ضربها بالعود وغنائها فيمكن من تكون أعلى منها رتبة في ذلك وتكون بارعة الجمال بالنسبة إلى هذه.

فسبحان المسخر.

وفي ثامن شوال أنعم السلطان على الأمير طنيرق مملوك أخيه يوسف بتقدمة ألف بالديار المصرية دفعة واحدة نقله من الجندية إلى التقدمة لجمال صورته وكثر كلام المماليك بسبب ذلك.

ثم رسم السلطان بإعادة ما كان أخرج عن اتفاق العوادة من خدامها وجواربها وغير ذلك من الرواتب.

وطلب السلطان عبد علي العواد المغني معلم اتفاق إلى القلعة وغنى للسلطان فأنعم عليه بإقطاع في الحلقة زيادة على ما كان بيده وأعطاه مائتي دينار وكاملية حرير بفرو سمور.

وانهمك أيضًا الملك المظفر في اللذات وشغف باتفاق حتى شغلته عن غيرها وملكت قلبه وأفرط في حبها.

فشق ذلك على الأمراء والمماليك وأكثروا من الكلام حتى بلغ السلطان وعزم على مسك جماعة منهم فما زال به النائب حتى رجع عن ذلك.

ثم خلع السلطان على قطليجا الحموي واستقر في نيابة حماة عوضًا عن طبيغا المجدي. وخلع أيضًا على أيتمش عبد الغني واستقر في نيابة غزة وخرجا من وقتها على البريد. وكتب بإحضار المجدي فقدم بعد ذلك إلى القاهرة وخلع عليه بآستقراره أستاذًا عوضًا عن أرغون شاه المنتقل إلى نيابة صفد.

وفي يوم الثلاثاء أول محرم سنة ثمان وأربعين وسبعمئة ركب السلطان في أمراءه الخاصكية ونزل إلى الميدان ولعب بالكرة فغلب الأمير ملكتمر الحجازي في الكرة فلزم الحجازي يعمل وليمة فعملها في سرياقوس ذبح فيها خمسمائة رأس من الغنم وعشرة أفراس وعمل أحواصًا مملوءة بالسكر المذاب وجمع سائر أرباب الملاهي.

وحضرها السلطان والأمراء فكان يومًا مشهودًا.

ثم ركب السلطان وعاد وبعد عوده قدم كتاب الأمير أسندمر نائب طرابلس يسأل الإغفاء فأعفي.

وخلع على الأمير منكلي بغا أمير جاندار وأستقر في نيابة طرابلس.

وفي هذا الشهر شكوا الناس للسلطان من بعد الماء عن بر مصر والقاهرة حتى غلت روايا الماء.

فرسم السلطان بنزول المهندسين لكشف ذلك فكتب - تقدير ما يصرف على الجسر مبلغ مائة وعشرين ألف درهم جيبت من أرباب الأملاك المطللة على النيل حسابًا عن كل ذراع خمسة عشر درهمًا فبلغ قياسها سبعة آلاف ذراع وستمئة ذراع.

وقام باستخراج ذلك وقياسه محتسب القاهرة ضياء الدين يوسف ابن أبي بكر محمد الشهير بابن خطيب بيت الآبار.

وفي هذه الأيام توقفت أحوال الدولة من كثرة رواتب الخدام والعجائز والجواري وأخذهم الرزق يَأرض بهتيم من الضواحي وبأراضي الجيزة وغيرها بحيث إنه أخذ مقبل الرومي عشرة آلاف فدان.

وفي هذه الأيام رسم السلطان للطواشي مقبل الرومي أن يخرج اتفاق العوادة وسلمى والكركية حظايا السلطان من القلعة بما عليهن من الثياب من غير أن يحملن شيئاً من الجوهر والزركش وأن تقلع عصبة إتفاق عن رأسها ويدعها عنده.

وكانت هذه العصبة قد آشتهرت عند الأمراء وشنعت قائلتها فإنه قام بعملها ثلاثة ملوك الإخوة من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون: الملك الصالح إسماعيل والملك الكامل شعبان والملك المظفر حاجي هذا وتنافسوا فيها وأعتنوا بجواهرها حتى بلغت قيمتها زيادة على مائة ألف دينار مصرية.

وسبب إخراج اتفاق وهؤلاء من الدور السلطانية أن الأمراء الخاصكية: قرابغا وصمغار وغيرهما بلغهما إنكار الأمراء الكبار والمماليك السلطانية شدة شغف السلطان بالنسوة الثلاث المذكورات وأنهماكه على اللهو بهن وأنقطاعه إليهن بقاعة الدهيشة عن الأمراء وإتلافه الأموال العظيمة في العطاء لهن ولأمثالهن وإعراضه عن تديبر الملك.

فعرفا السلطان إنكار الأمراء وخوفوه عاقبة ذلك فتلطف بهم وصوب ما أشاروا به عليه من الإقلاع عن اللهو بالنساء.

وأخرجهن السلطان وفي نفسه حزازات لفراقهن تمنعه من الهدوء والصبر عنهن فأحب أن يتعوض عنهن بما يلهيه ويسليه فأختار صنف الحمام ونشأ حضيراً على الدهيشة ركيه على صواري وأخشاب عالية وملاء بأنواع الحمام فبلغ مصروف الحضير خاصة سبعة آلاف درهم وبينما السلطان في ذلك قدم جماعة من أعيان الحلبيين وشكوا من الأمير بيدمر البدري نائب حلب فعزله السلطان بأرغون شاه نائب صفد ورسم ألا يكون لنائب الشام عليه حكم وأن تكون مكاتباته للسلطان وحمل إليه التقليد الأمير طنيرق.

ثم ورد الخبر باختلال مراكز البريد بطريق الشام فأخذ من كل أمير مقدم ألف أربعة أفراس ومن كل طبلخاناه فرسان ومن كل أمير عشرة فرس واحد وكشف عن البلاد المرصدة للبريد فوجد ثلاث بلاد منها وقف الملك الصالح إسماعيل وقف بعضها وأخرج باقيها إقطاعات.

فأخرج السلطان عن عيسى بن حسن الهجان بلدًا تعمل في كل سنة عشرين ألف درهم وثلاثة آلاف إردب غلة وجعلها مرصدة لمراكز البريد.

واستمر خاطر السلطان موغراً على الجماعة من الأمراء بسبب اتفاق وغيرها إلى أن كان يوم الأحد تاسع عشر شهر ربيع الأول من سنة ثمان وأربعين وسبعمائة كانت الفتنة العظيمة التي قتل فيها ملكتمر الحجازي وأق سنقر وأمسك بزlar وصمغار وأبتمش عبد الغني وسبب ذلك أن السلطان لما أخرج اتفاق وغيرها وتشاغل بلعب الحمام صار يحضر إلى الدهيشة الأوباش ويلعب بالعصا لعب صباح ويحضر الشيخ علي بن الكسيح مع حظايه يسخر له وينقل إليه أخبار الناس.

فشق ذلك على الأمراء وحدثوا ألبجيغا وطنيرق - وكانا عمدة السلطان وخاصكيته بأن الحال قد فسد.

فعرفا السلطان ذلك فاشتد حنقه وأطلق لسانه وقام إلى السطح وذبح الحمام بيده بحضرتهمما وقال لهما: " والله لأذبحنكم كما ذبحت هذه الطيور " وأغلق باب الدهيشة وأقام غضبان يومه وليلته.

وكان الأمير غرلو قد تمكن من السلطان فأعلمه السلطان بما وقع فنال غرلو من الأمراء وهون أمرهم عليه وجسره على الفتك بهم والقبض على آق سنقر.

فأخذ السلطان في تدبير ما يفعله وقرر ذلك مع غرلو.

ثم بعث طنيرق في يوم الأربعاء خامس عشر شهر ربيع الآخر إلى النائب يعرفه أن قرابغا القاسمي وضمغار ويزلار وأيتمش عبد الغني قد اتفقوا على عمل فتنة " وعزمي أن أقبض عليهم قبل ذلك " فوعده النائب برد الجواب غدًا على السلطان في الخدمة فلما اجتمع النائب بالسلطان أشار عليه النائب بالثبوت في أمرهم حتى يصح له ما قيل عنهم.

ثم أصبح فعرفه السلطان في يوم الجمعة بأنه صح عنده ما قيل بإخبار بييغا أرس أنهم تحالفوا على قتله فأشار عليه النائب أن يجمع بينهم وبين بييغا أرس حتى يحاققهم بحضرة الأمراء يوم الأحد.

وكان الأمر على خلاف هذا فإن السلطان كان اتفق مع غرلو وعنبر السحرتي مقدم المماليك على مسك آق سنقر وملكتمر الحجازي في يوم الأحد.

فلما كان يوم الأحد تاسع عشر ربيع الآخر المذكور حضر الأمراء والنائب إلى الخدمة على العادة بعد العصر ومد السماط وإذا بالقصر قد ملئ بالسيوف المسلسلة من خلف آق سنقر والحجازي وأحيط بهما وبقرابغا وأخذوا إلى قاعة هناك.

فضرب ملكتمر الحجازي بالسيوف وقطع هو وآق سنقر قطعًا.

وهرب ضمغار وأيتمش عبد الغني فركب ضمغار فرسه من باب القلعة وفر إلى القاهرة واختفى أيتمش عند زوجته.

وخرجت الخيل وراء ضمغار حتى أدركوه خارج القاهرة وأخذ أيتمش من داره فارتجت القاهرة وغلقت الأسواق وأبواب القلعة.

وكثر الإرجاف إلى أن خرج النائب أرقطاي والوزير نجم الدين محمود بن شروين قريب المغرب وطلبوا الوالي ونودي بالقاهرة فاشتهر ما جرى بين الناس وخاف كل أحد من الأمراء على نفسه.

ثم رسم السلطان بالقبض على مرزة علي وعلى محمد بن بكتمر الحاجب وأخيه وعلى أولاد أيديغمش وأولاد قماري.

وأخرجوا الجميع إلى الإسكندرية هم ويزلار وأيتمش وضمغار لأنهم كانوا من أئلام الحجازي ومعاشره فسجنوا بها.

وأخرج آق سنقر وملكتمر الحجازي في ليلة الإثنين العشرين من شهر ربيع الآخر على جنويات فدفا بالقرافة.

وأصبح الأمير شجاع الدين غرلو وقد جلس في دست عظيم ثم ركب وأوقع الحوطة على بيوت الأمراء المقتولين والممسوكين وعلى أموالهم وطلع بجميع خيولهم إلى الإسطبل السلطاني.

وضرب غرلو عيد العزيز الجوهري صاحب آق سنقر وعبد المؤمن أستاداره بالمقارع وأخذ منهما مالا جزيلًا فخلع السلطان على الأمير غرلو قباء من ملابسه بطرز زركش عريض وأركبه فرسًا من خاص خيل الحجازي بسرج ذهب وكنبوش زركش.

ثم خلا به بأخذ رأيه فيما يفعل فأشار عليه بأن يكتب إلى نواب الشام بما جرى وبعد لهم ذنوبًا كثيرة على الأمراء الذين قبض عليهم.

فكتب إلى الأمير يلغا اليحياوي نائب الشام على يد الأمير آق سنقر المظفري أمير جاندار فلما بلغ يلغا الخبر كتب الجواب يستصوب رأي السلطان في ما فعله في الظاهر وهو في الباطن غير ذلك.

وعظم عليه قتل الحجازي وآق سنقر إلى الغاية.

ثم جمع يلغا أمراء دمشق بعد يومين بدار السعادة وأعلمهم الخبر.

وكتب إلى النواب بذلك وبعث الأمير ملك آص إلى حمص وحماة وحلب وبعث الأمير طيغا القاسمي إلى طرابلس.

ثم أنتقل في يوم الجمعة مستهل جمادى الأولى إلى القصر بالميدان فنزل به ونزل الزامه حوله بالميدان وشرع في الاستعداد للخروج عن طاعة الملك المظفر هذا.

وأما السلطان الملك المظفر فإنه أخذ بعد ذلك يستميل المماليك السلطانية بتفرقة المال فيهم وأمر منهم جماعة وأنعم على غرلو بإقطاع أيتمش عبد الغني وأصبح غرلو هو المشار إليه في المملكة فعظمت نفسه إلى الغاية.

ثم أخرج السلطان ابن طقزدمر على إمرة طبلخاناه بحلب وأنعم بتقدمته على الأمير طاز.

وصار السلطان يتخوف من النواب بالبلاد الشامية إلى أن حضرت أجوبتهم بتصويب ما فعله فلم يطمئن بذلك.

ورسم بخروج تجريدة إلى البلاد الشامية فرسم في عاشر جمادى الأولى بسفر سبعة أمراء من المقدمين بالديار المصرية وهم الأمير طيغا المجدي وملك الجمدار والوزير نجم الدين محمود بن شروين وطنغرا وأيتمش الناصري الحاجب وكوكاي والزراق ومعهم مضافوهم من الأجناد وطلب الأجناد من النواحي وكان وقت إدراك المغل فصعب ذلك على الأمراء وأرتجت القاهرة بأسرها لطلب السلاح وآلات السفر.

ثم كتب السلطان إلى أمراء دمشق ملطفات على أيدي النجابة بالتيقظ بحركات الأمير يلغا اليحياوي نائب الشام.

ثم أشار النائب على السلطان بطلب يلغا ليكون بمصر نائبًا أو رأس مشورة فإن أجاب وإلا أعلم بأنه قد عزل عن نيابة الشام بأرغون شاه نائب حلب.

فكتب السلطان في الحال يطلبه على يد أراي أمير آخور وعند سفر أراي قدمت كتب نائب طرابلس ونائب حماة ونائب صغد على السلطان بأن يلبغا دعاهم للقيام معه على السلطان لقتله الأمراء وبعثوا بكتبه إليه.

فكتب السلطان لأرغون شاه نائب حلب أن يتقدم لعرب آل مهنا بمسك الطرقات على يلبغا وأعلمه أنه ولاة نيابة الشام عوضه فقام أرغون شاه في ذلك أتم قيام وأظهر ليلبغا أنه معه.

ولما وصل إلى يلبغا أراي أمير آخور في يوم الأربعاء سادس جمادى الأولى ودعاه إلى مصر ليكون رأس أمراء المشورة وأن نيابة الشام أنعم بها السلطان على الأمير أرغون شاه نائب حلب ظن يلبغا أن استدعاه حقيقة وقرأ كتاب السلطان فأجاب بالسمع والطاعة وأنه إذا وصل أرغون شاه إلى دمشق توجه هو إلى مصر وكتب الجواب بذلك وأعادته سريعًا.

فتحللت عند ذلك عزائم أمراء دمشق وغيرها عن يلبغا وتجهز يلبغا وخرج إلى الكسوة ظاهر دمشق في خامس عشره.

وكانت ملطفات السلطان قد وردت إلى أمراء دمشق بإمساكه فركبوا على حين غفلة وقصدوه ففر منهم بمماليكه وأهله وهم في أثره إلى خلف ضمير.

ثم سار في البرية يريد أولاد تمرداش ببلاد الشرق حتى نزل على حماة بعد أربعة أيام وخمس ليال فركب الأمير قطليجا نائب حماة بعسكره فتلقيه ودخل به إلى المدينة وقبض عليه وعلى من كان معه من الأمراء وهم الأمير قلاوون والأمير سيفة والأمير محمد بك بن جمق وأعيان مماليكه وكتب للسلطان بذلك فقدم الخبر بذلك على السلطان في جمادى الأولى أيضًا فسر سرورًا زائدًا ورسم في الوقت بإبطال التجريدة.

ثم كتب بحمل يلبغا اليحياوي المذكور إلى مصر.

ثم بدا للسلطان غير ذلك وهو أنه أخرج الأمير منجك اليوسفي السلاح دار بقتله فسار منجك حتى لقي أقبا الحموي ومعه يلبغا اليحياوي وأبوه بقاقون.

فنزل منجك بقاقون وصعد بيلبغا اليحياوي إلى قلعة قاقون وقتله بها في يوم الجمعة عشرين جمادى الأولى وحز رأسه وحمله إلى السلطان.

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي: " وكان يلبغا حسن الوجه مليح الثغر أبيض اللون طويل القامة من أحسن الأشكال قل أن ترى العيون مثله.

كان ساقياً وكانت الإنعامات .

التي تصل إليه من السلطان لم يفرح بها أحد قبله.

كان يطلق له الخيل بسروجها وعددها وآلاتها الزركش والذهب المصوغ خمسة عشر فرسًا والأكاديش ما بين مائتي رأس فينعم بها عليه وتجهز إليه الخلع والحوائص وغير ذلك من التشاريف التي يرسم له بها خارجه عن الحد.

وينى له الإسطبل الذي في سوق الخيل تجاه القلعة ."

قلت: والإسطنبول المذكور كان مكان مدرسة السلطان حسن الآن اشتراه السلطان حسن وهدمه وبنى مكان مدرسته المعروفة به.

وقد سقنا ترجمته أي يلبغا اليحياوي بأوسع من هذا في تاريخنا " المنهل الصافي " إذ هو كتاب تراجم.

انتهى.

وفي يوم الأحد خامس عشرين جمادى الأولى المذكور أخرج السلطان الوزير نجم الدين محمودًا والأمير بيدمر البدري نائب حلب كان والأمير طغيتمر النجمي الدوادار إلى الشام وسببه أن الأمير شجاع الدين غرلو لما كان شاد الدواوين قبل تاريخه حقد على الوزير نجم الدين المذكور وعلى طغيتمر الدوادار فحسن للسلطان أخذ أموالهما.

فقال السلطان للنائب أرقطاي عنهما وعن بيدمر أنهم كانوا يكتبون يلبغا فأشار عليه النائب بإبعادهم وأن يكون الوزير نجم الدين نائب غزة وبيدمر نائب حمص وطغيتمر نائب طرابلس فأخرجهم السلطان على البريد فلم يعجب غرلو ذلك وأكثر عند السلطان من الواقعة في الأمير أرقطاي النائب حتى غير السلطان عليه وما زال به حتى بعث السلطان بأرغون الإسماعيلي إلى نائب غزة بقتلهم.

فدخل أرغون معهم إلى غزة بعد العصر وعرف النائب ما جاء بسببه فقبض عليهم نائب غزة وقتلهم في ليلته.

وعاد أرغون وعرف السلطان الخبر فتغير قلب الأمراء ونفر خواطريهم في الباطن من السلطان وميله إلى غرلو.

وتمكن غرلو من السلطان وأخذ أموال من قتل وتزايد أمره وآشدت وطأته وكثر إنعام السلطان عليه حتى إنه لم يكن يوم إلا وينعم عليه فيه بشيء.

ثم أخذ غرلو في العمل على علم الدين عبد الله بن زنبور ناظر الخاص وعلى القاضي علاء الدين علي بن فضل الله العمري كاتب السر وصار يحسن للسلطان القبض عليهما وأخذ أموالهما فتلطف النائب بالسلطان في أمرهما حتى كف عنهما.

فلم يبق بعد ذلك أحد من أهل الدولة حتى خاف من غرلو وصار يصانعه بالمال حتى يسترضيه.

ثم حسن غرلو للسلطان قتل الأمراء المحبوسين بالإسكندرية فتوجه الطواشي مقبل الرومي بقتلهم فقتل الأمير أرغون العلاني وقرابغا القاسمي وتمر الموساوي واستمر السلطان على الانهماك في لهوه فصار يلعب في الميدان تحت القلعة بالكرة في يومي الأحد والثلاثاء ويركب إلى الميدان الذي على النيل في يوم السبت.

فلما كان آخر ركوبه إلى الميدان رسم السلطان بركوب الأمراء المقدمين بمضاهيهم ووقفهم صفين من الصليبية إلى فوق القلعة ليرى السلطان عسكره.

فضاق الموضع فوقف كل مقدم بخمسة من مضاهيه.

وجمعت أرباب الملاهي ورتبت في عدة أماكن من القلعة إلى الميدان.

ثم ركبت أم السلطان في جمعها وأقبل الناس من كل جهة.

فبلغ كراء كل طبقة مائة درهم وكل بيت كبير لنساء الأمراء مائتي درهم وكل حانوت خمسين درهماً وكل موضع إنسان بدرهمين.

فكان يومًا لم يعهد في ركوب الميدان مثله.

ثم في يوم الخميس خامس عشره قبض السلطان الملك المظفر هذا على أعظم أمراء ومدبر مملكته الأمير شجاع الدين غرلو وقتله وسبب ذلك أمور: منها شدة كراهية الأمراء له لسوء سيرته فإنه كان يخلو بالسلطان ويشير عليه بما يشتهييه فما كان السلطان يخالفه في شيء وكان عمله أمير سلاح فخرج عن الحد في التعاضم وجسر السلطان على قتل الأمراء وقام في حق النائب أرقطاي يريد القبض عليه وقتله واستمال المماليك الناصرية والصالحية والمظفرية بكمالهم وأخذ يقرر مع السلطان أن يفوض إليه أمور المملكة بأسرها ليقوم عنه بتدبيرها ثم لم يكفه ذلك حتى أخذ يغري السلطان بالجبيغا وطنيرق وكانا أخص الناس بالسلطان ولا زال يمعن في ذلك حتى تغير السلطان عليهما وبلغ ذلك الجبيغا وتناقلته المماليك فتعصبوا عليه وأرسلوا إلى الأمراء الكبار حتى حدثوا السلطان في أمره وخوفوه عاقبته.

فلم يعبأ السلطان بقولهم فتنكروا بأجمعهم على السلطان بسبب غرلو إلى أن بلغه ذلك عنهم من بعض ثقاته فاستشار النائب في أمر غرلو المذكور فلم يشر عليه في أمره بشيء وقال للسلطان: " لعل الرجل قد كثرت حساده على تقريب السلطان له والمصلحة التثبت في أمره ".

وكان أرقطاي النائب عاقلًا سيوسيًا يخشى من معارضته غرض السلطان فيه.

فاجتهد الجبيغا وعدة من الخاصكية في التدبير على غرلو وتخويف السلطان منه ومن سوء عاقبته حتى أثر قولهم في نفس السلطان.

وأقاموا الأمير أحمد شاد الشرابخاناة وكان مزاحًا للوقية فيه فأخذ أحمد شاد الشرابخاناة في خلوته مع السلطان يذكر كراهية الأمراء لغرلو وموافقة المماليك له وأنه يريد أن يدبر المملكة ويكون نائب السلطنة ليتوثب بذلك على المملكة ويصير سلطانًا ويخرج له قوله هذا في صورة السخرية والضحك.

وصار أحمد المذكور يبالغ في ذلك على عدة فنون من الهزل إلى أن قال السلطان: " أنا الساعة أخرج وأعمله أمير آخور " فمضى أحمد شاد الشرابخاناة إلى النائب وعرفه بما وقع في السر وأنه جسر السلطان على الوقية في غرلو.

فبعث السلطان وراء النائب أرقطاي وآستشاره في أمر غرلو ثانيًا فأثنى عليه النائب وشكره فعرف السلطان كثرة وقية الخاصكية فيه وأنه قصد أن يعمل أمير آخور فقال النائب: " غرلو رجل شجاع جسور لا يليق أن يعمل أمير آخور ".

فكانه أيقظ السلطان من رقدته بحسن عبارة وألطف إشارة فأخذ السلطان في الكلام معه بعد ذلك فيما يوليه! فأشار عليه النائب بتوليته نيابة غزة فقبل السلطان ذلك وقام عنه النائب.

فأصبح السلطان بكرة يوم الجمعة وبعث الأمير طنيرق إلى النائب أن يخرج غرلو إلى نيابة غزة.

فلم يكن غير قليل حتى طلع غرلو على عادته إلى القلعة وجلس على باب القلعة فبعث النائب يطلبه فقال: " مالي عند النائب شغل وما لأحد معي حديث غير أستاذي ".

فأرسل النائب يعرف السلطان جواب غرلو فأمر السلطان مغلطاي أمير شكار وجماعة من الأمراء أن يعرفوا غرلو عن السلطان أن يتوجه إلى غزة وإن امتنع يمسكوه فلما صار غرلو بداخل القصر لم يحدثوه بشيء وقبضوا عليه وقيدوه وسلموه لأجيبغا فأدخله إلى بيته بالأشرفية.

فلما خرج السلطان لصلاة الجمعة على العادة قتلوا غرلو وهو في الصلاة.

وأخذ السلطان بعد عودته من الصلاة يسأل عنه فنقلوا عنه أنه قال: " أنا ما أروح مكانا " وأراد سل سيفه وضرب الأمراء به فتكاثروا عليه فما سلم نفسه حتى قتل.

فعر قتله على السلطان وحقد عليهم لأجل قتله ولم يظهر لهم ذلك.

ورسم بإيقاع الحوطة على ثم أخرج بغرلو المذكور ودفن بباب القرافة فأصبح وقد خرجت يده من القبر فاتاه الناس أفواجا ليروه ونبشوا عليه وجروه بحبل في رجله إلى تحت القلعة وأتوا بنار ليحرقوه وصار لهم ضجيج عظيم.

فبعث السلطان عدة من الأوجاقية قبضوا على كثير من العامة فضربهم الوالي بالمقارع وأخذ منهم غرلو المذكور ودفنه.

ولم يظهر لغرلو المذكور كثير مال.

قلت: ومن الناس من يسميه " أغزلو " بألف مهموزة وبعدها عين معجمة مكسورة وزاي ساكنة ولام مضمومة وواو ساكنة.

ومعنى أغزلو باللغة التركية: له فم وقد ذكرناه نحن أيضًا في المنهل الصافي في حرف الهمزة غير أن جماعة كثيرة ذكروه " غرلو " فأقتدينا بهم هنا وخالفناهم هناك وكلاهما أسم باللغة التركية.

انتهى.

وكان غرلو هذا أصله من ممالك الحاج بهادر العزي وخدم بعده عند بكتمر الساقى وصار أمير أخوره ثم خدم بعد بكتمر عند بشتك وصار أمير أخوره أيضا ثم ولي بعد ذلك ناحية أشمون ثم ولي نيابة الشوبك ثم ولي القاهرة وأظهر العفة والأمانة وحسنت سيرته ثم تقرب عند الملك الكامل شعبان وفتح له باب الأخذ في الولايات والإقطاعات وعمل لذلك ديوانًا قائم الذات سمي ديوان البدل.

فلما تولى صاحب تقي الدين بن مراحل الوزير شاحه في الجلوس والعلامة فترجح صاحب تقي الدين وغزل غرلو هذا عن شد الدواوين ودام على ذلك إلى أن كانت نوبة السلطان الملك المظفر كان غرلو هذا ممن قام معه لما كان في نفسه من الكامل من عزله عن شد الدواوين وضرب في الوقعة أرغون العلائي بالسيف في وجهه وتقرب من يوم ذاك إلى الملك المظفر حتى كان من أمره ما حكيناه.

ثم خرج السلطان الملك المظفر بعد قتله إلى سرياقوس على العادة وأقام بها أيامًا.

ثم عاد وخلع على الأمير منجك اليوسفي السلاح دار باستقراره حاجيًا بدمشق عوضًا عن أمير علي بن طغرل.

وأنعم السلطان على اثني عشر من المماليك السلطانية بإمريات ما بين طبلخاناه وعشرة وأنعم بتقدمة الأمير منجك السلاح دار على بعض خواصه.

وفي يوم مستهل شعبان خرج الأمير طيغا المجدي والأمير أسندمر الغمري والأمير بيغرا والأمير أرغون الكامل والامير بيغا أرس والأمير بيغا ططر إلى الصيد ثم خرج الأمير أرقطاي النائب بعدهم إلى الوجه القبلي بطيور السلطان.

ورسم السلطان لهم ألا يحضروا إلى العشر الأخير من شهر رمضان.

فخلا الجو للسلطان وأعاد حضير الحمام وأعاد أرباب الملاعب من الصراع والثقاف والشباك وجري السعاة ونطاح الكباش ومناقرة الديوك والقمار وغير ذلك من أنواع الفساد.

ونودي بإطلاق اللعب بذلك بالقاهرة ومصر وصار للسلطان آجتماع بالأوباش وأراذل الطوائف من الفراشين والبايبة ومطيري الحمام فكان السلطان يقف معهم وبراهن على الطير الفلاني والطييرة الفلانية.

وبينما هو ذات يوم معهم عند حضير الحمام وقد سببها إذ أذن العصر بالقلعة والقرافة فجفلت الحمام عن مقاصيرها وتطايرت فغضب وبعث إلى المؤذنين يأمرهم أنهم إذا رأوا الحمام لا يرفعون أصواتهم.

وكان السلطان يلعب مع العوام بالعصي وكان إذا لعب مع الأوباش يتعري ويلبس تبان جلد ويصارع معهم ويلعب بالرمح والكرة فيظل نهاره مع الغلمان والعبيد في الدهيشة وصار يتجاهر بما لا يليق به أن يفعله.

ثم أخذ مع ذلك كله في التدبير على قتل أخيه حسين وأرصد له عدة خدام ليهجموا عليه عند إمكان الفرصة ويغتالوه فبلغ حسيئًا ذلك فتمارض واحترس على نفسه فلم يجدوا منه غفلة.

ثم في سابع عشر شعبان توفي الخليفة أبو الربيع سليمان وبوع بالخلافة ابنه أبو بكر ولقب بالمعتصم بالله أبي الفتح.

وفي آخر شعبان قدم الأمراء من الصيد شيئًا بعد شيء وقد بلغهم ما فعله السلطان في غيبتهم.

وقدم ابن الحراني من دمشق بمال يلبغا اليحياوي فتسلمه الخدام.

وأنعم السلطان من ليلته على حظيته " كيدا " من المال بعشرين ألف دينار سوى الجواهر واللاكئ ونثر الذهب على الخدام والجواري فاختطفوه وهو يضحك.

وفرق على لعاب الحمام والفراشين والعبيد الذهب واللؤلؤ وهو يحذفه عليهم وهم يترامون عليه ويأخذه بحيث إنه لم يدع من مال يلبغا سوى القماش فكان جملة التي فرقها ثلاثين ألف دينار وثلاثمائة ألف درهم وجواهر وحبًا ولؤلؤًا وزركشًا ومصاعًا قيمته زيادة على ثمانين ألف دينار.

فعظم ذلك على الأمراء وأخذ ألبجيغا وطنيرق يعرفان السلطان ما ينكره عليه الأمراء من لعب الحمام وتقريب الأوباش وخوفاه فساد الأمر فغضب وأمر أقجيا شاد العمائر بخراب حضير الحمام ثم أحضر الحمام وذبحهم واحدًا بعد واحد بيده وقال لألبجيغا وطنيرق: " والله لأذبحنكم كلكم كما ذبحت هذا الحمام " وتركهم وقام.

وفرق جماعة من خشداشية ألبجيغا وطنيرق في البلاد الشامية وآستمر على إعراضه عن الجميع ثم قال لحظاياه وعنده معهن الشيخ علي بن الكسيح: " والله ما بقي يهنا لي عيش وهذان الكذابان بالحياة يعني بذلك عن ألبجيغا وطنيرق فقد أفسدا علي جميع ما كان لي فيه سرور واتفقا علي ولا بد لي من ذبحهما " فنقل ذلك ابن الكسيح لألبجيغا فإن ألبجيغا هو الذي أوصله إلى السلطان وقال: " مع ذلك خذ لنفسك فوالله لا يرجع عنك وعن طنيرق " فطلب ألبجيغا طنيرق وعرفه ذلك فأخذا في التدبير عليه في الباطن وأخذ في التدبير عليهما.

وخرج الأمير ببيغا أرس للصيد بالعباسة فإنه كان صديقًا لألبجيغا وتنمر السلطان على طنيرق وأشدت عليه وبالغ في تهديده.

فبعث طنيرق وألبجيغا إلى الأمير طشتمر طليليه وما زال به حتى وافقهما.

ودارا على الأمراء وما منهم إلا من نفرت نفسه من السلطان الملك المظفر وتوقع به أنه يفتك به فصاروا معهما يدًا واحدة لما في نفوسهم.

ثم كلموا النائب في موافقتهم وأعلموه أنه يريد القبض عليه وكان عنده أيضًا حس من ذلك وأكثروا من تشجيعه حتى وافقهم وأجابهم.

وتواعدوا جميعًا في يوم الخميس تاسع شهر رمضان على الركوب على السلطان في يوم الأحد ثاني عشر شهر رمضان.

فبعث السلطان في يوم السبت يطلب ببيغا أرس من العباسة وقد قرر مع الطواشي عنبر مقدم المماليك أن يعرف المماليك السلاح دارية أن يقفوا خلفه فإذا دخل ببيغا أرس وقبل الأرض ضربه بالسيوف وقطعوه قطعًا.

فعلم بذلك ألبجيغا وبعث إليه يعلمه بما دبره السلطان عليه من قتله ويعرفه بما وقع اتفاق الأمراء عليه وأنه يوافقهم بكرة يوم الأحد على قبة النصر.

فآستعدوا ليلتهم ونزل ألبجيغا من القلعة وتلاه بقية الأمراء حتى كان آخرهم ركوبًا الأمير أرقطاي نائب السلطنة.

وتوافقوا بأجمعهم عند مطعم الطير وإذا بببيغا أرس قد وصل إليهم فعبوا أطلابهم ومماليكهم ميمنة وميسرة وبعثوا في طلب بقية الأمراء فما ارتفع النهار حتى وقفوا بأجمعهم ملبسين عند قبة النصر.

وبلغ السلطان ذلك فأمر بضرب الكوسات فدقت وبعث الأوجاقية في طلب الأمراء فجاءه طنجرق وشيخون وأرغون الكاملي وطاز ونحوهم من الأمراء الخاصكية.

ثم بعث المقدمين في طلب أجناد الحلقة فحضروا.

ثم أرسل السلطان يعتب النائب أرقطاي على ركوبه فرد جوابه بأن مملوكك الذي ربيته ركب عليك يعني عن الجبيغا وأعلمنا فساد نيتك لنا وقد قتلت ممالكك أبيك وأخذت أموالهم وهتكت حریمهم بغير موجب وعزمت على الفتك بمن بقي.

وأنت أول من حلف أنك لا تخون الأمراء ولا تخرب بيت أحد فرد السلطان الرسول إليه يستخبره عما يريد من الأمراء من السلطان حتى يفعله لهم فعاد جوابهم أنه لا بد أن يسلطنوا غيره فقال: " ما أموت إلا على ظهر فرسي " فقبضوا على رسوله وهموا بالزحف عليه فمنعهم النائب أرقطاي من ذلك حتى يكون القتال أولاً من السلطان.

فبادر السلطان بالركوب إليهم وأقام أرغون الكاملي وشيخون في الميمنة ثم أقام عدة أمراء آخر في الميسرة وسار بمماليكه حتى وصل إلى قريب قبة النصر فكان أول من تركه ومضى إلى القوم الأمير طاز ثم الأمير أرغون الكاملي ثم الأمير ملكتمر السعدي ثم الأمير شيخون وانضافوا الجميع إلى النائب أرقطاي والأمراء وتلاههم بقيتهم حتى جاء الأمير طنرق والأمير لاجين أمير جاندار صهر السلطان آخرهم.

وبقي السلطان في نحو عشرين فارسًا فيبرز له الأمير بيغا أرس والأمير الجبيغا فولى السلطان فرسه وأنهزم عنهم فتبعوه وأدركوه وأحاطوا به فتقدم إليه بيغا أرس فضربه السلطان بالطبر فأخذ بيغا الضربة بترسه.

ثم حمل عليه بالرمح وتكاثروا عليه حتى قلعوه من سرجه وضربه طنيرق بالسيف فجرح وجهه وأصابه.

ثم ساروا به على فرس غير فرسه محتفظين به إلى تربة آق سنقر الرومي تحت الجبل وذبحوه من ساعته قبيل عصر يوم الأحد ثاني عشر شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمئة ودفن بتربة أمه.

ولما أنزلوه وأرادوا ذبحه قال لهم: " بالله لا تستعجلوا علي خلوني ساعة " فقالوا: كيف استعجلت أنت على قتل الناس! لو صبرت عليهم صبرنا عليك فذبحوه.

وقيل: إنهم لما أنزلوه عن فرسه كتفوه وأحضره بين يدي النائب أرقطاي ليقتله فلما رآه النائب نزل عن فرسه وترجل ورمى عليه قباؤه وقال: " أعوذ بالله هذا سلطان ابن سلطان ما أقتله " فأخذوه ومضوا إلى الموضع الذي ذبحوه فيه.

وفيه يقول الشيخ صلاح الدين الصفدي: أيها العاقل اللبيب تفكر في المليك المظفر الضرغام كم تمادى في البغي والغي حتى كان لعب الحمام جد الحمام وفيه يقول: حان الردى للمظفر وفي التراب تعفر وقاتل النفس ظلمًا ذنوبه ما تكفر ثم صعد الأمراء القلعة من يومهم ونادوا في القاهرة بالأمان والاطمئنان وباتوا بالقلعة ليلة الإثنين وقد اتفقوا على مكاتبة نائب الشام الأمير أرغون شاه بما وقع وأن يأخذوا رأيه فيمن يقيموه سلطانًا.

فأصبحوا وقد آتجمع المماليك على إقامة حسين ابن الملك الناصر محمد عوضًا عن أخيه المظفر في السلطنة ووقعت بين حسين وبينهم مراسلات.

فقام المماليك في أمره فقبضوا الأمراء على عدة منهم ووكلوا الأمير طاز باب حسين حتى لا يجتمع به أحد من جهة المماليك وأغلقوا باب القلعة واستمروا بألة الحرب يومهم وليلة الثلاثاء.

وقصد المماليك إقامة الفتنة فخاف الأمراء تأخير السلطنة حتى يستشيروا نائب الشام أن يقع من المماليك ما لا يدرك فارطه فوقع اتفاقهم عند ذلك على حسن فسلطنوه فتم أمره.

وكانت مدة سلطنة الملك المظفر هذا على مصر سنة واحدة وثلاثة أشهر وأربعة عشر يومًا.

وكان المظفر أهوج سريع الحركة عديم المداراة سيئ التدبير يؤثر صحبة الأوباش على أرباب الفضائل والأعيان.

وكان فيه ظلم وجبروت وسفك للدماء.

قتل في مدة سلطنته مع قصرها خلائق كثيرة من الأمراء وغيرهم.

وكان مسرقًا على نفسه يحب لعب الحمام وغيره ويحسن فنونًا كثيرة من الملاعب كالرمح قلت: وبالجملة هو أسوأ سيرة من جميع إخوته ممن تسلطن قبله من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون على أن الجميع غير نجباء وحالهم كقول القائل: " عجيب نجيب من نجيب " اللهم إن كان السلطان حسن الآتي ذكره فهو لا بأس به.

انتهى.

▲ السنة التي حكم في أولها الملك الكامل

شعبان إلى سلخ جمادى الأولى ثم حكم في باقيها الملك المظفر حاجي صاحب الترجمة وهي سنة سبع وأربعين وسبعمائة.

فيها توفي الأمير بهاء الدين أصلم بن عبد الله الناصري أحد أمراء الألوف بالديار المصرية في يوم السبت عاشر شعبان وإليه ينسب جامع أصلم خارج القاهرة بسوق الغنم.

وكان أصله من مماليك الملك المنصور قلاوون وكان من خواص الملك الناصر محمد وقبض عليه وحبس سنة سنين ثم أطلقه.

وكان من أعيان الأمراء وتولى عدة ولايات بالبلاد الشامية وغيرها حسب ما تقدم ذكره فيما مضى.

طالت أيامه في السعادة والإمارة حتى صار من أمراء المشورة.

وتوفي الأمير الكبير سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار ثم نائب السلطنة بالديار المصرية مقتولًا بالإسكندرية في أيام الملك الكامل شعبان.

وأحضر ميتًا إلى القاهرة في يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة.

وأصله من كسب الأبلستين في الأيام الظاهرية ببيرس في سنة ست وسبعين وستمائة واشتراه قلاوون وهو أمير ومعه سلار النائب فأنعم بسلا على ولده علي وأنعم بال ملك هذا على ولده الآخر.

وقيل قدمه لصهره الملك السعيد بركة خان ابن الملك الظاهر ببيرس فأعطاه الملك السعيد لكوندك وقيل غير ذلك.

وترقى آل ملك في الخدم إلى أن صار من جملة أمراء الديار المصرية.

وتردد للملك الناصر محمد بن قلاوون في الرسالية لما كان بالكرك من جهة الملك المظفر بيبرس الجاشنكير فأعجب الملك الناصر عقله وكلامه.

فلما أن عاد الملك الناصر إلى ملكه رقاها وولاه الأعمال الجليلة إلى أن ولي نيابة السلطنة بديار مصر في دولة الملك الصالح إسماعيل.

فلما ولي الملك الكامل شعبان أخرجه لنيابة صفد ثم طلبه وقبض عليه وقتله بالإسكندرية وقد ذكرنا من أحواله نبذة كبيرة في عدة تراجم فلا حاجة لتكرار ذلك إذ ليس هذا المحل محل الإطناب إلا في تراجم ملوك مصر فقط ومن عداهم يكون على سبيل الاختصار.

وآل ملك هذا هو صاحب الدار العظيمة بالقرب من باب مشهد الحسين - رضي الله عنه - وله هناك مدرسة أيضًا تعرف به وهو صاحب الجامع بالحسينية.

وكان خيرًا دينًا عفيقًا مثرًا.

كان يقول: " كل أمير لا يقيم رمحه ويسكب الذهب حتى يساوي السنان ما هو أمير ".

وتوفي الأمير سيف الدين قماري بن عبد الله الناصري أخو بكتمر الساقى مقتولاً.

وقد ولي نيابة طرابلس والأستادارية بديار مصر وكان من أعيان الأمراء الناصرية مشهورًا بالشجاعة والإقدام وهو غير قماري أمير شكار وكلاهما من المماليك الناصرية.

وتوفي الأمير سيف الدين ملكتمر بن عبد الله السرجواني نائب الكرك في يوم الإثنين مستهل المحرم خارج القاهرة وقد قدمها من الكرك مريضًا.

وكان من أعيان الأمراء وتولى عدة ولايات لا سيما نيابة الكرك فإنه وليها غير مرة.

قلت: وغالب هؤلاء الأمراء ذكرنا من أحوالهم في عدة مواطن من تراجم ملوك مصر ما يستغنى عن ذكره ثانيًا هنا.

وتوفي ملك تونس من بلاد الغرب أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد في ليلة الأربعاء ثامن شهر رجب بعد ما ملك تونس نحوًا من ثلاثين سنة.

وتولى بعده ابنه أبو حفص عمر.

وكان أبو بكر هذا من أجل ملوك الغرب وطالت أيامه في السلطنة وله مواقف مع العدو مشهودة.

رحمه الله تعالى.

وتوفي القاضي تاج الدين محمد بن الخضر بن عبد الرحمن بن سليمان المصري كاتب سر دمشق في ليلة الجمعة تاسع شهر ربيع الآخر.

وكان كاتبًا فاضلاً باشر عدة وظائف.

وتوفي الأمير سيف الدين طقتمر بن عبد الله الصلاحي نائب حمص بها.

وكان من أعيان أمراء مصر.

وقد مر ذكره أيضًا في تراجم أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون.

وتوفي الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن نمير بن السراج بن نمير بن السراج في شعبان وكان كاتبًا فاضلاً مقررًا وعنده مشاركة في فنون.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع سواء.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وخمس أصابع.

والله أعلم.

السنة الثانية من سلطنة المظفر حاجي وهي سنة ثمان وأربعين وسبعمائة.

على أنه قتل في شهر رمضان منها وحكم في باقيها أخوه السلطان الملك الناصر حسن.

فيها توفي الأمير شمس الدين آق سنقر بن عبد الله الناصري مقتولًا بقلعة الجبل.

وقد تقدم ذكر قتله وهو أن الملك المظفر حاجيًا أمر بالقبض على آق سنقر وعلى الحجازي بالقصر ثم قتل من ساعتها تهييرًا بالسيوف في يوم الأحد تاسع عشر شهر ربيع الآخر.

وكان آق سنقر هذا اختص به أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون وزوجه إحدى بناته وجعله أمير شكار ثم أمير أخور ثم نائب غزة وأعيد بعد موت الناصر في أيام الملك الصالح إسماعيل ثانيًا واستقر أمير أخور على عادته ثم ولي نيابة طرابلس مدة ثم أحضر إلى مصر في أيام الملك الكامل شعبان وعظم قدره ودبر الدولة في أيام الملك المظفر حاجي.

ثم ثقل عليه وعلى حواشيه فوشوا به وبملكتمر حتى قبض عليهما وقتلها في يوم واحد.

وكان آق سنقر أميرًا جليلًا كريمًا شجاعًا عارفًا مدبرًا.

وإليه ينسب جامع آق سنقر بخط التبانة خارج القاهرة بالقرب من باب الوزير.

وتوفي الأمير سيف الدين بيدمر البدري مقتولًا بغزة في أول جمادى الآخرة وهو أيضًا أحد المماليك الناصرية وترقى إلى أن ولي نيابة حلب.

وقد تقدم ذكر مقتله في ترجمة الملك المظفر حاجي.

وإليه تنسب المدرسة البيدمرية قريبًا من مشهد الحسين رضى الله عنه.

وتوفي قاضي القضاة عماد الدين علي بن محيي الدين أحمد بن عبد الواحد بن عبد المنعم بن عبد الصمد الطرسوسي الحنفي الدمشقي قاضي قضاة دمشق بها عن تسع وسبعين سنة تقريبًا بعد ما ترك القضاء لولده وانقطع بداره للعبادة إلى أن مات في يوم الإثنين ثامن عشر من ذي الحجة.

وكان منشؤه بدمشق وقرأ الخلاف على الشيخ بهاء الدين بن النحاس والفرائض على أبي العلاء وتفقه على جماعة من علماء عصره وبرع في عدة علوم وأفتى ودرس بعدة مدارس.

وكان كثير التلاوة سريع القراءة.

قيل إنه كان يقرأ القرآن في التروايح كاملاً في أقل من ثلاث ساعات بحضور جماعة من القراء.

وتولى قضاء دمشق بعد قاضي القضاة صدر الدين علي الحنفي في سنة سبع وعشرين وسبعمائة وحمدت سيرته.

وكان أولاً ينوب عنه في الحكم.

رحمه الله تعالى.

وتوفي قاضي قضاة المالكية وشيخ الشيوخ بدمشق شرف الدين محمد بن أبي بكر ابن ظافر بن عبد الوهاب الهمداني في ثالث المحرم عن ثلاث وسبعين سنة.

وكان فقيهاً عالمًا صوفيًا.

وتوفي الشيخ الإمام الحافظ المؤرخ صاحب التصانيف المفيدة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني الأصل الفارقي الذهبي الشافعي - رحمه الله تعالى - أحد الحفاظ المشهورة في ثالث ذي القعدة.

ومولده في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وستمائة وسمع الكثير ورحل البلاد وكتب ألف وصنف وأرخ وصحح وبرع في الحديث وعلومه وحصل الأصول وانتقى وقرأ القراءات السبع على جماعة من مشايخ القراءات.

استوعبنا مشايخه ومصنفاته في تاريخنا " المنهل الصافي " مستوفاة.

ومن مصنفاته: " تاريخ الإسلام " وهو أجل كتاب نقلت عنه في هذا التاريخ.

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي - بعد ما أثنى عليه - قال: " وأخذت عنه وقرأت عليه كثيرًا من تصانيفه ولم أجد عنده جمودة المحدثين ولا كودنة النقلة بل هو فقيه النظر له دربة بأقوال الناس ومذاهب الأئمة من السلف وأرباب المقالات.

وأعجبني منه ما يعنيه في تصانيفه ثم إنه لا يتعدى حديثًا يورده حتى يبين ما فيه من ضعف متن أو ظلام إسناد أو طعن في روايته وهذا لم أر غيره يراعي هذه الفائدة "

وأنشدني من لفظة لنفسه مضمناً وهو تخيل جيد إلى الغاية: إذا قرأ الحديث علي شخص وأخلى موضعًا لوفاة مثلي فما جازى بإحسان لأنني أريد حياته ويريد قتلي وتوفي الأمير الوزير نجم الدين محمود بن علي بن شروبن المعروف بوزير بغداد مقتولاً بغزة مع الأمير بيدمر البدري في جمادى الآخرة.

وكان قدم من بغداد إلى القاهرة في دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون فلما سلم على السلطان وقبل الأرض ثم قبل يده حط في يد السلطان حجر بلخش زنته أربعون درهماً قوم بمائتي ألف درهم فاقره السلطان وأعطاه مقدمة ألف بديار مصر.

ثم ولي الوزير غير مرة إلى أن أخرجه الملك المظفر حاجي إلى غزة وقتله بها هو ويبيدمر البدري وطغيتمر الدوادار.

وكان - رحمه الله - عاقلاً سيوساً كريماً محسناً مدبراً محمود الاسم والسيره في ولاياته وهو ممن ولي الوزير شرقاً وغرباً وهو صاحب الخانقاه بالقرافة بجوار تربة كافور الهندي.

وتوفي الشيخ الإمام البارع المفتن قوام الدين مسعود بن محمد بن محمد بن سهل الكرمانبي الحنفي بدمشق وقد جاوز الثمانين سنة.

وكان إماماً بارعاً في الفقه والنحو والأصليين واللغة وله شعر وتصانيف وسماه الحافظ عبد القادر في الطبقات مسعود بن إبراهيم.

وتوفي الأمير سيف الدين ملكتمر بن عبد الله الحجازي الناصري قتيلاً في تاسع عشر شهر ربيع الآخر مع الأمير آق سنقر المقدم ذكره.

وكان أصل الحجازي من مماليك شمس الدين أحمد بن يحيى بن محمد بن عمر الشهرزوري البغدادي فبذل فيه الملك الناصر محمد زيادة على مائة ألف درهم حتى ابتاعه له منه المجد السلامي بمكة لما حج الشهرزوري وقدم به على الناصر فلم ير بمصر أحسن منه ولا أطرف فعرف بالحجازي.

وحظي عند الملك الناصر حتى جعله من أكابر الأمراء وزوجه بإحدى بناته.

وكان فيه كل الخصال الحسنة غير أنه كان مسرفاً على نفسه منهمكاً في اللذات مدمناً على شرب الخمر فكان مرتبه منه في كل يوم خمسين رطلاً.

ولم يسمع منه في سكره وصحوه كلمة فحش ولا توسط بسوء أبداً هذا مع سماحة النفس والتواضع والشجاعة والكرم المفرط والتجمل في ملبسه ومركبه وحواشيه.

وقد تقدم كيفية قتله في ترجمة الملك المظفر هذا.

وتوفي الأمير طغيتمر بن عبد الله النجمي الدوادار صاحب الخانقاه النجمية خارج باب المحروق من القاهرة مقتولاً بغزة مع بيدمر البدري ووزير بغداد المقدم ذكرهما.

وكان طغيتمر من أجل أمراء مصر وكان عارفاً عاقلاً كاتباً وعنده فضيلة ومشاركة.

وكان مليح الشكل.

وتوفي الأمير سيف الدين يلغا اليحياوي الناصري نائب الشام مقتولاً بقلعة قاقون.

تقدم ذكر قتله في ترجمة الملك المظفر هذا.

وكان يلغا هذا أحد من شغف به أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون وعمر له الدار العظيمة التي موضعها الآن مدرسة السلطان حسن تجاه القلعة.

ثم جعله أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية.

ثم ولي بعد موت الملك الناصر حماة وحلب والشام.

وعمر بالشام الجامع المعروف بجامع يلغا بسوق الخيل ولم يكمله فكمل بعد موته.
وكان حسن الشكالة شجاعًا كريمًا.

بلغ إنعامه في كل سنة على مماليكه فقط مائة وعشرين فرسًا وثمانين حياصة ذهب.
وعاش أبوه بعده وكان تركي الجنس وتقلب في هذه السعادة ومات وسنه نيف على
عشرين سنة.

وتوفي الأمير أرغون بن عبد الله العلاني قتيلاً بالإسكندرية.

وكان أرغون أحد المماليك الناصرية رقاها الملك الناصر محمد في خدمته وزوجه أم
ولديه: إسماعيل الصالح وشعبان الكامل وعمله لالا لأولاده فدبر الدولة في أيام ربيبه
الملك الصالح إسماعيل أحسن تدبير.

ثم قام بتدبير ربيبه أيضًا الملك الكامل شعبان حتى قتل شعبان لسوء سيرته وأرغون
ملازمه فقبض على أرغون المذكور بعد الهزيمة وسجن بالإسكندرية إلى أن قتله الملك
المظفر حاجي فيمن قتل وقد تقدم ذكر ذلك كله مفصلاً في وقته.

وأرغون هذا هو صاحب الخانقاه بالقرافة.

وكان عاقلاً عارفاً مدبرًا سيوسًا كريمًا ينعم في كل سنة بمائتين وثلاثين فرسًا ومبلغ
أربعين ألف دينار.

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي: وعظمت حرمة لما دبر المملكة وكثرت أرزاقه وأملاكه
وصار أكبر من النواب بالديار المصرية وهو باق على وظيفته رأس نوبة الجمдарية
وجنديته إلى آخر وقت.

قلت: وهذا الذي ذكره صلاح الدين من العجب: كونه يكون مدبر مملكتي الصالح والكامل
وهو غير أمير.

انتهى.

وتوفي جماعة من الأمراء بسيف السلطان الملك المظفر حاجي منهم: الأمير أيتمش عبد
الغني والأمير تمر الموساوي الساقى والأمير قرابغا والأمير صمغار الجميع بسجن
الإسكندرية وهم من المماليك الناصرية محمد بن قلاوون.

وقتل أيضًا بقلعة الجبل الأمير غرلو في خامس عشرين جمادى الآخرة وقد تقدم التعريف
بحاله عند قتله في ترجمة الملك المظفر حاجي.

وكان جركسي الجنس ولهذا كان جمع الجراكسة على الملك المظفر حاجي لأنهم من
جنسه.

أمر النيل في هذه السنة: سلطنة الناصر حسن الأولي السلطان الملك الناصر بدر الدين
وقيل ناصر الدين أبو المعالي حسن - واللقب الثاني أصح لأنه أخذ كنية أبيه ولقبه
وشهرته - ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون.

وأمه أم ولد ماتت عنه وهو صغير فتولّى تربيته خوند أردو وكان أولاً يدعى قماري واستمر بالدور السلطانية إلى أن كان من أمر أخيه الملك المظفر خاجي ما كان.

وطلبت المماليك أخاه حسيّنا للسلطنة فقام الأمراء بسلطنة حسن هذا وأجلسوه على تخت الملك بالإيوان في يوم الثلاثاء رابع عشر شهر رمضان سنة ثمانى وأربعين وسبعمائة وركب بشعار السلطنة وأبهاه الملك.

ولما جلس على تخت الملك لقبوه بالملك الناصر سيف الدين قماري فقال السلطان حسن للنائب أرقطاي: " يا أبت ما أسمي قماري إنما اسمي حسن " فاستلطفه الناس لصغر سنه ولذكائه فقال له النائب: " يا خوند - والله - إن هذا أسم حسن على خيرة الله تعالى ".

فصاحت الجاوشية في الحال بأسمه وشهرته وتم أمره وحلف له الأمراء على العادة وعمره يوم سلطنته إحدى عشرة سنة.

وهو السلطان التاسع عشر من ملوك الترك بالديار المصرية والسابع من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون.

وفي يوم الأربعاء خامس عشره اجتمع الأمراء بالقلعة وأخرج لهم الطواشي دينار الشبلي المال من الخزانة.

ثم طلب الأمراء خدام الملك المظفر وعبيده ومن كان يعاشره من الفراشين ولعاب الحمام وسلموا لشاد الدواوين على حمل ما أخذه من الملك المظفر من الأموال فأقر الخدام أن الذي خص " كيدا " في مدة شهرين نحو خمسة وثلاثين ألف دينار ومائتين وعشرين ألف درهم وخص عبد علي العواد نحو ستين ألف درهم وخص الإسكندر بن كتيلة الجنكي نحو الأربعين ألف درهم وخص العبيد والفراشين ومطيري الحمام نحو مائة ألف درهم.

وأظهر بعض الخدام حاصلًا تحت يده من الجواهر واللؤلؤ ما قيمته زيادة على مائة ألف دينار وتفصيل حبر وبذلات زرکش بمائة ألف دينار أخرى.

وفي يوم الخميس قبض على الأمير أيدمر الزراق والأمير قطز أمير آخور والأمير بلك الجمدار وأخرج قطز لنيابة صفد.

وقطعت أخباز عشرين خادمًا وخبز عبد علي العواد المغني وخبز إسكندر بن بدر الدين كتيلة الجنكي.

ثم قبض يوم الأحد على الطواشي عنبر السحرتي مقدم المماليك وعلى الأمير آق سنقر أمير جندار.

ثم عرضت المماليك أرباب الوظائف وأخرج منهم جماعة.

وأحيط بمال " كيدا " حظية الملك المظفر التي أخذها بعد اتفاق السوداء العواد وأموال بقية الحظايا وأنزلن من القلعة.

وفيه وكان أمر المشورة في الدولة والتدبير لتسعة أمراء: ببيغا أرس القاسمي وألجبيغا المظفري وشيخون العمري وطاز الناصري وأحمد شاد الشراب خاناه وأرغون الإسماعيلي وثلاثة آخر.

واستقر الأمير شيخون رأس نوبة كبيرًا وشارك في تدبير المملكة.

وآستقر الأمير مغلطاي أمير آخور عوضًا عن الأمير قطز.

ثم رسم بالإفراج عن الأمير بزلاز من سجن الإسكندرية.

ثم جهزت التشاريف لنواب البلاد الشامية وكتب لهم بما وقع من أمر الملك المظفر وقتله وسلطنة الملك الناصر حسن وجلوسه على تخت الملك.

ثم اتفقوا الأمراء على تخفيف الكلف السلطانية وتقليل المصروف بسائر الجهات وكتبت أوراق بما على الدولة من الكلف.

وأخذ الأمراء في بيع طائفة الجراكسة من الممالك السلطانية وقد كان الملك المظفر حاجي قريهم إليه بواسطة غرلو وجلبهم من كل مكان وأراد أن ينشئهم على الأتراك وأدناهم إليه حتى عرفوا بين الأمراء بكبر عمائمهم وقوي أمرهم وعملوا كلفات خارجة عن الحد في الكبر.

فطلبوا الجميع وأخرجوهم منفيين خروجًا فاحشًا وقالوا: هؤلاء جيعة النفوس كثيرو الفتن.

ثم قدم كتاب نائب الشام الأمير أرغون شاه يتضمن موافقته للأمراء ورضاه بما وقع وغض من الأمير فخر الدين إياس نائب حلب.

وكان الأمير أرقطاي النائب قد طلب من الأمراء أن يعفوه من النيابة ويولوه بلدًا من البلاد فلم يوافقوه الأمراء على ذلك فلما ورد كتاب نائب الشام يذكر فيه أن إياس يصغر عن نيابة حلب فإنه لا يصلح لها إلا رجل شيخ كبير القدر له ذكر بين الناس وشهرة فعند ذلك طلب الأمير أرقطاي النائب نيابة حلب فخلع عليه نيابة حلب في يوم الخميس خامس شوال واستقر عوضه في نيابة السلطنة بالديار المصرية الأمير ببيغا أرس أمير مجلس وخلع عليهما معًا.

وجلس ببيغا أرس في دست النيابة وجلس أرقطاي دونه بعد ما كان قبل ذلك أرقطاي في دست النيابة وبيغا دونه.

وفي يوم السبت سابعه قدم الأمير منجك اليوسفي السلاح دار حاجب دمشق وأخو ببيغا أرس من الشام فرسم له بتقديمه ألف بديار مصر وخلع عليه واستقر وزيرًا وأستاذًا وخرج في موكب عظيم والأمراء بين يديه فصار حكم مصر للأخوين: ببيغا أرس ومنجك السلاحدار.

ثم في يوم الثلاثاء عاشر شوال خرج الأمير أرقطاي إلى نيابة حلب وصحبته الأمير كشلي الإدريسي مسفرًا.

ثم إن الأمير منجك اشتد على الدواوين وتكلم فيهم حتى خافوه بأسرهم وقاموا له بتقادم هائلة فلم يمض شهر حتى أنس بهم واعتمد عليهم في أموره كلها.

وتحدث منجك في جميع أقاليم مصر ومهد أمورها.

ثم قدم سيف الأمير فخر الدين إياس نائب حلب بعد القبض عليه فخرج مقيدًا وحبس بالإسكندرية.

ثم تراسل المماليك الجراكسة مع الأمير حسين ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون على أن يقيموه سلطانيًا فقبض على أربعين منهم وأخرجوا على الهجن مفرقين إلى البلاد الشامية.

ثم قبض على ستة منهم وضربوا تجاه الإيوان من القلعة ضربًا مبرحًا وقيدوا وحبسوا بخزانة شمائل.

ثم عملت الخدمة بالإيوان واتفقوا على أن الأمراء إذا انفضوا من خدمة الإيوان دخل أمراء المشورة والتدبير إلى القصر دون غيرهم من بقية الأمراء ونفذوا الأمور على اختيارهم من غير أن يشاركونهم أحد من الأمراء في ذلك.

فكانوا إذا حضروا الخدمة بالإيوان خرج الأمير منكلي بغا الفخري والأمير بيغرا والأمير بيغا ططر والأمير طيغا المجدي والأمير أرلان وسائر الأمراء فيمضوا على حالهم إلا أمراء المشورة وهم: الأمير بيغا أرس النائب والأمير شيخون العمري رأس نوبة النوب والأمير طاز والأمير الوزير منجك اليوسفي السلاح دار والأمير ألبيجا المظفري والأمير طنيرق فإنهم يدخلون القصر وينفذون أحوال المملكة بين يدي السلطان

وفي هذه السنة استجد بمدينة حلب قاض مالكي وقاض حنبلي فولي قضاء المالكية بها شهاب الدين أحمد بن ياسين الرباحي وتولى قضاء الحنابلة بها شرف الدين أبو البركات موسى بن فياض ولم يكن قبل ذلك مالكي ولا حنبلي وذلك في سنة ثمان وأربعين وسبعمائة.

وفي يوم الثلاثاء أول المحرم سنة تسع وأربعين وسبعمائة قبض على الشيخ علي الكسيح نديم الملك المظفر حاجي وضرب بالمقارع والكسارات ضربًا عظيمًا وقلعت أسنانه وأضراسه شيئًا بعد شيء في عدة أيام ونوع له العذاب أنواعًا حتى هلك.

وكان بشع المنظر له حدة في ظهره وحدة في صدره كسيحًا لا يستطيع القيام وإنما يحمل على ظهر غلامه.

وكان يلوذ بألبيجا المظفري فعرف به ألبيجا الملك المظفر حاجيًا فصار يضحكه.

وأخرج المظفر حرمه عليه وعاقره الشراب فوهبته الحظايا شيئًا كثيرًا.

ثم روجه الملك المظفر بإحدى حظاياه وصار يسأله عن الناس فينقل له أخبارهم على ما يريد وداخله في قضاء الأشغال.

فخافه الأمراء وغيرهم خشية لسانه وصانعهو بالمال حتى كثرت أمواله بحيث إنه كان إذا دخل خزنة الخاص لا بد أن يعطيه ناظر الخاص منها شيئًا له قدر ويدخل عليه ناظر الخاص حتى يقبله منه.

وإنه إذا دخل إلى النائب أرقطاي استعاذ أرقطاي من شره ثم قام له وترحب به وسقاه مشروبًا وقضى شغله الذي جاء بسببه وأعطاه ألف درهم من يده وأعتذر له فيقول النائب: هاأنا داخل إلى ابني السلطان وأعرفه إحسانك إلي.

فلما دالت دولة الملك المظفر عني به ألجيبغا إلى أن شكاه عبد العزيز العجمي - أحد أصحاب الأمير آق سنقر - على مال أخذه منه لما قبض عليه غرلو بعد قتل آق سنقر حتى خلصه منه.

فتذكر أهل الدولة وسلموه إلى الوالي فعاقبه واشتد عليه الوزير منجك حتى أهلكه.

وفي المحرم هذا وقعت الوحشة ما بين النائب بيبغا أرس وبين شيخون ثم دخل بينهما منجك الوزير حتى أصلح ما بينهما.

ثم في يوم الإثنين ثالث شهر ربيع الأول عزل الأمير منجك عن الوزارة.

وسببه أن علم الدين عبد الله بن زنبور ناظر الخاص قدم من الإسكندرية بالحمل على العادة فوقع الاتفاق على تفرقة على الأمراء فحمل إلى النائب منه ثلاثة آلاف دينار وإلى شيخون ثلاثة آلاف دينار وللجماعة من الأمراء كل واحد ألفا دينار وهم بقية أمراء المشورة ولجماعة الأمراء المقدمين كل واحد ألف دينار.

فامتنع شيخون من الأخذ وقال: أنا ما يحل لي أن اخذ من هذا شيئًا.

ثم قدم حمل قطيا وهو مبلغ سبعين ألف درهم وكانت قطيا قد أرصدت لنفقة المماليك فأخذ الوزير منجك منها أربعين ألف درهم وزعم أنها كانت له قرصًا في نفقة المماليك.

فوقفت المماليك إلى الأمير شيخون وشكوا الوزير بسببها فحدث الأمير شيخون الوزير في رد ما أخذه فلم يفعل وأخذ في الحط على ابن زنبور ناظر الخواص وأنه يأكل المال جميعه وطلب إضافة نظر الخاص له مع الوزارة والأستادارية.

وألح في ذلك عدة أيام فمنعه شيخون من ذلك وشد من أزر ابن زنبور وقام بالمحاققة عنه وغضب منجك بحضرة الأمراء في الخدمة.

فمنع النائب بيبغا أروس الوزير منجك من التحدث في الخاص.

وانقض المجلس وقد تنكر كل منهما على الآخر.

وكررت القالة بالركوب على النائب ومنجك حتى بلغهما ذلك فطلب النائب الإعفاء من النيابة وإخراج أخيه منجك من الوزارة وأبدأ وأعاد حتى كثر الكلام.

ووقع الاتفاق على عزل منجك من الوزارة واستقراره أستاذًا على حاله وشادًا على عمل الجسور في النيل.

وطلب أسندمر العمري المعروف برسلان بصل من كشف الجسور ليتولى الوزارة فحضر وخلع عليه في يوم الإثنين رابع عشرينه.

وفيه أخرج الأمير أحمد شاد الشراب خاناه إلى نيابة صفد وسبب ذلك أنه كان كبير في نفسه وقام مع المماليك على الملك المظفر حاجي حتى قتل.

ثم أخذ في تحريك الفتنة واتفق مع ألجيغا وطنيرق على الركوب.

فبلغ ببيغا أرس النائب الخبر فطلب الإعفاء من النيابة وذكر ما بلغه وقال: " إن أحمد صاحب فتن ولا بد من إخراج من بيننا " فطلب أحمد وخلع عليه وأخرج من يومه.

ثم في يوم الأربعاء سادس عشرين ربيع الأول أنعم على الأمير منجك اليوسفي بتقدمة أحمد شاد الشراب خاناه.

ثم في الغد يوم الخميس امتنع النائب من الركوب في الموكب وأجاب بأنه ترك النيابة فطلب إلى الخدمة وسئل عن سبب ذلك فذكر أن الأمراء المظفرية تريد إقامة الفتنة وتبيت خيولهم في كل ليلة مشدودة وقد اتفقوا على مسكه وأشار لألجيغا وطنيرق.

فأنكرا ما ذكر النائب عنهما فحاققهما الأمير أركون الكاملي أن ألجيغا واعداه بالأمس على الركوب في غد وقت الموكب ومسك النائب ومنجك.

فعتب عليهما الأمراء فاعتذرا بعذر غير مقبول وظهر صدق ما نقله النائب فخلع على ألجيغا بنياية طرابلس وعلى طنيرق بإمرة في دمشق وأخرج من يومهما.

فقام في أمر طنيرق صهره الأمير طشتمر طليله حتى أعفي من السفارة وتوجه ألجيغا إلى طرابلس في ثامن شهر ربيع الآخر من السنة بعد ما أمهل أيامًا.

واستمر منجك معزولاً إلى أن أعيد إلى الوزر في يوم الإثنين خامس عشر شهر ربيع الآخر باستعفاء أسندمر العمري لتوقف أحوال الوزارة.

وفيه أيضًا أخرج من الأمراء المظفرية لاجين العلائي وطبيغا المظفري ومنكلي بغا المظفري وفرقوا ببلاد الشام.

ثم قدمت مقدمة الأمير أرغون شاه نائب الشام زيادة عما جرت به العادة وهي مائة وأربعون فرسًا بعبي تدمرية فوقها أجلة أطلس ومقاود سلاسلها فضة ولواوين بحلق فضة وأربعة قطر هجن بمقاود حرير وسلاسل فضة وذهب وأكوارها مغشاة بذهب وأربعة كنبيش ذهب عليها ألقاب السلطان وتعابي قماش مبفجة من كل صنف ولم يدع أحدًا من الأمراء المقدمين ولا من أرباب الوظائف حتى الفراش ومقدم الإسطليل ومقدم الطبلخاناه والطباخ حتى بعث إليهم هدية.

فخلع على مملوكه عدة خلع وكتب إليه بزيادة على إقطاعه ورسم له بتفويض حكم الشام جميعه إليه يعزل ويولي من يختار.

وفيه أنعم علي خليل بن قوصون بإمرة طبلخاناه وأنعم أيضًا علي ابن المجدي بإمرة طبلخاناه وأنعم على أحد أولاد منجك الوزير بإمرة مائة وتقدمة ألف.

ثم في ثالث ذي الحجة أخرج طشبيغا الدوادر إلى الشام.

وسببه مفاوضة جرت بينه وبين القاضي علاء الدين علي بن فضل الله كاتب السر أفضت به إلى أن أخذ طشبيغا بأطواق كاتب السر ودخلا علي الأمير شيخون كذلك فأنكر شيخون على طشبيغا ورسم بإخراجه وعمل مكانه قطليجا الأرغوني دوادرًا.

ثم رسم للأمير بيغرا أمير جاندار أن يجلس رأس ميسرة واستقر الأمير أيتمش الناصري حاجب الحجاب أمير جاندار عوضه واستقر الأمير قبلاي حاجب الحجاب عوضًا عن أيتمش.

وكانت هذه السنة أعني سنة تسع وأربعين وسبعمئة كثيرة الوباء والفساد بمصر والشام من كثرة قطع الطريق وولاية الأمير منجك جميع أعمال المملكة بالمال وأنفراده وأخيه بيبغا أرس بتدبير المملكة.

ومع هذا كان فيها أيضًا الوباء لم يقع مثله في سالف الأعصار فإنه كان ابتداءً بأرض مصر آخر أيام التخضير في فصل الخريف في أثناء سنة ثمان وأربعين.

فما أهل المحرم سنة تسع وأربعين حتى اشتهر وأشدت بديار مصر في شعبان ورمضان وشوال وارتفع في نصف ذي القعدة.

فكان يموت بالقااهرة ومصر ما بين عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألف نفس " إلى عشرين ألف نفس " في كل يوم.

وعملت الناس التواييت والدكك لتغسيل الموتى للسيل بغير أجرة وحمل أكثر الموتى على ألواح الخشب وعلى السلالم والأبواب وحفرت الحفائر وألقيت فيها الموتى فكانت الحفيرة يدفن فيها الثلاثون والأربعون وأكثر.

وكان الموت بالطاعون يبصق الإنسان لحمًا ثم يصيح ويموت ومع هذا عم الغلاء الدنيا جميعها.

ولم يكن هذا الوباء كما عهد في إقليم دون إقليم بل عم أقاليم الأرض شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا جميع أجناس بني آدم وغيرهم حتى حيتان البحر وطير السماء ووحش البر.

وكان أول آتدائه من بلاد القان الكبير حيث الإقليم الأول وبعدها من تبريز إلى آخرها ستة أشهر وهي بلاد الخطا والمغل وأهلها يعبدون النار والشمس والقمر وتزيد عدتهم على ثلاثمئة جنس.

فهلكوا بأجمعهم من غير علة في مشاتهم ومصايفهم وعلى ظهور خيلهم وماتت خيولهم وصاروا جيفة مرمية فوق الأرض وكان ذلك في سنة اثنتين وأربعين وسبعمئة.

ثم حملت الريح تنتهم إلى البلاد فما مرت على بلد إلا وساعة شمها إنسان أو حيوان مات لوقته فهلك من أجناد القان خلائق لا يحصيها إلا الله تعالى.

ثم هلك القان وأولاده الستة ولم يبق بذلك الإقليم من يحكمه.

ثم اتصل الوباء ببلاد الشرق جميعها: بلاد أزيك وبلاد إسطنبول وقيصرية الروم ثم دخل أنطاكية حتى أفنى من بها.

وخرج جماعة من بلاد أنطاكية فارين من الموت فماتوا بأجمعهم في طريقهم ثم عم الوباء جبال ابن قرمان وقيصرية ففنى أهلها ودوابهم ومواشيهم.

فرحلت الأكراد خوفًا من الموت فلم يجدوا أرضًا إلا وفيها الموت فعادوا إلى أرضهم وماتوا جميعًا.

ثم وقع ذلك ببلاد سيس فمات لصاحبها تكفور في يوم واحد بموضع مائة وثمانون نفسًا وختل سيس.

ثم وقع في بلاد الخطا مطر عظيم لم يعهد مثله في غير أوانه فماتت دوابهم ومواشيهم عقيب ذلك المطر حتى فنيت.

ثم مات الناس والوحوش والطيور حتى خلت بلاد الخطا وهلك ستة عشر ملكًا في مدة ثلاث أشهر.

وأفنى أهل الصين حتى لم يبق منهم إلا القليل ثم وقع ببغداد أيضًا فكان الإنسان يصبح وقد وجد بوجهه طلوعًا فما هو إلا أن يمد يده على موضع الطلوع فيموت في الوقت.

وكان أولاد دمرادش قد حصروا الشيخ حسنًا صاحب بغداد ففجأهم الموت في عسكرهم من وقت المغرب إلى باكر النهار إلى الغد فمات منهم عدد كثير نحو الألف ومائتي رجل وستة أمراء وحوادث كثيرة فكتب الشيخ حسن صاحب بغداد بذلك إلى سلطان مصر.

ثم في أول جمادى الأولى ابتداء الوباء بمدينة حلب ثم بالبلاد الشامية كلها وبلاد ماردين وجبالها وجميع ديار بكر وأفنى بلاد صفد والقدس والكرك ونابلس والسواحل وعربان البوادي حتى إنه لم يبق ببلد جينين غير عجوز واحدة خرجت منها فارة.

وكذلك وقع بالرملة وغيرها وصارت الخانات ملآنة بجيف الموتى.

ولم يدخل الوباء معرة النعمان من بلاد الشام ولا بلد شيزر ولا حارم.

وأول ما بدأ بدمشق كان يخرج خلف أذن الإنسان بثرة فيخر صريعًا.

ثم صار يخرج للإنسان كبة تحت إبطه فيموت أيضًا سريعًا.

ثم خرجت بالناس خيارة فقتلت خلقًا كثيرًا.

ثم صار الآدمي يبصق لحمًا ويموت من وقته فاشتد الهول من كثرة الموت حتى إنه أكثر ما كان يعيش من يصيبه ذلك خمسين ساعة.

وبلغ عدة من يموت في كل يوم بمدينة حلب خمسمائة إنسان ومات بمدينة غزة في ثاني المحرم إلى رابع صفر - على ما ورد في كتاب نائبها - زيادة على اثنين وعشرين ألف إنسان حتى غلقت أسواقها.

وشمل الموت أهل الضياع بها وكان آخر زمان الحرث.

فكان الرجل يوجد ميتًا خلف محراثه ويوجد آخر قد مات وفي يده ما يبذره.

ثم ماتت أبقارهم وخرج رجل بعشرين رأس بقر لإصلاح أرضه فماتوا واحدًا بعد واحد وهو يراهم يتساقطون قدامه فعاد إلى غزة.

ودخل ستة نفر لسرقة دار بغزة فأخذوا ما في الدار ليخرجوا به فماتوا بأجمعهم.

وفر نائبها إلى ناحية بدعشرش وترك غزة خالية.

ومات أهل قطيا وصارت جثثهم تحت النخل وعلى الحوانيت حتى لم يبق بها سوى الوالي وغلّامين وجارية عجوز.

وبعث الوالي يستعفي فولى الوزير عوضه مبارك أستاذار طغجي.

ثم عم الوباء بلاد الفرنج وابتدأ في المواشي ثم في الأطفال والشباب.

فلما شنع الموت فيهم جمع أهل قبرس من في أيديهم من أسرى المسلمين وقتلوهم جميعًا من بعد العصر إلى المغرب خوفًا من أن تفرغ الفرنج فتملك المسلمون قبرس.

فلما كان بعد العشاء الأخير هبت ريح شديدة وحدثت زلزلة عظيمة وامتد البحر في المدينة نحو مائة قصبة فغرق كثير من مراكبهم وتكسرت.

فظن أهل قبرس أن الساعة قامت فخرجوا حيارى لا يدرون ما يصنعون.

ثم عادوا إلى منازلهم فإذا أهاليهم قد ماتوا وهلك لهم في هذا الوباء ثلاثة ملوك.

واستمر الوباء فيهم مدة أسبوع فركب منهم ملكهم الذي ملكوه رابعًا في جماعة في المراكب يريدون جزيرة بالقرب منهم فلم يمض عليهم في البحر إلا يوم وليلة ومات أكثرهم في المراكب ووصل باقيهم إلى الجزيرة فماتوا بها عن آخرهم.

ووافى هذه الجزيرة بعد موتهم مركب فيها تجار فماتوا كلهم وبخارتهم إلا ثلاثة عشر رجلًا فمروا إلى قبرس فوصلوها وقد بقوا أربعة نفر فلم يجدوا بها أحدًا فساروا إلى طرابلس وحدثوا بذلك فلم تطل مدتهم بها وماتوا.

وكانت المراكب إذا مرت بجزائر الفرنج لا تجد ركابها بها أحدًا وإن صدفت في بعضها جماعة فإنهم يدعونهم أن يأخذوا من أصناف البضائع ما أحبوا بغير ثمن.

ولكثرة من كان يموت عندهم صاروا يلقون الأموات في البحر.

وكان سبب الموت عندهم ريح تمر على البحر فساعة يشمها الإنسان سقط ولا يزال يضرب برأسه إلى الأرض حتى يموت.

وقدمت مراكب إلى الإسكندرية وكان فيها اثنان وثلاثون تاجرًا وثلاثمائة رجل ما بين تجار وعبيد فماتوا كلهم ولم يصل منهم غير أربعة من التجار وعبد واحد ونحو أربعين من البحارة.

وعم الموت جزيرة الأندلس بكمالها إلا مدينة غرناطة فإنهم نجوا ومات من عداهم حتى إنه لم يبق للفرنج من يمنع أموالهم فأتتهم العرب من إفريقية تريد أخذ الأموال إلى أن صاروا على نصف يوم منها فمرت بهم ريح فمات منهم على ظهور الخيل جماعة كثيرة ودخلها باقيهم فأرأوا من الأموات ما هالهم وأموالهم ليس لها من يحفظها فأخذوا ما قدروا عليه وهم يتساقطون موتى.

فنجأ من بقي منهم بنفسه وعادوا إلى بلادهم وقد هلك أكثرهم والموت قد فشا بأرضهم أيضًا بحيث إنه مات منهم في ليلة واحدة عمد كثير.

وعم الموتان أرض إفريقية بأسرها جبالها وصحاريها ومدنها وجافت من الموتى وبقيت أموال العربان سائبة لا تجد من يرعاها.

ثم أصاب الغنم داء فكانت الشاة إذا ذبحت وجد لحمها منتنًا قد اسود وتغير وماتت المواشي بأسرها.

ثم وقع الوباء بأرض برقة إلى الإسكندرية فصار يموت في كل يوم مائة.

ثم صار يموت مائتان وعظم عندهم حتى إنه صلي في اليوم الواحد بالجامع دفعة واحدة على سبعمائة جنازة.

وصاروا يحملون الموتى على الجنويات والألواح وغلقت دار الطراز لعدم الصناعات وغلقت دار الوكالة لعدم الواصل إليها وغلقت الأسواق وأريق ما بها من الخمر.

وقدمها مركب فيه إفرنج فأخبروا أنهم رأوا بجزيرة طرابلس مركبًا عليه طير تحوم في غاية الكثرة فقصدوه فإذا جميع من فيها ميت والطير يأكلهم وقد مات من الطير أيضًا شيء كثيرة فتركوهم ومروا فما وصلوا إلى الإسكندرية حتى مات منهم زيادة على ثلثهم.

ثم وصل إلى مدينة دمنهور وتروجة والبحيرة كلها حتى عم أهلها وماتت دوابهم ومواشيهم.

وبطل من البحيرة سائر الضمانات.

وشمل الموت أهل البرلس ونستراوة وتعطل الصيد من البحيرة بموت الصيادين.

فكان يخرج في المركب عدة صيادين فيموت أكثرهم ويعود من بقي منهم فيموت بعد عوده من يومه هو وأولاده وأهله.

ووجد في حيتان البطارخ شيء منتن وفيه على رأس البطارخة كبة منتنة قدر البندقة قد أسودت.

ووجد في جميع زراعات البرلس وبلحها دود وتلف أكثر تمر النخل عندهم.

وصارت الأموات على الأرض في جميع الوجه البحري لا يوجد من يدفنها.

ثم عظم الوباء بالمحلة حتى إن الوالي كان لا يجد من يشكو إليه وكان القاضي إذا أتاه من يريد الإيثار على شخص لا يجد من العدول أحدًا إلا بعد عناء لقتهم.

وصارت الفنادق لا تجد من يحفظها.

وماتت الفلاحون بأسرهم إلا القليل فلم يوجد من يضم الزرع.

وزهد أرباب الأموال في أموالهم وبذلوها للفقراء فبعث الوزير منجك إلى الغربية كريم الدين ابن الشيخ مستوفي الدولة ومحمد بن يوسف مقدم الدولة فدخلوا على سنباط وسمنود وبوصير وسنهور وأبشيه ونحوها من البلاد وأخذوا مالًا كثيرًا لم يحضروا منه سوى ستين ألف درهم.

وعجز أهل بلبيس وسائر الشرقية عن ضم الزرع لكثرة موت الفلاحين.

وكان ابتداء الوباء عندهم من أول فصل الصيف الموافق لأثناء شهر ربيع الآخر من سنة تسع وأربعين وسبعمائة.

فجافت الطرقات بالموتى ومات سكان بيوت الشعر ودوابهم ومواشيهم.

وامتلأت مساجد بلبيس وفنادقها وحوانيتها بالموتى ولم يبق مؤذن وطرحت الموتى بجامعها وصارت الكلاب فيه تأكل الموتى.

ثم قم الخبر من دمشق أن الوباء كان بها أخف مما كان بطرابلس وحماة وحلب فلما دخل شهر رجب والشمس في برج الميزان أوائل فصل الخريف هبت في نصف الفيل ريح شديدة جدًا واستمرت حتى مضى من النهار قدر ساعتين فأشتدت الظلمة حتى كان الرجل لا يرى من بجانبه ثم انجلت وقد علت وجوه الناس صفرة ظاهرة في وادي دمشق كله.

وأخذ فيهم الموت مدة شهر رجب فبلغ في اليوم ألفًا ومائتي إنسان.

وبطل إطلاق الموتى من الديوان وصارت الأموات مطروحة في البساتين على الطرقات.

فقدم على قاضي القضاة تقي الدين السبكي قاضي دمشق رجل من جبال الروم وأخبر أنه لما وقع الوباء ببلاد الروم رأى في نومه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا إليه ما نزل بالناس من الفناء فأمره صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: اقرأوا سورة نوح ثلاثة آلاف وثلاثمائة وستين مرة واسألوا الله في رفع ما أنتم فيه فعرفهم ذلك فاجتمع الناس في المساجد وفعلوا ما ذكر لهم وتضرعوا إلى الله تعالى وتابوا إليه من ذنوبهم وذبحوا أبقارًا وأغنامًا كثيرة للفقراء مدة سبعة أيام والفناء يتناقص كل يوم حتى زال.

فلما سمع القاضي والنائب ذلك نودي بدمشق باجتماع الناس بالجامع الأموي فصاروا به جمعًا كبيرًا وقرأوا " صحيح البخاري " في ثلاثة أيام وثلاث ليال.

ثم خرج الناس كافة بصبيانهم إلى المصلى وكشفوا رؤوسهم وضجوا بالدعاء وما زالوا على ذلك ثلاثة أيام فتناقص الوباء حتى ذهب بالجملة.

وكان ابتداءه بالقاهرة ومصر في النساء والأطفال ثم بالباعة حتى كثر عدد الأموات فركب السلطان إلى سرياقوس وأقام بها من أول شهر رجب إلى العشرين منه وقصد العود إلى القلعة فأشير عليه بالإقامة في سرياقوس وصوم رمضان بها.

ثم قدم كتاب نائب حلب بأن بعض أكابر الصلحاء رأى النبي في نومه فشكا إليه ما نزل بالناس من الوباء فأمره صلى الله عليه وسلم بالتوبة والدعاء بهذا الدعاء المبارك وهو: اللهم سكن هيبة صدمة قهرمان الحروب بالطافك النازلة الواردة من فيضان الملكوت حتى تنتشيت بأذيال لطفك ونعتصم بك عن إنزال قهرك يا ذا القوة والعظمة الشاملة والقدرة الكاملة يا ذا الجلال والإكرام.

وأنه كتب بها عدة نسخ بعث بها إلى حماة وطرابلس ودمشق.

وفي شعبان تزايد الوباء بديار مصر وعظم في شهر رمضان وقد دخل فصل الشتاء فرسم بالاجتماع في الجوامع للدعاء.

▲ وفي يوم الجمعة سادس شهر رمضان نودي أن يجتمع الناس بالصناجق

الخليفتية والمصاحف عند قبة النصر خارج القاهرة فاجتمع الناس بعامة جوامع مصر والقاهرة وخرج المصريون إلى مصلى خولان بالقرافة واستمر قراءة البخاري بالجامع الأزهر وغيره عدة أيام والناس يدعون إلى الله تعالى ويقنتون في صلواتهم.

ثم خرجوا إلى قبة النصر وفيهم الأمير شيخون والوزير منجك اليوسفي والأمراء بملابسهم الفاخرة من الذهب وغيره في يوم الأحد ثامن شهر رمضان.

ومات في ذلك اليوم الرجل الصالح سيدي عبد الله المنوفي تغمده الله برحمته وأعاد علينا من بركاته فصلى عليه ذلك الجمع العظيم وعاد الأمراء إلى سرياقوس وأنفق الجمع.

واشتد الوباء بعد ذلك حتى عجز الناس عن حصر الموتى.

فلما انقضى شهر رمضان حضر السلطان من سرياقوس.

وحدث في الناس في شوال نفث الدم فكان الإنسان يحس في نفسه بحرارة ويجد غثيًّا فيبصق دمًّا ويموت عقيبته ويتبعه أهل داره واحدًا بعد واحد حتى يفنوا جميعًا بعد ليلة أو ليلتين فلم يبق أحد إلا وغلب على ظنه أنه يموت بهذا الداء.

وآستعد الناس جميعًا وأكثروا من الصدقات وتحاللو وأقبلوا على العبادة.

ولم يحتج أحد في هذا الوباء إلى أشربة ولا أدوية ولا أطباء لسرعة الموت.

فما انتصف شوال إلا والطرقات والأسواق قد امتلأت بالأموات فانتدب جماعة لمواراتهم وانقطع جماعة للصلاة عليهم.

وخرج الأمر عن الحد ووقع العجز عن العدد وهلك أكثر أجناد الحلقة وخلت الطباقي بالقلعة من المماليك السلطانية لموتهم.

فما أهل ذو القعدة إلا والقاهرة خالية مقفرة لا يوجد بشوارعها مار بحيث إنه يمر الإنسان من باب زويلة إلى باب النصر فلا يرى من يزاحمه لاشتغال الناس بالموتى.

وعلت الأثرية على الطرقات وتنكرت وجوه الناس وامتلأت الأماكن بالصياح فلا تجد بيتًا إلا وفيه صيحة ولا تمر بشارع إلا وترى فيه عدة أموات.

وصلي في يوم الجمعة بعد الصلاة على الأموات بالجامع الحاكمي فصفت التوابيت اثنين اثنين من باب مقصورة الخطابة إلى باب الجامع ووقف الإمام على العتبة والناس خلفه خارج الجامع.

وخلت أزقة كثيرة وحاتر عديدة من الناس وصار بحارة برجوان اثنتان وأربعون دارًا خالية.

وبقيت الأزقة والحروب المتعددة خالية وصارت أمتعة أهلها لا تجد من يأخذها وإذا ورت إنسان شيئًا انتقل في يوم واحد عنه لرابع وخامس.

وحصرت عدة من صلي عليه بالمصليات التي خارج باب النصر وباب زويلة وباب المحروق وتحت القلعة ومصلى قتال السبع تجاه باب جامع قوصون في يومين فبلغت

ثلاث عشرة ألقًا وثمانمائة سوى من مات في الأسواق والأحكار وخارج باب البحر وعلى الدكاكين وفي الحسينية وجامع ابن طولون ومن يتأخر دفنه في البيوت.

ويقال: بلغت عدة الأموات في يوم واحد عشرين ألقًا وحصرت الجنائز بالقاهرة فقط في مدة شعبان ورمضان فكانت تسعمائة ألف سوى من مات بالأحكار والحسينية والصلبية وباقي الخطط خارج القاهرة وهم أضعاف ذلك.

وعدمت النعوش وكانت عدتها ألقًا وأربعمائة نعش فحملت الأموات على الأقفاص ودراريب الحوانيت وصار يحمل الاثنان والثلاثة في نعش واحد وعلى لوح واحد.

وطلبت القراءة على الأموات فأبطل كثير من الناس صناعاتهم وانتدبوا للقراءة على الجنائز.

وعمل جماعة مدراء وجماعة غسالة وجماعة تصدوا لحمل الأموات فنالوا بذلك جملاً مستكثرة وصار المقرء يأخذ عشرة دراهم وإذا وصل الميت إلى المصلاة تركه وانحرف لآخر.

وصار يأخذ الحمال ستة دراهم بعد الدخلة عليه وصار الحفار يأخذ أجرة حفر كل قبر خمسين درهماً فلم يمتع أكثرهم بذلك وماتوا.

ودخلت امرأة غاسلة لتغسل امرأة فلما جردتها من ثيابها ومرت بيدها على موضع الكبة صاحت الغاسلة وسقطت ميتة فوجدوا في بعض أصابعها التي لمست بها الكبة كبة قدر الفولة.

وصار الناس يبيتون بموتاهم في التراب لعجزهم عن تواريتهم.

وكان أهل البيت يموتون جميعاً وهم عشرات فلا يوجد لهم سوى - نعش واحد ينقلون فيه شيئاً بعد شيء.

وأخذ كثير من الناس دوراً وأموالاً بغير استحقاق لموت مستحقيها فلم يتمل أكثرهم بما أخذ حتى وقام الأمير شيخون العمري والأمير مغلطاي أمير آخور بتغسيل الأموات وتكفينهم ودفنهم وبطل الأذان من عدة مواضع وبقي في المواضع المشهورة يؤذن واحد.

وبطلت أكثر طبليخانة الأمراء وصار في طبليخانة الأمير شيخون ثلاثة نفر بعد خمسة عشر نفراً.

وغلقت أكثر المساجد والزوايا.

وقيل إنه ما ولد لأحد في هذا الوباء إلا ومات الولد بعد يوم أو يومين ولحقته أمه.

ثم شمل في آخر السنة الوباء بلاد الصعيد بأسرها ولم يدخل الوباء ثغر أسوان ولم يمت به سوى أحد عشر إنساناً.

ووجدت طيور كثيرة ميتة في الزروع ما بين غربان وحدأة وغيرها من سائر أصناف الطيور.

فكانت إذا تنفت وجد فيها أثر الكبة.

وتواترت الأخبار من الغور وبيسان وغير ذلك أنهم كانوا يجدون الأسود والذئاب وحمير الوحش وغيرها من الوحوش ميتة وفيها أثر الكبة.

وكان ابتداء الوباء أول أيام التخضير فما جاء أوان الحصاد حتى فنوا الفلاحون ولم يبق منهم إلا القليل فخرج الأجناد بغلمانهم للحصاد ونادوا: من يحصد يأخذ نصف ما حصد.

فلم يجدوا واحدا وغرسوا غلالهم على خيولهم وفزوها بأيديهم وعجزوا عن غالب الزرع فتركوه.

وكان الإقطاع الواحد يصير من واحد إلى واحد حتى إلى السابع والثامن فأخذ إقطاعات الأجناد أرباب الصنائع من الخياطين والأساكفة وركبوا الخيول ولبسوا الكلفتاه والقباء.

وكثير من الناس لم يتناول في هذه السنة من إقطاعه شيئاً.

فلما جاء النيل ووقع أوان التخضير تعذر وجود الرجال فلم يخضر إلا نصف الأراضي ولم يوجد أحد ليشتري القرط الأخضر ولا من يربط عليه خيوله.

وترك ألف وخمسمائة فدان براسيم بناحية ناي وطنان وآنكسرت البلاد التي بالضواحي وخربت.

وخلت بلاد الصعيد مع اتساع أرضها بحيث كانت مكلفة مساحة أرض أسيوط تشتمل على ستة آلاف نفر يؤخذ منها الخراج فصارت في سنة الوباء هذه تشتمل على مائة وستة عشر نفرًا.

ومع ذلك كان الرخاء موجودًا وأنحط سعر القماش حتى بيع بخمس ثمنه وأقل ولم يوجد من يشتريه.

وصارت كتب العلم ينادى عليها بالأحمال فيباع الحمل منها بأرخص ثمن.

وانحط قدر الذهب والفضة حتى صار الدينار بخمسة عشر درهمًا بعد ما كان بعشرين.

وعدمت جميع الصناعات فلم يوجد سقاء ولا بابا ولا غلام.

وبلغت جامكية الغلام ثمانين درهمًا عنها خمس دنائير وثلاث دينار فنودي بالقاهرة: من كانت له صنعة فليرجع إلى صنعته وضرب جماعة منهم.

وبلغ ثمن راوية الماء ثمانية دراهم لقلة الرجال والجمال وبلغت أجرة طحن الإردب القمح دينارًا.

ويقال: إن هذا الوباء أقام يحور على أهل الأرض مدة خمس عشرة سنة.

قلت: ورأيت أنا من رأى هذا الوباء فكانوا يسمونه الفصل الكبير ويسمونه أيضًا بسنة الفناء وقد أكثر الناس ذكر هذا الوباء في أشعارهم فمما قاله شاعر ذلك العصر الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة: سر بنا عن دمشق يا طالب العي - - ش فما في المقام للمرء رغبة رخصت أنفس الخلائق بالطا - - عون فيها فكل نفس بحبه وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي وأكثر في هذا المعنى على عادة إكثاره فمما قاله في ذلك: رعى الرحمن دهرًا قد تولى يجازي بالسلامة كل شرط وكان الناس في غفلات أمر فجا طاعونهم من تحت إبط وقال أيضًا: قد قلت للطاعون وهو بغزة قد جال من قطيا إلى بيروت أخليت

أرض الشام من سكانها وأتيت يا طاعون بالطاغوت وقال الشيخ بدر الدين حسن بن حبيب الحلبي في المعنى من قصيدة أولها: إن هذا الطاعون يفتك في العا - - لم فتك امرئ ظلوم حسود ويطوف البلاد شرقاً وغرباً ويسوق الخلق نحو اللحد ولزين الدين عمر بن الوردي في المعنى: كم سيئات وكم خطايا نادى عليكم بها المنادي وقال أيضاً: حلب - والله يكفي شرها - أرض مشقه أصبحت حية سوء تقتل الناس بيزقه ولابن الوردي أيضاً: إن الوبا قد غلبا وقد بدا في حلبا قالوا له على الورى كاف ورا قلت وبا وقال أيضاً: سكان سيس يسرهم ما ساءنا وكذا العوائد من عدو الدين الله ينفذه إليهم عاجلاً ليمزق الطاغوت بالطاعون وقال الأديب جمال الدين إبراهيم المعمار في المعنى: قبح الطاعون داء فقدت فيه الأحبه بيعت الأنفس فيه كل إنسان بحبه وله أيضاً في المعنى: قد رخص الموت على أهله ومات من لا عمره ماتا ثم أخذ الوباء يتناقص في أول المحرم من سنة خمسين وسبعمئة.

ثم في يوم الأربعاء ثاني عشر المحرم المذكور ورد الخبر بقتل الأمير سيف الدين أرغون شاه نائب الشام وأمره غريب وهو أنه لما كان نصف ليلة الخميس ثالث عشرينه وهو بالقصر الأبلق بالميدان خارج مدينة دمشق ومعه عياله وإذا بصوت قد وقع في الناس بدخول العسكر فثاروا بأجمعهم ودارت النقباء على الأمراء بالركوب ليقفوا على مرسوم السلطان.

فركبوا جميعاً إلى سوق الخيل تحت القلعة فوجدوا الأمير ألبجيغا المظفري نائب طرابلس وإذا بالأمير أرغون شاه نائب الشام ماش وعليه بغلوطاق صدر وتخفيفة على رأسه وهو مكثف بين ممالك الأمير إياس وخبر ذلك أن ألبجيغا لما ركب من طرابلس سار حتى طرق دمشق على حين غفلة وركب معه الأمير فخر الدين إياس السلاح دار.

وأحاط إياس بالقصر الأبلق وطرق بابه.

وعلم الخدام بأنه قد حدث أمر مهم فأيقظوا الأمير أرغون شاه وقام من فراشه وخرج إليهم فقبضوا عليه وقالوا له: حضر مرسوم السلطان بالقبض عليك والعسكر واقف.

فلم يجسر أحد أن يدفع عنه وأخذه الأمير إياس وأتى به ألبجيغا.

فسلم أمراء دمشق على ألبجيغا وسألوه الخبر فذكر لهم أن مرسوم السلطان ورد عليه بركوبه إلى دمشق بعسكر طرابلس والقبض على أرغون شاه المذكور وقتله والحوطة على ماله وموجوده وأخرج لهم كتاب السلطان بذلك فأجابوا بالسمع والطاعة وعادوا إلى منازلهم ونزل ألبجيغا إلى الميدان.

وأصبح يوم الخميس فأوقع الحوطة على موجود أرغون شاه وأصبح يوم الجمعة رابع عشرين ربيع الأول أرغون شاه المذكور مذبوحاً.

فكتب ألبجيغا محضراً أنه وجد مذبوحاً والسكين في يده يعني أنه ذبح نفسه فأنكر عليه كونه لما قبض أموال أرغون شاه لم يرفعها إلى قلعة دمشق على العادة واتهموه فيما فعل.

وركبوا جميعاً لقتاله في يوم الثلاثاء ثامن عشرينه فقاتلهم ألبجيغا المذكور وجرح الأمير مسعود بن خطير وقطعت يد الأمير ألبجيغا العادلي أحد أمراء دمشق وقد جاوز تسعين سنة فعند ذلك ولى ألبجيغا المظفري نائب طرابلس ومعه خيول أرغون شاه وأمواله وتوجه إلى نحو المزة ومعه الأمير إياس نائب حلب كان ومضى إلى طرابلس.

وسبب هذه الواقعة أن إياسًا لما عزل عن نيابة حلب وأخذت أمواله وسجن ثم أفرج عنه واستقر في جملة أمراء دمشق وعدوه أرغون شاه الذي كان سعى في عزله عن نيابة حمص نائبها فصار أرغون شاه يهينه ويخرق به.

واتفق أيضًا إخراج الجبيغا من الديار المصرية إلى دمشق أميرًا بها فترفع عليه أيضًا أرغون شاه المذكور وأذله فاتفق الجبيغا وإياس على مكيدة.

فأخذ الجبيغا في السعي على خروجه من دمشق عند أمراء مصر وبعث إلى الأمير بيغا أرس نائب السلطنة بالديار المصرية وإلى أخيه الأمير منجك الوزير هدية سنوية فولاه نيابة طرابلس مقيم بدمشق وطلب أن نائب الشام يردهم إلى طرابلس فكتب له بذلك.

فشق على أرغون شاه نائب الشام كون الجبيغا لم يكتب إليه يسأله وأرسل كاتب السلطان في ذلك فكتب إلى الجبيغا بالإنكار عليه فيما فعل وأغلظ له في القول وحمل البريد إليه مشافهة شنيعة فقامت قيامة الجبيغا لما سمعها وفعل ما فعل بعد أن أوسع الحيلة في ذلك فاتفق مع إياس فوافقه إياس أيضًا لما كان في نفسه من أرغون شاه حتى وقع ما ذكرناه.

وأما أمراء الديار المصرية فإنهم لما سمعوا بقتل الأمير أرغون شاه ارتاعوا وآتهم بعضهم بعضًا فحلف كل من شيخون والنائب بيغا أرس على البراءة من قتله وكتبوا إلى الجبيغا بأنه قتل أرغون - شاه بمرسوم من وإعلامهم بمستنده في ذلك وكتب إلى أمراء دمشق بالفحص عن هذه الواقعة.

وكان الجبيغا وإياس قد وصلا إلى طرابلس وخيما بظاهرها فقدم في غد وصولهما كتب أمراء دمشق إلى أمراء طرابلس بالاحتراس على الجبيغا حتى يرد مرسوم السلطان فإنه فعل فعلته بغير مرسوم السلطان ومشت حيلته علينا.

ثم كتبوا إلى نائب حماة ونائب حلب وإلى العربان بمسك الطرقات عليه فركب عسكر طرابلس بالسلاح وأحاطوا به.

ثم وافاهم كتاب السلطان بمسكه وقد سار عن طرابلس وساروا خلفه إلى نهر الكلب عند بيروت فإذا أمراء العربان وأهل بيروت واقفون في وجهه فوقف قدامهم نهاره ثم كر راجعًا عليهم فقاتله عسكر طرابلس حتى قبضوا عليه وفر إياس.

ووقعت الحوطة على ممالك الجبيغا وأمواله ومسك الذي كتب الكتاب بقتل أرغون شاه فاعتذر أنه مكره وأنه غير القاب أرغون شاه وكتب أوصال الكتب مقلوبة حتى يعرف أنه زور.

وحمل الجبيغا المذكور مقيدًا إلى دمشق.

ثم قبض نائب بعلبك على الأمير إياس وقد حلق لحيته ورأسه واختفى عند بعض النصاري وبعث به إلى دمشق فحبسًا معًا بقلعتها وكتب بذلك إلى السلطان والأمراء فندب الأمير قجا الساقى على البريد إلى دمشق بقتل الجبيغا وإياس فأخرجهما من حبس قلعة دمشق ووسطهما بسوق الخيل بدمشق وعلق إياس على خشب وقدامه الجبيغا على خشبة أخرى وذلك في يوم الخميس حادي عشرين شهر ربيع الآخر.

وكان عمر الجبيغا المذكور يوم قتل نحو تسع عشرة سنة وهو ماطر شاربه.

ثم كتب السلطان بأستقرار الأمير أرقطاي نائب حلب في نيابة الشام عوضًا عن أرغون شاه المذكور.

واستقر الأمير قطليجا الحموي نائب حماة في نيابة حلب عوضًا عن أرقطاي.

واستقر أمير مسعود بن خطير في نيابة طرابلس عوضًا عن ألبغا المظفري المقدم ذكره.

ثم قدم إلى مصر طلب أرغون شاه ومماليكه وأمواله وموجود ألبغا أيضًا فتصرف الوزير منجك في وبعد مدة يسيرة ورد الخبر أيضًا بموت الأمير أرقطاي نائب دمشق فكتب بأستقرار قطليجا الحموي نائب حلب في نيابة دمشق وتوجه الأمير تلكتمر المحمدي بتقليده بنيابة الشام وسار حتى وصل إليه فوجده قد أخرج طلبه إلى جهة دمشق وهو ملازم الفراش فمات قطليجا أيضًا بعد أسبوع.

ولما وصل الخبر إلى مصر بموت قطليجا أراد النائب بيبغا أرس والوزير منجك إخراج طاز لنيابة الشام والأمير مغلطاي أمير آخور إلى نيابة حلب فلم يوافقاهما على ذلك وكادت الفتنة أن تقع.

فخلع على الأمير أيتمش الناصري بنيابة الشام واستقر بعد مدة الأمير أرغون الكامل في نيابة حلب.

وفي محرم سنة إحدى وخمسين وسبعمئة آبتدأت الوحشة بين الأمير مغلطاي أمير آخور وبين الوزير منجك اليوسفي بسبب الفأر الضامن وقد شكاه منه.

فطلبه مغلطاي من الوزير وقد احتمى به فلم يمكنه منه.

وكان منجك لما فرغ من بناء صهرجه الذي عمره تجاه القلعة عند باب الوزير اشترى له من بيت المال ناحية بلقينة بالغربية بخمسة وعشرين ألف دينار وأنعم عليه بها فوقفها منجك على صهرجه المذكورة فأخذ مغلطاي يعد لمنجك تصرفه في المملكة وسكن الأمر فيما بينهما.

ثم توجه السلطان إلى سرحة سرباقوس على العادة في كل سنة وأنعم على الأمير قطليجا الذهبي بإقطاع الأمير لاجين أمير آخور بعد موته وأنعم بإقطاع قطلوبغا وتقدمته على الأمير عمر بن أرغون النائب.

ثم استقر بكلمش أمير شكار في نيابة طرابلس عوضًا عن أمير مسعود بن خطير وكتب بإحضار أمير مسعود إلى القاهرة.

ثم عاد السلطان من سرحة سرباقوس وكتب بعود أمير مسعود إلى دمشق بطالاً حتى ينحل له من الإقطاع ما يليق به.

وخلع على الأمير فارس الدين ألبكي بأستقراره في نيابة غزة بعد موت الأمير دلنجي ودلنجي باللغة التركية هو المكدي وهو بكسر الدال المهملة وفتح اللام وسكون النون وكسر الجيم.

وفي هذه الأيام توجه الأمير طاز إلى سرحة البحيرة وأنعم السلطان عليه بعشرة آلاف إردب شعير وخمسين ألف درهم وناحية طموه من الجيزية زيادة على إقطاعه.

وفي خامس عشر شوال خرج أمير حاج المحمل الأمير بزlar أمير سلاح.

ثم خرج بعده طلب الأمير بيغا أرس النائب بتجمل زائد وفيه مائة وخمسون مملوكًا معدة بالسلاح.

ثم خرج طلب الأمير طاز وفيه ستون فارسًا فرحل بيغا أرس قبل طاز بيومين.

ثم رحل طاز بعده.

ثم رحل بزlar بالحاج ركبًا ثالثًا في عشرين شوال من البركة.

وفي يوم السبت رابع عشرينه عزل الأمير منجك اليوسفي عن الوزر وقبض عليه وكان الأمير شيخون خرج إلى العباسة.

وسبب عزله أن السلطان بعد توجه شيخون طلب القضاة والأمراء فلما اجتمعوا بالخدمة قال لهم: " يا أمراء هل لأحد علي ولاية حجر أو أنا حاكم نفسي " فقال الجميع: " يا خوند ما ثم أحد يحكم على مولانا السلطان وهو مالك رقابنا " فقال: " إذا قلت لكم شيئًا ترجعوا إليه " قالوا جميعهم: " نحن تحت طاعة السلطان وممثلون ما يرسم به ".

فالتفت إلى الحاجب وقال له: " خذ سيف هذا " وأشار إلى منجك الوزير فأخذ سيفه وأخرج وقيد ونزلت الحوطة على أمواله مع الأمير كشلبي السلاح دار فوجد له خمسون حمل زردخاناه ولم يوجد له كبير مال فرسم بعقوبته ثم أخرج إلى الإسكندرية فسجن.

وساعة القبض عليه رسم بإحضار الأمير شيخون من العباسة وإعلامه بمسك منجك الوزير.

فقام الأمير مغلطاي أمير آخور والأمير منكلي بغا في منعه من الحضور وما زالا يخيلان السلطان منه حتى كتب له مرسوم بنبابة طرابلس على يد طينال الجاشنكير.

فتوجه إليه أطينال فلقبه قريب بلبيس وقد عاد صحة الجمدار الذي توجه بإحضاره من عند السلطان وأوقفه على المرسوم فأجاب بالسمع والطاعة.

وبعث شيخون يسأل في الإقامة بدمشق فكتب له بخبز الأمير تلك بدمشق وحضور تلك إلى مصر فتوجه شيخون إليها.

ثم قبض السلطان على الأمير عمر شاه الحاجب وأخرج إلى الإسكندرية.

واستقر الأمير طنيرق رأس نوبة كبيرًا عوضًا عن شيخون.

ثم قبض على حواشي منجك وعلى عبده عنبر البابا وصور.

وكان عنبر قد أفحش في سيرته مع الناس وشهره في قطع المصانعات وترفع على الناس ترفعًا زائدًا فضرب ضربًا مبرحًا.

ثم ضرب بكتمرشاد الأهراء فاعترف للوزير منجك باثني عشر ألف إردب غلة آشتراها من أرباب الرواتب.

وفي مستهل ذي القعدة قبض على ناظر الدول والمستوفين وألزموا بخمسمائة ألف دينار فترفق في أمرهم الأمير طنيرق حتى استقرت خمسمائة ألف درهم ووزعها الموفق ناظر الدولة على جميع المباشرين من الكتاب أو الشهود والشادين ونحوهم والتزم علم الدين عبد الله بن زنبور ناظر الخاص والجيش بتكفية جميع الأمراء المقدمين بالخلع من ماله وقيمتها خمسمائة ألف درهم وفصلها وعرضها على السلطان فركبوا الأمراء بها الموكب وقبلوا الأرض وكان موكبًا جليلاً.

وفي يوم السبت ثامن ذي القعدة خلع السلطان على الأمير ببيغا ططر حارس طبر وأستقر في السلطنة بالديار المصرية عوضًا عن ببيغا أرس المتوجه إلى الحجاز بعد أن عرضت النيابة على أكابر الأمراء فلم يقبلها أحد.

وتمنع ببيغا ططر أيضًا منها تمنعًا كبيرًا ثم قبلها.

واستقر الأمير مغلطاي أمير آخور رأس نوبة كبيرًا عوضًا عن طنيرق الذي كان وليها عن شيخون.

وأطلق له التحدث في أمر الدولة كلها عوضًا عن الأمير شيخون مضاعفًا لما بيده من الأميراخورية.

واستقر الأمير منكلي ببا الفخري رأس مشورة وأتابك العساكر وأنعم على ولده بإمرة ودقت الكوسات وطبلخانات الأمراء بأجمعها وزينت القاهرة ومصر في يوم الأحد تاسع ذي القعدة واستمرت ثمانية أيام.

وأما شيخون فإنه لما وصل إلى دمشق قدم بعده الأمير أرغون التاجي بإمساكه فقبض عليه وقيد وأخرج من دمشق في البحر وتوجه إلى الطينة ثم أوصله إلى الإسكندرية فسجن بها.

وخلع على طشبيغا الدوادر على عادته دوادارًا وتصالح هو والقاضي علاء الدين بن فضل الله كاتب السر - فإنه كان نفي بسببه حسب ما تقدم ذكره - وأرسل كل منهما إلى صاحبه هدية.

وكان السلطان لما أمسك منجك كتب إلى الأمير طاز وإلى الأمير بزlar على يد قدم وأخبرهما بما وقع وأنهما يحترسان على النائب ببيغا أرس وقد نزل سطح العقبة.

فلما قرأ ببيغا الكتاب وجم وقال: " كلنا مماليك السلطان " وخلع عليه وكتب أنه ماض لقضاء الحج.

ثم إن السلطان عزل الأمير صرغتمش والأمير عليًا من وظيفتي الجمдарية وكانا من جملة حاشية شيخون ورسم لصرغتمش أن يدخل الخدمة مع الأمراء ثم أخرج أمير علي إلى الشام وأخرج صرغتمش لكشف الجسور بالوجه القبلي وألزم السلطان أستاذار ببيغا أرس بكتب حواصل ببيغا وندب السلطان الأمير أقجا الحموي لبيع حواصل منجك.

وأخذت جوارى ببيغا أرس ومماليكه وجواري منجك ومماليكه إلى القلعة فطلع لمنجك خمسة وسبعون مملوكًا صغارًا وطلع لببيغا أرس خمس وأربعون جارية فلما وصلن تجاه دار النيابة صحن صيحة واحدة وبكين فابكين من كان هناك.

ثم قدم الخبر على السلطان بأن الأمير أحمد الساقى نائب صفد خرج عن طاعة السلطان.

وسببه أنه لما قبض على منجك خرج الأمير قماري الحموي وعلى يدي ملطفات لأمرء صفد بالقبض عليه فبلغه ذلك من هجان جهزه له أخوه.

فندب الأمير أحمد طائفة من مماليكه لتلقي قماري وطلب نائب قلعة صفد وديوانه وأمره أن يقرأ عليه كم له بالقلعة من العلة فأمر لمماليكه منها بشيء فرقه عليهم إعانة لهم على ما حصل من المحل في البلاد وبعثهم ليأخذوا ذلك فعندما طلغوا القلعة شهرها سيوفهم وملكوها من نائب قلعة صفد وقبضوا على عدة من الأمراء.

وطلع الأمير أحمد بحريمه إلى القلعة وحصنها وأخذ مماليكه قماري وأتوا به فأخذ ما معه من الملطفات وحبسه.

فلما بلغ السلطان ذلك كتب إلى نائب غزة ونائب الشام بتجريد العسكر إليه.

هذا والأراجيف كثيرة بأن طاز تحالف هو وبيغا أرس بعقبة أيلة فخرج الأمير فياض والأمير عيسى بن حسن أمير العائذ فتفرقا على عقبة أيلة بسبب بيغا أرس.

وكتب لعرب شطي ويني عقبة ويني مهدي بالقيام مع الأمير فضل وكتب لنائب غزة بإرسال السوقة إلى ثم خلع السلطان على الأمير شهاب الدين أحمد بن قزمان بناية الإسكندرية عوضًا عن بكتمر المؤمني.

ثم في

▲ يوم الأربعاء سادس عشرين ذي القعدة

قدم سيف الأمير بيغا أرس وقد قبض عليه.

وسبب ذلك أنه لما ورد عليه كتاب السلطان بمسك أخيه منجك اشتد خوفه وطلع إلى العقبة ونزل إلى المنزلة فبلغه أن الأمير طاز والأمير بزlar ركبا للقبض عليه.

فركب بيغا أرس بمن معه من الأمراء والمماليك بألة الحرب.

فقام الأمير عز الدين أزدمر الكاشف بملاطفته وأشار عليه ألا يعجل وأن يكشف الخبر أولاً.

فبعث نجابًا في الليل لذلك فعاد وأخبر أن الأمير طاز مقيم بركبه وأنه سار بهم وليس فيهم أحد ملبس.

فقلع بيغا السلاح هو ومن معه وتلقى طاز وسأله عما تخوف منه فأوقفه على كتاب السلطان إليه فلم ير فيه ما يكره.

ثم رحل كل منهما بركبه من العقبة.

وأنت الأخبار للأمراء بمصر باتفاق طاز وبيغا أرس فكتب السلطان للأمير طاز وللأمير بزlar عند ذلك القبض على بيغا أرس قبل دخوله مكة وتوجه إليهما بذلك طينال الجاشنكير وقد رسم له أن يتوجه مع بيغا إلى الكرك.

فلما قدم طينال على طاز وبزلار ركبا إلى أزدمر الكاشف فأعلماه بما رسم به إليهما من مسك ببيغا أرس ووكدا عليه في استمالة الأمير فاضل والأمير محمد بن بكتمر الحاجب وبقية من مع بيغا أرس فأخذ أزدمر في ذلك.

ثم كتب لبيغا أرس أن يتأخر حتى يسمع مرسوم السلطان و حتى يكون دخولهم لمكة جميعًا فأحس بيغا بالشر وهم أن يتوجه إلى الشام فما زال أزدمر الكاشف به حتى رجع عن ذلك.

وعند نزول بيغا أرس إلى منزلة المويبلحة قدم طاز وبزلار فتلقاهما وأسلم نفسه من غير ممانعة فأخذ سيفه وأرادا تسليمه لطينال حتى يحمله إلى الكرك فرغب إلى طاز أن يجع معه فأخذه طاز محتفظًا به وكتب طاز بذلك إلى السلطان فتوهم مغلطي والسلطان أن طاز وبزلار قد مالا إلى بيغا أرس وتشوشا تشويشًا زائدًا.

ثم أكد ذلك ورود الخبر بعصيان أحمد الساقى نائب صفد وظنوا أنه مباطن لبيغا أرس وأخرج طينال ليقيم بالصفراء حتى يرد الحاج إليها فيمضي بيغا أرس إلى الكرك.

ثم في يوم الخميس سابع عشرين ذي القعدة خلع على الأمير علم الدين عبد الله بن زنبور خلعة الوزارة مضافًا لما بيده من نظر الخاص ونظر الجيش بعد ما امتنع وشرط شروطًا كثيرة.

وفيه أيضًا خلع السلطان على الأمير طنيرق باستقراره في نيابة حماة عوضًا عن أسندمر العمري.

ثم كتب القاضي علاء الدين بن فضل الله كاتب السر تقليد ابن زنبور الوزير ونعته فيه بالجناب العالي - وكان جمال الكفاة سعى أن يكتب له ذلك فلم يرض كاتب السر وشرح عليه بذلك - فخرج الوزير وتلقى كاتب السر وبالغ في إكرامه وبعث إليه بتقدمة سنية.

ثم قدم الخبر على السلطان بنزول عسكر الشام وطرابلس على محاصرة أحمد نائب صفد وزحفهم على قلعة صفد عدة أيام جرح فيها كثير من الناس والأجناد ولم ينالوا من القلعة غرضًا إلى أن بلغهم القبض على بيغا أرس.

وعلم أحمد بذلك وانحل عزمه فبعث إليه الأمير بكلمش نائب طرابلس يرغبه في الطاعة ودس على من معه بالقلعة حتى خامروا عليه وهموا بمسكه فوافق على الطاعة وحلف له نائب طرابلس فنزل إليه بمن معه.

فسر السلطان بذلك وكتب بإهانتته وحمله إلى السجن.

وفي عاشر ذي الحجة كانت الواقعة بمنى وقبض على الملك المجاهد صاحب اليمن وأسمه علي بن داود بن المظفر يوسف بن المنصور عمر بن علي بن رسول.

وكان من خبره أن ثقبه لما بلغه آستقرار أخيه عجلان عوضه في إمرة مكة توجه إلى اليمن وأغرى صاحب اليمن بأخذ مكة وكسوة الكعبة فتجهز الملك المجاهد صاحب اليمن وسار يريد الحج في حفل كبير بأولاده وأمه حتى قرب من مكة وقد سبقه حاج مصر.

فلبس عجلان آلة الحرب وعرف أمراء مصر ما عزم عليه صاحب اليمن وحذرهم غائلته.

فبعثوا إليه بأن " من يريد الحج إنما يدخل مكة بذلة ومسكنة وقد ابتدعت من ركوبك بالسلاح بدعة لا تمكنك أن تدخل بها وابعث إلينا ثقبه ليكون عندنا حتى تنقضي أيام الحج فنرسله إليك " فأجاب لذلك وبعث ثقبه رهينة فأكرمه الأمراء.

وركبوا الأمراء في جماعة إلى لقاء الملك المجاهد فتوجهوا إليه ومنعوا سلاح داريته بالمشي معه بالسلاح ولم يمكنوه من حمل الغاشية.

ودخلوا به مكة فطاف وسعى وسلم على الإمراء واعتذر إليهم ومضى إلى منزله.

وصار كل منهم على حفر حتى وقفوا بعرفة وعادوا إلى الخيم من منى وقد تقرر الحال بين الأمير ثقبه وبين الملك المجاهد على أن الأمير طاز إذا سار من مكة أوقعا بأمرير الحاج ومن معه وقبضا على عجلان وتسلم ثقبه مكة.

فاتفق أن الأمير بزlar رأى وقد عاد من مكة إلى منى خادم الملك المجاهد سائراً فبعث يستدعيه فلم يأتته وضرب مملوكه بعد مفاوضة جرت بينهما وجرحه في كتفه.

فماج الحافي وركب الأمير بزlar وقت الظهر إلى الأمير طاز فلم يصل إليه حتى أقبلت الناس جافلة تخبر بركوب الملك المجاهد بعسكره للحرب وظهرت لوامع أسلحتهم فركب طاز وبزlar وأكثر العسكر المصري بمكة.

فكان أولى من صدم أهل اليمن بزlar وهو في ثلاثين فارساً فأخذه في صدرهم إلى أن أرموه قريب خيمته.

ومضت فرقة إلى جهة طاز فأوسع لهم طاز ثم عاد عليهم.

وركب الشريف عجلان والناس فبعث الأمير طاز لعجلان أن يحفظ الحاج ولا تدخل بيننا في حرب ودعنا مع غريمنا.

واستمر القتال بينهم إلى بعد العصر فركب أهل اليمن مع كثرة عددهم وآستعدادهم الذلة والتجأ الملك المجاهد إلى دهليزه وقد أحاط به العسكر وقطعوا أطنابه وألقوه إلى الأرض.

فمر الملك المجاهد على وجهه منهزماً ومعه أولاده فلم يجد طريقاً فسلم المجاهد ولديه لبعض الأعراب وعاد بمن معه من عسكره وهم في أقبح حال يصيحون " الأمان يا مسلمون "! فأخذوا وزيره وتمزقت عساكره في تلك الجبال وقتل منهم خلق كثير ونهبت أموالهم وخيولهم عن آخرها وأنفصل الحال عند غروب الشمس.

وفر ثقبه بعبيده وعربه فأخذ عبيد عجلان جماعة من الحاج فيما بين مكة ومنى وقتلوا جماعة.

قلت: هذا شأن عرب مكة وعبيدها وهذه فروسياتهم لا في لقاء العدو وكان حقهم يوم ذاك خفر الحاج كون الترك قاموا عنهم بدفع عدوهم وإلا كان المجاهد يستولي عليهم وعلى أموالهم وذرائعهم في أسرع وقت.

انتهى.

ولما أراد طاز الرحيل من منى سلم أمراء المجاهد وحريمه إلى الشريف عجلان وأوصاه بهم.

وركب الأمير طاز ومعه المجاهد محتفظاً به وبالغ في إكرامه يريد الديار المصرية وصحب معه أيضاً الأمير ببيغا أرس مقيداً وبعث بالأمير طقطاي إلى السلطان يبشره بما وقع.

ولما قدم الأمير طاز إلى المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والرحمة قبض بها على الشريف طفيل.

وأما الديار المصرية فإنه في يوم الجمعة خامس المحرم من سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة قدم الأمير أرغون الكاملي نائب حلب إلى الديار المصرية بغير إذن فخلع عليه وأنزل بالقلعة وسبب حضوره أنه أشيع عنه بحلب القبض عليه ثم أشيع في مصر أنه خامر فكره تمكن موسى حاجب حلب منه لما كان بينهما من العداوة ورأى وقوع المكروه به في غير حلب أخص عليه فلما قدم مصر فرح السلطان به لما كان عنده من إشاعة عصيانه.

ثم قدم الخبر على السلطان بأن طيلان تسلم ببيغا أرس من الأمير طاز وتوجه به إلى الكرك من بدر فسر السلطان أيضاً بذلك.

ثم في يوم السبت عشرين المحرم قدم الأمير طاز بمن معه من الحجاز وصحبته الملك المجاهد والشريف طفيل أمير المدينة فخرج الأمير مغلطاي إلى لقائه إلى البركة ومعه الأمراء ومد له سماطاً جليلاً وقبض على من كان معه من الأمراء من أصحاب ببيغا أرس وقيدهم وهم: الأمير فاضل أخو ببيغا أرس وناصر الدين محمد بن بكتمر الحاجب.

وأما الأمير أزدمر الكاشف فإنه أخرج السلطان إقطاعه ولزم داره.

ثم في يوم الإثنين ثاني عشرينه طلع الأمير طاز بالملك المجاهد إلى نحو القلعة حتى وصل إلى باب القلعة قيده ومشى الملك المجاهد بقيده حتى وقف عند العمود - بالدركاه تجاه الإيوان والأمراء جلوس - وقوفاً طويلاً إلى أن خرج بر جاندار يطلب الأمراء على العادة فدخل المجاهد على تلك الهيئة معهم.

وخلع السلطان على الأمير طاز ثم قدم الملك المجاهد وقبل الأرض ثلاث مرات وطلب السلطان الأمير طاز وسأل عنه فما زال طاز يشفع في المجاهد إلى أن أمر السلطان بقيده ففك عنه وأنزل بالأشرفية من القلعة عند الأمير مغلطاي جرى له الرواتب السنية وأقيم له من يخدمه.

ثم أنعم السلطان على الأمير طاز بمائتي ألف درهم.

ثم خلع السلطان أيضاً على الأمير أرغون الكاملي بأستمراره على نيابة حلب ورسم أن يكون موسى حاجب حلب في نيابة قلعة الروم.

وفي يوم تاسع عشرين المحرم حضر الملك المجاهد الخدمة وأجلس تحت الأمراء بعد أن ألزم بحمل أربعمائة ألف دينار يقترضها من تجار الكارم حتى ينعم له السلطان بالسفر إلى بلاده.

ثم أحضر الأمير أحمد الساقى نائب صغد مقيداً إلى بين يدي السلطان فأرسل إلى سجن الإسكندرية.

ثم في آخر المحرم خلع السلطان على الأمراء المقدمين وعلى الملك المجاهد صاحب اليمن بالإيوان وقبل المجاهد الأرض غير مرة.

وكان الأمير طاز والأمير مغلطاي تلطفا في أمره حتى أعفي من أجل المال وقربه السلطان ووعده بالسفر إلى بلاده مكرماً فقبل الأرض وسر بذلك وأذن له أن ينزل من القلعة إلى إسطنبول الأمير مغلطاي ويتجهز للسفر.

وأفرج عن وزيره وخادمه وحواشيه وأنعم عليه بمال.

وبعث له الأمراء مالاً جزيلاً وشرع في القرض من الكارم تجار ثم في يوم الخميس ثاني صفر ركب الملك المجاهد في الموكب بسوق الخيل تحت القلعة وطلع مع النائب بييغا ططر إلى القلعة ودخل إلى الخدمة السلطانية بالإيوان مع الأمراء والنائب.

وكان موكباً عظيماً ركب فيه جماعة من أجناد الحلقة مع مقدميهم وخلع على المقدمين وطلعوا إلى القلعة.

وآستمر المجاهد يركب في الخدم مع النائب بسوق الخيل ويطلع إلى القلعة ويحضر الخدمة.

ثم خلع السلطان على الأمير صرغتمش وآستقر رأس نوبة على ما كان عليه أولاً بعناية الأمير طاز والأمير مغلطاي.

وفي يوم السبت ثامن عشر من صفر برز المجاهد صاحب اليمن بثقله من القاهرة إلى الريدانية متوجّهاً إلى بلاده وصحبته الأمير قشتمر شاد الدواوين.

وكتب للشريف عجلان أمير مكة بتجهيزه إلى بلاده وكتب لبني شعبة وغيرهم من العربان بالقيام في خدمته وخلع عليه.

وقرر المجاهد على نفسه ما لا يحمله في كل سنة.

وأسر السلطان إلى قشتمر أنه إن رأى منه ما يريبه يمنعه من السفر ويطلع السلطان في أمره.

فرحل المجاهد من الريدانية في يوم الخميس ثالث عشرينه ومعه عدة ممالك آشتراها وكثير من الخيل والجمال.

ثم في أوائل جمادى الآخرة توعك السلطان ولزم الفراش أياماً فبلغ طاز ومنكلي بغا ومغلطاي أنه أراد بإظهار توعكه القبض عليهم إذا دخلوا عليه وأنه قد اتفق مع قشتمر وألطنبغا الزامر وملكتمر المارديني وتنكز بغا على ذلك وأنه ينعم عليهم بإقطاعاتهم وإمرياتهم.

فواعدوا الأمراء أصحابهم واتفقوا مع الأمير بييغا ططر النائب والأمير طيبغا المجدي والأمير رسلان بصل وركبوا يوم الأحد سابع عشرين جمادى الآخرة بأطلاهم ووقفوا عند قبة النصر خارج القاهرة.

فخرج السلطان إلى القصر وبعث يسألهم عن سبب ركوبهم فقالوا: " أنت اتفقت مع مماليكك على مسكنا ولا بد من إرسالهم إلينا " فبعث تنكزيغا وقشتمر وألطنبغا الزامر وملكتمر فعندما وصلوا إليهم قيموهم وبعثوهم إلى خزانة شمائل فسجنوا بها.

فشق ذلك على السلطان وبكى وقال: " قد نزلت عن السلطنة " وسير إليهم النمجة فسلموها للأمير طيبغا المجدي.

وقام السلطان حسن إلي حريمه فبعثوا الأمراء الأمير صرغتمش ومعه الأمير قطلوبغا الذهبي ومعهم جماعة ليأخذوه ويحبسوه فطلعوا إلى القلعة راكبين إلى باب القصر الأبلق ودخلوا إلى الملك الناصر حسن وأخذوه من بين حرمه فصرخ النساء صراخًا عظيمًا وصاحت الست حدق على صرغتمش صياحًا منكرًا وقالت له: " هذا جزاؤه منك "! وسبته سبًا فاحشًا.

فلم يلتفت صرغتمش إلى كلامها وأخرجه وقد غطى وجهه إلى الرحبة فلما رآه الخدام والمماليك تباكوا عليه بكاء كثيرًا.

وطلع به صرغتمش إلى رواق فوق الإيوان ووكل به من يحفظه وعاد إلى الأمراء.

فاتفق الأمراء على خلع من السلطنة وسلطنة أخيه الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون وتسلطن حسب ما يأتي ذكره.

ولما تسلطن الملك الصالح صالح

نقل أخاه الملك الناصر حسنا هذا إلى حيث كان هو ساكنًا ورتب في خدمته جماعة وأجرى عليه من الرواتب ما يكفيه.

ثم طلب الملك الصالح أخاه حسنا ووعد أيضًا بزيادة على إقطاعه وزاد راتبه.

وزالت دولة الملك الناصر حسن.

فكانت مدة سلطنته هذه الأولى ثلاث سنين وتسعة أشهر وأربعة عشر يومًا منها مدة الحجر عليه ثلاث سنين ومدة استبداده بالأمر نحو تسعة أشهر وأربعة عشر يومًا.

وكان القائم بدولته في أيام الحجر عليه الأمير شيخون العمري رأس نوبة النوب وإليه كان أمر خزانة الخاص ومرجعه لعلم الدين بن زنبور ناظر الخاص.

وكان الأمير منجك اليوسفي الوزير والأستادار ومقدم المماليك إليه التصرف في أموال الدولة.

والأمير بيغا أرس نائب السلطنة وإليه حكم العسكر وتدييره والحكم بين الناس.

وكان المتولي لتربية السلطان حسن خوند طغاي زوجة أبيه رتبه وتبنت به.

وكانت الست حدق الناصرية دادته.

وكان الأمراء المذكورون رتبوا له في أيام سلطنته في كل يوم مائة درهم يأخذها خادمه من خزانة الخاص وليس ينوبه سواها وذلك خارج عن سماطه وكلفة حريمه فكان ما ينعم به السلطان حسن في أيام سلطنته ويتصدق به من هذه المائة درهم لا غير إلى أن ضجر

من الحجر وسافر النائب ببيغا أرس والأمير طاز إلى الحجاز وخرج شيخون إلى العباسة للصيد واتفق السلطان حسن مع مغلطاي الأمير أخور وغيره على ترشيده فترشد حسب ما ذكرناه.

واستبد بالدار المصرية.

ثم قبض علي منجك وشيخون وبيغا أرس إلى أن كان من أمره ما كان على أنه سار في سلطنته بعد استبداله بالأمر مع الأمراء أحسن سيرة فإنه اختص بالأمير طاز بعد حضوره من الحجاز وبالغ في الإنعام عليه.

وكانت أيامه شديدة كثرت فيها المغارم بما أحدثه الوزير منجك بالنواحي وخربت عدة أملاك على النيل واحتترقت مواضع كثيرة بالقاهرة ومصر وخرجت عربان العائد وثعلبة وعرب الشام وعرب الصعيد عن الطاعة واشتد فسادهم لاختلاف كلمة مدبري المملكة.

وكان في أيامه الفناء العظيم المقدم ذكره الذي لم يعهد في الإسلام مثله.

وتوالى في أيامه شراقي البلاد وتلاف الجسور وقيام ابن واصل الأحذب ببلاد الصعيد فأختلت أرض مصر وبلاد الشام بسبب ذلك خللاً فاحشاً كل ذلك من اضطراب المملكة واختلاف الكلمة وظلم الأمير منجك وعسفه.

وأما الملك الناصر حسن المذكور فإنه كان في نفسه مفرط الذكاء عاقلاً وفيه رفق بالرعية ضابطاً لما يدخل إليه وما يصرفه كل يوم متديناً شهماً لو وجد ناصرًا أو معيّنًا لكان أجل الملوك.

يأتي بيان ذلك في سلطنته الثانية إن شاء الله تعالى.

وأما سلطنته هذه المرة فلم يكن له من السلطنة إلا مجرد الاسم فقط وذلك لصغر سنه وعدم من يؤيده.

انتهى.

السنة الأولى من سلطنة الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون الأولى وهي سنة تسع وأربعين وسبعمائة على أنه حكم من الخالية من رابع عشر شهر رمضان.

فيها أعني سنة تسع وأربعين كان الوباء العظيم المقدم ذكره في هذه الترجمة وعم الدنيا حتى دخل إلى مكة المشرفة ثم عم شرق الأرض وغربها فمات بهذا الطاعون بمصر والشام وغيرهما خلائق لا تحصى.

فمن مات فيه من الأعيان الشيخ المحدث برهان الدين بن لاجين بن عبد الله الرشيد الشافعي في يوم الثلاثاء تاسع عشرين شوال ومولده في سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

وكان أخذ القراءات عن التقي الصائغ وسمع من الأبرقوهي وأخذ الفقه عن العلم العراقي وبرع في الفقه والأصول وتوفي الشيخ الأديب شهاب الدين أبو العباس أحمد بن مسعد بن أحمد بن ممدود السنهوري المادح الضرب.

وكانت له قدرة زائدة على النظم ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بعدة قصائد.

وشعره كثير إلى الغاية لا سيما قصائده النبوية وهي مشهورة في حفظ المداح.

وتوفي القاضي الإمام البارع الكاتب المؤرخ المفتن شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن القاضي محيي الدين يحيى بن فضل الله بن المجلى بن دعجان القرشي العدوي العمري الدمشقي الشافعي في تاسع ذي الحجة بدمشق.

ومولده في ثالث شوال سنة سبعمئة.

وكان إمامًا بارعًا وكاتبًا فقيهاً.

نظم كثيرًا من القصائد والأراجيز والمقطعات ودوبيت وأنشأ كثيرًا من التقاليد والمناشير والتواقيع وكتب في الإنشاء لما ولي والده كتابة سر دمشق ثم لما ولي والده كتابة السر بمصر أيضًا صار ولده أحمد هذا هو الذي يقرأ البريد على الملك الناصر محمد بن قلاوون وينفذ المهمات واستمر كذلك في ولاية والده الأولى والثانية حتى تغير السلطان عليه وصرفه في سنة ثمان وثلاثين وأقام أخاه علاء الدين عليًا وكلاهما كانا يكتبان بحضرة والدهما ووجوده نيابة عنه لكبر سنه وتوجه شهاب الدين إلى دمشق حتى مات بها في التاريخ المذكور.

وكان بارعًا في فنون وله مصنفات كثيرة منها تاريخه " مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " في أكثر من عشرين مجلدًا وكتاب " فواصل السمر في فضائل آل عمر " في أربع مجلدات " والدعوة المستجابة " " وصباية المشتاق " في مجلد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم " ودمعة الباكي " " ويقظة الساهي " و " نفحة الروض " .

قال الشيخ صلاح الدين خليل الصفدي: وأنشدني القاضي شهاب الدين ابن فضل الله لنفسه ونحن على العاصي هذين البيتين: لقد نزلنا على العاصي بمنزلة زانت محاسن شطيه حدائقها تبكي نواعيرها العبرى بدمعها لكونه بعد لقاها يفارقها قال: فأنشدته لنفسي: وناعورة في جانب النهر قد عدت تعبر عن شوق الشجي وتعرب فيرقص عطف الغصن تيهًا لأنها تغني له طول الزمان ويشرب وتوفي الأمير سيف الدين أطلمش الجمدار كان أولًا من أمراء مصر ثم ولي حجوية دمشق إلى أن مات وكان مشكور السيرة.

وتوفي الأمير سيف الدين بلك بن عبد الله المظفري الجمدار أحد أمراء الألواف بالديار المصرية في يوم الخميس رابع عشرين شوال.

وكان من أعيان الأمراء وقد تقدم ذكره فيما مر.

وتوفي الأمير سيف الدين برلغي بن عبد الله الصغير قريب السلطان الملك المنصور قلاوون.

قدم إلى القاهرة صحة القازانية سنة أربع وسبعمئة فأنعم عليه الملك الناصر بإمرة بديار مصر وتزوج بابنة الأمير بيبرس الجاشنكير قبل سلطنته وعمل له مهمًا عظيمًا أشعل فيه ثلاثة آلاف شمعة.

ثم قبض عليه الملك الناصر بعد زوال دولة الملك المظفر وامتنح بسبب صهره وحبسه الملك الناصر عشرين سنة ثم أفرج عنه وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف فدام على ذلك إلى أن مات.

وبرلغي هذا يلتبس ببرلغي الأشرفي كلاهما كان عضوًا للملك المظفر بيبرس الجاشنكير وكانا في عصر واحد.

وتوفي الأمير سيف الدين بليان بن عبد الله الحسيني المنصوري أمير جاندار وقد أناف على ثمانين سنة فإنه كان من مماليك الملك المنصور قلاوون.

وتوفي الأمير سيف الدين بكتوت بن عبد الله القرمانى المنصوري أحد المماليك المنصورية قلاوون أيضًا وكان أحد البرجية.

ثم ولي شد الدواوين بدمشق وحبسه الملك الناصر محمد بن قلاوون مدة لأنه كان من أصحاب المظفر بيبرس ثم أطلقه وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه بمصر.

وكانت به حدة فاحشة وولع بتتبع المطالب وعمل الكيمياء وضاع عمره في البطال.

وتوفي الأمير سيف الدين تمرغا بن عبد الله العقيلي نائب الكرك في جمادى الآخرة وكان عاقلًا شجاعًا مشكور السيرة.

وتوفي الشيخ الإمام كمال الدين جعفر ابن ثعلب بن جعفر بن علي الأدفوي الفقيه الأديب الشافعي.

كان فقيهاً بارعاً أديباً مصنفًا ومن مصنفاته تاريخ الصعيد المسمى بالطالع السعيد في تاريخ الصعيد وله مصنفات أخرى وشعر كثير.

وتوفي الأمير سيف الدين طشتمر بن عبد الله الناصري أحد أمراء الألوفا بالديار المصرية المعروف بطليليه في شوال بالقاهرة وقيل له: طليليه لأنه كان إذا تكلم قال في آخر كلامه: طليليه.

وهو من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون وخاصيته وصار من بعده من أعيان الأمراء بالديار المصرية وله تربة بالصحراء معروفة به وكان شجاعًا مقدامًا.

وتوفيت خوند طغاى أم آنوك زوجة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وتركت مالا كثيرًا جدًا من ذلك ألف جارية وثمانون طواشيًا أعتقت الجميع.

وهي صاحبة التربة بالصحراء معروفة بها.

وهي التي تولت تربية السلطان الملك الناصر حسن بعد موت أمه من أيام الملك الناصر محمد.

وكانت من أعظم نساء وقتها وأحشمن وأسعدهن.

وتوفي الشيخ الإمام الأديب البارع صفى الدين عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم بن أحمد بن نصر بن أبي العز بن سرايا بن كيافا بن عبد الله السنيسى الحلى الشاعر المشهور في سلخ ذي الحجة.

ومولده في خامس شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وستمائة وقدم القاهرة مرتين ومدح الملك المؤيد صاحب حماة ومدح ملوك ماردى بني أرتق وله فيهم غرز القصائد وتقدم في نظم الشعر.

ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بالقصيدة المعروفة بالبديعة وله ديوان شعر كبير وشعره سار شرقًا وغربًا.

وهو أحد فحول الشعراء.

وفيه يقول الشيخ جمال الدين محمد بن نباته: يا سائلي عن رتبة الحلبي في نظم القريض راضياً بي أحكم للشعر حليان ذلك راجح ذهب الزمان به وهذا قيم ومن شعر الصفي الحلبي: أستطلع الأخبار من نحوكم وأسأل الأرواح حمل السلام وكلما جاء غلام لكم أقول يا بشراي هذا غلام ومن شعره قصيدته التي أولها: كيف الضلال وصبح وجهك مشرق وشذاك في الأكوان مسك يعبق يا من إذا سمرت محاسن وجهه ظلت به حدق الخلائق تحدق أوضحت عذري في هواك بواضح ماء الحيا بأديمه يتفرق فإذا العذول رأى جمالك قال لي عجباً لقلبك كيف لا يتمزق أغنيتني بالفكر فيك عن الكرى يا آسري فأنا الغني المملق ومنها أيضاً: لم أنس ليلة زارني ورقبيه بيدي الرضا وهو المغيظ المحنق حتى إذا عبث الكرى بجفونه كان الوسادة ساعدي والمرفق عانقته وضممته فكأنه من ساعدي ممنطق ومطوق حتى بدا فلق الصباح فراعته إن الصباح هو العدو الأزرق وقد استوعبنا من شعره وأحواله قطعة جيدة في تاريخنا " المنهل الصافي " .

رحمه الله تعالى إن كان مسيئاً.

وتوفي الشيخ الصالح المعتقد عبد الله المنوفي الفقيه المالكي في يوم الأحد ثامن شهر رمضان ودفن بالصحراء وقبره بها معروف يقصد للزيارة والتبرك.

وتوفي الإمام العلامة شيخ الشيوخ بدمشق علاء الدين علي بن محمود بن حميد القونوي الحنفي في رابع شهر رمضان وكان إماماً فقيهاً بارعاً صوفياً صالحاً.

رحمه الله.

وتوفي الشيخ الإمام البارع المفتن الأديب الفقيه زين الدين عمر بن المظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس بن علي المعري الحلبي الشافعي المعروف بابن الوردي ناظم " الحاوي في الفقه رحمه الله وقد جاوز الستين سنة بحلب في سابع عشرين ذي الحجة.

وقد آستوعبنا من شعره ومشايخه نبذة كبيرة في " المنهل الصافي " إذ هو كتاب تراجم محله الإطناب في مثل هؤلاء.

ومن شعره ما قاله في مقرأء: ووعدت أمس بأن تزور فلم تزر فغدوت مسلوب الفؤاد مشتتاً لي مهجة في النازعات وعبرة في المرسلات وفكرة في هل أتى وله عفا الله عنه: تجادلنا: أماء الزهر أذكى أم الخلاف أم ورد القطاف وعقبى ذلك الجدل اصطلحنا وقد حصل الوفاق على الخلاف وتوفي الأمير الطواشي عنبر السحرتي لالة السلطان الملك الكامل شعبان ومقدم المماليك السلطانية منفياً في القدس بعد أن امتحن وصور.

وكان رأى من العز والجاه والحرمة في أيام الكامل شعبان ما لا مزيد عليه حسب ما ذكرنا منه نبذة في ترجمة الملك الكامل المذكور.

وتوفي الأمير سيف الدين كوكاي بن عبد الله المنصوري السلاح دار أحد أعيان أمراء الألوف بالديار المصرية وكان من أجل الأمراء وأسعدهم خلف أكثر من أربعمئة ألف دينار عيئاً.

وهو صاحب التربة والمئذنة التي بالصحراء على رأس الهدفة تجاه تربة الملك الظاهر برقوق.

وكان شجاعًا مقدامًا.

طالت أيامه في السعادة.

وتوفي الأمير سيف الدين قطز بن عبد الله الأمير آخور ثم نائب صفد بدمشق وهو أحد أمرائها في يوم الثلاثاء رابع ذي القعدة.

وكان من أعيان أمراء مصر ولي عدة ولايات جليلة.

وتوفي الأمير سيف الدين نكباي بن عبد الله البريدي المنصوري.

كان أحد مماليك الملك المنصور قلاوون.

ولي قطيا والإسكندرية ثم أنعم عليه بإمرة طبلخاناه واستقر مهمندارًا.

وإليه تنسب دار نكباي خارج مدينة مصر على النيل وعني بعمارتها فلم يتمتع بها.

وتوفي الأمير شرف الدين محمود بن خطير أخو الأمير مسعود.

وأظنه صاحب الجامع بالحسينية خارج القاهرة.

وتوفي الشيخ المحدث الواعظ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن ميلق الشاذلي.

كان يجلس ويذكر الناس ويعظ وكان لوعظه تأثير في النفوس.

وتوفي الشيخ المعتقد زين الدين أبو بكر بن النشاشيبي.

كان له قدم وللناس فيه محبة وآعتقاد.

رحمه الله.

وتوفي الرئيس شمس الدين أبو عبد الله بن إبراهيم بن عمر الأسيوطي ناظر بيت المال.

كان معدودًا من أعيان الديار المصرية وله ثروة.

وإليه ينسب جامع الأسيوطي بخط جزيرة الفيل.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبغًا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وثلاث وعشرون إصبغًا.

وحولت هذه السنة إلى سنة خمسين.

والله أعلم.

السنة الثانية من سلطنة الناصر حسن الأولى على مصر وهي سنة خمسين وسبعمئة.

فيها توفي مكين الدين إبراهيم بن قروينة بطالاً بعدما ولي استيفاء الصحة ونظر البيوت ثم نظر الجيش مرتين ثم تعطل إلى أن مات.

وكان من أعيان الكتاب ورؤسائهم.

وتوفي الأمير سيف الدين أرغون شاه بن عبد الله الناصري نائب الشام مذبوخاً في ليلة الجمعة رابع عشرين شهر ربيع الأول.

وكان من أعيان مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون وخواصه رباه وجعله أمير طبلخاناه رأس نوبة الجمدارية.

ثم استقر بعد وفاته أستاذًا أميرًا ومقدم ألف بديار مصر فتحكم على الملك الكامل شعبان حتى أخرج لنيابة صفد وولي بعدها نيابة حلب ثم نيابة الشام.

وكان خفيقًا قوي النفس شرس الأخلاق مهيبًا جبارًا في أحكامه سفاكًا للدماء غليظًا فاحشًا كثير المال والحشم.

وكان أصله من بلاد الصين حمل إلى بوسعيد بن خربندا ملك التتار فأخذه دمشق خجا بن جوبان ثم ارتجعه بوسعيد بعد قتل دمشق خجا بن جوبان وبعث به إلى الناصر هدية ومعه ملكتمر السعيد.

وقد تقدم من ذكر أرغون شاه هذا نبذة كبيرة في عدة تراجم من هذا الكتاب من أول ابتداء أمره حتى كيفية قتله في ترجمة الملك الناصر حسن هذا فلينظر هناك.

وتوفي الأمير الكبير سيف الدين أرقطاي بن عبد الله المنصوري نائب السلطنة بالديار المصرية ثم نائب حلب ثم ولي نيابة دمشق فلما خرج منها متوجهًا إلى دمشق مات بظاها عن نحو ثمانين سنة في يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى.

وأصله من مماليك الملك المنصور قلاوون رباه الطواشي فاخر أحسن تربية إلى أن توجه الملك الناصر إلى الكرك توجه معه فلما عاد الملك الناصر إلى ملكه جعله من جملة الأمراء ثم سيرة صحة الأمير تنكر إلى الشام وأوصى ألا يخرج عن رأيه فأقام عنده مدة.

ثم تنكر عليه الناصر محمد بن قلاوون وولاه نيابة حمص سنتين ونصفًا ثم نقله إلى نيابة صفد فأقام بها ثمانين سنة.

ثم قدم مصر فأقام بها خمس سنين وجرى إلى إياس.

ثم ولي نيابة طرابلس ومات الملك الناصر محمد فقدم مصر بعد موته فقبض عليه.

ثم أفرج عنه.

وبعد مدة ولي نيابة حلب ثم عزل وطلب إلى مصر فصار يجلس رأس الميمنة.

ثم ولي نيابة السلطنة بالديار المصرية نحو سنتين.

ثم أخرج لنيابة حلب ثانيًا بحسب سؤاله في ذلك.

فأقام بها مدة.

ثم نقل إلى نيابة الشام بعد قتل أرغون شاه فمات خارج حلب قبل أن يباشر دمشق ودفن بحلب.

وكان أميرًا جليلًا عظيمًا مهابًا عاقلًا سيوسًا مشكور السيرة محببًا للرعية.

وقد تقدم من أخباره ما يغني عن الإعادة هنا.

وتوفي الأمير سيف الدين ألبغيغا بن عبد الله المظفري نائب طرابلس موسطًا بسوق خيل دمشق في يوم الإثنين ثاني شهر ربيع الآخر بمقتضى قتله الأمير أرغون شاه نائب الشام وقد تقدم كيفية قتله أرغون شاه في ترجمة السلطان حسن هذا وأيضًا واقعة توسطه مفضلًا هناك.

وكان ألبغيغا من مماليك المظفر حاجي ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون ومن خواصه.

وقتل ألبغيغا وسنه دون العشرين سنة بعد أن صار أمير مائة ومقدم ألف بمصر والشام ونائب طرابلس ووسط معه إياس الآتي ذكره.

وتوفي الأمير فخر الدين إياس بن عبد الله الناصري موسطًا أيضًا بسوق خيل دمشق لموافقته ألبغيغا المقدم ذكره على قتل أرغون شاه في التاريخ المذكور أعلاه.

وكان أصل إياس هذا من الأرمن وأسلم على يد الملك الناصر محمد بن قلاوون فرقا حتى عمله شاد العمائر.

ثم أخرجه إلى الشام شاد الدواوين.

ثم صار حاجبًا بدمشق ثم نائبًا بصفد ثم نائبًا بحلب.

ثم عزل بسعي أرغون شاه به وقدم دمشق أميرًا في نيابة أرغون شاه دمشق فصار أرغون شاه يهينه وإياس يومئذ تحت حكمه فحقد عليه واتفق مع ألبغيغا نائب طرابلس حتى قتلاه ذبحًا حسب ما ذكرناه مفضلًا في ترجمة السلطان الملك الناصر حسن.

وتوفي الإمام العلامة قاضي القضاة علاء الدين علي ابن القاضي فخر الدين عثمان بن إبراهيم بن مصطفى المارديني الحنفي المعروف بالتركماني - رحمه الله تعالى - في يوم الثلاثاء عاشر المحرم بالقاهرة.

ومولده في سنة ثلاث وثمانين وستمائة وهو أخو العلامة تاج الدين أحمد ووالد الإمامين العالمين: عز الدين عبد العزيز وجمال الدين عبد الله وعم العلامة محمد بن أحمد يأتي ذكر كل واحد من هؤلاء في محله إن شاء الله تعالى.

وكان قاضي القضاة علاء الدين إمامًا فقيهاً بارعًا نحويًا أصوليًا لغويًا.

أفتى ودرس وأشغل وألف وصنف وكان له معرفة تامة بالأدب وأنواعه وله نظم ونثر.

كان إمام عصره بلا مدافعة لا سيما في العلوم العقلية والفقهاء أيضًا والحديث وتصدى للإقرار عدة سنين.

وتولى قضاء الحنفية بالديار المصرية في شوال سنة ثمان وأربعين وسبعمائة عوضًا عن قاضي القضاة زين الدين البسطامي وحسنت سيرته ودام قاضيًا إلى أن مات.

وتولى عوضه ولده جمال الدين عبد الله.

ومن مصنفاته - رحمه الله - كتاب " بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب " و " المنتخب في علوم الحديث " و "المؤتلف والمختلف " و " الضعفاء والمتروكون " و " الدر النقي في الرد على البيهقي " وهو جليل في معناه يدل على علم غزير واطلاع كثير و " مختصر المحصل في الكلام " و " مقدمة في أصول الفقه " و " الكفاية في مختصر الهداية " و " مختصر رسالة القشيري " وغير ذلك.

وتوفي قاضي القضاة تقي الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران السعدي الأحنائي المالكي في ليلة الثالث من صفر.

ومولده في شهر رجب سنة أربع وستين وستمائة.

وكان فقيهاً فاضلاً محدثاً بارعاً.

ولي شهادة الخزانة ثم تولى قضاء الإسكندرية ثم نقل لقضاء دمشق بعد علاء الدين القونوي.

وحسنت سيرته.

وتولى بعده جمال الدين يوسف بن إبراهيم بن جملة.

وتوفيت خوند بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون زوجة الأمير طاز.

وخلفت أموالاً كثيرة.

أبيع موجودها بباب القلة من القلعة بخمسمائة ألف درهم من جملة ذلك قبقاب مرصع بأربعين وتوفي شيخ القراء شهاب الدين أحمد بن أحمد بن الحسين المعروف بالهكاري بالقاهرة في جمادى الأولى.

وكان إمامًا في القراءات تصدى للإقرار عدة سنين وانتفع به الناس.

وتوفي الأمير طقتمر بن عبد الله الشريفي بعد ما عمي ولزم داره وكان من أعيان الأمراء.

وتوفي الشيخ الإمام نجم الدين عبد الرحمن بن يوسف بن إبراهيم بن محمد ابن إبراهيم بن علي القرشي الأصفوني الشافعي بمنى في ثالث عشر ذي الحجة.

وكان فقيهاً عالمًا مصنفًا ومن مصنفاته: " مختصر الروضة في الفقه ".

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وأربع أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وثلاث وعشرون إصبغًا.

السنة الثالثة من سلطنة الناصر حسن الأولى على مصر وهي سنة إحدى وخمسين وسبعمئة.

فيها توفي الأمير سيف الدين دلنجي بن عبد الله ودلنجي هو المكدي باللغة التركية.

كان أصله من الأتراك وقدم إلى الديار المصرية سنة ثلاثين وسبعمئة فأنعم عليه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بإمرة عشرة ثم إمرة طبلخاناه.

ثم ولي نيابة غزة بعد الأمير تلجك فأوقع بالمفسدين ببلاد غزة وأبادهم وقويت حرمة.

وكان شجاعًا مهابةً.

وتوفي الشيخ الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية بدمشق في ثالث عشر شهر رجب.

ومولده سنة إحدى وتسعين وستمئة.

وكان بارعًا في عدة علوم ما بين تفسير وفقه وعربية ونحو وحديث وأصول وفروع.

ولزم شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية بعد عودته من القاهرة في سنة اثنتي عشرة وسبعمئة وأخذ منه علمًا كثيرًا حتى صار أحد أفراد زمانه.

وتصور للإقراء والإفتاء سنين وانتفع به الناس قاطبة وصنف وألف وكتب.

وقد استوعبنا أحواله ومصنفاته وبعض مشايخه في ترجمته في " المنهل الصافي " كما ذكرنا أمثاله.

وتوفي الأمير حسام الدين لاجين بن عبد الله العلاني الناصري.

أصله من مماليك الناصر محمد ثم صار أمير جاندار في دولة الملك المظفر حاجي فإنه كان زوج أمه.

ثم ولي أمير آخور فلما قتل الملك المظفر في سنة ثمان وأربعين وسبعمئة عزل وأخرج إلى حلب على إقطاع الأمير حسام الدين محمود بن داود الشيباني فدام بحلب إلى أن مات بها وقيل بغيرها.

وتوفي الشيخ فخر الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم بن عبد الكريم المصري الفقيه الشافعي بدمشق في سادس عشرين ذي القعدة ومولده سنة إحدى وتسعين وستمئة.

وكان فقيهاً عالماً فاضلاً بارعاً في فنون.

وتوفي ابن قرمان صاحب جبال الروم بعد مرض طويل.

قلت: وبنو قرمان هؤلاء هم من ذرية السلطان علاء الدين كيقباد السلجوقي وهم ملوك تلك البلاد إلى يومنا هذا وقد تقدم من ذكرهم جماعة كثيرة في هذا الكتاب.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع ونصف وقيل خمس أذرع وسبع عشرة إصبغًا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا.

ونزل في خامس توت وشرق البلاد.

السنة الرابعة من سلطنة الناصر حسن الأولى على مصر وهي سنة اثنتين وخمسين وسبعمئة وهي التي خلع فيها السلطان حسن المذكور في سابع وعشرين جمادى الآخرة وحكم في باقيها أخوه الملك الصالح صالح ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون.

فيها توفي السيد الشريف أدي أمير المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام في وتوفي الأمير سيف الدين طشبيغا بن عبد الله الناصري الدوادر.

كان من أول دولة الملك الناصر حسن استقر طشبيغا هذا دوادرًا عوضه في شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمئة واستمر على ذلك إلى أن توفي.

وكان خيرًا دينًا فاضلًا عاقلًا.

وتوفي قاضي القضاة الحنفية بحلب ناصر الدين محمد بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الحسن بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله ابن أحمد بن يحيى بن أبي جرادة المعروف بابن العديم الحلبي بحلب عن ثلاث وستين سنة.

وقد تقدم ذكر جماعة من آباءه وأقاربه في هذا الكتاب وسيأتي ذكر جماعة آخر من أقاربه كل واحد في محله.

إن شاء الله تعالى.

وتوفي ملك الغرب أبو الحسن علي بن أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة في ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من شهر ربيع الأول وقام في الملك من بعده ابنه أبو عنان فارس.

وكانت مدة ملكه إحدى وعشرين سنة.

وتوفي القاضي شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الرحيم بن عبد الله بن محمد بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر المعروف بابن القيسراني موقع الدست وصاحب المدرسة بسويقة صاحب داخل القاهرة وبها دفن وكان معدودًا من الرؤساء الأمثال.

وتوفي الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدى أحد أمراء الطيلخاناة بالديار المصرية وهو مجرد ببلاد الصعيد فحمل إلى القاهرة ميتًا في يوم الأحد ثاني عشرين شهر رمضان.

وتوفي الإمام تاج الدين أبو الفضل محمد بن إبراهيم بن يوسف المراكشي الأصل الشافعي بدمشق في جمادى الآخرة.

وكان فقيهاً فاضلاً بارعاً معدوداً من فقهاء الشافعية.

وتوفي القاضي علاء الدين علي بن محمد بن مقاتل الحراني ثم الدمشقي ناظر دمشق بالقدس الشريف في عاشر شهر رمضان.

قلت: لعل علاء الدين هذا غير الأديب علاء الدين بن مقاتل الزجال الحموي لأنني أحفظ وفاة هاذك في سنة إحدى وستين وسبعمائة وهكذا أرخناه في " المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي " .

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وخمس أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وإصبع واحدة.

والله أعلم.

سلطنة الملك الصالح صالح ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون هو العشرون من ملوك الترك بديار مصر والثامن من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون وأمه خوند قطلو ملك بنت الأمير تنكر الناصري نائب الشام.

تسلطن بعد خلع أخيه الملك الناصر حسن في يوم الإثنين ثامن عشر من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة باتفاق الأمراء على ذلك.

وأمره أن الأمراء لما حملت لهم نجاة الملك وأخبروا بأن الناصر حسنًا خلع نفسه وهم وقوف بقية النصر خارج القاهرة توجهوا إلى بيوتهم وباتوا تلك الليلة وهي ليلة الإثنين بإسبيلاتهم وأصبحوا بكرة يوم الإثنين طلغوا إلى القلعة واجتمعوا بالرحبة داخل باب النحاس وطلبوا الخليفة والقضاة وسائر الأمراء وأرباب الدولة واستدعوا بالصالح هذا من الدور السلطانية فأخرج لهم فقاموا له وأجلسوه وبايعوه بالسلطنة وألبسوه شعار الملك وأبهة السلطنة وأركبوه فرس النوبة من داخل باب الستارة ورفعت الغاشية بين يديه ومشت الأمراء والأعيان بين يديه والأمير طاز والأمير منكلي بغا أخذان بشكيمة فرسه وسار على ذلك حتى نزل وجلس على تخت الملك بالقصر.

وقبلت الأمراء الأرض بين يديه وحلفوا له وحلفوه على العادة ولقبوه بالملك الصالح ونودي بسلطنته بمصر والقاهرة ودقت الكوسات وزينت القاهرة وسائر بيوت الأمراء.

وقبل سلطنته كان النيل نقص عند ما كسر عليه فرد نقصه ونودي عليه بزيادة ثلاث ثم توجه الأمير بزلاز أمير سلاح إلى الشام ومعه التشاريف والبشارة بولاية السلطان الملك الصالح وتحليف العساكر الشامية له على العادة.

ثم طلب الأمير طاز والأمير مغلطاي مفاتيح الذخيرة ليعتبرا ما فيها فوجدا شيئًا يسيرًا.

ثم رسم للصاحب علم الدين عبد الله بن زنبور بتجهيز تشاريف الأمراء وأرباب الوظائف على العادة فجهزها في أسرع وقت.

ووقف الأمير طاز وسأل السلطان والأمراء الإفراج عن الأمير شيخون العمري فرسم بذلك وكتب كل من مغلطاي وطاز كتابًا وبعث مغلطاي أخاه قطليجا رأس نوبة وبعث طاز الأمير طقطاي صهره وجهزت له الحراقة لإحضاره من الإسكندرية في يوم الثلاثاء تاسع عشر من جمادى الآخرة من سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة المذكورة.

وكان ذلك بغير اختيار الأمير مغلطاي إلا أن الأمير طاز دخل عليه وألح عليه في ذلك حتى وافقه على مجيئه بعد أن قال له: أخشى على نفسي من مجيء شيخون إلى مصر فحلف له طاز أيمائًا مغلظة أنه معه على كل ما يريد ولا يصيبه من شيخون ما يكره وأن شيخون إذا حضر لا يعارضه في شيء من أمر المملكة " وإني ضامن له في هذا " وما زال به حتى أذعن وكتب له مع أخيه.

فشق ذلك على الأمير منكلي بغا الفخري وعتب مغلطاي على موافقة طاز وعرفه أن بحضور شيخون إلى مصر يزول عنهم ما هم فيه فتقرر في ذهن مغلطاي ذلك وندم على ما كان منه إلى أن كان يوم الخميس أول شهر رجب وركب الأمراء في الموكب على العادة أخذ منكلي بغا يعرف النائب والأمراء بإنكار ما دار بينه وبين مغلطاي وحذرهم من حضور شيخون إلى أن وافقوه وطلعوا إلى القلعة ودخلوا إلى الخدمة.

فابتدأ النائب بحضور شيخون وقال: " إنه رجل كبير ويحتاج إلى إقطاع كبير وكلف كثيرة "

فتكلم مغلطاي ومنكلي بغا والأمراء وطاز ساكت قد آتبط لتغير مغلطاي ورجوعه على ما وافقه عليه.

وأخذ طاز يتلطف بهم فصمم مغلطاي على ما هو عليه وقال: " مالي وجه أنظر به شيخون وقد أخذت منصبه ووظيفته وسكنت في بيته " فوافقه النائب وقال لناظر الجيش: اكتب له مثالاً بناية حماة فكتب ناظر الجيش ذلك في الوقت وتوجه به أيدمر الدوادر في الحال في حراقة وعين لسفر شيخون عشرون هجيناً ليركبها ويسير عليها إلى حماة.

وأنفضوا وفي نفس طاز ما لا يعبر عنه من القهر ونزل واتفق هو والأمير صرغتمش وملكتمر وجماعة واتفقوا جميعاً وبعثوا إلى مغلطاي بأن " منكلي بغا رجل فتني وما دام بيننا لا نتفق أبداً " فلم يصغ مغلطاي إلى قولهم واحتج بأنه إن وافقهم لا يأمن على نفسه.

فدخل عليه طاز ليلاً بالأشرفية من قلعة الجبل حيث هي مسكن مغلطاي وخادعه حتى أجابه إلى إخراج منكلي بغا وتحالفا على ذلك فما هو إلا أن خرج عنه طاز أخذ دوادر مغلطاي يقبح على مغلطاي ما صدر منه وبهول عليه الأمر بأنه متى أبعاد منكلي بغا وحضر شيخون أخذ لا وبلغ الخبر منكلي بغا بكرة يوم الجمعة ثانيه فواعد النائب والأمراء على الاجتماع في صلاة الجمعة ليقع الاتفاق على ما يكون فلم يخف عن طاز وصرغتمش رجوع مغلطاي عما تقرر بينه وبين طاز ليلاً فاستعدا للحرب وواعدا الأمير ملكتمر المحمدي والأمير قردم الحموي ومن يهوى هواهم واستمالوا مماليك ببيغا أرس ومماليك منجك حتى صاروا معهم رجاء لخلص أستاذيهم.

وشد الجميع خيولهم.

فلما دخل الأمراء لصلاة الجمعة اجتمع منكلي بغا بالنائب وجماعته وقرر معهم أن يطلبوا طاز وصرغتمش إلى عندهم في دار النيابة ويقبضوا عليهما.

فلما أتاهما الرسول من النائب يطلبهما أحسا بالشر وقاما ليتهيئا للحضور وصرفا الرسول على أنهما يكونان في أثره وبادرا إلى باب الدور ونحوه من الأبواب فأغلقاها واستدعا من معهم من المماليك السلطانية وغيرها ولبسوا السلاح.

ونزل صرغتمش بمن معه من باب السر ليمنع من يخرج من إسطبلات الأمراء.

ودخل طاز على السلطان الملك الصالح حتى يركب به للحرب فلقي الأمير صرغتمش في نزوله الأمير أيدغدي أمير آخور فلم يطق منعه وأخذ بعض الخيول من الاسطبل وخرج منه فوجد خيله وخيل من معه في انتظارهم.

فركبوا إلى الطبلخاناه فإذا طلب منكلي بغا مع ولده ومماليكه يريدون قبة النصر فألقوا ابن منكلي بغا عن فرسه وجرحوه في وجهه وقتلوا حامل الصنجق وشتتوا شمل الجميع.

فما استتم هذا حتى ظهر طلب مغلطاي مع مماليكه ولم يكن لهم علم بما وقع على طلب منكلي بغا فصدّمهم صرغتمش أيضًا بمن معه صدمة بددتهم وجرح جماعة منهم وهزم بقيتهم.

ثم عاد صرغتمش ليدرك الأمراء قبل نزولهم من القلعة وكانت خيولهم واقفة على باب السلسلة تنتظرهم فمال عليها صرغتمش لياخذها.

وامتدت أيدي أصحابه إليها وقتلوا الغلمان فعظم الصياح وانعقد الغبار وإذا بالنائب ومنكلي بغا ومغلطاي وبيغرا ومن معهم قد نزلوا وركبوا خيولهم وكانوا لما أبطأ عليهم حضور طاز وصرغتمش بعثوا في استحثاثهم فإذا الأبواب مغلقة والضجة داخل باب القلعة فقاموا من دار النيابة يريدون الركوب فما توسطوا بالقلعة حتى سمعوا ضجة الغلمان وصياحهم فأسرعوا إليهم وركبوا فشهر مغلطاي سيفه وهجم بمن معه على صرغتمش وممر النائب وبيغرا ورسالان بصل يريد كل منهم إسطبله.

فلم يكن غير ساعة حتى انكسر مغلطاي من صرغتمش كسرة قبيحة وجرح كثير من أصحابه وفر إلى جهة قبة النصر وهم في أثره وانهزم منكلي بغا أيضًا.

وكان طاز لما دخل على السلطان عرفه أن النائب والأمراء اتفقوا على إعادة الملك الناصر حسن إلى السلطنة فمال السلطان الملك الصالح إلى كلامه.

وقام معه في مماليكه ونزل إلى الإسطبل واستدعى بالخيول ليركب فقعد به أيدغدي أمير آخور واحتج بقلة السروج فإنه كان من حزب الأمراء والمماليك والأجناد من كل جهة حتى عظم جمعه فلم تغرب الشمس إلا والمدينة قد أغلقت وأمتلأت الرميلة بالعامه.

وسار طاز بالسلطان يريد قبة النصر حتى يعرف خبر صرغتمش فوافى قبة النصر بعد المغرب فوجد صرغتمش قد تمادى في طلب مغلطاي ومنكلي بغا حتى أظلم الليل فلم يشعر إلا بمملوك النائب قد أتاه برسالة النائب أن مغلطاي عنده في بيت آل ملك بالحسينية فبعث صرغتمش جماعة لأخذه.

ومر صرغتمش في طلب منكلي بغا فلقيه الأمير محمد بن بكتمر الحاجب وعرفه أن منكلي بغا نزل قريبًا من قناطر الأميرية ووقف يصلي وأن طلب الأمير مجد الدين موسى بن الهذباني قد جاء من جهة كوم الريش.

ولحق بالأمير منكلي بغا الأمير أرغون ألبكي في جماعة فقبض عليه وهو قائم يصلي وكتفوه بعمامته وأركبوه بعد ما نكلوا به.

فلم يكن غير قليل حتى أتوا به وبمغلطاي فقيدا وحيسا بخزانة شمائل ثم أخرجوا إلى الإسكندرية ومعهما ابنا منكلي بغا فسجنوا بها.

وأما صرغتمش فإنه لما فرغ من أمر مغلطاي ومنكلي بغا وقبض عليهما أقبل على السلطان بمن معه بقبة النصر وعرفه بمسك الأميرين فسر السلطان سرورًا كبيرًا ونزل هو والأمراء وباتوا بقية النصر.

وركب السلطان بكرة يوم السبت ثالث شهر رجب إلى قلعة الجبل وجلس بالإيوان وهنأوه بالسلامة والظفر.

وفي الحال كتب بإحضار الأمير شيخون وخرج جماعة من الأمراء بمماليكهم إلى لقائه.

ونزلت البشائر إلى بيت شيخون وبيت ببيغا أرس وبيت منجك اليوسفي الوزير فكان يومًا عظيمًا وبات الأمراء تلك الليلة على تخوف.

وأما شيخون لما ورد عليه الرسول بإطلاقه أولًا فإنه خرج من الإسكندرية وهو ضعيف وركب الحراقة وفرح أهل الإسكندرية لخلاصه.

وسافر فوافاه كتاب الأمير صرغتمش بأنه إذا أتاك أي دمر بناية حماة لا ترجع وأقبل إلى القاهرة فأنا وطاز معك فلما قرأ شيخون الكتاب تغير وجهه وعلم أنه قد حدث في أمره شيء.

فلم يكن غير ساعة حتى لاحت له حراقة أي دمر فمر شيخون وهو مقلع وأي دمر منحدر إلى أن تجاوزه وأي دمر يصيح ويشير بمنديله إليه فلا يلتفتون إليه.

فأمر أي دمر بأن تجهز مركبه بالقلع وترجع خلف شيخون فما تجهز قلع مركب أي دمر حتى قطع شيخون بلادًا كثيرة وصارت حراقتة تسير وأي دمر في أثرهم فلم يدركوه إلا بكرة يوم السبت.

فعندما طلع إليه أي دمر وعرفه ما رسم به من عوده إلى حماة وقرأ المرسوم الذي على يد أي دمر برجوعه إلى نياحة حماة وإذا بالخيل على البر يتبع بعضها بعضًا والمراكب قد ملأت وجه الماء تبادر لبشارته وإعلامه بما وقع من الركوب ومسك مغلطاي ومنكلي بغا فسر شيخون بذلك سرورًا عظيمًا وسار إلى أن أرسى بساحل بولاق في يوم الأحد رابع شهر رجب بعد أن مشت له الناس إلى منية الشيرج فلما رأوه صاحوا ودعوا له وتلقته المراكب وخرج الناس إلى الفرجة عليه حتى بلغ كراء المركب إلى مائة درهم وما وصلت الحراقة إلا وحولها فوق ألف مركب.

وركبت الأمراء إلى لقائه وزينت الصليبية وأشعلت الشموع وخرجت مشايخ الصوفية بصوفيتهم إلى لقائه فسار شيخون في موكب لم ير مثله لأمر قبله.

وسار حتى طلع القلعة وقبل الأرض بين يدي السلطان الملك الصالح فأقبل عليه السلطان وخلع عليه تشريرًا جليلاً وقلع عنه ثياب السجن وهي ملوطة طرح محرر.

ثم نزل إلى منزله والتهاني تتلقاه.

ودام الأمر على ذلك إلى يوم الأربعاء سابع شهر رجب حيث رسم بإخراج الأمير ببيغا أرس حارس طير نائب السلطنة بالديار المصرية والأمير بيغرا.

فنزل الحاجب إلى بيت آل ملك بالحسينية وبه كان سكن ببيغا المذكور وأخرج منه ليسير من مصر إلى نياحة غزة.

وأخرج بيغرا من الحمام إخراجًا عنيفًا ليتوجه إلى حلب فركبا من فورهما وسارا.

ثم رسم بإخراج الأمير أيدغددي الأمير آخور إلى طرابلس بطالًا.

وكتب بالإفراج عن المسجونين بالإسكندرية والكرك.

وفي يوم السبت عاشره ركب السلطان والأمراء إلى الميدان على العادة ولعب فيه بالكرة فكان يومًا مشهودًا.

ووقف الناس للسلطان في المار الضامن ورفعوا فيه مائة قصة فقبض عليه وضربه الوزير بالمقارع ضربًا مبرحًا وصادره وأخذ منه مالًا كثيرًا.

وفيه قبض على الأمير بيغا ططر المعروف بحارس طير نائب السلطنة المتوجه إلى نيابة غزة في طريقه وسجن بالإسكندرية.

▲ وفي يوم الأحد حادي عشره وصل الأمراء من سجن الإسكندرية

وهم سبعة نفر: منجك اليوسفي الوزير وفاضل أخو بيغا أرس وأحمد الساقى نائب صفد وعمر شاه الحاجب وأمير حسين التتري وولده والأمير محمد بن بكتمر الحاجب.

فركب الأمراء ومقدمهم الأمير طاز ومعه الخيول المجهزة لركوبهم حتى لقيهم وطلع بهم إلى القلعة فقبلوا الأرض وخلع السلطان عليهم.

ونزلوا إلى بيوتهم فامتلت القاهرة بالأفراج والتهاني.

ونزل الأمير شيخون والأمير طاز والأمير صرغتمش إلى اسطبلاتهم وبعثوا إلى الأمراء القاعدين من السجن التقادم السنية من الخيول والتعابي القماش والبسط وغيرهما فكان الذي بعثه شيخون لمنجك خمسة أفراس ومبلغ ألفي دينار وقس على هذا.

ثم في يوم الإثنين ثاني عشر شهر رجب خلع على الأمير قبلاي الحاجب وأستقر في نيابة السلطنة بالديار المصرية عوضًا عن بيغا ططر حارس طير.

وفي يوم الخميس خامس عشر شهر رجب قدم الأمير بيغا أرس من سجن الكرك فركب الأمراء إلى لقائه وطلع إلى السلطان وقبل الأرض وخلع عليه ونزل إلى بيته فلم يبق أحد من الأمراء حتى قدم له مقدمة تليق به.

ثم في يوم الإثنين تاسع عشره خلع على الأمير بيغا أرس وأستقر في نيابة حلب عوضًا عن أرغون الكاملي وأستقر أرغون الكاملي في نيابة الشام عوضًا عن أيتمش الناصري.

وخلع علي أحمد الساقى شاد الشراب خاناه كان بنيابة حماة عوضًا عن طنيرق ورسم لطنيرق أن يتوجه إلى حلب أمير طبلخانة بها ثم رسم بأن يكون بطالًا بدمشق.

وفي يوم الأحد ثالث شعبان سافر بيغا أرس وأحمد الساقى بعد أيام إلى محل كفالتهما.

وفيه سأل الأمير منجك الإعفاء عن أخذ الإمرة في نيابة صفد وأن يقعد بطالًا بجامعه فأجيب إلى ذلك بسفارة الأمير شيخون وأسترد أملاكه التي كان أنعم بها السلطان على المماليك والخدام والجواري ورسم ما تشعث من صهرجه وأستجد به خطبة.

ثم خلع السلطان على عمر شاه واستقر حاجب الحجاب عوضًا عن قبلاي المنتقل إلى نيابة السلطنة بديار مصر وأنعم على طشتمر القاسمي بتقدمة ألف واستقر حاجبًا ثانيًا وهي تقدمه بيغرا.

وفيهما أخرج جماعة من الأمراء وفرقوا بالبلاد الشامية وهم: الأمير طينال الجاشنكير وأقجا وفي يوم السبت تاسع شعبان وصل الملك المجاهد صاحب اليمن من سجن الكرك فخلع عليه من الغد ورسم له بالعود إلى بلاده من جهة عيذاب وبعث إليه الأمراء بتقادم كثيرة وتوجه إلى بلاده.

وكانت أمه قد رجعت من مكة إلى اليمن بعد مسكه وأقامت في مملكة اليمن ابنة الملك الصالح وكتبت إلى تجار الكارم توصيهم بابنها المجاهد وأن يقرضوه ما يحتاج إليه وختمت على أموالهم من صنف المتجر بعدن وتعز وزبيد.

فقدم قاصدها بعد أن قبض على المجاهد ثانيًا وسجن بالكرك بعد أن كان رسم له الملك الناصر حسن بالتوجه إلى بلاده لأمر بدا منه في حق السلطان في الطريق فكتب مسفره يعرف السلطان بذلك.

انتهى.

ثم في يوم الإثنين ثاني عشر شعبان وصل إلى القاهرة الأمير أيتمش الناصري المعزول عن نيابة الشام فقبض عليه من الغد.

ثم قدم الشريف ثقبه صاحب مكة في مستهل شهر رمضان بعد ما قدم قوده وقود أخيه عجلان فخلع السلطان عليه بإمرة مكة بمفرده.

واقترض ثقبه من الأمير طاز ألف دينار ومن الأمير شيخون عشرة آلاف درهم واقترض من التجار مالا كثيرًا واشترى الخيل والمماليك والسلاح واستخدم عدة أجناد.

ورسم بسفر الأمير حسام الدين لاجين العلاني مملوك آقبا الجاشنكير صحبته ليقلده إمرة مكة.

ثم سافر الأمير طيغا المجدي في خامس شوال بالحج والمحمل على العادة وسار الجميع إلى مكة ولم يعلم أحد خبر المجاهد صاحب اليمن حتى قدم مبشر الحافي في مستهل المحرم سنة ثلاث وخمسين وسبعمئة وأخبر بوصول الملك المجاهد إلى ممالك اليمن في ثامن عشر ذي الحجة من السنة الماضية وأنه استولى على مملكته.

وفي شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وخمسين وسبعمئة شرع الأمير طاز في عمارة قصره وإصطبله تجاه حمام المارقاني بجوار المدرسة البندقارية على الشارع وأدخل فيه عدة أملاك وتولى عمارته الأمير منجك وحمل إليه الأمراء وغيرهم من الرخام وآلات العمارة شيئًا كثيرًا.

وفيه شرع الأمير صرغتمش أيضًا في عمارة إسطبل الأمير بدرجك بجوار بئر الوطاويط قريبًا من الجامع الطولوني وحمل إليه الناس أيضًا شيئًا كثيرًا من آلات العمارة.

ثم خلع السلطان على الأمير صرغتمش المذكور وآستقر رأس نوبة كبيرًا في رتبة الأمير شيخون باختيار شيخون وجعل إليه التصرف في أمور الدولة كلها من الولاية والعزل والحكم ما عدا مال الخاص فإن الأمير شيخون يتحدث فيه.

فقصد الناس صرغتمش لقضاء أشغالهم وكثرت مهابته وعارض الأمراء في جميع أفعالهم.

وأراد صرغتمش ألا يعمل شيء إلا من بابه وبإشارته فإن تحدث غيره في عزل أو ولاية غضب وأبطل ما تحدث فيه وأخرق بصاحبه.

فأجمع الأمراء على استبداد السلطان بالتصرف وأن يكون ما يرسم به على لسان الأمير صرغتمش رأس نوبة.

فطال صرغتمش وأستطال وعظم ترفعه على الناس فتنكرت له الأمراء وكثرت الأراجيف بوقوع فتنة وإعادة الملك الناصر حسن ومسك شيخون أو طاز وانفراد صرغتمش بالكلمة وصاروا الأمراء على تحرز وأستعداد فأخذ صرغتمش في التبرؤ مما رمي به وحلف للأمير شيخون وللأمير طاز فلم يصدقه طاز وهم به فقام شيخون بينهما قيامًا كبيرًا حتى أصلح بينهما وأشار على طاز بالركوب إلى عمارة صرغتمش فركب إليه وتصافيا.

وفي هذه الأيام من سنة ثلاث وخمسين رتب الأمير شيخون في الجامع الذي أنشأه العلامة أكمل الدين محمد الرومي الحنفي مدرسًا وجعل خطيبه جمال الدين خليل بن عثمان الرومي الحنفي وجعل به درسًا للمالكية أيضًا وولى تدريسه نور الدين السخاوي المالكي وقرر له ثلاثمائة درهم كل شهر ورتب به قراء ومؤذنين وغير ذلك من أرباب الوظائف وقرر لهم معاليم بلغت في الشهر ثلاثة آلاف درهم.

قلت: ذلك قبل أن تبنى الخانقاه تجاه الجامع المذكور.

وفي عاشر جمادى الآخرة خلع السلطان على الأمير شيخون العمري واستقر رأس نوبة كبيرًا عوضًا عن صرغتمش لأمر اقتضى ذلك.

وعند لبس شيخون الخلعة قدم عليه الخبر بولادة بعض سراريه ولدًا ذكرًا فسر به سرورًا زائدًا فإنه لم يكن له ولد ذكر.

وفي هذه الأيام ادعى رجل بالقاهرة النبوة وأن معجزته أن ينكح امرأة فتلد من وقتها ولدًا ذكرًا يخبر بصحة نبوته فقال بعض من حضر: إنك لبئس النبي فقال: لكونكم بئس الأمة فضحك الناس من قوله فحبس وكشف عن أمره فوجدوا له نحو اثني عشر يومًا من حين خرج من عند المجانين.

وفي يوم الأربعاء عاشر شهر رجب قدم كتاب الأمير أرغون الكاملي نائب الشام يتضمن أنه قبض على قاصد الأمير منجك الوزير بكتابه إلى أخيه بيغا أرس نائب حلب يحسن له الحركة والعصيان.

وأرسل الكتاب وإذا فيه أنه أتفق مع سائر الأمراء وما بقي إلا أن يركب ويتحرك.

فآقتضى الرأي الثاني حتى يحضر الأمراء والنائب إلى الخدمة من الغد ويقرأ الكتاب عليهم ليدبروا الأمر على ما يقع عليه الاتفاق.

فلما طلع الجماعة من الغد إلى الخدمة لم يحضر منجك فطلب فلم يوجد وذكر حواشيه أنهم من عشاء الآخرة لم يعرفوا خبره.

فركب الأمير صرغتمش في عدة من الأمراء وكبس بيوت جماعته فلم يقع له على خير وتفقدوا مماليكه ففقد منهم اثنان فنودي عليه في القاهرة وهدد من أخفاه وأخرج عيسى بن حسن الهجان في جماعة من عرب العائذ على النجب لأخذ الطرقات عليه وكتب إلى العريان ونواب الشام وولاة الأعمال على أجنحة الطيور بتحصيله فلم يقدرُوا عليه وكبست بيوت كثيرة.

ثم في يوم الأربعاء رابع عشرين شهر رجب قدم الخبر بعصيان الأمير أحمد الساقى نائب حماة وبعصيان الأمير بكلمش نائب طرابلس.

وفي يوم السبت سابع عشرينه كتب بإحضار الأمير ببيغا أرس نائب حلب إلى الديار المصرية وكتب ملطفات لأمرء حلب تتضمن أنه: إن أمتنع من الحضور فهو معزول ورسم لحامل الكتاب أن يعلم ببيغا أرس بذلك مشافهة بحضرة أمراء حلب.

فقدم البريد من الشام بموافقة ابن دلغادر لبيغا أرس وأنه تسلطن بحلب وتلقب بالملك العادل وأنه يريد مصر لأخذ غرمائه وهم طاز وشيخون وصرغتمش وبزلار وأرغون الكاملي نائب الشام.

فلما بلغ ذلك السلطان والأمراء رسم للنائب ببيغا ططر حارس الطير بعرض أجناد الحلقة وتعيين مضافيهم من عبدة أربعمئة دينار الإقطاع فما فوقها ليسافروا.

ثم قدم البريد بأن قراجا بن دلغادر قدم حلب في جمع كبير من التركمان فركب ببيغا أرس وتلقاه وقد واعد نائب حماة وطرابلس على مسيره أول شعبان إلى نحو الديار المصرية وأنهم يلقوه على الرستن.

فأمر السلطان الأمير طقطاي الدوادر بالخروج إلى الشام على البريد وعلى يده ملطفات لجميع أمراء حلب وحماة وطرابلس فسار طقطاي حتى وصل دمشق وبعث بالملطفات إلى أصحابها فوجد أمر ببيغا أرس قد قوي ووافق النواب والعساكر وابن دلغادر بتركمانه وحيار بن مهنا بعربانه.

فكتب نائب الشام بأن سفر السلطان لا بد منه وإلا خرج عنكم الشام جميعه.

فاتفق رأي أمراء مصر على ذلك وطلب السلطان الوزير علم الدين عبد الله بن زنبور ورسم له بتهيئة بيوت السلطان وتجهيز الإقامات في المنازل فذكر أنه ما عنده مال لذلك فرسم له بقرض ما يحتاج إليه من التجار فطلب تجار الكارم وباعهم غللاً من الأهرام بالسعر الحاضر وعدة أصناف آخر وكتب لمغلطاي بالإسكندرية وأخذ منه أربعمئة ألف درهم وأخذ من النائب مائة ألف درهم قرصاً ومن الأمير بلبان الأستادار مائة ألف درهم فلم يمض أسبوع حتى جهز الوزير جميع ما يحتاج إليه السلطان.

وخرج الأمير طاز في يوم الخميس ثالث شعبان ومعه الأمير بزلار والأمير كلتاي والأمير فارس الدين البكي.

ثم خرج الأمير طيغا المجدي وابن أرغون النائب وكلاهما مقدم ألف في يوم السبت خامس شعبان.

وخرج الأمير شيخون العمري في يوم الأحد سادسه بتجمل عظيم.

فبينما الناس في التفرج على طلبه إذ قيل قبض على منجك اليوسفي.

وهو أن الأمير طاز لما رحل ووصل إلى بلبس قيل له: إن بعض أصحاب منجك صحية شاورشي مملوك قوصون فطلبهما الأمير طاز وفحص عن أمرهما فراه أمرهما فأمر بالرجل ففتش فإذا معه كتاب منجك لأخيه ببيغا أرس يتضمن أنه قد فعل كل ما يختاره وجهد أمره مع الأمراء كلهم وأنه أخفى نفسه وأقام عند شاورشي أيامًا ثم خرج من عنده إلى بيت الحسام الصقري أستاذاره وهو مقيم حتى يعرف خبره وهو يستحثه على الخروج من حلب.

فبعث به طاز إلى الأمير شيخون فوافى الأطلاب خارجة فطلب شيخون الحسام الصقري وسأله فأنكر فأخذه الأمير صرغتمش وعاقبه.

ثم ركب إلى بيته بجوار الجامع الأزهر وهجمه فإذا منجك ومملوكه فأخذه صرغتمش وأركبه مكتوف اليدين إلى القلعة فسير من وقته إلى الإسكندرية فحبس بها.

ثم ركب السلطان الملك الصالح من قلعة الجبل في يوم الإثنين سابع شعبان في بقية الأمراء والخاصكية ونزل إلى الريدانية خارج القاهرة وخلع على الأمير قبلاي باستقراره نائب الغيبة ورتب أمير علي المارديني أن يقيم بالقلعة ومعه الأمير كشلي السلاح دار ليقما داخل باب القلعة ويكون على باب القلعة الأمير أرنان والأمير قطلوبغا الذهبي ورتب الأمير مجد الدين موسى الهذباني مع والي مصر لحفظ مصر.

ثم استقل السلطان بالمسير من الريدانية في يوم الثلاثاء بعد الظهر.

وقدم البريد بأن الأمير مغلطاي الدوادار خرج من دمشق يريد مصر وأن الأمير أرغون الكاملي نائب الشام لما بلغه خروج ببيغا أرس بمن اجتمع معه من العساكر عزم على لقائه فبلغه مخامرة أكثر أمراء دمشق فاحترس على نفسه وصار يجلس بالميدان وهو لابس آلة الحرب.

ثم اقتضى رأي الأمير مسعود بن خطير أن النائب لا يلقي القوم وأنه ينادي بالعرض للنفقة في منزلة الكسوة ويركب إليها فإذا خرج العسكر إليه بمنزلة الكسوة منعهم من عبورهم إلى دمشق وسار بهم إلى الرملة في انتظار قدوم السلطان وأنه استصوب ذلك وفعله وأنه مقيم بعسكر دمشق على الرملة وأن الأمير الطنبا برناق نائب صفد سار إلى ببيغا أرس وأن ببيغا أرس سار من حلب إلى حماة واجتمع مع نائبها أحمد الساقى وبكلمش نائب طرابلس وسار بهم إلى حمص وعند نزوله على حمص وصل إليه مملوكا الأمير أرقطاي بكتاب السلطان ليحضر فقبض عليهما وقيدهما وسار يريد دمشق فبلغه مسير السلطان واشتهر ذلك في عسكره وأنه عزل عن نيابة حلب فانحلت عزائم كثير ممن معه من المقاتلة وأخذ ببيغا أرس في الاحتفاظ بهم والتحرز منهم إلى أن قدم دمشق يوم الخميس خامس عشرين شهر رجب فإذا أبواب المدينة مغلقة والقلعة محصنة.

فبعث ببيغا أرس إلى الأمير إياجي نائب قلعتها يأمره بالإفراج عن قردم وأن يفتح أبواب المدينة ففتح أبواب المدينة ولم يفرج عن قردم.

فركب الأمير أحمد الساقى نائب حماة وبكلمش نائب طرابلس من الغد ليغيرا على الضياع فوافى بعض عسكر ببيغا أرس نجابًا يخبر بمسك منجك ومسير السلطان من خارج القاهرة.

وعاد أحمد وبكلمش في يوم الإثنين رابع عشر شعبان وقد نزل طاز بمن معه المزيرب فارتج عسكر ببيغا أرس وتواعد قراجا بن دلغادر وحيار بن مهنا على الرحيل فما غربت الشمس إلا وقد خرجا بأثقالهما وأصحابهما وسارا.

فخرج ببيغا أرس في أثرهما فلم يحركهما وعاد بكرة يوم الثلاثاء فلم يستقر قراره حتى دقت البشائر بقلعة دمشق بأن الأمير طاز والأمير أرغون الكاملي نائب دمشق وأفيا دمشق وأن الأمير شيخون والسلطان ساقه فبهت ببيغا أرس وتفرق عنه من كان معه فركب عائداً إلى حلب في تاسع عشر شعبان فكانت إقامته بدمشق أربعة وعشرين يوماً أفسد أصحابه بدمشق فيها مفاسد وقبائح من النهب والسبي والحريق والغارات على الضياع من حلب إلى دمشق وفعلوا كما فعل التتار أصحاب قازان وغيره.

فبعث السلطان الأمير أسندمر العلاني إلى القاهرة بالبشارة فقدمها يوم الجمعة خامس عشرين شعبان ودقت البشائر لذلك وزينت القاهرة.

وأما السلطان الملك الصالح فإنه التقى مع الأمير أرغون شاه الكاملي نائب الشام على بدعريش من عمل غزة وقد تأخر معه الأمير طاز بمن معه فدخلوا غزة وخلع السلطان على أرغون المذكور باستمراره في نيابة دمشق وأنعم عليه بأربعمئة ألف درهم وأنعم على أمير مسعود بن خطير بالف دينار وعلى كل أمراء دمشق كل واحد قدر رتبته فكان جملة ما أنفق السلطان وتقدم الأمير شيخون والأمير طاز والأمير أرغون نائب الشام إلى دمشق وتأخر الأمير صرغتمش صحبة السلطان ليدبر العسكر.

ثم تبعهم السلطان إلى دمشق فدخلها في يوم الخميس مستهل شهر رمضان وخرج الناس إلى لقائه وزينت مدينة دمشق فكان لدخوله يوم مشهود.

ونزل السلطان بقلعة دمشق ثم ركب منها في الغد يوم الجمعة ثانيه إلى الجامع الأموي في موكب جليل حتى صلى به الجمعة.

وكان الأمراء قد مضوا في طلب ببيغا أرس.

وأما ببيغا أرس فإنه قدم إلى حلب في تاسع عشرين شعبان وقد حفرت خنادق تجاه أبواب حلب وغلقت.

وامتنعت القلعة عليه ورمته بالحجارة والمجانيق وتبعهم الرجال من فوق الأسوار بالرمي عليه وصاحوا عليه فبات تلك الليلة بمن معه وركب في يوم الخميس مستهل شهر رمضان للزحف على مدينة حلب وإذا بصياح عظيم والبشائر تحق في القلعة وهم يصيحون يا منافقون العسكر وصل.

فالتفت بمن معه فإذا صنابق على جبل جوشن فانهزموا عند ذلك بأجمعهم إلى نحو البرية.

ولم يكن ما رأوه على جبل جوشن عسكر السلطان ولكنه جماعة من جند حلب وعسكر طرابلس كانوا مختفين من عسكر ببيغا أرس عند خروجه من دمشق فساروا في أعقابهم يريدون الكبسة على ببيغا أرس وتعبوا على جبل جوشن فعندما رأهم ببيغا لم يشك أنهم عسكر السلطان فانهزم.

وكان أهل بانقوسا قد وافقوهم وتقدموا عنهم فمسكوا المضايق على ببيغا وأدركهم العسكر المذكور من خلفهم فتمزق عساكر ببيغا أرس وقد انعقد عليهم الغبار حتى لم

يمكن أحد أن ينظر رفيقه فأخذهم العرب وأهل حلب قبصًا باليد ونهبوا الخزائن والأثقال وسلبوهم ما عليهم من آلة الحرب وغيره.

ونجا ببيغا أرس بنفسه بعد أن امتلأت الأيدي بنهب ما كان معه وهو شيء يجلب عن الوصف.

وتتبع أهل حلب أمراءه ومماليكه وأخرجوهم من عدة مواضع فظفروا بكثير منهم فيهم أخوه الأمير فاضل والأمير الطنبغا العلائي شاد الشراب خاناه وألطنبغا برناق نائب صفد وملكتمر السعيدي وشادي أخو نائب حماة وطبيغا حلاوة الأوجاقي وابن أيدغدي الزراق ومهدي شاد الدواوين بحلب وأسنباي قريب ابن دلغادر وبهادر الجاموس وقليج أرسلان أستاذار ببيغا أرس ومائة مملوك من مماليك الأمراء فقيدوا الجميع وسجنوا.

وتوجه مع الأمير ببيغا أرس أحمد الساقى نائب حماة وبكلمش نائب طرابلس وطلشتمر القاسمي نائب الرحبة وأقبغا البالسي وطيدمر وجماعة أخر تبلغ عدتهم نحو مائة وستة عشر نفرًا.

ثم دخل الأمراء حلب وأخذوا أموال ببيغا أرس وكتبوا إلى قراجا بن دلغادر بالعفو عن أمير أحمد نائب حماة والقبض على ببيغا أرس ومن معه فأجاب بأنه ينتظر في القبض عليه مرسوم السلطان وقد نزل ببيغا أرس عنده.

وسأل إرسال أمان لببيغا أرس وأنه مستمر على إمرته فجهز له ذلك فأمتنع من تسليمه فطلب الأمراء رمضان من أمراء التركمان وخلع عليه بإمرة قراجا بن دلغادر وإقطاعه.

وعاد الأمراء من حلب واستقر بها الأمير أرغون الكاملي نائب الشام وعاد الجميع إلى دمشق ومعهم الأمراء المقبوض عليهم في يوم الجمعة سلخ شهر رمضان.

وصفوا العيد بدمشق مع السلطان الملك الصالح صالح.

وأقاموا إلى يوم الإثنين ثالث شوال فجلس السلطان بطارمة قلعة دمشق وأخرج الأمراء المسجونون في الحديد ونودي عليهم: أهذا جزاء من يخامر على السلطان ويخون الأيمان.

ووسطوهم واحدًا بعد واحد وقد تقدم ذكر أسمائهم عند القبض عليهم فوسط الجميع ما خلا ملكتمر السعيدي فإنه أعيد إلى السجن.

وخلع السلطان على أيتمش الناصري واستقر في نيابة طرابلس عوضًا عن بكلمش السلاح دار.

وخلع على طنيرق بنياية حماة عوضًا عن أحمد الساقى وعلى الأمير شهاب الدين أحمد بن صبيح بنياية صفد عوضًا عن الطنبغا برناق.

ثم صلى السلطان صلاة الجمعة بالجامع الأموي وهو سابع شوال وخرج من دمشق يريد الديار المصرية بأمرائه وعساكره فكانت مدة إقامته بدمشق سبعة وثلاثين يومًا.

وسار حتى وصل القاهرة في يوم الثلاثاء خامس عشرين شوال من سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ومشى بفرسه على الشقق الحرير التي فرشت له بعد أن خرج الناس إلى لقائه والتفرج عليه فكان لدخوله القاهرة أمر عظيم لم يتفق ذلك لأحد من إخوته.

وعندما طلع إلى القلعة تلقته أمه وجواريه ونثروا على رأسه الذهب والفضة بعد أن فرشت له طريقه أيضًا بالشقاق الأطلس الملونة والتهاني تزفه ولم يبق بيت من بيوت الأمراء إلا وفيه الأفراح والتهاني.

وفي قدوم السلطان الملك الصالح يقول العلامة شهاب الدين أحمد بن أبي حجلة التلمساني الحنفي تغمده الله برحمته: الصالح الملك المعظم قدره تطوى له أرض البعيد النازح لا تعجبوا من طيها في سيره فالأرض تطوى دائمًا للصالح ثم عمل السلطان عدة مهمات بالقلعة والقصر السلطاني وخلع على جميع الأمراء وأرباب الوظائف.

ثم قبض على الوزير علم الدين عبد الله بن أحمد بن زنبور وهو بخلعته قريب المغرب.

وسبب ذلك أنه لما فرقت التشاريف على الأمراء غلط الذي أخذ تشاريف الأمير صرغتمش ودخل إليه بتشاريف الأمير بلبان السناني الأستاذار فلما رآه صرغتمش تحرك ما عنده من الأحقاد على ابن زنبور المذكور وتنفر غضبًا وقام من فوره ودخل إلى الأمير شيخون وألقى البقجة قدامه وقال: انظر فعل الوزير معي وحل الشاش وكشف التشاريف.

فقال شيخون: هذا وقع فيه الغلط: فقام صرغتمش وقد أخذه من الغضب شبه الجنون وقال: أنا ما أرضى بالهوان ولا بد من القبض عليه ومهما شئت فافعل بي.

وخرج فصادف ابن زنبور داخلًا إلى شيخون وعليه الخلعة فصاح في مماليكه خذوه.

ففي الحال نزعوا عنه الخلعة وجروه إلى بيت صرغتمش فسجنه في موضع مظلم من داره وعزل عنه ابنه رزق الله في موضع آخر.

وكان قبل دخوله إلى شيخون رتب عدة مماليك على باب خزانة الخاص وباب النحاس وباب القلعة وباب القرافة وغيره من المواضع وأوصاهم بالقبض على حاشية ابن زنبور وجميع الكتاب بحيث لا يدعوا أحدًا منهم يخرج من القلعة.

فعندما قبض على ابن زنبور ارتجت القلعة وخرجت الكتاب فقبضت مماليك صرغتمش عليهم كلهم حتى على شهود الخزانة وكتابها وكتاب الأمراء الذين بالقلعة.

واختلطت الطماعة بمماليك صرغتمش وصاروا يقبضون على الكاتب ويمضون به إلى مكان ليعروه ثيابه فإن أحترموا أخذوا مهمازه من رجله وخاتمه من إصبعه أو يفتدي نفسه منهم بمال يدفعه لهم حتى يطلقوه وفيهم من اختفى عند الغلمان فقرروا عليه مالا واسترهنوا دواته بحيث إن بعض غلمان أمير حسين أخي السلطان جمع ست عشرة دواة من ستة عشر كاتبًا وأصبح يجبيهم ويدفع لهم أدويتهم.

وذهب من الفرشيات والعمائم والمناديل شيء كثير.

وساعة القبض على ابن زنبور بعث الأمير صرغتمش الأمير جرجي والأمير قشتمر في عدة من المماليك إلى دور ابن زنبور بالصناعة بمدينة مصر وأوقفوا الحوطة على حريمه وختموا بيوته وبيوت أصهاره وكانت حرمهم في الفرخ وعليهن الحلي والحلل وعندهن معارفهن.

فسلب المماليك كثيرًا من النساء اللاتي كن في الفرخ ووقفوا حتى مكنوهن من الخروج إلى دورهن فخرج عامة نساء ابن زنبور وبناته ولم تبق إلا زوجته فوكل بها وكتب إلى ولاة

الأعمال بالوجه القبلي والوجه البحري بالحوطة على ماله وزراعته وماله من القنود والدوايب وغيرها وخرج لذلك عدة من مقدمي الحلقة وتوجه الحسام العلائي إلى بلاد الشام ليقوع الحوطة على أمواله.

وأصبح الأمير صرغتمش يوم السبت ثامن عشرين شوال فأخرج ابن الوزير ابن زنبور رزق الله بكرة وهدده ونزل به من داره من القلعة إلى بيته وأخذ زوجة ابن زنبور أيضًا وهددها وألقى ابنها رزق الله إلى الأرض ليضربه فلم تصبر ودلته على موضع المال فأخذ منه خمسة عشر ألف دينار وخمسين ألف درهم وأخرج من بئر صندوقًا فيه ستة آلاف دينار ومصاغ ووجد له عند الصارم مشد العمائر ستة آلاف دينار ومائة وخمسين ألف درهم سوى التحف والتفاصيل وثياب الصوف وغير ذلك.

وألزم محمد ابن الكوراني والي مصر بتحصيل بنات ابن زنبور فنودي عليهن ونقل ما في دور صهري ابن زنبور وسلمًا لشاد الدواوين وعاد صرغتمش إلى القلعة.

فطلب السلطان جميع الكتاب وعرضهم فعين موفق الدين هبة الله ابن إبراهيم للوزارة وبدر الدين كاتب يلبغا لنظر الخاص وتاج الدين أحمد بن الصاحب أمين الملك عبد الله بن الغنام لنظر الجيش وأخاه كريم الدين لنظر البيوت وابن السعيد لنظر الدولة وقشتمر مملوك طقزدمر لشاد الدواوين.

وفي يوم الأحد تاسع عشرين شوال خلع على الجميع وأقبل الناس إلى باب صرغتمش للسعي في الوظائف فولى الأسعد حربة آستيفاء الدولة وولى كريم الدين أكرم ابن شيخ ديوان الجيش.

وسلم الأمير صرغتمش المقبوض عليهم لشاد الدواوين وهم: الفخر ابن قروينة ناظر البيوت والفخر بن مليحة ناظر المجيزة والفخر مستوفي الصحة والفخر بن الرضي كاتب الإسطبل وابن معتوق كاتب الجهات وطلب التاج بن لفينة ناظر المتجر وناظر المطبخ وهو خال ابن زنبور فلم يوجد وكبست بسببه عدة بيوت حتى أخذ.

وصار الأمير صرغتمش ينزل ومعه ناظر الخاص وشهود الخزانة وينقل حواصل ابن زنبور من مصر إلى حارة زويلة فأعياهم كثرة ما وجدوه له وتتبع حواشي ابن زنبور وهجمت دور كثيرة بسببهم.

ثم في مستهل ذي القعدة نزل الأمير صرغتمش إلى بيت ابن زنبور بالصناعة وهدم منه ركنًا فوجد فيه خمسة وستين ألف دينار حملها إلى القلعة وطلب ابن زنبور وضربه عريانًا فلم يعترف بشيء فنزل إلى بيته وضرب ابنه الصغير وأمه تراه في عدة أيام حتى أسمعته كلامًا جافيًا فأمر بها فعصرت.

وأخذ ناظر الخاص في كشف حواصل ابن زنبور بمصر فوجد له من الزيت والشيرج والنحاس والرصاص والكبريت والعكر والبقم والقند والعسل وسائر أصناف المتجر ما أذهله فشرع في بيع ذلك كله.

هذا والأمير صرغتمش ينزل بنفسه وينقل قماش ابن زنبور وأثاثه إلى حارة زويلة ليكون ذخيرة للسلطان فبلغت عدة الحمالين الذين حملوا النصافي والأواني الذهب والفضة والبلور والصيني والكتب والملابس الرجالية والنسائية والزراکش واللائي والبسط الحرير والمقاعد ثمانمائة حمال سوى ما حمل على البغال.

وكان ما وجد له من أواني الذهب والفضة ستين قنطارًا ومن الجواهر ستين رطلًا ومن اللؤلؤ الكبار إردبين ومن الذهب الهرجة مائتي ألف دينار وأربعة آلاف دينار وقيل ألف ألف دينار ومن الحوائص الذهب ستة آلاف حياصة ومن الكلفتاة الزركش ستة آلاف كلفتاه ومن ملابسه عدة ألفين وستمئة فرجية ومن البسط ستة آلاف بساط ومن الشاشات ثلاثمئة شاش ووجد له من الخيل والبغال ألف رأس ودواب حلبة ستة آلاف رأس ومن معاصر السكر خمس وعشرون معصرة ومن الإقطاعات سبعمائة إقطاع كل إقطاع متحصله خمسة وعشرون ألف درهم في السنة ووجد له مائة عبد وستون طواشيًا وسبعمائة جارية وسبعمائة مركب في النيل وأملاك قومت بثلاثمئة ألف دينار ورخام بمائتي ألف درهم ونحاس بأربعة آلاف دينار وسروج وبدلات عدة خمسمائة ووجد له أثنان وثلاثون مخزنًا فيها من أصناف المتجر ما قيمته أربعمئة ألف دينار ووجد له سبعة آلاف نطع وخمسمائة حمار ومائتا بستان وألف وأربعمائة ساقية وذلك سوى ما نهب وما أختلس على أن موجوده بيع بنصف قيمته.

ووجد في حاصل بيت المال مبلغ مائة ألف وستون ألف درهم وبالأهراء نحو عشرين ألف إردب: وهذا الذي ذكرناه محرر عن الثقات.

وأما غيرنا فذكر له أشياء كثيرة جدًا أضربنا عن ذكرها خوف المجازفة.

وكان ابتداء أمر ابن زنبور أنه باشر في آستيفاء الوجه القبلي فنهض فيه وشكرت سيرته إلى أن عرض الملك الناصر محمد بن قلاوون الكتاب ليختار منهم من يوليه كاتب الإسطبل وكان ابن زنبور هذا من جملتهم وهو شاب فأنى عليه الفخر ناظر الجيش وساعده الأكوز والنشو فولى كاتب الإسطبل عوضًا عن ابن الجيعان فنالته فيها السعادة.

وأعجب به السلطان لفطنته فدام على ذلك حتى مات الناصر فأستقر مستوفي الصحة ثم أنتقل عنها إلى نظر الدولة.

ثم ولي نظر الخاص بعناية الأمير أرغون العلاني ثم أضيف إليه نظر الجيش وجمع بعد مدة إليهما الوزارة ولم تتفق لأحد قبله هذه الوظائف.

قلت: ولا بعده إلى يومنا هذا أعني لواحد في وقت واحد.

وعظم في الدولة ونالته السعادة حتى إنه كان يخلع عليه في ساعة واحدة ثلاث خلع ويخرج له ثلاث أفراس ونفدت كلمته وقويت مهابته وأتجر في جميع الأصناف حتى في الملح والكبريت.

ولما صار في هذه الرتبة كثرت حساده وسعوا فيه عند صرغتمش وأغروه به حتى كان من أمره ما كان.

وكان يقوم بكلف شيخون جميعها من ماله وصار صرغتمش يسمع شيخون بسببه الكلام ويقول: لو مكنتني منه أخذت منه للسلطان ما هو كيت وكيت وشيخون يعتذر له ويقول: لا يوجد من يسد مسده وإن كان ولا بد يقرر عليه مال ويستمر على وظائفه وبينما هم في ذلك قدم الخبر بعصيان ببيغا أرس فاشتغل صرغتمش عنه حتى سافروا وعادوا إلى القاهرة ووقع من أمر الخلعة ما حكيناها.

ثم انتدب جماعة بعد مسكه للسعي في هلاكه وأشاعوا أنه باق على دين النصرانية وأثبتوا في ذهن صرغتمش ذلك وأنه لما دخل إلى القدس في سيرته هذه بدأ في زيارته بالقمامة فقبل عتبتها وتعبد فيها ثم خرج إلى المسجد الأقصى فأراق الماء في بابه ولم

يصل فيه وتصدق على النصارى ولم يتصدق على غيرهم ورتبوا فتاوى أنه آرتد عن دين الإسلام.

وكان أجل من قام عليه الشريف شرف الدين نقيب الأشراف والشريف أبو العباس الصفراوي وبدر الدين ناظر الخاص والصواف تاجر الأمير صرغتمش وأشهد عليه أن جميع ما يملكه إنما هو للسلطان من مال بيت المال دون ماله.

ثم حسنوا لصرغتمش ضربه فأمر به فأخرج وفي عنقه باشة وجنزير وضرب عريانًا قدام باب قاعة الصاحب من القلعة.

ثم أعيد إلى موضعه وعصر وسقي الماء والملح.

ثم سلم لشاد الدواوين وأمر بقتله فنوع عليه أنواع العذاب فتكلم الأمير شيخون في عدم قتله فأمسك عنه ورتب له الأكل والشرب وغيرت عنه ثيابه ونقل من قاعة الصاحب إلى بيت صرغتمش واستمر على ذلك إلى أن أخرج إلى قوص منفيًا ومات بها بعد أن أخذ سائر موجوده وأخذ منه ومن حواشيه فوق الألفي ألف دينار.

انتهى.

وأما

▲ أمر الديار المصرية

فإنه لما كان يوم الإثنين ثامن عشرين ذي الحجة قدم البريد من حلب بأخذ أحمد الساقى نائب حماة وبكلمش نائب طرابلس من عند ابن دلغادر وسجنا بقلعة حلب فأمر السلطان إلى نائب حلب بخلعه.

وفي هذه الأيام توفي الخليفة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بعد أن عهد لأخيه أبي بكر فطلب أبو بكر وخلع عليه خلعة الخلافة بحضرة السلطان والأمير شيخون ولقب بالمعتضد بالله أبي بكر.

يأتي ذكره في الوفيات على عادة هذا الكتاب.

وقد ذكرناه في المنهل الصافي بأوسع مما يأتي ذكره فيه وأيضًا في مختصرنا المنعوت: " بمورد اللطافة في ذكر من ولي السلطنة والخلافة ".

وأما أمر ببيغا أرس فإنه لما أرسل قراجا بن دلغادر أحمد الساقى نائب حماة وبكلمش نائب طرابلس إلى حلب في القيود واعتقلا بقلعة حلب حسب ما ذكرناه فكان ذلك آخر العهد بهما.

ثم أرسل قراجا المذكور ببيغا أرس بعد أيام في محرم سنة أربع وخمسين وسبعمائة فاعتقل بقلعة حلب وكان ذلك آخر العهد به.

أيضًا.

رحمه الله.

وقيل: إنه ما حضر إلى حلب إلا رؤوسهم.

والله أعلم.

وفي بيغا أرس يقول الأديب زين الدين عبد الرحمن بن الخضر السنجاري الحلبي - رحمه الله - أبياتًا منها: بغى بيغا بغى الممالك عنوة وما كان في الأمر المراد موفقًا أغار على الشقراء في قيد جهله لكي يركب الشهباء في الفلك مطلقًا فلما علا في ظهرها كان راكبًا علي أدهم لكنه كان موثقًا ثم رسم السلطان الملك الصالح صالح أن يقر أهل الذمة على ما أقرهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عليه من ترك تشبههم بالمسلمين في أمر من الأمور وترك ركوب الخيل وحمل السلاح ورفع أصواتهم على أصوات المسلمين وأشباه ذلك.

ثم رسم بنفي الأمير منجك اليوسفي الوزير كان إلى صفد بطالًا.

وفي هذه السنة أعني سنة أربع وخمسين وسبعمئة انتهت عمارة الأمير سيف الدين طاز التي تجاه حمام المارقاني فعمل طاز وليمة وعزم على السلطان والأمراء ومد سماطًا عظيمًا.

ولما انتهى السماط وعزم السلطان على الركوب قدم له أربعة رؤس من الخيل بسروج ذهب وكنابيش زركش وقدم للأمير سيف الدين شيخون فرسين ولصرغتمش فرسين ولسائر الأمراء المقدمين كل واحد فرسًا ولم يعهد قبل ذلك أن سلطانًا نزل إلى بيت بعض الأمراء بعد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلا هذا.

وحج بالناس في هذه السنة الأمير ركن الدين عمرشاه الحاجب صاحب القنطرة خارج القاهرة.

ثم استهلّت سنة خمس وخمسين وسبعمئة فكان فيها الواقعة والفتنة بين حاشية طاز وبين صرغتمش.

والسبب لهذه الحركة أن الأمير صرغتمش كان يخاف من طاز ويغض منه وكذلك كان طاز يغض من صرغتمش وكان طاز يدخل على شيخون مرارًا عديدة بمسك صرغتمش وكان شيخون يكره الفتن والفساد وقصده الصلاح للأمور بكل ما يمكن فكان شيخون يعده ويصبره.

وكان صرغتمش أيضًا يخاف شر طاز ويقول لشيخون: هذا ما يريد إلا هلاكي فكان شيخون يطمئنه على نفسه وبعده بكل خير.

وكان أخوه طاز وحواشيه تحرضه على صرغتمش وعلى إثارة الفتنة.

وقوي أمر طاز وإخوته وخرج عن الحد وهم الأمير جنتمر وكلتاي وصهره طقطاي فهؤلاء الذين كانوا يحركون طاز على قيام الفتنة ومسك صرغتمش ليستبد طاز بالأمر وحده ويكونوا هم عظماء الدولة وشيخون يعلم بذلك ويسكنهم ويرجعهم عن قصدهم وطاز يستحي من شيخون.

وطال الأمر إلى أن اتفق طاز مع إخوته المذكورين وغيرهم من مماليكه وأصحابه أنه يخرج هو إلى الصيد فإذا غاب عن المدينة يركب هؤلاء على صرغتمش ومن يلوذ به وبمسكونه في غيبته فيكون بغية طاز له عذر عند شيخون من حيائه منه فلما خرج طاز إلى الصيد بالبحيرة بإذن الأمير شيخون له وما عند شيخون علم من هذا الاتفاق رتب حاشية طاز وإخوته ومن يلوذ به أمرهم واجتمعوا ولبسوا السلاح وركبوا على صرغتمش

فلما سمع شيخون بذلك أمر مماليكه أن يركبوا بالسلاح وكانوا مقدار سبعمائة مملوك فركبوا.

وركب الأمير صرغتمش ومن يلوذ به.

ووقع الحرب بينهم وبين إخوة طاز وتقاتلا فانكسر إخوة طاز وقبض عليهم وعلي أكبر مماليك طاز وجواشيه فهربت البقية فدخل صرغتمش هو ومن بقي من أكابر الأمراء إلى شيخون وقالوا: " لا بد من خلع الملك الصالح صالح وإعادة الملك الناصر حسن إلى السلطنة " لكون الصالح كان يميل إلى طاز فاعتذر شيخون بأعذار غير مقبولة وأراد إبقاء الصالح فلم يوافقوه وما زالوا به حتى أذعن واتفقوا على خلعه فأعيد الملك الناصر حسب ما يأتي ذكره في ترجمته.

وكان خلع الملك الصالح صالح في يوم الإثنين ثاني شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية ثلاث سنين وثلاثة أشهر وأربعة عشر يومًا.

وحبس بالقلعة في بعض دورها إلى أن توفي بها في ذي الحجة سنة إحدى وستين وسبعمائة وله نحو سبع وعشرين سنة.

ودفن بتربة عمه الملك الصالح علي بن قلاوون الخاتونية بالقرب من المشهد النفيسي خارج القاهرة.

وكان - رحمه الله - ملكًا جليلاً مليح الشكل عاقلاً لم تشكر سيرته ولم تدم لأنه لم يكن له في سلطنته إلا مجرد الاسم فقط لغلبة شيخون وطاز وصرغتمش على الأمر لأنهم كانوا هم حل المملكة وعقدها وإليهم أمورها لا لغيرهم.

وأما أمر طاز فإنه يأتي - إن شاء الله تعالى - في أول سلطنة الملك الناصر حسن بعد ذكر حوادث سني الملك الصالح هذا كما هي عادة هذا الكتاب.

انتهى والله سبحانه أعلم.

السنة الأولى من سلطنة الملك الصالح صالح ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون على مصر وهي سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة على أنه حكم من السنة الماضية من سابع عشر جمادى الآخرة إلى آخرها.

وفيها أعني سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة: توفي قاضي القضاة نجم الدين محمد الأذرعي الشافعي بدمشق على قضائها وتولى بعده قضاء دمشق قاضي القضاة كمال الدين المعري قاضي قضاة حلب.

وتوفي الشيخ الإمام العلامة فريد دهره ووحيد عصره زين الدين المعروف بالعضد العجمي الحنفي رحمه الله تعالى.

كان إمامًا بارعًا مفتيًا فقيهاً مصنفاً وله اليد الطولى في علم المعقول والمنقول وتولى قضاء القضاة بممالك القان بوسعيد ملك التتار بل كان هو المشار إليه بتلك الممالك والمعول على فتواه وحكمه وتصدى للإقراء والإفتاء والتصنيف عدة سنين.

ومن مصنفاته " شرح المختصر لابن الحاجب " و " المواقف " و " الجواهر " وغير ذلك في عدة فنون وكان رحمه الله كريماً عفيفاً جواداً حسن السيرة مشكور الطريقة.

وتوفي الأديب الفاضل الشاعر بدر الدين أبو علي الحسن بن علي المغربي المعروف بالزغاري الشاعر المشهور.

مات عن نيف وخمسين سنة.

ومن شعره قوله: أعجب ما في مجلس اللهو جرى من أدمع الراووق لما انسكبت لم تزل البيطة في قهقهة ما بيننا تضحك حتى انقلبت قال وله أيضًا: قالت وقد أنكرت سقامي لم أر ذا السقم يوم بينك قال وله أيضًا: فتنت بأسمر حلو اللمي لسلوانه الصب لم يستطع تقطع قلبي ومارق لي ودمعي يرق ولا ينقطع وتوفي النوبن أرتنا وقيل أرتنا سلطان بلاد الروم.

كان نائبًا عن السلطان بوسعيد بن خريندا ملك التتار بجميع ممالك الروم ودام على ذلك سنين فلما مات بوسعيد كاتب أرتنا هذا السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وقال له: أريد أن أكون نائبك بممالك الروم فأجابه الملك الناصر محمد وكتب له بذلك وأرسل إليه الخلع السنية وكتب له: نائب السلطنة الشريفة بالبلاد الرومية.

ولم تزل رسله تتردد إلى الديار المصرية إلى أن مات في أوائل المحرم من هذه السنة رحمه الله تعالى.

وكان ملكًا عارقًا عاقلاً سيوسًا مدبرًا طالبت أيامه في السعادة.

وتوفي الأمير سيف الدين تلك بن عبد الله الناصري الأمير آخور بغزة في عوده إلى الديار المصرية وقد تقدم ذكره في عدة أماكن من هذا الكتاب.

وتوفي الشيخ بهاء الدين محمد بن علي بن سعيد الفقيه الشافعي بدمشق في شهر رمضان.

وكان فقيهاً فاضلاً يعرف بابن إمام المشهد.

وتوفي القاضي شهاب الدين يحيى بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر الشافعي الدمشقي المعروف بابن القيسراني كاتب سر دمشق بطالاً.

كانت له فضيلة وهو من بيت كتابة وفضل.

وتوفي الأمير شهاب الدين أحمد بن بيليك المحسني.

كان أميراً فقيهاً شافعيًا أديبًا.

نظم كتاب " التنبيه في الفقه " وكتب عدة مصنفات وكان معدودًا من الفضلاء العلماء.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وأثنتا عشرة إصبعًا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعًا وست عشرة إصبعًا.

السنة الثانية من سلطنة الملك الصالح صالح ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون على مصر وهي سنة أربع وخمسين وسبعمئة.

فيها توفي الخليفة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد الهاشمي العباسي.

كان بويغ بالخلافة بعد وفاة والده بقوص في العشرين من شعبان سنة إحدى وأربعين وسبعمئة فلم يمض له ما عهده أبوه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون لما كان في نفسه من ووالده المستكفي بالله من ميله للملك المظفر بيبرس الجاشنكير وأراد أن يولي الخلافة لبعض أقاربه بل أحضره وخلع عليه.

ثم مات الملك الناصر بعد ذلك بمدة يسيرة فتمت بموته خلافة الحاكم هذا إلى أن مات في هذه السنة.

والمتوفي يومئذ لأمر الديار المصرية الأمير شيخون والأمير طاز والأمير صرغتمش ونائب السلطنة الأمير قبلاي والسلطان الملك الصالح صالح.

وكان الحاكم مات ولم يعهد بالخلافة لأحد فجمع الأمراء القضاة وطلب جماعة من بني العباس حتى وقع الاختيار على أبي بكر بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان فبايعوه ولقبوه بالمعتضد.

وتوفي قاضي القضاة علاء الدين أبو الحسن علي ابن الشيخ جمال الدين الحنفي المعروف بابن الفويرة في العشر الأوسط من شوال.

كان فقيهاً بارعاً.

باشر توقيع الدست الشريف وكتب وصنف وولي القضاء سنين.

وتوفي الشيخ المسند المعمر صدر الدين محمد بن شرف الدين محمد بن إبراهيم الميدومي المصري في شهر رمضان ودفن بالقرافة عن تسعين سنة.

وكان مولده سنة أربع وستين وستمئة وهو آخر من حدث عن النجيب عبد اللطيف وابن علان وسمع منه السراجان: البلقيني وابن الملقن.

وتوفي القاضي الرئيس زين الدين أبو حفص عمر بن شرف الدين يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أبي السفاح الحلبي الشافعي الكاتب.

كان كاتب الإنشاء بحلب ثم ولي صحابة الإنشاء بها ووكالة بيت المال إلى أن مات بحلب عن نيف وستين سنة.

وتوفي الأمير سيف الدين ألبيجا بن عبد الله العادلي.

كان من أكابر الأمراء.

أقام أميراً نحو ستين سنة وكان قد أصابته ضربة سيف في وقعة أرغون شاه بدمشق بانت منها يده اليمنى.

واستمر على إمرته وتقدمته إلى أن مات في السابع من شهر ربيع الآخر ودفن بترتبه بدمشق خارج باب الجابية وقد أناف على تسعين سنة.

وتوفي الأمير الجليل بدر الدين مسعود بن أوحد بن مسعود بن الخطير بدمشق في سبع شوال بعد ما تنقل في عدة ولايات وأعمال: مثل حجووية الحجاب بديار مصر ونيابة غزة وغير ذلك.

وكان مولده سنة ثلاث وثمانين وستمئة بدمشق ونشأ بها وولي الحجووية بها.

وأرسله تنكز إلى مصر صحية أسندمر رسول خويان فلما رآه الملك الناصر أعجبه شكله فرسم له بإمرة طبلخاناه بمصر وجعله من جملة الحجاب فأقام على ذلك إلى أن قبض السلطان على مملوكه ألماس الحاجب وواه عوضه حاجب الحجاب ولم يكن بمصر يوم ذلك نائب سلطنة فعظم أمره إلى أن مسك تنكز رسم له السلطان بنيابة غزة.

ثم بعد موت الملك الناصر أعطي إمرة بدمشق ثم طلب إلى مصر وأعيد إلى حجووية الحجاب ثانيًا فلم تطل مدته لاختلاف الكلمة وأخرج إلى نيابة غزة ثانيًا ثم عزل ونقل إلى إمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق ثم ولي نيابة غزة ثالث مرة وأقام بها سنين ثم عزل وتوجه إلى دمشق أميرًا بها.

ثم ولي نيابة طرابلس فلم تطل مدته بها وعزل وتوجه أيضًا إلى دمشق فأقام بها إلى أن مات.

رحمه الله.

وتوفي في هذه السنة جماعة ممن تقدم ذكرهم من الأمراء قتلوا بقلعة حلب وهم: الأمير أحمد الساقى نائب حماة وبكلمش نائب طرابلس وبيغا أرس شاف حلب وغيرهم.

فأما الأمير بيغا أرس القاسمي فإن أصله من مماليك الملك الناصر محمد ابن قلاوون ومن أعيان خاصكيته ثم ولي بعد موته نيابة السلطنة بالديار المصرية في أول سلطنة الملك الناصر حسن ثم قبض عليه بطريق الحجاز وحبس ثم أطلق في أول دولة الملك الصالح صالح وتولى نيابة حلب بعد أرغون الكاملى ولما ولي نيابة حلب شدد على من يشرب الخمر بها إلى الغاية وظلم وحكم في ذلك بغير أحكام الله تعالى حتى إنه سمر من سكر وطيف به بشوارع حلب وفي هذا المعنى يقول ابن حبيب: أهل الطلا توبوا وكل منكم يعود عن ساق التقى مشمرا فمن بيت راووقه معلقًا أصبح ما بين الورى مسمرا تب عن الخمر في حلب والزم العقل والأدب حدها عند بيغا بالمسامير والخشب ثم خرج بيغا عن طاعة السلطان ووقع له ما حكينا في ترجمة الملك الصالح إلى أن ظفر به وقتل في قلعة حلب وفيه يقول بعض الأدباء: لما اعتدى بيغا العادي ومن معه على الورى فارقوا كرهًا مواطنهم خوف الهلاك سروا ليلاً على عجل فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم وتوفي الرئيس أمين الدين إبراهيم بن يوسف المعروف بكاتب طشتمر.

كان من أعيان الكتاب وتولى نظر الجيش بالديار المصرية مدة ثم عزل وأخرج إلى القدس فأقام به مدة ثم أعيد إلى القاهرة فأقام بها إلى أن مات.

وتوفي الأمير سيف الدين بيغرا بن عبد الله الناصري ثم المنصوري أحد أمراء الألوف بالديار المصرية وهو بطال بحلب وكان شجاعًا مقدامًا من أعيان أمراء مصر وقد تقدم ذكره في عدة أماكن.

وتوفي الأمير زين الدين قراجا بن دلغادر صاحب أبلستين في رابع عشر ذي القعدة وقد تقدم ذكره في واقعة الأمير بيغا أرس.

وتوفي الشيخ جمال الدين أبو الحجاج يوسف ابن الإمام شمس الدين أبي محمد عبد الله بن العفيف محمد بن عبد المنعم المقدسي النابلسي ثم الدمشقي الحنبلي في شهر رجب ومولده سنة إحدى وتسعين وستمائة.

وتوفي الشيخ إمام الدين محمد بن زين الدين محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن الحسن القيسي القسطلاني الشافعي بالقاهرة في عشرين المحرم ومولده بمكة المشرفة في سنة إحدى وسبعين وستمائة.

وتوفي حاكم الموصل وسنجان الأمير بدر الدين حسن بن هندوا.

كان من أعيان الملوك يوسف وكان بينه وبين صاحب ماردين عداوة ووقع بينهما حروب قتل في بعضها حسن هذا بعد القبض عليه.

وتوفي القاضي شرف الدين أبو محمد عبد الوهاب ابن الشهاب أحمد بن محيي الدين يحيى بن فضل الله بن المجلي بن دعجان بن خلف القرسي العمري.

نسبته إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

مات في شوال من هذه السنة.

مولده في ثالث ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وستمائة بدمشق ومات بها في شهر رمضان وكان إمامًا بارعًا كاتبًا بليغًا أديبًا مترسلًا.

كتب المنسوب الفائق وتنقل في الخدم حتى ولي ناظر ديوان الإنشاء بالديار المصرية مدة طويلة وهو أول كاتب سر ولي بمصر من بني فضل الله ولاه الأشرف خليل بن قلاوون بعد عزل عماد الدين إسماعيل بن أحمد بن الأثير فدام في كتابة السر سنين إلى أن نقله الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى كتابة سر دمشق عوضًا عن أخيه محيي الدين يحيى بن فضل الله وولي عوضه القاضي علاء الدين بن الأثير.

ولما مات رد الشعراء والعلماء وراثه العلامة شهاب الدين محمود بقصيدته التي أولها: لتبك المعالي والنهى الشرف الأعلى وتبك الورى الإحسان والحلم والفضلا ومن شعر القاضي شرف الدين المذكور يمدح الملك المنصور قلاوون الألفي الصالحي: تهب الألوفا ولا تهاب لهم ألقا إذا لاقيت في الصف ألف وألف في ندى ووعى فلأجل ذا سموك بالألفي وله أيضًا لما ختن الملك الناصر محمد بن قلاوون: لم يروع له الختان جناثًا قد أصاب الحديد منه حديدا مثلما تنقص المصابيح بالقط فتزداد في الضياء وقودا أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع سواء.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعًا وست عشرة إصبعًا.

والله السنة الثالثة من سلطنة الملك الصالح صالح ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون على مصر وهي سنة خمس وخمسين وسبعمائة وفيها خلع الملك الصالح المذكور في ثاني شوال.

وفيها توفي العلامة زين الدين أبو الحسن علي بن الحسين بن القاسم بن منصور بن علي الموصلي الشافعي الشهير بابن شيخ العوينة بالموصل عن أربع وسبعين سنة.

وكان إمامًا فقيهاً بارعًا مصنفًا ناظرًا ناظرًا.

نظم كتاب " الحاوي " في الفقه وشرح " المختصر " و " المفتاح " وقدم إلى الشام متوجهًا إلى الحجاز الشريف وهو القائل: وما اخترت بعد الدار عن أحب صدودًا وحاشى أن يقال صدود ولكن أسباب الضرورة لم تزل إلى غير ما تهوى النفوس تقود وتوفي القاضي شهاب الدين أحمد ابن القاضي شمس الدين إبراهيم بن المسلم بن هبة الله بن حسان بن محمد بن منصور الجهني الشافعي الشهير بابن البارزي ناظر أوقاف دمشق وبها مات عن نيف وثمانين سنة.

وتوفي الشيخ الإمام سراج الدين أبو حفص عمر ابن القدوة نجم الدين عبد الرحمن بن الحسين بن يحيى بن عبد المحسن القباني الحنبلي.

كان إمامًا زاهدًا عابدًا.

أفتى ودرس وحدث وباشر مشيخة المالكية بالقدس إلى أن مات.

وتوفي الشيخ الإمام العالم العلامة فخر الدين أبو طالب أحمد بن علي بن أحمد الكوفي البغدادي الحنفي الشهير بأبن الفصيح.

مات بدمشق وقد قارب الثمانين سنة.

وكان إمامًا عالمًا بارعًا في فنون ناظمًا نائرا.

نظم " الكنز في الفقه " و " السراجية في الفرائض ".

وقدم إلى دمشق وتصدى للافتاء والتدريس والإقراء إلى أن مات بها.

ومن شعره وهو في غاية الحسن: أمر سواكه من فوق در وناولنيه وهو أحب عندي فذقت رضابه ما بين ند وخمر أمزجا منه بشهد وله أيضًا: زار الحبيب فحيا يا حسن ذاك المحيا من صده كنت ميثًا من وصله عدت حيا وتوفي الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الظاهري الدمشقي الشافعي مدرس الفروخشاهية.

كان فقيهاً فاضلاً.

مات بدمشق عن نيف وثمانين سنة.

وكان له نظم وينشئ المقامات وله القصيدة الحجازية التي أولها: وتوفي الشيخ الإمام جمال الدين محمد بن علاء الدين علي بن الحسن الهروي الحلبي الحنفي المعروف بالشيخ زادة.

كان فقيهاً متصوفاً زاهدًا.

قال ابن حبيب: أنشدني بيتين بالفارسي وذكر لي معناهما وأقترح علي نظمهما بالعربي فقلت: ألحظه شهدت بأني مخطيء وأنت بخط عذاره تذكارا يا حاكم الحب أتد في قصتي فالخط زور والشهود سكارى ومن إنشاء الشيخ زادة المذكور قوله: وما العيش إلا والشيبية غضة ولا الحب إلا والمحبون أطفال وهم زعموا أن الجنون أخو الصبا فليت جنونًا دام والناس غفال وكانت وفاته بحلب عن نيف وخمسين سنة.

وتوفي الشريف علاء الدين أبو الحسن علي ابن الشريف عز الدين حمزة بن علي بن حسن بن زهرة بن الحسن بن زهرة بن الحسين الحلبي نقيب الأشراف بحلب وبها مات عن نيف وسبعين سنة وكان رئيسًا كاتبًا مجيدًا عارفًا مثرًا.

وتوفي صاحب الوزير علم الدين عبد الله بن تاج الدين أحمد بن إبراهيم الشهير بابن زنبور المصري القبطي المقدم ذكره.

ولي الوزارة ونظر الجيش والخاص ولم تجتمع لأحد قبله.

ثم نكب وتوفي الوزير صاحب موفق الدين أبو الفضل هبة الله بن سعيد الدولة القبطي المصري.

ولي نظر الدولة ثم الخاص ثم الوزارة إلى أن مات.

وكان مشكور السيرة حسن الأخلاق وعنده تواضع وكريم ومعرفة وعقل.

وتوفي الأمير سيف الدين أيتمش المحمدي الناصري نائب طرابلس.

مات بها وتولى عوضه منجك اليوسفي الوزير أخو بيغا أرس.

وكان أيتمش وافر الحشمة لين الجانب بعيد الشر قريب الخير وعنده عقل وسكون ووقار.

ولي الحجوبية والوزارة بالديار المصرية ثم ولي نيابة دمشق مدة سنين إلى أن قبض عليه وسجن بثغر الإسكندرية ثم أطلق وولي نيابة طرابلس بعد بكلمش الناصري فدام على نيابتها إلى أن مات.

وتوفي السلطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج صاحب الأندلس وما والاه طعن بخنجر في جبينه في يوم عيد الفطر فمات منه وتسلطن بعده ابنه أبو عبد الله محمد بن يوسف.

وتوفي الأمير سيف الدين إياجي بن عبد الله الناصري نائب قلعة دمشق.

كان شجاعًا مقدامًا أظهر في فتنة الأمير بيغا أرس أمرًا عظيمًا من حفظ قلعة دمشق وقاتل بيغا أرس قتالًا عظيمًا وقام في ذلك أتم قيام.

وتوفي الأمير سيف الدين مغلطاي بن عبد الله الناصري بطالًا في عاشر شهر رمضان وكان من أعيان مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون وخاصكيته وتولى رأس نوبة ثم صار أمير شكار ثم ولي الأمير آخورية الكبرى ثم أمسك وحبس بعد أمور وقعت له ثم أطلق وأخرج إلى الشام بطالًا فدام به إلى أن مات رحمه الله تعالى.

وتوفي تاج الدين أبو الفضائل أحمد بن صاحب أمين الملك عبد الله بن الغنام القبطي المصري في شوال تحت العقوبة وهو أحد الكتاب المعدودة وتولى عدة وظائف وباشر عدة مباشرات وكان مشكور السيرة.

رحمه الله.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وثلاث عشرة إصبغًا.

مبلغ الزيادة تسع عشرة ذراعًا وخمس أصابع.

سلطنة الناصر حسن الثانية قد تقدم ذكره في سلطنته الأولى من هذا الكتاب وذكرنا أيضًا سبب خلعه من السلطنة بأخيه الملك الصالح صالح ثم ذكرنا في ترجمة أخيه الصالح سبب خلع الصالح وإعادة الناصر هذا فلا حاجة لذكر ذلك ثانيًا.

والمقصود هنا الآن ذكر عود الملك الناصر حسن إلى ملكه فنقول: ولما قبض على أصحاب الأمير طاز اتفق صرغتمش مع الأمير شيخون على خلع الملك الصالح من السلطنة وسلطنة الملك الناصر حسن ثانيًا وأبرموا ذلك حتى تم لهم.

فقاموا ودخلوا إلى القلعة وأرسلوا طلبوا الملك الصالح فلما توجه إليهم أخذ من الطريق وحبس في بيت من قلعة الجبل.

وأرسلوا أشهدوا عليه بأنه خلع نفسه من السلطنة ثم طلبوا الملك الناصر حسنًا من محبسه بالقلعة وكلموه في عوده وأشروطوا عليه شروطًا قبلها.

فأخذوه إلى موضع بالقلعة فيه الخليفة والقضاة وبايعوه ثانيًا بالسلطنة ولبسوه تشريف السلطنة وأبهة الملك وركب فرس النوبة ومشت الأمراء بين يديه إلى الإيوان فنزل وجلس على تخت الملك وقبلوا الأمراء الأرض بين يديه على العادة وكان ذلك في يوم الإثنين ثاني شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة.

ولم يغير لقبه بل نعت بالناصر كما كان أولًا على لقب أبيه.

ونوب بأسمه بمصر والقاهرة ودقت البشائر وتم أمره.

وحالما قلع الملك الناصر خلعة السلطنة عنه أمر في الحال بمسك الأمير طاز فشفع فيه الأمير شيخون لأنه كان آمنه وهو نزله فرسم له السلطان بالتوجه إلى نيابة حلب فخرج من يومه وأخذ في إصلاح أمره إلى أن سافر يوم الجمعة سادس شوال وسار حتى وصل حلب في الخامس من ذي القعدة وكانت ولايته لنيابة حلب عوضًا عن الأمير أرغون الكاملي.

وطلب أرغون إلى مصر فحضر أرغون إلى القاهرة وأقام بها مدة يسيرة ثم أمسك.

وأقام طاز في نيابة حلب ومعه أخوه كلتاي وجنتمر وكلاهما مقدمان بها.

ودام الملك الناصر حسن في الملك إلى أن دخلت سنة ست وخمسين وسبعمائة والخليفة يوم ذاك المعتضد بالله أبو بكر ونائب السلطنة بمصر الأمير أقتمر عبد الغني وأتابك العساكر الأمير شيخون العمري - وهو أول أتابك سمي بالأمير الكبير وصارت من بعده الأتابكية وظيفه إلى يومنا هذا ولبسها بخلعة؛ وإنما كانت العادة في تلك الأيام أنه من كان قديم هجرة من الأمراء سمي بالأمير الكبير من غير خلعة فكان في عصر واحد جماعة كل واحد منهم يسمى بالأمير الكبير حتى ولي شيخون هذا أتابكية العساكر - وسمي بالأمير الكبير - بطلب تلك العادة القديمة وصارت من أجل وظائف الأمراء.

تم ذلك.

انتهى.

وكان نائب الشام يوم ذاك أمير علي المارديني ونائب حلب طاز وصاحب بغداد وما والاها الشيخ حسن ابن الشيخ حسين سبط أرغون بن أبغا بن هولوكو.

وفي هذه السنة أيضًا كملت خانقاة الأمير الكبير شيخون العمري بالصليبة والربع والحمامان وفرغت هذه العمارة ولم يتشوش أحد بسببها.

ورتب في مشيختها العلامة أكمل الدين محمد بن محمود البابرتي الحنفي وأشركه في النظر.

ودام السلطان حسن في السلطنة ولم يحرك ساكنًا إلى أن آتته سنة ثمان وخمسين وسبعمئة قبض على أربعة من الأمراء وسجنوا بثغر الإسكندرية وهم: الأمير قجا السلاح دار وطقطي الدوادر وقطلوبغا الذهبي وخليل بن قوصون.

وخلع على الأمير علم دار باستقراره في الدوادرية وخلع على الأمير قشتمر باستقراره حاجبًا ووزيرًا وكان القبض على هؤلاء الأمراء بعد أن ضرب الأمير شيخون بالسيف وحمله إلى داره جريحًا ولزم الفراش إلى أن مات حسب ما يأتي ذكره.

وأمر ضرب شيخون كان في يوم الإثنين من شعبان سنة ثمان وخمسين وسبعمئة وهو أن السلطان الملك الناصر حسنًا جلس في اليوم المذكور على كرسي الملك بدار العدل للخدمة والأمراء جلوس في الخدمة والقضاة والأعيان وجميع أرباب الدولة.

وبينما السلطان جالس على كرسي الملك وثب مملوك من المماليك السلطانية يسمى قطلوخجا السلاح دار على الأمير الكبير شيخون وضربه بالسيف ثلاث ضربات أصابت وجهه ورأسه وذراعه فوقع شيخون مغشيًا عليه وأرجف بموته.

وقام السلطان من على الكرسي ودخل إلى القصر ووقعت الهجة.

فلما سمعت مماليك شيخون بذلك طلوعوا القلعة راكبين صحبة أمير خليل بن قوصون أحد الأربعة المقبوض عليهم بعد ذلك فحملوا شيخون على جنوية وبه رمق ونزلوا به إلى داره وأحضروا الجراحية فأصلحوا جراحاته.

وبات شيخون تلك الليلة في إصطبله وأصبح السلطان الملك الناصر حسن ونزل لعيادته من الغد فدخل عليه وحلف له أن الذي وقع لم يكن بخاطره ولا له علم به وكان الناس ظنوا أن السلطان هو الذي سلطه على شيخون فتحقق الناس براءة السلطان.

وطلع السلطان إلى القلعة وقد قبض على قطلوخجا المذكور فرسم السلطان بتسميره فسمر.

ثم وسط في اليوم المذكور بعد أن سأل السلطان قطلوخجا السلاح دار المذكور عن سبب ضرب شيخون بالسيف فقال: " طلبت منه خبرًا فمنعني منه وأعطاه لغيري ".

ولزم شيخون الفراش من جراحه إلى أن مات في ذي القعدة من السنة.

وموته خف عن السلطان أشياء كثيرة فإنه كان ثقیل الوطأة على السلطان إلى الغاية بحيث إن السلطان كان لا يفعل شيئًا حتى يشاور حقيرها وجليها فلما مات ألتفت السلطان حسن إلى إنشاء ممالিকে فأمر منهم جماعة كثيرة على ما سيأتي ذكره.

ثم أخذ السلطان حسن في شراء دار أطنبغا المارداني وبلغا اليحياوي بالرميلة وهدمهما وأضاف إليهما عدة دور وإسطبلات آخر.

وشرع في بناية مدرسته المعروفة به تجاه قلعة الجبل التي لم يبن في الإسلام نظيرها ولا حكاها معمار في حسن عملها وذلك في سنة ثمان وخمسين المذكورة.

ولما شرع في عمارتها جعل عليها مشدين ومهندسين وآجتهد في عملها.

وأما مصروفها وما آجتمع بها من الصناع والمعلمين فكثير جدًا لا يدخل تحت حصر.

وقيل: إن إيوانها يعادل إيوان كسرى في الطول.

قلت: وفي الجملة إنها أحسن ما بني في الدنيا شرقًا وغربًا في معناها بلا مدافعة.

وفي هذه السنة وقع أمر عجيب قال ابن كثير في تاريخه: وفي هذه السنة حملت جارية من عتقاء الأمير الهيدباني قريبًا من تسعين يومًا ثم شرعت تطرح ما في بطنها فوضعت قريبًا من أربعين ولدًا منهم أربع عشرة بنتًا.

وقد تشكل الجميع وتميز الذكر من الأنثى فسبحان القادر على كل شيء.

قلت: وابن كثير ثقة حجة فيما يرويه وينقله.

انتهى.

ولما مات شيخون انفرد صرغتمش بتدبير المملكة.

وعظم أمره واستطال في الدولة وأخذ وأعطي وزادت حرمة وأثرى وكثرت أمواله إلى أن قبض عليه الملك الناصر حسن حسب ما يأتي ذكره في محله إن شاء الله تعالى.

ثم إن السلطان قبض على الأمير طاز نائب حلب في أوائل سنة ثمان وخمسين المذكورة بسفارة صرغتمش وقيده وحمله إلى الإسكندرية فحبسه بها وولى عوضه في نيابة حلب الأمير منجك ثم عزل السلطان عز الدين بن جماعة عن قضاء الشافعية بديار مصر وولى عوضه بهاء الدين بن عقيل فأقام ابن عقيل في القضاء ثمانين يومًا وعزل وأعيد ابن جماعة.

ثم نقل السلطان منجك اليوسفي المذكور من نيابة حلب إلى الشام عوضًا عن أمير على المارديني ونقل المارديني إلى نيابة حلب كل ذلك في سنة ثمان وخمسين وسبعمائة المقدم ذكرها.

وخلع السلطان على تاج الدين بن ريشة واستقر في الوزارة.

ثم نفى السلطان جماعة من الأمراء منها الأمير جرجي الإدريسي وأنعم بإقطاعه وهو إمرة مائة وتقدمة ألف بديار مصر على مملوكه يلبغا العمري صاحب الكباش وهو الذي قتل أستاذه الملك الناصر حسنًا المذكور حسب ما يأتي ذكره في وقته من هذا الكتاب في هذه الترجمة.

ثم خلع السلطان على يلبغا وجعله أمير مجلس عوضًا عن الأمير تنكز بغا المارديني.

ثم في يوم الخميس العشرين من شهر رمضان سنة تسع وخمسين وسبعمئة أمسك السلطان الأمير صرغتمش الناصري بعد ما أقعد له قواعد مع الأمير طيغا الطويل وبلغا العمري وغيرهما وأمسك معه جماعة من الأمراء وهم طشتمر القاسمي حاجب الحجاب وطيغا الماجاري وأزدمر وقماري وأرغون الطرخاني وأقبا الحموي وجماعة آخر من أمراء الطبلخانات والعشرات.

وكان سبب مسكه أن صرغتمش كان قد عظم أمره بعد موت شيخون وآستبد بأمور الدولة وتديير الملك فلما تم له ذلك ندب الملك الناصر حسنا لمسك طاز ووغر خاطره عليه حتى كان من أمره ما كان.

فلما صفا له الوقت بغير منازع لم يقنع بذلك حتى رام الوثوب على الملك الناصر حسن ومسكه واستقلاله بالملك فبلغ الناصر ذلك فاتفق مع جماعة من الأمراء مسكه عند دخوله على السلطان في خلوة فلما كان وقت دخوله وقفوا له في مكان رتبهم السلطان فيه فلما دخل صرغتمش احتاطوا به وقبضوا عليه ثم خرجوا لمن عين لهم من الأمراء المقدم ذكرهم فقبضوا عليهم أيضًا في الحال وحبسوا الجميع بقلعة الجبل.

فلما بلغ ممالك صرغتمش وحواشيه من الممالك بالسلاح وطلعوا إلى الرميطة فنزل إليهم الممالك السلطانية من القلعة وقاتلوهم من بكرة النهار إلى العصر عدة وجوه إلى أن كانت الكسرة على ممالك صرغتمش.

أخذتهم السيوف السلطانية ونهت دار صرغتمش عند بئر الوطاويط ونهت دكاكين الصليبية ومسك من الأعجام صوفية المدرسة الصرغتمشية جماعة لأنهم ساعدوا الصرغتمشية وأحموهم عند كسرتهم وما أذن المغرب حتى سكن الأمر وزالت الفتنة ونودي بالأمان والبيع والشراء.

وأصبح الملك الناصر حسن في بكرة يوم الثلاثاء وهو سلطان مصر بلا منازع.

وصفا له الوقت وأخذ وأعطى وقرب من اختار وأبعد من أبعد وخلع على الأمير ألجاي اليوسفي واستقر به حاجب الحجاب عوضًا عن طشتمر القاسمي.

وخلع على جماعة آخر بعدة وظائف.

ثم أخذ في ترقية ممالكه والإنعام عليهم وأعيان ممالكه: يلبغا العمري وطيغا الطويل وجماعة من أولاد الأمراء.

وكان يميل لإنشاء أولاد الناس وترقيهم إلى الرتب السنية لا لحبه لهم بل كان يقول: هؤلاء مأمونو العاقبة وهم في طي علمي وحيث وجهتهم إليه توجهوا ومتى أحببت عزلهم أمكنني ذلك بسهولة وفيهم أيضًا رفق بالرعية ومعرفة بالأحكام حتى إنه كان في أيامه منهم عدة كثيرة منهم أمراء مقدمون يأتي ذكر أسمائهم في آخر ترجمته إن شاء الله تعالى.

ثم أخرج السلطان صرغتمش ورفقته في القيود إلى الإسكندرية فسجن صرغتمش بها إلى أن مات في ذي الحجة من السنة على ما سيأتي ذكر صرغتمش في الوفيات من حوادث سنين الملك الناصر حسن.

ثم إن السلطان عزل الأمير منجك اليوسفي عن نيابة دمشق في سنة ستين وسبعمئة وطلبه إلى الديار المصرية فلما وصل منجك إلى غزة بلغه أن السلطان يريد القبض عليه فتسحب ولم يوقف له على خبر.

وعظم ذلك على السلطان وأكثر من الفحص عليه وعاقب بسببه خلائق فلم يفده ذلك.

ثم خلع السلطان على الأمير علي المارديني نائب حلب بإعادته إلى نيابة دمشق كما كان أولاً وأستقر بكتمر المؤمني في نيابة حلب عوضاً عن علي المارديني فلم تطل مدته بحلب وعزل عنها بعد أشهر بالأمير أسندمر الزيني أخي يلغا اليحياوي نائب الشام كان.

ثم خلع السلطان على فخر الدين بن قروينة باستقراره في نظر الجيش والخاص معاً.

ثم ظهر الأمير منجك اليوسفي من اختفائه في بيت بالشرف الأعلى بدمشق في سنة إحدى وستين وسبعمئة بعد أن اختفى به نحو السنة فأخذ وأحضر إلى القاهرة فلما مثل بين يدي السلطان وعليه بشت عسلي وعلى رأسه مئزر صفح عنه لكونه لم يخرج من بلاده ورسم له بإمرة طبلخاناه بدمشق وأن يكون طرخاناً يقيم حيث شاء وكتب له بذلك توقيع شريف.

ثم في هذه السنة وقع الوباء بالديار المصرية إلى أوائل سنة اثنتين وستين وسبعمئة.

ومات في هذا الوباء جماعة كثيرة من الأعيان وغيرهم وأكثرهم كان لا يتجاوز مرضه أربعة أيام إلى خمسة ومن جاوز ذلك يطول مرضه وهذا الوباء يقال له: الوباء الوسطي أعني بين وباءين.

وفي هذه الأيام عظم يلغا العمري في الدولة حتى صار هو المشار إليه وثقلت وطأته على أستاذه الملك الناصر حسن مع تمكن الملك الناصر في ملكه.

وكان يلغا العمري وطيبغا الطويل وتمان تمرهم أعظم أمرائه وخاصكيته من مماليكه.

فلما أن استهلكت سنة اثنتين وستين وسبعمئة بلغ الملك الناصر أن يلغا ينكر عليه من كونه يعطي إلى النساء الإقطاعات الهائلة وكونه يختص بالطواشية ويحكمهم في المملكة وأشياء غير ذلك.

وصارت الخاصكية ينقلون للسلطان عن يلغا أمورًا قبيحة في حقه في مثل هذا المعنى وأشباهه فتكلم الملك الناصر حسن مع خواصه بما معناه: إنه قبض على أكابر أمرائه من مماليك أبيه حتى استبد بالأمر من غير منازع وأنشأ مماليكه مثل يلغا المذكور وغيره حتى يسلم من معارض فصار يلغا يعترض عليه فيما يفعله فعظم عليه ذلك وندم على ترقيه وأخذ يترقب وقتاً يمسك بيلغا فيه.

واتفق بعد ذلك أن السلطان حسناً خرج إلى الصيد ببر الجيزة بالقرب من الهرمين وخرجت معه غالب أمرائه بيلغا وغيره على العادة.

فلما كان يوم الثلاثاء تاسع جمادى الأولى من سنة اثنتين وستين المذكورة أراد السلطان القبض على بيلغا لما بلغه عن بيلغا أنه يريد الركوب عليه هناك فصبر السلطان حسن حتى دخل الليل فركب ببعض خاصكيته من غير استعداد ولا اكتراث بيلغا وسار يريد يكبس على بيلغا بمخيمه فم بعض خاصكية السلطان بذلك إلى بيلغا.

فاستعد يلبغا بمماليكه وحاشيته لقتاله وطلب خشداشيته وواعدهم بالإمريات والإقطاعات وخوفهم عاقبة أستاذهم الملك الناصر حسن المذكور حتى وافقه كثير منهم.

كل ذلك والملك الناصر في غفلة استخفافًا بمملوكه يلبغا المذكور حتى قارب السلطان خيمة يلبغا خرج إليه يلبغا بمن معه وقاتله فلم يثبت السلطان لقلعة من كان معه من مماليكه وانكسر وهرب وعدى النيل وطلع إلى قلعة الجبل في الليل - في ليلة الأربعاء التاسع من جمادى الأولى من سنة اثنتين وستين المذكورة - وتبعه يلبغا ومن معه يريد القلعة فاعترضه ابن المحسني أحد أمراء الألوف بمماليكه ومعه الأمير قشتمر المنصوري وواقعا يلبغا ببولاق وقعة هائلة انكسر فيها يلبغا مرتين وابن المحسني يتقدم عليه.

كل ذلك وابن المحسني ليس له علم من السلطان أين ذهب بل بلغه أنه توجه إلى جهة القلعة فأخذ ابن المحسني في قتال يلبغا وتعويقه عن المسير إلى جهة القلعة.

واشتد القتال بين يلبغا وابن المحسني حتى أردف يلبغا الأمير ألجاي اليوسفي حاجب الحجاب وغيره فانكسر عند ذلك ابن المحسني وقشتمر وقيل: إن يلبغا لما رأى شدة ابن المحسني في القتال دس عليه من رجعه عن قتاله وأوعده بأوعاد كثيرة منها أنه لا يغير عليه ما هو فيه في شيء من الأشياء خوفًا من طلوع النهار قبل أن يدرك القلعة وأخذ السلطان الملك الناصر حسن لأن الناصر كان طلع إلى قلعة الجبل في الليل ولم يشعر به أحد من أمرائه ومماليكه وخواصه وصاروا في حيرة من عدم معرفتهم أين توجه السلطان حتى يكونوا معه على قتال يلبغا.

وعلم يلبغا أنه متى تعوق في قتال ابن المحسني إلى أن يطلع النهار أتت العساكر الملك الناصر من كل فج وذهبت روحه فلما ولى ابن المحسني عنه أنتهز يلبغا الفرصة بمن معه وحرك فرسه وصحبته من وافقه إلى جهة القلعة حتى وصل إليها في الليل.

والله أعلم.

وأما

▲ أمر السلطان حسن

فإنه لما أنكسر من مملوكه يلبغا وتوجه إلى قلعة الجبل حتى وصل إليها في الليل ألبس مماليكه المقيمين بالقلعة فلم يجد لهم خيلاً لأن الخيول كانت في الربيع.

وبينما هو في ذلك طرقه يلبغا قبل أن يطلع النهار وتجمع العساكر عليه فلم يجد الملك الناصر قوة للقاءه فلبس هو وأيدمر الدواداري زي الأعراب ليتوجهها إلى الشام ونزلاً من القلعة وقت التسبيح فلقبهما بعض المماليك فأنكروا عليهما وأمسكوهما في الحال وأحضرهما إلى بيت الأمير شرف الدين موسى بن الأركشي أستاذار العالية فحملهما في الوقت إلى يلبغا حال طلوع يلبغا إلى القلعة فقتلها يلبغا في الحال قبل طلوع الشمس.

وكان عمر السلطان حسن يوم قتل نيفًا على ثلاثين سنة تخمينًا وكانت مدة ملكه في سلطنته هذه الثانية ست سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام.

وكان قتله وذهاب ملكه على يد أقرب الناس إليه من مماليكه وخواصه وهم: يلبغا العمري وطبيغا الطويل وتمان تمر وغيرهم وهم من مشترواته اشتراهم ورباهم وخولهم

في النعم وورقاهم إلى أعلى المراتب خوفًا من أكابر الأمراء من مماليك أبيه فكان ذهاب روحه على أيديهم وكانوا عليه أشد من تلك الأمراء.

فإن أولئك لما خلعوه من السلطنة بأخيه الملك الصالح حبسوه بالدور من القلعة مكرّمًا مبدلًا وأجروا عليه الرواتب السنية إلى أن أعادوه إلى ملكه ثانيًا وهم مثل شيخون وصرغتمش وقبلاي النائب وغيرهم فصار يتذكر ما قاساه منهم في خلعه من السلطنة وتحكمهم عليه فأخذ في التدبير عليهم حتى قبض على جماعة كثيرة منهم وأبادهم.

ثم رأى أنه ينشئ مماليكه ليكونوا له حزبًا وعضدًا فكانوا بعكس ما أمله منهم ووثبوا عليه وكبيرهم يلغا المقدم ذكره.

وعندما قبضوا عليه لم يمهلوه ساعة واحدة وعندما وقع نظرهم عليه قتلوه من غير مشاورة بعضهم لبعض موافاة لحقوق تربيته لهم وإحسانه إليهم فكان بين فعل مماليك أبيه به وبين فعل مماليكه له فرق كبير.

ولله در القائل: " معادة العاقل ولا مصاحبة الجاهل " .

قلت: لا جرم أن الله تعالى عز وجل عامل يلغا المذكور من مماليكه بجنس ما فعله مع أستاذه ووثبوا عليه وقتلوه أشقر قتله على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

واستولى يلغا العمري الخاصكي على القلعة والخزائن والسلاح والخيول والجمال وعلى جميع ما خلفه أستاذه الملك الناصر حسن وأقام في المملكة بعده ابن أخيه الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر حاجي ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون كما سيأتي ذكره بعد حوادث سنين الملك الناصر حسن كما هي عادة هذا الكتاب.

وكان الملك الناصر حسن سلطانيًا شجاعًا مقدامًا كريمًا عاقلًا حازمًا مدبرًا سيوسًا ذا شهامة وصرامة وهيبة ووقار عالي الهمة كثير الصدقات والبرة ومما يدل على علو همته مدرسته التي أنشأها بالرميلة تجاه قلعة الجبل في مدة يسيرة مع قصر مدته في السلطنة والحجر عليه في تصرفه في سنين من سلطنته الثانية أيضًا.

وكان صفته للطول أقرب أشقر وبوجهه نمش مع كيس وحلاوة وكان متجملاً في ملبسه ومركبه ومماليكه وبركه.

اصطنع مرة خيمة عظيمة فلما نجزت ضربت له بالحوش السلطاني من قلعة الجبل فلم ير مثلها في الكبر والحسن وفيها لقول الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي حجلة التلمساني المغربي رحمه الله تعالى: حوت خيمة السلطان كل عجيبة فأمسيت منها باهتًا أتعجب لساني بالتقصير فيها مقصر وإن كان في أطناها بات يطنب وكان السلطان الملك الناصر حسن مغرمًا بالنساء والخدام وأقتنى في سلطنته من الخدام ما لم يقتنه غيره من ملوك الترك قبله وكان إذا سافر يستصحب النساء معه في سفره لكونه ما كان له ميل للشباب كعادة الملوك من قبله.

كان يعف عن ذلك.

لما أتى للعاديات وزلزلت حفظ النساء وما قرأ للواقعه فلأجل ذاك الملك أضحى لم يكن وأتى القتال وفصلت بالقارعه لو عامل الرحمن فاز بكهفه وبنصره في عصره في السابعه من كانت القينات من أحزابه عطعط به الدخان نار لامعه تبت يدا من لا يخاف من الدعا في الليل إذ يغشى يقع في النازعه وخلف السلطان الملك الناصر حسن تغمده

الله برحمته من الأولاد الذكور عشرة: وهم أحمد وقاسم وعلي وإسكندر وشعبان وإسماعيل وبحيى وموسى ويوسف ومحمد وستًا من البنات.

وخلف من الأموال والقماش والذهب العين والسلاح والخيول وغيرها شيئًا كثيرًا.

استولى يلبغا على الجميع وتصرف فيه حسب ما أراد.

وكان السلطان حسن محبًا للرعية وفيه لين جانب.

حمدت سائر خصاله لم يعب عليه في ملكه سوى ترقيه لمماليكه في أسرع وقت فإنه كان كريمًا بآراء إخوته وأهله يميل إلى فعل الخير والصدقات وله مآثر بمكة المشرفة واسمه مكتوب في الجانب الشرقي من الحرم وعمل في زمنه باب الكعبة الذي هو بابها الآن وكسا الكعبة الكسوة التي هي إلى الآن في باطن البيت العتيق.

وكان كثير البر لأهل مكة والمدينة إلى أن كانت الواقعة لعسكره بمكة في أواخر سنة إحدى وستين وسبعمائة التي كان مقدم عسكرها الأمير قندس وابن قراسنقر وحصل لهم الكسرة والنهب والقتل من أهل مكة وإخراجهما من مكة على أقبح وجه.

غضب السلطان بعد ذلك على أهل مكة وأمر بتجهيز عسكر كبير إلى الحجاز للانتقام من أهل مكة وعزم على أنه ينزعها من أيدي الأشراف إلى الأبد.

وكاد يتم له ذلك بسهولة وسرعة وبينما هو في ذلك وقع بينه وبين مملوكه يلبغا وكان من أمره ما كان.

وكان السلطان حسن يميل إلى تقديم أولاد الناس إلى المناصب والولايات حتى إنه كان غالب نواب القلاع بالبلاد الشامية في زمانه أولاد ناس ولهذا لم يخرج عليه منذ سلطنته بالبلاد الشامية خارجي.

وكان في أيامه من أولاد الناس ثمانية من مقدمي الألوف بالديار المصرية.

ثم أنعم على ولديه أحمد وقاسم بتقدمتي ألف فصارت الجملة عشرة فأما الثمانية فهم: الأمير عمر بن أرغون النائب وأسنيغا بن الأبى بكري ومحمد بن طوغاي ومحمد بن بهادر رأس نوبة ومحمد بن المحسني الذي قاتل يلبغا وموسى بن أرقطاي وأحمد بن آل ملك وشرف الدين موسى بن الازكشي الأستاذار فهؤلاء من مقدمي الألوف.

وأما الطبلخانات والعشرات فكثير.

وكان بالبلاد الشامية جماعة آخر فكان ابن القشتمري نائب حلب وأمير علي المارديني نائب الشام وابن صبيح نائب صفد.

وأما من كان منهم من المقدمين والطبلخانات نواب القلاع فكثير.

وقيل: إن سبب تغيير خاطر يلبغا من أستاذه الملك الناصر حسن - على ما قيل - أنه لما عمل ابن مولاهم البليقة التي أولها: من قال أنا جندي خلق لقد صدق.

عندي قبا من عهد نوح على الفتوح.

لو صادفوا شمس السطوح كان آحترق.

ورقصوا بها بين يدي السلطان حسن.

وأشاروا ب " الجندي خلق " إلى يلغا وهو واقف بين يدي السلطان حسن والسلطان حسن يضحك ويستعيدها منهم فغضب من ذلك يلغا وحقد على أستاذه السلطان وهذا يبعد وقوعه لكنه قد قيل.

قلت: وقد أثبتنا هذه البليقة - والتي عملها الشيخ زين الدين عبد الرحمن ابن الخراط في الفقيه التي أولها: من قال أنا فقيه بشر لقد فشر - في تاريخنا المنهل الصافي في ترجمة ابن الخراط المذكور بتمامها وكمالها وهما من أطرف البلايق في معناهما.

والله أعلم.

انتهى.

السنة الأولى من سلطنة الناصر حسن الثانية وهي سنة ست وخمسين وسبعمئة.

على أنه حكم في السنة الخالية بعد خلع أخيه الملك الصالح صالح من شوال إلى آخرها.

وفيها أعني سنة ست وخمسين توفي قاضي القضاة شيخ الإسلام تقي الدين أبو الحسن علي بن زين الدين عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامد بن يحيى بن عمر بن عثمان بن علي بن سوار بن سليم الأنصاري السبكي الشافعي - رحمه الله تعالى - بشاطيء النيل في ليلة الإثنين رابع جمادى الآخرة ومولده في شهر صفر سنة ثلاث وثمانين وستمئة بسبك الثلاث وهي قرية بالمنوفية من أعمال الديار المصرية بالوجه البحري.

وكان - رحمه الله - إمامًا عالمًا بالفقه والأصلين والحديث والتفسير والنحو والأدب وفي شهرته ما يغني عن الإطناب في ذكره.

وقد استوعبنا ترجمته في تاريخنا " المنهل الصافي " بأوسع من هذا فلينظر هناك لمن أراد ذلك.

ومن شعره: الكامل إن الولاية ليس فيها راحة إلا ثلاث يتبعها العاقل حكم بحق أو إزالة باطل أو نفع محتاج سواها باطل وتوفي قاضي القضاة نور الدين أبو الحسن علي بن عبد النصير بن علي السخاوي المصري المالكي قاضي قضاة الديار المصرية بها وقد قارب الثمانين سنة في ليلة الإثنين ثاني جمادى وتوفي الشيخ الأديب شمس الدين محمد بن يوسف بن عبد الله الدمشقي الشاعر المشهور المعروف بالخياط بطريق الحجاز.

ومن شعره قوله: خلفت بالشام حبيبي وقد يمتت مصرًا لغني طارق والأرض قد طالت فلا تبعدني بالله يا مصر على عاشق وتوفي القاضي تاج الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد المنعم بن عبد الرحمن بن عبد الحق السعدي البارنباري المصري كاتب سر طرابلس.

وكان فاضلاً كاتبًا خدم الملوك وياشر كتابة سر طرابلس.

وكان له شعر جيد وكتابة حسنة.

رحمه الله تعالى.

وتوفي الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم بن محمد الحلبي النحوي المقرئ الفقيه الشافعي المعروف بابن السمين - رحمه الله - في جمادى الآخرة.

وكان إمامًا عالمًا أفتى ودرس وأقرأ عدة سنين.

وتوفي الأمير سيف الدين قبلاي بن عبد الله الناصري في يوم الأربعاء ثالث شهر ربيع الأول.

وكان أصله من مماليك الناصر محمد بن قلاوون وولي نيابة الكرك ثم الحجوية الثانية بمصر ثم نقل إلى الحجوية الكبرى بها ثم ولي نيابة السلطنة بالديار المصرية.

وقد تقدم من ذكره نبذة جيدة في عدة تراجم.

وتوفي القاضي زين الدين خضر ابن القاضي تاج الدين محمد بن زين الدين خضر بن جمال الدين عبد الرحمن بن علم الدين سليمان بن نور الدين علي كاتب الإنشاء بالديار المصرية.

ومولده ليلة الأحد رابع ذي الحجة سنة عشر وسبعمائة.

كان فاضلاً قادراً على الكتابة سريعتها يكتب من رأس القلم التواقيع والمناشير واعتمد القاضي علاء الدين علي بن فضل الله عليه.

وكان له نظم ونثر.

رحمه الله تعالى.

ومن شعره في مقص قوله: يحركني مولاي في طوع أمره ويسكنني شأنه وسط فؤاده ويقطع بي إن رام قطعاً وإن يصل يشق بحدي الوصل عند اعتماده وتوفي الأمير سيف الدين أص ملك بن عبد الله بطالاً بدمشق في شهر رمضان.

وكان من أعيان الأمراء وتنقل في عدة وظائف وأعمال وكان مشهوراً بالشجاعة.

رحمه الله.

وتوفي الأمير سيف الدين قردم بن عبد الله الناصري الأمير آخور بطالاً بدمشق في يوم الأحد تاسع عشر شهر رمضان وقد تقدم ذكره في عدة أماكن.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمسة أذرع وأربع عشره إصبغاً.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وإحدى وعشرون إصبغاً.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

وهي سنة سبع وخمسين وسبعمائة.

فيها توفي السيد الشريف شرف الدين أبو الحسن علي بن الحسين بن محمد الحسيني نقيب الأشراف بالديار المصرية وقد توفي عن سبعين سنة.

وكان رحمه الله إمامًا عالمًا فاضلاً درس بالقاهرة بمشهد الحسين والفخرية وولي حسيبة القاهرة ووكالة بيت المال وكان معدودًا من الرؤساء العلماء.

وتوفي قاضي القضاة نجم الدين أبو عبد الله محمد ابن القاضي فخر الدين عثمان بن أحمد بن عمرو بن محمد الزرعي الشافعي قاضي قضاة حلب في صفر.

وكان - رحمه الله - إمامًا عالمًا فاضلاً.

أفتى ودرس وولي الحكم بعدة بلاد.

وتوفي صاحب بغداد وما والاها الشيخ حسن بن الحسين بن آقبا بن أيلكان ببغداد وملك بعده ابنه الشيخ أويس.

والشيخ حسن هذا هو سبط الملك أرغون بن أبغا بن هولوكو بن طولون بن جنكزخان ملك التتار صاحب " اليسق " والأحكام التركية.

وكان في أيام الشيخ حسن الغلاء العظيم ببغداد حتى أبيع بها الخبز بسنج الدراهم وبيع الناس عنها وكان مشكور السيرة.

رحمه الله تعالى.

وتوفي الشيخ الإمام شرف الدين إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم المناوي الشافعي في يوم الثلاثاء خامس شهر رجب وكان - رحمه الله - فقيهاً عالمًا.

ناب في الحكم بالقاهرة وأفتى ودرس وشرح الفرائض " من الوسيط " وغيره.

وتوفي الشيخ الإمام العالم كمال الدين أحمد بن عمر بن أحمد بن مهدي النشائي الشافعي في يوم الأحد حادي عشر صفر ومولده في أوائل ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وستمائة.

وكان - رحمه الله - إمامًا عالمًا خطيبًا فصيحًا مصنفًا.

ولي خطابة جامع الأمير أيدير الخطيري ببولاق وإمامته ودرس به وهو أول من ولي خطابته وإمامته.

ومن مصنفاته: كتاب " جامع المختصرات " وكتاب " المنتقى " .

وعلق على " التنبيه " استدراقات وله غير ذلك.

والله أعلم.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وأربع أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وعشرون إصبغًا.

والله أعلم.

السنة الثالثة من سلطنة الناصر حسن الثانية

وهي سنة ثمان وخمسين وسبعمئة.

فيها توفي الأمير الكبير أتابك العساكر شيخون بن عبد الله العمري الناصري الللا مدبر الممالك الإسلامية بالديار المصرية في السابع من ذي الحجة بالقاهرة من جرح أصابه لما ضربه قطلوخواج السلاح دار في موكب السلطان حسن حسب ما تقدم ذكره في ترجمة السلطان حسن هذه الثانية.

وقيل: كانت وفاته في أواخر ذي القعدة وسنه نيف على خمسين سنة.

وكان أصله من كتابية الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان تركي الجنس جليه خواجا عمر من بلاده وباعه للملك الناصر وترقى بعد موت الملك الناصر حتى صار أتابك العساكر بالديار المصرية.

وهو أول من سمي بالأمير الكبير وليها بخلعة وصارت من بعده وظيفة.

وهو صاحب الجامع والخانقاه بخط صليبة أحمد بن طولون.

وقد تقدم من ذكره في ترجمة الملك الناصر حسن والملك الصالح صالح وغيرهما ما يستغنى عن ذكره هنا ثانيًا.

ودفن بخانقاه المذكورة.

وفي شيخون يقول بعض شعراء عصره مضمناً: شيخو الأمير المفدي كله حسن حوى المحاسن والحسنى ولا عجب دع الذين يلوموني عليه سدى ليذهبوا في ملامي أية ذهبوا وتوفي الشيخ الإمام العالم العلامة قوام الدين أبو حنيفة أمير كاتب ابن أمير عمر ابن أمير غازي الفارابي الإتقاني الحنفي بالقاهرة ودفن بالصحراء خارج القاهرة.

وكان - رحمه الله - إمامًا عالمًا مفتيًا بارعًا في الفقه واللغة العربية والحديث وأسماء الرجال وغير ذلك من العلوم وله تصانيف كثيرة منهما: " شرح الهداية " في عشرين مجلدًا " وشرح الأخسيكي " و " شرح البزدوي " ولم يكمله.

وولي التدريس بمشهد أبي حنيفة ببغداد.

ثم قدم دمشق فأفتى بها ودرس واشتغل وصنف بدمشق كتابًا في منع رفع اليدين في الصلاة فاضلاً عن تكبيرة الافتتاح.

ثم طلب إلى القاهرة مكرماً معظماً حتى حضرها وصار بها من أعيان العلماء لا سيما عند الأمير صرغتمش الناصري فإنه لأجله بنى مدرسته بالصليبية حتى ولاه تدريسها.

ولما مات - رحمه الله تعالى - ولي تدريس الصرغتمشية العلامة أرشد الدين السرائي الحنفي.

وتوفي قاضي القضاة نجم الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن القاضي عماد الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المنعم بن عبد الصمد الطرسوسي ثم الدمشقي الحنفي قاضي قضاة الحنفية بدمشق بها عن نحو أربعين سنة.

وكان - رحمه الله - إمامًا عالمًا علامة أفتى ودرس وناب في الحكم عن والده بدمشق ثم استقل بالوظيفة من بعده عدة سنين وحمدت سيرته.

وله مصنفات كثيرة منها: كتاب " رفع الكلفة عن الإخوان في ذكر ما قدم القياس على الاستحسان " وكتاب " مناسك الحج " مطول وكتاب " الاختلافات الواقعة في المصنفات " وكتاب " محظورات الإحرام " وكتاب " الإرشادات في ضبط المشكلات " عدة مجلدات وكتاب " الفتاوى في الفقه " وكتاب " الإعلام في مصطلح الشهود والأحكام " وكتاب " الفوائد المنظومة وتوفي الأمير سيف الدين أرغون بن عبد الله الكامل المعروف بأرغون الصغير بالقدس بطالاً قبل أن يبلغ الثلاثين سنة من العمر.

وكان أرغون خصيصاً عند الملك الكامل ثم عند أخيه الملك الصالح إسماعيل وترقى حتى صار أمير مائة ومقدم ألف بديار مصر.

ثم ولي نيابة حلب ثم نيابة الشام ثم أعيد إلى نيابة حلب ثانياً إلى أن طلب إلى القاهرة وقيض عليه واعتقل بالإسكندرية مدة ثم أخرج إلى القدس بطالاً فمات به.

وكان أميراً جليلاً عارفاً شجاعاً كريماً وفيه بر ومعروف وله مآثر من ذلك بيمارستان بحلب وغيره.

رحمه الله تعالى.

وتوفي الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد المحسن العسجدي الشافعي.

كان معدوداً من فقهاء الشافعية.

رحمه الله.

وتوفي القاضي علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن الأطروش الحنفي محتسب القاهرة وقاضي العسكر بها.

كان من بياض الناس وله وجهة.

رحمه الله تعالى.

وتوفي الشيخ الإمام العلامة محب الدين أبو عبد الله محمود ابن الشيخ الإمام علاء الدين أبي الحسن علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي الشافعي في يوم الأربعاء ثامن عشرين شهر ربيع الآخر وكان فقيهاً مصنفاً ومن مصنفاته: " شرح ابن الحاجب في الأصول " وكتاب " اعتراضات على شرح الحاوي " في الفقه لأبيه.

وله غير ذلك.

الماء القديم سبع أذرع وإصبع.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وست أصابع.

والله أعلم.

السنة الرابعة من سلطنة الناصر حسن الثانية وهي سنة تسع وخمسين وسبعمائة.

فيها توفي الأمير سيف الدين صرغتمش بن عبد الله الناصري في سجنه بثغر الإسكندرية في ذي الحجة.

وكان أصله من مماليك الناصر محمد بن قلاوون وترقى حتى صار من أكابر الأمراء ومديري الديار المصرية مع الأمير شيخون وبعده وقد تقدم من ذكره في ترجمة الملك الصالح والملك الناصر حسن ما يكتفي بذكره هناك.

ولما حبسه الملك الناصر حسن بثغر الإسكندرية كتب إليه صرغتمش كتابًا يتخضع إليه فيه وفي أوله: قلبي يحدثني بأنك متلفي روعي فداك عرفت أم لم تعرف فلم يلتفت الملك الناصر لكتابه وفعل به ما قدر عليه.

وكان صرغتمش عظيمًا في الدولة فاضلاً مشاركًا في فنون يذاكر بالفقه والعربية ويحب العلماء وأرباب الفضائل ويكثر من الجلوس معهم وهو صاحب المدرسة بخط الصليبية وله بر وصدقات إلا أنه كان فيه ظلم وعسف مع جيروت.

وتوفي القاضي شرف الدين أبو البقاء خالد بن عماد الدين إسماعيل بن محمد ابن عبد الله بن محمد بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر المخزومي الشافعي المعروف بابن القيسراني الحلبي ثم الدمشقي بدمشق عن نيف وخمسين سنة وكان كاتبًا فاضلاً مصنفاً. باشر كتابة الإنشاء بدمشق ووكالة بيت المال وسمع الكثير.

وتوفي قاضي الإسكندرية فخر الدين أبو العباس محمد بن أحمد بن عبد الله الشهير بابن المخلطة في يوم الجمعة سابع شهر رجب.

ولي قضاء الإسكندرية أشهرًا بعد أن كان درس بالقاهرة بمدرسة الصرغتمشية: درس الحديث.

وكان فاضلاً عارفاً بالأصول وله سماع.

وتولى بعده قضاء الإسكندرية بابن التنسي.

وتوفي ملك الغرب أبو عنان فارس ابن السلطان أبي الحسن علي بن السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن حمامة المريني المغربي بمدينة فاس بعد أن حكم خمس سنين وكان مشكور السيرة.

رحمه الله.

وتوفي الشريف مانع بن علي بن مسعود بن جماز بن شيحة الحسيني أمير المدينة بها.

وتولى المدينة الشريفة بعده ابن عمه فضل بن القاسم في ذي القعدة.

وتوفي الأمير سيف بن فضل بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة ابن عصية في ذي القعدة وكان جوادًا شجاعًا.

ولي إمرة آل فضل غير مرة.

وقيل إنه قتل سنة ستين وهو الأصح.

وتوفي الشيخ الإمام شمس الدين محمد بن عيسى بن حسن بن كر الحنبلي إمام أهل الموسيقى وله فيها تأليف حسنة ويتصل نسبه إلى الخليفة مروان بن محمد الحمار.

وكان صوفيًا فقيهاً وله زاوية عند مشهد الحسين بالقاهرة.

ومولده في شهر ربيع الأول سنة إحدى وثمانين وستمئة بالقاهرة.

وكان فاضلاً قرأ القرآن على الشطنوفي وحفظ " الأحكام " لعبد الغني و " العمدة في الفقه " للشيخ موفق الدين " والملحة " للحريري وسمع على أشياخ عصره مثل الدمياطي والابرقوهي وغيرهما وصنف كتاباً في الموسيقى سماه: " غاية المطلوب في فن الأنغام والضروب " وقد أوضحنا أمره وما يتعلق بفنه الموسيقي في المنهل الصافي إذ هو محل الاستيعاب.

وتوفي الأمير الطواشي صفى الدين جوهر بن عبد الله الجناحي البتخاسي مقدم المماليك السلطانية وقد قارب المائة سنة من العمر.

وكان من أعيان الخدام وأماثلهم.

وتوفي الأمير سيف الدين تنكزبغا بن عبد الله المارديني أمير مجلس وزوج أخت السلطان حسن.

كان من أكابر الأمراء بالديار المصرية لا سيما في دولة الناصر حسن.

وكان عاقلاً مدبرًا سيوسًا.

وتوفي الشيخ شمس الدين أبو عبد الله صمد بن إبراهيم بن داود بن الهكاري الكردي الشافعي بدمشق في ذي القعدة.

ومولده سنة خمس وثمانين وستمئة.

وكان فقيهاً فاضلاً.

وتوفي الأمير سيف الدين ملكتمر بن عبد الله السعدي في ذي القعدة بحماة بطلاً بعد أن ولي عدة وظائف وتنقل في عدة ولايات.

رحمه الله تعالى.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وثمانين أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً سواء.

السنة الخامسة من سلطنة الناصر حسن الثانية وهي سنة ستين وسبعمئة.

فيها توفي قاضي القضاة تقي الدين أبو عبد الله محمد بن شهاب الدين أحمد ابن شاش المالكي قاضي قضاة الديار المصرية في يوم الأربعاء رابع شوال ودفن بالقرافة.

وكان إمامًا بارعًا في مذهبه أفتى ودرس وناب في الحكم ثم آستقل بالقضاء وكان مشكور السيرة من علم وفضل.

رحمه الله.

توفي قاضي قضاة حماة تقي الدين أبو المظفر محمود بن بدر الدين محمد بن عبد السلام بن عثمان القيسي الحنفي الحموي الشهير بابن الحكيم.

باشتر قضاء حماة تسع عشرة سنة وحمدت سيرته ومات بمنزلة ذات الحج من الحجاز وقد جاوز ستين سنة.

وكان عالمًا زاهدًا ورعًا.

وتوفي الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام وقطب الوجود أبو البقاء وقيل أبو الوفاء خليل بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر المالكي المالقي ثم المكي العالم المشهور صاحب التصانيف في مذهبه بمكة المشرفة بعد أن انتهت إليه رئاسة مذهبه ولم يخفف بعده مثله.

وتوفي القاضي جمال الدين إبراهيم ابن العلامة شهاب الدين محمود بن سليمان ابن فهد الحلبي الحنبلي بحلب عن أربع وثمانين سنة.

وكان فاضلاً كاتبًا ماهرًا في صناعته.

كتب في ديوان الإنشاء بمصر وولي كتابة سر حلب ثلاث مرات نيقًا وعشرين سنة وحدث عن جماعة من حفاظ الديار المصرية والإسكندرية.

وكان عارفًا بالاصطلاح والكتابة وله نظم ونثر.

ومن شعره ما كتبه لوالده متشوقًا بقوله: هل زمن ولى بكم عائذ أم هل ترى يرجع عيش مضى فارقتكم بالرغم مني ولم اختره لكني أطعت القضا قلت: لو كانت وظيفته قضاء حلب كان في قوله: "أطعت القضا" تورية.

جوادًا ممدحًا.

وفيه يقول البارع جمال الدين محمد بن نباتة المصري قصيدته المشهورة التي أولها:
وتوفي القاضي تاج الدين أحمد بن يحيى بن محمد بن علي أبي القاسم بن علي بن أبي الفضل العذري الدمشقي الحنفي المعروف بابن السكاكري.

كان عارفًا بعلم المكاتب الحكيمة خبيرًا بسلوك طرائفها العلمية والعملية.

وكتب الحكم والإنشاء بحلب ومات عن خمس وستين سنة رحمه الله تعالى.

وتوفي الأمير عز الدين طقطاي بن عبد الله الصالحي الدوادار بطرابلس بضع وأربعين سنة معتقلًا.

وكان أميرًا فاضلاً جليلاً رئيسًا.

وفيه يقول الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي تغمده الله برحمته: هذا الدوادار الذي أقلامه تذر المهارق مثل روض نافح تجري بأرزاق الوري فمدادها وبل تحدر من غمام سافح أستغفر الله العظيم غلظت بل نهر جرى من لج بحر طافح وإذا تكون كرهية فيمينه تسطو بحد أسنة وصفائح يا فخر دهر قد حواه فإنه عز لمولانا المليك الصالح

وتوفي الخان جانبك خان بن أزيك خان صاحب كرسي سراي وبلاد الدشت بها بعد أن حكم ثماني عشرة سنة.

ونسبه يتصل لجنكزخان وتولى بعده الملك ابنه بردبك خان والله أعلم أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وثلاث عشرة إصبغًا.

مبلغ الزيادة تسع عشرة ذراعًا وثلاث أصابع.

وقيل أربعة أصابع من غير زيادة والله سبحانه أعلم بالصواب.

السنة السادسة من سلطنة الناصر حسن الثانية وهي سنة إحدى وستين وسبعمائة.

فيها توفي الشيخ الإمام العالم العلامة جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري الحنبلي النحوي في ليلة الخامس من ذي القعدة ودفن بعد صلاة الجمعة بمقابر الصوفية خارج باب النصر من القاهرة.

وكان بارعًا في عدة علوم لا سيما العربية فإنه كان فارسها ومالك زمامها وهو صاحب الشرح على ألفية ابن مالك في النحو المسمى " بالتوضيح " وشرح أيضًا " البردة " وشرح " بانت سعاد " وكتاب " المغني " وغير ذلك ومات عن بضع وخمسين سنة.

وكان أولًا حنفيًا ثم استقر حنبليًا وتنزل في دروس الحنابلة.

وتوفي قاضي القضاة صدر الدين أبو الربيع سليمان بن داود بن سليمان بن محمد بن عبد الحق الدمشقي الحنفي باليمن عن ثلاث وستين سنة.

وكان إمامًا بارعًا مفتيًا.

أفتى ودرس بدمشق وياشر بها عدة وظائف منها: كتابة الإنشاء والنظر في الأحكام ورحل إلى العراق وخراسان ومصر والحجاز واليمن.

وكان له شعر جيد من ذلك قوله: لما بدا في خده عارض وشاق قلبي نبتة الأخضر أمطر أجفاني مستمطرًا فقلت هذا عارض ممطر وتوفي الشيخ الإمام الحافظ صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلي العلاءي الدمشقي الشافعي.

كان إمامًا حافظًا رحالًا عارفًا بمذهبه.

سمع بالشام ومصر والحجاز وتقدم في علم الحديث وجمع وألف وصنف ودرس بالصلاحية والتنكزية بالقدس وكانت وفاته في المحرم من هذه السنة.

وقال الإسنوي: سنة ستين.

ومولده بدمشق في سنة أربع وتسعين وستمائة.

وتوفي القاضي ضياء الدين أبو المحاسن يوسف بن أبي بكر بن محمد الشهير بابن خطيب بيت الأبار الدمشقي.

مات بالقاهرة عن نيف وسبعين سنة.

وكان مقدّمًا في الدولة الناصرية وياشر الحسبة ونظر الأوقاف وغيرهما.

وتوفي الشيخ تقي الدين إبراهيم ابن الشيخ بدر الدين محمد بن ناهض بن سالم بن نصر الله الحلبي الشهير بابن الضرير بحلب عن بضع وستين سنة.

وكان فقيهاً بارعاً.

سمع الحديث وجمع وحصل وكتب كثيرًا من الإنشاء والعلم والأدب.

وتوفي الشريف زين الدين أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن علي محمد بن علي الحسيني الحلبي نقيب الأشراف بحلب.

كان رئيسًا نبيلًا من بيت رياسة وشرف.

رحمه الله تعالى.

وتوفي الشيخ شرف الدين موسى بن كجك الإسرائيلي الطبيب في شوال.

وكان بارعًا في الطب مشاركًا في غيره.

وتوفي الشيخ الإمام الخطيب شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن القسطلاني خطيب جامع عمرو - رحمه الله - بمصر القديمة في ذي الحجة.

وكان دينًا خيرًا من بيت فضل وخطابة وقد تقدم ذكر جماعة من آباءه وأقاربه.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم اثنتا عشرة ذراعًا سواء.

مبلغ الزيادة أربع وعشرون ذراعًا.

قاله غير واحد.

وخربت أماكن كثيرة من عظم زيادة النيل.

والله أعلم.

سلطنة الملك المنصور محمد السلطان الملك المنصور أبو المعالي ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المظفر حاجي ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون المنصوري الحادي والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية.

جلس على تخت الملك صبيحة قبض على عمه الملك الناصر حسن وهو يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة اثنتين وستين وسبعمائة وكان عمره يومئذ نحوًا من أربع عشرة سنة بعد أن اجتمع الخليفة المعتضد بالله والقضاة والأعيان.

ثم فوض عليه خلة السلطنة وهو التشريف الخلفتي في يوم الخميس عاشر الشهر المذكور ولقبوه الملك المنصور وحلفت له الأمراء على العادة.

وركب من باب الستارة من قلعة الجبل إلى الإيوان وعمره ست عشرة سنة.

قاله العيني.

والأصح ما قلناه.

ثم خلع على الأمير يلبغا العمري الناصري الخاصكي وصار مدير مملكته وبشاركه في ذلك خشداشه الأمير طيبغا الطويل على أن كلا منهما لا يخالف الآخر في أمر من الأمور.

ثم خلع على الأمير قطلوبغا الأحمدي واستقر رأس نوبة الثوب.

وخلع على قشتمر المنصوري بناية السلطنة بالديار المصرية ونظر البيمارستان المنصوري عوضًا عن الأمير اقتمر عبد الغني وخلع على الشريف عز الدين عجلان بامرة مكة على عادته.

ثم كتب بالإفراج عن جماعة من الأمراء من الحبوس وهم الأمير جركتمر المارديني وطشتمر القاسمي وقطلوبغا المنصوري.

وخلع على طشتمر القاسمي بناية الكرك من يومه وعلى ملكتمر المحمدي بناية صفد ونفى أطقتمر المؤمني إلى أسوان وخلع على الأمير ألجاي اليوسفي حاجب الحجاب واستقر أمير جاندار وأفرج عن الأمير طاز اليوسفي الناصري من اعتقاله بثغر الإسكندرية بعد أن حبس بها ثلاث سنين وزيادة وكان السلطان الملك الناصر حسن قد أكحله وأفرج أيضًا عن أخوي طاز: الأمير جنتمر وكلتاي وعن قرابغا وحضروا الجميع إلى بين يدي السلطان وحضر طاز وعلى عينيه شعرية فأخلع عليه وسأل أن يقيم بالقدس فأجيب وسافر إلى القدس وأقام به إلى أن مات على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

ولما بلغ خبر قتل الملك الناصر حسن إلى الشام عظم ذلك على بيدمر نائب الشام وخرج عن الطاعة في شعبان سنة اثنتين وستين وسبعمائة وعصى معه أسندمر الزيني ومنجك اليوسفي وحصنوا قلعة دمشق.

فلما بلغ ذلك يلبغا العمري استشار الأمراء في أمرهم فاتفقوا على خروج السلطان إلى البلاد الشامية.

وتجهز يلبغا وجهاز السلطان الملك المنصور إلى السفر وأنفق في الأمراء والعساكر.

وخرج السلطان ولبغا بالعساكر المصرية إلى الريدانية في أواخر شعبان.

ثم رحل الأمير يلبغا جاليش العسكر في يوم الاثنين مستهل شهر رمضان.

ورحل السلطان الملك المنصور في يوم الثلاثاء الثاني منه ببقية العساكر وساروا حتى وصلوا دمشق في السابع والعشرين من شهر رمضان المذكور فتحصن الأمراء المذكورون بمن معهم في قلعة دمشق فلم يقاتلهم يلبغا وسير إليهم في الصلح.

وترددت الرسل إليهم وكان الرسل قضاة الشام حتى حلف لهم يلبغا أنه لا يؤذيهم وأمنهم فنزلوا حينئذ إليه فحال وقع بصره عليهم أمر بهم فقبضوا وقيدوا وحملهم إلى الإسكندرية إلى الاعتقال بها.

وخلع يلبغا على أمير علي المارديني نيابة دمشق على عاداته أولاً - وهذه ولاية أمير علي الثالثة على دمشق - وتولى الأمير قطلوبغا الأحمدى رأس نوبة نيابة حلب عوضاً عن الأمير شهاب الدين أحمد بن القشتمري.

وأقام السلطان ولبغا مدة أيام ومهد يلبغا أمور البلاد الشامية حتى استوثق له الأمر.

ثم عاد إلى جهة الديار المصرية وصحبه الملك المنصور والعساكر حتى وصل إليها في ذي القعدة من سنة اثنتين وستين وسبعمائة.

وصار الأمر جميعه ليلبغا.

وأخذ يلبغا في عزل من اختار عزله وتولية من اختاره فأخلع على الطواشي سابق الدين مثقال الآنوكي زمام الدار واستقر في مقدمة المماليك السلطانية عوضاً عن الطواشي شرف الدين مخلص الموقفي.

ثم في شهر رجب استقر الأمير طغيتمر النظامي حاجب الحجاب بالديار المصرية وكانت شاعرة منذ ولي ألجاي اليوسفي أمير جاندار.

ثم في شعبان استقر الأمير قطلقتمر العلاني الجاشنكير أمير مائة ومقدم ألف بديار مصر.

ثم في شوال أخلع على الأمير إشقتمر المارديني أمير مجلس نيابة طرابلس واستقر طغيتمر النظامي عوضه أمير مجلس واستقر الأمير أسنبغا أبو بكرى حاجب الحجاب عوضاً عن طغيتمر النظامي.

ثم أخلع على الأمير عز الدين أيذر الشيخي نيابة حماة ثم استقر الأمير منكلي بغا الشمسي في نيابة حلب عوضاً عن قطلوبغا الأحمدى بحكم وفاته.

ثم أمسك الأمير.

شرف الدين موسى بن الأزكشي الأستاذار ونفي إلى حماة واستقر عوضه في الأستاذارية أروس المحمودي.

ثم تزوج الأمير الكبير يلبغا بطولوبيه زوجة أستاذه الملك الناصر حسن.

وفي هذه السنة بويع المتوكل على الله أبو عبد الله محمد بالخلافة بعد وفاة أبيه المعتضد بالله أبي بكر بعهد من أبيه في يوم الأربعاء ثامن عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة.

ثم أشيع في هذه السنة عن السلطان الملك المنصور محمد أمور شنة نفرت قلوب الأمراء منه.

واتفقوا على خله من السلطنة فخلع في يوم الثلاثاء خامس عشر شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة.

وتسلطن بعده ابن عمه الملك الأشرف شعبان بن حسين.

وحسين المذكور لم يتسلطن غير أنه كان لقب بالأمجد من غير سلطنة.

وأخذوا الملك المنصور محمدًا وحبسوه داخل الدور السلطانية بقلعة الجبل.

وكانت مدة سلطنته سنتين وثلاثة أشهر وستة أيام وليس له فيها من السلطنة إلا مجرد الاسم فقط.

والأتاك يلبغا هو المتصرف في سائر أمور المملكة.

وسبب خلعه - والذي أشيع عنه - أنه بلغ الأتابك يلبغا أنه كان يدخل بين نساء الأمراء ويمزح معهن وأنه كان يعمل مكاريًا للجواري ويركبهن ويجري هو وراء الحمار بالحوش السلطاني وأنه كان يأخذ زنبيلًا فيه كعك ويدخل بين النساء ويبيع ذلك الكعك عليهن على سبيل المماجنة وأنه يفسق في حريم الناس ويخل بالصلوات وأنه يجلس على كرسي الملك جنبًا وأشياء غير ذلك.

فاتفق الأمراء عند ذلك على خلعه فخلعوه وهم يلبغا العمري الخاصكي وطبيغا الطويل وأرغون الإسعردى وأرغون الأشرفي وطبيغا العلاني وألجاي اليوسفي وأروس المحمودي وطيدمر البالسي وقطلوبغا المنصوري وغيرهم من المقدمين والطبلخانات والعشروات.

واستمر الملك المنصور محبوبًا بالخور السلطانية من القلعة إلى أن مات بها في ليلة السبت تاسع المحرم من سنة إحدى وثمانمائة.

وزوج الملك الظاهر برقوق الوالد بابنته خوند فاطمة في حياة والدها الملك المنصور المذكور واستولدها الوالد عدة أولاد وماتت تحته في سنة أربع وثمانمائة.

ولما مات الملك المنصور صلى عليه الملك الظاهر برقوق بالحوش السلطاني من القلعة ودفن بتربة جدته أم أبيه بالروضة خارج باب المحروق بالقرب من الصحراء.

وكان محبًا للهو والطرب راضيًا بما هو فيه من العيش الطيب.

وكان له مغان عدة جوقة كاملة زيادة على عشر جوار يعرفن بمغاني المنصور استخدمهن الوالد بعد موته.

وكانت العادة تلك الأيام أن كل سلطان أو ملك يكون له خوقة من المغاني عنده في داره.

ولم يخلف الملك المنصور مالا له صورة وخلف عدة أولاد ذكور وإناث.

رأيت أنا جماعة منهم.

انتهى والله أعلم.

السنة الأولى من سلطنة المنصور محمد ابن الملك المظفر حاجي على مصر وهي سنة اثنتين وستين وسبعمائة ومدبر الممالك يلبغا العمري.

على أن الملك الناصر حسنا حكم منها إلى تاسع جمادى الأولى ثم حكم في باقيها الملك المنصور هذا.

فيها كان خلع الملك الناصر حسن وقتله حسب ما تقدم وسلطنة الملك المنصور هذا.

وفيهما توفي الأديب شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد المعروف بابن أبي طرطور الشاعر المشهور بحماسة عن بضع وسبعين سنة.

وكان - رحمه الله - شاعرًا ماهرًا حسن العشرة.

مدح الأكابر والأعيان ورحل إلى الشام ثم استوطن حماسة إلى أن مات.

رحمه الله.

ومن شعره في مליح اسمه يعقوب وهو هذا: الرمل يا مليحًا حاز وجهًا حسنا أورث الصب البكا والحزنا غلطوا في اسمك إذ نادوا به يوسف أنت ويعقوب أنا وتوفي الحافظ المفتن علاء الدين أبو عبد الله مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري الحنفي الحافظ المصنف المحدث المشهور في شعبان ومولده سنة تسعين وستمئة قاله ابن رافع وغيره في سنة تسع وثمانين.

وسمع من التاج أحمد ابن دقيق العيد وابن الطباخ والحسن بن عمر الكردي وأكثر عن شيوخ عصره.

وتخرج بالحافظ فتح الدين ابن سيد الناس وغيره ورحل وكتب وصنف وشرح صحيح البخاري ورتب صحيح ابن حبان وشرح سنن أبي داود ولم يكمله وذيل على المشتبه لابن نقطة وذيل على كتاب الضعفاء لابن الجوزي وله عدة مصنفات آخر.

وكان له اطلاع بر وباع واسع في الحديث وعلومه وله مشاركة في فنون عديدة.

تغمده الله برحمته.

وتوفي الشيخ الإمام البارع المحدث العلامة جمال الدين عبد الله بن يوسف الزيلعي الحنفي في الحادي والعشرين من المحرم.

وكان - رحمه الله - فاضلاً بارعاً في الفقه والأصول والحديث والنحو والعربية وغير ذلك.

وصنف وكتب وأفتى ودرس وخرج أحاديث الكشاف في جزء وأحاديث الهداية في الفقه على مذهب أبي حنيفة في أجزاء وأجاد أظهر فيه على اطلاع كبير وباع واسع.

رحمه الله تعالى.

وتوفي السيد الشريف شهاب الدين حسين بن محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن زيد الحسيني المصري الشافعي الشهير بابن قاضي العسكر نقيب الأشراف بالديار المصرية عن أربع وستين سنة.

وكان كاتبًا بارعًا أديبًا بليغًا.

كتب الإنشاء بمصر وياشر كتابة السر بحلب وله ديوان خطب وتعاليق ونظم وشر.

ومن شعره قوله: المتقارب تلق الأمور بصبر جميل وصدر رحيب وخل الحرج وسلم إلى الله في حكمه فإما الممات وإما الفرج وتوفي القاضي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب بن خلف بن بدر المعروف بابن بنت الأعز العلامي الفقيه الشافعي في يوم الخميس ثامن عشر شهر ربيع الآخر.

وكان فقيهاً بارعاً فاضلاً.

ولي نظر الأقباس بالقاهرة ووكالة بيت المال وعدة وظائف دينية - رحمه الله تعالى.

وتوفي الأمير سيف الدين بلبان بن عبد الله السناني الناصري الأستاذ وأحد أمراء المقدمين بالقاهرة.

وكان من أعيان أمراء الديار المصرية وفيه شجاعة ومروءة وكرم.

تغمده الله برحمته.

وتوفي القاضي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عيسى بن عيسى بن محمد بن عبد الوهاب بن ذؤيب الأمدي الدمشقي الشافعي المعروف بابن قاضي شهبة رحمه الله.

كان إماماً بارعاً أديباً ماهراً.

باشر الخطابة بمدينة غزة سنين ثم كتب الإنشاء بدمشق وكان له نظم ونثر وخطب.

وتوفي الشيخ شمس الدين محمد بن مجد الدين عيسى بن محمود بن عبد اللطيف البعلبكي المعروف بابن المجد الموسوي في سلخ صفر.

وكان فقيهاً فاضلاً إلا أنه كان غلب عليه الوسواس حتى إنه كان في بعض الأحيان يتوضأ من فسقية الصالحية بين القصرين فلا يزال به وسواسه حتى يلقي نفسه في الماء بشيابه.

وتوفي الفقيه الكاتب المنشي كمال الدين أبو عبد الله محمد بن شرف الدين أحمد بن يعقوب بن فضل بن طرخان الزيني الجعفري العباسي الدمشقي الشافعي بضواحي القاهرة.

كان معدوداً من الرؤساء الفضلاء الأدباء.

وتوفي الشيخ المعمر المعتقد أبو العباس أحمد بن موسى الزرعي الحنبلي أحد الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر في المحرم بمدينة حبراص من الشام.

وكان قويًا في ذات الله جريئًا على الملوك والسلاطين.

أبطل عدة مكوس ومظالم كثيرة وقدم إلى القاهرة أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون وله معه أمور يطول شرحها.

وكان يخاطب الملوك كما يخاطب بعض الحرافيش وله على ذلك قوة وشدة بأس.

رحمه الله تعالى.

وتوفي الأمير سيف الدين برناق بن عبد الله نائب قلعة وتوفي قاضي الكرك محي الدين أبو زكريا يحيى بن عمر الزكي الشافعي - رحمه الله - في أوائل ذي القعدة وهو معزول.

وتوفي قتيلاً صاحب فاس من بلاد المغرب السلطان أبو سالم إبراهيم ابن السلطان أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني في ليلة الأربعاء ثامن عشر ذي القعدة - رحمه الله تعالى - وكان من أجل ملوك الغرب.

وتوفي الخوaja عز الدين حسين بن داود بن عبد السيد بن علوان السلامي التاجر في شهر رجب بدمشق وقد حدث وكان مثيراً وخلف مالا كبيراً.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع واثنتا عشرة إصبغاً.

مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وعشر أصابع.

والله أعلم.

السنة الثانية من سلطنة المنصور محمد ابن الملك المظفر

حاجي على مصر وهي سنة ثلاث وستين وسبعمائة.

فيها توفي الشيخ الإمام العالم الخطيب شمس الدين أبو أمامة محمد بن علي بن عبد الواحد بن يحيى بن عبد الرحيم الدكالي المصري الشافعي الشهير بابن النقاش - رحمه الله تعالى - في يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر ربيع الأول ودفن آخر النهار بالقرب من باب البرقية خارج القاهرة عن ثلاث وأربعين سنة.

وكان إماماً بارعاً فصيحاً مفوهاً وله نظم ونثر ومواعيد.

وخطب بجامع أصلم ودرس به وبالآنوكية وعمل عدة مواعيد بالقاهرة والقدس والشام واتصل بالملك الناصر حسن وحظي عنده.

وهو الذي كان سبباً لخراب بيت الهرماس الذي كان عمره في زيادة جامع الحاكم وساعده في ذلك العلامة قاضي القضاة سراج الدين الهندي الحنفي.

وكان له نظم ونثر وخطب ومن شعره قصيدته التي أولها: الكامل طرقت وقد نامت عيون الحسد وتوارت الرقباء غير الفرقد وتوفي قاضي القضاة تاج الدين أبو عبد الله محمد ابن القاضي علم الدين محمد بن أبي بكر عيسى بن بمران السعدي الإخنائي المالكي - رحمه الله - بالقاهرة.

وكان فقيهاً فاضلاً رئيساً ولي نظر الخزانة السلطانية ثم باشر الأحكام الشرعية إلى أن مات.

وتوفي الخليفة أمير المؤمنين المعتضد بالله أبو الفتح ثم أبو بكر ابن الخليفة المستكفي بالله أبي الربيع سليمان ابن الخليفة الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن حسن ابن الخليفة الراشد بالله منصور ابن الخليفة المسترشد بالله الفضل ابن الخليفة المستظهر بالله أحمد ابن الخليفة المقتدي بالله عبيد الله ابن الأمير ذخيرة الدين محمد ابن الخليفة القائم بأمر الله عبد الله ابن الخليفة القادر بالله أحمد ابن الأمير إسحاق ابن الخليفة المقتدر بالله جعفر ابن الخليفة المعتضد بالله أحمد ابن الأمير الموفق طلحة ابن الخليفة المتوكل على الله جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد بالله هارون ابن الخليفة المهدي محمد ابن الخليفة أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس العباسي الهاشمي المصري -

رحمه الله - بالقااهرة في ليلة الأربعاء ثامن عشر شهر جمادى الأولى وعهد بالخلافة لولده من بعده المتوكل محمد.

وتوفي الأمير سيف الدين طاز بن عبد الله الناصري المقدم ذكره في عدة أماكن من تراجم أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو بطل بالقدس.

وكان من خواص الملك الناصر محمد ثم ترقى بعد موته إلى أن صار مدير الديار المصرية.

ثم ولي نيابة حلب بعد أمور وقعت له ثم قبض عليه وحبس وسمل إلى أن أطلقه يلغا في أوائل سلطنة الملك المنصور محمد هذا وأرسله إلى القدس بطالاً فمات به.

وكان من الشجعان.

وتوفي القاضي أمين الدين محمد بن جمال الدين أحمد بن محمد بن محمد بن نصر الله المعروف بابن القلانسي التميمي الدمشقي بها.

كان أحد أعيان دمشق معدوداً من الرؤساء.

باشر بها عدة وظائف ثم ولي كتابة سر دمشق أخيراً.

وكان فاضلاً كاتباً.

وتوفي القاضي ناصر الدين محمد ابن الصاحب شرف الدين يعقوب بن عبد الكريم الحلبي الشافعي كاتب سر حلب ثم دمشق.

ولد سنة سبع وسبعمائة بحلب ونشأ بها وبرع في عدة علوم وأذن له بالإفتاء والتدريس.

وولي كتابة السر والإنشاء بحلب عوضاً عن القاضي شهاب الدين ابن القطب وأضيف إليه قضاء العسكر بها.

ثم نقل إلى كتابة سر دمشق بعد وفاة تاج الدين بن الزين خضر.

وكان ساكناً محتملاً مدارياً كثير الإحسان إلى الفقراء.

وكان يكتب خطأ حسناً وله نظم ونثر جيد إلى الغاية.

وكان مستحضراً للفقهاء وأصوله وقواعد أصول الدين والمعاني والبيان والهيئة والطب.

ومن شعره رحمه الله: الرمل وكأن القطر في ساجي الدجى لؤلؤ رصع ثوبا أسودا فإذا جادت على الأرض غدا فضة تشرق مع بعد المدى وتوفي الأمير سيف الدين أئبك بن عبد الله أخو الأمير بكتمر الساقى.

وكان من جملة أمراء الطبلخانات.

وتوفي الأمير الطواشي صفى الدين جوهر الزمردي بقوص في شعبان.

وكان من أعيان الخدام وله رياسة ضخمة.

وتوفي الشيخ الإمام العالم شمس الدين محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج الدمشقي الحنبلي بدمشق في شهر رجب.

وكان فقيهاً بارعاً مصنفاً.

صنف كتاب الفروع وهو مفيد جداً وغيره.

وتوفي الشيخ المعتقد فتح اللين يحيى بن عبد الله بن مروان الفارقي الأصل الدمشقي الشافعي في شهر ربيع الأول بدمشق ومولده بالقاهرة في سنة اثنتين وسبعين وستمائة.

رحمه الله تعالى.

وكان صالحاً عالماً صوفياً.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع سواء.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وإصبعان.

السنة الثالثة من سلطنة المنصور محمد على مصر وهي سنة أربع وستين وسبعمائة.

وهي التي خلع فيها الملك المنصور المذكور بآب عمه الأشرف شعبان بن حسين في شعبان منها.

فيها كان الطاعون بالديار المصرية والبلاد الشامية ومات فيه خلق كثير لكنه كان على كل حال أخف من الطاعون العام الذي كان في سنة تسع وأربعين وسبعمائة المقدم ذكره.

وفيها توفي الشيخ عماد الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن عمر القرشي الإسنائي الشافعي في ثامن عشرين جمادى الآخرة ودفن خارج باب النصر من القاهرة.

كان إماماً عالماً وتوفي الشيخ سراج الدين أبو حفص عمر بن شرف الدين عيسى بن عمر الباريني الشافعي الحلبي بحلب عن ثلاث وستين سنة.

وكان من الفقهاء الأفاضل رحمه الله.

وتوفي القاضي كمال الدين أبو العباس أحمد ابن القاضي تاج الدين محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر بن هبة الله بن عبد القادر بن عبد الواحد بن هبة الله بن طاهر بن يوسف الحلبي الشهير بابن النصيبي بحلب عن تسع وستين سنة.

كان كاتباً بارعاً.

سمع الحديث وحدث وعلق بخطه كثيراً وياشر كتابة الإنشاء بحلب ثم ترك ذلك كله ولزم العزلة إلى أن مات.

وتوفي صاحب تقي الدين سليمان بن علاء الدين علي بن عبد الرحيم بن أبي سالم بن مراحل الدمشقي بدمشق وهو من أبناء الثمانين.

وكان كاتباً رئيساً.

ولي نظر الدولة بمصر ثم ولي وزارة دمشق ونظر قلعتها وغير ذلك من الوظائف ونقل في عدة خدم ومن إنشاده لوالده: الطويل أ أحبابنا شوقي إليكم مضاعف وذكركم عندي مع البعد وافر وقلبي لما غبتم طار نحوكم وأعجب شيء واقع وهو طائر وتوفي القاضي شمس الدين عبد الله بن شرف الدين يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أبي السفاح الحلبي بالقاهرة عن نيف وخمسين سنة رحمه الله.

كان جليلاً باشر كتابة الإنشاء بحلب إن قضى الله موتتي وفراقي أحبتي فعليهم تأسفي وإليهم تلفتي أو يكن حان مصرعي وتدانت منيتي رحم الله مسلماً زار قبري وحفرتي وتوفي الشيخ الإمام البارع الأديب المفتن صلاح الدين أبو الصفاء خليل ابن الأمير عز الدين أبيك بن عبد الله الألبكي الصفدي الشاعر المشهور بدمشق في ليلة الأحد عاشر شوال.

ومولده سنة ست وتسعين وستمائة.

وكان إماماً بارعاً كاتباً ناظماً ناثراً شاعراً.

وديوان شعره مشهور بأيدي الناس وهو من المكثرين.

وله مصنفات كثيرة في التاريخ والأدب والبديع وغير ذلك وتاريخه المسمى: الوافي بالوفيات في غاية الحسن وقفت عليه وانتقيته ونقلت منه أشياء كثيرة في هذا المؤلف وفي غيره.

وله تاريخ آخر أصغر من هذا سفاه أعوان النصر في أعيان العصر في عدة مجلدات.

وقد استوعبنا من أحواله وشعره ومكاتباته نبذة كبيرة في ترجمته في تاريخنا المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي.

وتسميتي للتاريخ المذكور والمستوفى بعد الوافي إشارة لتاريخ الشيخ صلاح الدين هذا لأنه سمي تاريخه: الوافي بالوفيات إشارة على تاريخ ابن خلكان أنه يوفي بما أخل به ابن خلكان فلم يحصل له ذلك وسكت هو أيضاً عن خلائق فخشيت أنا أيضاً أن أقول: والمستوفى على الوافي فيقع لي كما وقع له فقلت: والمستوفى بعد الوافي.

انتهى.

قلت: وقد خرجنا عن المقصود ولنعد لترجمة الشيخ صلاح الدين ونذكر من مقطعاته ما تعرف به طبقة بين الشعراء على سبيل الاختصار.

فمن شعره بسندنا إليه: أنشدنا مسند عصره ابن الفرات الحنفي إجازة أنشدنا الشيخ صلاح الدين خليل الصفدي إجازة: السريع المقلة السوداء أجفانها ترشق في وسط فؤادي نبال وتقطع الطرق على سلوتي حتى حسبنا في السويداء رجال قال - وله أيضاً - رحمه الله تعالى: الوافر محياه له حسن بديع غدا روض الخدود به مزهر وعارضه رأى تلك الحواشي مذهبة فزمكها وشعر وله عفا الله عنه: خلع البسيط بسهم الحافظه رماني فذبت من هجره وبينه إن مت ما لي سواه خصم فإنه قاتلي بعينه وقال: المتقارب ودعها سواج من نقشها فأحسن ما ذهبت بالطلا وله: الطويل أقول له ما كان خدك هكذا ولا الصدغ حتى سال في الشفق الدجى فمن أين هذا الحسن والظرف قال لي تفتح وردى والعدار تخرجا وله: الكامل أنفقت كنز مدائحي في ثغره وجمعت فيه كل معنى شاردا وطلبت منه جزاء ذلك قبلة فابى وراح تغزلي في البارد وله: المنسرح أفديه ساجي

الجفون حين رنا أصاب مني الحشا بسهمين أعدمني الرشد في هواه ولا أفلح شيء
يصاب بالعين وله: مخلع البسيط سألتهم عن منام عيني وقد براه جفًا وبين والنوم قد غاب
حين غبتم ولم تقع لي عليه عين السلطان الملك المنصور قلاوون بالقلعة في ليلة السبت
رابع شهر ربيع الآخر.

وهو آخر من بقي من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون من الذكور وهو والد السلطان
الملك الأشرف شعبان بن حسين وموته قبل سلطنة ولده الأشرف بنحو خمسة شهور
وأيام ولو عاش لما كان يعدل عنه يلغا إلى غيره.

وكان حسين هذا حريصًا على السلطنة فلم ينلها دون إخوته على أنه كان أمثل إخوته.

وتوفي الأمير سيف الدين بزدار الخليلي أمير شكار أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية
بها وكان من أعيان الأمراء عرف بالشجاعة والإقدام.

وتوفي شيخ القراءات مجد الدين أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن يوسف بن محمد
الكفتي في نصف شعبان رحمه الله.

وكان إمامًا في القراءات تصدى للإقراء سنين وانتفع الناس به.

وتوفي السيد الشريف غياث الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن الشريف صدر الدين حمزة
العراقي والد الشريف مرتضى تغمده الله تعالى.

وكان رئيسًا فاضلاً نبيلًا.

وتوفي الأمير سيف الدين جركس بن عبد الله النوروزي أحد أمراء الطلبخانات بالقاهرة.
وكان من أعيان المماليك الناصرية.

وتوفي الشيخ المعتقد مسلم السلمى المقيم بجامع الفيلة رحمه الله.

كان صالحًا مجاهدًا عابدًا قائمًا في ذات الله تعالى.

وكان يجاهد الفرنج بطرابلس الغرب ويقوم حاله وفقراءه من الغنائم.

وله كرامات ومناقب فمن ذلك كان عنده سبع رباه حتى صار بين فقراءه كالهري دور
البيوت.

فلما مات الشيخ - رحمه الله - أخذ السباعون فتوحش عندهم إلى الغاية حتى أبادهم
وعجزوا عنه.

وتوفي الأمير سيف الدين قطلوبغا بن عبد الله الأحمدي الناصري نائب حلب بها.

وكان من خواص الملك الناصر محمد بن قلاوون وترقى من بعده حتى صار أمير مائة
ومقدم ألف بديار مصر.

ثم ولي حجووية الحجاب بها ثم أمير مجلس ثم ولي نيابة حلب في أوائل سلطنة الملك
المنصور محمد بن المظفر حاجي صاحب الترجمة فلم تطل مدته بحلب ومات بها.

وكان من الأمثال.

رحمه الله تعالى.

وتوفي الطواشي صفي الدين جوهر بن عبد الله اللالا.

وكان من أعيان الخدام وله عز ووجاهة.

وتوفي خطيب دمشق جمال الدين أبو الثناء محمود بن محمد بن إبراهيم بن جملة في يوم الاثنين العشرين من شهر رمضان.

وكان فصيحًا مفوهًا.

ولي خطابة دمشق سنين.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم لم يحرر.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعًا وأربع أصابع.

والله أعلم بالصواب.

السلطان الملك الأشرف أبو المفاخر زين الدين شعبان ابن الملك الأمجد حسين ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون.

تسلطن باتفاق الأمير يلغا العمري وطبيغا الطويل مع الأمراء على سلطنته بعد خلع ابن عمه الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر حاجي.

وهو السلطان الثاني والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية.

ولما أتفق الأمراء على سلطنته أحضر الخليفة المتوكل على الله أبو عبد الله محمد والقضاة الأربعة وأفيض عليه الخلة الخليفية السوداء بالسلطنة وجلس على تخت الملك وعمره عشر سنين في يوم الثلاثاء خامس عشر شعبان سنة أربع وستين وسبعمئة من غير هرج في المملكة ولا اضطراب في الرعية بل في أقل من قليل وقع خلع المنصور وسلطنة الأشرف هذا وانتهى أمرهما.

ونزل الخليفة إلى داره وعليه التشريف ولم يعرف الناس ما وقع إلا بحق البشائر والمناداة باسمه وزينت القاهرة وتم أمره على أحسن الأحوال.

ومولد الأشرف هذا في سنة أربع وخمسين وسبعمئة بقلعة الجبل.

واستقر الأتابك يلغا العمري الخاضكي مدبر الممالك ومعه خجداشه الأمير طبيغا الطويل أمير سلاح على عادتتهما.

وعندما ثبت قواعد الملك الأشرف أرسل يلغا بطلب الأمير علي المارديني نائب الشام إلى مصر فلما حضر أخلع عليه بناية السلطنة بديار مصر وتولى عوضه نيابة دمشق الأمير منكلي بغا الشمسي نائب حلب.

وتولى نيابة حلب عوضًا عن الشمسي الأمير إشقتمر المارديني.

وتولى نيابة طرابلس عوضًا عن إشتمر الأمير أزدمر الخازن نائب صفد.

وتولى نيابة صفد عوضًا عن أزدمر الخازن الأمير قشتمر المنصوري الذي كان نائبًا بالديار المصرية لأمر وقع منه في حق يلغا العمري الأتابكي.

واستقر الأمير أرغون الأحمدي الخازن دار لالا الملك الأشرف شعبان.

واستقر الأمير يعقوب شاه السيفي تابع يلغا اليحياوي خازن دارًا عوضًا عن أرغون الأحمدي.

ثم استقر الأمير أرنبغا الخاصكي في نيابة غزة عوضًا عن تمان تمر العمري بحكم وفاته.

ثم ولي الأمير عمر شاه حاجب الحجاب نيابة حماة عوضًا عن أيذمر الشيخي.

واستقر الشريف بكتمر في ولاية القاهرة عوضًا عن علاء الدين علي بن الكوراني بحكم استغفائه عنها.

ثم استقر الأمير أحمد بن القشتمري في نيابة الكرك.

ثم ورد الخبر بوقوع الوباء بمدينة حلب وأعمالها وأنه مات بها خلق كثير والأكثر في الأطفال والشبان.

ثم نزل السلطان الملك الأشرف شعبان إلى سرباقوس بعساكره على عادة الملوك.

ثم سمر الأتابك يلغا خادمين من خدام السلطان الملك المنصور لكلام بلغه عنهما فشجع فيهما فخليا ونفيا إلى قوص.

ثم في سنة خمس وستين أنعم على الأمير طيدمر البالسي بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية.

ثم أخلع على الأمير آسن قجا بنيابة ملطية في ثالث صفر.

واستقر الأمير عمر بن أرغون النائب في نيابة صفد عوضًا عن قشتمر المنصوري وحضر قشتمر المذكور إلى مصر على إقطاع عمر بن أرغون المذكور.

واستقر الأمير طينال المارديني نائب قلعة الجبل عوضًا عن أطنبغا الشمسي بحكم استغفائه.

ثم أنعم السلطان علي جماعة بإمرة طبلخاناه وهم: تمربغا العمري ومحمد بن قماري أمير شكار وأطنبغا الأحمدي.

وأقبغا الصفوي.

وأنعم أيضًا على جماعة بإمرة عشرات وهم: إبراهيم بن صرغتمش وأرزملك من مصطفى ومحمد بن قشتمر وأقبغا الجوهري وطشتمر العلائي خازن دار طيغا الطويل وطاجار من عوض وأروس بغا الخليلي ورجب بن كلبك التركماني.

ثم وقع الفناء في هذه السنة في البقر حتى هلك منها شيء كثير وأضر ذلك بحال الزراعة.

ثم في هذه السنة فتح الأمير منكلي بغا الشمسي نائب الشام باب كيسان أحد أبواب دمشق بحضور أمراء الدولة وأعيان أهل دمشق وذلك بعد بروز المرسوم الشريف إليه بذلك وعقد عليه قنطرة كبيرة ومد له إلى الطريق جسرًا وعمر هناك جامعًا.

وكان هذا الباب مغلقًا من مدة تزيد على مائتي سنة كان سده الملك العادل نور الدين محمود الشهيد لأمر اقتضى ذلك فيه مصلحة للإسلام.

ثم رسم في هذه السنة بإبطال الوكلاء المتصرفين في أبواب القضاة.

وفي هذا المعنى يقول الشيخ بدر الدين حسن بن حبيب رحمه الله تعالى: السريع يقول ذو الحق الذي عاله خصم ألد ولسان كليل إن صيروا أمر وكيلي سدى فحسبي الله ونعم الوكيل ثم استقر الأمير يعقوب شاه أمير أخور عوضًا عن الأمير جرجي الإدريسي بحكم انتقال جرجي إلى نيابة حلب عوضًا عن إشتقر المارديني.

ثم في سنة ست وستين وسبعمئة استقر الأمير قطلقتمر العلاني أمير جاندار في نيابة صفد عوضًا عن الأمير عمر بن أرغون النائب وحضر عمر بن أرغون إلى مصر على إقطاع قطلقتمر المذكور في سابع شهر رجب.

ثم استقر الأمير عبد الله ابن بكتمر الحاجب أمير شكار عوضًا عن الأمير ناصر الدين محمد بن الجبيغا واستقر أسندمر العلاني الحرفوش حاجبًا عوضًا عن عبد الله بن بكتمر المذكور.

ثم أنعم السلطان على الأمير أسندمر المظفري بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية في سلخ شهر رمضان.

ثم أنعم على الأمير شعبان ابن الأتابك يلغا العمري بإمرة مائة وتقدمة ألف.

ثم استقر الأمير قشتمر المنصوري في نيابة طرابلس واستقر الأمير أزدمر الخازن في نيابة صفد عوضًا عن الأمير قطلقتمر العلاني.

ثم استقر الأمير الطنبغا البشتكي في نيابة غزة عوضًا عن أرنبغا الكامل بحكم وفاته.

ثم أخلع على الأمير منجك اليوسفي باستقراره في نيابة طرسوس بعد تلك الرتب العالية من تحكمه لما ولي الوزر بالديار المصرية ونيابة طرابلس والشام وقد تقدم ذكر ذلك كله في عدة أماكن وإنما أردنا التعريف به هنا لما تقدم له ولما هو آت وكانت ولاية منجك اليوسفي لنيابة طرسوس عوضًا عن قماري أمير شكار بحكم وفاته في سلخ ذي القعدة.

ثم أنعم السلطان على جماعة بإمرة طلبخانا وهم: قطلوبغا البلباني وكمشبا الحموي أحد مماليك الأتابك يلغا العمري وأقبا الجوهرى أحد اليلغاوية أيضًا وعلى جماعة بإمرة عشرات وهم: سلجوق الرومي وأروس السيفي بشتاك وسنقر السيفي أرقطاي ثم أنعم السلطان على الأمير أجاى اليوسفي في حادي عشرين شهر رجب بإمرة جاندار.

وفي هذه السنة وهي سنة ست وستين وسبعمئة عزل قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن محمد بن جماعة نفسه من قضاء الديار المصرية في سادس عشر جمادى الأولى ونزل إليه الأتابك يلغا بنفسه إلى بيته وسأله بعوده إلى المنصب فلم يقبل ذلك وأشار على يلغا بتولية نائبه بهاء الدين أبي البقاء السبكي فولى بهاء الدين قضاء القضاة الشافعية عوضه.

ثم استقر قاضي القضاة جمال الدين محمود بن أحمد بن مسعود القونوي الحنفي قاضي قضاة دمشق بعد موت قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن أحمد الكفري بفتح الكاف.

وفي هذه السنة أسلم الصاحب شمس الدين المقسي وكان نصرانيًا يباشر في دواوين الأمراء فلما أسلم استقر مستوفي المماليك السلطانية.

وفي سنة سبع وستين وسبعمائة أخذت الفرنج مدينة إسكندرية في يوم الجمعة ثالث عشرين المحرم.

وخبر ذلك أنه لما كان يوم الجمعة المذكور طرق الفرنج مدينة الإسكندرية على حين غفلة في سبعين قطعة ومعهم صاحب قبرس وعدة الفرنج تزيد على ثلاثين ألفًا.

وخرجوا من البحر المالح إلى بر الإسكندرية فخرج أهلها إليهم فتقاتلوا فقتل من المسلمين نحو أربعة آلاف نفس واقتحمت الفرنج الإسكندرية وأخذوها بالسيف واستمروا بها أربعة أيام وهم يقتلون وينهبون ويأسرون.

وجاء الخبر بذلك إلى الأتابك يلبغا وكان السلطان بسرياقوس فقام من وقته ورجع إلى القلعة ورسم للعساكر بالسفر إلى الإسكندرية.

وصلى السلطان الظهر وركب من يومه ومعه الأتابك يلبغا والعساكر الإسلامية في الحال وعدوا النيل وجدوا في الدير من غير ترتيب ولا تعبئة حتى وصلوا إلى الطرانة والعساكر يتبع بعضها بعضًا.

فلما وصل السلطان إلى الطرانة أرسل جاليسًا من الأمراء أمامه في خفية وهم قطلوبغا المنصوري وكوندك و خليل بن قوصون وجماعة من الطبلخانات والعشيرات وغيرهم وجدوا في السير وبينما هم في ذلك جاء الخبر بأن العدو المخذول لما سمعوا بقدم السلطان تركوا الإسكندرية وهربوا وفرح الناس بذلك.

ورسم السلطان بعمارة ما تهدم من الإسكندرية وإصلاح أسوارها.

وأخلع السلطان على الشريف بكتمر نياية الإسكندرية وأعطاه إمرة مائة وتقدمة ألف.

وبكتمر هذا هو أول نائب ولي نياية الإسكندرية من النواب وما كانت أولًا ولاية فمن يومئذ عظم قدر نوابها وصار نائبها يسمى ملك الأمراء.

ثم أمر يلبغا فنودي بمصر والقاهرة بأن البحارة والنفاطة كلهم يحضرون إلى بيت الأتابك يلبغا للعرض والنفقة ليسافروا في المراكب التي تنشأ.

وبدأ يلبغا في عمارة المراكب وبعث مراسيم إلى سائر البلاد الشامية والحلبية بإخراج جميع النجارين وكل من يعرف يمسك منشأً بيده ولا يترك واحد منهم وكلهم يخرجون إلى جبل شغلان وهو جبل عظيم فيه أشجار كثيرة من الصنوبر والقرو ونحو ذلك وهذا الجبل بالقرب من مدينة أنطاكية وأنهم يقطعون الألواح وينشرون الأخشاب للمراكب ويحملونها إلى الديار المصرية.

فامثل نائب حلب ذلك وفعل ما أمر به ووقع الشروع في عمل المراكب.

هذا وقد ثقل على يلبغا وطأة خشداشه طيغا الطويل فأراد أن يستبد بالأمر وحده وأخذ يلبغا يدبر عليه في الباطن.

ولقد حكى لي بعض من رأهما قال: كانا ينزلان من الخدمة السلطانية معًا فتقول العامة: يا طويل! حسك من هذا القصير! فكان طيغا يلتفت إلى يلبغا ويقول له وهو يضحك: ما يقولون هؤلاء! فيقول يلبغا: هذا شأن العامة يثيرون الفتن.

انتهى.

واستمر يلبغا على ذلك أن خرج طيغا الطويل إلى الصيد بالعباسة فأرسل إليه يلبغا جماعة من مقدمي الألوف وهم: أرغون الإسعدي الدوادار والأمير أروس المحمودي الأستاذار وأرغون الأزقي وطيغا العلاني حاجب الحجاب ومعهم تشریف له بناية دمشق.

فساروا حتى قدموا على طيغا الطويل وأخبروه بما وقع فلما سمع طيغا ذلك غضب وأبى قبول الخلعة وخامر.

واتفق معه أرغون الإسعدي الموادار وأروس المحمودي.

وهرب طيغا العلاني وأرغون الأزقي ولحقا بالأتابك يلبغا وأعلماه بالخبر فركب يلبغا في الحال ومعه السلطان الملك الأشرف شعبان بالعساكر في صبيحة اليوم المذكور.

وقد ساق طيغا الطويل من العباسية حتى نزل بقبة النصر خارج القاهرة ليأتيه من له عنده غرض فوافاه يلبغا في حال وصوله بالعساكر وقاتله فاقتلًا ساعة وانكسر طيغا الطويل بمن معه وأمسك هو وأصحابه من الأمراء وهم: أرغون الإسعدي وأروس المحمودي وكوندك أخو طيغا الطويل وجركتمر السيفي منجك وأرغون من عبد الله وجمق الشبخوني وكليم.

أخو طيغا الطويل وتلك أخو بيغا الصالحي وأقيغا العمري البالسي وجرجي بن كوندك وأرزمك من مصطفى وطشتمر العلاني وأرسلوا الجمع إلى سجن الإسكندرية.

وأخذ يلبغا إقطاع ولدي طيغا الطويل وهما علي وحمزة وكانا أمير طبلخاناه.

ثم في يوم الاثنين خامس عشرين شعبان من سنة سبع وستين وسبعمائة باست الأمراء الأرض للسلطان ويلبغا الأتابك معهم وطلبوا من السلطان الإفراج عن الأمراء المسجونين بثغر الإسكندرية المقدم ذكرهم فقبل السلطان شفاعتهم ورسم بالإفراج عن طيغا الطويل خاصة فأفرج عنه ورسم بسفره إلى القدس بطالًا فسافر إلى القدس وأقام به إلى ما يأتي ذكره.

ثم بعد ذلك في يوم عيد الفطر رسم السلطان بالإفراج عمن بقي في الإسكندرية من أصحاب طيغا الطويل فأفرج عنهم وحضروا فأخرجوا إلى الشام متفرقين بطالين.

وصفا الوقت ليلبغا العمري وصار هو المتكلم في الأمور من غير مشارك والسلطان الملك الأشرف شعبان معه آلة في السلطنة.

وأنعم يلبغا بإقطاعات أصحاب طيغا الطويل على جماعة من أصحابه فأنعم على الأمير أرغون بن بلبك الأزقي بتقدمة ألف عوضًا عن قطلوبغا المنصوري وأنعم على طيغا

العلائي السيفي بزّار بتقدمة ألف عوضًا عن ملكتمر المارديني بحكم وفاته وأنعم على أئبك البدرى أمير آخور يلبغا العمري بأمرة طبلخاناه واستقر أستاذار أستاذاه يلبغا.

ثم استقر الأمير إشقتمر المارديني المعزول عن نيابة حلب قبل تاريخه في نيابة طرابلس عوضًا عن قشتمر المنصوري وطلب قشتمر المذكور إلى مصر.

ثم استقر الأمير طيدمر البالسي أمير سلاح عوضًا عن طيغا الطويل في سابع جمادى الأولى.

ثم استقر طيغا أبو بكرى دوادارًا كبيرًا بأمرة طبلخاناه عوضًا عن الإسعردى فأقام دوادارًا إلى حادى عشرين شعبان وعزل بأمير بيغا دوادار أمير علي المارديني بأمرة طبلخاناه أيضًا.

ثم استقر الأمير أرغون ططر رأس نوبة النوب عوضًا عن ملكتمر العمري المارديني في آخر جمادى الآخرة.

واستقر أرغون الأزقى أستاذارًا عوضًا عن أروس المحمودى.

واستقر يعقوب شاه أمير آخور مقدم ألف وحاجبًا ثانيًا عوضًا عن قطلوبغا المنصوري.

واستقر طقتمر الحسنى أمير آخور كبيرًا عوضًا عن يعقوب شاه المنتقل إلى الحجوية الثانية.

واستقر قطلوشاه الشعبانى أمير طبلخاناه وشاد الشراب خاناه عوضًا عن أرغون بن عبد الملك.

واستقر تمرقبا العمري جوكندارًا عوضًا عن جرکتمر السيفى منجك.

وأنعم على آقبا الأحمدي المعروف بالجلب بتقدمة ألف وعلى أسندمر الناصري بتقدمة ألف أيضًا وكلاهما بالديار المصرية.

واستقر حسين بن الكوراني في ولاية القاهرة وهذه أول ولايته.

ثم فرق على جماعة كبيرة بأمرة طبلخاناه وهم: طغيتمر العثماني وآقبا الجوهري وقجماس السيفى طاز والطنبغا العزرى وأرغون كتك العزرى وقراتمر المحمدي والشهابى هذا قراتمر رأيتة وقد شاخ وكان بطالا يسكن بالقرب من الكبش بعد سنة عشرين وثمانائة.

انتهى وأروس بغا الكاملى وطاجار من عوض وآقبا اليوسفى والطنبغا المارديني - وهو غير صاحب الجامع ذاك متقدم على هذا - ورسالن الشيخونى واستقر حاجبًا بإسكندرية على إمرة طبلخاناه وعلى بن قشتمر المنصوري وسودون القطلقتمري وقطلوبغا الشعبانى ومحمد المهندس التركمانى.

وأنعم على جماعة بعشرات وهم: تنبک الأزقى وأرغون الأحمدي وطيغا السيفى يلبغا وأرغون الأرغونى وسودون الشيخونى وهو الذى صار نائب السلطنة في دولة الملك الظاهر برقوق كما سياتى ذكره وأزدمر العزرى أبو ذقن ويونس العمري ودرت بغا

البالسي وقرابغا الصرغتمشي وطاز الحسني وقرقماس الصرغتمشي وطبيغا العلائي وقماري الجمالي.

ثم في هذه السنة أبطل يلغا المكوس من مكة والمدينة ورتب عوض ذلك من بيت المال مائتي ثم في سنة ثمان وستين طلب السلطان الأمير منكلي بغا الشمسي نائب الشام إلى الديار المصرية فلما حضره أكرمه وأخلع عليه نيابة حلب عوضًا عن جرجي الإدريسي لعجزه عن القيام بمصالح حلب مع التركمان فامتنع منكلي بغا من نيابة حلب كونه نائب دمشق ثم ينتقل منها إلى نيابة حلب فاضيف إليه أربعة آلاف نفر من عسكر دمشق لتكون منزلته أكبر من منزلة نائب دمشق فأذعن عند ذلك ولبس الخلعة وتوجه إلى حلب.

وتولى نيابة دمشق عوضه الأمير آقتمر عبد الغني حاجب الحجاب بالديار المصرية وتولى عوضه حجوية الحجاب طبيغا العلائي.

وأما جرجي الإدريسي المعزول عن نيابة حلب فإنه ولي نيابة طرابلس بعد عزل منجك اليوسفي عنها.

وفي

▲ ثامن عشر شهر ربيع الأول من سنة ثمان وستين

المذكورة استقر أرغون الأزقي الأستاذار في نيابة غزة عوضًا عن الطنبغا البشتكي.

وفي الشهر أيضًا استقر آقبا الأحمدي المعروف بالجلب لالا السلطان الملك الأشرف عوضًا عن أرغون الأحمدي بحكم نفيه إلى الشام لأمر اقتضى ذلك ونفي معه تمرغا العمري.

ثم في آخر الشهر المذكور أمسك الأتابك الأمير يلغا الطواشي سابق الدين مثقالًا الأنوكي مقدم المماليك السلطانية وضربه داخل القصر بقلعة الجبل ستمائة عصاة ونفاه إلى أسوان - وسببه ظهور كذبه له - وولى مكانه مختار الدمنهوري المعروف بشاذروان وكان مقدم الأوجاقية بباب السلسلة.

كل ذلك والعمل في المراكب مستمر إلى أن كملت عمارة المراكب من الغربان والطرائد لحمل الغزاة والخيول.

وكانوا نحو مائة غراب وطريدة عمرت في أقل من سنة مع عدم الأخشاب والأصناف يوم ذاك.

وبينما الناس في ذلك قتل يلغا العمري بيد مماليكه في واقعة كانت بينهم.

وخبر ذلك أنه لما كان في مستهل شهر ربيع الآخر نزل السلطان من قلعة الجبل وعدى إلى بر الجيزة ليتوجه إلى الصيد بالبحيرة بعد أن ألزم الأمراء أن يجعلوا - في الشواني التي نجز عملها برسم الغزاة - العدد والسلاح والرجال على هيئة القتال لينظر السلطان والناس ذلك.

فامثلوا الأمراء المرسوم الشريف وأشحنوا المراكب العدد والسلاح والرجال الملبسة وضربوا الطبلخاناه بها وصارت في أبهى زي ولعبوا بها في البحر قدام السلطان والأتابك يلبغا.

وخرج الناس للتفرج من كل فج وكان يوم من الأيام المشهودة الذي لم ير مثله في سالف الأعصار.

ثم سار السلطان والأتابك يلبغا بالعساكر من بر الجيزة يريدون البحيرة حتى نزلوا في ليلة الأربعاء سادس شهر ربيع الآخر من ستة ثمان وستين وسبعمئة بالطرانة وباتوا بها وكانت ممالك يلبغا قد نفرت قلوبهم منه لكثرة ظلمه وعسفه وتنوعه في العذاب لهم على أدنى جرم حتى إنه كان إذا غضب على مملوك ربما قطع لسانه.

فاتفق جماعة من ممالك يلبغا تلك الليلة على قتله من غير أن يعلموا الملك الأشرف هذا بشيء من ذلك وركبوا عليه نصف الليل ورؤوسهم من الأمراء: أقبغا الأحمدي الجلب وأسندمر الناصري وقجماس الطازي وتغري برمش العلائي وأقبغا جاركس أمير سلاح وقربغا الصرغتمشي في جماعة من أعيان اليلبغاوية.

ولبسوا آلة الحرب وكبسوا في الليل على يلبغا بخيمته بغتة وأرادوا قتله فأحس بهم قبل وصولهم إليه فركب فرس النوبة بخواصه من ممالكه وهرب تحت الليل وعدى النيل إلى القاهرة ومنع سائر المراكب أن يعدوا بأحد.

واجتمع عنده من الأمراء طيبغا حاجب الحجاب وأينبك البدري أمير آخور وجماعة الأمراء المقيمين بالقاهرة.

وأما ممالك يلبغا فإنهم لما علموا بأن أستاذهم نجا بنفسه وهرب اشتد تخوفهم من أنه إذا ظفر بهم بعد ذلك لا يبقى منهم أحدًا.

فاجتمعوا الجميع بمن انضاف إليهم من الأمراء وغيرهم وجاءوا إلى الملك الأشرف شعبان - تغمده الله برحمته - وهو بمخيمه أيضًا بمنزله بالطرانة وكلموه في موافقتهم على قتال يلبغا فامتنع قليلًا ثم أجاب لما في نفسه من الحزازة من حجر يلبغا عليه وعدم تصرفه في المملكة.

وركب السلطان بممالك يلبغا وخاصكيته فأخذه وعادوا به إلى جهة القاهرة وقد اجتمع عليه خلائق من ممالك يلبغا وعساكر مصر وساروا حتى وصلوا إلى ساحل النيل ببولاق التكروري تجاه بولاق والجزيرة الوسطى.

فأقام الملك الأشرف ببولاق التكروري يوم الأربعاء ويوم الخميس ويوم الجمعة فلم يجدوا مراكب يعدون فيها.

وأما يلبغا فإنه لما علم أن الملك الأشرف طاوع ممالكه وقربهم أنزل من قلعة الجبل سيدي أنوك ابن الملك الأمجد حسين أخي الملك الأشرف شعبان وسلطنه ولقبه بالملك المنصور وذلك بمخيمه بجزيرة أروى المعروفة بالجزيرة الوسطانية تجاه بولاق التكروري حيث الملك الأشرف نازل بممالك يلبغا بالبر الشرقي والأشرف بالبر الغربي فسمته العوام سلطان الجزيرة.

ثم في يوم الجمعة حضر عند الأتابك يلبغا الأمير طغيتمر النظامي والأمير أرغون ططر فإنهما كانا يتصيدان بالعباسة وانضافا بمن معهما إلى يلبغا فقوي أمره بهما.

وعدى إليه أيضا جماعة من عند الملك الأشرف وهم: الأمير قرايغا البدرى والأمير يعقوب شاه والأمير بيبغا العلاني الدوادار والأمير خليل بن قوصون وجماعة من مماليك يلبغا الذين أمرهم مثل: آقبغا الجوهري وكمشبغا الحموي ولبغا شقير في آخرين.

واستمر الأتابك يلبغا وأنوك بجزيرة الوسطى والملك الأشرف ومماليك يلبغا ببولاق التكروري إلى أن حضر إلى الأشرف شخص يعرف بمحمد ابن بنت لبطة رئيس شواني السلطان وجهاز للسلطان من الغريان التي عمرها برسم الغزاة نحو ثلاثين غرابًا برجالها وكسر بروقها وجعلها مثل الفلاة لأجل التعديّة.

فنزل فيها جماعة من الأمراء ومن مماليك يلبغا ليعدوا فيها إلى الجزيرة فرمى عليهم يلبغا بمكاحل النفط وصار هؤلاء يرمون على يلبغا بالسهام فيردونهم على أعقابهم.

وأخذ يلبغا ومن معه يرمون أيضًا النفط والنشاب والأشرفية لا يلتفتون إلى ذلك بل يزيدون في سب يلبغا ولعنه وقتاله.

وأقاموا على ذلك إلى عصر يوم السبت وقد قوي أمر الملك الأشرف وضعف أمر يلبغا.

ثم اتفق رأي عساكر الملك الأشرف على تعديّة الملك الأشرف من الوراق فعدى وقت العصر من الوراق إلى جزيرة الفيل وتتابعت عساكره.

فلما صاروا الجميع في بر القاهرة وبلغ ذلك يلبغا هرب الأمراء الذين كانوا مع يلبغا بأجمعهم وجاؤوا إلى الملك الأشرف وقبلوا الأرض بين يديه.

فلما رأى يلبغا ذلك رجع إلى جهة القاهرة ووقف بسوق الخيل من تحت قلعة الجبل ولم يبق معه غير طيغا حاجب الحجاب الذي كان أولًا أستاذاره.

فوقف يلبغا ساعة ورأى أمره في إديار فنزل عن فرسه بسوق الخيل تجاه باب الميدان وصلى العصر وحل سيفه وأعطاه للأمير طيغا الحاجب.

ثم نزل وقصد بيته بالكبش فرجمته العوام من رأس سويقة منعّم إلى أن وصل حيث أتجه.

وسار الملك الأشرف شعبان بعساكره حتى طلع إلى قلعة الجبل في آخر نهار السبت المذكور.

وأرسل جماعة من الأمراء إلى يلبغا فأخذوه من بيته ومعه طيغا الحاجب وطلعوا به إلى القلعة بعد المغرب فسجن بها إلى بعد عشاء الآخرة من اليوم المذكور.

فلما أذن للعشاء جاء جماعة من مماليك يلبغا مع بعض الأمراء وأخذوا يلبغا من سجنه وأنزلوه من القلعة.

فلما صار بحدرة القلعة أحضروا له فرسًا ليركبه فلما أراد الركوب ضربه مملوك من مماليكه يسمى قراتمر فأرمى رأسه ثم نزلوا عليه بالسيوف حتى هبروه تهييّرًا وأخذوا رأسه وجعلوها في مشعل النار إلى أن انقطع الدم فلما رآه بعضهم أنكروه وقال: أخفيتموه وهذه رأس غيره فرفعوه من المشعل ومسحوه ليعرفوه أنه رأس يلبغا بسلة كانت خلف أذنه فعند ذلك تحقق كل أحد بقتله وأخذوا جثته فغيبوها بين العروستين.

فجاء الأمير طشتمر الدوادار فأخذ الرأس منهم في الليل واستقصى على الجثة حتى أخذها وحط الرأس على الجثة وغسلها وكفنها ووصلى عليه في الليل ودفنه بتربته التي أنشأها بالصحراء بالقرب من تربة خوند طغاي أم أنوك زوجة الناصر محمد ابن قلاوون.

وفيه يقول بعض الشعراء مخلع البسيط: بدا شقا يلغا وعدت عداه في سفنه إليه والكبش لم يفده وأضحت تنوح غربانه عليه قلت: لا جرم أن الله سبحانه وتعالى عامل يلغا هذا من جنس فعله بأستاذه الملك الناصر حسن فسلط عليه مماليكه فقتلوه كما قتل هو أستاذه الناصر حسنًا.

فالقصاص قريب والجزاء من جنس العمل.

ولما أصبح نهار الأحد عاشر شهر ربيع الآخر وهو صبيحة ليلة قتل فيها يلغا العمري الخاصكي المقدم ذكره وطلع جميع الأمراء إلى القلعة واستقر الأمير طغيتمر النظامي هو المتحدث في حل المملكة وعقدها ومعه أقبغا جلب الأحمدى وأسندمر الناصري وقجماس الطازي وقبضوا من الأمراء على تمرغا البدرى ويعقوب شاه وبيغا العلائي الدوادار وقيدوا وأرسلوا عشية النهار إلى الإسكندرية.

ورسم للأمير خليل بن قوصون أن يلزم بيته بطالًا.

وفي يوم الاثنين حادي عشرة استقر قشتمر المنصوري حاجب الحجاب عوضًا عن طيغا العلائي.

واستقر أيذمر الشامى دودارًا بإمرة مائة وتقدمة ألف وناظر الأحباس ولم يعلم قبله دوادار أمير مائة ومقدم ألف.

ثم قبض على جماعة من الأمراء وهم: أزدمر العزى وأقبغا الجوهرى وأرغون كتك العزى أيضًا وأرغون الأرغونى ويونس الرماح العمري وكمشبغا الحموي وأرسلوا الجميع في القيود إلى ثغر الإسكندرية فحبسوا بها.

ثم استقر طيدمر البالسى أستاذار العالية.

ثم أخلع على قجماس الطازي واستقر أمير سلاح عوضًا عن طيدمر البالسى المنتقل إلى الأستادارية.

وأنعم على قرابغا الصرغتمشى بتقدمة ألف دفعة واحدة من إمرة عشرة.

ثم في العشرين من الشهر استقر أسنبغا القوصونى لالا السلطان عرضًا عن أقبغا جلب. واستقر قراتمر المحمدى خازندارًا عوضًا عن تلتتمر المحمدى.

وحضر سابق الدين مثقال الآنوكى من قوص بطلب من السلطان وقبل الأرض ونزل إلى داره.

وفي يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى قبض على فخر الدين ماجد بن قروينة وسلم لقرابغا الصرغتمشى ليستخلص منه الأموال واستقر عوضه في الوزارة الصاحب جمال الدين عبد الله بن تاج الدين موسى بن أبى شاكى وأضيف إليه نظر الخاص أيضًا وكان أولًا صاحب ديوان يلغا.

وفي سادس عشر جمادى الأولى أعيد الطواشي سابق الدين مثقال إلى تقدمه المماليك السلطانية وصراف الالمنهورى المعروف بشاذروان.

وفى يوم الالخمىس سادس عشر رجب قبض على قرابغا الصرغتمشى.

وعندما قبض على قرابغا المذكور ركب الأمير تغرى برمش بالسلاح ومعه عدة من الأمراء والالخاصكىة.

فرسم السلطان بركبوب الأمراء والالخاصكىة فركبوا فى الالحال وقبضوا علىه وأمسكوا معه الأمير أىنبك البدرى وإسحاق الرجبى وقرابغا العزى ومقبل الرومى وأرسلوا إلى الإسكندرىة.

ثم أنعم السلطان على كل من قطلوبغا جركس وأقطاى بتقدمة ألف.

ومن هذا الوقت أخذ أسندمر الالناصرى فى الالتعاضم وانضمام الناس علىه.

فاتفق جماعة من الأمراء العزىة مع طغىتمر الالنظامى وأقبغا جلب على قبض أسندمر وادبروا علىه.

إلى أن كانت لىلة الأحد سابع شهر شوال من سنة ثمان وستىن المذكورة ركبوا نصف اللىل.

وضربوا الكوسات وأنزلوا الملك الأشرف إلى الإسطبلى السلطانى وقصدوا مسك أسندمر الالناصرى وبعض ممالىك ىلبغا العمرى الأشرار.

وبلغ ذلك أسندمر فمكث فى بىته إلى طلوع الشمس.

ثم ركب من بىته بالكبش فإنه كان سكن فىه بعد قتل ىلبغا وتوجه بمن معه إلى قبة النصر ومنها إلى القرافة إلى باب الالدرفىل من وراء القلعة فلم ىفطن به الأمراء إلا وهو تحت الطبلخاناه السلطانىة من القلعة وكبس علىهم من الصوة فهرب أكثر الأمراء وكان غالهم قد استخدم عنده جماعة من ممالىك ىلبغا.

فلما رأى ممالىك ىلبغا أسندمر ومن معه من خشداشىتهم توجهوا إلىهم وتركوا أمراءهم.

ثم خرج إلى أسندمر أقبغا جلب وطرذوا الالحاجب ابن اأخى آل ملك فقوى أسندمر بهم على الأمراء وصدمهم صدمة هائلة كسرهم فىها كسرة شنىعة وهربوا الالجمىع إلا ألبجى الالىوسفى وأرغون ططر فإنهما ثبنا وقاتلا أسندمر ولىس معهما غىر سبعىن فارسًا.

فقاتلوا أسندمر وجماعته إلى قرىب الظهر فلم ىرجع إلىهما أحد من أصحابهما فانكسرا واننصر أسندمر الالناصرى علىهم وطلع إلى القلعة وقبل الأرض بىن ىدى الملك الأشرف شعبان فأخلع علىه الأشرف باسئقراره أتابكا ومدبر الممالىك كما كان ىلبغا العمرى الالخاصكى.

ثم قبض أسندمر على جماعة من الأمراء وقىدهم وأرسلوا إلى ثغر الإسكندرىة فحبسوا بها وهم: ألبجى الالىوسفى وطغىتمر الالنظامى وأىدمر الشامى وأقبغا جلب وقطلوبغا جركس وأقطاى وأرغون ططر وقجماس الطازى وجمىع هؤلاء مقدمو ألوف.

ثم قبض على جماعة من الأمراء الطيلخمانات وهم: طاجار من عوض ويليغا شقير وقرابغا شاد الأحواش وقرابغا الأحمدى وقطلوبغا الشعباني وأيدمر الخطائي وتمراز الطازي وآسن الناصري وقراتمر المحمدى.

ثم أصبح أسندمر في يوم حادي عشر شوال أنعم على جماعة من الأمراء واستقروا مقدمي ألوف بالديار المصرية وأصحاب وظائف فأخلع على أزدمر العزي واستقر أمير مائة ومقدم ألف وأمير سلاح واستقر جركتمر السيفي منجك أمير مائة ومقدم ألف وأمير مجلس واستقر الطنبغا اليلغاوي رأس نوبة النوب من إمرة عشرة دفعة واحدة واستقر قطلقتمر العلائي أمير جاندار واستقر سلطان شاه أمير مائة ومقدم ألف وحاجبًا ثانيًا.

واستقر بيرم العزي دوادارًا بتقدمة ألف وكان جنديًا قبل ذلك فأنعم عليه بإقطاع طغيتمر النظامي ووظيفته وجميع موجوده ومماليكه وحواصله.

وأنعم على خليل بن قوصون بتقدمة ألف وعلى قبق العزي بتقدمة ألف وعلى أرغون القشتمري بتقدمة ألف وعلى محمد بن طيطق العلائي بتقدمة ألف.

ثم أنعم على جماعة بإمرة طبلخاناه وهم: بزلاالعمري وأرغون المحمدى الآنوكى الخازن وأرغون الأرغونى ومحمد بن طبقغا الماجارى وباكيش السيفى يلبغا وأقبغا أص الشيخونى وسودون الشيخونى وجليبان السعدى وكبك الضرغتمشى وإينال اليوسفى وكمشيبغا الطازى وبكتمر العلمى وقمارى الجمالى وأرسلان خجا ومبارك الطازى وتلكتمر الكشلاوى وأسنبغا العزى وقطلوبغا الحموى ومأمور القلمطاوى.

ثم أنعم على جماعة بإمرة عشرات وهم: كزك الأرغونى وألطنبغا المحمودى وقرابغا الأحمدى - وهذا غير قرابغا الأحمدى الجلب - وحاجى ملك بن شادى وعلى بن باكيش ورجب بن خضر وطيطق الرماح.

ثم خلع على جماعة واستقرت جوكندارية وهم: مبارك الطازى المقدم ذكره وقرمش الصرغتمشى وإينال اليوسفى.

وأخلع على تلكتمر المحمدى واستقر خازندارًا على عادته وبهادر الجمالى شاد الدواوين عوضًا عن خليل بن عرام بحكم انتقال ابن عرام إلى نيابة الإسكندرية.

واستقر أسندمر الزينى فى نيابة طرابلس عوضًا عن اشقتمر الماردينى وأمسك اشقتمر وحبس بالإسكندرية.

واستقر طيبغا الطويل الناصرى - رفيق يلبغا العمري الخاصكى المقدم ذكره - فى نيابة حماة وكان بطالًا بالقدس فى تاسع صفر فلم تطل مدته وقبض عليه منها فى ذى القعدة واعتقل بالإسكندرية ثانيًا.

وتولى نيابة حماة عمر شاه على عادته.

واستقر بيبغا القوصونى أمير آخور كبيرًا عوضًا عن أقبغا الصفوى بحكم وفاته.

وأرسل إلى الأمير منكلى بغا الشمسى نائب حلب خلة الاستمرار.

وقد كمل جامع منكلى بغا الذى أنشأه بحلب فى هذه السنة بقنسرين.

واستهلت سنة تسع وستين والملك الأشرف شعبان كالمحجور عليه مع أسندمر غير أن اسمه السلطان وخليفة الوقت المتوكل على الله وأسندمر الناصري أمير كبير أتاك العساكر ومدير المملكة ونائب السلطنة مع أمير علي المارديني آلة يتعاطى الأحكام لا غير ونائب دمشق أقتمر عبد الغني ونائب حلب منكلي بغا الشمسي وهو يومئذ يخشى شره ونائب طرابلس منجك اليوسفي ونائب حماة عمر شاه صاحب القنطرة على الخليج خارج القاهرة ونائب صفد أرغون واستمر الأتابك أسندمر على ما هو عليه إلى يوم الجمعة سادس صفر اتفقت عليه مماليك يلبغا الأجلاب وركبوا معهم الأمراء وقت صلاة الجمعة ودخلوا على أسندمر الناصري وسألوه أن يمسخ جماعة من الأمراء فمسخ أزدمر العزي أمير سلاح وجركتمر المنجكي أمير مجلس ويبرم العزي الدوادر الكبير ويبيغا القوصوني والأمير أخور كبك الصرغتمشي الجوكندار.

واستمرت المماليك لابسين السلاح وأصبحوا يوم السبت ومسكوا خليل بن قوصون ثم أطلقوه وانكسرت الفتنة إلى عشية النهار وهي ليلة الأحد وقالوا لأسندمر: نريد عزل الملك الأشرف وكان أسندمر مقهورًا معهم.

وبلغ الخبر الملك الأشرف فأرسل في الحال إلى خليل بن قوصون فحضر وركب الملك الأشرف وركب ابن قوصون ومماليك الأشرف الجميع مع أستاذهم وكانوا نحو المائتين لا غير وكان الذين اجتمعوا من مماليك يلبغا فوق الألف وخمسمائة.

وركب مع الملك الأشرف جماعة من الأمراء الكبار مثل أسنبغا ابن أبو بكرى وقشتمر المنصوري في آخرين وضربت الكوسات واجتمع على السلطان خلق كثير من العوام.

ولما بلغ أسندمر الناصري ركوب الملك الأشرف أخذ جماعة من مماليك يلبغا وطلع من خلف القلعة كما فعل أولاً في واقعة أقبغا الجلب وتقدمت مماليك يلبغا وصدمو المماليك الأشرفية وتقاتلوا.

وبينما هم في ذلك جاء أسندمر بمن معه من تحت الطبلخاناه كما فعل تلك المرة فعلم به الأشرفية والأمراء فمالوا عليه فكسروه أقبح كسرة وقرب أسندمر ثم أمسك وتمزقت المماليك اليلبغاوية.

فلما جيء للأشرف بأسندمر وحضر بين يديه شفعت فيه الأمراء الكبار فأطلقه السلطان ورسم له أن يكون أتاكًا على عادته.

ورسم له بالنزول إلى بيته بالكبش ورسم للأمير خليل بن قوصون أن يكون شريكه في الأتابكية.

فنزل أسندمر إلى بيته ليلة الاثنين وأرسل السلطان معه الأمير خليل بن قوصون صفة الترسيم وهو شريكه في وظيفة الأتابكية ليحضره في بكرة نهار الاثنين.

فلما نزل إلى الكبش تحالفا وخامرا ثانيًا على السلطان.

واجتمع عند أسندمر و خليل بن قوصون في تلك الليلة جماعة كبيرة من مماليك يلبغا وصاروا مع أسندمر كما كانوا أولاً.

وأصبحا يوم الاثنين وركبا إلى سوق الخيل.

فركب السلطان بمن معه من الأمراء والمماليك الأشرفية وغيرهم فالتقوا معهم وقتلوهم وكسروهم وقتلوا جماعة كبيرة من ممالكك يلبغا.

وهرب أسندمر وابن قوصون واشتغل ممالكك السلطان والعوام بمسك ممالكك يلبغا يمسكونهم ويحضرونهم عرايا مكشفي الرؤوس.

وتوجه فرقة من السلطانية إلى أسندمر وابن قوصون فقبضوا عليهما وعلى الطنبغا اليلبغوي وجماعة آخر من الأمراء اليلبغوية فقيدوا وأرسلوا إلى سجن الإسكندرية.

هلال شعبان جهراً لاح في صفر بالنصر حتى أرى عيداً بشعبان وأهل كبش كأهل الفيل قد أخذوا رغباً وما انتطحت في الكبش شاتان ثم جلس الملك الأشرف شعبان في الإيوان وبين يديه أكابر الأمراء ورسم بتسمير جماعة من ممالكك يلبغا نحو المائة وتوسيطهم ونفى جماعة منهم إلى الشام وأخذ مال أسندمر وأنفق على ممالكك لكل واحد مائة دينار ولكل واحد من غير ممالكك خمسون ديناراً.

ورسم للأمير يلبغا المنصوري باستقراره أتابك العساكر هو والأمير ملكتمر الخازندار وأنعم على كل منهما بتقدمة ألف.

وأنعم على تلتتمر بن بركة بتقدمة ألف عوضاً عن خليل بن قوصون وكان ذلك في سادس عشر صفر.

ثم أصبح السلطان من الغد في يوم الثلاثاء سابع عشر صفر قبض على يلبغا المنصوري المذكور ورفيقه تلتتمر المحمدي لأنهما أرادا الإفراج عن ممالكك يلبغا العمري وقصد يلبغا المنصوري أن يسكن بالكبش فمسكهما الملك الأشرف وأرسلهما إلى الإسكندرية.

ثم أرسل السلطان يطلب الأمير منكلي بغا الشمسي نائب حلب إلى الديار المصرية فحضرها بعد مدة وأخلع عليه السلطان خلعة النيابة بديار مصر فأبى أن يكون نائباً فأنعم عليه بتقدمة ألف وجعله أتابك العساكر وتولى نيابة حلب عوضه طيبغا الطويل وكان أخرجه من سجن الإسكندرية ثم زوج السلطان أخته للأمير منكلي بغا الشمسي المذكور فتزوجها وأولدها بنتاً تزوجها الملك الظاهر برقوق وعاشت بعد الملك الظاهر إلى أن ماتت في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة بقاعتها بخط الكعكين من القاهرة.

ثم رسم الملك الأشرف أن يفرج عن طغيتمر النظامي وأيدمر الخطائي وألجاي اليوسفي وكانوا محبوسين بالإسكندرية فحضروا إلى بين يدي السلطان وقبلوا الأرض بين يديه.

وخلع السلطان على بكتمر المؤمني واستقر أمير آخور كبيراً بتقدمة ألف وهو صاحب المصلاة والسبيل بالرميلة.

ثم رسم السلطان بإحضار الأمير آقتمر عبد الغني فلما وصل آقتمر إلى مصر أخلع عليه السلطان باستقراره حاجب الحجاب بالديار المصرية.

وكان آقتمر هذا قد ولي نيابة السلطنة بالديار المصرية قبل نيابة الشام وتولى نيابة دمشق بعده بيدمر الخوارزمي قليلاً ثم عزل واستقر عوضه في نيابة دمشق منجك اليوسفي نائب طرابلس واستقر في نيابة طرابلس بعد منجك أيدمر الأنوكي.

ثم أخلع السلطان على الأمير الأكر الكشلاوي باستقراره شاد الدواوين عوضاً عن بهادر الجمالي.

ثم أفرج عن الأمير أرغون ططر وأخلع عليه واستقر أمير شكار بتقدمة ألف.

ثم رسم بإحضار قطلوبغا الشعباني من الشام فحضر بعد مدة.

ثم في ثامن عشر جمادى الآخرة استقر الأمير آقتمر الصاحبى دوادارًا عوضًا عن آقبغا بن عبد الله بإمرة طبلخاناه.

واستقر طغيتمر العثماني شاد الشراب خاناه.

واستقر بشتك العمري رأس نوبة ثانيًا.

ثم أخلع الملك الأشرف في تاسع عشرين شهر رمضان على الأمير أرغون الأزقي باستقراره رأس نوبة كبيرًا عوضًا عن تلكتمر بن بركة واستقر تلكتمر المذكور أمير مجلس عوضًا عن طغيتمر النظامي.

ثم استقر الأمير ألجاي اليوسفي أمير سلاح برانيًا عوضًا عن أزدمر العزي.

واستقر آقبغا بن عبد الله دوادارًا كبيرًا بإمرة طبلخاناه.

ثم استقر الأكز أستاذارًا عوضًا عن الطنبغا بحكم وفاته.

وفي سابع شوال استقر الأمير عمر بن أرغون النائب في نيابة الكرك عوضًا عن ابن القشمري.

واستقر طيدمر البالسي في نيابة الإسكندرية عوضًا عن صلاح الدين خليل بن عرام.

واستقر خليل بن عرام حاجبا بثغر الإسكندرية.

ثم استقر أيذمر الشخي في نيابة حماة عوضًا عن عمر شاه وأخلع على شمس الدين ابن المقدسي باستقراره ناظر الخواص الشريفة بالقاهرة عوضًا عن ابن شاكر في ثالث عشر ذي القعدة.

واستقر العلامة سراج الدين عمر بن إسحاق الغزنوي الهندي الحنفي قاضي قضاة الحنفية بالديار المصرية بعد موت قاضي القضاة جمال الدين التركماني.

واستقر الشيخ سراج عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني البلقيني الشافعي في قضاء دمشق عوضًا عن قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب السبكي فلم تطل مدة البلقيني في قضاء دمشق وعزل وأعيد تاج الدين السبكي.

واستقر القاضي بدر الدين محمد ابن القاضي علاء الدين علي ابن القاضي محيي الدين يحيى بن فضل الله العمري في كتابة السر بالديار المصرية بعد وفاة والده.

واستقر فتح الدين محمد بن الشهيد في كتابة سر دمشق عوضًا عن جمال الدين بن الأثير.

ثم وقع الوباء بالديار المصرية حتى بلغت عدة الموتى في اليوم أكثر من ألف نفس وأقام نحو الأربعة أشهر وارتفع.

وفي هذه السنة أيضًا وهي سنة تسع وستين وسبعمئة قصدت الفرنج مدينة طرابلس الشام في مائة وثلاثين مركبًا من الشواني والقراير والغربان والطرائد وصحبهم صاحب قبرس وهو المقدم ذكره عليهم وكان نائبها وأكثر عسكرها غائبين عنها.

فاغتنمت الفرنج الفرصة وخرجوا من مراكزهم إلى الساحل فخرج لهم من طرابلس بقية عسكرها بجماعة من المسلمين فتراموا بالنبال ثم اقتتلوا أشد قتال.

وتقهقر المسلمون ودخل المدينة طائفة من الفرنج فنهبوا بعض الأسواق.

ثم إن المسلمين تلاحقوا وحصل بينهم وبين الفرنج وقائع عديدة استشهد فيها من المسلمين نحو أربعين نفرًا وقتل من الفرنج نحو الألف وألقى الله تعالى الرعب في قلوب الفرنج فرجعوا خائبين.

وفي هذه السنة قوي أمر الملك الأشرف في السلطنة وصار تدبير ملكه إليه: يعزل ويولي من غير مشورة الأمراء وصار في الفلك من غير منازع ولا معاند وحسنت سيرته وأحبته الرعية إلى الغاية وصار يقصد المقاصد الجميلة مما سيأتي ذكره.

ثم في أول جمادى الآخرة عزل الأشرف أسنبغا بن أبو بكرى عن نيابة حب بالأمير قشتمر المنصوري.

ثم قبض السلطان على أرغون العجمي الساقى أحد المماليك السلطانية بسبب أنه سرق أحجارًا ثمينة من الخزانة السلطانية وباعها على الفرنج وفيها حجر يعرف بوجه الفرس فجاء به الفرنج إلى منجك اليوسفي نائب الشام فعرفه وأرسله إلى السلطان وأخبره بخبر أرغون العجمي وكيف باعه للفرنج فصيح السلطان عنه ونفاه إلى الشام.

ثم في يوم السبت العشرين من شهر رمضان نفى السلطان الأمير آقتمر الصاحبى الدوادار الكبير إلى الشام لأمر وقع بينه وبين الأمير ألجاي اليوسفي.

وفي تاسع عشر ذي القعدة أحضر الأمير بيدمر الخوارزمي المعزول عن نيابة الشام قبل تاريخه وأدخل إلى قاعة الصاحب بقلعة الجبل وطلب منه ثلاثمائة ألف دينار وكان متولي أمره علي بن محمد بن كلبك التركماني فعصر يوم الثلاثاء حادي عشرين ذي القعدة ثم أفرج عنه ونفى إلى طرابلس بعد أن أخذ منه مائة ألف دينار.

ثم قدم الخبر على السلطان بقتل الأمير قشتمر المنصوري نائب حلب.

وخبه أنه لما ولي نيابة حلب في جمادى الآخرة من هذه السنة وتوجه إلى حلب فلم يقيم بها إلا يسيرًا وخرج منها وكبس أمير آل فضل بعربه بتل السلطان.

فركب العرب وقاتلته فقتل في المعركة هو وولده محمد بن قشتمر.

وكان الذي قتله حيار أمير آل فضل وولده نعيم بن حيار وكان ذلك يوم الجمعة خامس عشر ذي الحجة.

ولما بلغ الملك الأشرف ذلك عظم عليه وأرسل تقليدًا للأمير اشقتمر المارديني بنبأه حلب على يد الأمير قطلوبغا الشعباني وعزل حيارًا عن إمرة العرب وولاها لزامل.

ثم أنعم الملك الأشرف في هذه السنة على ألوف بتقادم وطبلخانات وعشرات فممن أنعم عليهم بتقدمة ألف: الأمير بهادر الجمالي وبشتك العمري.

وممن أنعم عليه بإمرة طبلخاناه: صراي الإدريسي وبيغا القوصوني وأحمد بن اقتمر عبد الغني وأحمد بن قنغلي وخليل بن قماري الحموي وطغيتمر الحسيني وحسين بن الكوراني وأرغون شاه الأشرفي.

وكان أمير الحاج في هذه السنة بهادر الجمالي.

وحجت في هذه السنة أيضًا خوند بركة والدة السلطان الملك الأشرف صاحب الترجمة بتجمل زائد ورخت عظيم وبرك هائل وفي خدمتها من الأمراء الألوف: بشتك العمري وبهادر الجمالي أمير الحاج ومائة مملوك من المماليك السلطانية الخاصة.

وكان من جملة ما معها بحرب الحجاز كوسات وعصائب سلطانية وعدة محفات بأغطية زركش وعدة محابر كثيرة بأفخر زينة.

وحمل معها أشياء كثيرة يطول الشرح في ذكرها من ذلك: قطر جمال عليها مزروع خضر وغير ذلك.

وحجت وعادت إلى الديار المصرية بعد أن احتفل جميع أمراء الدولة إلى ملاقاتها.

ولما وصلت إلى القلعة أثنت على بهادر الجمالي فأخلع السلطان عليه.

ثم بعد مدة في يوم حادي عشرين المحرم من سنة إحدى وسبعين وسبعمائة أخلع السلطان على الأمير بهادر الجمالي واستقر به أمير أخور كبيرًا عوضًا عن الأمير بكتمر المؤمني بعد موته واستقر الأمير تكتمر من بركة أستاذارًا عوضًا عن بهادر الجمالي المذكور واستقر أرغون شاه الأشرفي أمير مجلس عوضًا عن تكتمر المنتقل إلى الأستادارية ثم نقل أرغون شاه المذكور بعد مدة يسيرة من وظيفة أمير مجلس إلى وظيفة رأس نوبة النوب بعد موت بشتك العمري.

واستقر أرغون الأحمدى اللالا أمير مجلس عوضًا عن أرغون شاه المذكور.

ثم أنعم السلطان على الأمير طينال المارديني بتقدمة ألف وعلى علم دار أيضًا بتقدمة ألف واستقر أستاذار العالية عوضًا

ثم في

▲ سنة اثنتين وسبعين استقر الأمير طشتمر العلاني

دوادارًا كبيرًا بإمرة طبلخانة انتقل إليها من الجندية عوضًا عن منكوتمر من عبد الغني.

واستقر يلغا الناصري اليلغاوي خازندارًا كبيرًا عوضًا عن يعقوب شاه.

قلت: والناصري هذا هو صاحب الوقعة مع الملك الظاهر برقوق الآتي ذكرها في ترجمة الظاهر المذكور.

ثم في سنة ثلاث وسبعين عزل السلطان الأمير اشقتمر المارديني عن نيابة حلب بالأمير عز الدين أيدمر الدوادار.

قلت: وإشقتمر المارديني هذا ومنجك اليوسفي نائب الشام ويهدم الخوارزمي هؤلاء الثلاثة لا أعلم أحدًا في الدولة التركية ولي ولايتهم من الأعمال والوظائف ولا طال مكثه في السعادة مثلهم على ما ذكرناه فيما مضى وما سنذكره فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

على أن اشقتمر هذا طال عمره في السعادة حتى ولي نيابة الشام عن الملك الظاهر برقوق وبرقوق يومئذ في خدمة منجك اليوسفي نائب الشام وإلى الآن لم يتصل بخدمة السلطان ولا صار من جملة المماليك السلطانية.

وقد تقدم أن اشقتمر ولي الأعمال الجليلة من سلطنة الملك الناصر حسن الأولى وكان يلغا العمري أستاذ برقوق يوم ذاك خاصكيا فأنظر إلى تقلبات هذا الدهر ونيل كل موعود بما وعد.

انتهى.

وفي سنة ثلاث وسبعين المذكورة رسم السلطان الملك الأشرف أن الأشرف بالديار المصرية والبلاد الشامية كلهم يسمون عمائمهم بعلامة خضراء بارزة للخاصة والعامّة إجلالاً لحقهم وتعظيمًا لقدرهم ليقابلوا بالقبول والإقبال ويمتازوا عن غيرهم من المسلمين.

فوقع ذلك ولبسوا الأشرف العمائم الخضر التي هي الآن مستمرة على رؤوسهم.

فقال الأديب شمس الدين محمد بن إبراهيم الشهير بالمزين في هذا المعنى: الكامل أطراف تيجان أتت من سندس خضر كأعلام على الأشرف والأشرف السلطان خصصهم بها شرقًا لنعرفهم من الأطراف وقال أيضا في المعنى الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن جابر الأندلسي: الكامل جعلوا لأبناء الرسول علامة إن العلامة شأن من لم يشهر نور النبوة في كريم وجوههم يغني الشريف عن الطراز الأخضر وقال أيضًا في المعنى الشيخ بدر الدين حسن بن حبيب الحلبي: الرجز عمائم الأشرف قد تميزت بخضرة رقت وراقت منظرا وقال ولده أبو العز طاهر بن حسن بن حبيب في المعنى أيضًا: الطويل ألا قل لمن يبغي ظهور سيادة تملكها الزهر الكرام بنو الزهرا وقال الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة التلمساني الحنفي - تغمدة الله تعالى - في المعنى أيضًا: الطويل لآل رسول الله جاه ورفعة بها رفعت عنا جميع النوائب وقد أصبحوا مثل الملوك برنكهم إذا ما بدوا للناس تحت العصائب قلت: وبهذه الفعلة يدل على حسن اعتقاد الملك الأشرف المذكور في آل بيت النبوة وتعظيمه لهم ولقد أحدث شيئًا كان الدهر محتاجًا إليه ولا ألهم الله تعالى الملوك ذلك من قبله ولله در القائل: كم ترك الأول للآخر.

وفي أول سنة أربع وسبعين وسبعمئة استقر الأمير ألجاي اليوسفي أمير سلاح أتاك العساكر بالديار المصرية عوضًا عن منكلي بغا الشمسي بحكم وفاته - إلى رحمة الله تعالى - وأخلع عليه أيضًا بنظر البيمارستان المنصوري فعند ذلك عظم قدر ألجاي المذكور من كونه زوج أم السلطان وصار أتاك العساكر وبهذا استطال ألجاي في المملكة فإنه قبل زواجه بأم السلطان خوند بركة كان من جملة الأمراء المقدمين لا غير انتهى.

ثم أخلع السلطان على الأمير كجك من أرطق شاه باستقراره أمير سلاح برانيًا عوضًا عن ألجاي اليوسفي المذكور.

وأستقر يلغا الناصري شاد الشراب خاناه عوضًا عن كجك.

واستقر ثم توجه السلطان إلى سرحة الأهرام بالجيزة وعاد بعد أيام وعند عودته إلى قلعة الجبل أخلع على الطواشي سابق الدين مثقال مقدم المماليك السلطانية قباء حرير أزرق صاف بطرز زركش عريض أسوة بالأمراء الخاصكية وهذا شيء لم يلبسه مقدم قبله.

وكان السلطان الملك الأشرف قبل ذلك قد استجد في كل سنة عند طلوعه من هذه السرحة وهي توجه السلطان إلى ربيع الخيل أن يلبس الأمراء الخاصكية مقدمي الألوف أقبية حرير بفرو سمور بأطواق سمور بطرز زركش والطبلخانات والعشرات أقبية حرير بطرز زركش منها ما هو بفرو قاقم ومنها ما هو بفرو سنجاب.

ثم بعد ذلك نزل السلطان في يوم الثلاثاء سادس عشر ذي القعدة سنة أربع وسبعين ووالدته معه وهي متمرضة إلى الروضة تجاه مصر القديمة بمنظرة الأمير طشتمر الدوادار فأقام فيها يوم الثلاثاء والأربعاء وصحبته جميع الأمراء وطلع يوم الخميس إلى القلعة.

واستمرت أم السلطان متمرضة إلى أن ماتت في ذي الحجة وهي في عصمة ألجاي اليوسفي وصلى عليها ابنها السلطان الملك الأشرف ودفنت بمدرستها التي عمرتها بخط التبانة خارج القاهرة بالقرب من باب الوزير.

ووجد عليها ولدها الملك الأشرف وجدًا عظيمًا لأنها كانت من خيار نساء عصرها دينًا وخيرًا وصدقة ومعروفًا.

ومن الاتفاق العجيب بعد موتها البيتان اللذان عملهما الأديب في مستهل العشر من ذي الحجة كانت صبيحة موت أم الأشرف فالله يرحمها ويعظم أجرها ويكون في عاشور موت اليوسفي فكان الأمر على ما ذكر وهذا من الاتفاق الغريب وهو أنه لما ماتت خوند بركة المذكورة واستهلقت سنة خمس وسبعين وقع بين الملك الأشرف وبين زوج أمه ألجاي اليوسفي كلام من أجل التركة المتعلقة بخوند بركة المذكورة وكان ذلك يوم الثلاثاء سادس المحرم من السنة المذكورة.

وكثر الكلام بين السلطان وبين ألجاي اليوسفي حتى غضب ألجاي وخرج عن طاعة الملك الأشرف ولبس هو ومماليكه آلة الحرب ولبست مماليك السلطان أيضًا.

وركب السلطان بمن معه من أمرائه وخاصكيته وباتوا الليلة لابسين السلاح إلى الصباح.

فما كان نهار الأربعاء سابع المحرم كانت الوقعة بين الملك الأشرف وشعبان وبين زوج أمه الأتابك ألجاي اليوسفي فتواقفوا إحدى عشرة مرة وعظم القتال بينهما حتى كانت الوقعة الحادية عشرة انكسر فيها ألجاي اليوسفي وانهزم إلى بركة الحبش.

ثم تراجع أمره وعاد بمن معه من على الجبل الأحمر إلى قبة النصر فطلبه السلطان الملك الأشرف فأبى فأرسل إليه خلعة بنيابة حماة فقال: أنا أروح بشرط أن يكون كل ما أملكه وجميع ممالكي معي فأبى السلطان ذلك وباتوا تلك الليلة.

فهرب جماعة من مماليك ألجاي في فلما كان صباح يوم الخميس ثامن المحرم أرسل السلطان الأمراء والخاصكية ومماليك أولاده وبعض المماليك السلطانية إلى قبة النصر إلى حيث ألجاي فلما رأهم ألجاي هرب فساقوا خلفه إلى الخرقانية.

فلما رأى ألجاي أنه مدرك رمى بنفسه وفرسه إلى البحر ظنا أنه يعدي به إلى ذلك البر وكان ألجاي عوامًا فنقل عليه لبسه وقماشه فغرق في البحر وخرج فرسه.

وبلغ الخبر السلطان الملك الأشرف فشق عليه موته وتأسف عليه.

ثم أمر بإخراجه من النيل فنزل الغواصون وطلعوا به وأحضره إلى القلعة في يوم الجمعة تاسع المحرم في تابوت وتحته لباد أحمر فغسل وكفن وصلى عليه الشيخ جلال الدين التباني ودفن في القبة التي أنشأها بمدرسته برأس سويقة العزي خارج القاهرة والمدرسة معروفة وبها خطبة.

وكان ألجاي من أجل الأمراء وأحسنها سيرة.

ثم قبض السلطان على ممالكك ألجاي ونودي بالمدينة أن كل من لقي أحدًا منهم يحضره إلى السلطان وبأخذ له خلعة.

ثم أخذ السلطان أولاد ألجاي وهم إخوته لأمه ورتب لهم ما يكفيهم واحتاط على سائر موجود ألجاي وأخذ جميع ممالكه وصفح عنهم وجعلهم في خدمة ولديه: أمير علي وأمير حاج.

ثم قبض السلطان على جماعة من الأمراء ممن كان يلوذ بالأمير ألجاي وهم: صراي العلائي وسلطان شاه بن قراجا وطقتمر الحسني وعلي بن كلبك وصادره.

ثم أمسك ببيغا القوصوني و خليل بن قماري الحموي فشجع فيهما الأمير طشتمر الدوادر.

ثم في آخر صفر رسم السلطان بنفي جماعة إلى البلاد الشامية وهم: محمد شاه دوادر ألجاي و خليل بن عرام المعزول عن نيابة الإسكندرية وعلي بن كلبك وأقبغا البشمقदार خازندار ألجاي.

وكان السلطان في تاسع المحرم رسم لبوري الحلبي الخازندار أن يتوجه إلى طرابلس لإحضار نائبها الأمير عز الدين أيدمر الدوادر الناصري إلى مصر فتوجه بوري إليه وأحضره.

فلما مثل بين يدي السلطان أخلع عليه باستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية عوضًا عن ألجاي اليوسفي وتولى عوضه نائب طرابلس الأمير يعقوب شاه.

وبعد موت ألجاي أنعم السلطان على جماعة من الأمراء بإقطاعات ووظائف فأخلع على الأمير صرغتمش الأشرفي باستقراره أمير سلاح خاصكيًا يجلس بالإيوان في دار العدل واستقر أرغون الأحمدي اللالا أميرًا كبيرًا برانيًا وأجلس بالإيوان قاله العيني في تاريخه ووافق غيرهم.

قلت: فيكون على هذا الحكم تلك الأيام أمير كبير خاص وأمير كبير براني وأمير سلاح خاص وأمير سلاح براني وهذا شيء لم يسمع بمثله.

انتهى ثم أنعم السلطان على قطلوبغا الشعباني بتقدمة ألف واستقر رأس نوبة ثانيًا.

قلت: وهذه الوظيفة الآن هي وظيفة رأس نوبة النوب.

ورأس نوبة نوب تلك الأيام قد بطلت من الدولة الناصرية فرج بن برقوق.

وكانت تسمى رأس نوبة الأمراء وآخر من وليها أقباي الطرنطاوي الحاجب.

ثم أخلع على جماعة وأنعم عليهم بإمرة طبلخاناه وهم: أحمد بن يلغا العمري الخاصكي واقتمر الصاحبى وتمرباي الحسنى وإينال اليوسفى وعلى بن بهادر الجمالى وبلوط الصرغمشى ومختار الطواشى الحسامى مقدم الرفرف.

قلت: وأيضًا هذا شيء لم يسمع بمثله من أن يكون بعض خدام الأطباق أمير طبلخاناه. وأغرب من ذلك أن مقدم المماليك فى زماننا هذا إقطاعه إمرة عشرة ضعيفة. انتهى.

وخلع على الجيغا المحمدي وحاجى بك بن شادي.

وأنعم على اثنين بعشرات وهم ألتنبغا من عبد الملك وطشتمر الصالحي.

ثم فى عاشر شهر ربيع الآخر استقر أحمد بن آل ملك فى نيابة غزة عوضًا عن طشبغا المظفرى.

وأنعم على مبارك الطازى بتقدمة ألف وعلى سودون جركس المنجكى بتقدمة ألف.

وارتجع السلطان من طينال الماردينى تقدمته وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه ثم استمر منكلى بغا البلدى الأحمدي فى نيابة الكرك.

واستقر ناصر الدين محمد بن آقبغا آص أستاذًا بتقدمة ألف.

ثم أنعم السلطان على ألتنبغا ططق العثمانى بتقدمة ألف واستقر أمير سلاح برانيًا عوضًا عن طيدمر البالىسى.

وأنعم على طغيتمر اليلبغاوى الدوادر الثانى بإمرة طبلخاناه وهو أول من لبس الدوادرية الثانية.

ثم نقل منكلى بغا البلدى من نيابة الكرك إلى نيابة صفد.

واستقر آقتمر عبد الغنى النائب بديار مصر فى نيابة طرابلس وقد تقدم أن آقتمر هذا كان ولى نيابة الشام سنين.

وفى رابع عشرين ذى القعدة استقر يلغا الناصرى اليلبغاوى صاحب الوقعة مع برقوق الآتى ذكرها حاجبًا ثانيًا بإمرة مائة وتقدمة ألف.

ثم عزل السلطان سابق الدين مثقالًا الآنوكى مقدم المماليك وأمره أن يلزم بيته واستقر عوضه فى تقدمه المماليك الطواشى مختار الحسامى مقدم الرفرف المقدم ذكره.

ثم نذب السلطان الأمير يلغا الناصرى للسفر إلى دمشق لإحضار نائبها الأمير منجك اليوسفى فسار من وقته إلى أن وصل إلى دمشق وأحضر الأمير منجك المذكور.

ووصل منجك إلى الديار المصرية وصحبه أولاده ومملوكه جركتمر وصهره آزوس المحمودى بعد أن احتفل أهل الدولة لملاقاته وخرجت إليه الأمراء إلى بين الحوضين خارج قبة النصر.

وطلع إلى القلعة من باب السر وسائر الأمراء والخاصكية مشاة بين يديه في ركابه مثل
أيدمر الدوادر ومن دونه بإشارة السلطان.

فلما دخل منجك على السلطان وقبل الأرض أقبل عليه السلطان إقبالًا كليًا وخلع عليه
باستقراره نائب السلطنة بالديار المصرية خاصكيا عوضًا عن أقتمر عبد الغني المنتقل
إلى نيابة طرابلس وفوض إليه السلطان النظر في الأحباس والأوقاف والنظر في الوزارة
- فإنه كان وليها بعد موت أستاذة الملك الناصر محمد بن قلاوون كما تقدم ذكره -
والنظر على ناظر الخاص وقرئ تقليده بالإيوان وأن السلطان أقامه مقام نفسه في كل
شيء وفوض إليه سائر أمور المملكة وأنه يخرج الإقطاعات التي عبرتها سبعمائة دينار
إلى ما دونها وأنه يعزل من شاء من أرياب الدولة وأنه يخرج الطيلخانات والعشرات
بسائر المماليك الشامية ورسم للوزير أن يجلس قدامه في الدركاه مع الموقعين.

ثم بدأ الغلاء بالديار المصرية في هذه السنة وتزايد سعر القمح إلى أن أبيع بتسعين
درهمًا الإردب وزاد النيل بعد أن نقص في شهر هاتور وهذا أيضًا من الغرائب.

وهذه السنة تسمى سنة الشراقي كما سنيته في حوادث السنين من سلطنة الملك
الأشرف هذا.

ثم في أول سنة ست وسبعين عزل السلطان الأمير أقتمر عبد الغني عن نيابة طرابلس
بالأمير منكلي بغا البلدي نائب صفد وولاه نيابة صفد.

ثم مرض الأمير منجك اليوسفي النائب فنزل السلطان لعيادته ففرش منجك تحت رجلي
فرسه الشقق الحرير وقدم له عشرة مماليك وعشرة بقج وعدة خيول فقبلها السلطان
ثم أنعم بها عليه.

وكان ذلك في يوم الثلاثاء سابع عشرين ذي الحجة.

ومات منجك بعد يومين.

ثم ورد الخير على السلطان بأن القان حسين ابن الشيخ أويس ابن الشيخ حسن بن
حسين بن أقبغا بن أيلكان تولى مملكة تبريز وبغداد بعد وفاة أبيه.

وفي هذه السنة فتحت سيس - وهي كرسي الأرمن - على يد الأمير اشقتمر المارديني
نائب حلب بعد أن نازلها مدة ثلاثة شهور حتى فتحها وانقرضت منها دولة الأرمن - ولله
الحمد - فدقت البشائر لذلك وفرح الملك الأشرف فرحًا عظيمًا بهذا الفتح العظيم.

وفي هذه السنة - أيضًا وهي سنة ست وسبعين المذكورة - وقع الفناء بالديار المصرية
من نصف جمادى الآخرة وتزايد في شعبان ثم في شهر رمضان حتى صار يموت في كل
يوم من الحشرية نحو خمسمائة نفس ومن الطرحى نحو الألف.

وأبيع كل فروج بخمسة وأربعين درهمًا وكل سفرجلة بخمسين درهمًا وكل رمانة بعشرة
دراهم والعشرة دراهم يوم ذاك كانت أزيد من نصف دينار وكل رمانة حلوة بستة عشر
درهمًا وكل بطيخة صيفية بسبعين درهمًا.

ولما توفي منجك شغرت نيابة السلطنة بديار مصر إلى العشرين من شهر ربيع الأول
واستقر فيها وفي محرم سنة سبع وسبعين ختن السلطان أولاده وعمل المهم سبعة أيام.

وفي العشر الأوسط من صفر هذه السنة ابتداء الملك الأشرف بعمارة مدرسته التي أنشأها بالصوة تجاه الطيلخاناه السلطانية التي موضعها الآن بيمارستان الملك المؤيد شيخ وهو كلا شيء فاشترى الملك الأشرف بيت الأمير شمس الدين سنقر الجمالي وشرع في هدمه.

وفي هذه السنة تزايد الغلاء بالبلاد الشامية حتى جاوز الحد وجعل الغني فقيرًا وأبيع فيه الرطل الخبز بدرهمين.

وفي هذا المعنى يقول بدر الدين بن حبيب: الخفيف لا تقيمن بي على حلب الشهباء - - باء وارحل فأخضر العيش أدهم كيف لي بالمقام والخبز فيها كل رطل بدرهمين ودرهم وفي سنة ثمان وسبعين عزل السلطان الملك الأشرف أقطر صاحب الحنبلي عن نيابة السلطنة بالديار المصرية واستقر به أتاك العساكر وعزل الأمير أقطر عبد الغني عن نيابة صغد واستقر به أمير مائة ومقدم ألف بالقاهرة.

ثم في العشرين من شهر ربيع الآخر غرقت الحسينية خارج القاهرة وخرب فيها أزيد من ألف بيت.

وكان سبب هذا الغرق أن أحمد بن قايمز أستاذار محمد ابن آقبا آص استأجر مكانًا خارج القاهرة بالقرب من آخر الحسينية وجعله بركة ليجتمع فيه السمك وفتح له مجرى من الخليج فتزايد الماء وغفلوا عنه فطفح على الحسينية فغرقها.

فقبض السلطان بعد ذلك بمدة على محمد بن آقبا آص وصادره وعزله عن الأستادارية هذا والسلطان في تاهب سفر الحجاز.

فلما كان يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سفر السلطان إخوته وأولاد أعمامه إلى الكرك صحبة الأمير سودون الفخري الشيخوني ليقم عندهم بالكرك مدة غيبة السلطان في الحجاز.

كل ذلك والسلطان متضعف وحركة الحجاز عمالة وحواشيه وخواصه ينهونه عن السفر في هذه السنة وهولا يلتفت إلى كلامهم.

ثم توجه السلطان إلى سرباقوس على عادته في كل سنة وعاد وقد نصل عن ضعفه إلى يوم السبت الثاني عشر من شوال خرجت أطلاب الأمراء المتوجهين صحبة السلطان إلى الحجاز.

وفي الأحد ثالث عشره خرج السلطان بتجمل زائد وطلب عظيم إلى الغاية جر فيه عشرون قطارًا من الهجن الخاص بقماش ذهب وخمسة عشر قطارًا بقماش حرير وقطار واحد بلبس خليفتي وقطار آخر بلبس أبيض برسم الإحرام ومائة فرس ملبسة وكجاوتان بأغشية زركش وتسع محفات غشاء خمس منهن زركش وستة وأربعون زوجًا من المحاير وخزانة عشرون جملاً وقطاران من الجمال محملة خضر مزروعة كالبقل والشمار والنعناع والسلق والكسبرة وغير ذلك.

وأما أحمال المطاعم والمشارب والمآكل فلا تدخل تحت حصر كثرة: منها ثلاثون ألف علبة حلاوة في كل علبة خمسة أرطال كلها معمولة من السكر المكرر المصري وطيبت بمائة مثقال مسك سوى الصندل والعود هذا خلاف ما كان للأمراء والخاصكية.

وإنما كان هذا للسلطان خاصة نفسه وأشياء من هذا النموذج كثيرة ومع هذا كله لم يتغير سعر السكر بمصر.

وسار السلطان بأمرائه في أبهة عظيمة حتى نزل سرياقوس فأقام بها يومًا.

وفي هذا اليوم أخلع السلطان على الشيخ ضياء الدين القرمي الحنفي باستقراره شيخ شيوخ المدرسة التي أنشأها بالصوة وقد أشرفت على الفراغ وجاءت من أحسن البناء.

ثم رحل السلطان من سرياقوس حتى نزل بالبركة على عادة الحجاج فأقام بها إلى يوم الثلاثاء ثاني عشرين شوال.

ورحل منها بعساكره وأمرائه إلى جهة الحجاز وكان الذي صحبه من أمراء الألوف تسعة وهم: الأمير صرغتمش الأشرفي وأرغون شاه الأشرفي وبلغا الشامي - وهؤلاء الثلاثة أشرفية مماليكه - والأمير بهادر الجمالي وصراي تمر المحمدي وطشتمر العلاني الدوادر ومبارك الطازي وقطلقتمر العلاني الطويل وبشتك من عبد الكريم الأشرفي أيضًا.

ومن أمراء الطبلخانات خمسة وعشرون أميرًا وهم: بوري الأحمدي وأيدمر الخطائي من صديق وعبد الله بن بكتمر الحاجب وبلوط الصرغتمشي وأروس المحمودي وبلغا المحمدي وبلغا الناصري - على أنه كان أنعم عليه بتقدمة ألف غير أنه أضيف إلى الطبلخانات كونه كان حاجبًا ثانيًا - وأرغون العزي الأفرم وطغيتمر الأشرفي وبلغا المنجكي وكزل الأرغوني وقطلوبغا الشعباني وأمير حاج بن مغلطاي وعلي بن منجك اليوسفي ومحمد بن تنكز بغا وتمرباي الحسنبي الأشرفي وأسندمر العثماني وقرابغا الأحمدي وإينال اليوسفي وأحمد بن يلغا العمري وموسى بن دندار بن قرمان ومغلطاي البدري وبكتمر العلمي وآخر.

ومن العشرات خمسة عشر أميرًا وهم: آقبا بوز الشيخوني وأبو بكر بن سنقر الجمالي وأحمد بن محمد بن بيبرس الأحمدي وأسنبغا التلكي وشيخون ومحمد بن بكتمر الشمسي ومحمد بن قطلوبغا المحمدي وخضر بن عمر بن أحمد بن بكتمر الساقى وجوبان الطيدمري وألطنبغا من عبد الملك وقطلوبغا البزلاري وطوغان العمري الظهيري وتلكتمر العيسوي ومحمد بن سنقر المحمدي.

وعين الملك الأشرف جماعة من الأمراء ليقموا بالديار المصرية.

عين الأمير أيدمر الشمسي نائب الغيبة بالقلعة وأميرين آخر تسكن بالقلعة أيضًا وعين الأمير أقتمر عبد الغني نائب الغيبة وأن يسكن بالقاهرة للحكم بين الناس.

وعين أيضًا للإقامة بالديار المصرية من الأكابر: الأمير طشتمر اللفاف وقرطاي الطازي وأسندمر الصرغتمشي وأينيك البحري.

وسافر السلطان وهو متوعك في بدنه بعد أن أشار عليه جماعة حمن الصلحاء والأعيان بتأخير الحج في هذه السنة فأبى إلا السفر لأمر يريده الله تعالى.

وأمر السلطان لنائب الغيبة وغيره أن يطلعوا القلعة في كل يوم موكب ويدخلوا إلى باب الستارة ويخرج الأسياد أولاد السلطان الأشرف ساعة ثم يعود كل واحد إلى محله فامثلوا ذلك.

فكانوا لما يطلعون إلى القلعة ويخرج عليهم الأسياد وأكبرهم أمير علي يقوم الأمراء وبيوسون أيديهم ويقعدون ساعة لطيفة فيقوم أمير علي ويشير بيده أمرًا باسم الله فيقوم الأمراء وينصرفون بعد أن يسقون مشروبًا.

ووقع ذلك في غيبة السلطان مدة يسيرة.

فلما كان يوم السبت ثالث ذي القعدة أتفق طشتمر اللغاف وقرطاي الطازي وأسندمر الصرغتمشي وأينك البحري وجماعة من المماليك السلطانية وجماعة من مماليك الأسياد أولاد السلطان الملك الأشرف وجماعة من مماليك الأمراء المسافرين صحبة السلطان الملك الأشرف ولبسوا السلاح واتفق معهم من بالأطباق من المماليك السلطانية وهجموا الجميع القلعة وقصدوا باب الستارة فغلق سابق الدين مثقال الزمام باب الساعات ووقف داخل الباب ومعه الأمير جليان اللالا - لالا أولاد السلطان - وأقبا جركس اللالا أيضًا.

فدقت المماليك الباب وقالوا: أعطونا سيدي أمير علي فقال لهم اللالا: من هو كبيركم حتى نسلم لهم سيدي عليًا وأبى أن يسلمهم سيدي عليًا.

وكثر الكلام بينهم ومثقال الزمام يصمم على منع أمير علي فقالوا له: السلطان الملك الأشرف مات ونريد أن نسلطن ولده أمير علي فلم يلتفت مثقال إلى كلامهم.

فلما علموا المماليك ذلك طلغوا جميعًا وكسروا شبك الزمام المطل على باب الساعات ودخلوا منه ونهبوا بيت الزمام وقماشه.

ثم نزلوا إلى رحبة باب الستارة ومسكوا مثقالًا الزمام وجليان اللالا وفتحوا الباب.

فدخلت بقيتهم وقالوا: أخرجوا أمير علي حتى نسلطنه فإن أباه توفي إلى رحمة الله تعالى فدخل الزمام على رغم أنفه وأخرج لهم أمير علي فأقعد في باب الستارة.

ثم أحضر الأمير أيدمر الشمسي فبوسوه الأرض لأمير علي.

ثم أركبوا أمير علي على بعض خيولهم وتوجهوا به إلى الإيوان الكبير.

وأرسلوا خلف الأمراء الذين بالقاهرة فركبوا إلى سوق الخيل وأبوا أن يطلعوا إلى القلعة فأنزلوا أمير علي إلى الإسطبل السلطاني حتى رأوه الأمراء فلما رأوه طلغوا وقبلوا له الأرض وحلفوا له.

غير أن الأمير طشتمر الصالحي وبلاط السيفي ألجاي الكبير وحطط رأس نوبة النوب لم يوافقوا ولا طلغوا فنزلوا إليهم المماليك وميسكوهم وجبسوهم بالقصر وعقدوا لأمير علي بالسلطنة ولقبوه بالملك المنصور على ما يأتي ذكره في محله ونسوق الواقعة على جليتها.

ثم نادوا بالديار المصرية بالأمان والبيع والشراء بعد أن أخذوا خطوط سائر الأمراء المقيمين بمصر.

فأقاموا ذلك النهار وأصبحوا يوم الأحد رابع ذي القعدة من سنة ثمان وسبعين وسبعمئة وهم لابسون آلة الحرب واقفون بسوق الخيل يتكلمون في إتمام أمرهم.

وبينما هم في ذلك جاءهم الخير أن شخصًا يسمى قازان اليرقشي كان مسافرًا صحبة السلطان الملك الأشرف إلى الحجاز الشريف وجدوه متنكرًا فمسكوه وأتوا به إلى الأمراء فسألوه عن خبر قدومه وعن أخبار السلطان فأبى أن يخبرهم بشيء وأنكر أنه لم يتوجه إلى الحجاز.

فأوهموه بالتوسيط فأقر وأعلمهم الخبر بقدم السلطان الملك الأشرف شعبان وكسرتة من مماليكه بالعقبة فقالوا له: وما سبب هزيمة السلطان من عقبة أيلًا قال: لما نزل السلطان الملك الأشرف بمن معه من أمرائه وعساكره إلى العقبة وأقام بها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء سلخ شوال فطلب المماليك السلطانية العليق فقبل لهم اصبروا إلى منزلة الأزلم فغضبوا وامتنعوا من أكل السماط عصر يوم الأربعاء واتفقوا على الركوب.

فلما كانت ليلة الخميس المذكورة ركبوا على السلطان ورؤوسهم الأمير طشتمر العلاني ومبارك الطازي وصراي تمر المحمدي وقطقتمر العلاني الطويل وسائر مماليك الأسياد وأكثر المماليك السلطانية.

فلما بلغ السلطان أمرهم ركب بأمرائه وخاصكيته وتواقعوا فانكسر السلطان وهرب هو ومن كان معه من الأمراء وهم: صرغتمش الأشرفي وأرغون شاه الأشرفي وبيغا الأشرفي وبشتك الأشرفي وأرغون كنتك وبلغا الناصري.

وصار السلطان بهؤلاء إلى بركة عجرود فنزل بها وهو مقيم بها.

فقالوا له: كذبت قل لنا حقيقة أمره فامتنع وحلف.

فأرادوا توسيطه حقيقة فقال: أطلقوني أنا أدلكم عليهم.

فأطلقوه فأخذهم وتوجه بهم إلى قبة النصر خارج القاهرة إلى محل كان الأشرف نزل فيه بجماعته فوجدوا بالمكان أرغون شاه وصرغتمش وبيغا وبشتك وأرغون كنتك.

وكان الذي توجه مع قازان اليرقشي من القوم أسندمر الصرغتمشي وطولو الصرغتمشي ومعهما جماعة كبيرة من المماليك الذين ثاروا بالقاهرة.

فقبضوا على الأمراء المذكورين وسألوهم عن الملك الأشرف فقالوا: فارقنا وتوجه هو وبلغا الناصري إلى القاهرة ليختفي بها فقتلوا الأمراء المذكورين في الحال وحزوا رؤوسهم وأتوا بها إلى سوق الخيل ففرح بذلك بقية الأمراء الذين هم أصل الفتنة وعلموا أن الأشرف قد زال ملكه.

وأما الملك الأشرف فإنه لما وصلى إلى قبة النصر توجه منها نحو القاهرة ومعه يلغا الناصري واختفى عند أستاذار يلغا الناصري فلم يأمن على نفسه فتوجه تلك الليلة من عند أستاذار يلغا الناصري إلى بيت أمنة زوجة المشتولي فاختفى عندها.

فقلق عند ذلك الأمراء الذين أثاروا الفتنة وخافوا عاقبة ظهور الأشرف وهم: قرطاي الطازي وطشتمر اللغاف وأسندمر الصرغتمشي وقطلوبغا البدري وألطنبغا السلطاني وبلاط الصغير ودمراش اليوسفي وأينبك البدري وبلغا النظامي وطولو الصرغتمشي - وهؤلاء الأمراء وأما الأجناد فكثير - فاشتد قلقهم.

وبينما هم في ذلك في آخر نهار الأحد يوم قتلوا الأمراء المذكورين بقية النصر وقبل أن يمضي النهار جاءت امرأة إلى الأمراء وذكرت لهم أن السلطان مختف عند أمنة زوجة

المشتولي في الجودية فقام ألطنبغا من فوره ومعه جماعة وكبسوا بيت آمنة المذكورة فهرب السلطان واختفى في بادهنج البيت فطلعوا فوجدوه في البادهنج وعليه قماش النساء.

فمسكوه وألبسوه عدة الحرب وأحضره إلى قلعة الجبل فتسلمه الأمير أينبك البديري وخلا به.

وأخذ يقرره على الذخائر فأخبره الملك الأشرف بها وقيل إن أينبك المذكور ضربه تحت رجله عدة عصي.

ثم أصبحوا في يوم الاثنين خنقوه وتولى خنقه جاركس شاد عمائر ألجاي اليوسفي فأعطى جاركس المذكور إمرة عشرة واستقر شاد عمائر السلطان.

ثم بعد خنق الملك الأشرف لم يدفنه بل أخذوه ووضعوه في قفة وخطوا عليها ورموه في بئر.

فأقام بها أيامًا إلى أن ظهرت رائحته فاطلع عليه بعض خدامه من الطواشية ثم أخرجوه ودفنوه عند كيما ن السيدة نفيسة وذلك الخادم يتبعهم من بعد حتى عرف المكان.

فلما دخل الليل أخذ جماعة من إخوته وخدمه ونقلوه في تلك الليلة من موضع دفنوه المماليك ودفنوه بتربة والدته خوند بركة بمدرستها التي بخط التبانة في قبة وحده بعد أن غسلوه وكفنوه وصلوا عليه.

وقيل غير ذلك وهو في البيت المذكور وعليه قماش النسوة أركبوه على هيئة بازار خلف مملوك ومشوا خلفه وطلعوا به من على قنطرة باب الخرق وطلعوا به على معذية فريج وطلعوا به من على الصليبة وقت الظهر.

وكان من رآه يحسبه أميرًا من الأمراء وفعّلوا ذلك خوفًا من العامة فإنهم لو علموا أنه السلطان خلصوه منهم ولو ذهب أرواحهم الجميع لمحبة الرعية في الأشرف المذكور.

ثم دخلوا بالأشرف إلى إسطنبول بالقرب من الصليبة مخافة من العامة لا يعرفون به لما تكاثروا للفرجة عليه فأقام بالإسطنبول ونزل إليه قرطاي وقرره على الذخائر فقر له.

ثم قتله ودفنه بمصطبة بالإسطنبول المذكور.

فهذه رواية أخرى غير ما ذكرنا أولًا والأول أشهر وأظنه الأصح والأقوى.

وأما الذين تخلفوا بالعقبة من الذين وثبوا على الملك الأشرف وكسروه وهرب الأشرف إلى جهة الديار المصرية ولم يدركوه فإنهم اتفقوا الجميع - الأمراء وغيرهم - وتوجهوا إلى الخليفة المتوكل على الله وكان أيضًا في صحبة السلطان الملك الأشرف وقالوا له: يا أمير المؤمنين تسلطن ونحن بين يديك وكانت العصائب السلطانية حاضرة فامتنع الخليفة من ذلك.

هذا وهم لا يعلمون بما وقع بالديار المصرية من ركوب هؤلاء وسلطنة أمير علي فإن كل طائفة وثبت على السلطان وليس للأخرى بها علم ولا كان بينهم اتفاقية على ذلك وهذا من غريب ثم بعد ثلاثة أيام أو أقل تكون بمصر أيضًا ويخلع الملك الأشرف ويتسلطن ولده وكلاهما من غير مواعدة الأخرى فنعود بالله من زوال النعم.

ثم إن الأمراء والمماليك أقاموا بالعقبة بعد هروب السلطان يومين وقد جهزوا للخليفة قماش السلطنة وآلة الموكب وألحوا عليه بالسلطنة وهو يمتنع.

وتوجهت القضاة إلى القدس للزيارة ورد الحاج بأسره إلى أبيار العلائي وقد قصدوا العود إلى القاهرة وإبطال الحاج في تلك السنة فنهض الأمير بهادر الجمالي أمير الحافي وردداهم وحج بهم.

ولما تحققت الأمراء والمماليك أن الخليفة امتنع من السلطنة رجعوا نحو الديار المصرية حتى وصلوا إلى جرود فأتاهم الخبر بما جرى من مسك السلطان الملك الأشرف وقتله فاطمانوا.

فإنهم كانوا على وجل ومنهم من ندم على ما فعل فإنه كان سبباً لزوال دولة الملك الأشرف ولم ينله ما أمل وخرج الأمر لغيره.

ثم ساروا الجميع من عجرود إلى أن وصلوا إلى بركة الحاج فسار إليهم جماعة من القائمين بمصر بألة الحرب فتعبوا لقتالهم.

فأرسل طشتمر العلائي الدوادر طليعة عليها قطلقتمر الطويل فقاتلوه المصريون فكسروهم قطلقتمر وسار خلفهم إلى قلعة الجبل.

فلما قرب إلى القلعة تكاثروا عليه ومسكوه.

وفي ذلك الوقت حضر إلى الديار المصرية الأمير آقتمر الصاحبى نائب السلطنة بالديار المصرية وكان قد توجه إلى بلاد الصعيد قبل توجه السلطان الملك الأشرف إلى الحجاز فتلقاه أمراء مصر وعظموه وقالوا له: أنت نائب السلطنة على عادتك وأنت المتحدث وكلنا مماليكك فلم يسعه إلا مطاوعتهم على ما أرادوا.

وكان كلام الأمراء لآقتمر الصاحبى بهذا القول خوفاً ممن أتى من الأمراء والخاصكية من العقبة.

ثم اتفق المصريون على قتال طشتمر الدوادر ومن أتى معه من العقبة من المماليك الأشرفية وغيرها فنزلوا إليهم من القلعة بعد المغرب في جمع كبير والتقوا معهم على الصوة من تحت القلعة تجاه الطيلخاناه السلطانية.

وتقاتلوا فانكسر طشتمر ومن معه من الأمراء والمماليك الأشرفية وانهزموا بعد المغرب إلى ناحية الكيمان.

فلما كان الليل أرسل طشتمر طلب الأمان لنفسه فأرسلوا له الأمان.

فلما حضر مسكوه وقيموه هو وجماعته وحبسوهم بالقلعة.

ونجيه يقول الأديب شهاب الدين أحمد بن العطار: مجزوء الكامل إن كان طشتمر طغى وأتى بحرب مسرع وبغى سيؤخذ عاجلاً ولكل باغ مصرع قلت: ما أشقى هؤلاء القوم العصاة بالعقبة فإنهم كانوا سبباً لزوال ملك أستاذهم الملك الأشرف وذهاب مهجته من غير أن يحصل أحدهم على طائل.

بل ذهب عنهم الدنيا والآخرة فإنهم عصوا على أستاذهم وخلعوا طاعته من غير موجب.

وشمل ضررهم على الحجاج وأما أمر الدنيا فإنها زالت عنهم بالكلية وخرج عنهم إقطاعهم ووظائفهم وأرزاقهم ومنهم من قتل أشد قتلة ولم يقر بهم ملك من الملوك بعد ذلك بل صاروا مبعودين في الدول وماتوا قهراً مما قاسوه من الذل والهوان حتى إنني رأيت منهم من كان عمر واحتاج إلى السؤال وما ربك بظلام للعبيد.

وكان السلطان الملك الأشرف - رحمه الله تعالى - من أجل الملوك سماحة وشهامة وتجمالاً وسؤدداً.

قال قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني - رحمه الله - في تاريخه: كان ملكاً جليلاً لم ير مثله في الحلم.

كان هيناً ليناً محباً لأهل الخير والعلماء والفقراء مقتدياً بالأمور الشرعية واقفاً عندها محسناً لإخوته وأقاربه وبنو أعمامه أنعم عليهم وأعطاهم الإمبريات والإقطاعات وهذا لم يعهد من ملك قبله في ملوك الترك ولا غيرهم.

ولم يكن فيه ما يعاب سوى كونه كان محباً لجمع المال.

وكان كريماً يفرق في كل سنة على الأمراء أقبية بطرز زركش والخيول المسومة بالكنابيش الزركش والسلاسل الذهب والسروج الذهب وكذلك على جميع أرباب الوظائف وهذا لم يفعله ملك قبله.

انتهى كلام العيني باختصار - رحمه الله تعالى -.

وقال غيره رحمه الله: وكان ملكاً جليلاً شجاعاً مهاباً كريماً هيناً ليناً محباً للرعية.

قيل إنه لم يل الملك في الدولة التركية أحلم منه ولا أحسن خلقاً وخلقاً.

وأبطل عدة مكوس في سلطنته.

والله أعلم.

قلت حدثني العلامة علاء الدين علي القلقشندي - تغمده الله تعالى - الشافعي قال: حدثني العلامة قاضي القضاة شمس الدين محمد البساطي المالكي أن الملك الأشرف شعبان هذا كان من فطنته وذكائه يعرف غالب أحوال القلاع الشامية وغيرها ويعرف كيف تؤخذ ومن أين تحاصر معرفة جيدة.

قلت هذا دليل على الذكاء المفرط والتيقظ في أحوال مملكته.

انتهى.

ورأيت أنا كثيرًا من المماليك الأشرفية وبهم رمق وقوة في أوائل الدولة الأشرفية برسباي منهم الأمير آق سنقر الأشرفي الحاجب وغيره.

وكانت أيام الملك الأشرف شعبان المذكور بهجة وأحوال الناس في أيامه هادئة مطمئنة والخيرات كثيرة على غلاء وقع في أيامه بالديار المصرية والبلاد الشامية ومع هذا لم يختل من أحوال مصر شيء لحسن تدبيره ومشى سوق أرباب الكمالات في زمانه من كل علم وفن.

ونفقت في أيامه البضائع الكاسدة من الفنون والملح وقصدته أربابها من الأقطار وهو لا يكل من الإحسان إليهم في شيء يريد به وشيء لا يريد حتى كلمه بعض خواصه في ذلك فقال - رحمه الله -: أفعل هذا لئلا تموت الفنون في دولتي وأيامي.

قلت: لعمرى إنه كان يخشى موت الفنون والفضائل ولقد جاء من بعده من قتلها صبرًا قبل أوان موتها ودفنها في القبور وعفى أثرها.

وما أحسن قول أبي الطيب المتنبي أحمد بن الحسين حيث يقول: الطويل على قدر أهل العزم تأتي الغزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم وخلف الملك الأشرف رحمه الله من الأولاد ستة بنين وهم الملك المنصور علي الذي تسلطن من بعده - على ما يأتي ذكره وذكر من قام بسلطنته مفضلًا - والملك الصالح أمير حاج وقاسم ومحمد وإسماعيل وأبو بكر.

وولدت بعده خوند سمراء جاريته ولدًا سموه أحمد فصاروا سبعة.

وخلف سبع بناب رأيت إحداهن بعد سنة عشرين وثمانمائة.

وكانت مدة سلطنة الملك الأشرف أربع عشرة سنة وشهرين وعشرين يومًا.

ومات وعمره أربع وعشرون سنة.

وقد تقدم مولده في أول ترجمته.

ورثاه الشعراء بعد موته بعدة قصائد وحنن الناس عليه حزنًا عظيمًا وكثير تأسفهم عليه.

وعمل عزائه بالقاهرة عدة أيام.

وفيه يقول الشيخ شهاب الدين أحمد بن العطار: البسيط للملك الأشرف المنصور سيدنا مناقب بعضها يبدو به العجب له خلائق بيض لا يغيرها صرف الزمان كما لا يصدأ الذهب كوكب السعد غاب من القلعه وهلالو قد انطفا بأمان وزحل قد قارن المريخ لكسوف شمس الضحى شعبان السنة الأولى من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر وهي سنة خمس وستين وسبعمائة.

على أنه حكم في السنة الماضية من شعبان إلى آخرها.

وفيها أعني سنة خمس وستين توفي الشيخ الإمام العالم ناصر الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز القونوي الحنفي الشهير بابن الربوة رحمه الله.

كان إمامًا عالمًا بارعًا خطيبًا فصيحًا فقيهاً مناظرًا.

أفتى ودرس وأعاد وشرح الفرائض السراجية وكتاب المنارة وله عدة مصنفات آخر.

ومات بدمشق في هذه السنة وقيل في الخالية.

وتوفي قاضي القضاة نجم الدين عبد الرحيم ابن القاضي شمس الدين إبراهيم بن شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن المسلم بن عبد الله بن حسان المعروف بالبارزي الجهني الحموي الشافعي قاضي قضاة حماة بها بعد أن ولي قضاءها سنًا وعشرين سنة.

وكان مشكور السيرة في أحكامه - رحمه الله - .

وتوفي الأديب عز الدين أبو محمد الحسن بن علي بن الحسن بن علي العباسي الشهير بابن البناء الحلبي الشاعر المشهور.

قدم إلى حلب وبها مات وسنه زيادة على سبعين سنة.

ومن شعره قصيدة أولها: الرجز

أنفقت عمري في رجاء وصلكم ** والعصر إني بكم في خسر

وتوفي القاضي شهاب الدين أحمد ابن الصاحب جمال الدين محمد ابن الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد الحنفي الحلبي الشهير بابن العديم بحلب عن بضع وسبعين سنة.

وكان فقيهاً عارفاً بالتاريخ والأدب.

وتوفي الأمير سيف الدين قطفوبغا الأحمدي نائب حلب بها عن نيف وثلاثين سنة - رحمه الله - وكان أميراً جليلاً شجاعاً كريماً.

نشأ في السعادة وولي نيابة حلب مرتين.

وتوفيت خوند طولوبيه الناصرية التترية زوجة السلطان الملك الناصر حسن ثم من بعده زوجة مملوكه يلغا العمري في الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر ودفنت بتربتها التي أنشأتها بجوار تربة خوند طغاي الناصرية أم نوك خارج باب البرقية بالصحراء.

وكانت من أجمل نساء عصرها.

وتوفي القاضي تاج الدين أبو عبد الله محمد بن بهاء الدين إسحاق بن إبراهيم السلمى المناوي الشافعي خليفة الحكم بالديار المصرية وقاضي العسكر ووكيل بيت المال والخاص بها في يوم وتوفي القاضي صلاح الدين عبد الله بن عبد الله بن إبراهيم البرلسي المالكي محتسب القاهرة بها في يوم الخميس خامس عشرين صفر.

وهذا المحتسب هو الذي أمر المؤذنين أن يقولوا في ليلة الجمعة بعد أذان العشاء الآخرة وقبل الفجر: الصلاة والسلام عليك يا رسول الله فاستمر ذلك إلى سلطنة الملك الظاهر برقوق حيث أمر محتسب القاهرة نجم الدين الطنبذي أن يقولوا ذلك عقيب كل أذان إلا المغرب.

واستمر ذلك أيضًا إلى يومنا هذا على ما سنيته في وقته - إن شاء الله تعالى - ونذكر سببه ولم يكن قبل ذلك إلا الأذان فقط.

وتوفي قاضي مكة تقي الدين محمد بن أحمد بن قاسم العمري الحرازي الشافعي معزولاً.

وتوفي بالمدينة النبوية - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - الحافظ عفيف الدين أبو السيادة عبد الله بن محمد بن أحمد بن خلف في سادس عشرين شهر ربيع الأول رحمه الله.

وكان إمامًا حافظًا متقنًا سمع الكثير ورحل البلاد وكتب وحصل.

وتوفي السلطان الملك الصالح شمس الدين صالح ابن الملك المنصور نجم الدين غازي ابن الملك المظفر قرا أرسلان ابن الملك السعيد غازي بن أرتق بن أرسلان بن إيل بن غازي بن ألبى بن تمر داش بن إيل بن غازي بن أرتق الأرتقي صاحب ماردين بها وقد ناهز السبعين سنة من العمر بعد أن دام في سلطنة ماردين أربعًا وخمسين سنة.

وتولى ماردين بعده ابنه الملك المنصور أحمد.

وكان الملك الصالح من أجل ملوك بني أرتق حزمًا وعزمًا ورأيًا وسؤددًا وكرمًا ودهاء وشجاعة وإقدامًا.

وكان يحب الفقهاء والفضلاء وأهل الخير وكان له فضل وفهم وذوق للشعر والأدب.

وكان يحب المديح وبجيز عليه بالجوائز السنية.

ولصفي الدين عبد العزيز الحلبي فيه مدائح وعرر في مخلص بعض قصائده - رحمه الله -.

ومنها الكامل لم أشك جور الحادثات ولم أقل حالت بي الأيام عن حالاتها مالي أعد لها مساوئ جمّة والصالح السلطان من حسناتها ملك تقرر له الملوك بأنه إنسان عينيها وعين حياتها أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمسة أذرع وستة أصابع.

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعًا واثنًا عشر إصبغًا.

وكان الوفاء ثاني عشرين توت.

والله أعلم.

▲ السنة الثانية من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر

وهي سنة ست وستين وسبعمئة فيها توفي العلامة قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة الكفري بفتح الكاف الدمشقي الحنفي قاضي قضاة دمشق بها.

وكان - رحمه الله - إمامًا بارعًا في مذهبه ماهرًا في علم العربية بصيرا بالأحكام.

باشر مدة طويلة نيابة عن والده ثم استقل بها إلى أن مات.

وكان مشكور السيرة وأفتى ودرس سنين.

وتوفي قاضي القضاة زين الدين محمد بن سراج الدين عمر بن محمود الحنفي المعروف بابن السراج بالقاهرة في ذي القعدة عن تسع وستين سنة ودفن بتربته خارج باب النصر بالقرب من تربة الصوفية رحمه الله.

وكان فقيهاً بارعًا عالمًا مفتيًا يحفظ الهداية في الفقه.

ودرس بالجامع الحاكمي وأعاد بجامع أحمد بن طولون والأشرفية وغيرهما وناب في القضاء عن قاضي القضاة جمال الدين التركماني الحنفي.

وكان معدودًا من الفقهاء العلماء.

وتوفي الخطيب أبو المعالي تقي الدين محمد بن الخطيب محمد ابن إسماعيل بن إبراهيم بن ناصح الحموي ثم الحلبي الشافعي الشهير بابن القواس بحلب عن نيف وخمسين سنة رحمه الله.

وتوفي الشيخ الإمام العالم العلامة قطب الدين محمد بن محمد الرازي الشافعي الشهير بالقطب التحتاني رحمه الله بدمشق عن نيف وستين سنة.

كان بحرًا في جميع العلوم لا سيما في العلوم العقلية وله تصانيف مفيدة منها: شرح الشمسية وشرح المطالع والحواشي على كشف الزمخشري.

وكانت تصانيفه أحسن من تصانيف شيخه العلامة شمس الدين الأصفهاني رحمه الله.

وتوفي الأمير سيف الدين أرنبغا بن عبد الله الكامل نائب غزة.

كان أصله من ممالك الملك الكامل شعبان ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان خصيصًا عنده إلى الغاية.

وتوفي الأمير الشريف أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن الحسن بن زهرة الحسيني الحلبي.

ولي نقابة الأشراف بحلب بعد والده - رحمهما الله تعالى - وأستقر أمير طبلخاناه بحلب مدة ثم صرف عن الوظيفتين ومات بظاهر حلب عن ثلاث وخمسين سنة.

وتوفي الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الهادي الفوي الفقيه الشافعي في يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى وقد تصدر للتدريس والإقراء رحمه الله.

وتوفي الشيخ شرف الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر المزي الدمشقي الحريري المحدث بمصر في شعبان.

رحمه الله تعالى.

وتوفي الأمير آسن قجا بن عبد الله من علي بك الناصري أحد أمراء الطبلخانات بعد ما تنقل في عدة أعمال مثل البيرة وطرسوس وغيرها رحمه الله.

وتوفي الأمير سيف الدين قماري بن عبد الله الحموي الناصري الحاجب وهو على نيابة طرطوس.

وكان من أعيان الأمراء ومن أكابر المماليك الناصرية.

وتوفي الشيخ المعمر الرحلة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن يعقوب الأنصاري الخزرجي المقدسي البياني الشاهد.

كان أبوه يعرف بابن إمام الصخرة واشتهر هو بالبياني.

ولد سنة ست وثمانين وستمائة فأحضر علي زينب بنت مكى في الثانية من عمره وعلى الفخر ابن البخاري في الثالثة وأسمع على أبي الفضل بن عساكر وغيره وأجاز له جماعة وحدث بالكثير.

وعمر وصار مسند عصره ورحلة زمانه.

وخرج له الحافظ تقي الدين بن رافع مشيخة وذيل عليها الحافظ زين الدين العراقي.

وكانت وفاته يوم الاثنين تاسع عشرين ذي القعدة.

وهو آخر من تأخر ممن سمع عليه شيخنا الرحلة زين الدين عبد الرحمن الزركشي الخيلي رحمه الله تعالى.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمسة أذرع وأربعة أصابع.

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعًا وستة عشر إصبغًا.

والله أعلم.

السنة الثالثة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر وهي سنة سبع وستين وسبعمئة.

فيها توفي الشيخ الإمام العالم العلامة قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز ابن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي المصري الشافعي بمكة المشرفة في يوم الاثنين ثامن عشر جمادى الآخرة ودفن بباب المعلاة بين الفضيل بن عياض وأبي القاسم القشيري ونجم الدين الأصبهاني.

ومولده بالعادية بدمشق في سنة أربع وتسعين وستمئة رحمه الله.

وكان إمامًا عالمًا فاضلاً دينًا صالحًا.

سمع بمصر والشام والحجاز وأخذ عن الأبرقوهي والدمياطي وغيرهما من الحفاظ.

وجمع وكتب وحدث وخطب وأفتى ودرس وتولى القضاء تسعًا وعشرين سنة.

ثم استعفى وتوجه إلى مكة مجاوزًا بها إلى أن مات.

وتوفي القاضي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم أيوب العينتابي الحنفي قاضي العسكر بدمشق - رحمه الله تعالى - وبها كانت وفاته وقد جاوز ستين سنة.

وكان إمامًا بارعًا في المذهب وأفتى ودرس وشرح مجمع البحرين في الفقه في المذاهب الثلاثة في عشرة مجلدات وسماه المنيع.

وتوفي الشيخ الرضى شيخ خانقاه بيبرس الجاشنكير في ليلة الجمعة حادي عشر شهر رجب ودفن بمقابر الصوفية.

وتولى مكانه الشيخ ضياء الدين العفيفي المعروف بقاضي قرم.

رحمه الله.

وتوفي السلطان الملك المجاهد سيف الدين أبو يحيى علي ابن السلطان الملك المؤيد هزبر الدين داود ابن السلطان الملك المظفر يوسف ابن السلطان المنصور عمر

بن نور الدين علي بن رسول التركماني الأصل اليمني المولد والمنشأ والوفاء صاحب اليمن بعدن - رحمه الله - في يوم السبت الخامس والعشرين من شهر جمادى الأولى من هذه السنة وقيل سنة أربع وستين وولي بعده ابنه الملك الأفضل عباس.

ومولد المجاهد هذا في سنة إحدى وسبعمئة بتعز.

ونشأ بها وحفظ التنبيه في الفقه وبحثه وتخرج على المشايخ منهم: الشيخ الإمام العلامة الصاغاني وتآدب على الشيخ تاج الدين عبد الباقي وغيرهما.

وشارك في علوم وكان جيد الفهم - رحمه الله - وله فوق في الأدب وله نظم ونثر.

وهذا المجاهد الذي ذكرنا في ترجمة الملك الناصر محمد بن قلاوون أنه أرسل إليه نجمة إلى بلاد اليمن لما خرج عليه ونازعه الملك الناصر بن الأشرف صاحب زبيد وسقنا حكايته هناك مفصلاً.

وطالت مدة المجاهد في مملكة اليمن وفعل الخيرات وله مآثر: عمر مدرسة عظيمة بتعز وزيادة أخرى وغير ذلك وعمر مدرسة بمكة المشرفة بالمسجد الحرام بالجانب اليمني مشرفة على الحرم الشريف.

وقد استوعبنا ترجمته في المنهل الصافي بأطول من هذا إذ هو كتاب تراجم.

والله أعلم.

وتوفي الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الظاهر المعروف بابن الشرف الحنفي الفقيه خطيب جامع شيخون.

وكان من أعيان الفقهاء وله مشاركة وفضل.

رحمه الله تعالى.

وتوفي الأمير سيف الدين بطا بن عبد الله أحد أمراء الطيلخانات وقرئ على قبره بعد موته ألف ختمة شريفة بوصيته هكذا نقل الشيخ تقي الدين المقرئ.

رحمه الله.

وتوفي الشيخ المحدث العالم العلامة شمس الدين أبو الثناء محمود بن خليفة بن محمد بن خلف المنبجي ثم الدمشقي التاجر.

ومولده في سنة سبع وثمانين وستمئة ومات في ذي الحجة.

رحمه الله.

وتوفي الشيخ الإمام أحد فقهاء المالكية خليل بن إسحاق المعروف بابن الجندي الفقيه المالكي - رحمه الله - في يوم الخميس ثاني عشر شهر ربيع الأول.

وكان فقيهاً مصنفاً.

صنف المختصر في فقه المالكية وغيره.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمسة أذرع وأربعة أصابع.

ومبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعًا وستة عشر إصبعًا.

والله تعالى أعلم.

السنة الرابعة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر وهي سنة ثمان وستين وسبعمئة.

وفيها كانت وقعة يلغا العمري الخاصكي صاحب الكبش ومقتله وسلطنة أنوك بجزيرة الوسطى ولم يتم أمره ولا غد من السلاطين وقد تقدم ذكر ذلك كله مفصلاً في ترجمة الملك الأشرف هذا فلينظر هناك.

وفيها توفي قاضي القضاة أمين الدين أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن رهبان الدمشقي الحنفي قاضي قضاة حماة وبها توفي وهو من أبناء الأربعين رحمه الله.

وكان فقيهاً عالمًا مشكور السيرة.

وتوفي الشيخ الإمام العالم المسلك العارف بالله تعالى عفيف الدين أبو محمد وقيل أبو السيادة عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح اليماني اليافعي نزيل مكة وشيخ الحرم وإمام المسلكين وشيخ الصوفية في ليلة الأحد العشرين من جمادى الآخرة بمكة المشرفة ودفن بالمعلاة بجوار الفضيل بن عياض.

ومولده سنة ثمان وستين وستمئة تقريبًا وسمع الكثير وبرع في الفقه والعربية والأصليين واللغة والفرائض والحساب والتصوف والتسليك وغير ذلك.

وكان له نظم جيد كثير دون منه ديوان.

وله تصانيف كثيرة منها: روض الرياحين في حكايات الصالحين وتاريخ بدأ فيه من أول الهجرة وأشياء غير ذلك ذكرناها مستوفاة في ترجمته في تاريخنا المنهل الصافي وما وقع له مع علماء عصره بسبب قصيدته التي أولها حيث قال في ذلك: الطويل قال: ومن شعره أيضًا قصيدته التي أولها: الطويل قفا حدثاني فالفؤاد عليل عسى منه يشفى بالحديث غليل أحاديث نجد عللاني بذكرها فقلبي إلى نجد أراه يميل بتذكار سعدي أسعداني فليس لي إلى الصبر عنها والسلو سبيل ولا تذكر لي العامرية إنها يوله عقلي ذكرها وبزبل ومنها المخلص: ألا يا رسول الله يا أكرم الوري ومن جوده خير النوال ينبل ومن كفه سيحون منها وجيحن ودجلة تجري والفرات ونيل مدحتك أرجو منك ما أنت أهله وأنت الذي في المكرمات أصيل فيا خير ممدوح أثب شر مادح عطا مانح منه الجزاء جزيل وتوفي الشيخ الإمام العالم المسلك الصوفي العارف بالله تعالى المعتقد جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن عبد الله بن عمر بن علي بن خضر الكوراني الأصل المصري الدار والوفاة المعروف بالشيخ يوسف العجمي بزأوبته بقرافة مصر الصغرى في يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الأول وقيل: جمادى الأولى وقيل: يوم الأحد النصف من جمادى الأولى ودفن بزأوبته المذكورة وقبره يقصد للزيارة.

وكان - رحمه الله - شيخًا حقيقه ومقتدى طريقة.

كان إمام المسلكين في عصره وكان على قدم هائل.

كان غالب علماء عصره يقتدون به وكان له أورد وأذكار هائلة.

انتفع بصحته جماعة من العلماء والصلحاء والفقهاء وكان لا يأخذه في الله لومة لائم مع فضيلة غزيرة ومعرفة تامة بالتصوف.

وله رسالة سماها ربحان القلوب والتوصل إلى المحبوب.

وقد شاع ذكر الشيخ يوسف في الدنيا وأثنى عليه العلماء والصلحاء.

حكى أن الشيخ يوسف هذا دخل مرة إلى الشيخ يحيى بن علي بن يحيى الصنافيري فقام إليه الشيخ يحيى وكان لا يلتفت إلى أحد وتلفاه وهو ينشد بقوله: الوافر ألم تعلم بأني صيرفي بلوت العالمين على محكي فمنهم زائف لا خير فيه ومنهم جائز تجويز شك وأنت الخالص الإبريز منهم بتزكيتي وحسبك من أزكي فحصل للشيخ يوسف بهذا الكلام غاية السرور والفرح.

وكان مع الشيخ يوسف ولده محمد فأقبل عليه الشيخ يحيى وأنشده فقال: الكامل إن السري إذا سرى فبنفسه وابن السري إذا سرى أسراهما قال: فازداد الشيخ يوسف سرورًا على سروره بهذا القول.

رحمهما الله تعالى ونفعنا وتوفي الشيخ الإمام الأديب البارع المفتن جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن صالح بن علي بن يحيى بن طاهر بن محمد بن الخطيب أبي يحيى عبد الرحيم بن نيابة بضم النون الفارقي الأصل الجذامي المصري المعروف بابن نيابة بالقاهرة - رحمه الله تعالى - بالبيمارستان المنصوري في ثامن شهر صفر من السنة المذكورة.

ومولده في مصر في شهر ربيع الأول سنة ست وثمانين وستمائة بزقاق القناديل.

ونشأ بمصر وبرع في عدة علوم وفاق أهل زمانه في نظم القريض.

وله الشعر الرائق والنثر الفائق.

وهو أحد من حذا حذو القاضي الفاضل وسلك طريقه وأجاد فيما سلك.

وكان خطه في غاية الحسن وديوان شعره مشهور.

وقد مدح الملوك والأعيان ورحل إلى البلاد وانقطع إلى السلطان الملك المؤيد إسماعيل صاحب حماة وله فيه غرر مدائح.

وكان مع ما اشتمل عليه من المحاسن قليل الحظ.

ومن شعره في المعنى: الكامل أسفي لشعر بارع نظمته تحتاج بهجته لرفد بارع در يتيم قد توضع نشره يا من يرق على اليتيم الضائع ومن شعره أيضا قوله: السريع مقبل الخد أدار الطلا فقال لي في حبها عائبني وله أيضا: السريع وتاجر قلت له إذ رنا رفقا بقلب صبره خاسر ومقلة تنهب طيب الكرى منها على عينك يا تاجر وله أيضا: الكامل قبلته عند النوى فتمررت تلك الحلاوة بالتفرق والجوى ولثمته عند القدوم فحبذا رطب الشفاه السكري بلا نوى وله أيضا - عفا الله عنه - البسيط أهلاً بطيف على الجرعاء مختلس والفجر في سحر كالثغر في لعس والنجم في الأفق الغربي منحدر كشعلة سقطت من

كف مقتبس يا حبذا زمن الجرعاء من زمن كل الليالي فيه ليلة العرس وحبذا العيش مع هيفاء لو ظهرت للبدر لم يزه أو للغصن لم يمس خود لها مثل ما في الطيبي من ملح وليس للطبي ما فيها من الأنس مدروسة بشعاع البيض ملتئمًا ونور ذاك المحيا آية الحرس وقد استوعبنا من شعره وأحواله نبذة كبيرة في المنهل الصافي.

انتهى والله أعلم.

وتوفي الوزير صاحب فخر الدين ماجد بن قروينة القبطي المصري تحت العقوبة بعد أن أحرقت أصابعه بالنار.

وكان - رحمه الله - وزيرًا عارقًا مكينًا عفيقًا رزينًا ذا حرمة ونهضة.

لم يل الوزارة في الدولة التركية من يشابهه.

عمر في أيام وزارته بيوت الأموال بالذهب والفضة وترك بالأهراء مغل ثلاث سنين وبعض الرابعة وذلك فوق ثلاثمائة ألف إردب وبالبلاد مغل سنتين بعد ما كان يقوم بالكلف السلطانية وكلفة الأتابك يلبغا العمري الخاصكي.

وبعد هذا كله كان يحمل إلى الخزانة الشريفة في كل شهر ستين ألف دينار.

وكان فيه محاسن كثيرة غير أنه كانت نفسه نفسًا شامخة وفيه تهكم على الناس مع تكبر هذا مع الكرم الزائد والإحسان للناس وقلة الظلم بالنسبة إلى غيره رحمه الله تعالى والله أعلم.

وتوفي الأمير سيف الدين دروط ابن أخي الحاج آل ملك.

كان أحد أمراء الألوف بالديار المصرية وحاجبًا ثانيًا بها.

وتوفي الأمير علاء الدين آقبا بن عبد الله الصفوي أحد الأمراء الطبلخانات بالديار المصرية وأمير آخور.

وكان - رحمه الله - من أعيان الأمراء.

وتوفي الأمير علاء الدين آقبا بن عبد الله الأحمدى اليلبغاوي المعروف بالجلب في أواخر السنة المذكورة وهو مسجون بثغر الإسكندرية من جرح أصابه في شهر ذي القعدة وقد تقدم ذكره في عدة مواطن.

والله أعلم.

وتوفي الأمير علاء الدين أطنبغا بن عبد الله العزي أحد أمراء الطبلخانات في يوم الاثنين رابع شهر ربيع الآخر.

وكان مثيرًا للفتن.

وتوفي القاضي بهاء الدين حسن بن سليمان بن أبي الحسن بن سليمان بن ريان ناظر الجيش بحلب في دمشق عن ثمان وستين سنة.

وكان رئيسًا نبيلًا كاتبًا بارعًا.

ولي عدة وظائف وله نظم ونثر ومن شعره - رحمه الله تعالى - الرجز نحن الموقعون في وظائف قلوبنا من أجلها حرق قسمتنا في الكتب لا في غيرها وقطعنا ووصلنا في الورق وتوفي القاضي تقي الدين محمد بن محمد بن عيسى بن محمود بن عبد اللطيف البعلبكي الشافعي الشهير بابن المجد رحمه الله.

كان فقيهاً فاضلاً ولي قضاء طرابلس وغيرها.

وقد تقدم أن يلبغا العمري قتل في هذه السنة انتهى والله أعلم.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ستة أذرع وثلاثة أصابع.

مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً وستة أصابع.

بن حسين صاحب الترجمة على مصر وهي سنة تسع وستين وسبعمائة.

فيها كانت الواقعة بين الملك الأشرف صاحب الترجمة وبين الأتابك أسندمر الزيني الناصري وانتصر الأشرف حسب ما تقدم ذكره.

وفيها توفي العلامة قاضي القضاة جمال الدين عبد الله بن قاضي القضاة علاء الدين علي ابن العلامة فخر الدين عثمان بن إبراهيم بن مصطفى بن سليمان الحنفي المارديني الشهير بابن التركماني بالقاهرة في ليلة الجمعة حادي عشر شهر شعبان ودفن بترية والده خارج باب النصر من القاهرة وتولى بعده القضاء العلامة سراج الدين عمر الهندي.

ومولده في سنة تسع عشرة وسبعمائة وقيل سنة خمس عشرة وسبعمائة وتفقه على والده وغيره حتى برع في الفقه والأصول والعربية وشارك في فنون كثيرة.

وكان من جملة محفوظاته الهداية في الفقه حتى إنه كان يملئها في دروسه من صدره وكمل شرح أبيه لها وتولى القضاء بعد وفاة أبيه وياشر القضاء بعفة وحشمة ورئاسة وتصدى للإفتاء والتدريس والإقراء سنين في حياة والده إلى أن مات.

وكان له عبادة وأوراد هائلة ومحاسن كثيرة.

رحمه الله تعالى.

وتوفي قاضي القضاة موفق الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عيد الملك ابن عبد الباقي الحجازي المقدسي الحنبلي قاضي قضاة الديار المصرية بعد أن حكم بها ثلاثين سنة - رحمه الله تعالى - وتولى بعده القاضي ناصر الدين نصر الله العسقلاني الحنبلي.

وكان موفق الدين مشكور السيرة جميل الطريقة.

وتوفي قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمود الدرداوي المقدسي الحنبلي قاضي قضاة دمشق بها عن نيف وسبعين سنة مصروفاً عن القضاء - رحمه الله تعالى - وتوفي قاضي قضاة طرابلس شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن الشيخ تقي الدين عبد الله الشبلي الدمشقي الحنفي وهو من أبناء السبعين رحمه الله.

وكان عالماً دينياً مجاهدًا مرابطاً يلبس السلاح في سبيل الله ويغزو.

وسمع الكثير وجمع وألف وأفتى ودرس وانتفع الناس به وياشر الحكم خمس عشرة سنة.

رحمه الله.

وتوفي قاضي قضاة حلب صدر الدين أحمد بن عبد الظاهر بن محمد الدميري المالكي - رحمه الله - عن نيف وسبعين سنة وكان فقيهاً فاضلاً مشكور السيرة.

وتوفي الشيخ العلامة قاضي القضاة بهاء الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل المصري الشافعي قاضي قضاة الديار المصرية وفقه الشافعية - تغمده الله برحمته - بالقاهرة في ليلة الأربعاء الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول ودفن بالقرافة بالقرب من قبة الإمام الشافعي رضي الله عنه.

ومولده في المحرم سنة ثمان وتسعين وستمائة.

ونسبه يتصل إلى عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه.

ونشأ بالقاهرة وقرأ على علماء عصره وبرع في علوم كثيرة وصنف التصانيف المفيدة في الفقه والعربية والتفسير منها شرح الألفية لابن مالك وشرح التسهيل أيضاً.

وياشر قضاء الديار المصرية مدة يسيرة وياشر التدريس الجليلة والمناصب الشريفة.

وكتب إليه قاضي القضاة بهاء الدين أبو البقاء السبكي من دمشق يقول: الطويل تقضت شهور بالبعاد وأحوال جرت بعدكم فيها أمور وأحوال فإن يسر الله التلاقي ذكرتها وإلا فلي في هذه الأرض أمثال وتوفي الشيخ عز الدين أبو يعلى حمزة بن قطب الدين موسى بن ضياء الدين أحمد بن الحسين الدمشقي الحنبلي الشهير بابن شيخ السلامة بدمشق وقد جاوز ستين سنة.

وكان - رحمه الله - إماماً عالماً فاضلاً كتب على المنتقى.

وتوفي الإمام العالم شهاب الدين أحمد بن لؤلؤ الشهير بابن النقيب المصري الشافعي في يوم الأربعاء رابع عشر شهر رمضان.

وكان - رحمه الله - مفتتاً في علوم وله مصنفات ونظم حسن.

وتوفي الشيخ الإمام المحدث صلاح الدين عبد الله ابن المحدث شمس الدين محمد بن إبراهيم بن غنائم بن أحمد بن سعيد الصالحي الحنفي الشهير بابن المهندس - رحمه الله - بحلب عن نيف وسبعين سنة.

وكان محدثاً مسنداً.

سمع الكثير بمصر والشام والحجاز والعراق وكتب وحدث وحج غير مرة وطاف البلاد ثم استوطن حلب إلى أن مات.

رحمه الله.

وتوفي القاضي علاء الدين علي ابن القاضي محيي الدين يحيي بن فضل الله القرشي العمري كاتب السر الشريف بالديار المصرية بالقاهرة في ليلة الجمعة تاسع عشر من شهر رمضان عن سبع وخمسين سنة.

وكان قبل موته نزل عن وظيفة كتابة السر لولده بدر الدين محمد فتم أمره من بعده.

وكان القاضي علاء الدين - رحمه الله تعالى - إمامًا في فنه كاتبًا عاقلًا.

طالت أيامه في السعادة حتى إنه باشر وظيفة كتابة السر نيقًا وثلاثين سنة لأحد عشر سلطانًا من بني قلاوون.

استوعبنا ذلك كله في المنهل الصافي.

قلت: ولا أعلم أحدًا ولي كتابة السر هذه المدة الطويلة من قبله ولا من بعده سوى العلامة القاضي كمال الدين محمد بن البارزي - رحمه الله - فإنه وليها أيضًا نحوًا من ثلاث وثلاثين سنة على أنه عزل منها غير مرة وتعطل سنين كما سيأتي ذكره في ترجمته إذا وصلنا إليه إن شاء الله تعالى.

وكان للقاضي علاء الدين - رحمه الله - نظم ونثر وترسل وإنشاء.

ومن شعره: البسيط بان الحمى لم يمس من بعد بعدكم ولا تغنت به ورقاؤه طربا قد كان يحزنني واش يراقبني واليوم يحزنني أن ليس لي رقبا وتوفي الأمير علاء الدين طيغا بن عبد الله الناصري المعروف بالطويل نائب حلب بها في يوم السبت وقت الظهر سلخ شوال ودفن خارج باب المقام قيل: إنه سم لأنه كان أراد الخروج عن الطاعة فعاجلته المنية.

وقد تقدم ذكره مع خشدائه يلغا العمري الخاصكي وما وقع له معه في ترجمة الملك الناصر حسن وكيفية خروجه من الديار المصرية والقبض عليه فلا حاجة للإعادة ها هنا.

وتوفي الأتابك سيف الدين أسندمر بن عبد الله الناصري صاحب الوقعة مع الملك الأشرف شعبان محبوبًا بثغر الإسكندرية في شهر رمضان.

وقد تقدم أيضًا ذكر واقعته مفصلاً في ترجمة الملك الأشرف.

وتوفي الأمير سيف الدين قنق بن عبد الله العزي أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية على هيئة عجيبة نسأل الله تعالى حسن الخاتمة بمحمد وآله.

وخبره أنه كان قد عصى مع أسندمر الناصري المقدم ذكره ركب معه من جملة اليلغاوية فلما انكسرت اليلغاوية ساق قنق هذا فرسه إلى بركة الحبش ونزل بشاطئ البركة وبقي يشرب الماء ويستف الرمل إلى أن مات فانظر إلى هذا الجاهل وما فعل في نفسه.

وتوفي السلطان الملك المنصور أحمد ابن الملك الصالح ابن الملك المنصور غازي بن قرا أرسلان بن أرتق الأرتقي صاحب ماردين بها وقد جاوز الستين سنة من العمر.

وكانت مدة ملكه ثلاث سنين وكان صاحب همة عليّة وحرمة سنية.

رحمه الله تعالى.

وتوفي الشاب الفاضل تاج الدين محمد بن السكري رحمه الله.

وكان فاضلاً عالمًا ودرس وبرع رحمه الله.

وفيه يقول ابن نباتة: السريع سألته في خده قبلة فقال قولاً ليس بالمنكر عليك بالصبر ومن ذا الذي ينفعه الصبر عن السكري وتوفي الأمير علاء الدين الطنبغا بن عبد الله البشتكي نائب غزة وأستادار السلطان كان في رابع عشر شعبان.

وتوفي الأمير سيف الدين باكيش بن عبد الله اليلغاوي الحاجب في صفر وكان من رؤوس الفتن وممن قام على أستاذه يلغا.

وتوفي الأمير سيف الدين بيليك بن عبد الله الفقيه الزراق أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية رحمه الله تعالى.

كان فاضلاً فقيهاً ويكتب المنسوب وعنده مشاركة في فنون.

وتوفي الأمير سيف الدين تلكتمر بن عبد الله المحمدي الخازندار أحد أمراء الألوف بالديار المصرية مسجوناً بثغر الإسكندرية.

وكان ممن قام مع أسندمر الناصري.

وتوفي الأمير سيف الدين جرجي بن عبد الله الإدريسي الأمير آخور ثم نائب حلب وهو بدمشق.

وكان من أجل الأمراء وتنقل في عدة وظائف وولايات رحمه الله تعالى.

وتوفي الأمير سيف الدين جرقطلو بن عبد الله أمير جاندار في صفر وكان من الأشرار.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربعة أذرع وأربعة عشر إصبغاً.

مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً سواء.

والله أعلم.

السنة السادسة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر وهي سنة سبعين وسبعمائة.

وفيها توفي الشيخ بدر الدين محمد بن جمال الدين محمد بن كمال الدين أحمد بن جمال الدين محمد بن أحمد الشريشي البكري الوائلي الدمشقي الشافعي بدمشق عن ست وأربعين سنة رحمه الله.

وكان عالمًا فاضلاً فقيهاً.

درس بالإقبالية بدمشق إلى أن مات.

وفيها توفي قاضي القضاة جمال الدين محمود بن أحمد بن مسعود القونوي الحنفي قاضي قضاة دمشق بها عن ست وسبعين سنة.

وكان - رحمه الله - من العلماء الأماثل.

كان رأسًا في الفقهاء الحنفية بارعًا في الأصول والفروع ودرس بدمشق بعدة مدارس وأفتى وجمع وألف رحمه الله تعالى.

وتوفي القاضي شمس الدين محمد بن خلف بن كامل الغزي الشافعي بدمشق عن بضع وخمسين سنة.

وكان عالمًا درس بدمشق وأفتى وياشر بها نيابة الحكم إلى أن مات رحمه الله تعالى.

وتوفي الطواشي ناصر الدين شفيح بن عبد الله الفوي نائب مقدم المماليك السلطانية في يوم الأحد ثامن شعبان.

وكان من أعيان الخدام وطالت أيامه في السعادة.

وتوفي الأمير سيف الدين أرغون بن عبد الله بن غلبك الأزي رأس نوبة النوب بالديار المصرية في العشر الأول من جمادى الآخرة.

وكان من أعيان الأمراء وهو أحد من ثار على يلغا.

وتوفي الأمير صلاح الدين خليل بن أمير علي ابن الأمير الكبير سلار المنصوري.

وكان أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية وهو أحد من ركب مع الأتابك أسندمر.

وتوفي الأمير ناصر الدين محمد بن طبقغا الناصري أحد أمراء الطبلخانات أيضًا.

وتوفي الأمير صارم الدين إبراهيم ابن الأمير سيف الدين صرغتمش الناصري.

وكان أيضًا من أمراء الطبلخانات وله وجهة في الدولة وفيه شجاعة وإقدام ودفن بمدرسة أبيه.

رحمه الله تعالى.

وتوفي الأديب الموالي شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد المعروف بالفار الشطرنجي العالية.

وكان بارعًا في المواليا وله شعر جيد وكان ماهرًا في الشطرنج.

وتوفي الأمير سيف الدين قشتمر بن عبد الله المنصوري نائب حلب بها مقتولًا بيد العرب في وقعة كانت بينه وبينهم على تل السلطان وقتل معه ولده وقد تقدم أن قشتمر هذا ولي نيابة طرابلس ونيابة دمشق ونيابة السلطنة بالديار المصرية.

ثم أخرج من مصر إلى نيابة حلب فلم تطل مدته على نيابة حلب وقتل رحمه الله.

وكان شجاعًا مقدامًا عارفًا مدبرًا سيوسًا.

دبر أمر السلطنة سنين وحمدت سيرته.

وتوفي القاضي عماد الدين محمد بن شرف الدين موسى بن سليمان الشهير بالشيرجي بدمشق.

كان ولي حسبة دمشق ونظر خزانها.

وكان له ثروة ولديه فضيلة وعنده سياسة.

وتوفي الأمير سيف الدين آقتمر بن عبد الله من عبد الغني الصغير في شهر رمضان.

وآقتمر هذا غير الأمير الكبير آقتمر عبد الغني.

وكان آقتمر هذا من جملة أمراء الطبلخانات.

والله أعلم.

وتوفي السلطان صاحب تونس وما والاها من بلاد الغرب أبو إسحاق إبراهيم ابن أبي بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى في العشرين من شهر رجب بعد ما ملك تسع عشرة سنة رحمه الله.

وكان من أجل ملوك الغرب.

كان شجاعًا وله مواقف وفتوحات هائلة.

▲ أمر النيل في هذه السنة

: الماء القديم خمسة أذرع وعشرون إصبعًا.

مبلغ لزيادة سبعة عشر ذراعًا وستة أصابع.

والله أعلم.

السنة السابعة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر وهي سنة إحدى وسبعين وسبعمئة.

وفيها توفي قاضي القضاة شرف الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ شرف الدين حسن بن الخطيب شرف الدين أبي بكر عبد الله ابن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الشهير بابن قاضي الجبل الحنبلي المقدسي الصالحي قاضي قضاة دمشق بها في ثالث عشر شهر رجب عن ثمان وسبعين سنة رحمه الله.

وكان إمامًا عظيم القدر انتهت إليه رياسة مذهبه وكان صحب ابن تيمية وسمع منه وتفقه به وبغيره.

وفي هذا المعنى يقول: الوافر واسمي أحمد أرجو بهذا شفاعة سيد الرسل الكرام وتوفي قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن قاضي القضاة تقي الدين علي ابن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام الأنصاري السلمى السبكي الشافعي قاضي قضاة دمشق بها في عصر يوم الثلاثاء سابع شهر ذي الحجة ودفن بسفح قاسيون تغمده الله برحمتيما عن أربع وأربعين سنة.

الفقه للنووي وشرح مختصر ابن الحاجب ومنهاج البيضاوي وغير ذلك.
ودرس بالعادية والغزالية والأمنية والناصرية وأدار الحديث الأشرفية والشامية البرانية.
وباشر قضاء دمشق أربع مرات وخطب بالجامع الأموي.

وقدم القاهرة وتولى مكانه أخوه أبو حامد بهاء الدين واستقر تاج الدين هذا مكان أخيه
أبي حامد المذكور في تدريس الشيخونية بمصر.
وقيل: إنه كان أفقه من أخيه أبي حامد المذكور.

وتوفي قاضي القضاة جمال الدين أبو عبد الله محمد ابن الشيخ زين الدين عبد الرحيم
بن علي بن عبد الملك المسلاتي السلمي قاضي قضاة دمشق بالقاهرة وهو من أبناء
السبعين سنة.

وكان - رحمه الله - عالمًا فاضلاً.

سمع بالإسكندرية ومصر والشام وأخذ عن القونوي وأبي حيان وغيرهما وولي نيابة الحكم
بدمشق.

ثم استقل بالقضاء أكثر من عشرين سنة.

وتوفي الأديب شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد المارديني الشهير بابن
خطيب الموصل رحمه الله.

مات بحماة وهو من أبناء الستين سنة.

وكان أديبًا فاضلاً.

كان يتنقل في البلاد وكان يكتب المنسوب وله مشاركة.

ومن شعره: المتقارب ليهنك ما نلت من منصب شريف له كنت مستوجبا وما حسن أن
تهنى به ولكن نهني بك المنصبا وتوفي الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير تنكر الحسامي
الناصرى نائب الشام.

كان أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية وله وجهة في الدولة.

رحمه الله.

وتوفي الوزير صاحب شمس الدين موسى بن أبي إسحاق عبد الوهاب بن عبد الكريم
القبطي المصري.

أسلم أبوه وتولى نظر الجيش والخاص بعد كريم الدين الكبير واستتاب ابنه هذا وكان يوم
ذاك ناظر الخزانة الشريفة.

فلما مات أبوه في سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة استقر مكانه في نظر الخاص فباشر فيه
مدة وصرف بالنشو واستقر في نظر الجيش عوضًا عن الفخر فلم تطل مدته وأمسك

بسعي النشو وسلم هو وأخوه علم الدين ناظر الدولة إلى النشو فأوقع الحوطة على موجودهما فوجد لهما ما لا يوصف: من ذلك أربعمئة سراويل لزوجته.

واستقر عوضه في نظر الجيش مكين الدين إبراهيم بن قروينة.

واستمر موسى في المصادرة وأجري عليه العذاب ألوانًا.

وأمره أعجب من العجب وهو أنه كان قبل مصادرته نحيف البدن قليل الأكل لا يزال سقيماً بالربو وضيق النفس.

وكانت تلزمه الحمى الصالبة فلا يبرح محتمياً ولبس الفراء شتاءً وصيفاً فبنى له أبوه بيتاً في الروضة ووكّل به الأطباء يدبرون له الأغذية الصالحة ويعالجونه وهو على ما هو عليه إلى أن قبض عليه وصوره وسلم لوالي القاهرة ناصر الدين محمد بن المحسني.

ثم نقل إلى لؤلؤ شاد الدواوين وكان النشو يغريهما على قتله فضمن لؤلؤ للنشو قتله. فضربه أول يوم مائتي شيب.

وسعطه بالماء والملح وبالخل والجير حتى قوي عنده أنه مات فأصبح سوياً فضربه بعد ذلك حتى أعياه أمره وعقد له المقرعة التي يضربه بها فكانت إذا نزلت على جنبه لثقبه.

فكان يضربه بتلك المقرعة حتى يقولوا مات فيصبح فيعيدون العذاب والتسعيط.

فصار يقيم اليوم واليومين والثلاثة لا يمكن فيها من أكل ولا شرب.

وكانوا إذا عاقبوه وفرغوا رموه عرياناً في قوة الشتاء على البلاط فيتمرغ عليه بجسمه وهو لا يعي من شدة الضرب والعقوبة.

كل ذلك والنشو يستحث على قتله.

ثم عصروه في كعبيه وصدغيه حتى لهجوا بموته وبشروا النشو بموته غير مرة.

ثم يتحرك فيجدوه حياً.

واستمر على ذلك أشهرًا.

ثم ترك نحو الشهر لما أعياهم أمره وأعادوا عليه العقوبة وعلي زوجته بنت الشمس غبريال - وكانت كحاله في ضعف البدن والنحافة - وكانت حاملاً فولدت وهي تعصر فعاش ولدها حتى كبر.

وما زال في العقوبة حتى هلك النشو وهو يقول: أموت وفي قلبي حسرة من موسى بن التاج.

فمات النشو ولم ينل فيه غرضه.

قيل: إن مجموع ما ضرب موسى هذا ستة عشر ألف شيب حتى أنه ضرب مرة فوق من ظهره قطعة لحم بقدر الرغيف.

وأعجب من هذا كله أنه لما أطلق تعافى مما كان به من الأمراض المزمنة القديمة وصار صحيح البدن.

ثم أفرج عنه الملك الناصر محمد وأكرمه وأنعم عليه ببغلة النشو ورد عليه أشياء كثيرة وولاه نظر جيش دمشق ثم ولي نظر الخاص ثانيًا وأضيف إليه نظر الخزانة الشريفة.

وساءت سيرته واستعفى وأعيد إلى دمشق وزيرًا.

ولم يزل يتنقل في الوظائف إلى أن مات في هذا التاريخ.

وقد أطلنا في ذكره لما أوردناه من الغرائب.

انتهى.

وتوفي الأمير علاء الدين طيغا المحمدي في شهر صفر.

وكان أحد مقدمي الألوفا بالديار المصرية.

وتوفي الأمير سيف الدين بكتمر بن عبد الله المؤمني الأمير آخور الكبير بالديار المصرية رحمه الله.

وكان من أجل الأمراء فضلًا ومعرفة ودينًا وعفة عن الأموال.

وتولي عدة وظائف وتنقل في الولايات مثل نيابة حلب والإسكندرية ثم استقر أمير آخور إلى أن مات.

وهو صاحب المصلاة بالرميلة والسبيل المعروف بسبيل المعروف بسبيل المؤمني رحمه الله تعالى.

وتوفي الأمير سيف الدين أسندمر بن عبد الله الكاملي زوج خوند القردمية بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون.

وكان أحد مقدمي الألوفا بالديار المصرية ومات بالقاهرة.

وتوفي الأمير سيف الدين آروس بغا بن عبد الله الخليلي أحد أمراء الطبلخانات بالقاهرة في شهر رجب وهو أحد من قام على يلغا.

وتوفي الأمير سيف الدين أسن بن عبد الله الصرغتمشي أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية بدمشق بعدما نفي إليها وكان من الأشرار.

وتوفي الأمير علاء الدين أطنبغا بن عبد الله العلائي المعروف: فرفور.

كان أحد أمراء الطبلخانات بمصر وكان خصيصًا عند الملك الأشرف.

رحمه الله.

وتوفي الأمير علاء الدين آقبا بن عبد الله اليوسفي الناصري الحاجب في شعبان بمدينة منفلوط وقد توجه إلى لقاء هدية صاحب اليمن إلى السلطان الملك الأشرف.

وتوفي الأمير سيف الدين أيبك بن عبد الله الأزقي أحد أمراء الطبلخانات ورأس نوبة ثاني بها وكان من الشجعان.

وتوفي الأمير الأكرز بن عبد الله الكشلاوي وهو منفي بحلب في شهر ربيع الأول.

وكان من أعظم الأمراء وأرجههم.

ولي الوزير والأستدارية بمصر ونالته السعادة وعظم في الدول إلى أن تغير وفيها كان بدمشق طاعون عظيم وانتشر إلى عدة بلاد ومات فيه خلائق لا تحصى كثرة.

والله أعلم.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربعة أذرع وخمسة وعشرون إصبغًا.

مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعًا وثمانية عشر إصبغًا.

السنة الثامنة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر وهي سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة.

وفيها توفي الشيخ العالم المفتن جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر القرشي الأموي الإسناي الشافعي شيخ الشافعية بالديار المصرية.

مات فجأة في ليلة الأحد ثامن عشرين جمادى الأولى عن سبع وستين سنة رحمه الله تعالى.

وكان إمامًا عالمًا مصنفًا بارعًا.

درس بالأقباوية والفاضلية والفارسية ودرس التفسير بجامع أحمد بن طولون وتصدر بالملكية وأعاد بالناصرية والمنصورية وغيرهما.

وله مصنفات كثيرة مفيدة: منها كتاب المهمات على الرافعي وشرح المنهاج في الفقه وشرح منهاج البيضاوي في الأصول.

وله كتاب طبقات الفقهاء الشافعية وكتاب تخريج الفروع على الأصول وسماه التمهيد وكتاب تخريج الفروع على العربية وسماه الكوكب وشرح عروض ابن الحاجب ومختصر الإمام الرافعي وكتاب الجمع والفرق.

وكان له نظم ليس بذاك من ذلك ما قاله يمدح كتاب الرافعي في الفقه: الكامل يا من سما نفسيًا إلى نيل العلا ونحا إلى العلم الغزير الرافع قلد سمي المصطفى ونسيبه والزم مطالعة العزيز الرافعي وتوفي القاضي شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ الصالح برهان الدين إبراهيم العمري الصالحي الحنفي قاضي قضاة الإسكندرية وبها توفي - رحمه الله - وقد قارب سبعين سنة.

وكان فاضلاً عالمًا.

أفتى ودرس وخطب وأفاد وأعاد وأقام بحلب مدة يقرئ ويفتي.

ثم قدم إلى مصر وأقام بها أيضًا إلى أن ولي قضاء الإسكندرية مسؤولًا في ذلك.

وتوفي الأمير الكبير علاء الدين علي المارديني ثم الناصري نائب السلطنة بدمشق ثم بالديار المصرية في العشر الأول من المحرم عن بضع وستين سنة.

وكان أميرًا جليلاً دينًا خيرًا عفيفًا عاقلًا.

تنقل في الأعمال الجليلة سنين عديدة وطالت أيامه في السعادة.

وكان - رحمه الله - منقادًا إلى الشريعة في أحكامه وأفعاله مشتغلًا بالفقه على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة - رضي الله عنه - مستحضرًا له.

وكان قريبًا من الناس محببًا للرعية.

وأجل أعمال وليها نيابة حلب ثم دمشق ثلاث مرات فيما أظن.

والله أعلم.

ثم نيابة السلطنة بالديار المصرية.

وأما الولايات التي دون هذه فكثير.

وتوفي الأمير سيف الدين جرجي بن عبد الله الإدريسي الناصري بدمشق عن بضع وخمسين سنة.

وكان أصله من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون وترقى إلى أن ولي نيابة حلب.

ثم عزل بعد مدة وأنعم عليه بإمرة بدمشق فتوجه إليها وأقام بها إلى أن مات رحمه الله.

وكان عالي الهمة غزير النعمة وله سعادة وافرة وقد تقدم وفاته والأصح أنه توفي في هذه السنة.

وتوفي قاضي قضاة المدينة النبوية - على الحال بها أفضل الصلاة والسلام - نور الدين أبو الحسن علي بن عز الدين أبي المحاسن يوسف بن الحسن ابن محمد ابن محمود الزرندي الحنفي المدني رحمه الله.

كان عالمًا فاضلاً.

ولي قضاء المدينة سنين.

وتوفي الأمير سيف الدين أرغون بن عبد الله من قيران السلاري أحد أمراء الطبلخانات ونقيب الجيوش المنصورة في شهر جمادى الأولى.

وكان قديم هجرة وله كلمة في الدولة وحرمة وقرب من الملوك.

وتوفي الأمير سيف الدين أسندمر بن عبد الله العلاني الحاجب المعروف حروفش بعدما أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق على هيئة النفي فإنه كان من أكابر أمراء الألوفا بالديار المصرية وكان ممن يخاف شره.

وتوفي القاضي بدر الدين أبو علي الحسن بن محمد بن صالح بن محمد بن محمد النابلسي الفقيه الحنبلي - رحمه الله - مفتي دار العدل في شهر جمادى الآخرة.

وتوفي الشيخ علاء الدين أبو الحسن علي بن عماد الدين إسماعيل بن برهان الدين إبراهيم الفقيه المالكي المعروف بابن الظريف في رابع عشر شهر جمادى الأولى.

رحمه الله.

وتوفي الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد الزركشي الحنبلي في رابع عشرين جمادى الأولى أيضًا رحمه الله تعالى.

وكان من أعيان الفقهاء الحنابلة.

وتوفي الأمير سيف الدين منكوتر بن عبد الله من عبد الغني الأشرفي الدوادار في شهر جمادى الأولى.

وكان من خواص السلطان الأشرف شعبان ومن مماليكه.

وتوفي القاضي تاج الدين أبو عبد الله محمد بن البهاء المالكي المعروف بابن شاهد الجمالي تغمده الله تعالى.

كان فقيهاً وتولى إفتاء دار العدل وشاهد الجيش وناظر البيمارستان المنصوري ووكيل الخاص.

وتوجه إلى الحجاز فمات في عوده بمنزلة العقبة.

وتوفي الشيخ المعتقد الصالح صاحب الكرامات الخارقة أبو زكرياء يحيى بن علي بن يحيى المغربي الأصل الصنابيرى الضرير المجذوب.

قدم جده يحيى من الغرب ونزل عند الشيخ أبي العباس البصير بزايوته بجوار باب الخرق وولد له علي أبو يحيى هذا وكانت له أيضًا كرامات وقدم في التجريد وكان الغالب عليه الوله وذكر له الموفق كرامات جمّة.

ثم ولد له يحيى هذا صاحب الترجمة مكفوفًا مجذوبًا إلا أنه له كلام خارق وأحوال عجيبة.

وكان الغالب عليه الوله كما كان أبوه وكان لا يفيق من سكرته.

لا يزال مغمورًا في نشوته لا يفرق بين من هو في حضرته من سلطان ولا أمير ولا غني ولا فقير والناس كلهم عنده سواء.

وكان يقيم أولًا بالقرافة عند ضريح أبي العباس البصير وبنى له هناك قبة وجعل لها بابين: بابًا ظاهرًا وبابًا في الأرض نازلًا.

وكان إذا أحس بالناس هرب من ذلك الباب الذي في الأرض.

فلما كثر ترداد الناس إليه للزيارة من كل فج صار يرحمهم بالحجارة فلم يردهم ذلك عنه رغبة في التماس بركته.

ففر منهم وساح في الجبال مدة طويلة.

ثم نزل صنافير بالقلبوية من قرى القاهرة فكان كل يوم في أيام الشتاء يغطس في الماء البارد صبيحة نهاره وفي شدة الحر يجلس عرياً مكشوف الرأس في الشمس وليس عليه سوى ما يستر عورته.

فكان يقيم على سقيفة طابونة سوداء أقام على ذلك ثلاث سنين لا ينزل عنها وبنى له بعض الأمراء زاوية فلم يسكنها ولا التفت إليها.

وكان الناس يترددون إليه فوجاً فوجاً ما بين قاض وعالم وأمير ورئيس وهو لا يلتفت إلى أحد منهم.

ومن كراماته - نفعنا الله به - أنه أتى مرة بمنسف خشب فيه طعام أرز فقال لهم: سخنوه فلم يسعهم إلا موافقته ووضعوا المنسف الخشب على النار حتى اشتدت سخونة الطعام ولم تؤثر النار في الخشب.

ثم عاد إلى القرافة فمات بها في يوم الأحد سابع عشرين شهر شعبان وصلي عليه بمصلاة خولان فحزر عدة من صلى عليه من الناس فكانوا زيادة على خمسين ألفاً.

والله أعلم.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمسة أذرع وخمسة وعشرون إصبغاً.

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وأربعة أصابع.

السنة التاسعة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر وهي سنة ثلاث وسبعين وسبعمئة.

فيها رسم السلطان الملك الأشرف للأشرف بسائر الأقطار أن يسموا عمائمهم بعلائم خضرة وقد تقدم ذكر ذلك كله في ترجمة الأشرف.

والله أعلم.

وفيها توفي القاضي كمال الدين أبو الغيث محمد ابن القاضي تقي الدين عبد الله ابن ماضي القضاة نور الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الخالق بن عبد القادر الأنصاري الدمشقي الشافعي الشهير بابن الصائغ بدمشق عن بضع وأربعين سنة.

رحمه الله.

وكان ولي قضاء حلب مرتين ثم ولي قضاء حمص ثم عاد إلى دمشق وبها كانت وفاته.

وتوفي الشيخ العالم العلامة قاضي القضاة سراج الدين أبو حفص عمر ابن الشيخ نجم الدين إسحاق بن شهاب الدين أحمد الغزنوي الهندي الحنفي قاضي قضاة الديار المصرية بها في ليلة الخميس سابع شهر رجب بعد أن ولي القضاء نحو خمس عشرة سنة رحمه الله.

وتولى بعده القضاء صدر الدين محمد بن جمال الدين التركماني ومولد السراج هذا في سنة أربع أو خمس وسبعمئة تخميناً.

وقدم القاهرة قبل سنة أربعين وسبعمائة رحمه الله.

وكان إمامًا عالمًا بارعًا مفتيًا في الفقه والأصول والنحو وعلمي المعاني والبيان وغيرهم.

وناب في الحكم بالقاهرة وتصدى للإفتاء والتدريس والإقراء سنين.

ثم تولى عمه وظائف دينية وهو أحد من قام مع ابن النفاس في قضية الهرماس حتى وغرا خاطر السلطان عليه ووقع له معه ما وقع.

وكان السراج - رحمه الله تعالى - إمامًا مصنفًا: منها شرح المغنى في مجلدين وشرح البديع لابن الساعاتي وغير ذلك.

وقد ذكرنا من علو همته وغزير فضله في المنهل الصافي نبذة كبيرة جيدة تنظر هناك.

وتوفي الشيخ الأديب أبو زكرياء يحيى بن محمد بن زكرياء بن محمد بن يحيى العامري الحموي الشهير بالخباز بدمشق وهو من أبناء الثمانين.

وكان بارعًا في النظم.

نظم سائر فنون الأدب وكان فيه تشيع كبير.

ومن شعره: الوافر بعيشك هاتها صفراء صرًا صباحًا واطرح قول النصح فإن الشمس قد بزغت بعين تغامزنا على شرب الصبوح وله أيضًا: السريع باكر عروس الروض واستجلها وطلق الحزن ثلاثًا بتات بقهوة حلت لنا كلما حلت لأكي القطر جيد النبات وتوفي العلامة قاضي القضاة بهاء الدين أبو أحمد ابن قاضي القضاة تقي الدين أبي الحسن علي ابن الشيخ زين الدين عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف.

ابن موسى بن تمام الأنصاري السبكي الشافعي بمكة المشرفة عن ست وخمسين سنة رحمه الله.

وكان إمامًا عالمًا بارعًا في عدة من الفنون.

وسمع من الحفاظ وأخذ من والده وعن أبي حيان - وهو أسن من أخيه تاج الدين المقدم ذكره - ودرس بقبة الشافعي والجامع الطولوني والمنصورية والشيخونية.

وباشر قضاء - العسكر وإفتاء دار العدل بمصر وخطب وألف وصنف وتولى قضاء الشام عوضًا عن أخيه تاج الدين وتولى أخوه تاج الدين وظائفه بمصر وقد تقدم ذلك.

ثم ترك قضاء دمشق عفة ورجع إلى مصر يدرس ويفتي.

ثم جاور بمكة وبها مات رحمه الله.

وتوفي الأمير سيف الدين أيدير بن عبد الله الشخي أحد أمراء الألوف بالديار المصرية ثم نائب حماة.

وكان من أعيان الأمراء وقد تقدم ذكره في عدة أماكن.

وتوفي الشيخ الفقير المعتقد عبد الله درويش - رحمه الله - في سابع عشر شهر رجب.

وكان فقيرًا مبارکًا وللناس فيه محبة واعتقاد حسن.

وتوفي الأديب الشاعر شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان بن شيخان المعروف بابن البكري التيمي القرشي البغدادي في عاشر شهر رمضان بمنية ابن خبيب من صعيد مصر.

ومن شعره: الوافر أتى المحبوب في السنجاب يسعى وطلعت له لناظره تروق فتبصر طوقه السنجاب سحبًا وفيها من تبسمه بروق أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبعة أذرع وخمسة وعشرون إصبغًا.

مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعًا وأربعة أصابع.

بن حسين على مصر وهي سنة أربع وسبعين وسبعمئة.

وفيها استقر الأمير ألجاي اليوسفي أتاك العساكر بديار مصر بعد موت منكلي بغا الشمسي.

وفيها توفي الشيخ الإمام الحافظ المؤرخ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن الخطيب شهاب الدين أبي حفص عمر بن كثير القرشي الشافعي صاحب التاريخ والتفسير في يوم الخميس سادس عشرين شعبان بدمشق.

ومولده بقرية شرقي بصرى من أعمال دمشق في سنة إحدى وسبعمئة رحمه الله تعالى.

قال العيني رحمه الله: كان قدوة العلماء والحفاظ وعمدة أهل المعاني والألفاظ.

وسمع وجمع وصنف ودرس وحدث وألف.

وكان له اطلاع عظيم في الحديث والتفسير والتاريخ واشتهر بالضبط والتحرير وانتهى إليه علم التاريخ والحديث والتفسير وله مصنفات عديدة مفيدة.

انتهى كلام العيني رحمه الله.

قلت: ومن مصنفاته تفسير القرآن الكريم في عشر مجلدات وكتاب طبقات الفقهاء ومناقب الإمام الشافعي رضي الله عنه والتاريخ المسمى بالبداية والنهاية هذا فيه حذو ابن الأثير - رحمه الله - في الكامل والتاريخ أيضًا في عشرة مجلدات وخرج أحاديث مختصر ابن الحاجب وكتب على البخاري ولم يكمله رحمه الله تعالى.

ولما مات رثاه بعض طلبته رحمه الله بقوله: الطويل ولو مزجوا ماء المدامع بالدما لكان قليلًا فيك يا ابن كثير وتوفي الشيخ الحافظ تقي الدين محمد بن جمال الدين رافع بن هجرس بن محمد بن شافع بن السلامي المصري الشافعي بدمشق عن ستين سنة.

وكان - رحمه الله - إمامًا في الحديث رحل البلاد وسمع بمصر والشام وحلب والحجاز وكتب لنفسه مشيخة وذيّل على تاريخ البخاري رحمه الله.

وتوفي الأديب زين الدين أبو محمد عبد الرحمن بن الخضر بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يوسف بن عثمان السنجاري.

قدم حلب وياشر بها توقيع الدرج إلى أن مات بها عن نيف وخمسين سنة.

ومن شعره في مغن ورأبته لغيره: الكامل أضحي يخر لوجهه قمر السما وغدا يلين
لصوته الجلمود فإذا بدا فكأنما هو يوسف وإذا شدا فكأنه داوود وتوفي الأمير مظفر الدين
موسى ابن الحاج أرقطاي الناصري نائب صفد بها وتولى عوضه نيابة صفد الأمير علم دار
المحمدي.

وكان مظفر الدين من الأماثل وله وجهة في الدول وثروة.

وتوفي الأمير الكبير سيف منكلي بغا بن عبد الله الشمسي أتابك العساكر بالديار
المصرية بها في شهر جمادى الأولى عن بضع وخمسين سنة.

كان من أجل الأمراء وأعظمتهم حرمة وهيبة ووقارًا وكان فيه ديانة وله معرفة بالأمور وله
اشتغال جيد في علوم متعددة ولي نيابة صفد وطرابلس وحلب ودمشق ثم أعيد إلى
حلب لإصلاح البلاد الحلبية فعاد إليها ومهد أمورها ثم طلبه الملك الأشرف إلى الديار
المصرية وسأله أن يلي النيابة بها فامتنع من ذلك فأخلع عليه باستقراره أتابك العساكر
بالديار المصرية وزوجه الأشرف بأخته خوند سارة فاستمر على ذلك إلى أن مات في
التاريخ المذكور رحمه الله.

وتوفيت خوند بركة خاتون والدة السلطان الملك الأشرف هذا وزوجة الأمير ألاجي
اليوسفي في شهر ذي القعدة ودفنت بمدرستها التي أنشأها بخط التبانة وبسبب ميراثها
كانت الوقعة بين ابنها الملك الأشرف وزوجها ألاجي اليوسفي وقد تقدم ذكر ذلك كله
مفصلاً في أوائل هذه الترجمة.

وكانت خيرة دينة عفيفة جميلة الصورة.

ماتت في أوائل الكهولية.

رحمها الله تعالى.

وتوفي الشيخ الإمام العالم العلامة ولي الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الملوي
الديباجي الشافعي - رحمه الله - ذو الفنون بالقاهرة في ليلة الخميس خامس عشرين
شهر ربيع الأول عن بضع وستين سنة.

وكان من أعيان فقهاء الديار المصرية.

وتوفي الشيخ العارف بالله تعالى المعتقد المسلك بهاء الدين محمد بن الكازروني في
ليلة الأحد خامس شهر ذي الحجة بزأوبته بالمشتهى بالروضة وكان - رحمه الله تعالى -
رجلاً صالحاً

وتوفي القاضي بدر الدين محمد بن محمد بن العلامة شهاب اللين محمود بن سليمان بن
فهد الحلبي ثم الدمشقي الحلبي ناظر جيش حلب بها رحمه الله.

وكان رئيساً كاتباً فاضلاً من بيت كتابة وفضل - رحمه الله تعالى - والله أعلم.

▲ أمر النيل في هذه السنة

: الماء القديم لم يحرر لأجل التحويل.

حولت هذه السنة إلى سنة خمس وسبعين.

السنة الحادية عشرة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر وهي سنة خمس وسبعين وسبعمائة.

فيها كانت وقعة الملك الأشرف المذكور مع زوج أمه الأتابك ألباجي اليوسفي وغرق ألباجي في بحر النيل حسب ما تقدم ذكره.

وفيها توفي قاضي القضاة بدر الدين أبو إسحاق إبراهيم بن صدر الدين أحمد بن مجد الدين عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن المخزومي المصري الشافعي الشهير بابن الخشاب وهو في البحر المالح بالقرب من الأزلم عائداً إلى الديار المصرية وهو من أبناء الثمانين سنة رحمه الله.

وكان عالماً مفتياً مدرساً شاع ذكره في الأقطار وانتفع الناس بعلمه وولي نيابة الحكم بالقاهرة وباشق قضاء حلب استقلالاً.

ثم ولي القضاء بالمدينة النبوية وأراد التوجه إلى نحو مصر فأدرسته المنية في طريقه رحمه الله.

وتوفي الشيخ الإمام العالم العلامة أرشد الدين أبو الثناء محمود بن قطلوشاه السرائي الحنفي بالقاهرة في جمادى الآخرة عن نيف وثمانين سنة رحمه الله تعالى.

وكان بحرًا في العلوم لا سيما العلوم العقلية والأدبية.

وأقام بالقاهرة سنين كثيرة يشتغل ويقرئ وانتفع به عامة الطلبة من كل مذهب.

وتولى مشيخة الصرغتمشية بعد وفاة الشيخ العلامة قوام الدين أمير كاتب الإيتقاني فباشق تدريسها إلى أن مات في التاريخ المذكور.

وتوفي الأمير سيف الدين طيغا بن عبد الله الفقيه الحنفي أحد أمراء العشرات بالديار المصرية بالقاهرة وقد ناهز الستين سنة.

وكان فقيهاً مستحضراً لفروع مذهبه ويشارك في فنون كثيرة رحمه الله تعالى.

وتوفي الأمير سيف الدين تمرقيا بن عبد الله العمري الجوكندار أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية وسنه نحو الخمسين سنة وهو خشداش يلغا العمري الخاصكي.

وتمرقيا باللغة التركية: جبل حديد فتمر هو الحديد وقيا بفتح القاف هو الصخر العظيم.

وتوفي الأمير سيف الدين تلكتمر بن عبد الله الجمالي أحد أمراء الطبلخانات بالقاهرة.

مات بمنزلة قاقون من طريق الشام في شهر ذي الحجة وكان الملك الأشرف أرسله في مهم.

وتوفي الأمير سيف الدين آل ملك بن عبد الله الصرغتمشي أحد أمراء الطبلخانات بالقاهرة وكاشف الوجه البحري ونقيب الجيوش المنصورة في شهر شوال.

وكان أصله من مماليك الأمير صرغتمش الناصري صاحب المدرسة بالصليبية المقدم ذكره.

وكل من ذكره في هذه السنين بالصرغتمشي فهو منسوب إليه ولا حاجة للتعريف به بعد ذلك.

وتوفي الأمير سيف الدين آقبا بن عبد الله من مصطفى اليلغاوي أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية وهو مجرد بالإسكندرية وهو ممن قام على أستاذه يلغا.

وتوفي الأمير سيف الدين أرغون بن عبد الله الأحمدى أحد مقدمي الألوفا بالديار المصرية وللا الملك الأشرف شعبان صاحب الترجمة.

وكان معظماً في الدول وله همة ومعرفة وشجاعة وحرمة وافرة في الدولة الأشرفية وقد مر ذكره في عدة حكايات.

ولما ثقل على الملك الأشرف أخرجه إلى نيابة الإسكندرية فمات بها في خامس عشر ذي القعدة.

وتوفي الشيخ نور الدين علي بن الحسن بن علي الإسناي الشافعي.

أخو الشيخ جمال الدين عبد الرحيم المتقدم ذكره مات في شهر رجب رحمه الله تعالى.

وتوفي القاضي شمس الدين شاعر القبطي المصري المعروف بابن البقري ناظر الذخيرة وصاحب المدرسة البقرية بالقاهرة في ثالث عشر شوال.

وكان معدوداً من رؤساء الأقباط.

وتوفي الأمير سيف الدين بيغا بن عبد الله المعروف بحارس طير أحد أمراء الطبلخانات وهو غير بيغا ططر حارس طير الذي ولي نيابة السلطنة في سلطنة الملك حسن.

وتوفي الأمير علاء الدين أطنبغا بن عبد الله المارديني في ثاني جمادى الآخرة وهو أيضاً غير أطنبغا المارديني صاحب الجامع وقد تقدم ذكر هذا في محله.

وتوفي الأمير سيف الدين آروس بن عبد الله المحمودي أحد أمراء الألوفا بالقاهرة وزوج بنت الأمير منجك اليوسفي في ذي القعدة.

وكان أصله من مماليك الناصر محمد وترقى في الدول إلى أن صار أمير مائة ومقدم ألف.

ثم ولي الحجوبية ثم أمير جاندار ثم ولي الأستدارية العالية مدة طويلة.

ووقع له أمور وحوادث وأخرج إلى الشام.

ثم قدم إلى مصر صحبة حميه منجك اليوسفي فأقام بها إلى أن مات.

وتوفي الأمير الكبير سيف الدين ألجاي اليوسفي أحد مماليك الملك الناصر حسن غريباً بالنيل بساحل الخرقانية بعد وقعة كانت بينه وبين الملك الأشرف شعبان حسب ما ذكرناه أنه انكسر في الآخر.

وتوجه إلى الجهة المذكورة واقتحم البحر بفرسه فغرق في يوم الجمعة تاسع المحرم ودفن بمدرسته بسوق العزي خارج القاهرة.

وكان من أجل الأمراء شجاعة وكرمًا وهمة وسؤددًا وقد تقدم ذكره في عدة تراجم من هذا الكتاب.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمسة أذرع وعشرة أصابع.

مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعًا وتسعة عشر إصبعًا وهي سنة الشراقي العظيم.

السنة الثانية عشرة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر وهي سنة ست وسبعين وسبعمئة.

وفيهما كان ابتداء الغلاء العظيم بسائر البلاد.

وفيهما فتحت سيس على يد نائب حلب الأمير إشتقمر المارديني وقد تقدم ذكر ذلك كله في أصل الترجمة.

وفيهما توفي العلامة قاضي القضاة صدر الدين أبو عبد الله محمد ابن العلامة قاضي القضاة جمال الدين عبد الله ابن قاضي القضاة علاء الدين علي بن عثمان بن المارديني الحنفي الشهير بابن التركماني قاضي قضاة الديار المصرية بها في ليلة الجمعة ثالث ذي القعدة عن نحو أربعين سنة بعد أن باشر ثلاث سنين وأشهرًا.

وكان سلك في العدل طريقة أبيه وجده.

وكان عالمًا بارعًا ذكيًا فهمًا عفيًا.

وله نظم ونثر ومن شعره وقد حصل له رمد: الوافر أفر إلى الظلام بكل جهدي كأن النور يطلبني بدين وما للنور من ظل وإني أراه حقيقة مطلوب عيني وقد تقدم ذكر أبيه وجده كل واحد منهما في محله.

وتوفي قاضي القضاة شرف الدين أبو العباس أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة الكفري بفتح الكاف الحنفي بدمشق بعد أن كف بصره عن خمس وثمانين سنة.

وكان من العلماء الأعلام ماهرًا في مذهبه.

أفتى ودرس وأفاد وأتقن روايات القراء السبعة وناب في الحكم بدمشق مدة من الزمان.

ثم استقل بالوظيفة مدة طويلة ثم تركها لولده متنزها عن ذلك ولزم العبادة إلى أن مات.

وتوفي الشيخ الإمام العالم العلامة جمال الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد بن عمار الحارثي الدمشقي الشافعي الشهير بابن قاضي الزيداني بدمشق عن سبع وثمانين سنة.

وقد انتهت إليه رئاسة الفتوى بالشام في زمانه ودرس بظاهرة دمشق وعادليتها الصغرى وكتب وصنف.

وتوفي الشيخ أمين الدين أبو عبد الله محمد ابن القاضي برهان الدين إبراهيم بن علي بن أحمد بن علي بن يوسف بن إبراهيم الدمشقي الحنفي الشهير بابن عبد الحق.

درس بدمشق بعدة مدارس وياشر بها الوظائف الجليلة وكان معدودًا من أعيان أهل دمشق إلى أن مات بها عن بضع وستين سنة.

وتوفي الشيخ الإمام العلامة الأديب المفتن شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد التلمساني المغربي الحنفي الشهير بابن أبي حجلة نزيل الديار المصرية بها في يوم الخميس مستهل ذي الحجة عن إحدى وخمسين سنة.

ومولده بالمغرب بزاوية جده أبي حجلة عبد الواحد.

ثم رحل إلى الشام ثم استوطن مصر وولي مشيخة خانقاه منجك اليوسفي إلى أن مات.

وكان إمامًا بارعًا فاضلاً ناظمًا ناظرًا وله مصنفات كثيرة تبلغ ستين مصنفًا رحمه الله.

ومن شعره في مליح له خال على خده: البسيط تفرد الخال عن شعر بوجنته فليس في الخد غير الخال والخفر يا حسن ذاك محيًّا ليس فيه سوى خال من المسك في خال من الشعر وله: السريع وعاذل بالغ في عذله وقال لما هاج بلبالي بعارض المحبوب ما تنتهي قلت ولا بالسيف والوالي يا صاح قد حضر الشراب وبغتني وحظيت بعد الهجر بالإيناس وكسا العذار الخد حسنًا فاسقني واجعل حديثك كله في الكاس وتوفي صاحب الوزير فخر الدين عبد الله بن تاج الدين موسى بن أبي شاكر بالقاهرة ودفن بالقرافة بترته بجوار تربة قاضي القضاة شمس الدين الحريري.

وكان في مبادئ أمره صاحب ديوان يلبغا العمري ثم تولى الوزر بعد موته ثلاث مرات وجمع في بعض الأحيان بين الوزارة ونظر الخاص معا كما كان ابن قروينة من قبله.

وكان حسن السيرة مليح الشكل بشوشًا متواضعًا لين الجانب قليل الأذى محببًا للناس.

وتوفي التاجر ناصر الدين محمد بن مسلم الكارمي المصري في يوم الجمعة ثاني عشر شوال.

وقد خلف أموالًا كثيرة من المتجر وعمل الكيمياء بحيث إنه لم يكن أحد من أهل عصره أكثر مالًا منه.

وتوفي القان أويس ابن الشيخ حسن بن حسين بن أقبغا بن أيلكان صاحب تبريز وبغداد وما والاها.

وفي موته غريبة وهي أنه رأى في منامه قبل موته أنه يموت في يوم كذا وكذا فخلع نفسه من الملك وولى عوضه ولده الكبير الشيخ حسين بن أويس واعتزل هو عن الملك وصار يتعبد ويكثر من الصلاة والصدقة والبر إلى الوقت الذي عينه لهم أنه يموت فيه فمات فيه.

وكان ملكًا حازمًا عادلاً ذا شهامة وصرامة قليل الشر كثير الخير محببًا للفقراء والعلماء.

وكان مع هذا فيه شجاعة وكرم.

ومات في عنفوان شببته وكان تسلطن بعد أبيه فمكث في الملك تسعة عشر سنة
وماس بتبريز عن نيف وثلاثين سنة.

وتوفي الأمير الكبير سيف الدين منجك بن عبد الله اليوسفي الناصري أتابك العساكر
ونائب السلطنة الشريفة بالديار المصرية بداره من القاهرة بالقرب من سوق العزي
الملاصقة لمدرسة السلطان حسن بعد عصر يوم الخميس تاسع عشرين شهر ذي الحجة
ودفن صبيحة يوم الجمعة بتربته التي أنشأها عند جامع وخانقته خارج باب الوزير
بالقرب من قلعة الجبل.

وكانت جنازته مشهودة.

وكان عمره يوم مات بضعة وستين سنة.

وقد مر من ذكره ما يستغنى به عن التكرار هنا.

وكان ابتداء أمره وظهور اسمه من سلطنة الملك الناصر أحمد ابن الملك الناصر محمد
بن قلاوون وهلم جرا إلى يومنا هذا حتى إنه لم يذكر سلطان بعد موت محمد بن قلاوون
إلا ومنجك هذا له فيه أمر وذكر وواقعة.

وقد طالت أيامه في السعادة على أنه قاسى فيها خطوبًا وأهوالًا وأمسك وحبس ثم
أطلق واختفى مدة ثم ظهر.

وقد تكرر ذلك مفصلًا في عدة تراجم من سلاطين مصر.

وأما ما عمره من المساجد والجوامع والمآثر فقد ذكرنا كله في ترجمته في المنهل
الصافي والمستوفي بعد الوافي فليُنظر هناك.

وتوفي الأمير سيف الدين يلغا بن عبد الله الناصري حاجب الحجاب بالديار المصرية وأحد
أمرء الألوفا بها.

وكان من أمثال الأمراء وأعيان المماليك الناصرية.

ترقى بعد موت أستاذه الملك الناصر محمد وولي عدة وظائف أعظمها حجوية الحجاب.

وتوفي الأمير سيف الدين أيدير بن عبد الله الناصري الدوادار بالقاهرة عن نيف وستين
سنة.

وكان أميرًا عالي القدر ظاهر الحشمة وافر المهابة حسن السياسة التدبير يبدأ الناس
بالسلام ويكثر منه ذلك حتى إنه لما ولي نيابة حلب لقبه أهلها بسلام عليكم وكان أول
أمير مائة ومقدم ألف بديار مصر ثم ولي نيابة طرابلس ثم نيابة حلب ثم عزل وطلب إلى
ديار مصر واستقر بها أمير مائة ومقدم ألف أيضًا إلى أن مات وهو أجل أمراء عصره.

وتوفي الأمير الطواشي سابق الدين مئقال بن عبد الله الحبشي الأنوكي مقدم المماليك
السلطانية وأحط أمراء الطبلخانات.

وكان أصله من خدام سيدي آنوك ابن الملك الناصر محمد وترقى إلى أن ولي مقدمة
المماليك السلطانية وهو الذي ضربه يلغا العمري داخل القصر ستمائة عصاة ونفاه إلى
أسوان وولي مكانه مختار الدمنهوري شاذروان.

فلما قتل يليغا أعاده الملك الأشرف هذا إلى رتبته ووظيفته تقدمه المماليك السلطانية إلى أن مات وولي التقدمة بعده مختار الدمنهوري شاذروان المقدم ذكره ثانيًا.

وأظن مثقالًا هذا هو صاحب المدرسة السابقة داخل أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربعة أذرع واثنًا عشر إصبعًا.

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعًا وخمسة أصابع.

السنة الثالثة عشرة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر وهي سنة سبع وسبعين وسبعمئة.

فيها كان الغلاء المفرط بالبلاد الشامية حتى أكل الناس الميتات والكلاب والقطط.

وفيها توفي الشيخ الإمام العالم العلامة قاضي القضاة برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن القاضي علم الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بمران الهيدباني السعدي الإخنائي المالكي قاضي قضاة الديار المصرية بها في يوم الأربعاء ثالث شهر رجب بعد أن مكث في القضاء خمس عشرة سنة.

وكان - رحمه الله - من أعيان الفقهاء المالكية.

وتوفي الشيخ الإمام العالم العلامة قاضي القضاة بهاء الدين أبو البقاء محمد ابن قاضي القضاة سديد الدين عبد البر بن صدر الدين يحيى السبكي الأنصاري الشافعي - رحمه الله تعالى - قاضي القضاة بالديار المصرية ثم بدمشق المحروسة في شهر ربيع الأول.

ومولده في سنة سبع وسبعمئة.

وكان إمام وقته وعالم زمانه.

روى البخاري عن الوزير والحجار وتولى القضاء بدمشق ثم بمصر ثم عزل وعاد إلى قضاء دمشق إلى أن مات - رحمه الله - بعد أن أفتى ودرس وكتب وألف ونظم ونثر.

ومن شعره رحمه الله تعالى: الكامل ودعته ولثمت باسم ثغره مع خده وضممت مائس قده ثم انتبهت ومقلتي تبكي دما يا رب لا تجعله آخر عهده قلت: ويعجبني في هذا المعنى قول الأديب المفتن علاء الدين علي كاتب ابن وداعة: مخلع البسيط إذا رأيت الوداع فاصبر ولا يهمنك البعاد وانتظر العود عن قريب فإن قلب الوداع عادوا وتوفي القاضي شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن القاضي علاء الدين علي ابن القاضي محيي الدين يحيى بن فضل الله بن المجلى بن دعجان.

ينتهي نسبة إلى الإمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

مات بدمشق ودفن بسفح قاسيون عن نيف وثلاثين سنة بعد أن باشر نيابة كتابة سر مصر عن والده.

وكان إمامًا بليغًا كاتبًا ناظمًا ناثرًا.

أخذ العربية عن الشيخ كمال الدين ابن قاضي شهبه ثم عن قاضي القضاة شمس الدين محمد بن مسلم رحمهم الله تعالى.

وتوجه القاضي شهاب الدين المذكور إلى دمشق واستوطنها إلى أن مات.

وشهاب الدين هذا سمي على اسم عمه شهاب الدين أحمد صاحب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار وقد مر ذكره وذكر جماعة من آباءه وأقاربه.

وتوفي الشيخ المعتقد أحمد بن مسعود المجذوب ودفن بالقرافة بالقرب من قبة الإمام الشافعي رضي الله عنه.

وكان يجلس في المريس دائماً وللناس فيه اعتقاد.

وتوفي الإمام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن علي الشهير بابن الصائغ الحنفي - رحمه الله - في يوم الثلاثاء ثاني عشر شهر شعبان.

وكان إماماً في القراءات وسمع الحديث وأخذ النحو عن أبي حيان وبرع في الفقه وأعاد ودرس وأفاد وأفتى وبرع في النحو والأدب ودرس بجامع ابن طولون بالقاهرة وتولى قضاء العسكر بمصر.

وكان أديباً لطيفاً ظريفاً بارعاً في النظم.

ومن شعره: الطويل بروحي أفدي خاله فوق خده ومن أنا في الدنيا فأفديه بالمال تبارك من أخلى من الشعر خده وأسكن كل الحسن في ذلك الخال وله عفا الله عنه: الرجز قاس الوري وجه حبيبي بالقمر الجامع بينهما وهو الخفر وله: السريع وشادن ظلت عيون الربا لما رآته مقبلاً ساجده سألته من ريقه شربة فقال في مسألة بارده وتوفي السيد الشريف عز الدين عجلان بن رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة بن إدريس المكي الحسيني أمير مكة.

وكان قبل موته نزل لولده السيد الشريف أحمد بن عجلان عن نصف إمرة مكة التي كانت بيده فإنه كان قبل ذلك نزل له عن النصف الأول قديماً.

وكان ولي إمرة مكة غير مرة نحو ثلاثين سنة مستقلاً بها مدة وشريكاً لأخيه ثقبه مدة وشريكاً لابنه أحمد هذا مدة.

وكانت وفاته في ليلة الاثنين الحادي عشر من شهر جمادى الأولى ودفن بالمعلاة - رحمه الله - وقد قارب السبعين سنة من العمر.

وكان ذا عقل ودهاء ومعرفة بالأمور وسياسة حسنة.

وكان بخلاف آباءه وأقاربه يحب أهل السنة وينصرهم على الشيعة وربما كان يذكر أنه شافعي المذهب وهذا نادرة في الساعة الأشراف فإن غالبهم زيدية يتجاهرون بذلك.

قيل: إنه ذكر عنده مرة معاوية بن أبي سفيان لينظروا رأيه فيه فقال عجلان: معاوية شيخ من كبار قريش لاح له الملك فتلقفه.

قلت: لو لم يكن من محاسنه إلا اتباعه للسنة النبوية لكفاه ذلك شرقاً.

وكان ممدوحاً مدحه لولا الغرام ووجدته وتحوله ما كنت ترحمه وأنت عدوله إن كنت تنكره فسل عن حاله فالحب داء لا يفيق عليه يا من يلوم على الهوى أهل الهوى دع لومهم

فالصبر مات جميله وتوفي الأمير سيف الدين أسنبغا بن بكتمر أبو بكرى في يوم الأربعاء خامس المحرم وكان من عظماء أمراء الديار المصرية.

كان خصيصًا عند الملك الناصر محمد بن قلاوون وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه ثم ترقى بعد موته حتى ولي الأمير آخورية الكبرى للسلطان حسن ثم للأشرف.

ثم ولي نيابة الإسكندرية ثم نيابة حلب ثم حجوية الحجاب بديار مصر. وطالت أيامه في السعادة.

وأظنه صاحب أبو بكرية داخل القاهرة.

والله أعلم.

وتوفي الشيخ الإمام المعتقد العالم العلامة جمال الدين عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن خليل بن إبراهيم بن يحيى بن أبي عبد الله بن يحيى بن إبراهيم بن سعيد بن طلحة بن موسى بن إسحاق بن عبد الله بن محمد بن أبان بن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - في يوم الأحد ثالث شهر جمادى الأولى بخلوته بسطح جامع الحاكم.

وكانت جنازته مشهودة جدًا اجتمع فيها خلائق لا تحصى رحمه الله.

ومولده في سنة أربع وتسعين وستمائة.

وكان فقيهاً شافعيًا صاحب فنون وعلوم.

وتوفي الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير قيران الحسامي كان أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية رحمه الله تعالى.

وكان كريمًا شجاعًا مقدامًا وله وجهة في الدول وحرمة وافرة.

وتوفي تاج الدين أبو غالب الكلبشاوي الأسلمي القبطي ناظر الذخيرة في نصف شهر شوال وإليه تنسب المدرسة المعروفة بمدرسة أبي غالب تجاه باب الخوخة ظاهر القاهرة.

وتوفي شيخ الكتاب غازي بن قطلوبغا التركي في شهر رجب وقد انتهت إليه الرياسة في الخط المنسوب وتصدر للإفادة سنين عديدة وانتشر خطه في الآفاق.

وتوفي الشيخ نور الدين علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الكنانى العسقلاني الشافعي الشهير بابن حجر والد الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر في يوم الأربعاء عاشر شهر رجب.

وكان تاجرًا بمدينة مصر القديمة وتفقه على مذهب الإمام الشافعي - رضي الله عنه - وحفظ الحاوي وأخذ الفقه عن بهاء الدين محمد بن عقيل - رحمه الله - وقال الشعر.

ومن شعره يشير إلى المتجر: المجتث إسكندرية كم ذا يسمو قماشك عزا فطمت نفسي عنها فلست أطلب بزا وله أيضًا: الكامل والعنق يشرى بالغنى ياذا الغنى فامنن على الفاني بعنق الباقي أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمسة أذرع وأربعة أصابع.

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعًا وثلاثة عشر إصبعًا.

والله أعلم.

السنة الرابعة عشرة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر وهي سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وهي التي قتل فيها في ذي القعدة.

فيها توفي القاضي محب الدين أبو عبد الله محمد ابن القاضي نجم الدين أبي المحاسن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم التميمي المصري ناظر الجيوش المنصورة بالديار المصرية بها في يوم الثلاثاء ثاني عشر شهر ذي الحجة عن إحدى وثمانين سنة.

وكان فيا ابتداء أمره تولى ديوان جنكلي بن البابا ثم خدم عند الأمير قنكلي الفخري فكتب إليه الشيخ صلاح الدين الصفدي يقول: السريع من جنكلي صرت إلى منكلي فكل خير أرتجى منك لي وأنت لي كهف وما مقصدي من هذه الدنيا سوى أنت لي وكان القاضي محب الدين المذكور رجلًا صالحًا فاضلاً وله سماع عال وله مصنفات - رحمه الله - منها شرح التسهيل في أربعة مجلدات وشرح التلخيص في المعاني والبيان وغير ذلك.

وتوفي الشيخ الإمام العالم العلامة تقي الدين أبو الفداء إسماعيل بن نور الدين علي بن الحسن القلقشندي الشافعي المصري مفتي المسلمين بالقدس الشريف عن نحو سبعين سنة.

وكان فقيهاً برع في عدة علوم وأفتى ودرس واستقل.

رحمه الله.

وتوفي الشيخ المسند المعمر الرحلة أبو حفص عمر بن الحسن بن مزيد الشهير بابن أميلة المراغي الحلبي ثم الدمشقي بها عن ثمان وتسعين سنة بعد أن صار رحلة زمانه وقصد من الأقطار للسمع عليه فسمع منه خلائق كثيرة.

وتوفي الشيخ الأديب جمال الدين أبو الربيع سليمان بن داود بن يعقوب المصري ثم الحلبي بحلب وقد قارب الخمسين سنة.

وكان معدودًا من الكتاب الأدياء الفضلاء ومن شعره: الطويل رياض جرت بالظلم عادات ريحها وسار بغير العدل في الحكم سيرها ففرقت الاغصان عند اعتناقها وسلسلت الانهار إذ جن طيرها وتوفي الأمير سيف الدين يعقوب شاه بن عبد الله الحاجب الثاني وأحد مقدمي الألوف بالديار المصرية.

وكان ممن قام مع الملك الأشرف في واقعة أسندمر وأظهر شجاعة عظيمة فقربه السلطان الملك الأشرف من ثم ورقاه وأنعم عليه حتى جعله من جملة الأمراء الألوف وتوفي السلطان الملك الأفضل عباس ابن الملك المجاهد علي ابن الملك المؤيد داود ابن الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول التركماني الأصل اليمني صاحب اليمن وابن صاحبها - رحمه الله تعالى - في شعبان.

وتسلطن بعده ولده السلطان الملك الأشرف إسماعيل.

وكان الملك الأفضل ولي السلطنة بعد موت أبيه المجاهد في شهر جمادى الأولى سنة أربع وستين وسبعمائة.

ولما ولي اليمن خرج في أيامه ابن ميكائيل فوقع له معه وقائع حتى أباده الأفضل وزالت دولة ابن ميكائيل في أيامه.

وكان الأفضل - رحمه الله - شجاعًا مهيبًا كريمًا وله إمام بالعلوم والفضائل ومشاركة جيدة في عدة علوم وتصانيف منها: كتاب العطايا السنية في ذكر أعيان اليمنية وكتاب نزهة العيون في تاريخ طوائف القرون ومختصر تاريخ ابن خفكان وكتاب بغية ذوي الهمم في أنساب العرب والعجم وكتاب آخر في الألغاز الفقهية وغير ذلك.

وكان فيه بر وصدقة وله مآثر حسنة رحمه الله تعالى.

بنى مدرسة عظيمة بتعز وله أيضا بمكة مدرسة معروفة به بالصفاء.

وقيل: إن هذه التصانيف المذكورة إنما هي لقاضي تعز رضي الدين أبي بكر بن محمد بن يوسف الجرائي الصبري الناشري رحمه الله.

عمل ذلك على لسان الأفضل والله أعلم.

وتوفي الأمير سيف الدين جرگتمر بن عبد الله الخاصكي الأشرفي أحد مقدمي الألوف وتوفي السلطان الملك المظفر فخر الدين داود ابن الملك الصالح صالح ابن الملك المنصور غازي بن أبي بن تمر تاش بن إيل غازي بن أرتق الأرتقي صاحب ماردين وابن صاحبها بماردين في هذه السنة بعد أن حكمها نحو عشرين سنة.

وتولى سلطنة ماردين من بعده ابنه الملك الظاهر مجد الدين عيسى الآتي ذكره في محله إن شاء الله تعالى.

وكان الملك المظفر هذا ولي ملك ماردين بعد ابن أخيه الملك الصالح محمود الذي أقام في سلطنة ماردين أربعة أشهر عوضًا عن والده الملك المنصور أحمد ابن الملك الصالح صالح.

وخلع الملك الصالح محمود وتسلطن الملك المظفر هذا فأظهر العدل واقتفى أثر والده الملك الصالح في الإحسان إلى الرعية وإصلاح الأمور إلى أن مات رحمه الله.

وتوفي في هذه السنة جماعة كبيرة من الأمراء الأشرفية ممن مر ذكرهم في أواخر ترجمة الملك الأشرف قتلوا بالسيف عند كسرة الأشرف من العقبة وهم: الأمير سيف الدين أرغون شاه بن عبد الله الجمالي الأشرفي أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية وأجل أمراء الأشرف بعد أن قدم معه من العقبة.

والأمير سيف الدين صرغتمش بن عبد الله الأشرفي رأس نوبة في النوب وأحد مقدمي الألوف أيضًا بالديار المصرية.

والأمير سيف الدين يلغا بن عبد الله السابقي الأشرفي أحد مقدمي الألوف أيضًا.

والأمير سيف الدين بشتك بن عبد الله الأشرفي أحد مقدمي الألوف أيضًا وهو غير بشتك الناصري صاحب القصر والحمام.

والأمير سيف الدين أرغون بن عبد الله العزي الأشرفي الأفرم أحد مقدمي الألوف أيضًا. وغيرهم من أمراء الطبلخانات والعشرات.

وهؤلاء الذين ذكروا هم أعيان الأشرفية القادمون صحبة أستاذهم الملك الأشرف من العقبة إلى مصر.

قتلوا الجميع في ساعة واحدة وأتوا برؤوسهم من قبة النصر إلى الأمراء الذين ثاروا بالقاهرة وهم يقولون: صلوا على محمد ووضعوها بين أيديهم.

وقد تقدم ذكر ذلك في أواخر ترجمة الملك الأشرف شعبان وتأتي بقية ما وقع في ترجمة الملك المنصور علي ابن الملك الأشرف شعبان هذا.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ستة أذرع وأثنا عشرة إصبغًا.

مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعًا وإصبغان.

والله أعلم.

سلطنة الملك المنصور علي السلطان الملك المنصور علاء الدين علي ابن السلطان الملك الأشرف زين الدين شعبان ابن الأمير الملك الأمجد حسين ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون الألفي الصالحي وهو السلطان الثالث والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية.

تسلطن في حياة والده حسب ما تقدم ذكره وذلك أن الأمير قرطاي وطشتمر اللفاف وأينيك البدري لما ثاروا بمن معهم بالديار المصرية وطلعوا إلى القلعة وأخذوا أمير علي هذا من الدور السلطانية وسلطنوه في حياة والده أرادوا بذلك انضمام الناس عليهم - فإنهم كانوا أشاعوا موت الملك الأشرف شعبان في العقبة - حتى تم لهم ما أرادوه وسلطنوا أمير علي هذا من غير حضور الخليفة والقضاة فإنهم كانوا صحبة السلطان الملك الأشرف بالعقبة.

فلما زالت دولة الملك الأشرف وقبض عليه وقتل ثم حضر الخليفة المتوكل على الله أبو عبد الله محمد من العقبة وكان القضاة بالقدس الشريف توجهوا إليه من العقبة بعد واقعة الملك الأشرف وهروبه إلى مصر.

فلما كان يوم الخميس ثامن شهر ذي القعد سنة ثمان وسبعين وسبعمئة وذلك بعد قتل الملك الأشرف شعبان بثلاثة أيام اجتمع الأمراء القائمون بهذا الأمر بالقلعة واستدعوا الخليفة ومن كان بمصر من القضاة ونواب من هو غائب من القضاة بالقدس وحضر الأمير أقتمر الصاحبى نائب السلطنة بالديار المصرية وقعدوا الجميع بباب الأدر الشريفة من قلعة الجبل وجددوا البيعة بالسلطنة للملك المنصور علي هذا بعد وفاة أبيه الملك الأشرف.

وقبل له البيعة آقتمر الصاحبي المذكور ولبسوه السواد خلعة السلطنة وكانت فرجية حرير بنفسجي بطرز ذهب وبدائرها تركيبة زرکش بحاشية حرير أزرق خطائي وشاش أسود خليفتي وقبعًا أسود بعذبة خليفتيًا زرکش.

وركب بأبهة السلطنة وشعار الملك من باب الستارة والأمراء مشاة بين يديه إلى أن وصل إلى الإيوان وجلس على تخت الملك في يوم الخميس المذكور.

وقبلت الأمراء الأرض بين يديه وحلفوا له على العادة وأخلع على الخليفة وعلى الأمراء وعلى من له عادة بلبس الخلع ومد السماط.

وكان عمر السلطان الملك المنصور يرم تسلطن نحو سبع سنين تخميتًا.

ثم قام الملك المنصور من الإيوان ودخل إلى القصر وأخلع على الأمير طشتمر اللفاف المحمدي باستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية وأنعم عليه بكل مال أرغون شاه الأشرفي بعد قتله.

وخلع على الأمير قرطاي الطازي واستقر رأس نوبة كبيرًا وأطابكًا وأنعم عليه بكل مال صرغتمش الأشرفي بعد قتله أيضًا ورسم لهما أيضًا أن يجلسا بالإيوان في الميمنة.

وخلع على أسندمر الصرغتمشي واستقر أمير سلاح ورسم له أن يجلس في الميسرة.

وخلع على قطلوبغا البدري واستقر أمير مجلس.

وخلع على طشتمر العلاني الدوادر واستقر في نيابة دمشق ورسم له أن يخرج من يومه.

وخلع على إياس الصرغتمشي واستقر دويدارًا كبيرًا عوضًا عن طشتمر العلاني بإمرة طبلخاناه.

ثم أنعم على أينبك البدري واستقر أمير آخور كبيرًا.

وأنعم علي بلاط السيفي ألجاي الصغير بتقدمة ألف وكذلك على دمراش اليوسفي واستقر رأس نوبة ثانيًا وهذه الوظيفة هي الآن وظيفة رأس نوبة النوب في زماننا هذا.

وأنعم على يلغا النظامي وألطنبغا السلطاني بتقدمة ألف.

وكان الجميع أجنادًا ما عدا أينبك البدري فإنه كان أمير طبلخاناه وطشتمر اللفاف فإنه كان أمير عشرة فانتقل للأتابكية دفعة واحدة.

وأنعم على جماعة بإمرة طبلخاناه وهم: الأمير طغينمر الناصري وقطلوبغا البيسري وبيخجا الكاملي وصریغا الناصري وطولو الصرغتمشي وأطلمش الأرغوني ومقبل الرومي والجیغا السيفي ألجاي وقطلوبغا النظامي وأحمد بن يحمر التركماني وقطلوخجا أخو أينبك البحري وتمریغا البدري وألطنبغا المعلم وتلكتمر بن عبد الله المنصوري وأسنبغا الصارمي وأطلمش الطازي وإبراهيم بن قطلقتمر العلاني وأرنبغا السيفي الجیغا وعلي بن آقتمر عبد الغني وأسنبغا النظامي ومأمور القلمطاوي.

وأنعم على جماعة بإمرة عشرات وهم: تكا الشمسي ومحمد بن قرطاي الطازي وخضر بن ألطنبغا السلطاني ومحمد بن شعبان بن يلغا العمري وأسنبغا المحمودي وطبج

المحمدي وألطينغا شادي وسودون العثماني شاد السلاح خاناه وتلكتمر المنجكي وآقبيغا السيفي أجلي وجركس السيفي أجلي وطقتمش السيفي يلبيغا وطوغان العمري الظهيري وبكلمش الإبراهيمي ويلبيغا العلائي دوادار أمير علي النائب ويوسف بن شادي أخو حاج ملك وخضر الرسولي وأسندمر الشرفي ومغلطاي الشرفي وخليل بن أسندمر العلائي ورمضان بن صرغتمش وحسن أخو قطلوبغا حاجي أمير علم ومنكلي الشمسي وألجبيغا السيفي جنقرا.

ثم رسم بالإفراج عن جماعة من السجن بقلعة الجبل في يوم السبت عاشر شهر ذي القعدة وهم: الأمير أقتمر عبد الغني نائب السلطنة بديار مصر ونائب الشام كان والأمير علم المحمدي وأيدمر الشمسي وسودون جركس المنجكي وطبيغا الصفوي أجلي ومغلطاي البدري الجمالي وصربغا السيفي وطشتمر الصالحي وبلاط الكبير السيفي أجلي وحطط اليلبغاوي وإياس المارديني وبلوط الصرغتمشي وبلبيغا المنجكي وقرابغا أبو جركتمر وحاجي خطاي والد غريب.

ثم من الغد أمر بمسكهم ثانيًا وتقييدهم وإرسالهم إلى سجن الإسكندرية فقبض عليهم وأرسلوا في تلك الليلة ما خلا أقتمر عبد الغني وسودون المنجكي.

ثم في

▲ يوم الأحد ثامن عشر ذي القعدة قبضوا على جماعة من مباشري الدولة

وظلعوا بهم إلى القلعة وهم: صاحب الوزير شمس الدين المقسي وتاج الدين موسى ناظر الخواص الشريفة وأمين الدين مين وعلاء الدين بن السائس وشهاب الدين بن الطولوني وأدخلوا قاعة الصاحب وصدروا حتى قرر عليهم ما يقومون به من الأموال ثم أفرج عنهم.

ألف درهم ثم خلع عليه باستقراره في نيابة الإسكندرية على عادته.

ثم مسكوا من الطواشية والخدام جماعة كبيرة وهم: مختص الأشرفي وجوهر الإسكندري وسنبل رأس نوبة الجمдарية وأدخلوا قاعة الصاحب على مال ألزموا به.

ثم أصبحوا من الغد قبضوا على جماعة آخر وهم: دينار اللالا وشاهين دست وسنبل اللفاف أحد الجمدارية وأدخلوا أيضًا إلى قاعة الصاحب.

ثم أصبحوا من الغد ورسموا لمثقال الجمالي الرمام بحمل ثلاثمائة ألف درهم ثم استقرت مائة ألف درهم.

ثم في يوم الاثنين تاسع عشر ذي القعدة خلع على الأمير أقتمر الصاحبى وأستقر على نيابة السلطنة بالديار المصرية كما كان في أيام الملك الأشرف شعبان وفوض إليه أن يخرج الإقطاعات للأمراء والأجناد والنواب وألا يكون لأحد معه تحكّم وذلك بعد أن رضيت الأمراء والخاصكية والبرانيون بذلك.

ثم أخلع على الأمير أرغون الإسعردى بناية طرابلس عوضًا عن الأمير منكلي بغا الأحمدى البلدي.

ثم أخلع على القاضي بدر الدين بن فضل الله كاتب السر باستمراره على وظيفته.

ثم أخلع على الصاحب تاج الدين المكي بإعادته إلى الوزارة ثانية.
وهي وزارته الرابعة.

وأخلع على القاضي كريم الدين بن الرويهب باستقراره ناظر الدولة.

وأستقر القاضي تقي الدين عبد الرحمن ابن القاضي محب الدين محمد في نظر الجيوش المنصورة عوضًا عن والده محب الدين المذكور بحكم وفاته.

ثم شرع الأمراء في النفقة على المماليك السلطانية فأعطوا كل نفر عشرة آلاف درهم.

وفي ثاني عشر شهر ذي الحجة قرئ تقليد السلطان الملك المنصور علي بالإيوان من قلعة الجبل وعلم عليه الخليفة المتوكل على الله وشهدت عليه القضاة بتفويض السلطنة للملك المنصور.

وخلع على الخليفة وأنعم عليه بألف دينار وهي رسم المبايعه.

ثم بعد أيام دخل أسندمر الصرغتمشي ودمرداش اليوسفي إلى الدور السلطانية وفرقوا جواري الملك الأشرف شعبان على الأمراء.

ثم أستقر في خامس المحرم من سنة تسع وسبعين وسبعمئة الأمير قرطاي الطازي أتابكا بعد موت طشتمر اللقاف وأخلع عليه بعد أيام بنظر البيمارستان المنصوري.

وأخلع على الأمير مبارك الطازي واستقر رأس نوبة كبيرًا عوضًا عن قرطاي المذكور.

ثم بعد ذلك بمدة يسيرة استقر الأمير أيبك البدري الأمير آخور الكبير في نظر البيمارستان عوضًا عن قرطاي برغبة قرطاي عنه.

وأستقر سودون جركس أستاذًا.

ثم في العشرين من المحرم خلع على الأمير سودون الفخري الشيخوني وبلوط الصرغتمشي واستقرا حاجين بالديار المصرية.

ثم في صفر حضر الأمير يلبغا الناصري إلى القاهرة وكان قد نفى إلى بلاد الشام بعد قتل السلطان الأشرف فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه.

وكانوا أيضًا قبل تاريخه قد عزلوا الأمير منكلي بغا الأحمدى عن نيابة طرابلس وتمرباي نائب صفد عن نيابة صفد فجاء الخبر بأن منكلي بغا حل سيفه وأطاع وأن تمرباي عصى وامتنع بصفد فخلع على الأمير أرغون الإسعردى ثانيًا بنيابة طرابلس عوضًا عن منكلي بغا المذكور وتولى نيابة حماة تمرز الطازي.

ثم في هذه الأيام بدت الوحشة بين قرطاي الطازي الأتابك وبين صهره أيبك البدري الأمير آخور الكبير في الباطن كل ذلك في هذه المدة اليسيرة وصار كل واحد يدبر على الآخر مع أصحابه وحواشيه.

فلما كان يوم الأحد العشرون من صفر عمل الأمير الأتابك قرطاي وليمة فأهدى له أيبك مشروبًا يقال له الششيش وعمل فيه بنجًا فلما شربه قرطاي تبنج وكان لأيبك عند قرطاي عيون فأخبروه أنه تبنج فركب أيبك من وقته بالسلاح ومعه جماعة كبيرة ملبسين

وأُنزل السلطان الملك المنصور عليًا إلى الإسطبل السلطاني ودقت الكوسات فجاءت الأمراء إلى السلطان وأقام أئبنك ركبًا من عصر يوم الأحد إلى صبيحة يوم الاثنين وسببه أنه كان عند قرطاي في بيته جماعة من الأمراء من أصحابه: منهم سودون جركس وأسندمر الصرغتمشي وقطلوبغا البدري وقطلوبغا جركس أمير سلاح ومبارك الطازي رأس نوبة كبير وجماعة آخر من أمراء الطبليخانات والعشرات فركبوا الجميع ومنعوا أئبنك من الوصول إلى قرطاي وحموه إلى أن استفاق قرطاي من بنجه وقد ضعف أمر أصحابه وقوي أمر أئبنك.

فبعث قرطاي يسأل أئبنك أن ينعم عليه بناية حلب ويرسل إليه منديل الأمان فأجابه أئبنك إلى ذلك.

فخرج قرطاي من وقته إلى سرباقوس.

وقبض أئبنك على من كان عند قرطاي من الأمراء فإنهم كانوا قاتلوه وأبادوه من أخذ قرطاي وقيدهم وأرسلهم إلى الإسكندرية فسجنوا بها.

ورسم للأمير أقتمر الصاحبى نائب السلطنة بمصر بناية دمشق عوضًا عن طلشتمر العلاني الدوادر فلبس أقتمر الخلعة وخرج من وقته.

ونودي بالقاهرة ومصر في الوقت بالأمان ومن كان له ظلامه فعليه بباب المقر الأشرف العزي الأتابك أئبنك البدري.

وسافر قرطاي فلما وصل إلى غزة نفي إلى طرابلس ثم حمل منها إلى المرقب فحبس به.

ثم خنق بعد مدة يسيرة.

وصفا الوقت لأئبنك فأخلع السلطان عليه خلعة سنية في خامس عشرين شهر صفر باستقراره أتابك العساكر ومدبر الممالك.

وخلع على الأمير أقتمر عبد الغني واستقر نائب السلطنة بالديار المصرية عوضًا عن الأمير أقتمر الصاحبى المنتقل إلى نيابة دمشق.

وكلاهما قديم هجرة من أكابر الأمراء المشايخ.

واستقر الأمير بهادر الجمالي أستاذًا عوضًا عن سودون جركس.

واستقر بلاط السيفي ألجاي أمير سلاح عوضًا عن قطلوبغا جركس.

واستقر أطنبغا السلطاني أمير مجلس.

واستقر دمرداش اليوسفي رأس نوبة كبيرًا.

وأنعم على يلبغا الناصري بإمرة مائة وتقدمة ألف واستقر رأس نوبة ثانيًا.

ويلبغا الناصري هذا هو صاحب الوقعة المشهورة مع السلطان الملك الظاهر برقوق وإلى الآن برقوق لم يتامر عشرة.

ثم أنعم على أطلمش الأرغوني بإمرة طبلخاناه واستقر دوادًا كبيرًا عوضًا عن إياس الصرغتمشي.

وأخلع على قطلوخجا واستقر أمير آخور كبيرًا عوضًا عن أخيه أينبك البدري.

وصار الأمر في المملكة لأينبك البدري وحده من غير منازع.

وأخذ أينبك في المملكة وأعطى وحكم بما اختاره وأراده.

فمن ذلك أنه في رابع شهر ربيع الأول رسم بنفي الخليفة المتوكل على الله تعالى إلى مدينة قوص فخرج المتوكل على الله ثم شفع فيه فعاد إلى بيته.

ومن الغد طلب أينبك نجم الدين زكريا بن إبراهيم ابن الخلفية الحاكم بأمر الله وخلع عليه واستقر به في الخلافة عوضًا عن المتوكل على الله من غير مبايعة ولا خلع المتوكل من الخلافة نفسه ولقب زكرياء المذكور بالمعتصم بالله.

ثم في العشرين من شهر ربيع الأول المذكور تكلم الأمراء مع أينبك فيما فعله مع الخليفة ورغبوه في إعادته فطلبه وأخلع عليه على عادته بالخلافة وعزل زكرياء.

ومن الناس من لم يثبت خلافة زكريا المذكور فإنه لم يخلع المتوكل نفسه من الخلافة حتى يبائع زكريا المذكور.

ثم بدا لأينبك أن يسكن جماعة من مماليكه بمدرسة السلطان حسن وبمدرسة الملك الأشرف شعبان ويجعل في كل مدرسة مائة مملوك.

ثم أعطى أينبك لولديه تقدمتي ألف وهما الأمير أحمد وأبو بكر.

ثم نفى أرغون العثماني إلى الشام بطالًا.

وخلع على فقبل الدوادار الطواشي الرومي واستقر زمامًا بالآدر الشريفة عوضًا عن مثقال الجمالي.

ثم خلع على بهادر الجمالي الأستاذار واستقر في نظر البيمارستان المنصوري.

وبينما أينبك في أمره ونهيه ورد عليه الخبر بعصيان نواب الشام.

ففي الحال علق أينبك جاليش السفر في تاسع عشر شهر ربيع الأول المذكور ورسم للعساكر بالتجهيز إلى سفر الشام.

وأسرع بالنفقة على العساكر وتجهز في أسرع وقت.

وخرج الجاليش من القاهرة إلى الريدانية في سادس عشر شهر ربيع الأول المذكور وهم خمسة من أمراء الألوفا أولهم: قطلوخجا الأمير آخور الكبير أخو أينبك الأتابك وأحمد ولده وبلغا الناصري والأمير بلاط السيفي الجاي وتمر باي الحسني.

ومن الطبلخانات: بوري الأحمدي وأقبا آص الشيخوني في آخرين ومائة مملوك من المماليك السلطانية ومائة مملوك من مماليك الأتابك أينبك.

وفي تاسع عشرين شهر ربيع الأول المذكور من سنة تسع وسبعين وسبعمئة خرج طلب السلطان الملك المنصور وطلب الأتابك أئنيك البدرى وأطلاب بقية العساكر من الأمراء وغيرهم إلى الريدانية فأقاموا بالريدانية إلى يوم السبت مستهل شهر ربيع الآخر.

ثم استقلوا بالمسير قاصدين البلاد الشامية وساروا حتى وصلوا بلبيس ثم رجعوا على أعقابهم بالعساكر إلى جهة الديار المصرية.

وخبر ذلك أن قطلوخجا أبا أئنيك مقدم الجاليش بلغه أن الجماعة الذين معه مخامرون وأنهم أرادوا أن يكبسوا عليه.

فاستقص الخبر حتى تحققه فركب من وقته وساعته وهرب في الحال وهو في ثلاثة أنفس عائداً إلى أخيه أئنيك فاجتمع به وعرفه الخبر.

ففي الحال أخذ أئنيك السلطان ورجع به إلى نحو القاهرة حتى وصلها في يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الآخر وطلع به إلى قلعة الجبل وأنزل الأتابك أئنيك السلطان الملك المنصور إلى الإسطبل السلطاني وجاءه بعض أمراء من أصحابه.

ثم أخذ أئنيك في إصلاح أمره.

وبينما هو في فلك بلغه أن الأمير قطلقتمر العلائي الطويل والأمير أطنبغا السلطاني وكانا رجعا معه من بلبيس ركبا بجماعتهما في نصف الليل ومعهما عدة من الأمراء وسائر المماليك السلطانية وخرج الجميع إلى قبة النصر موافقة لمن كان من الأمراء بالجاليش المقدم ذكره.

فجهز أئنيك الأمير قطلوخجا في مائتي مملوك لقتال هؤلاء فخرج بهم قطلوخجا إلى قبة النصر فتلقاه القوم وحملوا عليه فاكسر ومسك فلما بلغ أئنيك ذلك جهز الأمراء الذين كانوا بقلعة الجبل وأرسلهم إلى قبة النصر وهم: أقتمر من عبد الغني نائب السلطنة وأيدمر الشمسي وبهادر الجمالي الأستاذار ومبارك الطازي.

هذا وقد ضعف أمر أئنيك المذكور وخارت قواه فإنه بلغه أن جميع العساكر اتفقت على مخالفته حتى إنه لم يعلم من هو القائم بهذا الأمر لكثرة من خرج عليه.

فلما رأى أمره في إديار ركب فرسه ونزل من الإسطبل السلطاني من غير قتال وهرب إلى ناحية كيما مصر.

فتبعه أيذمر الخطائي وجماعة من العسكر فلم يقف له أحد على أثر.

كل هذا وإلى الآن لم يجتمع مع بالجاليش مع من هو بقبة النصر من الأمراء غير أن الفتنة قائمة على ساق والغوغاء تائرة والسعد قد زال عنه من غير تدبير ولا عمل.

واختفى أئنيك بتلك الجهة ثم وجدوا فرسه وقباءه ولبسه.

ولما استولت الأمراء على القلعة - على ما سنحكيه إن شاء الله تعالى بعد أن نذكر قتلة أئنيك المذكور - ألزموا والي القاهرة ومصر بإحضاره فنودي عليه بالقاهرة ومصر وهدد من أخفاه بأنواع النكال فخاف كل أحد على نفسه من تقريره.

فلم يجد أينبك بدًا من طلب الأمان من الأمير يلغا الناصري الآتي ذكره فأمنه بعد مدة فطلع أينبك إليه.

فحال وقع بصر القوم عليه قبضوه وأرسلوه مقيدًا إلى سجن الإسكندرية وكان ذلك آخر العهد به كما سيأتي ذكره بعد استيلاء الأمراء على القلعة.

قلت: وكما تدين تدان.

وما من ظالم إلا سيلى بظالم.

وفي أينبك هذا يقول الأديب شهاب الدين بن العطار: المنسرح من بعد عز قد ذل أينبكا وانحط بعد السمو من فتكا وراح يبكي الدماء منفردا والناس لا يعرفون أين بكى وأما الأمراء فإنهم لما بلغهم هروب أينبك من قلعة الجبل ركبوا الجميع من قبة النصر وطلعوا إلى الإسطبل السلطاني من القلعة وصار المتحدث فيهم قطلقتمر العلائي الطويل وضرب رنكه على إسطبل شيخون بالرميلة تجاه باب السلسلة وأقام ذلك اليوم متحدًا فأشار عليه من عنده من أصحابه أن يسلمن سلطانًا كبيرًا يرجع الناس إلى أمره ونهيه فلم يفعله وقال: حتى يأتي إخواننا يعني الأمراء الذين كانوا بالجاليش مع قطلوبغا وهم الذين ذكرناهم فيما تقدم عند خروج الجاليش ومعهم من الأمراء الطبلخانات والعشرات جماعة منهم: برقوق العثماني اليلغاوي وبركة الجوباني اليلغاوي.

وكان أينبك قد أنعم على كل واحد منهما بإمرة طبلخاناه بعد واقعة قرطاي دفعة واحدة من الجندية قبل خروج السفر بأيام قليلة.

وهذا أول ظهور برقوق وبركة في الدول.

ثم حضرت الأمراء الذين كانوا بالجاليش إلى الإسطبل السلطاني وهم جمع كبير ممن أنشأه أينبك وغيرهم وتكلموا فيمن يكون إليه تدبير الملك واشتوروا في ذلك فاختلوا في الكلام.

وظهر للقادمين الغدر ممن كان بالإسطبل السلطاني ممن ذكرناه فقبضوا على جماعة منهم وهم: قطلقتمر العلائي الطويل المذكور الذي كان دبر الأمر لنفسه وألطنبغا السلطاني ومبارك الطازي في آخرين وقيدوا الجميع وأرسلوا إلى الإسكندرية صحبة جمال الدين عبد الله بن بكتمر الحاجب.

واتفقوا على أن يكون المتكلم في المملكة الأمير يلغا الناصري فصار هو المتحدث في أحوال الملك وسكن الإسطبل السلطاني وأرسل بإحضار الأمير طشتمر العلائي الدوادر نائب الشام.

ثم في يوم الأحد تاسع شهر ربيع الآخر لما تزايد الفحص على أينبك حضر أينبك بنفسه إلى عند الأمير بلاط فطلع به بلاط إلى يلغا الناصري بعد أن أخذ له منه الأمان حسب ما تقدم ذكره.

ولم تطل أيام يلغا الناصري في التحدث وظهر منه لين جنب.

فاتفق برقوق وبركة - وهما حينذاك من أمراء الطبلخانات لهما فيها دون الشهرين - مع جماعة آخر وركبوا في سادس عشر شهر ربيع الآخر المذكور وركبت معهم خشداشيتهم من المماليك اليلغاوية ومسكوا دمرداش اليوسفي وتمرباي الحسنبي وأقبغا أص

الشيخوني وقطلوبغا الشعباني ودمرداش التمان تمري المعلم وأسندمر العثماني وأسنبغا تلكى وقيدوا وأرسلوا إلى سجن الإسكندرية فسجنوا بها.

وقد أضربنا عن أشياء كثيرة من وقائع هذه الأيام لاختلاف نقول الناس فيها لأن غالب من وثب وأثار الفتنة من واقعة الملك الأشرف شعبان إلى هذه الأيام كان فيما قيل في العام الماضي إما جنديًا وإما أمير عشرة لا يعرف من أحواله إلا القليل.

وأيضًا لم يكن في هذه الواقعة رجل عظيم له شأن قام بأمر وتبعته الناس بل كل واقعة من هؤلاء تكون فيها جماعة كبيرة كل منهم يقول: أنا ذاك ولهذا اختلفت النقول.

وقد ذكرنا المقصود من ذلك كله وما فيه كفاية.

إن شاء الله تعالى.

ولنشرع الآن في سياق ما وقع في أيام الملك المنصور إلى أن يتوفى إلى رحمة الله تعالى فنقول: ثم في النهار المذكور - أعني اليوم الذي مسك فيه الأمراء - قبض أيضًا على الطواشي مختار الحسامي مقدم المماليك السلطانية وحبس بالبرج من القلعة ثم أفرج عنه بعد أيام قلائل وأعيد إلى مقدمة المماليك على عادته.

ثم بعد مدة يسيرة استقر برقوق العثماني اليلبغاوي أمير آخور كبيرًا دفعة واحدة وسكن بالإسطنبول السلطاني وأنزل معه الأمير يلبغا الناصري.

واستقر الأمير زين الدين بركة الجوباني اليلبغاوي أمير مجلس.

ثم حضر الأمير طشتمر الدوادر نائب الشام إلى الديار المصرية بطلب من يلبغا الناصري لما كان متحدثًا في أمور المملكة فخرج السلطان الملك المنصور وسائر الأمراء لتلقيه إلى الريدانية خارج القاهرة.

فلما رأى السلطان نزل عن فرسه وقبل الأرض بين يديه وبكى وطلع في خدمة السلطان إلى القلعة وخلع عليه باستقراره أتاك العساكر بالديار المصرية.

وحضر مع طشتمر من الشام الأمير تمرباي التمرتاشي والأمير تغري برمش وسودون الشيخوني - وكان أبنك قد نقله إلى الشام - والأمير طقطمش.

ونزل طشتمر إلى بيت شيخون بالرميلة وسكن به ليحكم بين فلما كان في ثالث جمادى الأولى أمر طشتمر أن ينادى بالقاهرة ومصر من كان له ظلامة فعليه بباب المقر الأشرف طشتمر العلاني.

ثم في خامس جمادى الأولى المذكور أخلع السلطان على تمرباي التمرتاشي باستقراره رأس نوبة كبيرًا عوضًا عن دمرداش اليوسفي.

وخلع على برقوق العثماني باستمراره على وظيفة الأمير آخورية وعلى بركة الجوباني باستمراره في إمرة مجلس.

وأنعم على الأمير أطلمش الأرغوني بتقدمة ألف واستقر دوادرًا كبيرًا.

واستقر يلبغا المنجكي شادًا لشراب خاناه.

ورسم للأمير بلاط أمير سلاح أن يجلس بالإيوان.

ثم استقر دينار الطواشي الناصري لالا السلطان الملك المنصور عوضًا عن مقبل الكلبكي بحكم نفيه.

وفي سلخ جمادى الآخرة عزل الأمير آقتمر عبد الغني من نيابة السلطنة بديار مصر.

ثم استقر الأمير تغري برميش حاجب الحجاب بالقاهرة.

واستقر أمير علي ابن قشتمر حاجبًا ثانيًا بإمرة مائة وتقدمة ألف ويقال له: حاجب ميسرة.

ثم في يوم الأحد ثاني شهر رجب توجه الأمير أيتمش البجاسي إلى الإسكندرية بالإفراج عن جميع من بها من الأمراء المسجونين خلا أربعة أنفس: أئبب وأخوه قطلوخجا وأسندمر الصرغتمشي وقيل جركس الجاولي الرابع وأن أئبب كان قتل.

فلما أحضروا الأمراء من ثم ولي الأمير بيدمر الخوارزمي نيابة الشام بعد موت الأمير آقتمر الصاحبى الحنبلى.

وكان آقتمر أحد من نفي من أكابر الأمراء المشايخ.

وأخلع على مبارك شاه المشطوب بناية غزة.

وفي مستهل شعبان استقر قطلقتمر العلائى نائب ثغر الإسكندرية عوضًا عن خليل بن عرام.

ثم نفي ببغا الطويل العلائى أحد أمراء الطبلخانات إلى الشام بطالًا.

ثم نقل الأمير منكلى بغا الأحمدي البلدى من نيابة طرابلس عوضًا عن أرغون الإسعردى ونقل أرغون الإسعردى إلى نيابة حماة عوضه لأمر اقتضى ذلك.

ونقل الأمير آقبغا الجوهري حاجب حجاب طرابلس إلى نيابة غزة عوضًا عن مبارك العلائى.

ونقل مبارك العلائى عوضه فى حجوبية طرابلس.

ثم أخلع على الأمير صلاح الدين خليل بن عرام المعزول عن نيابة إسكندرية باستقراره وزيرًا بالديار المصرية عوضًا عن القاضى كريم الدين بن الروبهب.

وقبض على ابن الروبهب وصودر.

وفى شوال توجه بلاط أمير سلاح إلى مرابط خيله بالجيزة ليتنزّه هناك فأرسل إليه خلعة بناية طرابلس فأجاب وخرج من القاهرة فرسم له بأن يتوجه إلى القدس بطالًا واستقر عوضه يلبغا الناصري أمير سلاح.

وأخلع على إبنال اليوسفى اليلبغاوى واستقر رأس نوبة ثانيًا بتقدمة ألف عوضًا عن يلبغا الناصري المذكور.

وأُخلع على القاضي بدر الدين محمد ابن القاضي بهاء الدين أبي البقاء السبكي الشافعي قاضي قضاة الديار المصرية عوضًا عن قاضي القضاة برهان الدين ابن جماعة بحكم توجهه إلى القدس بحسب سؤاله على ذلك.

ولما صار الأمر للأتابك طشتمر العلاني الدوادار أخذ في تنفيذ الأمور على القواعد فعظم ذلك على برقوق واتفق مع بركة الجوباني خجداشه ومع جماعة آخر على الركوب على طشتمر.

فلما كان ليلة تاسع ذي الحجة من سنة تسع وسبعين المذكورة ركب برقوق العثماني وخجداشه بركة الجوباني بمن وافقهما من الأمراء وغيرهم وأنزلوا السلطان الملك المنصور بكرة النهار وهو يوم عرفة ودقت الكوسات.

وقصد برقوق مسك طشتمر الأتابك فركبت ممالك طشتمر وخرجوا إليهم وتقاتلوا معهم قتالًا عظيمًا حتى تكاثر جمع برقوق وبركة وقوي أمرهم فحينئذ انكسرت ممالك طشتمر.

وأرسل طشتمر يطلب الأمان فأرسل السلطان إليه مندب الأمان فطلع إلى القلعة فمسك في الحال هو والأمير أطلمش الأرغوني الدوادار وأمير حاج بن مغلطاي ودوادار الأمير طشتمر المذكور وأرسل الجميع إلى سجن الإسكندرية فاعتقلوا بها.

ثم في يوم الاثنين ثالث عشر ذي الحجة استقر برقوق العثماني أتابك العساكر بالديار المصرية عوضًا عن طشتمر العلاني المقدم ذكره.

واستقر بركة الجوباني رأس نوبة كبيرًا أطابكًا - وهذه الوظيفة الآن مفقودة في زماننا - وسكن بركة في بيت قوصون تجاه باب السلسلة.

واستقر الأمير أيتمش البجاسي أمير آخور كبيرًا بتقدمة ألف عوضًا عن برقوق.

واستقر برقوق بسكنه بالإسطنبول السلطاني.

وصار هؤلاء الثلاثة هم نظام الملك وإيهم العقد والحل وبرقوق كبيرهم الذي يرجع إليه والمعول على الاثنين: برقوق وبركة حتى لهجت الناس بقولهم: برقوق وبركة نصبا على الدنيا شبكة.

ثم بعد يومين مسك الأمير يلغا الناصري أمير سلاح وأرسل إلى سجن الإسكندرية ومعه الأمير كشلي أحد أمراء الطبلخانات.

ثم أخرج يلغا الناصري بعد مدة إلى نيابة طرابلس وبلغا الناصري هذا هو صاحب الوقعة مع برقوق الآتي ذكرها في سلطنته إن شاء الله تعالى.

ثم في العشرين من ذي الحجة خلع على الأمير إينال اليوسفي واستقر أمير سلاح عوضًا عن يلغا الناصري.

ثم في مستهل شهر المحرم سنة ثمانين وسبعمئة أنعم على آقتمر العثماني بتقدمة ألف واستقر دوادارًا كبيرًا عوضًا عن أطلمش الأرغوني.

ثم بعد أيام قبض على صراي تمر نائب صفد وسجن بالكرك وأستقر عوضه في نيابة صفد أقبغا الجوهري نائب غزة واستقر عوضه في نيابة غزة مبارك شاه.

ثم في سادس صفر تولى كريم الدين عبد الكريم بن مكانس الوزر والخاص معًا ووكالة بيت المال ونظر الدواوين.

ثم استقر برقوق بالأمير منكلي بغا الأحمدى البلدى نائب طرابلس فى نيابة حلب عوضًا عن إشتقر الماردىنى بحكم عزله بالقبض عليه بمدينة بلبس وسجنه بالإسكندرية.

وقد قدمنا أن إشتقر هذا كان ممن ولى الأعمال الجليلة من سلطنة السلطان حسن وبرقوق يوم ذاك من صغار ممالك يلبغا العمري.

انتهى.

ثم أخرج برقوق يلبغا الناصري وولاه نيابة طرابلس عوضًا عن منكلي بغا الأحمدى البلدى المنتقل إلى نيابة حلب.

ثم بعد مدة يسيرة قبض على منكلي بغا المذكور واعتقل بقلعة حلب وتولى حلب عوضه الأمير تمرباي الأفضلي التمرداشي.

ثم رسم بالإفراج عن إشتقر الماردىنى من سجن الإسكندرية وأن يتوجه إلى القدس بطالاً.

ثم فى هذه الأيام رسم بعزل الأمير بيدمر الخوارزمي عن نيابة الشام بالأمير كمشبغا الحموي اليلبغاوي.

قلت: وبيدمر هذا أيضًا ممن ولى نيابة طرابلس فى أيام يلبغا العمري وغيرها من الأعمال.

وحضر بيدمر إلى القاهرة وقبض عليه واعتقل بسجن الإسكندرية.

ثم استقر الأمير قرا دمرداش الجوباني اليلبغاوي رأس نوبة ثانيًا بتقدمة ألف وهذه الوظيفة هي الآن وظيفة رأس نوبة النوب.

واستقر الأمير بزلا العمري الناصري نائب إسكندرية عوضًا عن الأمير قطلتقر بتقدمة ألف.

واستقر منكلي بغا الطرخاني نائب الكرك عوضًا عن تمرز الطازي.

واستقر خليل بن عرام المعزول عن نيابة إسكندرية وعن الوزر - وهو يومئذ من جملة أمراء الألوفا - أستاذار بركة الجوباني وهذا شيء لم يسمع بمثله كون أمير مائة ومقدم ألف يكون أستاذارًا عند بعض أعيان الأمراء فهذا شيء عجيب.

ثم استقر الأمير بركة الجوباني ناظر الأوقاف الحكمية جميعها وجعل نائبه فى النظر جمال الدين محمود العجمي الحنفي.

ثم استعفى الأمير تغري برمش من الإمرة والحجوية الكبرى بديار مصر فأعفى فاستقر عوضه الأمير مأمور القلمطاوي اليلبغاوي أمير مائة ومقدم ألف وحاجب الحجاب.

وفي هذه الأيام اتفق جماعة علي قتل الأتابك برقوق العثماني ففطن بهم فمسك منهم جماعة منهم طشبيغا الخاصكي وأقبغا بشمقدار الجاي وأقبغا أمير آخور الجاي في آخرين تقدير أربعين نفسًا فنفى برقوق بعضهم وحبس البعض.

ثم أمسك برقوق الطنبغا شادي وجماعة من مماليك الجاي اليوسفي ثم أمسك بعد ذلك بمدة سبعة عشر أميرًا وقيدهم وأرسلهم إلى الإسكندرية.

ثم في حادي عشرين شهر ربيع الأول سفر برقوق آقبغا البشمقدار ومعه أحد عشر مملوكًا من المماليك السلطانية وعشرين من مماليك طشتمر الدوادر لكلام صدر منهم في حق برقوق.

وفي أول هذه السنة - أعني سنة ثمانين - كان الحريق العظيم بديار مصر بظاهر باب زويلة: احترق فيه الفاكهيون أو النقليون والبرادعيون وعمل الحريق إلى سور القاهرة.

فركب الأمير بركة والأمير أيتمش والأمير قرا دمرداش الأحمدى وجماعة كبيرة من الأمراء والحكام حتى قدروا على طفيه بعد أيام.

واستمر موضع الحريق خرابًا من أول هذه السنة إلى آخرها.

ثم في سادس عشرين ذي القعدة اجتمع الأمراء والقضاة عند الأتابك برقوق وقالوا: إن العساكر قلت في الإسلام ونريد أن نحل الأوقاف المحدثه بعد الملك الناصر محمد بن قلاوون فمنعهم الشيخ سراج الدين البلقني من ذلك فلم يسمعوا له وحلوا أوقاف الناس وجعلوها إقطاعات وفرقوها.

وفي مستهل شهر ربيع الآخر من سنة إحدى وثمانين وسبعمئة طلب اشقتمر المارديني من القدس إلى القاهرة فحضر في أول جمادى الأولى وتولى نيابة حلب بعد عزل تمرباي الأفضلي التمرداشي.

ولما حضر اشقتمر إلى القاهرة تلقاه الأتابك برقوق والأمير بركة إلى الحوض التحتاني من الريدانية وترجلا له عن خيولهما وأنزله برقوق عنده وخدمه أتم خدمة.

ثم عزل الأمير كمشبيغا الحموي اليلبغاوي عن نيابة دمشق وتولى عوضه بيدمر الخوارزمي على عادته وكان بيدمر معتقلا بالإسكندرية.

وخبر هذه الواقعة أنه لما كان في يوم رابع عشرين شعبان ركب الأتابك برقوق من الإسطبل السلطاني في حواشيه ومماليكه للتسيير على عادته وكان الأمير بركة الجوباني مسافرًا بالبحيرة للصيد فلما بلغ إينال اليوسفي أمير سلاح ركوب برقوق من الإسطبل السلطاني انتهز الفرصة لركوب برقوق وغيبة بركة وركب بمماليكه وهجم الإسطبل السلطاني وملكه ومسك الأمير جركس الخليلي.

وكان مع إينال المذكور جماعة من الأمراء: منهم سودون جركس المنجكي أمير آخور والأمير صصلان الجمالي وسودون النوروزي وجمق الناصري وقماري وجماعة آخر.

ولما طلع إينال إلى باب السلسلة وملكها أرسل الأمير قماري لينزل بالسلطان الملك المنصور إلى الإسطبل فأبى السلطان من نزوله ومنعه.

ثم كبس إينال زردخاناه برقوق وأخرج منها اللبوس وآلة الحرب وأخذ ممالك برقوق الذين كانوا وافقوه وألبسهم السلاح وأوقفهم معه وأوعدهم بمال كبير وإمريات.

وبلغ برقوقًا الخبر فعاد مسرعًا وجاء إلى بيت الأمير أيتمش البجاسي بالقرب من باب الوزير وألبس ممالكه هناك وجاءه جماعة من أصحابه فطلع بالجميع إلى تحت القلعة وواقعوا إينال اليوسفي.

وأرسل برقوق الأمير قرط في جماعة إلى باب السلسلة الذي من جهة باب المدرج فأحرقه ثم تسلق قرط المذكور من عند باب سر قلعة الجبل ونزل ففتح لأصحابه الباب المتصل إلى الإسطبل السلطاني فدخلت أصحاب برقوق منه وقاتلت إينال وصار برقوق بمن معه يقاتل من الرميعة فانكسر إينال ونزل إلى بيته جريحًا من سهم أصابه في رقبته من بعض ممالك برقوق.

وطلع برقوق إلى الإسطبل وملكه وأرسل إلى إينال من أحضره فلما حضر قبض عليه وحبسه بالزردخاناه وقرره بالليل فأقر أنه ما كان قصده إلا مسك بركة لا غير.

ثم أن برقوق مسك جماعة من الأمراء وغيرهم من أصحاب إينال اليوسفي ما خلا سودون النوروزي.

جمق الناصري وشخصًا جنديًا يسمى أربك - كان يدعي أنه من أقارب برقوق.

ثم حمل إينال في تلك الليلة إلى سجن الإسكندرية ومعه سودون جركس.

ثم أخذ برقوق في القبض على ممالك إينال اليوسفي ونودي عليهم بالقاهرة ومصر.

وفي هذه الواقعة يقول الأديب شهاب الدين أحمد ابن العطار: الرجز ما بال إينال أتى في مثل هذي الحركة مع علمه بأنها خالية من بركه وله أيضًا - عفا الله عنه: السريع قد ألبس الله برقوق المهابة في نهار الاثنين من نصر وتمكين وراح إينال مع سودون وانكسرا وكان يومًا عسيرًا يوم الاثنين وله - عفا الله عنه: الوافر ومد لأخذ برقوق يديه ولم يعلم بأن الخوخ أسفل ثم في الثامن والعشرين من شعبان حضر الأمير بركة من السرحة فركب الأتابك برقوق وتلقاه من السحر وأعلمه بما وقع من إينال اليوسفي في حقه.

ثم اتفقا على طلب الأمير يلغا الناصري من نيابة طرابلس فحضر وأنعم عليه باقطاع إينال اليوسفي ووظيفته إمرة سلاح وكانت وظيفة يلغا قبل إينال.

وتولى مكانه في نيابة طرابلس منكلي بغا الأحمدى البلدي.

ثم استقر بلوط الصرغتمشي في نيابة الإسكندرية بعد عزل بزلاز عنها ونفيه إلى الشام بطالًا.

ثم نقل حطط من نيابة أبلستين إلى نيابة حماة عوضًا عن أرغون الإسعردى.

ثم استقر قرط في نيابة الوجه القبلي إلى أسوان.

ثم أمسك برقوق مثقال الجمالي الزمام وسأله عن ذخائر الملك الأشرف شعبان فأنكر ففرض عليه العقوبة فأقر بصندوق داخل الدار السلطانية فأرسله ومعه خادمان فأتى بالصندوق وفيه ثلاثون ألف دينار.

ثم قرره فأخرج من قاعة المجدي ذخيرة فيها خمسة عشر ألف دينار وبرنية فيها فصوص منها فص عين هر زنته ستة عشر درهماً.

ثم بعده إلى الأمير بركة فعصره فلم يعترف بشيء.

ثم وجدوا عند دادة الملك الأشرف أوراقاً فيها دفتر بخط الملك الأشرف فيه كل شيء ادخره مفصلاً فوجدوا الذخائر كلها قد أخذت ولم يتأخر إلا عند طشتمر الدوادار ذخيرة فيها خمسة عشر ألف دينار وعلبة فصوص وعلبة لؤلؤ وما وجدوا في ذلك اسم منقال المذكور فأفرج عنه.

وفي هذه السنة وجه الأمير بركة دواداره سودون باشا إلى الحجاز الشريف لإجراء الماء إلى عرفة.

وكان في أوائل هذه السنة برز المرسوم الشريف بأن يعمل على قنطرة فم الخور التي عند موردة الجبس سلسلة تمنع المراكب من الدخول إلى الخليج وإلى بركة الرطلي فعمل شعراء العصر في ذلك أبياتاً منها قول بدر الدين ابن الشامية أحد صوفية الخانقاة الركنية ببيرس: البسيط يا سادة فعلهم جميل وما لهم في الوري وحاشه سلسلتم البحر لا لذنب وأرسلتمو للحجاز باشه قلت: لم تصح التورية معه في قوله باشه لعدم معرفته باللغة التركية لأن اسم باشا بالتفخيم والألف وباشه مرققة وفي آخرها هاء وبينهما بون في اللفظ.

وكثير مثل هذا يقع للشعراء من أولاد العرب فيأخذون المعاني الصالحة فيجعلونها هجواً مثل لفظة نكريش وغيرها لأن نكريش باللغة العجمية معناه: جيد اللحية فاستعملوها الشعراء في باب الهجو وكثير مثل هذا.

وقد أوضحنا ذلك في مصنف بينا فيه تحاريف أولاد العرب في الأسماء التركية وغيرها.

وقال الأديب عبد العال البغدادي في المعنى: مخلع البسيط من رام من دهرنا عجباً فلينظر المطلق المسلسل وقال غيره: مخلع البسيط قد أطلقوا البحر من فسوق مذ سلسلوا منه خير جدول ورق قلب الهوى عليه فحبذا نهره المسلسل وفي هذه السنة كانت بالديار المصرية واقعة غريبة من كلام الحائط.

وخبره أن في أوائل شهر رجب من هذه السنة ظهر كلام شخص من حائط في بيت العدل شهاب الدين أحمد الفيشي الحنفي بالقرب من الجامع الأزهر فصار كل من يأتي إلى الحائط المذكور ويسأله عن شيء يرد عليه الجواب ويكلمه بكلام فصيح فجاءته الناس أفواجاً وترددت إلى الحائط المذكور أكابر الدولة وتكلموا معه.

وافتن الناس بذلك المكان وتركوا معاشهم وازدحموا على الدار المذكورة.

وأكثر أرباب العقول الفحص عن ذلك فلم يقفوا له على خبر وتحير الناس في هذا الأمر العجيب إلى أن حضر إلى البيت المذكور القاضي جمال الدين محمود القيصري العجمي محتسب القاهرة وبحص عن أمره بكل ما يمكن القدرة إليه حتى إنه أخرج بعض الحائط فلم يؤثر ذلك شيئاً واستمر الكلام في كل يوم إلى ثالث شعبان وقد كادت العامة أن تتعبد بالمكان المذكور.

وأكثروا من قولهم: يا سلام سلم الحيطه بتكلم.

وخاف أهل الدولة من إفساد الحال وقد أعياهم أمر ذلك حتى ظهر أن الذي كان يتكلم هي زوجة صاحب المنزل فأعلم بذلك الأتابك برقوق فاستدعى بها مع زوجها فحضرا فأنكرت المرأة فضربها فأقرت.

فأمر بتسميرها وتسمير شخص آخر معها يسمى عمر وهو الذي كان يجمع الناس إليها بعد أن ضرب برقوق الزوج وعمر المذكور بالمقارع وطيف بهما في مصر والقاهرة.

ثم أفرج عنهم بعد أن حبسوا مدة.

وفي ذلك يقول الشيخ شهاب الدين بن العطار: البسيط يا ناطقًا من جدار وهو ليس يرى اظهر وإلا فهذا الفعل فتان لم تسمع الناس للحيطان ألسنة وإنما قيل للحيطان أذان وقال غيره: البسيط قد حار في منزل الفيثي الوري عجبًا بناطق من جدار ظل مديه وكلهم في حديد بارد ضربوا وصاحب البيت أثرى بالذي فيه وفي هذه السنة أمر الأمير بركة بنقل الكلاب إلى بر الجيزة وكانت قد كثرت إلى الغاية في الأزقة والشوارع وقرر على كل أمير شيئًا معينًا وعلى أصحاب الدكاكين على كل صاحب دكان كلبًا.

فتتبع الناس الكلاب حتى أبيع كل كلب بدرهم.

فأخذ بركة جميع الكلاب ونفاها إلى بر الجيزة.

وفي

▲ **يوم الأربعاء سابع صفر من سنة اثنتين وثمانين وسبعمئة**

كان ابتداء الفتنة بين الأتابك برقوق وبين خداشه بركة الجوباني.

وهو أن بركة أرسل يقول إلى برقوق في اليوم المذكور: إن أيتمش البجاسي لابس آلة الحرب هو ومماليكه بإسطبله فأرسل برقوق إلى أيتمش في الحال فلم يجد الأمر صحيحًا.

ثم طلع أيتمش إلى برقوق وأقام عنده.

وترددت الرسل بين برقوق وبركة والذي كان الرسول بينهما العلامة أكمل الذين محمد الحنفي شيخ الشيوخ بالشيخونية - أراد بذلك إخماد الفتنة - والشيخ أمين الدين الحلواني.

ولا زالا بهما حتى أوقعا الصلح بينهما ورضي بركة على أيتمش البجاسي وخلع عليه قباء نخ عند نزوله إليه بأمر برقوق صحبة الشيخين المذكورين.

ثم فسد ما بينهما أيضا بعد اثني عشر يومًا في ليلة الجمعة تاسع عشر صفر وبات تلك الليلة كل أمير من أمراء مصر ملبسًا بمماليكه في إسطبله.

وسببه أن بركة أراد أن يمسك جماعة من الأمراء ممن هو من ألزام برقوق فأصبح نهار الجمعة والأمراء لابسون السلاح.

ولما وقع ذلك طلب برقوق القضاة إلى القلعة ليرشد السلطان الملك المنصور وقاد لهم: نرشد السلطان فيتكلم في أمور مملكته وأنكف أنا وغيري من التكلم.

وأنا مملوك من حملة مماليك السلطان فتكلم القضاة بينه وبين الأمير بركة وترددوا في الرسلية غير مرة إلى أن أذعن كل منهما إلى الصلح وتحالفا على ذلك واصطلاحا.

وأصبحت الأمراء من الغد ركبوا إلى الميدان ولعبوا بالكرة وخلع بركة على أيتمش ثانيًا. واستقر الصلح وخلع برقوق على القضاة الأربعة والتزم بركة أنه لا يتحدث في شيء من أمور المملكة البتة.

واستمر الأمراء على ذلك إلى يوم الاثنين سابع شهر ربيع الأول ركبت الأمراء وسيروا بناحية قبة النصر.

ورجعوا وطلع برقوق إلى الإسطبل السلطاني حيث سكنه وذهب بركة إلى بيته.

وكان برقوق قد ولد له ولد ذكر وعمل سماطًا للناس.

وطلع إليه الأمير صراي الرجبي الطويل وكان من إخوه بركة وقال لبرقوق: إن بركة وحاشيته قد اتفقوا على قتلك: إذا دخلت يوم الجمعة إلى الصلاة هجموا عليك وقتلوك فبقي برقوق متفكرًا في ذلك متحيرًا لا يشك فيما أخبره صراي لصحبته مع بركة.

وبينما برقوق في ذلك إذ طلع إليه الأمير قرادمر داش الأحمدي اليلغاوي أمير مجلس وطيج المحمدي واقتمر العثماني الدوادر الكبير - وهم من أعيان أصحاب بركة - وهنؤوه بالولد وأكلوا السماط.

فلما فرغوا طلب برقوق الأمير جركس الخليلي ويونس الدوادر وأمرهما بمسك هؤلاء الثلاثة ومن معهم فمسكوا في الحال.

ثم أمر برقوق حواشيه بلبس السلاح فلبسوا.

ونزل بزوار الناصري من وقته غارة إلى مدرسة السلطان حسن مع مماليكه وطلع إليها وأغلق بابها وصعد إلى سطحها ومآذنها ورمى بالنشاب على بركة في إسطبله الملاصق للمدرسة المذكورة وهو بيت قوصون تجاه باب السلسلة.

فلما رأى بركة ذلك أمر مماليكه وأصحابه بلبس السلاح فلبسوا.

وناس برقوق في الحال للعادة تنهب بيت بركة فتجمعوا في الحال وأحرقوا بابه.

ولم يتمكن بركة من قتالهم من عظم الرمي عليه من أعلى سطوح المدرسة فخرج من بابه الذي بالشارع الأعظم المتصل إلى صليبة ابن طولون وخرج معه سائر أصحابه ومماليكه وترك ماله بالبيت ودخل من باب زويلة وأخذ والي القاهرة معه إلى باب الفتوح ففتحه له: فإنه كان أغلق عند قيام الفتنة مع جملة أبواب القاهرة.

وسار بركة بمن معه من الأمراء والمماليك إلى قبة النصر خارج القاهرة فأقام بها ذلك اليوم في مخيمه ثم أخرج طائفة من عساكره إلى جهة القلعة فتوجهوا يريدون القلعة فندب برقوق لقتالهم جماعة في أصحابه فنزلوا إليهم وقتلوهم قتالًا شديدًا قتل فيه من كل طائفة جماعة.

ثم رجعت كل طائفة إلى أميرها وباتوا تلك الليلة.

فلما أصبح نهار الثلاثاء ثامن شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة ندب برقوق لقتال بركة الأمير علان الشعباني وأيتمش الجاسي وقرط الكاشف في جماعة كبيرة من الأمراء والمماليك وتوجهوا إلى قبة النصر فبرز لهم من أصحاب بركة الأمير يلغا الناصري أمير سلاح بجماعة كبيرة والتقوا وتصادموا صدمة هائلة انكسر فيها يلغا الناصري بمن معه وانهزم إلى جهة قبة النصر.

فلما رأى الأمير بركة انهزام عسكره ركب بنفسه وصدّمهم صدمة صادقة وكان من الشجعان كسرهم فيها أفبح كسرة وتتبعهم إلى داخل التراب ثم عاد إلى مخيمه.

وطلع أصحاب برقوق إلى باب السلسلة في حالة غير مرضية وباتوا تلك الليلة.

فلما أصبح نهار الأربعاء تاسع شهر ربيع الأول المذكور أنزل برقوق السلطان الملك المنصور إلى عنده بالإسطنبول السلطاني ونادى للمماليك السلطانية بالحضور فحضروا.

فأخرج جماعة كبيرة من الأمراء ومعهم المماليك السلطانية وندبهم لقتال بركة.

ودقت الكوسات بقلعة الجبل حربية.

هذا وقد جهز بركة أيضًا جماعة كبيرة أيضًا من أصحابه لملتقى من ندبه برقوق لقتاله.

وسار كل من الفريقين إلى الآخر حتى تواجهها على بعد فلم يتقدم أحد من العسكرين إلى غريمه.

فلما كان بعد الظهر بعث الأمير بركة أمير آخوره سيف الدين طغاي يقول لبرقوق: ما هذا العمل هكذا كان الاتفاق بيننا فقال برقوق: هكذا وقع.

قل لأستاذك يتوجه نائبًا في أي بلد شاء.

فرجع أمير آخور بركة إليه بهذا القول فلم يوافق بركة على خروجه من مصر أصلًا.

فلما أبس منه أمير آخوره قال له إن كان ولا بد فهذا الوقت وقت القيلولة والناس مقيلة فهذا وقتك فركب بركة بأصحابه ومماليكه من وقته وساقوا فرقتين: فرقة من الطريق المعتادة وفرقة من طريق الجبل.

وكان بركة في الفرقة التي بطريق الجبل وبلغ برقوقًا ذلك فأرسل الأمراء والمماليك في الوقت لملتقاه.

فلما أقبل بركة هرب أكثر عساكر برقوق ولم يثبت إلا الأمير علان الشعباني في نحو مائة مملوك والتقى مع بركة.

وكان يلغا الناصري بمن معه من أصحاب بركة توجه من الطريق المعتادة فالتقاه أيتمش الجاسي بجماعة وكسره وضربه بالطير وأخذ جاليشه وطبلخاناته ورجع مكسورًا بعد أن وقع بينهم وقعة هائلة جرح فيها من الطائفتين خلائق.

وأما بركة فإنه لما التقى مع علان صدمه علان صدمة تقنطر فيها عن فرسه وركب غيره.

فلما تقنطر انهزم عنه أصحابه فصار في قلة فثبت ساعة جيدة ثم انكسر وانهزم إلى جهة قبة النصر وأقام به إلى نصف الليل فلم يجسر أحد من البرقوقية على التوجه إليه وأخذه.

فلما كانت نصف ليلة الخميس المذكورة رأى بركة أصحابه في قلة وقد خل عنه أكثر مماليكه وحواشيه وهرب من قبة النصر هو والأمير أقبغا صيوان إلى جامع المقسي خارج القاهرة فغمز عليه في مكانه فمسك هو وأقبغا المذكور من هناك وطلع بهما إلى برقوق.

وتتبع برقوق أصحاب بركة ومماليكه فمسك منه جماعة كبيرة حسب ما يأتي ذكره مع من مسك مع بركة من الأمراء.

وبقيت القاهرة ثلاثة أيام مغلقة والناس في وجل بسبب الفتنة فنادى برقوق عند ذلك بالأمان والاطمئنان.

وفي واقعة بركة يقول طاهر بن حبيب: الرجز وقبحها من فتنة فيها زوال بركه وعظم كسرة بركة ومسكه على الناس لأنه كان محبباً للرعية وفيه كرم وحشمة وكان أكثر ميل الناس إليه.

ولما كان عشية ليلة الخميس المذكورة أخذ برقوق خدائشه بركة وقيده وأرسله إلى سجن الإسكندرية فحبس به صحبة الأمير قردم الحسنى ومعه جماعة في القيود من أصحابه الأمراء وهم: الأمير قرادمرداش الأحمدى أمير مجلس المقبوض عليه قبل واقعة بركة وأقتمر العثماني الدوادار وأمير آخر.

ثم أخذ برقوق في القبض على الأمراء من أصحاب بركة فمسك جماعة كبيرة وهم: أيدمر الخطائي وخضر - بضم الخاء المعجمة وفتح الصاد المعجمة وراء ساكنة - وقراكسك وأمير حاج بن مغلطاي وسودون باشا وبلغا المنجكي وقرابلط وقرابغا أبو بكرى وتمريغا السيفي تمرباي وإلياس الماجري وتمريغا الشمسي ويوسف بن شادي وقطلبك النظامي وأقبغا صيوان الصالحي وكزل القرمي وطولو تمر الأحمدى وطوجى الحسينى وتنكر العثماني وقطلو بغا السيفي وغريب الأشرفي وكمجي وألطنبغا الأرغوني وبلغا الناصري رفيق منطاش الأتي ذكرهما وأطلمش الطازي وتمرقيا.

فأرسل منهم برقوق في ليلة الأحد ثاني عشر ربيع الأول جماعة إلى الإسكندرية صحبة الأمير سودون الشيخوني وهم: يلبغا الناصري وهو أكبر الجماعة وطبج المحمدى وبلغا المنجكي وأطلمش الطازي وقرابلط وتمرقيا السيفي تمرباي وإلياس وقرابغا.

ثم عرض برقوق مماليك بركة فأخذ أكابره في خدمته وكذلك فعل بمماليك يلبغا الناصري.

ثم أمسك أرسلان الأشرفي دوادار بركة.

ثم أفرج برقوق عن ستة أمراء ممن أمسكهم.

ثم أنعم برقوق على جماعة من أصحابه بتقادم ألوف: فأنعم على ولده محمد بن برقوق بإقطاع بركة بتمامه وكماله ثم أنعم على أربعة آخر بتقادم ألوف وهم: جركس الخليلى ويزلار العمري الناصري وألطنبغا المعلم وألبغا العثماني.

وأنعم على أطلمش الطازي أحد أصحاب بركة بإمرة طبلخانة بالشام.

ثم في يوم الخميس ثامن شهر ربيع الأول المذكور أنعم على جماعة بإمرة طبلخانات وهم: أقبغا الناصري وتنكز بغا السيفي وطوجي وفارس الصرغتمشي وكمشبغا الأشرفي الخاصكي وقطلوبغا السيفي كوكاي وتمريغا المنجكي وسودون باق السيفي تمرباي وإياس الصرغتمشي وأنعم على جماعة بإمرة عشرات وهم: قووصون الأشرفي وبيرس التمان تمرى وطغا الكريمي وبيرم العلائي وأقبغا اللاجيني.

ثم في حادي عشرين شهر ربيع الأول المذكور أخلع برقوق على جماعة من الأمراء بوظائف فاستقر أيتمش البجاسي رأس نوبة كبير أطابكًا عوضًا عن بركة - وهذه الوظيفة بطلت من أيام الملك الناصر فرج - واستقر علان الشعباني أمير سلاح عوضًا عن يلغا الناصري واستقر الطنبغا الجوباني أمير مجلس عوضًا عن قرادمرداش الأحمدي واستقر الألبغا العثماني دوادارًا عوضًا عن أقتمر العثماني واستقر الطنبغا المعلم رأس نوبة ثاني بتقدمة ألف - أعني رأس نوبة النوب - واستقر جركس الخليلي أمير آخور كبيرًا واستقر قرابغا الأبو بكري حاجبًا واستقر بجمان المحمدي من جملة رؤوس النوب واستقر كمشبغا الأشرفي الخاصكي شاد الشراب خاناه فصار أرباب الدولة كلهم جراكسة من أتباع الأمير الكبير برقوق.

وفي ثاني عشرينه استقر الأمير صلاح الدين خليل بن عرام نائب إسكندرية عوضًا عن بلوط الصرغتمشي فتوجه ابن عرام إلى الإسكندرية.

ثم عاد إلى القاهرة بعد مدة يسيرة وشكا من الأمير بركة فأوصاه برقوق به في الظاهر وسيره إلى الإسكندرية ثانيًا.

ثم أمسك برقوق الأمير بيدمر الخوارزمي نائب الشام وأمسك معه جماعة من أصحابه من الأمراء.

وكان بيدمر من حزب بركة وخرج عن طاعة برقوق فولى برقوق عوضه الأمير اشقتمر المارديني نائب حلب.

وتولى نيابة حلب بعد اشقتمر منكلي بغا الأحمدي البلدي نائب طرابلس.

ثم في آخر جمادى الأولى أفرج برقوق عن جماعة الأمراء المسجونين بثغر الإسكندرية ما خلا أربعة أنفس وهم: بركة وبلغا الناصري وقرادمرداش الأحمدي وبيدمر الخوارزمي نائب الشام.

وحضرت البقية إلى القاهرة فأخرج بعضهم إلى الشام ونفي بعضهم إلى قوص.

ثم في شعبان باست الأمراء الأرض للسلطان الملك المنصور علي وسألوه الإفراج عن المسجونين بالإسكندرية وذلك بتدبير برقوق فرسم السلطان بالإفراج عنهم وهم: بيدمر الخوارزمي وبلغا الناصري وقرادمرداش الأحمدي.

ولم يبق بسجن الإسكندرية فمن مسك من الأعيان في واقعة بركة غير المذكور ومات في شهر رجب على ما يأتي ذكره بعد أن نحكي قدوم أنص والد الأتابك برقوق من بلاد الجركس ولما حضر الأمراء إلى مصر أخرج يلغا الناصري إلى دمشق على إمرة مائة وتقدمة ألف بها وقرادمرداش إلى حلب على مقدمة ألف أيضًا بها وتوجه بيدمر الخوارزمي إلى ثغر دمياط بطالًا.

ثم رسم برقوق بالإفراج عن الأمير إينال اليوسفي صاحب الواقعة مع برقوق المقدم ذكرها من سجن الإسكندرية واستقر في نيابة طرابلس.

ثم استقر كمشيغا الحموي اليلغاوي في نيابة صغد عوضًا عن تمرباي الأفضلي التمرداشي مدة يسيرة ونقل إلى نيابة طرابلس بحكم انتقال إينال ثم في ذي الحجة من السنة وصل الخبر بوصول الأمير أنص الجركسي والد الأمير الكبير برقوق العثماني صحبة تاجر برقوق الخوجا عثمان بن مسافر فخرج برقوق بجميع الأمراء إلى لقائه في يوم الثلاثاء ثامن ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة المذكورة فسافر برقوق إلى العكرشة.

قال قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفي: وهو المكان الذي التقى به يوسف الصديق أباه يعقوب عليهما السلام على ما قيل.

وكان قد هيا له ولده الأتابك برقوق الإقامات والخيم والأسمطة.

والتقى برقوق مع والده فحال وقع بصر آنص على ولده برقوق مد له يده فأخذها برقوق وقبلها ووضعها على رأسه.

ثم سلم عليه أكابر أمراء مصر على مراتبهم وأقعد آنص والد برقوق في صدر المخيم وقعد الأمير أقتمر عيد الغني النائب من جانب والأمير أيدير الشمسي من جانب آخر وجلس برقوق تحت أيدير وهو يوم ذاك مرشح للسلطنة فانظر إلى تلك الآداب والقواعد السالفة.

ولما استقر بهم الجلوس أخذ آنص يخاطب برقوقًا ولده باسمه من غير تحشم كما يخاطب الوالد ولده على قاعدة الجراكسة والقاعدة عندهم أن الولد والخديم عندهم سواء وكان الملتقى بالعكرشة والنزول بالمخيم بالخانقاه فإنهم لما تلاقوا ساروا على ظهر إلى خانقاه سرباقوس وحضر مع الأمير آنص جماعة كبيرة من أقاربه وأولاده إخوة الأتابك برقوق: خوند الكبرى والصغرى أم بيبرس ثم مدت الأسمطة من المأكول والمشارب والحلاوات وغيرها.

ودام برقوق والأمراء بخانقاه سرباقوس إلى ظهر اليوم المذكور ثم ركبوا الجميع وعادوا إلى جهة الديار المصرية والموكب لأنص والد برقوق وأكابر الأمراء عن يمينه وشماله وتحت فرس بسرج ذهب وكنبوش زركش بذهب هائل قد تناهوا في عملهما.

وسار الجميع حتى دخلوا إلى القاهرة واجتازوا بها وقد أوقدت لهم الشموع والقناديل فتخير والد برقوق مما رأى وكان جركسيًا جنسه كسا لا يعرف باللغة التركية شيئًا لأن الكسا بالبعد عن بلاد التتار.

وطلع برقوق مع ابنه إلى القلعة وصار هو المشار إليه على ما سنذكره.

وأما أمر بركة فإنه لما كان شهر رجب من هذه السنة ورد الخبر من الأمير صلاح الدين خليل بن عرام نائب الإسكندرية بموت الأمير زين الدين بركة الجوباني اليلغاوي المقدم ذكره بسجن الإسكندرية فلما بلغ الأتابك برقوقًا ذلك عظم عليه في الظاهر - والله سبحانه وتعالى متولي السرائر - وبعث بالأمير يونس النوروزي الدوادر بالإسكندرية لكشف خبر الأمير بركة وكيف كانت وفاته فتوجه يونس إلى الإسكندرية ثم عاد إلى مصر ومعه ابن عرام المذكور نائب الإسكندرية وأخبر برقوقًا بأن الأمر صحيح وأنه كشف عن موته وأخرجه من قبره فوجد به ضربات: إحداها في رأسه وأنه مدفون بشيابه من غير

كفن وأن يونس أخرجه وغسله وكفنه ودفنه وصلى عليه خارج باب رشيد وبنى عليه تربة وأن الأمير صلاح الدين خليل بن عرام هو الذي قتله.

فحبس برقوق ابن عرام بخزانة شمائل.

ثم عصره وسأله عن فصوص خلاها بركة عنده فأنكرها وأنكر أنه ما رآها.

فلما كان يوم الخميس خامس عشرين شهر رجب المذكور طلع الأمراء للخدمة على العادة وطلب ابن عرام من خزانة شمائل فطلعوا به إلى القلعة على حمار فرسم برقوق بتسميره.

فخرج الأمير مأمور القلمطاوي حاجب الحجاب وجلس بباب القلعة هو وأمير جاندار وطلب ابن عرام بعد خدمة الإيوان فعري وضرب بالمقارع ستة وثمانين شيئاً ثم سفر على جمل بلعبة تسمير عطب.

وأنزل من القلعة إلى سوق الخيل بالرميلة بعد نزول الأمراء وأوقفوه تجاه الإسطبل السلطاني ساعة فنزل إليه جماعة من مماليك بركة وضربوه بالسيوف والدبابيس حتى هبروه وقطعوه قطعاً عديدة ثم إن بعضهم قطع أذنه وجعل يعضها صفة الأكل وأخذ آخر رجليه وأخر قطع رأسه وعلقها بباب زويلة وبقيت قطع منه مرمية بسوق الخيل.

وذكر أن بعض مماليك بركة أخذ من لحمه قطعة شواها.

والله أعلم بصحة ذلك.

ثم جمع ابن عرام بعد ذلك ودفن بمدرسته خارج القاهرة عند جامع أمير حسين بن جندر بحكر جوهر النوبي.

وقد صار أمر ابن عرام المذكور في أفواه العامة مثلاً يقولون: خمول ابن عرام.

وكان ابن عرام المذكور أميراً جليلاً فاصلاً تنقل في الولايات والوظائف وكان له يد طولى في التاريخ والأدب وله مصنفات مفيدة وتاريخ كبير فيه فوائد وملح.

وفي هذا المعنى يقول الأديب شهاب الدين أحمد ابن العطار: البسيط أيا بن عرام قد سمرت مشتهراً وصار ذلك مكتوباً ومحسوبا ما زلت تجهد في التاريخ تكتبه حتى رأيناك في التاريخ مكتوبا وفيه يقول أيضاً: الوافر بدت أجزاء ابن عزام خليل مقطعة من الضرب الثقيل وأبدت أبحر الشعر المراثي محررة بتقطيع الخليل حدثني الزيني فيروز الطواشي الرومي العرامي - وكان ثقة صاحب فضل ومعرفة ودين - أن أستاذه صلاح الدين خليل بن عرام المذكور كان مليح الشكل فصيح العبارة بلغات عديدة مع فضيلة تامة ومعرفة بالأمور وسياسة حسنة.

وتولى نيابة ثغر الإسكندرية غير مرة سنين طويلة وتولى الوزر بالديار المصرية وتنقل في عدة وظائف آخر.

قال: وكان من رجال الدهر وكان محبباً في الفقهاء والفقراء وأرباب الصلاح.

انتهى.

وقال غيره: كان بشره الشيخ يحيى الصنافيري والشيخ المعتقد نهار أنه يموت مقتولًا بالسيف مسممًا.

وفي معنى ما قاله الشيخ نهار المذكور يقول الشيخ الشهاب ابن العطار المقدم ذكره: السريع وعد ابن عرام قديم بما قد نال من شيخ رفيع المنار يا ليلة بالسجن أبدت له ما قاله الشيخ نهار جهار وقال العيني - رحمه الله -: وذكر القاضي تاج الدين بن المليجي شاهد الخاص الشريف أنه طلع إلى القلعة وهم يسمرون ابن عرام فقعد إلى أن تخف الناس فلما فرغوا من تسميره جازوا به عليه فسمعه وهو يقول في تلك الحالة وينشد أبيات أبي بكر الشبلي وهي قوله: الخفيف لك قلبي تعله فدمي لم تحله قال إن كنت قاهرًا فلي الأمر كله انتهى.

وقد خرجنا عن المقصود وأطلقنا الكلام في قصة بركة وابن عرام على سبيل الاستطراد ولنرجع لما كنا فيه.

وأما برقوق فإنه استمر على حاله كما كان قبل مسك بركة وقتله وإليه حل المملكة وعقدها ولم يجسر على السلطنة.

وبينما هو في ذلك مرض السلطان الملك المنصور علي ولزم الفراش حتى مات بين الظهر والعصر من يوم الأحد ثالث عشرين صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة ودفن من ليلته بعد عشاء الآخرة في تربة جدته لأبيه خوند بركة بالقبة التي بمدرستها بالتبانة.

وكان الذي تولى تجهيزه وتغسيله ودفنه الأمير قطلوبغا الكوكائي.

وكانت مدة سلطنته على ديار مصر خمس سنين وثلاثة أشهر وعشرين يومًا.

ومات وعمره اثنتا عشرة سنة.

ولم يكن في سلطنته سوى مجرد الاسم فقط.

وإنما كان أمر المملكة في أيام سلطنته إلى قرطاي أولًا ثم إلى برقوق آخرًا وهو كالألة معهم لصغر سنه ولغلبتهم على الملك.

وتسلطن من بعده أخوه أمير حاج ابن الملك الأشرف شعبان بن حسين ولم يقدر برقوق - مع ما كان عليه من العظمة - أن يتسلطن.

وكان الملك المنصور علي مليح الشكل حسن الوجه حشيمًا كثير الأدب واسع النفس كريمًا.

رحمه الله تعالى.

السنة الأولى من سلطنة الملك المنصور علي ابن الملك الأشرف شعبان على مصر وهي سنة تسع وسبعين وسبعمائة.

على أنه تسلطن في الثامن من ذي القعدة من السنة الخالية.

فيها - أعني سنة تسع وسبعين وسبعمائة - كانت واقعة قرطاي الطازي مع صهره أيبك البحري وقتل قرطاي.

ثم بعد مدة قتل أبنك أيضًا.

وفيها كان ظهور برقوق وبركة وابتداء أمرهما حسب ما ذكرنا ذلك كله في أصل ترجمة الملك المنصور هذا.

وفيها توفي الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي المالكي بحلب عن سبعين سنة.

وكان إليه المنتهى في علم النحو والبدع والتصريف والعروض وله مشاركة في فنون كثيرة ومصنفات جيدة وكان له نظم ونثر.

ومن شعره ما كتبه على ألفية الشيخ يحيى: مخلص البسيط يا طالب النحو ذا اجتهاد تسمو به في الورى وتحيا إن شئت نيل المراد فأقصد أرجوزة للإمام يحيى وتوفي الشيخ الإمام بدر الدين حسن بن زيد الدين عمر بن الحسين بن عمر بن حبيب الحلبي الشافعي بحلب عن سبعين سنة.

وكان باشر كتابة الحكم وكتابة الإنشاء وغير ذلك من الوظائف الدينية.

وكان إمام عصره في صناعتي الإنشاء والشروط وله تصانيف مفيدة منها: تاريخ دولة الترك أنهاه إلى سنة سبع وسبعين وسبعمائة وذيل عليه ولده أبو العز طاهر وقال: البسيط ما زلت تولع بالتاريخ تكتبه حتى رأيناك في التاريخ مكتوبا قلت: وأكثر الناس من نظم هذا المعنى الركيك البارد في حق عدة كثيرة من المؤرخين وتزاحموا قلت: وكان له نظم كثير ونثر وتاريخه مرجز وهو قليل الفائدة والضبط ولذلك لم أنقل عنه إلا نادرًا: فإنه كان إذا لم تعجبه القافية سكت عن المراد.

وليس هذا مذهبي في التاريخ.

ومن شعر الشيخ بدر الدين حسن هذا - رحمه الله تعالى -: السريع الورد والنرجس مذعابنا نيلوفرًا يلزم أنهاره شمرذا للخوض عن ساقه وفك ذا للعوام أزراره وله في ملىح يدعى موسى: الرجز لما بدا كالبدرد قال عاذلي من ذا الذي قد فاق عن شمس الضحى فقلت موسى وأستفق فإنه أهون شيء عنده حلق اللحن وله عفا الله تعالى عنه: الرجز يا أيها الساهون عن أخراكم إن الهدايا فيكم لا تعرف المال بالميزان يصرف عندكم والعمر بينكم جزاقًا يصرف وله قصيدة على روي قصيدة كمال الدين علي بن النبيه قد أثبتناها في ترجمته في المنهل الصافي أولها: البسيط جوانحي للقاء الأحباب قد جنحت وعاديات كرامى نحوهم جنحت وتوفي الأمير سيف الدين قطلمتر بن عبد الله العلاني صاحب الواقعة مع الأمير أبنك البدرى وغيره وهو ممن قام على الملك الأشرف شعبان وأخذ مقدمة ألف بالديار المصرية دفعة فلم يتنها بها وعاجلته المنية ومات ولحقه من بقى من أصحابه بالسيف.

وتوفي الأمير طشتمر اللفاف المحمدي مقتولاً في ثالث المحرم.

وهو أيضًا ممن قام على الملك الأشرف وصار أميرًا كبيرًا أتاك العساكر دفعة واحدة من الجندية.

وقد تقدم ذكر هؤلاء الجميع في أواخر ترجمة الملك الأشرف شعبان وفي أوائل ترجمة ولده الملك المنصور علي هذا.

وتوفي الأمير الكبير سيف الدين آقتمر الصاحبى المعروف بالحنبلى نائب السلطنة بديار مصر ثم بدمشق بها فى ليلة الحادى عشر من شهر رجب.

وكان من أجل الأمراء وأعظمهم.

باشر نيابة دمشق مرتين وتولى قبلها عدة ولايات.

ثم بعد النيابة الأولى دمشق ولى نيابة السلطنة بالقاهرة وساس الناس أحسن سياسة وشكرت سيرته.

وكان وقورًا فى الدول مهابًا وفيه عقل وحشمة وديانة.

وكان سمي بالحنبلى لكثرة مبالغته فى الطهارة والوضوء.

وتوفي الأمير سيف الدين يلغا بن عبد الله النظامى الناصرى.

وكان أولًا من خاصكية الملك الناصر حسن ثم ترقى إلى أن صار أمير مائة ومقدم ألف بمصر.

ثم ولى نيابة حلب وبها مات فيما أظن وكان شجاعًا مقدامًا.

وتوفي الأمير سيف الدين قرطاي أتابك العساكر مخوقًا بطرابلس وقد تقدم واقعته مع صهره أئبىك البدرى.

وهو أحد رؤوس الفتن وممن ولى أتابكية العساكر من إمرة عشرة وكان قتله فى شهر رمضان.

وجميع هؤلاء من أصاغر الأمراء لم تسبق لهم رياسة ليعرف حالهم وإنما وثب كل واحد منهم على ما أراد فأخذه فلم تطل مدتهم وقتل بعضهم بعضًا إلى أن تفانوا.

وتوفي القاضي صلاح الدين صالح بن أحمد بن عمر بن السفاح الحلبى الشافعى وهو عائد من الحج بمدينة بصرى.

وكنيته أبو النسك ومولده فى سنة اثنتى عشرة وسبعمائة بحلب وبها نشأ وولى بها وكالة بيت المال ونظر الأوقاف وعدة وظائف آخر وهو والد شهاب الدين أحمد كاتب سر حلب ثم مصر.

وكان كاتبًا حسن التصرف ذكره زين الدين أبو العز طاهر بن الحسن بن عمر بن حبيب فى تاريخه وأورد له نظمًا من ذلك: دوبيت لا نلت من الوصال ما أملت إن كان متى ما حلت عني حلت أحببتكم طفلاً وها قد شبت أبغى بدلاً ضاق علي الوقت وتوفي الأمير شهاب الدين أحمد ابن الأمير سيف الدين قوصون فى ثانى عشر ذى الحجة.

وكان من جملة أمراء الطبلخانات بمصر وله وجهة فى الدول.

وتوفي الأمير علاء الدين ألتنبغا بن عبد الله السلاح دار المعروف بأبى درقة.

وكان أيضًا من جملة أمراء مصر.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمسة أذرع وأربعة وعشرون إصبغًا.
مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعًا واثنتا عشر إصبغًا.

السنة الثائية من سلطنة الملك المنصور علي بن الأشرف شعبان على مصر وهي سنة
ثمانين وسبعمائة فيها كانت وقعة الأمير تمر باي الأفضلي التمرداشي نائب حلب مع
التركمان.

وتوفي العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي
الحسن بن علي بن جابر الأندلسي المالكي الهواري بحلب عن سبعين سنة.

وكان عالمًا بارعًا في فنون كثيرة وله نظم ونثر وله مصنفات كثيرة.

ومن شعره: الخفيف وقفت للوداع زينب لما رحل الركب والمدامع تسكب فالتقت بالبنان
دمعي وحلو سكب دمعي على أصابع زينب وتوفي الشيخ الإمام العلامة ضياء الدين أبو
محمد عبد الله ابن الشيخ سعد الدين سعد العفيقي القزويني الشافعي الشهير بابن
قاضي القرم بالقاهرة في ثالث عشر ذي الحجة عن نيف وستين سنة.

وكان من العلماء عارفًا بعدة علوم.

كان يدرس في المذهبين: الحنفية والشافعية.

وكتب إليه زين الدين طاهر بن حبيب يقول: الخفيف قل لرب الندى ومن طلب العلم
مجدًا إلى سبيل السواء إن أردت الخلاص من ظلمة الجهل فما تهتدي بغير الضياء فأجابه
ضياء الدين: الخفيف قل لمن يطلب الهداية مني خلت لمع السراب بركة ماء ليس عندي
من الضياء شعاع كيف تبغي الهدى من اسم الضياء وتوفي الشيخ الصالح الزاهد العابد
الورع المعتقد شهاب الدين أبو العباس أحمد المعروف ببأدار بالقدس عن نيف وسبعين
سنة بعد أن كف بصره.

وكان يعرف علم التصوف وعلم الحرف جيدًا وللناس فيه اعتقاد كبير.

رحمه الله تعالى ونفعنا ببركته.

وتوفي الشيخ الصالح المعتقد أبو النسك صالح بن نجم بن صالح المصري المقيم بزوايته
بمنية الشيرج من ضواحي القاهرة وبها مات ودفن في يوم الأربعاء خامس عشرين شهر
رمضان عن نيف وستين سنة.

وكان على قدم هائل من العبادة والزهد والورع.

وفيه يقول أبو العز الطاهر بن حبيب: الطويل وحي هلاً وانشده في الحي منشدًا ألا كل
ما قرت به العين صالح وتوفي الشيخ المعتقد الصالح المجذوب صاحب الكرامات الخارقة
والأحوال العجيبة نهار المغربي الإسكندري بها في يوم الاثنين سادس عشرين جمادى
الأولى - وقيل يوم الثلاثاء - ودفن بتربة الديماس داخل الإسكندرية.

ومن كراماته ما اتفق له مع الأمير صلاح الدين خليل بن عرام نائب الإسكندرية - وكان
ابن عرام يخدمه كثيرًا - فقال له الشيخ نهار: أيابن عرام ما تموت إلا موسطًا أو مسمرًا

وذلك قبل قتل ابن عرام بسنين قالها له مرارًا عديدة وابن عرام يقول له: في الغزاة إن شاء الله تعالى فكان كما قال.

وقد تقدم ذلك.

وتوفي الشيخ الصالح المعتقد عبد الله الجبرتي الزيلعي الحنفي في ليلة الجمعة سادس عشر المحرم ودفن بالقرافة وقبره معروف بها يقصد للزيارة.

وكان من عباد الله الصالحين رحمه الله تعالى.

وتوفي الأمير شرف الدين موسى بن الأركشي في سادس عشر ذي القعدة بالمحلة من أعمال مصر وحمل إلى داره بالحسينية وهو إذ ذاك من أمراء الطبلخانات.

وكان دينًا عفيًا.

تولى ولايات جليلة منها: الأستادارية العالية والحجوية واستقر في أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين مشير الدولة.

وكان إذا ركب يحمل مملوكه وراءه دواة ومرملة.

وتوفي الأمير سيف الدين أطلمش بن عبد الله الدوادار أحد أمراء الألوف بديار مصر في شهر ربيع الأول بدمشق وقد أخرج إليها منفيًا على إمرة مائة وتقدمة ألف لما ملك برقوق وبركة ديار مصر وصار لهما أمرها ونهيها.

وكان من أعيان الأمراء وهو أيضًا أحد من قام على الملك الأشرف شعبان.

وتوفي القاضي علاء الدين علي بن عبد الوهاب بن عثمان بن محمد بن هبة الله بن عرب محتسب القاهرة في ثالث عشر ذي الحجة بمكة بعد قضاء الحج.

وتوفي الأمير علاء الدين علي بن كلبك شاد الدواوين في جمادى الآخرة.

وكان ولي في بعض الأحيان ولاية القاهرة.

وتوفي الشيخ المعمر سند الوقت صلاح الدين محمد بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله ابن الشيخ أبي عمر المقدسي آخر من بقي من أصحاب ابن البخاري في شوال بصالحية دمشق.

وتوفي الأمير شرف الدين موسى بن محمد بن شهري الكردي نائب سيس.

وكان فقيهاً شافعيًا فاضلاً كاتبًا.

قلت: وبنو شهري معروفون منهم جماعة إلى الآن في قيد الحياة ويلي بعضهم أعمال البلاد الحلبية في زماننا هذا.

▲ أمر النيل في هذه السنة

: الماء القديم ستة أذرع واثنان وعشرون إصبعًا.

مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعًا وخمسة أصابع وقيل أربعة عشر.

وهي سنة إحدى وثمانين وسبعمائة فيها كان ركوب إبنال اليوسفي على الأتابك برقوق وقد تقدم ذكر الواقعة في أصل هذه الترجمة.

وفيهما كان الكلام من الحائط كما تقدم أيضًا.

وفيهما توفي الشيخ تقي الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن علي الواسطي الأصل المصري المولد والوفاء الشافعي المقرئ المحدث الشهير بابن البغدادي بعد ما عمي في يوم الأربعاء سادس عشرين شعبان بالقاهرة.

ومولده ببغداد سنة سبع وتسعين وستمائة وكان ولي قضاء المالكية بدمشق مدة ثم صرف.

كان فقيهاً تصدر للإقراء بمدرسة الحاج آل ملك والجامع الطولوني وتولى مشيخة الحديث بالخانقاة الشيخونية.

وتوفي الشيخ الإمام العالم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني المغربي المالكي.

كان من ظرفاء عصره.

ترقى عند الملك الناصر حسن حتى صار صاحب سره وإمام جمعته ومنبره.

ثم توجه في سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة إلى الأندلس خوفاً من النكبة ثم عاد إلى مصر وتولى عدة تداريس.

وكان له سماع كثير وفضل عزيز.

وتوفي الشيخ الإمام الأديب البارع المفتن الفقيه برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن الشيخ الإمام المفتي شرف الدين عبد الله بن محمد بن عسكر بن مظفر بن نجم بن شادي بن هلال الطائي الطريفي القيرواني الشافعي بمكة المشرفة في ليلة الجمعة العشرين من شهر ربيع الأول ودفن بالمعلاة بعد صلاة الجمعة.

والطريفي نسبة إلى فخد من طيء والقيرواني نسبة إلى قيروط وهي بلدة بالشرقية من أعمال الديار المصرية.

ومولده ليلة الأحد حادي عشرين صفر من سنة ست وعشرين وسبعمائة.

ونشأ بالقاهرة وطلب العلم ولازم علماء عصره إلى أن برع في الفقه والأصول والعربية ودرس بعدة مدارس وسمع الكثير وبرع في النظم وقال الشعر الفائق الرائع.

وعندي أنه أقرب الناس في شعره لشيخه الشيخ جمال الدين بن نباتة من دون تلامذته ومعاصريه على ما سنذكره من شعره هنا.

وقد استوعبنا نبذة كبيرة في المنهل الصافي ومن شعره: السريع تنفس الصبح فجاءت لنا من نحوه الأنفاس مسكيه وأطربت لي العود قمرية وكيف لا تطرب عوديه وله في طباح: السريع هويت طباحًا له نصبة نيرانها للقلب جنات يكسر أجفانًا إذا ما رنا لها على

الأرواح نصبات جفني وجفن الحب قد أحرزا وصفين من نيلك يا مصر جفني له يوم الوداع الوفا وجفنه الساجي له الكسر وله أيضًا: مخلع البسيط لو لم يكن كفه غمًا ما أنبتت في الطروس زهرا نعم ولولاه بحر جود ما أبرز اللفظ منه درا ومن شعره - رحمه الله تعالى وعفا عنه - قصيدته التي أولها: الكامل قسمًا بروضة خده ونباتها وبأسها المخضر في جنباتها وبسورة الحسن التي في خده كتب العذار بخطه آياتها ويقامة كالغصن إلا أنني لم أجن غير الصد من ثمراتها لأعزرن غصون بان زودت أعطافه بالقطع من عذباتها وأياكرن رياض وجنته التي ما زهرة الدنيا سوى زهراتها ولأصبحن للذتي متيقظًا ما دامت الأيام في غفلاتها كم ليلة نادمت بدر سمائها والشمس تشرق في أكف سقاتها خالفت في الصهباء كل مقلد وسعيت مجتهدًا إلى حاناتها فتحير الخمار أين دنانها حتى اهتدى بالطيب من نفحاتها فشمتتها ورأيتها ولمستها وشربتها وسمعت حسن صفاتها فتبعته كل مطاوع لا يختشي عند ارتكاب ذنوبه تبعاتها يأتي إلى اللذات من أبوابها ويحج للصهباء من ميقاتها عرف المدام بحسنها وبنوعها وبفضلها وصفاتها وذواتها يا صاح قد نطق الهزار مؤذًا أيليق بالأوتار طول سكاتها فخذ ارتفاع الشمس من أقداحنا وأقم صلاة اللهو في أوقاتها إن كان عندك يا شراب بقية مما تزيل بها العقول فهاتها الخمر من أسمائها والدر من تيجانها والمسك من نسماها وإذا العقود من الحجاب تنظمت إياك والتفريط في حياتها أمحرك الأوتار إن نفوسنا سكناتها وقف على حركاتها وتلا نسيم الروض فيها قارئًا فآمال من أغصانها ألفتها ومليحة أرغمت فيها عاذلي قامت إلى وصلي برغم وشتاتها لا مال وجهي عن مطالع حسنها وحية طلعة وجهها وحياتها يا خجلة الأغصان من خطراتها وفضيحة الغزلان من لفتاتها ما الغصن مياسًا سوى أعطافها ما الورد محمراً سوى وجناتها وعدت بأوقات الوصال كأنها ظنت سلامتنا إلى أوقاتها وتوفي الشيخ المسند المعمر ناصر الدين محمد الكردي الحراري المعروف بالطبردار في ثامن عشر شهر ربيع الأول.

وكان سمع الكثير وتفرد بأشياء كثيرة منها كتاب فضل الخيل سمعه من مصنفه الحافظ شرف الدين عبد المؤمن الدمياطي وهو آخر من روى عنه.

ووقع لنا سماع فضل الخيل المذكور من طريقه عاليًا.

وتوفي الشيخ المعتقد حسن المغربي الصبان الحاجوي في العشرين من شهر ربيع الأول بداره بالحسينية ودفن بباب النصر.

وتوفي الأمير قارا بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضبة بن فضل بن ربيعة أمير آل فضل وملك العرب.

وكان كريمًا جليلاً شجاعًا مشكور السيرة.

وتولى عوضه إمرة آل وتوفي الشيخ الصالح المعتقد صالح الجزيري ساكن جزيرة أروى - أعني الجزيرة الوسطى - بها في رابع شهر ربيع الأول ودفن بزاويته بالجزيرة الوسطى.

وتوفي الأمير سيف الدين حطط بن عبد الله اليلبغاوي نائب حماة بها.

وتولى بعده الأمير طشتمر خازندار يلبغا أيضًا.

وكان حطط المذكور غير مشكور السيرة وعنده ظلم وعسف.

وهو من الذين قاموا على أستاذهم يلبغا العمري الخاصكي حسب ما تقدم ذكره.

وتوفي الأمير سيف الدين مامق بن عبد الله المنجكي أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية في يوم الخميس ثالث شعبان ودفن بتربة عند دار الضيافة تجاه قلعة الجبل. وتوفي الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير ألبجيغا العادلي نائب غزة بها بعدما استعفى في سلخ جمادى الآخرة.

وتولى بعده نيابة غزة آقبغا بن عبد الله الدوادر.

وكان ابن ألبجيغا هذا شجاعًا مقدامًا وله حرمة ووقار في الدولة.

وتوفي الأمير حاجي بك بن شادي أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية بها في هذه السنة.

وتوفي الطواشي زين الدين ياقوت بن عبد الله الرسولي شيخ الخدام بالمدينة النبوية - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - في ليلة الجمعة سابع عشرين شهر رمضان.

وكان من أعيان الخدام وله وجهة في الدول وثروة كبيرة.

وتوفي الأمير سيف الدين سطلمش بن عبد الله الجلاي بدمشق في ذي القعدة.

وكان أولًا من جملة أمراء مصر ثم نفي منها على إمرة في دمشق.

وتوفي القاضي شمس الدين محمد بن أحمد بن مزهر أحد موقعي دمشق بها في شوال عن نحو الأربعين سنة.

وهو أخو القاضي بدر الدين محمد بن مزهر كاتب سر مصر.

وفيها كان الطاعون بالديار المصرية وضواحيها ومات فيها عالم كثير جدًا.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ستة أذرع وعشرون إصبغًا.

مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعًا وإصبغان.

والله أعلم.

السنة الرابعة من سلطنة الملك المنصور علي وهي سنة اثنتين وثمانين وسبعمئة فيها كانت الوقعة بين الأتابك برقوق العثماني اليلبغاوي وبين خشدانشه زين الدين بركة الجوباني اليلبغاوي ومسك بركة وحبس ثم قتل حسب ما لقدم ذكره وحسب ما يأتي أيضًا في الوفيات.

وفيها حضر من بلاد الجركس الأمير آنص والد الأتابك برقوق وأخواته النسوة كما تقدم ذكره.

وفيها قتل ابن عرام وقد تقدم ذكره وكيفية تسميره في أواخر ترجمة الملك المنصور هذا فلا حاجة لذكر ذلك ثانيًا.

وفيها توفي ماماي ملك التتار وحاكم بلاد الدشت.

وكان ولي الملك بعد كلدي بك خان في سنة ثلاث وستين وسبعمئة وكان من أجل ملوك الترك وأعظمهم ومات قتيلًا.

وتوفي الشيخ الإمام العلامة جلال الدين محمد المعروف بجار الله ابن الشيخ قطب الدين محمد بن الشيخ شرف الدين أبي الثناء محمود النيسابوري الحنفي قاضي قضاة الديار المصرية عن نيف وثمانين سنة بعد أن حكم خمس سنين.

وكانت ولايته بعد ابن منصور.

وتولى القضاء بعده صدر الدين بن منصور ثانيًا.

وكان عالمًا بارعًا في فنون من العلوم وتولى مشيخة الصرغتمشية بعد موت العلامة أرشد الدين السرائي.

وفيه يقول الأديب أبو العزيز الدين بن حبيب رحمه الله: الكامل لله جار الله حاكمنا الذي ما مثله يسعى له ويزار حبًا له وكرامة من ماجد حسنت خلائقه ونعم الجار وورثاه شهاب الدين بن العطار: البسيط قاضي القضاة جلال الدين مات وقد أعطاه ما كان يرجو بارئ النسم وتوفي الأمير الكبير زين الدين بركة بن عبد الله الجواني اليلغاوي رأس نوبة الأمراء وأطابك الديار المصرية مقتولًا بثغر الإسكندرية بيد صلاح الدين خليل ابن عرام نائب الثغر المذكور في شهر رجب.

وقد ذكرنا ما وقع لابن عرام بسببه من الضرب والتسمير والتقطيع بالسيوف في ترجمة الملك المنصور هذا.

كان بركة من مماليك يلبغا وصار من بعده في خدمة أولاد الملك الأشرف شعبان إلى أن كانت قتلة الملك الأشرف شعبان.

قام هو وخشداشه برقوق مع أينبك فأنعم أينبك على كل منهما بإمرة طبلخاناه دفعة واحدة من الجندية وندبهما بعد شهر للسفر مع الجاليش إلى الشام.

فاتفق بركة هذا مع خشداشيته ووثبوا على أخي أينبك حتى كان من أمر أينبك ما ذكرناه وصار بركة هذا أمير مائة ومقدم ألف هو وبرقوق وأقام على ذلك مدة.

ثم اتفق مع برقوق وخشداشيته على مسك الأمير طشتمر العلاني الدوادر فمسك طشتمر بعد أن قاتلهم.

ومن يوم ذاك استبد برقوق بالأمر وبركة هذا شريكه فيه وصار برقوق أتابك العساكر وبركة أطابك رأس نوبة الأمراء وحكما مصر إلى أن وقع الخلف بينهما وتقاتلا فانتصر برقوق على بركة هذا وأمسكه وحبسه بثغر الإسكندرية إلى أن قتله ابن عرام حسب ما تقدم ذكر ذلك كله في ترجمة الملك المنصور.

وإنما ذكرناه هنا ثانيًا تنبيهًا لما تقدم.

فكان بركة ملكًا جليلًا شجاعًا مهابًا تركي الجنس وفيه كرم وحشمة وله المآثر بمكة المشرفة وبطريق الحجاز وتوفي قاضي القضاة جلال الدين أبو المعالي محمد ابن قاضي القضاة نجم الدين محمد ابن قاضي القضاة فخر الدين عثمان بن جلال الدين أبي

المعالى على بن شهاب الدين أحمد بن عمر بن محمد الزرعى الشافعى سبط الشيخ جمال الدين الشربشى فى هذه السنة وقد قارب الأربعين سنة.

وكان قد ولى قضاء حلب وحمدت سيرته.

وتوفى الوزير الصاحب تاج الدين عبد الوهاب المكى المعروف بالنشو فى المصادرة تحت العقوبة عن نيف وستين سنة بعد أن ولى الوزارة أربع مرات.

وكان مشكورًا فى وزارته محسنًا لأصحابه.

وهذا النشو غير النشو الذى تقدم ذكره فى دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون.

وتوفى الأمير سيف الدين منكلى بغا بن عبد الله الأحمدى البلدى نائب حلب بها ودفن خلف تربة قطلوبغا الأحمدى بين الجوهرى والجمالية.

وكان من أجل الأمراء وممن طالت أيامه فى السعادة.

ولى نيابة طرابلس وحماة وحلب مرتين - مات فى الثانية - وعدة وظائف بالديار المصرية.

وكان حازمًا هيويًا كريمًا ذا مروءة كاملة وتحشم.

وكان يقول: كل أمير لا يكون مصروف سماطه نصف إقطاعه ما هو أمير.

وتوفى الأمير الطواشى زين الدين مختار السحرتى الحبشى مقدم الممالىك السلطانية.

وكان صاحب معروف وصدقة وفيه كرم مع تحشم.

وتوفى قاضى القضاة شرف الدين أبو العباس أحمد بن نور الدين على بن أبى البركات منصور الدمشقى الحنفى قاضى قضاة الديار المصرية.

ولها ثم عزل نفسه.

وكان من أعيان العلماء.

رحمه الله تعالى.

وتوفى الشيخ الإمام نور الدين أبو الحسن على بن ألجاوى بالجيم أحد فقهاء المالكية فى رابع عشر ذى الحجة بعد ما أفتى ودرس وأشتغل.

وتوفى الشيخ الإمام المقرئ شمس الدين أبو عبد الله المعروف بالحكرى الشافعى فى ذى الحجة بالقاهرة.

وكان فقيهاً فاضلاً بارعاً فى القراءات.

وتوفى الشيخ الصالح المعتقد زين الدين محمد بن المواز فى شهر ربيع الأول.

وكان صاحب عبادة وللناس فيه اعتقاد حسن.

وتوفي الشيخ الإمام شمس الدين محمد بن نجم بن عمر بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن ذؤيب الأسدي الدمشقي المعروف بابن قاضي شهبة أحد أعيان الفقهاء الشافعية في ثامن المحرم.

ومولده ليلة الثلاثاء العشرين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وستمئة بدمشق.

وكان بارعًا فقيهاً مدرسًا مفتيًا.

وتوفي الشيخ زين الدين أبو محمد حجي بن موسى بن أحمد بن سعد السعدي الحسيني الشافعي الدمشقي في ليلة الأربعاء سابع عشر صفر.

وكان أحد فقهاء الشافعية بدمشق.

وحجي هذا هو والد بني حجي رؤساء دمشق في عصرنا.

انتهى.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ستة أذرع وستة أصابع.

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعًا وأربعة أصابع.

انتهى.

سلطنة الملك الصالح حاجي الأولى السلطان الملك الصالح صلاح الدين أمير حاج ابن السلطان الملك الأشرف شعبان ابن الأمير الملك الأمجد حسن ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون.

وهو الرابع والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية.

تسلطن بعد وفاة أخيه الملك المنصور علاء الدين علي في يوم الاثنين رابع عشرين صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة.

وخبّر سلطنته أنه لما مات أخوه الملك المنصور علي تكلم الناس بسلطنة الأتابك برقوق العثماني وأشيع ذلك فعظمت هذه المقالة على أكابر أمراء الدولة وقالوا: لا نرضى أن يتسلطن علينا مملوك يلبغا وأشياء من هذا النمط.

وبلغ برقوقًا ذلك فخاف ألا يتم له ذلك.

فجمع برقوق الأمراء والقضاة والخليفة في اليوم المذكور بباب الستارة بقلعة الجبل وتكلم معهم في سلطنة بعض أولاد الأشرف شعبان فقالوا له: هذا هو المصلحة وطلبوهم من الدور السلطانية.

وحضر أمير حاج هذا من جملة الإخوة فوجدوا بعضهم ضعيفًا بالجدري والبعض صغيرًا فوقع الاختيار على سلطنة أمير حاج هذا لأنه كان أكبرهم.

فبايعه الخليفة وحلف له الأمراء وباسوا يده ثم قبلوا له الأرض.

ولقب بالملك الصالح وهو الذي غير لقبه في سلطنته الثانية بالملك المنصور ولا نعرف سلطانيًا تغير لقبه غيره وذلك بعد أن خلع برقوق وحبس بالكرك على ما سنذكره إن شاء الله تعالى مفصلاً في وقته - انتهى.

ولما تم أمر الملك الصالح هذا ألبسوه خلعة السلطنة وركب من باب الستارة بأبهة الملك وبرقوق والأمراء مشاة بين يديه إلى أن نزل إلى الإيوان بقلعة الجبل وجلس على كرسي الملك وقبلت الأمراء الأرض بين يديه.

ثم مد السماط وأكلت الأمراء.

ثم قام السلطان الملك الصالح ودخل القصر وخلع على الخليفة المتوكل على الله خلعة جميلة.

ونودي بالقاهرة ومصر بالأمان والدعاء للملك الصالح حاجي.

وخلع السلطان على الأتابك برقوق واستقر على عادته أتابك العساكر ومدبر الممالك لصغر سن السلطان وكان سن السلطان يوم تسلطن نحو تسع سنين تخمينًا.

ثم في سابع عشرين صفر المذكور جلس السلطان الملك الصالح بالإيوان للخدمة على العادة.

ثم قام ودخل القصر بعد أن حضر الخليفة والقضاة والأمراء والعساكر وقرئ تقليد السلطان الملك الصالح عليهم.

وعند فراغ القراءة أخذ بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر التقليد وقدمه للخليفة فعلم عليه بخطه.

وخلع السلطان على القضاة وعلى كاتب السر المذكور.

وانفض الموكب.

وأخذ برقوق في التكلم في الدولة على عادته من غير معاند وفي خدمته بقية الأمراء يركبون في خدمته وينزلون عنده ويأكلون السماط.

وأما القضاة والنواب بالبلاد الشامية وأرباب الوظائف بالديار المصرية في هذه الدولة فكان أتابك العساكر برقوق العثماني اليلغاوي ورأس نوبة الأمراء أيتمش البجاسي وأمير سلاح علان الشعاني وأمير مجلس الطنبا الجواني اليلغاوي والدوادر الكبير الأبا العثماني والأمير أخور جركس الخليلي وحاجب الحجاب مأمور القلمطاوي اليلغاوي وأستادار العالية بهادر المنجكي ورأس نوبة ثاني - أعني رأس نوبة في زماننا - قردم الحسيني وهؤلاء غير نائب السلطنة وهو الأمير أقتمر عبد الغني وغير أيدير الشمسي وهما من أجل الأمراء وأقدمهم هجرة يجلس الواحد عن يمين السلطان والآخر عن يساره.

والقضاة: الشافعي برهان الدين بن جماعة والحنفي صدر الدين بن منصور والمالكي علم الدين البساطي والحنبلي ناصر الدين العسقلاني.

وكتب السر بدر الدين بن فضل الله العمري والوزير شمس الدين المقسي وناظر الجيش المحتسب جمال الدين محمود القيصري العجمي وناظر الخاص هو ابن المقسي أيضًا ونائب دمشق إشتقر المارديني ونائب حلب إينال اليوسفي ونائب طرابلس كمشبغا الحموي ونائب حماة طشتقر القاسمي ونائب صفد الأمير الكبير طشتقر العلائي - نقل إليها من القدس - ونائب غزة أقبغا بن عبد الله ونائب إسكندرية بلوط الصرغتمشي.

والذين هم معاصروه من ملوك الأقطار: صاحب بغداد وتبريز وما والاهما الشيخ حسين بن أويس وصاحب ماردين الملك الظاهر مجد الدين عيسى وصاحب اليمن الملك الأشرف ابن الملك الأفضل وصاحب مكة الشريف أحمد بن عجلان وصاحب المدينة الشريفة عطية بن منصور وصاحب سيواس القاضي برهان الدين أحمد وصاحب بلاد قرمان الأمير علاء الدين وصاحب بلاد سمرقند وما والاهما تيمورلنك كوركان وصاحب بلاد الدشت طقتمش خان من ذرية جنجز خان.

انتهى.

ولما كان يوم الخميس ثالث شهر ربيع الآخر أنعم برقوق على الأمير تغري برمش بتقدمة ألف بديار مصر بعد وفاة أمير علي بن قشتقر المنصوري.

ثم أنعم على سودون الشيخوني بتقدمة ألف أيضًا واستقر حاجبًا ثانيًا عوضًا عن علي بن قشتقر المنصوري.

ثم بعد مدة أستقر تغري برمش المقدم ذكره أمير سلاح بعد وفاة علان الشعباني.

ثم استقر مأمور القلمطاوي حاجب الحجاب في نيابة حماة بعد وفاة طشتقر خازندار يلبغا العمري.

ثم طلب يلبغا الناصري من دمشق - وكان منفيًا بها على مقدمة ألف - فحضر في آخر شعبان فتلقيه الأتابك برقوق والأمراء وترجل له برقوق وأركبه مركوبًا من مراكيبه وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بالقاهرة وأجلس رأس ميسرة فوق أمير سلاح.

فلم تطل مدته بديار مصر وأخلع عليه نيابة حلب في يوم الخميس ثاني شوال بعد عزل إينال اليوسفي وطلبه إلى مصر.

فلما وصل إينال إلى غزة قبض عليه وأرسل إلى سجن الكرك.

ثم أنعم الأتابك برقوق على دواذره الأمير يونس النوروزي بتقدمة ألف بمصر عوضًا عن يلبغا الناصري وخلع على الأمير جركس الخليلي الأمير أخور الكبير واستقر مشير الدولة ورسم للوزير ألا يتكلم في شيء إلا بعد مراجعته.

وفي العشر الأخير من شوال أنعم على قطلوبغا الكوكائي بتقدمة ألف بعد وفاة الأمير أنص والد الأتابك برقوق العثماني الذي قدم قبل تاريخه من بلاد الجركس.

يأتي ذكر وفاته في الوفيات.

ثم في يوم الاثنين تاسع ذي الحجة من سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة تولى الأمير تغري برمش أمير سلاح عن إمرته ووظيفته وتوجه إلى جامع قوصون ليقم به بطالًا.

فأرسل الأتابك إليه الأمير سودون الشيخوني الحاجب الثاني وقردم الحسني رأس نوبة وتوجهها إليه وسألاه أن يرجع إلى وظيفته وإمرته فلم يرجع لها فعادا بالجواب إلى برقوق بذلك.

ثم إن تغري برمش المذكور ندم من ليلته وأرسل يسأل الشيخ أكمل الدين شيخ الشيخونية أن يسأل برقوقاً أن يعيده إلى إمرته ووظيفته فأرسل أكمل الدين إلي برقوق بذلك فلم يقبل برقوق ورسم بخروجه إلى القدس ماشياً فأخرجه النقباء إلى قبة النصر ماشياً ثم شفع فيه فركب وسار إلى القدس.

ثم في العشر الأخير من شعبان أجرى جركس الخليلي الأمير آخور الماء إلى الميدان من تحت القلعة إلى الحوض الذي على بابه.

قلت: وإلى الآن الحوض باق على حاله بلا ماء.

ثم في التاريخ المذكور أخرج الأمير جركس الخليلي فلوساً جدداً من الفلوس العتق منها فلس زنته أوقية برع درهم وفلس زنته نصف أوقية وفلس بفلسين.

فلما فعل ذلك وقف حال الناس وحصل الغلاء وقل الجالب فلما بلغ الأتابك برقوقاً أمر بإبطالها.

وفي المعنى يقول الشيخ شهاب الدين أحمد بن العطار رحمه الله تعالى: البسيط تغيير عتق فلوس قد أضر فكم حوادث جلا جلت من العدد وقالت العامة - لما فعل الخليلي ذلك ورسم بنقش اسمه على الفلوس -: الخليلي من عكسو نقش اسمو على فلسو.

انتهى.

ثم حضر إلى الديار المصرية في ذي الحجة الأمير كمشبغا الحموي نائب طرابلس - وكان السلطان والأتابك برقوق في الصيد بناحية كوم برا - فأخلع السلطان عليه باستمراره على نيابة طرابلس.

ثم في يوم الخميس ثالث المحرم سنة أربع وثمانين وسبعمائة استقر سودون الفخري الشيخوني حاجب الحجاب بالديار المصرية وكانت شاعرة من العام الماضي منذ توجه مأمور القلمطاوي إلى نيابة حماة.

ثم أرسل الأتابك برقوق بكلمش الطازي العلائي إلى دمياط لإحضار بيدمر الخوارزمي المعزول عن نيابة دمشق قبل تاريخه فحضر في العشرين من المحرم وتلقاه الأتابك برقوق من البحر وخلص عليه باستقراره في نيابة دمشق على عادته عوضاً عن إشقتمر المارديني.

وفي سلخ صفر تولى القاضي بدر الدين بن أبي البقاء قضاء الشافعية بديار مصر عوضاً عن قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة ورسم بانتقال مأمور القلمطاوي من نيابة حماة إلى نيابة طرابلس عوضاً عن كمشبغا الحموي بحكم انتقال كمشبغا إلى دمشق على خبز جنتمر أخي طاز بحكم توجه جنتمر إلى القدس بطالاً.

ونقل إلى نيابة حماة الأمير الكبير طشتمر العلائي الدوادر الذي كان قبل تاريخه حكم مصر وتولى نيابة صفد بعد طشتمر الدوادر تلو حاجب حجاب دمشق.

وفي العشر الأوسط من شعبان نام الأتابك برقوق بميته بسكنه بالإسطبل السلطاني
وقعد شيخ الصفوي الخاصكي يكبسه.

وبينما هو نائم مسكه شيخ المذكور في جنبه قوياً خارجاً عن الحد فقعد برقوق من
اضطجاعه وقال له: ما الخبر فقال: إن مملوكك أيتمش اتفق مع ممالك الأسياد الذين
في خدمتك ومعهم بطا الأشرفي على أنهم الساعة يقتلونك فسكت برقوق وجلس على
حاله فإذا أيتمش المذكور دخل عليه فقام برقوق وأخذ بيده قوساً وضربه به ضربة واحدة
صفحاً أرماء وأمر بمسكه وقال له: يا متخنت الذي يأخذ الملك ويقتل الملوكة يقع من
ضربة واحدة.

ثم مسك بطا الخاصكي.

وخرج برقوق وجلس بالإسطبل وطلب سائر الأمراء الكبار والصغار.

فطلع الجميع إليه في الحال فكلهم بما سمع وجرى ثم أمسك من ممالك الأسياد نحو
سبعة عشر نفرًا منهم: كزل الحططي ويليغا الخازندار الصغير وجماعة من رؤوس نوب
الجمدارية عنده.

ثم في صبيحة نهاره أمسك جماعة من رؤوس نوب الجمدارية وجماعة آخر تتمة خمسة
وستين نفرًا من ممالك الأسياد وهرب من بقي منهم.

فالذين كان قبض عليهم أول يوم حبسهم بالبرج من قلعة الجبل والذين مسكهم من الغد
حبسهم بخزانة شمائل.

ثم أنزل بطا الخاصكي الأشرفي وأيتمش إلى خزانة شمائل.

ثم أمسك الأتابك برقوق الأمير ألبغا العثماني الدوادر الكبير وأحد مقدمي الألوف بالديار
المصرية وسجنه.

ثم أخرجه على إمرة طبلخاناه بطرابلس.

ثم نقله بعد مدة يسيرة إلى مقدمة ألف بدمشق.

ثم في يوم السبت مستهل شهر رمضان أخرج برقوق من خزانة شمائل ثلاثة وأربعين
مملوكاً من الممسوكين قبل تاريخه وأمر بتخشييمهم وتقييدهم ومشوا وهم مزنجرين
بالحديد ومعهم سودون الشيخوني حاجب الحجاب ونقيب الجيش إلى أن أوصلوهم إلى
مصر القديمة وأنزلوهم إلى المراكب وصحبهم جماعة من الجبلية فتوجهوا بهم إلى
قوص.

وكان سبب اتفاق هؤلاء الممالك على برقوق وقتله بسكنه بباب السلسلة لفرصة كانت
وقعت لهم باشتغال الأمير جركس الخليلي الأمير آخور بجسر كان عمره بين الروضة
ومصر في النيل.

وخبره أنه لما كان في أوائل شهر ربيع الأول من هذه السنة اهتم الأمير جركس الخليلي
المذكور في عمل جسر بين الروضة وبين جزيرة أروى المعروفة بالجزيرة الوسطى
طوله نحو ثلاثمائة قصبة وعرضه عشر قصبات وأقام هو بنفسه على عمله ومماليكه

وجعل في ظاهر الجسر المذكور خوازيق من سنط وسمر عليها أفلاق نخل جعلها على الجسر كالستارة تقيه من الماء عند زيادته وانتهى العمل منه في آخر شهر ربيع الآخر.

ثم حفر في وسط البحر خليجًا من الجسر المذكور إلى زريبة قوصون ليمر الماء فيه عند زيادته ويصير البحر ممره دائمًا منه صيفًا وشتاءً وعُرم على هذا العمل أموالًا كثيرة فلم يحصل له ما أراد على ما يأتي ذكره.

وفي هذا المعنى يقول الأديب شهاب الدين أحمد بن العطار: الخفيف شكت النيل أرضه للخليلي فأحضره ورأى الماء خائفًا أن يطاها فجسره وقال في المعنى شرف الدين عيسى بن حجاج العالية رحمه الله تعالى: الكامل جسر الخليلي المقر لقد رسا كالطود وسط النيل كيف يريد فإذا سالتم عنهما قلنا لكم ذا ثابت دهرًا وذاك يزيد فهذا هو الذي كان أشغل الخليلي عن الإقامة بالإسطنبول السلطاني وأيضًا لما كان خطر في نفوسهم من الوثوب على الملك فإنه من يوم قتل الملك الأشرف شعبان وصار طشتمر اللفاف من الجندية أتاك العساكر ثم من بعده قرطاي الطازي ثم من بعده أبنك البدري ثم من بعده قطلقتمر ثم الأتابك برقوق وبركة - وكل من هؤلاء كان إما جنديًا أو أمير عشرة وترقوا إلى هذه المنزلة بالوثوب وإقامة الفتنة - طمع كل أحد أن يكون مثلهم ويفعل ما فعلوه فذهب لهذا المعنى خلائق ولم يصلوا إلى مقصودهم.

انتهى.

واستمر الأتابك برقوق بعد مسك هؤلاء في تخوف عظيم واحترز على نفسه من مماليكه وغيرهم غاية الاحتراز.

فأشار عليه بعد ذلك أعيان خشداشيته وأصحابه مثل أيتمش البجاسي وألطنبغا الجوباني أمير مجلس وقردم الحسني وجركس الخليلي ويونس النوروزي الدوادار وغيرهم أن يتسلطن ويحتجب عن الناس ويستريح ويريح من هذا الذي هو فيه من الاحتراز من قيامه وعوده.

فجبن عن الوثوب على السلطنة وخاف عاقبة ذلك فاستحته من ذكرناه من الأمراء فاعتذر بأنه يهاب قدماء الأمراء بالديار المصرية والبلاد الشامية.

فركب سودون الفخري الشيخوني حاجب الحجاب ودار على الأمراء سرا حتى استرضاهم ولازال بهم حتى كلموا برقوقًا في ذلك وهونوا عليه الأمر وضمنوا له أصحابهم من أعيان النواب والأمراء بالبلاد الشامية وساعدتهم في ذلك موت الأمير أقتمر عبد الغني فإنه كان من أكابر الأمراء وكان برقوق يجلس في الموكب تحته لقدم هجرته وكذلك بموت الأمير أيدمر الشمسي فإنه كان أيضًا من أقران أقتمر عبد الغني فماتا في سنة واحدة على ما يأتي ذكرهما في الوفيات إن شاء الله تعالى.

فعند ذلك طابت نفسه وأجاب.

وصار يقدم رجلًا ويؤخر أخرى حتى كان يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة طلع الأمير قطلوبغا الكوكائي أمير سلاح وألطنبغا المعلم رأس نوبة إلى السلطان الملك الصالح أمير حاج صاحب الترجمة فأخذه من قاعة الدهيشة وأدخله إلى أهله بالدور السلطانية وأخذا منه النمجة وأحضرها إلى الأتابك برقوق العثماني.

وقام بقية الأمراء من أصحابه على الفور وأحضروا الخليفة والقضاة وسلطنوه على ما سنذكره في أول ترجمته بعد ذكر حوادث سنين الملك الصالح هذا على عادة هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وخلع الملك الصالح من السلطنة فكانت مدة سلطنته على الديار المصرية سنة واحدة وسبعة أشهر تنقص أربعة أيام على أنه لم يكن له في السلطنة من الأمر والنهي لا كثير ولا قليل.

واستمر الملك الصالح عند أهله بقلعة الجبل إلى أن أعيد للسلطنة ثانيًا بعد خلع الملك الظاهر برقوق من السلطنة وحبسه بالكرك في واقعة يلغا الناصري ومنطاش كما سيأتي ذكر ذلك مفصلاً.

السنة الأولى من سلطنة الصالح أمير حاج الأولى وهي سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة.

على أن أخاه الملك المنصور عليًا حكم فيها من أولها إلى

فيها - أعني سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة - توفي قاضي القضاة عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن الشيخ شرف الدين أبي البركات محمد بن أبي العز بن صالح الدمشقي الحنفي قاضي قضاة دمشق بها عن نيف وتسعين سنة.

وكان فقيهاً رئيساً من بيت علم ورياسة بدمشق.

وهم يعرفون ببني أبي العز وبني الكشك.

وتوفي قاضي القضاة كمال الدين أبو القاسم عمر ابن قاضي القضاة فخر الدين أبي عمر عثمان بن الخطيب هبة الله المعري الشافعي بدمشق عن إحدى وسبعين سنة بعد أن حكم بها خمس سنين.

وكان تنقل في البلاد وولي قضاء طرابلس وحلب ودمشق غير مرة وكان فقيهاً عارفاً بالأحكام خبيراً بالأمور.

وتوفي الشيخ الإمام العالم شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حمدان بن أحمد بن عبد الواحد الأذرعي الشافعي بحلب عن نيف وسبعين سنة.

وكان عديم النظير فقيهاً عالمًا.

شرح منهاج النووي.

واستوطن حلب وولي بها التدريس ونيابة الحكم إلى أن توفي.

رحمه الله.

وتوفي الشيخ الإمام العالم الفاضل ركن الدين أحمد القرمي الحنفي الشهير بقاضي قرم ومفتي دار العدل بالديار المصرية بها عن ثمانين سنة.

واستقر عوضه في إفتاء دار العدل الشيخ شمس الدين محمد النيسابوري ابن أخي جار الله الحنفي.

ومات قبل سلطنة ولده برقوق ودفن بتربة الأمير يونس الدوادر برأس الروضة خارج باب البرقية من القاهرة.

ثم نقل بعد فراغ مدرسة ولده البرقوقية بين القصرين إلى الدفن بها في القبة.

وتوفي الأمير الكبير سيف أقتمر بن عبد الله من عبد الغني نائب السلطنة بالديار المصرية بالقاهرة في هذه السنة بعد أن باشر عدة أعمال ووظائف مثل: نيابة صفد وطرابلس ودمشق وحجوبية الحجاب بديار مصر وإمرة جندار ونيابة السلطنة بها مرتين. وموته خلا الجو للأتابك برقوق وتسلمن.

مع أنه كان عديم الشر غير أنه كان مطاعًا في الدولة يرجع إلى كلامه فكان برقوق يراعيه ويجلس تحته إلى أن مات في تاسع عشرين جمادى الآخرة.

وتوفي الأمير الكبير عز الدين أيدير بن عبد الله الشمسي أحد أكابر أمراء الألوفا بالديار المصرية بها في ثالث عشر صفر وقد جاوز الثمانين سنة وكان أصله من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون.

أقام أميرًا نحوًا من ستين سنة وهو أيضًا ممن كان برقوق يخشاه ويعظمه ويجلس تحته حتى في يوم حضور والد برقوق بخانقاة سرياقوس جلس برقوق تحته في الملاء من الناس.

فبموت هؤلاء صفا الوقت لبرقوق وإن كان بقي من القدماء إشتقر المارديني وأيدر الخوارزمي فهما ليس كهؤلاء فإنهما لجهما لنيابة دمشق وغيرها يتواضعان لأصحاب الشوكة.

انتهى.

وكان أيدير الشمسي هذا مملوك ابن قلاوون يجلس عن اليمين وأقتمر عبد الغني عن اليسار.

وتوفي الأمير سيف الدين طشتمر بن عبد الله القاسمي المعروف بخازندار يلغا العمري نائب حماة في هذه السنة في شهر رجب بعين تاب صعبة العساكر الشامية.

وكان من أجل مماليك وتوفي الأمير علان بن عبد الله الشعباني أمير سلاح في ثمانى عشر شهر ربيع الآخرة وهو أحد أعيان مماليك يلغا.

وكان من حزب برقوق وقام معه في نوبة واقعة بركة أتم قيام وكان برقوق لا يخرج عن رأيه.

وتوفي خواجا خر الدين عثمان بن مسافر جالب الأتابك برقوق من بلاده ثم جالب أبيه وإخوته إلى الديار المصرية بالقاهرة في سادس عشر شهر رجب.

وكان رجلًا مقدامًا عاقلًا وقورًا.

نالته السعادة لجلبه الأتابك برقوق ومات وهو من أعيان المملكة.

وكان برقوق إذا رآه قام له من بعد وأكرمه وقبل شفاعته وأعطاه ما طلب.

وتوفي الشيخ الفقير المعتقد علي الشامي بالقاهرة في خامس صفره وكان يعرف بأبي لحاف.

وتوفي الأمير علاء الدين علي بن قشتمر الحاجب الشهير بالوزير في تاسع عشرين شهر ربيع الآخر.

كان أمير مائة ومقدم ألف بديار مصر وكان من خواص برقوق وأحد من قام معه في وقائعه وساعده.

وتوفي الأستاذ شمس الدين محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن السوري العماري الموصلي العواد المغني - نسبه بالعماري إلى عمار بن ياسر الصحابي رضي الله عنه - في يوم العشرين من صفر بالقاهرة.

وقد انتهت إليه الرئاسة في ضرب العود والموسيقى ونالته السعادة من أجلها قلت: وهو صاحب التصانيف الهائلة في الموسيقى.

وتوفيت المسندة المعمرة جويرية بنت الشهاب أبي الحسن أحمد بن أحمد الهكاري في يوم السبت ثاني عشرين صفر وقد انفردت برواية النسائي وغيرها.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمسة أذرع وثمانية أصابع.

مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعًا واثنًا عشر إصبعًا.

سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى السلطان الملك الظاهر أبو سعيد سيف الدين برقوق بن أنص العثماني اليلغاوي الجاركسي القائم بدولة الجراكسة بالديار المصرية.

وهو السلطان الخامس والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية والثاني من الجراكسة إن كان الملك المظفر بيبرس الجشكير جاركسيًا وإن كان بيبرس تركي الجنس فبرقوق هذا هو الأول من ملوك الجراكسة وهو الأصح وبه نقول.

جلس على تخت الملك في وقت الظهر من يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمئة الموافق له آخر يوم هاتور من الشهور القبطية وسادس تشرين الثاني بعد أن اجتمع الخليفة المتوكل على الله أبو عبد الله محمد والقضاة وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني وخطب الخليفة المتوكل على الله خطبة بليغة.

ثم بايعه على السلطنة وقلده أمور المملكة ثم بايعه من بعده القضاة والأمراء.

ثم أفيض على برقوق خلعة السلطنة وهي سوداء خليفية على العادة.

وأشار السراج البلقيني أن يكون لقبه الملك الظاهر فإنه وقت الظهيرة والظهور وقد ظهر هذا الأمر بعد أن كان خافيًا فتلقب بالملك الظاهر.

وركب فرس النوبة من الحراقة من المقعد الذي بالإسطنبول السلطاني من باب السلسلة والقبة والطير على رأسه وطلع من باب السر إلى القصر الأبلق وأمطرت السماء عند ركوبه بأبهة السلطنة فتفائل الناس بيمين سلطنته ومشت الأمراء والأعيان بين يديه إلى أن نزل ودخل القصر المذكور وجلس على تخت الملك.

وكان طالع جلوسه على تخت الملك برج الحوت والشمس في القوس متصلة بالقمر تثلينًا والقمر بالأسد متصل بالمشتري تثلينًا وزحل بالثور راجعًا والمشتري بالحمل متصل بعطارد من تسديس والمريخ بالجوزاء في شرفه والزهراء بالعقرب وعطارد بالقوس.

ودقت البشائر بقلعة الجبل عند ركوبه ثم زينت القاهرة ومصر ونولي بالقاهرة بالدعاء للسلطان الملك الظاهر برقوق.

ولما جلس على تخت الملك قبلت الأمراء الأرض بين يديه وخلع على الخليفة على العادة. ثم أمر الملك الظاهر في السلطنة وثبتت قواعد ملكه.

ومدحه جماعة من شعراء عصره منهم الشيخ شهاب الدين أحمد بن العطار فقال: السريع ظهور يوم الأربعاء ابتدا بالظاهر المعزز بالقاهر والبشر قد تم وكل امرئ منشرح الباطن بالظاهر وقال الشيخ شهاب الدين الأعرج السعدي من قصيدة: الوافر تولى الملك برقوق المفدي بسعد الجد والأقدار حتم نهار الأربعاء بعيد ظهر وللتربيع في الأملاك حكم بتاسع عشر رمضان بعام لأربع مع ثمانين يتم قلت: ولنذكر أمر الملك الظاهر هذا من أول ابتداء أمره فنقول: أصله من بلاد الجاركس وجنسه كسا ثم أخذ من بلاده وأبيع بمدينة قرم فاشتراه خواجه عثمان بن مسافر المقدم ذكره وجلبه إلى مصر فاشتراه منه الأتابك يلغا العمري الخاصكي الناصري في حدود سنة أربع وستين وسبعمائة وقبلها بيسير وأعتقه وجعله من جملة ممالিকে.

واستمر بخدمته إلى أن ثارت مماليك يلغا عليه وقتل في سنة ثمان وستين وسبعمائة فلم أدر هل كان برقوق ممن هو مع أستاذه يلغا أم كان عليه.

ولما قتل يلغا وتمزقت ممالিকে وحبس أكثرهم حبس برقوق هذا مع من حبس مدة طويلة هو ورفيقه بركة الجوباني ومعهم أيضًا جاركس الخليلي وهو دونهم في الرتبة.

ثم أفرج عنه وخدم عند الأمير منجك اليوسفي نائب الشام سنين إلى أن طلب الملك الأشرف مماليك يلغا إلى الديار المصرية حضر برقوق هذا من جملتهم وصار بخدمة الأسياد أولاد الملك الأشرف جنديًا.

ولم يزل على ذلك حتى ثار مع من ثار من مماليك يلغا على الملك الأشرف شعبان في نوبة قرطاي وأينبك وغيرهما في سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وقتل الأشرف.

ثم لما وقع بين أينبك وقرطاي وانتصر أينبك على قرطاي أنعم أينبك عليه بإمرة طبلخانة دفعة واحدة من الجندية فدام على ذلك نحو الشهر.

وخرج أيضًا مع من خرج على أينبك من اليلغاوية فأخذ إمرة مائة وتقدمة ألف وكذلك وقع لرفيقه بركة.

ثم صار بعد أيام قليلة أمير آخور كبيرًا ودام على ذلك دون السنة.

واتفق مع الأمير بركة على مسك طشتمر الدوادر ومسكاه بعد أمور حكيناها في ترجمة الملك المنصور علي وتقاسما المملكة وصار برقوق أتابك العساكر وبركة رأس نوبة الأمراء أطابكا فدام على ذلك من سنة تسع وسبعين إلى سنة اثنتين وثمانين.

ووقع بينه وبين خشداشه بركة وقبض عليه بعد أمور وحروب وصفا له الوقت إلى أن تسلطن.

وقد تقدم ذكر ذلك كله غير أننا ذكرناه هنا ثانيًا على سبيل الاختصار لينتظم قال المقرئ رحمه الله: وكان اسمه أَلطِنْبِغا فغيره أستاذَه يلْبِغا لما اشتراه وسماه بَرَقوقًا لنتوء في عينه وقال القاضي علاء الدين علي ابن خطيب الناصرية: كان اسمه سودون نقلًا عن قاضي القضاة ولي الدين أبي زرعة العراقي عن التاجر برهان الدين المحلي عن خواجا عثمان بن مسافر.

والقولان ليسا بشيء وإن كان النقلة لهذا الخبر ثقات في أنفسهم فإنهم ضعفاء في الأثر وأسمائهم وما يتعلق بهم لا يرجع إلى قولهم فيها.

والأصح أنه من يوم ولد اسمه برقوق كما سنبينه في هذا المحل من وجوه عديدة منها: أن الخواجا عثمان كان لا يعرف بالعربية وكان البرهان المحلي لا يعرف باللغة التركية كلمة واحدة فكيف دار بينهما الكلام حتى حكى له ما نقل وإن وقع اجتماعهما في بعض المجالس وتكالمًا فالبرهان يفهم عنه بالرمز لا بالتحقيق وليس بهذا نستدل بل أشياء آخر منها: أن والد الملك الظاهر برقوق لما قدم من بلاد الجاركس إلى الديار المصرية ونزل الملك الظاهر برقوق في وجوه الأمراء إلى ملاقاته بالعكرشة - وقد تقدم ذكر ذلك كله - وكان يوم ذلك برقوق مرشحًا للسلطنة فعندما وقع بصر والده عليه وأخذ برقوق في تقبيل يده ناداه باسمه برقوق من غير تعظيم ولا تحشم.

وكان والد برقوق لا يعرف الكلمة الواحدة من اللغة التركية فلما جلس في صدر المخيم وصار يتكلم مع ولده برقوق بالجاركس ثم لما قدم وصار أمير مائة ومقدم ألف استمر على ما ذكرناه من أنه ينادي برقوقًا باسمه ولا يقوم له إذا دخل عليه فكلمه بعض أمراء الجراكسة أن يخاطبه بالأمير فلم يفعل وغضب وطلب العود إلى بلاد الجاركس فلو كان لبرقوق اسم غير برقوق ما ناداه إلا به ولو قيل له في ذلك ما قبله.

فهذا من كبر الأدلة على أن اسمه القديم برقوق.

وكذلك وقع لبرقوق مع الخوندات فإن أخته الكبرى كانت أرضعت برقوقًا مع ولد لها وكانت أيضًا لا تعرف باللغة التركية فكان أعظم يمين عندها: وحق رأس برقوق.

وقدم مع الخوندات جماعة كبيرة من أقاربهم وحواشيهم وتداول مجيئهم من بلاد الجاركس إلى القاهرة إلى الدولة الناصرية ورأيت أنا الخوندات غير مرة.

وأما جواربهم وخدمهم فصار غالبهم عندنا بعد موتهم.

واستولد الوالد بعض من حضر معهم من بلاد الجاركس من الجواري.

وكان غالب من حضر معهم من عجائز الجراكسة يعرف مولد برقوق فلم نسمع من أحد منهم ما نقله من تغيير اسمه ولا من أحد من مماليكه مع كثرة عددهم واختلاف أجناسهم ومنهم من يدعي له بقرابة مثل الأمير قجماس والد إينال الأمير الآخور الكبير وغيره وقد أثبت فرية قجماس المذكور أنه ابن عم برقوق بسبب ميراث مماليكه بمحضر شهد فيه جماعة من قدماء الجراكسة وسمي فيه برقوقًا وسمي قجماس قجماسًا.

ثم لما وقفت على هذه النقول الغربية سألت عن ذلك من أكابر مماليك برقوق فكل من سألت منه يقول: لم يطرق هذا الكلام سمعي إلا في هذا اليوم هذا مع كثرتهم وتعظيمهم

لأستاذهم المذكور وحفظهم لأخباره وما وقع له قديمًا وحديثًا حتى إن بعضهم قال: هذا اسم جاركسي ويلبغا اسم تترى لا يعرف معناه ثم ذكر معناه فقال: هذا الاسم أصله ملي جق ومعناه بالجاركسي غنام فإن ملي بلغتهم أسم للغنم ثم خفف على جق ببرقوق ثم ذكر أسماء كثيرة كان أصلها غير ما هي عليه الآن مثل بايزير فسمي بايزيد ومنهم من جعله كنية أبي يزيد ومثل آل باي فسمي علي باي وأشياء من ذلك يطول شرحها.

وقد خرجنا عن المقصود لتأييد قولنا وقد أوضحنا هذا وغيره في مصنف على حدته في تحريف أولاد العرب للأسماء التركية والعجمية وفي شهرتهم إلى بلادهم في مثل جانبك وتنبك وشيخون ومثل من نسب إلى فيروز باد واستراباد من زيادة ألفاظ وترقيق ألفاظ يتغير منها معناها حتى إن بعض الأتراك أو الأعاجم إذا سمعها لا يفهمها إلا بعد جهد كبير.

انتهى.